

الْحَاطِطُ فِي الْخَبَارِ غَرْبًا وَطَرْفًا

لِذِي الْوَزَارَتَيْنِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْحَطِيبِ

حَقَّقَ نَصَّهُ وَوَضَعَ مَقْدَمَتَهُ وَحَوَاشِيَهُ

مُحَمَّدُ عَبْدُ اللَّهِ غِنَايَن

المجلد الثالث

الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى
١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م
الحقوق كلها محفوظة
Copyright, Cairo, 1975

القاهرة

الشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الثالث من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » . نقدمه إلى القراء والباحثين . في كثير من الغبطة والحمد والرضى .

ولقد استوعبنا في مراجعة المجلدين . الأول والثاني . من هذه الموسوعة الأندلسية الحليّة . سائر المخطوطات التي نوهنا بها في موطنها . في مقدمة كل من هذين المجلدين . والآن ينحصر مدى المراجعة بالنسبة لهذا المجلد الثالث من « الإحاطة » في أصليين مخطوطين .

الأول — مخطوط « المكتبة الزيدانية » . المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو بالإسكوريال ، برقم ١٦٨٨ الغزيري ورقم ١٦٧٣ ديرنبور .

الثاني — مخطوط جامع الزيتونة بتونس ، المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية التونسية . الجزء الثاني والثالث ، ومحملان رقمي 8I35 و 8I36

واعتمدنا في المراجعة والتحقيق إلى جانب هذين الأصليين المخطوطين . على عدد من المراجع والموسوعات الأدبية والتاريخية . مثل «نفع الطيب» . و «أزهار الرياض» للمقرئ ، و «الذيل والتكملة» ، للقاضي ابن عبد الملك المراكشي ، و «وصلة الصلوة» لأبي جعفر بن الزبير . و «جذوة الاقتباس» لابن القاضي ، وغيرها مما سبق أن ذكرناه في ثمت للمراجع في نهاية المجلد الأول .

وبدأ هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » بترجمة محمد بن يحيى بن عبد الله ابن محمد بن أحمد الغزفي . ويسمى بترجمة عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن . . . من المخطوطات الإسكوريالية المشار إليه مائة وثمانين .

لوحة . من اللوحة ٨٥ إلى اللوحة ٢٨٣ . ويستغرق بقية السفر الثامن من «الإحاطة» ثم السفر التاسع بأكمله ، وجزءا من السفر العاشر .

ختامه . هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » عن سابقه في عدد أمه ، أولها يوحى الإخبار في ذكر من التراجيم . وراو ذلك من مغاربه عائد التراجيم التي يحتويها هذا المجلد . بما يحتويه منها كل من المجلدين الأول والثاني . فبينما يحتوي المجلد الأول على ست وتسعين ترجمة ، ويحتوي المجلد الثاني على اثنين وثمانين ترجمة ، إذا بالمجلد الثالث يحتوي على مائة وأربع وتسعين ترجمة . وفي اعتقادنا أن ذلك يرجع بالأخص إلى سببين ، الأول توخى ابن الخطيب الإيجاز في كثير من التراجيم الملوكية والخلافية الأندلسية . مثل تراجيم عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ، والمطرف بن عبد الله بن محمد ، وعبد الرحمن الناصر ، والخليفة المرتضى بالله وغيرهم ، وذلك لأنه تناول أخبارهم مفصلة في كتابه « إعمال الأعلام » . هذا بينما يفيض ابن الخطيب ، إفاضة ظاهرة في المجلدين الأول والثاني ، في تراجيم سلاطين الدولة النصرية ، ولاسيما سلطانه محمد الغنى بالله . الذي تشغل ترجمته ، وما يتبعها من رسائل ، ثمانين صفحة من المجلد الثاني . والسبب الثاني هو تصرف ناسخ مخطوط المكتبة الزيدانية . بالاختصار المخل في كثير من تراجيم النصف الثاني من هذا المخطوط ، وحذفه معظم أبواب « المشيخة » . ومعظم القصائد والرسائل الثرية ، الملحقة بكثير من التراجيم ، أو الاقتصار على اليسير منها .

على أن المجلد الثالث من « الإحاطة » يحتوي مع ذلك على كثير من التراجيم الهامة ، والتراجيم المطولة ، كما يحتوي على مجموعة من التراجيم الملوكية . ونستطيع أن نذكر من التراجيم الهامة التي وردت في هذا المجلد ، من العلماء ورجال التفكير والأدب . تراجيم محمد بن يحيى بن أحمد العزفي ، ومحمد بن أحمد بن مرزوق العجيسى ، ومحمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى ، وأبى جعفر بن الزبير . ومحمد بن يحيى بن عباد النفزى . ومحمد بن يوسف بن خالصون . وصالح بن شريف الرندى ، وعبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجارى ، وعبد الله بن

يوسف بن رضوان النجاري ، وعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ، وعبد الرحمن ابن يخلفتن الفازازي ، وعبد الملك بن حبيب ، وابن أبي السداد الباهلي ، وعبد الحق بن محمد بن عطية الحاربي . وعبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي ، وعبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم الحضرمي ، وعبد الحق بن إبراهيم بن سبعين العكي وغيرهم . ومن تراجم الزعماء والأمراء والملوك ، منذر بن يحيى التجيبي ، وأبو حموسى بن يوسف بن عبد الرحمن - والسلطان أبو الحيوش نصر بن يوسف ابن نصر الأنصاري ، والصميل بن حاتم ، وعبد الله بن بلقين بن باديس ، وعبد الرحمن الداخل . وعبد الرحمن الناصر ، وغيرهم .

وقد اتبعنا في هذا المجلد ، نفس ماسبق أن اتبعناه في المجلدين السابقين ، من مقارنة النصوص المخطوطة ، والتعريف بالأعلام الجغرافية والتاريخية . ومن الواضح أن التعريف بهذه الأعلام قد جرى في هذا المجلد على نطاق محدود نظرا لما سبق التعريف به في المجلدين السابقين من الأعلام الكثيرة ، الواردة في كتاب « الإحاطة » . ومن ثم فقد جرينا بالنسبة للأعلام المكررة في هذا المجلد ، على الإحالة على المجلدين السابقين .

ونود أن نستذكر هنا سهوا وقع في وصف « السفر الثاني » (الجزء الثاني) من مخطوط « الإحاطة » ، وهو مخطوط المكتبة الزيدانية المحفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم ١٦٨٨ الغزيري ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور ، فقد ذكرنا في مقدمة المجلد الأول من الإحاطة أنه مكتوب بخط أندلسي (ص ١٣) . والحقيقة أنه مكتوب بخط مغربي . وقد أشرنا إلى ما ذكر في نهاية هذا المخطوط من أنه قد تم نسخه بغرناطة في أوائل شهر ربيع الأول من عام خمسة وتسعين وثمانمائة (ص ١٤) . وهذا يقصد به بالطبع المخطوط الأندلسي الأصلي ، الذي تم نسخه بغرناطة في هذا التاريخ . ومن الواضح أن مخطوط المكتبة الزيدانية قد نقل عن المخطوط الأصلي ، وأدجت فيه هذه الإشارة التي وردت في خاتمته ، ونقل بالخط المغربي ، إما بغرناطة ذاتها قبل السقوط ، أو بالمغرب من نسخة منه كانت قد نقلت إليه ، واستطاع السلطان مولاي زيدان أن يحصل عليها ، وأن يضمها إلى مكتبته النفيسة .

هذا ، وقد بقي علينا بعد إخراج هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » أن نخرج المجلد الرابع ، ثم السفر الثاني عشر منه . وهو المتضمن لترجمة ابن الخطيب لنفسه . ويشتمل هذا المجلد الرابع والآخر من « الإحاطة » على بقية تراجم حروف العين ، والغين ، فالفاء ، فالسين ، فالهاء ، فالياء . ويحتوى على مائة وإحدى وعشرين ترجمة ، تليها ترجمة ابن الخطيب لنفسه . وهى ترجمة مستفيضة تشغل نحو مجلد بأسره . ويأخرنا هذين القسمين الأخيرين . نختتم ، بعون الله وتوفيقه ، هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى .

محمد عبده عنان

القاهرة فى غرة رمضان سنة ١٣٩٥ هـ

الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٩٧٥ م

رموز المخطوطات

- رجعنا في تحقيق هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » حسبما تقدم إلى المخطوطين الآتين ، ونرمز لكل منهما في حواشي الكتاب على النحو الآتي :
- ١ - مخطوط مكتبة دير الإسكوريال المحفوظ بها برقم ١٦٨٨ الغزيري ورقم ١٦٧٣ ديرنبور ، ونرمز له بكلمة « الإسكوريال »
- ٢ - الجزآن الثاني والثالث من مخطوط جامع الزيتونة بتونس ، المحفوظان الآن بدار الكتب الوطنية التونسية برقمي 8I35 و8I36 ونرمز لهما ، بكلمة « الزيتونة »

الإحاطة
في أخبار غرناطة
—
المجلد الثالث

حاله

١٠ من أهل الظُّرف والبراعة ، والطبع المَعين ، والدكاء ، رَئيس سَبْتَة ،
[وابن رؤسائها] ^(٢) ، وانتقل الى غرناطة عند خلعهِ ، وانصرافهِ عن بلده .
أقام بها . تحت رَعْيِ حسن الروا ، مألِّفاً للظرفاء ، واشتهر بها أدبه ، ونظر
في الطب ، ودَوَّن فيه . وبرع في التَّوشيح . ثم انتقل إلى العُدوة ، انتقال
غَيْطَة وأثرَة . فاستُعْمِلَ بها في [خُطط نبيهة] ^(٣) ، وكتب عن ملوكها .
وهو الآن بالحالة الموصوفة .

وَجَرَى ذِكْرُهُ فِي «الإِكْلِيلِ» بِمَا نَصَّهُ : فَرَعَ تَأَوَّدُ^(٤) مِنَ الرِّيَاسَةِ فِي دَوْحَةٍ . وَتَرَدَّدَ بَيْنَ غَدْوَةٍ فِي الْمَجْدِ وَرَوْحَةٍ ، نَشْأً وَالرِّيَاسَةِ الْعَزْفِيَّةِ ، تَعْلَهُ

(١) هكذا وردت في الإسكوربال . وفي الزبوتوة (أبو القاسم بن أبي يحيى) .

(٢) هذه الزيادة واردة في الزيتونة . ونود أن نذكر بهذه المناسبة أن رياضة آل الزي في لسيبة بدأت في سنة ٦٥٧ هـ ، حينما قامت بها الثورة ضد المخوحدن ، وانتهت باختيار قريش - وكبير علمائها أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين اللخمي الخزفي رئيسا لها . واستمرت دراسة أبي القاسم ابنه (وأحيانا لطبقة أحواض) حتى وفاته في سنة ٦٧٨ هـ ، وهو الذي أكمل كتاب أبيه العامد الروح الممد إلى العبد أبي العباس الخوري (قد اعظم في زمانه) وحققه في يوم سبعة من شهر ربيع الثاني سنة ١٠١٣ هـ . ثم حكي له على يد والده بن علي سنة ١٠٥٠ هـ ، وفي ثمانية من شهر ربيع الثاني سنة ١٠١٣ هـ ، على بعض أقرانهم . ذلك وقد سمعته عن فخر الدين مروي - فهو عن والده المرحوم أبيه وإسحاق حتى وفاته في سنة ١٠١٩ هـ ، ثم تولي والده المرحوم له الرئاسة خلف والده . ثم تبع في سنة ١٠٢٠ هـ ، وسهل إلى مكانه . وكان آله العربي من أمهات أسر السادة علماء ومفكرين .

(٣) عند الرد في الأصلين دلالة في الرد به (احفظه الله) .

[illegible]

وتنهله . والدَّهْرُ^(١) يُسِيرُ أَمْلَهُ الْأَوْصَى وَبَسْوَله . حَتَّى اتَّسَقَتْ أَسْبَابُ
سَعْدِهِ ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِياسَةُ سَلْفِهِ مِنْ بَعْدِهِ . فَالْقَتَّ إِلَيْهِ رِحَالُهَا وَحَطَّتْ ،
وَمَتَّعَتْهُ بِقَرَبِهَا بَعْدَ مَا شَدَّتْ . ثُمَّ كَلَّحَ لَهُ الدَّهْرُ بَعْدَ مَا تَبَسَّمَ ، وَعَادَ زَعَزَعًا
نَسِيمَهُ الَّذِي كَانَ يَتَنَسَّمُ ، وَعَاقَ هَالِكُهُ عَنْ تِمِّهِ . مَا كَانَ مِنْ تَغْلُبِ ابْنِ عَدِهِ ،
وَاسْتَقَرَّ بِهِذِهِ الْبِلَادُ ، نَائِي^(٢) الدَّارِ بِحُكْمِ الْأَقْدَارِ ، وَإِنْ كَانَ نَبِيهِ الْمَكَانَةِ
وَالْمَقْدَارِ ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ جِرَايَةٌ وَاسِعَةٌ . وَرَعَايَةٌ مُتَتَابِعَةٌ ، وَلَهُ أَدَبٌ كَالرَّوْضِ
بَاكِرَتِهِ الْغَمَامِمْ ، وَالزَّهْرُ تَفْتَحَتْ عَنْهُ الْكَمَامِمْ ، رَفَعَ مِنْهُ رَايَةً خَافِقَةً ،
وَأَقَامَ لَهُ سَوْقًا نَافِقَةً . وَعَلَى تَدْفُقِ أَنْهَارِهِ ، وَكَثْرَةِ نَظْمِهِ وَاشْتِهَارِهِ ، فَلَمْ
أُظْهِرْ مِنْهُ إِلَّا بِالْيَسِيرِ التَّافِهِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ .

شعره

قال : أفديك يارِيح الصُّبَا عوجى على تلك الرُّبَا
واحِدِ النَّعَامِ سَحْرَا تُرْسِلُ غَمَامَا صَبَا
على رُبَى غَرْناطَةِ لَكى نَقْضَى مَارِيبَا
ثم أبلغنى يا ربيع عن صبٍّ سلامًا طيِّبًا
ومن منظومه أيضًا فى بعض القضاة الفاسيين ، وهو من البديع ، وورى
فيه ببابين من أبواب المدينة :

وُلِّيتَ بِفَاسٍ أُمُورَ الْقَضَا فَأَحْدَثَ فِيهَا أُمُورًا شَنِيعَةً^(٣)

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال والنفح ، وفى الزيتونة (والزمن) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفح (نازح) .

(٣) هكذا ورد هذا البيت فى الإسكوريال « والزيتونة » . وورد فى « جذوة الإقباس » لاس

القاضى كالآتى :

(أفاضى فاس لقد شتها وأحدثت فيها أموراً شنيعة)

(طبعة الرباط ١٩٧٣ - ص ٣٠٠)

وَعَلَقْتُ لِنَفْسِي بَابَ الْفَتْوحِ
بَغَزْلِكَ عَنْهَا فَبِيلُ الدَّرِيعةِ^(١)

فَتَحْتُ لِنَفْسِي بَابَ الْفَتْوحِ
فَمَادِرِ مَوَالِي الْوَرَى فَمَارِسِ

وَقَالَ

وَأَدِرْ كَوْوَسُكْ يَا أَخَا اللَّذَاتِ
وَاقْطَعْ زَمَانُكَ بَيْنَ هَاكَ وَهَاتِ
لِيَنَّ الْمَعَاطِفَ فَاتِرِ الْحَرَكَاتِ
مُثَبَّتَا فِي فَتْرِهِ اللَّحْظَاتِ
فِي الْكَاسِ كَالْمَصْبَاحِ فِي الْمِشْكَاتِ
لَمَّا عَدْتُ تُجَلِّي عَلَى الرَّاحَاتِ
تَبْدُو مُحَاسِنُهَا لَدَى الْكَاسَاتِ
فَمَ لَا كُنَّ مَطَالِعَهَا مِنَ الْوَجَنَاتِ
فِي جَنَّةٍ تُزْهِى عَلَى الْجَنَّاتِ
مِنْ كُلِّ غَضٍّ يَنْعَمُ الشُّمَرَاتِ
وَجَدَاوِلُ تُفْضِي إِلَى دَوَّاحَاتِ
فِيهِبٌ وَهُوَ مُورِجُ النِّفْحَاتِ
حَازَ الْمَدَا سَبْقًا إِلَى الْغَايَاتِ
جَعَلْتُ تَحِيَّتَهَا لَدَى الرِّكَعَاتِ
قُرْبَانَهَا وَحَفَّتَهُ بِالزُّهْرَاتِ
فِي رِدَائِنَا عَلَى رَنَائَاتِ
فِي الْيَمِّ مِنْهُ ثَفِيلَةُ النِّعْمَاتِ
أَلْحَانَهَا أَلْقَاءَ اللَّقِيذَاتِ

دَعِ عَنْكَ فَوَلَّ عَوَازِلَ وَوَشَادِ
وَإِخْلَعْ عِذَارَكَ لِأَهْيَا فِي شُرْبِهَا
خُذْهَا إِلَيْكَ بِكَفِّ سَاقٍ أَعْيَدِ
قَدْ قَامَ مِنَ الْحَظَاهِ إِنْسَانُهَا
يُسْقِيكُهَا حَمْرَاءُ يَسْطَعُ نَوْرُهَا
رُقَّتْ وَرَانَتْ فِي الرُّجَاجَةِ مَنَظَرَا
لَا تَمَزِجَنَّهَا فِي الْأَبَارِقِ إِنَّهَا
عَجَبًا لَهَا كَالشَّمْسِ تَغْرُبُ فِي
نَلْنَا بِهَا مَا نَشْتَهِيهِ مِنَ الْمُنَا
رَفَّتْ عَلَيْهَا كُلُّ طَلٍّ سَجَسَجِ
مَابِينِ خَضِرٍ حَدَائِقِ وَخَمَائِلِ
سَرَى النِّسِيمِ بِهَا يَصَافِحُ زَهْرِهِ
وَشَدَا لَنَا فِيهَا مَعْنٌ شَادِنِ
طَرِبَتْ لَهُ الْقُضْبُ اللَّدَانِ وَبَادَرَتْ رَجْعًا لَهُ تَخَنُّالَ فِي الْحَبَرَاتِ
مَرَّتْ عَلَيْهِ رَكْعًا لَا كُنْهَهَا
فَقَصُرَتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ مِنْهُ فَقَرَّبَتْ
وَالْعُودُ مَشْدَادُ يُطَابِقُ زِيَّهَا
إِنْ جُسَ مِثْلُهُ بَابُ بِنْتِ
فَكَانَ مَا غُنَّتْ عَلَيْهِ الْوُرُقُ مِنْ

(١) هذه الأبيات الباقية هي التي وردت - فقط من شعر العزفي في محمود الزيات.

عَكَفَتْ عَلَى أَلْحَانِهَا تَشَاوُلُنَا
فَكَأَنَّهَا عُجْمٌ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ
نَطَقَتْ بِأَفْصَحِ نَعْمَةٍ فِي شِدْوَاهَا
وَمَا أَنْشَدَهُ لَيْلَةَ مِيلَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إِذَا لَمْ أَطِقْ نَحْوَ نَجْدٍ وَصَوْلَا
وَكَمْ حَلٌّ قَلْبِي رَهِينًا بِهَا
مَحَلُّهَا فِي الْحِلَالِ الَّتِي ضُحِيَ
وَكَمْ بَتُّ فِيهَا غَدَاةَ النَّسْوَى
عَلَى شَمْسٍ حُسْنِ سَمَا نَاطِرِي
وَقَفْتُ بِوَادِي الْغَضَا سَاعَةً
وَفِي الْبِسَانِ مِنْ أَيْكِهِ سَاجِعٌ
بِهَتْقِ الْهَوَى يَا حِمَامَ الْجَمَى
فَقَدْ هَجَّتْ تَالَهُ أَشْوَاقُهُ
أَلَمْ تَذَرِ أَنْ أَدْكُرِي الْهَوَى
رَعَى اللَّهُ تِلْكَ الْمَطَايَا الَّتِي
وَيَاعَجِبَا كَيْفَ خَفَّتْ هِمٌّ
وَوَدَّعْنِي الصَّبْرُ إِذْ وَدَّعُوا
وَأَثَرْتُ يَا وَيْحَ نَفْسِي الْمَقَامِ
وَجَادُوا رَجَا الرِّضَا بِالنَّفُوسِ
نَدِمْتُ عَلَى السَّيْرِ إِذْ فَانِي
وَفَازَ الْمَخْنُونُ إِذْ يَمْنَعُهُ
وَحُجُوهٌ هَاهُنَا سَبِيٌّ تَدْرِي

خَلَفَ السَّائِرَ بِاخْتِلَافِ لُغَاتِ
وَرَدَّدَتْ سُورًا مِنَ التَّوَارَاتِ
تَتَلَوُ عَلَيْنَا هَذِهِ الْآيَاتِ
بِعَثْتُ الْفُؤَادَ إِلَيْهَا رَسُولًا
غَدَاةَ نَوَى الرُّكْبِ فِيهَا النَّزُولَا
أَصْبَحَ الْقَوْمُ فِيهَا حُلُولَا
أَسْحُ مِنَ الْعَيْزِ دَمْعًا هُمُولَا
إِلَيْهَا وَعَنِّي تَوَارَتْ أَفْئُولَا
لَعَلِّي أَنْدُبُ قَبِيهَا الطُّلُولَا
يَرْجِعُ بِالْقَضْبِ مِنْهَا الْهَدِيلَا
تَرْفُقُ بِقَلْبِي الْمَعْنَى قَلِيلَا
بِدَكْرِكِ الْإِفَا ثَانِي أَوْ خَلِيلَا
يُدِيبُ وَيُعِي الْفُؤَادَ الْعَلِيلَا
إِلَى الْحَجِّ وَخَدًّا سَرَتْ أَوْ ذَمِيلَا
وَحَمَلَتْ الْقَلْبَ حَمَلًا ثَقِيلَا
فَمَا أَنْ وَحَدْتُ إِلَيْهِ سَسِيلَا
وَأَثَرَ أَهْلِ الْبُودَادِ الرَّحِيمِلَا
وَكُنْتُ بِنَفْسِي ضَمِينًا بِخِيلَا
وَلَا زِمْتُ خُزْنِي دَهْرًا طَوِيلَا
مَنَازِلَ آثَارِهَا لَنْ تَسْزُولَا
مَحَامِدِ الْهَاشِمِيِّ الرَّسَمِلَا

وفازوا بإذراك ما أملوا ونالوا لذيهِ الرضا وأقبلوا
 ولو كنت في عزمهم مثلهم إذا لأنصرفت إليه عجلوا
 ولا كنتى أثقلتنى الذنوب وما كنت للثقل منها جملوا
 ركبت مطية جهل الصبنا وكانت أوان التصلب ذلوا
 ومالت بي النفس نحو الهوى وقد جدتني غمرا جهلوا
 فطوبى لمن حل في طيبة وعمرى بالسفح منها الجملا
 ونال المني في منى عند ما نوى بالمنازل منها فيزولا
 وأصنفي الضناير نحو الصفا يؤمل للوطئ فيه الوضولا
 وجاء إلى البيت مستبشرا ليظهر بالأمن فيه دخولا
 وطاف ولبي بذاك الحمما ونال من الحجر قصدا وسولا
 بلاد بها حل خير الورى فطوبى لمن نال فيها الحلولا
 نبي كريم سما رفعة وقدا دبرا جليلا ومجدا أصيلا
 وكان لأمته رحمة بفضيل الشفاعة فيهم كفيلا
 وكان رؤوفا رحيمًا لهم عطوفا شفيعا عليهم وضولا
 له يفرعون إذا ما رأوا لدى الحشر خسفا وأمرأ مهولا
 وإن جاء في ذنبهم شافعا بدى الرخب من ربو والقبولا
 له معجزات إذا عُددت تفوت النهى وتكبل العقولا
 ولن يبلغ القول معشارها وإن كان الوصف فيها مطيلا
 وقس البيان وسحبانه يرى ذهنه في مداما كليلا
 تخيرد الله في خلقه فـ كان الخطير لديه المثيلا
 ولم ير في الناس ندا له ولا في الخلايق منه بديلا
 وأبقى له الحكم في أرضه فكان الأمين عليها الوكيلا

وكل ظلام وظلم بها على الفسور لما أتى قد أزيلا
 وكانت كنار لظى فتنة فسادت من الأمن ظلاً ظليلاً
 وقد زان حسن الدجاجة له إذا ذكر الدهر جيلاً فجيلاً
 وأيامه غرر قد بدت بوجه الدنيا والليالي حجلاً
 رسول كريم إذا جيته ويسمت مغناه تلقى القبولا
 يعولده في زمان الربيع ربيع أتنا يجرؤ الديولا
 فأهلاً به الآن من زاير وقام الإمام به المرتقى
 هو المستعين أبو سالم ملك فنال ثواباً وأجراً جزياً
 وحاز من الصيت ذكراً أثيراً ترفع قدراً جليلاً
 سليل على غمام الندى ومن كرم الخيم مجداً أثيلاً
 فتى أوسع الناس من جوده ألا أيد الله ذاك السليلاً
 خلّة الوقار ولاقيه إذا عطا جزيلاً وبراً حفيلاً
 وقد شاع عنه جميل الثنا ارتاح للجود يلقى عجبلاً
 وما من بالوعد إلا وفى وعم البسيطة عرضاً وطولاً
 ولا في علاه مغال لمن فلم يك بالوعد يوماً مطولاً
 تفرد بالفضل في عصره يكثر في الملك قالاً وقيلاً
 أطاعت له حين وافى البلاد وكان بعرف الأيادي كفلاً
 وجا لطاعته أهلها سراعاً رضى عند ما حلّ فيها حللاً
 فنبه قلد الموالى بها يرومون فيها الدخولاً
 ومهد بالأمن أفكارها وأمن وأكسف فيؤس المعادى خملاً
 وكف أكسف التعدى بها فلا يظلم الناس فيها فتياً

وعصر الكروب الذى قد مضى زمانُ المسرات منه أديلا
أتانا الى الغرب فى شوكة بها عاد جَمْعُ الأعادى قليلا
وفوق رؤوس الطغاة انتضى حُساماً لِيُسْجِعَ فيها صليلا
وجرد من عزمه مرهفاً لحسم أمور النساوى صقيلا
وكل كفور مُعَادٍ لَهُ سيأخذه الله أخذًا وبَيْلا
أعزَّ الخلائقَ لما وَلِيَ ونوّه من كان منهم ذليلا
وراعى لمن جاءه داخلا حِمَاه من القاضدين الدَّخِيلَا
فكان بأفعاله قصده إلى مَنهَجِ الفضلِ قصداً جميلا
وصحَّ انتعاش المعالى به وقد كان شخصُ المعالى عليلا
وشيد مبنى العُلا بالندى ووثقه خَشِيعة أن يميلا
يُنيل ويُعطى جزيل العطا فما زال أخرى الليالى مُنيلا
ودام مدى الدهر فى رفعة تغير من الحاسدين الغليلا
ولا بَرِح السعد فى بابه يومٌ به مَرَبِعاً أو مَقِيلَا^(١)

محمد المَكُودى

من أهل فاس يكنى أبا عبد الله

حاله

من «الإكليل» : شاعر لا يتعاطى^(٢) ميدانه . ومرعى^(٣) بيان ورَف

(١) لم يذكر لنا ابن الخضر - كما دونه مولد المترجم له ولا تاريخ وفاته . ونحن نقول ذلك
فبقول إن أبا القاسم اهزى ولد بسببة فى شوال عم ٦٩٩ هـ ، وتوفى بفاس كاتبا للملكة المرينية
وذلك فى ١١ صفر سنة ٧٦٨ هـ (راجع أزهار الرياض - ج ٢ ص ٣١٨) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفح (يتقاضى) .

(٣) هكذا فى النفح . وفى الإسكوريال . (مرعى) .

عضله^(١) ، وأينع سَعْدَانَهُ ، يدعو الكلام فيهطع لداعيه ، ويسعى في اجتلاب المعاني فتنجح مساعيه . غير أنه أفرط في الانهماك ، وهوى إلى السَّحْكَة من أَوْج السَّمَاء . وقدم على هذه البلاد مُفْلِتاً من رَهَق تلمسان حين الحصار ، صفر اليمين ، واليسار من اليسار ، ملئ^(٢) هوى أنجى على طريفه وتِلَادِهِ ، وأخرجه من بلادِهِ . ولما [جَدَّ بِهِ]^(٣) البين ، وحلَّ هذه البلاد [بحال تقبحها العين]^(٤) والسيف بهزته ، لا بحسن بزته ، دعوته إلى مجلس ، أعاره البدرُ هالته ، وخلع عليه الأصيل غِلالته ، ورؤُوس تفتَح كِمَامَهُ ، وهما عليه غَمَامَهُ ، وكاس أنس تدور ، فتتلقى نجومها البُذور . فلما ذَهَبَتِ المُوَاسِةُ بخجلِهِ ، وتذكر دواه ، ويوم نَوَاه ، حتَّى خِفْنَا حُلُولَ أَجَلِهِ ، جَدَّبْنَا لِلْمُوَاسِةِ زَمَامَهُ ، واستَقَيْنَا منها غَمَامَهُ ، فامْتَعَ وأخْسَبَ ، ونظر ونَسَبَ ، وتكلَّم في المسائل ، وحضر بطُرف الأبيات ، وعيون الرسائل . يَجِيءُ نشر الصبح رايته ، وأطلع النهار آيته .

وما أنشدنا ونقلبنا أنفسه :

غرامى فيكِ جلٌّ عن القياس	وقد استَيْتَنِيهِ بكل كاس
ولا أنسى هواك ولو جَفَانِي	عليك أقارب طراً ونَاسِ
ولا أدري لنفسي من كمالٍ سوى	أنّى لعهدك غيرُ نَاسِ

وقال في غرض معروف :

بعثتُ بخمرٍ فيه ماء وإنما	بعثتُ بما فيه رايحة الخمر
فقلُّ عليه الشكر إذ قلَّ سكرنا	فنحن بلا شكر وأنت بلا شكر

(١) هكذا الإسكوريال وفي النسخ (عضاهه) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بل) . والاصوب من النسخ .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (جذبه) . الأولى أرشح

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ ، مكانها في الإسكوريال (محل لعد) ، والأولى

أكثر انساقاً مع المعنى والسباق .

ومما خاطبني به :

رَحْمَاكَ بِي فَلَقَدْ خَلَّدْتَ فِي خَلْدِي هَوَى أَكَابِدَ مِنْهُ حَرَّةٌ ^(١) الْكَبِيدِ
 حَلَلْتَ عِقْدَ سِلْوِي فِي ^(٢) فَوَادِي إِذْ حَلَلْتَ مِنْهُ مَحَلَّ الرُّوحِ فِي جَسَدِ
 مَرَّآكَ بِدَرِي وَذِكْرَاكَ التِّذَاذُ فَمِي وَدِينِ حُبِّكَ أَضْمَارِي وَمُعْتَقْدِي
 وَمِنْ جَمَالِكَ نَوْرٌ لَاحَ فِي بَصْرِي وَمِنْ وَدَادِكَ رُوحٌ حَلَّ فِي خَلْدِي
 لَا تَحْسِبَنَّ فَوَادِي عَنْكَ مُضْطَبَّرِ فَقَبَّلَ حُبِّكَ كَانَ الصَّبْرُ طَوْعَ يَدِي
 وَهَاكَ جَسْمِي قَدْ أَوْدَى النُّحُولُ بِهِ فَلَوْ طَلَبْتَ وَجُودًا مِنْهُ لَمْ تَجِدِ
 بِنَا بِطَرْفِكَ مِنْ غَنَجٍ وَمِنْ حَسَوَرٍ وَمَا بَشْغَرِكَ مِنْ دُرٍّ وَمِنْ بَرَدِ
 كُنْ بَيْنَ طَرْفِي وَقَلْبِي مَنصَفَا فَلَقَدْ حَابَيْتَ بَعْضَهُمَا فَاعْدِلْ وَلَا تَحِدِ
 فَقَالَ لِي قَدْ جَعَلْتُ الْقَلْبَ لِي وَطْنَا وَقَدْ قَضَيْتَ عَلَى الْأَجْفَانِ بِالْسُّهْدِ
 وَكَيْفَ تَطْلُبُ عَدْلًا وَالهَوَى حَكَمٌ وَحَكَمُهُ قَطْ لَمْ يَعْدِلْ عَلَى أَحَدِ
 مِنْ لِي بِأَغْيَدٍ لَا يَرْتِي إِلَى شَجَنٍ وَلَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَلْقَاهُ ذُو كَمَدِ
 مَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ إِذْ عَانِي لَصُولَتِهِ أَخَالَ أَنْ الرُّشَا يَسْطُو عَلَى الْأَمَدِ
 إِنْ جَادَ بِالْوَعْدِ لَمْ تَصْدُقْ مَوَاعِدُهُ فَإِنْ قَنَعْتَ بِزُورِ الْوَعْدِ لَمْ يَعِدِ
 شَكْوَتِهِ عَلَيَّ مِنْهُ فَقَالَ الْأَمْرُ لِلطَّبِيبِ فَمَا بُرِّئَ الضَّنَا بِيَدِي
 فَقُلْتُ إِنْ شِئْتَ بُرِّئِي أَوْ شِفَا أَلِي فَبَارَتْشَافَ لِمَاكَ الْكُوْثَرِي جُدِي
 وَإِنْ بَعِثْتَ قَلِي مَوْلَى يَجُودُ عَلَى ضَعْفِي وَيُهْرِي مَا أَضْنَيْتَ مِنْ جَسَدِي
 وَخَرَجَ إِلَى الْمَدْحِ فَاطَّالَ ^(٣)

(١) حكمة في الإسكندرية في النسخ (حرقه) .

(٢) هكذا في الإسكندرية . وفي النسخ (عن) .

(٣) . بذكر لنا ابن الخطيب تاريخ ودة المترجم له . وقد نوق محمد المكوذي بغاس سنة ٨١٥٣

(جذوة الاقتباس - ١٩٧٣ - ص ٢٢٩) .

المقرئون والعلماء — الأصليون منهم

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن
عبد الرحمن بن يوسف بن جَزَى الكلبى

يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة وذوى الأصالة والنباهة فيها ، شيخنا
رحمة الله عليه

أَوَّلِيَّتُهُ

أصل سلفه من ولة^(١) من حصون البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح
صحبة قريبهم أبى الخطار حُسام بن ضرار الكلبى . وعند خَلْع دعوة
المرابطين ، وكانت لجدهم بجيان رئاسة وانفراد بالتدبير .

حالُه

كان رحمه الله ، على طريقة مُثلى من العُكوف على العلم . والاقتصاد
على الاقتنيات من حُرِّ النَّشَب ، والاشتغال بالنَّظَر ، والتَّقْيِيد والتَّدْوِين^(٢) ،
فقيها حافظاً ، قائماً على التدريس ، مشاركاً فى فنون [من]^(٣) العربية .
والفقه ، والأصول ، والقراءات ، والحديث ، والأدب . حفظة^(٤) للتفسير
مستوعباً للأقوال ، جماعة للكتب ، مُلوّكى الخزانة . حسن المنهج ،

(١) هكذا ورد هذا الاسم فى الإسكوريال والردونة . وورد فى السج (واه) . وهذا
الغرض بصحة اسم هذا المكان ، لأن حصون البراجلة مع فى منطقة البراجلة . وفى حوى
غرناطة . ونغر (وله) يقع فى ولاية الغرب الأندلسية جنوب شرق إشبيلية .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والنفع وفى الزيتونة (التدوير) .
(٣) زائدة فى « الزيتونة » والنفع .
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والنفع . وفى الزيتونة (حافظا) .

ممتع المحاضرة ، قريب النور ، صحيح الباطن . تقدّم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنّه ، فاتّفقَ على فضله ، وجرى على سنتن أصالته .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن . وروى عن أبي الحسن بن مَسْتَقُور^(١) . وقرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الراوية المكثر أبي عبد الله بن الكمّاد ، ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رُشيد ، وسمع على الشيخ الوزير أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن ، وعلى الراوية المُسَنِّد أبي الوليد الحضرمي . يروى عن سهل بن مالك وطَبَقَتِهِ . وروى عن الشيخ الراوية أبي زكريا البرُشاني ، وعن^(٢) الراوية الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري ، والقاضي أبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص ، والقاضي أبي عبد الله بن بُرْطال ، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع ، والخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، والأستاذ النظّار المتفنّن أبي القاسم قاسم بن عبد الله بن الشّاط . وألف الكثير في فنون شتى .

توالياه

منها كتاب « وسيلة المُسلم في تهذيب صحيح مُسلم » وكتاب « الأنوار السّنية في الكلمات السّنية » وكتاب « الدّعوات والأذكار المُخرجة من صحيح الأخبار » وكتاب « القوانين الفقهية في تلخيص^(٣) مذهب المالكية » . « والتنبية على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية » وكتاب « تقريب الوصول إلى

(١) وردت في الإِسْكَوْريال (مسعود) وفي الزيتونة (مسور) وهو تعريف .

(٢) وردت في المخطوطين (مل) . والنصوب أرّحج .

(٣) هكذا وردت في الإِسْكَوْريال . وفي « الزيتونة » (تغليص) .

علم الأصول » وكتاب « النور المبين في قواعد عقايد الدين » وكتاب « المختصر البارع في قراءة نافع » وكتاب « أصول القراء الستة غير نافع » وكتاب « الفوائد العامة في لحن العامة » ، إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات وغير ذلك . وله فهرسة كبيرة . اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب .

شعره

قال في الأبيات الغينية ذاهباً مذهب الجماعة كُنَّي العلاء المعري .
والرييس أبي المظفر ، وأبي الطاهر السلفي ، وأبي الحجاج بن الشيخ ،
وأبي الربيع بن سالم ، وأبي علي بن أبي الأحوص ، وغيرهم ، كلهم نظم
في ذلك :

لكل بني الدنيا مُراد ومَقْصِد	وإنَّ مُرادى صَحَّةً وفَرَاغ
لأَبْلُغَ في عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغًا	يَكُونُ به لى لِلجِنَانِ بَسْلَاغ
وفي مثل هذا فليَنَافَسْ أَوَّلُو النِّهْيِ	وَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الغُرُورُ بِلَاغ
فَمَا الفَوْزُ إِلَّا في نَعِيمٍ مُؤَبَّد	به العِيشُ رَغْدٌ والشَّرَابُ يُسَاغ

وقال في الجنب النبوى :

أروم امتداح المصطفى ويردني	قُصُورى عن إدراك تلك المذايق
ومَنْ لى بِمَحْصَرِ البَحْرِ والبَحْرِ زَاخِر	ومَنْ لى بِمَحْضَةِ الحَمَمِ والكُوَاكِبِ
ولو أن أعضاء غدتْ أَسُنَا إِذَا	لما بِلَعْتَ في المَدْحِ بَعْضُ مَلَأَبِ
ولو أن كلَّ العالمين تَأَلَّفُوا عَلَيَّ ^(١)	مَدْحِهِ لَمْ يَبَاغُوا بَعْضُ وَاجِبِ
فَأَمْسَكْتُ عَنْهُ هَيْبَةً وَتَأَدَّبَا	وَحَوْفًا ^(٢) وَإِعْظَامًا لَأَرْفَعَ حَنْدَبِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المصحح (تساقوا إلى) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المصحح (وعجزا) .

وَرُبَّ سَكُوتٍ كَانَ فِيهِ بَلَاغَةٌ وَرُبَّ كَلَامٍ فِيهِ عَتَبٌ لِعَاتِبٍ
وقال رحمه الله مُشْفِقًا مِنْ ذَنْبِهِ :

يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَصْرًا وَلَا عَدَا
وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ وَلَا أُطِيقُ لَهَا عُسْرًا وَلَا جِلْدًا
فَانْظُرْ إِلَهِي إِلَى ضَعْفِي وَمَسْكِنَتِي وَلَا تُذَيِّقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ غَدًا
وقال في مذهب الفخر :

وَكَمْ مِنْ صَفْحَةٍ كَالشَّمْسِ تَبْدُو فَيُسَلَّى^(١) حُسْنُهَا قَلْبَ الْحَزِينِ
غَضَبْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا مُحَافِظَةً عَلَى عِرْضِي وَدِينِي

وفاته

فُقِدَ وَهُوَ يُشْحِذُ النَّاسَ وَيُحَرِّضُهُمْ ، وَيُثَبِّتُ بِصَايِرِهِمْ ، يَوْمَ الْكَائِنَةِ
بِطَرِيفٍ^(٢) ، ضَحْوَةَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ السَّابِعِ لِحِمَادَى الْأُولَى عَامِ أَحَدٍ وَأَرْبَعِينَ
وَسَبْعِمِائَةٍ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ شَهَادَتَهُ . وَعَقِبَهُ ظَاهِرُ بَيْنِ الْقَضَاءِ وَالكِتَابَةِ .

محمد بن أحمد بن فتوح بن سُقْرَالِ اللّخْمِي

شَرَقِي الْأَصْلُ مِنْ سَكَانِ غَرْنَاطَةِ ، يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَيَعْرِفُ بِالطُّرْسُونِي

حاله

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ شَيْخِنَا أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ الْحَاجِّ . أَمَتَعَ اللَّهُ بِهِ كُنَى نَفْسِهِ
أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٣) ، وَدُعِيَ بِهَا وَقْتًا ، وَكُتِبَ بِهَا . وَكَانَ لَهُ ابْنُ سَمَاءَ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (فَيْسِي) .

(٢) سَبَقَ لَتَعْرِيفِ هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ (رَاجِعِ الْمَجْلَدَ الثَّانِي مِنْ الْإِحْاطَةِ ص ١٨٠ - حَاشِيَةٌ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي « الزَّيْتُونَةِ » (أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) .

عبد الرحيم ، فقلنا له سمّه عبد الرحمن ، ليعضد لك الكنية التي اخترت ،
فأبى . كان هذا الرجل قيماً على النحو والقراءات واللغة^(١) ، مجيداً في
ذلك ، مُحْكَمًا لما يأخذ فيه منه ، وكانت لديه مشاركة في الأصلين والمنطق ،
طَمَحَ إليهما بفضل نباهته وذكاياه ، وشعوره بمراتب العلوم ، دون شيخ
أرشده إلى ذلك . يجمع إلى ما ذكر خطأ بارعاً ، وظرفاً وفكاهةً ، وسخاً
نفس ، وجميل مشاركة لأصحابه . بأقصى ما يستطيع . وكان صنّاع الدين
يرسم بالذهب ، ويُسَفِّرُ ، ويُحْكَم عمل التراكيب الطَّبِيَّةِ . وعلى الجملة
فالرجل من أجل نبلاء عصره ، الذين قلّ أمثالهم .

مشيخته

أخذ القراءات عن الشيخ الأستاذ [أبي الحسن]^(٢) ابن أبي العيش ،
وبه تفقّه ببلده ألمرية . وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، والخطيب
أبي جعفر بن الزيات ، والراوية أبي الحسن بن مَسْتَقُور ، والولي أبي عبد الله
الطنجالي ، وصهره الخطيب أبي تمام غالب بن حسن بن سَيْدُبُونِه ، والخطيب
أبي الحسن القيجاطي ، والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشَيْد وغيرهم .

شعره

من شعره قوله :

إِذَا قَدَفْتُ بِي حَيْثُمَا شَاءَتِ النَّوَى فَنِي كُلِّ شَيْعٍ^(٣) لِي إِلَيْكَ طَرِيقُ
وإن أنا لم أَبْصِرْ مُحْيَاكَ بِأَسْمَا فَإِنْسَانٌ عَيْنِي فِي الدَّمُوعِ غَرِيقُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الهقه) .

(٢) ساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (صعب) والأولى أرجح .

فَإِنْ لَمْ تَحْصِلْ كُنْ بِكَفِّكَ وَافِيًا [فَأَسْمَالُ أَحِبَّائِي لَدَى فُتُوق] ^(١)

مَحْنَتُهُ

أَخْطَاهُ وَزِيرُ الدَّوْلَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ المَحْرُوقِ ^(٢) ، وَاخْتَصَّصَهُ ، وَرَتَّبَ لَهُ بِالْحِمَرَاءِ جَرَايَةً ، وَقَلَّدَ نَظْرَهُ خِزَانَةَ الْكُتُبِ السُّلْطَانِيَّةِ . ثُمَّ فَسَدَ مَا بَيْنَهُمَا ، فَاتَّهَمَهُ بِبِرَائِعَاتٍ كَانَتْ تُطْرَحُ بِمَذَاهِبِهِ ^(٣) بِمَسْجِدِ الْبَيَّازِينَ ^(٤) ، وَتُرْصَدُ مَا فِيهَا ، فَزَعَمَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي طَرَحَهَا بِمِحْرَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَاعْتَقَلَ ثُمَّ جَلَّاهُ إِلَى إفْرِيقِيَّةِ .

وَفَاتِهِ

وَلَمَّا بَلَغَتْهُ بِإِفْرِيقِيَّةِ وَفَاةٌ مُخِيفَةٌ ، كَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَتَوَفَّى فِي طَرِيقِهِ بِبُونَةِ ^(٥) ، مِنْ بِلَادِ الْعِنَابِ أَوْ بِأَحْوَاظِهَا فِي أَوَاخِرِ عَامِ ثَلَاثِينَ ، أَوْ أَقْرَبَ مِنَ الْوَاخِرِ وَسَبْعِمِائَةٍ .

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَوَرَدَتْ فِي الزَّيْتُونَةِ « كَالْآقِ (بِاسْمِهَا) أَجْنَفَانِ فُلُوقِ فُتُوقِ) .

(٢) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَحْرُوقِ . تَوَلَّى الْوِزَارَةَ لِلسُّلْطَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي تَوَلَّى الْمُلْكَ سَنَةَ ٧٢٥ هـ ، فَاسْتَبَدَّ بِالْأُمُورِ ، وَاسْتَأْثَرَ بِالسُّلْطَةِ ، فَحَقَّدَ عَلَيْهِ السُّلْطَانَ ، وَبَطَلَ بِهِ فَقَتَلَ بِأَمْرِهِ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (بِمِحْرَابَةِ الْمَسْجِدِ) وَالْأَوَّلُ أَرْحَعَ .

(٤) كَانَ جَامِعُ الْبَيَّازِينَ أَحَدَ مَسْجِدَيْنِ كَبِيرَيْنِ يَقَعَانِ فِي حَيِّ الْبَيَّازِينَ أَشْهُرِ أَحْيَاءِ غِرْنَاطَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَذَلِكَ أَشْهُرِ أَحْيَاءِ غِرْنَاطَةِ الْمَعَاصِرَةِ ، وَقَدْ حَوْلَ بَعْدَ سَقُوطِ غِرْنَاطَةِ إِلَى كَنِيسَةٍ ، وَبَنِيَتْ فَوْقَ مَوْقِعِ كَنِيسَةِ سَانَ سَلْبَادُورِ San Salvador . وَبَارَاتِ يَقَعُ إِلَى جَانِبِهَا حَتَّى الْيَوْمِ بِقُبَّةٍ مِنْ أَسْوَارِ الْجَامِعِ وَغَدَّةٍ مِنْ بَوَانِكِهِ ، وَجُزْءٍ مِنْ صَحَّتِهِ .

(٥) هِيَ نَغْرُوفٌ مِنْ نَغْرُوفِ مُلْكَةِ إفْرِيقِيَّةِ (تُونِسَ) ، تَقَعُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْمَوْسُطِ بِجَانِبِ غَرْفِ بَرْنِسَ فِي مَدِينَةِ الْمَسَافَةِ نَاقِيَا وَبَيْنَ بَحَاةٍ . وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِجُمْهُورِيَّةِ الْجَرَانِثَرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَنَحْنُ مِنْ عَسَابَةِ أَى بِلَادِ الْعِنَابِ .

محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذى النون التَّغَلبي

ويعرف بابن الرَّمَالِيَّة^(١) ، من أهل غرناطة ، ويعرف خلفه الآن ،
ببني مَرْزَبَّة^(٢) ، ولهم أصالة وقِدَم وجِدَّة .

حاله

فقيه ، نبيه ، نبيل ، ذكى ، عنده معرفة بالفقه والأدب والعربية ،
حسن المشاركة والمحاضرة ، حاضر الذهن ، ذاكر لما قرأه .

مشيخته

روى عن الإمام أبي بكر بن العربي . قال أبو القاسم الملاحى^(٣) ،
وحدثنى سنة أربع وستماية ، قال حدثنى الإمام أبو بكر بن العربي رضى الله
عنه ، قال حدثنى محمد بن عبد الملك السَّبْتى ، قال خرجت مع أبي الفضل
الجزيرى مشيعين لقافلة الحاج من بغداد ، ومودعين لها من الغد ، وحين
أصبحنا أثيرت الجمال ، وفرض الناس الرُّحال ، ونحن بموضع يعرف
بجُبِّ عميرة ، إذا بفتى شاحب اللون ، حسن الوجه ، يُشيع الرواحل .
راحلة بعد أخرى ، حتى فنيت ، ومشى الحاج ، وهو يقول فى أثناء نردده ،
ونظره إليها :

أحجَّاج بيئتِ الله فى أىِّ هودج وفى أىِّ بيتٍ من بيوتكم حبي
أأبقى رهين القلب^(٤) فى أرض غريبة وحاديكم يحدو فؤادى مع الركب

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الغماله)

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (بنى مرزقة) .

(٣) سبق التعريف به (راجع المجلد الثانى من « الإحاطة » ص ١٣٣ حانية) . وسوف يترجم
له ابن الخطيب فيما بعد .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى « الزيتونة » (الحب) .

فوا. أسفا لم أقض منكم لُبانتى ولم أتمتع بالسلام وبالقرب
 وفرق بينى بالرحيل وبينكم فيها أنذا أقضى على إثيركم نحبي
 يقولون هذا آخر العهد منكم فقلت وهذا آخر العهد من قلب
 قال ، فلما كَمَل الحاجُّ المشى ، وانقطع رجاؤه ، وجعل يخطو هائماً ،
 وهو ينشد ، ثم رمى بنفسه إلى الأرض وقال :

خلّ دمع العين ينهمل بان من تهواه وارتحل
 أى دمع صلته كلف فهو يوم البين ينهمل
 قال ، ثم مال على الأرض ، فبادرنا إليه فوجدناه ميتاً ، فحفرنا له
 لَحْداً ، وغسلناه وكفنّاه فى رداءٍ وصلّينا عليه . ودفنّاه .
 وفاة المترجم به سنة خمسين وستاية

محمد بن محمد بن محمد بن يبيش العبدري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن يبيش^(١)

حاله

كان خيراً . مُتَقَبِّضاً . عَفْواً ، مُتَصَاوِناً . مُشْتَغِلاً بما يَعْنِيهِ . مُضْطَلَباً
 بالعربية ، عاكفاً عُمُرَهُ على تحقيق اللُّغَةِ^(٢) ، مُشَارِكاً فى الطَّبِّ . مُتَعَبِّشاً
 من التُّجَارَةِ فى الكُتُب . أَثَرَى منها . وَحَسُنَتْ حاله . وانتقل إلى سَكْنَى
 سَبْتَةَ ، إلى أن حَطَطَتْ بِهَا رُسُولاً فى عام اثنتين وخمسين وسبعمائة . فاستدعيته
 ونقلته إلى بلده . فقعد للإقراء به إلى أن توفى .

(١) هذا الاسم ما زال ذاته حتى اليوم فى إسبانيا . ويعرف بصورته الإنسانية Vnes

(٢) هكذا وردت فى الإحصاء . وفى «الزبانية» (نقد) . والأولى أكثر تشبهاً مع

وجرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بما نصه : مُعَلِّمٌ مُدَرِّبٌ ،
 مُسَهِّلٌ مُقَرَّبٌ ، له في صَنَعَةِ الْعَرَبِيَّةِ باعٌ مديدٌ ، وفي هَدَفِهَا سَهْمٌ سديدٌ ،
 ومشاركة في الأدب ، لا يفارقها تَسَدِيدٌ ، خاصىُّ المنازع ، مختصرُها ،
 مُرتَّبُ الأحوال ، مُقرَّرُها ، تَمَيَّزٌ لِأَوَّلِ وَقْتِهِ بِالتَّجَارَةِ فِي الْكُتُبِ ، فَسَلَّطَتْ
 عَلَيْهَا مِنْهُ أَرْضَةُ آكِلَةٍ ، وَسَهْمٌ أَصَابَ مِنْ رَمَيْتِهَا شَاكِلَةٌ ^(١) ، أَثَرَبَ بِسَبَبِهَا
 وَأَثَرَى ، وَأَغْنَى جِهَةً ، وَأَفْقَرَ أُخْرَى ، وَانْتَقَلَ لِهَذَا الْعَهْدِ الْأَخِيرِ إِلَى سُكْنَى
 غُرْنَاظَةٍ مَسْقُطِ رَأْسِهِ ، وَمَنْبِتِ غَرْسِهِ ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ جَرَايَةُ مَنْ أَحْبَسَهَا ،
 وَوَقَعَ عَلَيْهِ قَبُولُ مَنْ نَاسَهَا ، وَبِهَا تَلَا حَقُّ بِهِ الْحِمَامِ ، فَكَانَ مِنْ تَرَابِهَا الْبِدَايَةُ
 وَإِلَيْهِ التَّامُ . وَلَهُ شَعْرٌ لَمْ يَقْصُرْ فِيهِ عَنِ الْمَدَا ، وَأَدَبٌ تَوَشَّحَ بِالْإِجَادَةِ وَارْتَدَى

مشيخته

قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبي جعفر بن الزبير ، وعلى الخطيب
 أبي عبد الله بن رُشَيْدٍ ، والوزير أبي محمد بن المؤذن المُرَادِي ، والأستاذ
 عبد الله بن الكَّمَادِ ، وسمع على الوزير المُسَنَّى أبي محمد عبد المنعم بن سِمَاك .
 وقرأ بِسَبْتَةٍ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَافِقِيِّ

شعره

أَنشَدَنِي بَدَارُ الصَّنَاعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ مِنْ سَبْتَةٍ تَاسِعِ جُمَادَى الْأَوَّلِ مِنْ عَامِ
 اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ الْمَذْكُورِ ، عِنْدَ تَوَجُّهِى فِي غَرَضِ الرِّسَالَةِ إِلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ
 الْمَغْرِبِ ، قَوْلَهُ يَجِيبُ عَنِ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ ، الَّتِي أَكْثَرَ فِيهَا النَّاسُ وَهْيَ :

يَا سَاكِنَا قَلْبِي الدُّعْنَى وَلَيْسَ فِيهِ سِوَاكَ ثَانٍ
 لَأَيِّ مَعْنَى كَسَرَتْ قَلْبِي وَمَا أَلْتَقَى فِيهِ سَاكِنَانِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الشاكلة) .

فقال :

تَحَلَّتْنِي طَيَّاعًا فَوَادًا فصار إذ حُزته مكان
لا غَرَوَ إذ كان لي مُضَافًا إِنِّي على الكَسْرِ فيه بَانٍ
وقال يخاطب أبا العباس عميد سبته ، أعزه الله ، وهي مما أنشدني في
التاريخ المذكور ، وقد أهدى إليه أقلاما :

أنا ملك الغُرِّ التي سبب جودها يفيض كفيض المُنْزَنِ بالصَّيْبِ القطر
أَتَتْنِي مِنْهَا تُحْفَةٌ مِثْلُ عَدَّهَا إِذَا انْتَضَيْتِ كَانَتْ كَمُرْهَفَةِ السُّمْرِ
هي الصُّفْرُ لَا كُنْ تَعْلَمِ الْبَيْضُ أَنِهَا مُحْكَمَةٌ فِيهَا عَلَى النَّفْعِ وَالضَّرِّ
مُهَذَّبَةٌ الْأَوْصَالُ مَمْشُوقَةٌ كَمَا تُصَاغُ سِهَامُ الرَّمْيِ مِنْ خَالِصِ التَّبَرِّ
فَقَبِّلْتُهَا عَشْرًا وَمِثْلُ أَذْنِي ظَفِرْتُ بِلَثْمٍ فِي أَنَا مَلِكِ الْعَشْرِ

وأنشدني في التاريخ المذكور في ترتيب حروف الصحاح قوله :

أَسَاجِعُ بِالْوَادِيَيْنِ تَبَوَّئِي ثَمَارًا جَنَّتْهَا حَالِيَاتُ خَوَاضِبِ
دَعَى ذَكَرَ رَوْضِ زَارِهِ ^(١) سَقَى شَرِبِهِ صَبَاحُ ضُحَى [طِير طِمَا] ^(٢) عَصَايِبِ
غَرَامُ فَوَادِي قَاذِفُ كُلِّ لَيْلَةٍ مَتَى مَا نَأَى وَهَمًا هَوَاهُ يُرَاقِبِ

ومن مطولاته ما رفعه على يدي السلطان وهو قوله :

دِيَارُ خَطَّهَا مَجْدٌ قَدِيمٌ وَشَادَ بِنَاءَهَا شَرَفٌ حَسِيمٌ
وَحَلَّ جَنَابُهَا الْأَعْلَى عُلَاً يَقْصُرُ عَنْهُ رَضْوَى أَوْ شِيمِ
سَقَى نَجْدًا بِهَا وَهَضَابَ نَجْدِ عَسَادَ نَرْقٍ وَحِيَا تَمِيمِ
وَلَا عَدِمَتْ رُبَاهُ رِبَابَ مُزْنٍ يُغَادِي رَوْضَهُنَّ وَيَسْتَلِيمِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (راه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النسخ (طى طباء) .

فيصبح زهرها يحكى شذاه
 وتنثره الصبا فتريك دراً
 وظلّت في طلال الأيك تشدو
 تُرجّع في الغصون فنون سجع
 أهِم بملتقى السوادى تجد
 وكنت صرفت عنه النفس كرهاً
 وما ينفك لى ولها نزاع
 له بيتٌ سما فوق الثريا
 تبوّأ من بنى نضر علاها
 أفاض على الورى نَيْلاً وعدلاً
 ملاذّ للملوك إذا أَلَمّت
 تُؤمّله فتامن في ذراه
 ويبدو في ندى المُلْك بَدراً
 بوجه يوسّفى الحُسن طلق
 وتلقاه للعفاة له ابتسام
 فيا شرف الملوك لك انقطاعى
 وآمالى أَلَمّت لحملك حتّى
 فللظّما وروذك خير ورد
 ولا أضحمى وفى معاك ظلّ
 ركبّت البحر نحوك والمطايا
 وإنّ عُلاك إن عضنت بلحظه

فتيّت المُلْك يُذكيه النسيم
 نشيراً خانه عقدٌ نظيم
 مُطرقة لها صوت رخيم
 بالحنان لها يصبو الحليم
 وليس سواه فى واد أديم
 وما برحت على نجدٍ تحوم
 إلى مغنى به ملكٌ كريم
 وعز لا يخيم ولا يريم
 وأنصار للنبي له أروم
 سواء فيه مثيرٌ أو عليم
 صروف الدهر أو خطب جسيم
 وتدنو من علاه فيستقيم
 تحف به الملوك وهم نجوم
 يضي بنوره الليل البهيم
 ومنه للعدي أخذ للّيم (١)
 وإنّى فى محلّكم خاليم
 وردن على نذاك وهن هيم
 نَمير ماؤه عذب جَميم
 خَليل حين تحنلن الشوم
 تسير لها ذهيل أو رسيم
 على فذاك العز المقيم

(١) وردت في الإيكورنال (اليم) والاصحوب ترجح .

فوالأسفى على عُمرٍ تقضى بدارٍ ليس لى فيها حميم
سوى ثمرٍ للفرّاد ذهبٌ عنه وبين جوانحي منه كلوم
ودون لقاءها عَرَضَ الفيسافى ونجدٌ موجهٌ طودٌ عظيم
لعل الله يُنعم باجتماع وينظم شدائنا البسر الرحيم
بقيتَ بغبطةٍ وقرارٍ عين بملكٍ سعدُه أبداً يسدوم
كما دامت حلى الأنصار تُتلى يُشيد بذكرها الذكر الحكيم
عليك تحية عطرٍ شذاها تُعرف الروض جادته الغيوم

مولده بغرناطة فى رجب^(١) ثمانين وستاية^(٢) . وتوفى عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، ودفن بباب البيرة^(٣) ، وتبعه من الناس ثناء حسن ، رحمه الله .

محمد بن محمد النمرى الضرير

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بنسبه

حاله

من عايد الصلاة : كان حافظاً للقرآن ، طيب النغدة به ، طرُفاً فى ذلك . من أهل المشاركة فى العلم ، واعظاً بليغاً ، أستاذاً يقوم على العربية قيام تحقيق ، ويستحضر الشواهد من كتاب الله ، وخطب العرب وأشعارها ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزينونة (حدود) .

(٢) وردت فى الإسكوريال عن مولده هذه العبارة (توفى بغرناطة فى رجب ثمانين وستاية . يا مولد) . وقد رأينا أن نصح النص بماتية على 'سحر' لئلا يوردناه .

(٣) باب البيرة أحد أبواب غرناطة الإسلامية ما زال قائماً حتى اليوم . وقد سبق التعريف به (انظر المجلد الأول من الإحالة ص ١٠٧ حاشية . والمجلد الثانى ص ٢٤٩ حاشية) .

بعيدُ القرين في ذلك ، آخذاً في الأدب ، حَفَظَةً لِلنَّاشِيدِ وَالْمَطَوَّلَاتِ ، بَقِيَّةٌ
حسنة ممتعة .

مُشِيخَتُهُ

قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفَخَّارِ الأَرَكُشِيِّ ^(١) وبه تَأْدَبُ ،
ولازمه كثيراً ، فانتفع به .

شِعْرُهُ

تَمَّا صَدَّرَ بِهِ رِسَالَةَ الزَّوْجَةِ وَهُوَ نَازِحٌ لَعْنَهَا بِبَعْضِ التَّبَلَادِ . فَقَالَ :

سَلَامٌ كَرَشَفَ الطَّلُّ فِي مَيْسِمِ الْوَرْدِ وَسَيْلُ نَسِيمِ الرِّيحِ بِالْقُضْبِ الْمُلْدِ
سَلَامٌ كَمَا ارْتَاحَ الْمُشَوِّقُ مَبْشَرًا بَرُورًا مِنْ يَهْوَاهُ مِنْ دُونِ مَا وَعَدَ
سَلَامٌ كَمَا يُرْضَى الْمَحَبُّ حَبِيبِهِ مِنْ الْجَدِّ فِي الْإِخْلَاصِ وَالصَّدْقِ فِي الْوَعْدِ
سَلَامٌ وَتَكَرَّمَ وَبَرٌّ وَرَحْمَةٌ بِقَدْرِ مَزِيدِ الشَّوْقِ أَوْ مُنْتَهَى الْوُدِّ
عَلَى ظُبْيَةٍ فِي الْأَنْسِ مَرْتَعُهَا الْحِشَا فَتَدَاوَى إِلَيْهِ لَا لِشَيْخٍ وَلَا رُنْدٍ
وَمَنْ أَطْلَعَ الْبَدْرَ التَّمَامَ جَبِينُهَا يُرَى تَحْتَ لَيْلٍ مِنْ دُجَا الشَّعْرِ مُسَوِّدٍ
وَتَغَرُّ أَقْصَاحُ زَانِهِ سِدْطَ لَوْلُؤٍ يُجَبُّ بِهِ الْمَرْجَانُ فِي أَحْكَمِ النَّضْدِ
يَجُولُ بِهِ سِلْسَالُ رَاحٍ مَعْتَقٍ حَمَتُهُ طُبَا الْأَلْحَاطِ صَوْنًا عَنِ الْوَرْدِ
فَلَلَّهُ عَيْنًا مَنْ رَأَى بَدْرَ أَسْنَعِدٍ وَرَوْضَةً أَزْهَارَ عِلَتْ غُصْنُ الْقَدِّ
وَبُشْرَى لَصَبٍّ فَازَ مِنْهَا بِلَمْحَةٍ مِنَ الْقُرْبِ بُشْرَاهُ بِمُسْتَكْمَلِ السَّعْدِ
وَأَضْحَى هَوَاهَا كَامِنًا بَيْنَ أَضْلَعِي كَدَزَنَ خَفَى النَّارِ فِي بَاطِنِ الزَّنْدِ
وَرَاحَتْ فَرَاخُ الرُّوحِ إِثْرَ رَحْلِهَا وَوَدَّعَتْ صَبْرِي حِينَ وَدَّعَهَا كَبِيدٍ

(١) نسبة إلى بلدة أركش الأندلسية ، وقد سبق التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٤٦٧ حاشية) .

وصارت لي الأيام تبدو لياليماً وقد كان ليل الوصل صُبْحاً بها يبدُ
فساعاتها كالدهر طولا وطالما حكى الدهر ساعات بها قَصْراً عِنْدِي
ومنها :

تُرَى قَلْبُهَا هَلْ هَامَ مِنِّي بِمِثْلِ مَا يَقْلُبِي مِنَ الْحُبِّ الْمَلَاظِمِ وَالْوَجْدِ
وهل ترعى ذِمَّتِي وَمَوَدَّتِي كَمَا أَنَا أَرَعَاهَا عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
إِلَيْكَ خِطَابِي وَالْحَدِيثَ لَغَايِبِ كُنَيْتُ بِلَفْظِي عَنْ مَغِيْبِكَ بِالْعَمْدِ
عليك سلامي إِنْنِي مُتَشَوِّقٌ لِلْقِيَاكِ لِي أَوْ مِنْ جَوَابِكِ بِالرَّدِّ

توفي بغرناطة تحت جراية من أمراءها، لاختصاصه بقراءة القرآن على قبورهم ، في التاسع عشر من شعبان عام ستة وثلاثين وسبعماية .

محمد بن عبد الولى الرُّعَيْنِي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالعواد ^(١)

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ المُكْتَب ، الأستاذ الصالح ، سابق الميدان وعَلِمَ أعلام القرآن . في إتقان تجويده . والمعرفة بطرق روايته . والاضطلاع بفنونه . لا يُشَقُّ غبارد . ولا يتعاطى طلقه ^(٢) . ولا تثنى الأيام بمثله . تستقصر بين يديه مدارك الأعلام . وتظهر سَقَطَاتُ الآية . مهتدباً إلى مكان الحجج على المسائل . مصروفٌ عَنَانُ الأَشْغَالِ إِلَيْهِ ، مستنانياً إلى نَعْمَةٍ

(١) ورد في هامش المخطوط : « يَأْتِي (الأستاذ العواد الرعيني) . وورد في « الزمونة »

(ويعرف من العواد) . ووردت في النسخ (الأستاذ اس العواد ج ٣ ص ١٩٦) .

(٢) هذا وردت في الإصحاح بال والزمونة .

رخيمة . وإتقان غير مُتَكَلِّف ، وحِفْظ غزير ، وطَلِب إلى التَّصَدُّر للإِقْرَاء ،
فَأَبَى لشدَّة انْقِيَاضِه ، فَنَبَّهْتُ ^(١) بالباب السلطاني على وجوب ^(٢) نَصِيهِه
لنَاس . فكان [ذلك] ^(٣) في شهر شعبان من عام وفاته ، فانتفع به ،
وكان أَدَابُ النَّاسِ على سُنَّة ، وَأَلْزَمَهُمْ لِمَقَاماتِ وَرْد . بجعل جيرانه حركته
إلى ذلك ليلاً . مِقَاناً لا يَخْتَلِف ولا يَكْذِب ، في ترحيل الليل . [شديد
الطرب] مَلِيح الترتيب ، لا تمر به ساعة ضَمِياعاً ، إلا وقد عَمَرَهَا
بشأن ديني ، أو دنيَاوى ، ضرورى مما يَسُوِّغُه الورع ، يلازم المكتب ، ناصح
التعليم ، مسوياً بين أبناء النعم ، وحُلَفَاء الحاجة ، شامخ الأنف على أهل
الدُّنْيَا ، تُغْصُ السَّكَّك عند تَرَنُّمِه بالقرآن ، مساوقاً لتلاوة التجويد ،
ومباشراً أيام الأَخْمَسَةِ والأَثَانين ، العمل في مَوِيل كان له ، على طريقة القدماء
من الإخشيَّشان عند الحِمْن ونَقْل آلة الخدمة ، غير مفارق للظَّرَف
والخصوصية . ويرة أيام الجمعات ، كتب الوعظ والرقائق على أهله ،
فِيُصْغى إليه الجيران ، عادة لا تختلف . وكان له لكل عمل ثوبٌ ، ولكل
مهنة زِيٌّ ، ما رأيت أحسن ترتيباً منه . وهو أَسْتَاذى وجارى الأَلَصَق ،
لم أتعلم الكتاب العزيز إلا في مكتبه . رحمة الله عليه .

مشيخته

قرأ على بَقِيَّة المقرَّبين الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، ولازمه وانتفع به ،
وعلى الأستاذ أبي جعفر الجَزِيرى الضرير ، وأخذ عن الخطيب المحدث
أبي عبد الله بن رَشِيد .

(١) الكلام هنا لابن الخطيب .

(٢) وردت المخطوطين (وجوه) . ونعتقد أن المصوب أرجح .

(٣) هذه الزيادة من الزيتونة .

مُبرِّد : في حدود عام ثمانين وسبعمائة .

وفاته : توفى رحمة الله عليه في^(١) المرفى ثلاثين لذي نعدة من عام خمسين وسبعمائة .

محمد بن علي بن أحمد الخولاني

يكنى أبا عبد الله أصله من مجلقر^(٢) ويعرف بابن الفخار وبالبيري ، شيخنا رحمه الله

حاله

من « عايد الصلاة » : أستاذ الجباعة ، وعَلَّمَ الصناعة ، وسبويه العصر ، وآخر الطبقة من أهل هذا الفن . كان رحمه الله فاضلاً ، تقياً ، مُنْقَبِضاً . عاكفا على العلم ، ملازماً للتدريس ، إمام الأيديّة من غير مُدافع ، مبرزاً أمام أعلام البصريّين من النُّحاة ، منتشرُ الذكر ، بعيدُ الصُّيت ، عظيمُ الشهرة ، مُسْتَبَحِرُ الحفظ ، يتفجّر بالعربية تفجّر البحر ، ويسترسِل استرسال القطر ، قد خالطت دمه وَلَحْمُه ، لا يُشْكَل عليه منها مُشْكَل . ولا يعوزُه توجيّه . ولا تَشَأُّ عنه حجة . جدّد بالأندلس ما كان قد ذرَس من لسان العرب . من لُذُن وفاة أبي علي الشلوبين^(٣) . مُقيم السوف على

(١) اسم اليوم ساقط في أدب المخطوطات .

(٢) لم نجد هذا الاسم من غير مرادفه إلى يومنا هذا في المجلدات التي درسنا فيها . (ص ١٢٦ - ١٣٢) ولحق وردت في ألبانانية ما في مصر ، وفوقها ، ومود ، ومود . هذا الاسم الوارد في المخطوط (بجلقر) حريف الاسم الصحيح .

(٣) هو محمد بن علي الشلوبين ، الملقب بـ « الشلوبين » من أهل بلاد المغرب . (ص ١٢٦ - ١٣٢) في علم العرب . وهو من أصل أندلسي . هذا هو الذي كان قد ذرَس في المغرب ، ودرسة ٥٦٢ هـ ، وهو ٥٦٤ هـ (١٢٦١ م) .

عهده . وكانت له مشاركة في غير صناعة العربية من قراءات وفقه ، وعروض ، وتفسير . وتقدم خطيباً بالجامع الأعظم ، وقعد للتدريس بالمدرسة النصرية^(١) ، وقل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة . واستعمل في السفارة إلى العُدوة ، مع مثله من الفقهاء ، فكانت له حيث حلَّ الشُّهرة وعليه الازدحام والغاشية ، وخرج ، ودرب ، وأقرأ ، وأجاز ، لا يأخذ على ذلك [أجراً]^(٢) وخصوصاً فيما [دون]^(٣) البداية ، إلا الجراية المعروفة ، مقتصدًا في أحواله ، وقوراً ، مُفرط الطُّول ، نحيفاً ، سريع الخطو ، قليل الالتفات والتعريح ، متوسط الزِّي ، متبذلاً في معالجة ما يتملّكه بخارج البلد ، قليل الذَّهاء والتَّصنُّع ، غريب النَّزعة ، جامعاً بين الجرص والقناعة .

مشيخته

قرأ بسببته على الشيخ الإمام أبي إسحق الغافقي ، ولازمه كثيراً ، وأخذ عنه ، وأكثر عليه . وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بن حُرَيْث ، والمقبري الشريف الفاضل أبي العباس الحسني ، والشيخ الأستاذ النظَّار أبي القاسم بن الشَّاط . وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد . والتماضي أبي عبد الله بن القرطبي وغيرهم . وهو أستاذي ، قرأت عليه القرآن . وكتابي الجمل والإيضاح ، وحضرت عليه دولاً من الكتاب ، ولازمته مدة ، وعاشرته . وتوجَّه صحبتي في الرسالة إلى المغرب .

(١) المدرسة النصرية أو جامعة غرناطة ، أنشأها السلطان يوسف أبو الحجاج (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) ، واشتهر ذكرها في نثر بني الأحمر أو بني نصر . لاطن غرناطة ، وأمها الطلاب من الأندلس والمغرب ، أوروبا . وما زال مكانها معروفاً إلى اليوم بـ « رافعة » ، هو يقع تجاه الكنيسة العظمى التي أنشأت على موقع المسجد الجامع .

(٢) الزيادة من الزيتونة .

وفاته

توفي بغرناطة ليلة الاثنين الثاني عشر من رجب عام أربعة وخمسين وسبعماية ، وكانت جنازته حافلة . وخدمت قرابيح الآخذين عنه ، ممن يُدلى دلو أدب . فيأتى بماء أو حمأة ، على كثرتهم ، تقصيراً عن الحق ، وقدحاً في نسب الوفاء ، إلا ما كان من بعض من تأخر أخذه عنه ، وهو محمد بن عبد الله اللّوشى ، فإنه قال : وعين هذه الأبيات قرارها :

ويوم نعى الناعى شهاب المحامد	تغيرت الدنيا لمضرع واحد
فلا عذر للعَيْنَيْنِ إن لم تُسايحا	بدمع يحاكي الوبل يُشقى لواجد
مضى من بنى الفخار أفضل ماجد	جميل المساعى للعلاء جدّ شاهد
طواه الردى ما كل حى يهابه	وما ورده عاراً يشين لوارد
لقد غيّبت منه المكارم فى الثرى	غداة نوى وانسد باب الفوايد
فياحاملى أعواده ما علمتم	بسؤدده الجم الكريم المَحَاتِد
وبأحفرة خُطت له اليوم مضجعا	سقتك الغواوى الصادقات الرواعد
إلا يا حمام الأيك ساعدنى بالبكا	على عَلم الدنيا وزين المشاهد
على أنى لو استطعت الفدا فديته	بأنفس آل من طريف ونال
محمد ما للنعى لموتك غصة	توقف ولا ماء الحياة ببارد
وكيف وباب العلم بعدك مُغلق	ومورده المتروك بين الحوارد
أستاذنا كنت الرجا لآمل	فأصبحت مهجور النفسا لفاصل
فلا تبعدن شيخ المعارف والحجا	ليس الذى تحت التراب بباعد
لتبك العلوم بعدك شجوها	ويقفر لها ربّع العلا والمعاهد
ليبك عليك الجود والدين والتقا	وحسب السكا أن صرنا ملحد
أمولاي من للمشكلات يُبينها	فيجلى غنى كل القلوب الشواهد

ومن ذا يحل المقفلات صعباتها ومن ذا الذي بهت السبل لحياتها ،
 فيأراحلا عنا فزِعنا لفَقْدَه لقد أونسَت منك القمبور بوفاد
 وياكوكبا غال النهار ضيائه وشيكًا وهل هذا الزمان بخالد
 سَابِكِك ما لاحت برُوقٌ لشايم وأرعاك ما كان الغمام بعباد
 عليك سلام الله ما دامت الصَّيبا بغُضْنِي في الأراكة مايد

[قلت : العجب من الشيخ ابن الخطيب ، كيف قال ، وخمّدت قرايح
 الآخذين عنه ، وهو من أجلّ من أخذ عنه ، حسبما قرره آنفًا ، بل أخصّ
 من ذلك ، المباشرة والسفارة للعدوة . وهو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن ،
 وأسخاهم قريحة في هذا الميدان ، وإن أتى غيره بماؤ أو حمأة ، أتى هو بالبحر
 الذي لا ساحل له . ولعمري لو قام هو بما يجب من ذلك ، لزال القُدْح في
 نسب وفاء الغير ، فعينُ ما نسبته من التقصير عن الحق في ذلك ، متوجّه
 عليه ، ولاحقّ له . ولا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما أوجب إعراضه
 مما يقع في الأزمان ، ولاسيا بين أهل هذا الشأن ، فيكون ذلك سببًا في
 إعراض الغير مشيًا في غرضه ، ومساعدة له . والله أعلم بحقيقة ذلك كله] (١)

محمد بن علي بن محمد البلنسي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله

حاله

طالبٌ هُش . حسن اللّقاء . غفيفُ النشأة . مكبٌ على العلم . حريص
 على استفادته (٢) . مع زمانةٍ أصابت يُحْنِي يَدَيْه . نفعه الله . قيّد بأختها

(١) من الواضح أن هذا المقام المحصور من الحاصرَيْن إمامي من أعلام المذاهب .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي « الريونة » (الاستفادة) .

وانتسخ ، قايمٌ على العربية والبيان ، ذاكر الكثير من المسائل ، حافظٌ مُتَقِنٌ ، على نزعة عربية . من التَّجاذُع في المشي ، وقلة الالتفات لإيجملته ، وجهوريّة الصوت . متحلٌّ بسداجة ، حسنُ الإلقاء والتقرير ، متّ للمُتَغَلِّب على الدولة بِضَنٍّ ، أفاده جامها واستعمالاً في خُطّة السوق ، ثمَّ اصطناعاً في الرسالة إلى ملك المغرب ، جرَّ عليه آخرُ النكبه بموقاد المحنة ، فأرصد له السلطان أبو عبد الله في أخرياتهما ، رجالاً بعثهم من بُنْدَة ، فأسروه في طريقه ، وقَدِموا به سَلِيْباً ، قدوم الشهرة والمثلة ، موقناً بالقتل . ثمَّ عَطَفَ عليه حَنِيناً إلى حُسْن تِلاوته في محبسه ليلاً ، فانتاشه لذلك من هفوة ^(١) بعيدة ونكبة مُبِيرَة . ولما عاد لملكه ، أعاده للإقراء .

مُشِيخته

جلَّ انتفاعه بشيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخار ، لازمه وانتفع به ، وأعادَ دُول تاريسه ، وقرأ على غيره . وألّف كتاباً في تفسير القرآن ، متعدّد الأسفار ، واستدرك على السُّهيلي في أعلام القرآن كتاباً نبيلاً ، رفعه على يَدَي السُّلْطَان . وهو من فضلاء جنسه ، أعانه الله وسدّده .

محمد بن سعد بن محمد بن لُب بن حسن

بن حسن بن عبد الرحمن بن بَقَّ

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باسم جدّه

أولَّيته

كان القاضي المغايل أبو عبد الله بن هشام ، قاضي الجماعة ^(٢) بالأندلس

(١) جمدا في الإيجوريل . وفي « نرونه » (غموة) .

(٢) قاضي الجماعة ، هو في نظام القضاء الأندلسي ، القاضي الأكبر . وهو بقا في

يجلُّ سَلَفه ، وينسبه إلى بَقِيَّ بن مخلد^(١) ، قاضي الخلافة بقرطبة .
وابن هشام مَن بَحَثَ به .

حاله

هذا الرَّجُلُ فاضل ، حسن الخُلُق ، جميل العشرة ، كريم الصحبة ،
مَبْدُول المشاركة ، معروف الذكاء والعفة ، مبسوط الكَفِّ ، مع الانقباض ،
فكهُ مع الحِشمة ، تَسَعُ الطوائفُ أَكْذافَ خُلُقِه ، ويُعِمُّ المتضادين رَحْبُ
ذَرْعِه . طَالِبٌ محصل . حصيف العقل ، حسن المشاركة في فنون ، من فقهه
وقراءات ونحو وغير ذلك . تكلَّم للناس بجامع الرِّبض ثُمَّ بمسجد البكري
المجاور للزاوية والتربة اللتين أَقَمَتْهُمَا بِأَخْشَارِ^(٢) من داخل الحاضرة ،
وحلَّقَ به لتعليم العِلْم ، فأنشال عليه المتعلم والمستفيد والسامع ، لِإِجَادَةِ
بَيَانِه ، وحسن تَفْهِيْمِه .

مشيخته

قرأ القرآن بِجُرْفٍ نافع ، على أبيه ، على الشيخ الخطيب الذي
أبى عبد الله بن طرفة ، والخطيب أبى عبد الله بن عامر . وقرأ العربية على
إمام الجماعة الأستاذ أبى عبد الله بن النخَّار ، وجمود عليه القرآن في الفرائض
السبع ، وقرأ على الأستاذ أبى سعيد بن أب

١ - نظام انصاه المشرق ، نص القضاة . وقد كان قاضي الجماعة الأندلسي ، و - تر فوايه من الأندلس ،
المسألة المذهب المالكي ، كما هو معروف بالأندلس والمغرب .

(١) بقى بن مخلد من أشهر فقه الأندلس ، وأغزرهم علماً . نشأ في قرطبة ، ورجل با
المشرق ، درس دراسة مستفيضة ، وبرز بذكره في الحديث والرواية . وكان فقهياً حريصاً
واسع الأفق . وكانت له حظوة لدى أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، فمروا به

وزنده . وقد اثبت عصره عمدة الفقهاء والخوارج بالأندلس ، وتوفي في سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) .

(٢) يبدو أن هذا الاسم كان يطلق على من أحياء غرناطة المخصص للزوايا والمنازل .

(٣) ورد في هامش المخطوط بقلم الناسخ ما يأتي تعليقاً على مشيخة ابن بقى : « وروى - »

شعره (١)

أنشدني من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة :

كم أرى مُدْمِنَ لَهْوٍ ودَعْسَةٍ لستُ أخلى ساعة من تبعه
كان لي عذر لدى عهد^(٢) الصِّبَا وأنا آمل في العُمْرِ سَعَه
أو ما يوقظنا من كَلْنِنا أنفأ لقبره قد شِيعَه
سَيِّمًا وقد بدا في مَفْرِقِ ما إخال الموت قد جاء معه
فدعوني ساعة أبكى على عُمْرٍ أمسيت ممَّن ضيَّعَه
ومن شعره في النوم ، وهو كثير ما يطرَّقه :

أباد البينُ أجساد التُّلاقِ وحالت بيننا خيلُ الفسراقِ
فجودوا وارحموا وارثوا ورقُّوا على مَنْ جَفَنَهُ سَكَبُ المَتَاقِ
ومن ذلك ما أنشد في النَّوْمِ على لسان رجل من أصحابه :

يا صاحبي قفْما المَطَايا واشفِقْما فالعُيُودَ عَبيدَه
إذا انتهى وانقضى زمان [هل يرسل]^(٣) الله من يردُه
مولده : في الثاني عشر لصفر من عام اثنين وعشرين وسبعمائة .

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري

من أهل مراكمة . يكنى أبا عبد الله . وعرف بالطُّرَّاز .

من أصحاب الإمام أبي مرزوق التلمساني ، والشيخ الإمام احمدي أبي عبد الله البصري . في
تاريخه . ومن أخذ عنه رحمه الله الشيخ أبو عبد الله المصطوري وتزوج بعمه أيضاً . والشيخ
أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد روايى والله أعلم - كاتبه .

(١) - قوله « دَعْسَةٍ » . وقد رأينا إياه لا يظن السجى .

(٢) - « الصِّبَا » . وفي الزبونية (عصر) .

(٣) - هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (فيرسل) .

حاله

من صلة ابن الزبير : كان رحمه الله مُقْرِياً جليلاً ، ومحدثاً حافلاً ، به خُتِمَ بالمغرب هذا الباب البتة . وكان ضابطاً مُتَقَنّاً ، ومُتَقَيِّداً حافلاً ، بارع الخط ، حسن الوراقة ، عارفاً بالأسانيد والطُّرق والرِّجال ، وطبقاتهم ، مُقْرِياً عارفاً بالأسانيد والقراءات ، ماهراً في صناعة التَّجويد ، مشاركاً في علم العربية والفقه والأصول وغير ذلك ، كاتباً نبيلاً ، مجموعاً فاضلاً مُتَخَلِّقاً ، ثقةً فيما رَوَى ، عدلاً ممن يُرجع إليه فيما قيّد وضبط ، لإتقانه وحذقه . كتب بخطه كثيراً ، وترك أمهات حديثية ، اعتمدها الناس بعده ، وعولوا عليها . وتجرد آخر عُمره ، إلى كتاب « مشارق الأنوار » تأليف القاضي أبي الفضل عياض ، وكان قد تركه في مَبْيَعَةٍ ، في آهَى درجات النسخ والإدماج والإشكال ، وإهمال الحروف حتى اخترمت منفعتها^(١) ، حتى استوفى ما نقل منه المؤلف ، وجمع عليها أصولاً حافلةً ، وأمّهات جامعة ، من الأغربة وكتب اللغة ، فتخلّص الكتاب على أتم وجه وأحسنه ، وكمل من غير أن يسقط منه حرف ولا كلمة . والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله .

مشيخته

روى عن القاضي أبي القاسم بن سَمْعُون ، والقاضي ابن الطَّبَّاع ، [وعن أبي جعفر بن شراحيل وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام والمتكلم ، وأبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجا]^(٢) وأبي القاسم الملاحى . وأبو محمد

(١) يبدو أن هالك بعض كلمات سقطت من النسخ . واسم مثال في المخطوطين

(٢) هذه الزيادة واردة في « الزيتونة » .

الكتاب وغيرهم ، [أخذ عن هؤلاء كلهم ببلده ^(١) ، وبقرطبة عن جماعة ، وبمالقة كذلك ، وبسبته . وبإشبيلية عن أبي الحسن بن زرقون ، وابن عبد النور . وبفاس وعمرية عن جماعة .

قلت : هذه الترجمة في الأصل المختصر منه هذا طويله ، واختصرتها لطولها .

توفي بغرناطة ثالث شوال عام خمسة وأربعين وستمائة ، وكانت جنازته من أحفل جنازة ، إذ كان الله قد وضع له وُدًّا في قلوب المؤمنين .

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان النَّفْزِي ^(٢)

من أهل غرناطة ، يكنى أبا حيان ، ويلقب من الألقاب المشرقية بآثير الدين

حاله

كان نسيج وحده في ثقوب الذهن ، وصحة الإدراك [والحفظ] ^(١) والاضطلاع بعلم العربية ، والتفسير وطريق الرواية ، إمام النحاة في زمانه غير مدافع ، نشأ ببلده غرناطة ، مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك ، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل . ونالته نبوة لحق بسببها بالمشرق ، واستقر بمصر ، فنال ما شاء من عز وشهرة ، وتأنل وبر وحظوة ، وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة ، ملجأ وعدة . وكان شديد البسط ، مهيباً ، جهوياً ، مع الدعابة والغزل ، وطرح السمت ، شاعراً مكثرأ ، ملبح ^(٢) (١) هذه الزيادة في الزائدة .

(٢) نسبة إلى قبيلة نمره ، وهي من القبائل المغربية ، التي عبر الكثير من أبنائها إلى الأندلس في فترات مختلفة .

الحديث ، لا يُجمل وإن أطال ، وأسنى جداً ، وانتفع به . قال بعض أصحابنا ، دخلت عليه ، وهو يتوضأ ، وقد استقرّ على إحدى رجليه لغسل الأخرى ، كما تفعل البرك والأوز ، فقال لو كنت اليوم جار شلير^(١) ، ما تركنى لهذا العمل في هذا السن .

مشيخته

قرأ ببلده على الأستاذ حايّز الرياسة أبي جعفر بن الزبير ولازمه ، وانتسب إليه ، وانتفع به ، وشاد له بالشرق ذكراً كبيراً . ويقال إنه نادى في الناس عند ما بلغه نعيه ، وصلى عليه بالقاهرة ، وله إليه مخاطبات أدبية اختصرتها ، وعلى الأستاذ الخطيب أبي جعفر على بن محمد الرعيني الطباع ، والخطيب الصالح وليّ الله أبي الحسن فضل بن محمد بن علي ابن ابراهيم بن فضيلة المعافري . وروى عن القاضي المحدث أبي علي الحسين ابن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري ، والمكّتب أبي سهل اليُسْر بن عبد الله ابن محمد بن خلف بن اليُسْر القُشَيْري ، والأستاذ أبي الحسن بن الصايغ ، والأديب الكاتب أبي محمد عبد الله بن هرون الطائي بتونس ، وعلى السند صفى الدين أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن اسماعيل بن مظفر بن الفرات الحسني بالأسكندرية ، والمُسند الأصولي وجيه الدين أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصاري بالشعر ، والمحدث نجيب الدين^(٢) أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الحمّداني بالقاهرة ، وغيرهم من يشق إحصاءهم . كالأمام بهاء الدين محمد بن إبراهيم

(١) يقصد أنه لو كان بفرنطة على مقربة من جبل شلير أو جبل الثلج (Sierra Nevada)

الذي يشرف على غرناطة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي « الريتونه » (حباب الدين) .

ابن محمد بن أبي نصر بن النحاس الشافعي . قرأ عليه جميع كتاب سيبويه في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وقال له عند ختمه ، لم يقرأه على أحد غيره .

تواليافه^(١)

وتواليافه كثيرة ، منها شرحه كتاب « تسهيل الفوايد لابن مالك » . وهو بديع ، وقد وقفت على بعضه بغرناطة في عام سبعة وخمسين وسبعمائة . وكتابه في تفسير الكتاب العزيز ، وهو المسمى « بالبحر المحيط » تسمية زعموا موافقة للغرض . وألف كتاباً في نحو اللسان التركي ، حدثنا عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا ، كالحاج أبي يزيد خالد بن عيسى ، والمقرئ الخطيب أبي جعفر الشقوري ، والشريف أبي عبد الله بن راجح ، وشيخنا الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق . وقال حدثنا شيخنا أثير الدين في الجملة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بالمدرسة الصالحية ببيت القصرين بمنزله منها . قال حدثنا الأستاذ العلامة المتفطن أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، سماعاً من لفظه ، وكتباً من خطه بغرناطة ، عن الكاتب أبي إسحق بن عامر الهمداني الطوسي بفتح الطاء ، حدثنا أبو عبد الله بن محمد العنسي^(٢) القرطبي ، وهو آخر من حدث عنه ، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجبائي . نا حكم بن محمد . نا أبو بكر بن المهندس ، نا عبد الله ابن محمد . نا طالوت بن عياد بن بصال بن جعفر : سمعت أبا إمامة الباهلي يقول ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أكفّلوا لي بيت أهل لكم في الجنة . إذا حدث أحدكم بلا كذب ، وإذا أبتن فلا يخن ، وإذا

(١) ورد في هامش المخطوط ما ناى : « ذكر عبد القادر المتكى في مقدمه شرح التسهيل

له ، أن بعضهم ذكر أن توالياف أبي حيان تربو على حسين تأليفاً ، رحمة الله تعالى عليه » .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (القيسى) .

وعد فلا يُخلف . غصوا أيساركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم .
 وقال ، أنشدنا الخطيب أبو جعفر الطَّبَّاع . قال أنشدنا ابن خاتُّون .
 قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن سعيد . قال أنشدنا أبو عمران مرسى
 ابن أبي تلبدة لنفسه :

حالى مع الدهر فى تقلُّبه كطائر ضمَّ رِجلَه السَّركُ
 فهمُّه فى خلاص مُهْجَتِه يروم تخايصها فيَشْتَبِكُ

ومن مُلحه : قال قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبي بكر
 البخارى الفَرَضى بالقاهرة فى طلب الحديث . وكان رجلاً حسناً طيب
 الأخلاق ، لطيف المزاج ، فكُنَّا نُسائِرُه فى طلب الحديث ، فإذا رأى صورة
 حسنة ، قال هذا حديث على شرط البخارى ، فنظمت هذه الأبيات :

بدا كهلال العيد وقت طُلُوعه وماس كُغْصَنُ الْخَيْزُرَانِ الْمُنْعَمِ
 غزالٌ رَجِيمٌ الدَّلُّ وافى مُواصِلا موافقةً منه على رغم لُؤْمِ
 مليحٌ غريبُ الْحُسْنِ أصبح مُعلِماً بخُمرَةٍ خدِّ بالمحاسن مُعلَمِ
 وقالوا على شَرَطِ البخارى قد آتَى فقلنا على شرط البخارى ومُسْلِمِ
 فقال مولاي أنا البخارى فمن مُسَلِّمٌ فقلت له أنت البخارى وأنا مُسْلِمِ

محتثه

حملته حدةُ الشبيبة على [التعريض للأستاذ]^(١) أبي جعفر الطَّبَّاع ، وقد
 وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزُّبَيْرِ الرُّوحَنة فتال منه ، وتصدى للتأليف
 فى الرَّد عليه ، وتكذيب روايته ، ورفع أمره إلى السلطان . فادّعى له ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى « الزبوتة » . ووردت فى الإسكودال الثانية :
 (التعريض على الأستاذ) . والأولى أفضل .

وَنَفَّذَ الْأَمْرَ بِتَنْكِيلِهِ ، فَاخْتَفَى ، ثُمَّ أَجَازَ الْبَحْرَ مُخْتَفِياً ، وَلَحِقَ بِالْمَشْرِقِ
يَلْتَفِتُ خَلْفَهُ

شعره

وشعره كثير بحيث يتصف بالإجادة وضدّها . فمن مطولاته رحمه الله

قوله :

لا تَعْدِلَاهُ فَمَا ذُو الْحَبِّ مَعْدُولُ	العقل مُخْتَبِلُ . وَالْقَلْبُ مُتَبُولُ
هَزَّتْ لَهُ أَسْمَرًا مِنْ خُوطِ قَامَتِهَا	فَمَا انْتَنَى لِلصَّبِّ إِلَّا وَهُوَ مَقْتُولُ
جَمِيلَةٌ فَصَّلَ الْحَسَنُ الْبَدِيعَ لَهَا	فَكَمْ لَهَا جُمْلٌ مِنْهُ وَتَفْصِيلُ
فَالْتَحَرَّ مَرْمَرُهُ وَالنَّشْرُ عَنْبَرُهُ	وَالشَّغَرُ جَوْهَرُهُ وَالرِّيقُ مَعْسُولُ
وَالطَّرْفُ دُوْغَنْجٍ وَالْعَرْفُ ذُو أَرْجٍ	وَالْخَضِرُ مُخْتَطَفٌ وَالْعُنُقُ مَجْدُولُ
هَيْفَاءُ يَنْبِسُ فِي الْخَضِرِ الْوَشَّاحُ لَهَا	رَدْمًا تُخْرَسُ فِي السَّاقِ الْخَلَائِلُ
مِنْ اللَّوْاقِي غَدَّاهُنَّ النَّعِيمُ فَمَا	يَشْقِيْنَ أَبَاؤُهَا الصَّيْدُ الْبَهَائِلُ
نَزَرَ الْكَلَامَ غَمِيَّاتِ الْجَوَابِ إِذَا	يُسَلِّنُ بَعْدَ الصَّحَا حُصْرُ مَكَاسِيلِ
مِنْ حَلِيَّهَا وَمَنَاهَا مَوْنُسٌ وَهْدَى	فَلَيْسَ يَلْحَقُهَا دُغْرٌ وَتَضْلِيلُ
حَلَّتْ بِمَنْعَقِيهِ الزُّورَاءُ زَارَةٌ	شُوسًا غَيَارَى فَعَقْدُ الصَّبْرِ مُحْلُولُ
فَمَدَّ عَنْ ذِكْرٍ لَيْلَى إِنْ ذَكَرَهَا	عَلَى التَّنَائِي لِتَعْدِيْبٍ وَتَعْلِيلُ
أَتَاكَ مِنْكَ نَذِيرٌ فَانْذَرْنَ بِهِ	وَبَادِرِ التَّوْبَ إِنْ التَّوْبَ مَقْبُولُ
وَأُمِّلِ الْعَفْرَ وَاسْلُكْ مَهْمَهَا	قَدْفًا إِلَى رَضَى اللَّهِ إِنْ الْعَفْوُ مَأْمُولُ
إِنْ الْجِهَادَ وَحَجَّ الْبَيْتِ مُخْتَتَمًا	بِزَوْرَةِ الْمُصْطَفَى لِلْعَفْوِ تَأْمِيلُ
فَشَقَّ حَيَزُومَ هَذَا اللَّيْلِ مُمْتَطِيًا	أَخَا خِرَامٍ بِهِ قَدْ يُبْلَغُ السُّؤْلُ
أَقْبَّ أَعْوَجَ يَعْزَى لِلْوَجِيهِ لَهُ	وَجْهٌ أَغْرُوفِي الرَّجْلَيْنِ نَحْجِيلُ

جُفَرُ حَوَافِرِدْ مُعَرُّ قَوَايِمِهِ
 إِذَا تَوَجَّهَ أَصْغَى وَهُوَ مَلْتَفَتٌ
 وَإِنْ تَعَارَضَ بِهِ هَوَجًا هَاجَ لَهُ
 يَحْمِي حَوَازَةَ الْإِسْلَامِ مُلْتَقِيًا
 كِتَابِيًّا قَدْ عَمُوا عَنْ كُلِّ وَاضِحَةٍ
 فِي رَمَاقِطَ ضَرْبِ الْمَوْتِ الزَّوَامِ بِهِ
 هَيْجًا يُشْرِفُ فِيهَا الْمُشْرِفُ عَلَى
 تَدِيرِ كَاسِ شُعُوبٍ فِي شُعُوبِهِمْ
 وَإِذَا قَضَيْتَ غَزَاةً فَالْتَفَيْتَ عَمَلًا
 وَاصِلٍ بِسَرِيَابِنِ أَنْدَلُسِ وَالطَّلِ
 يُلَاطِمُ الرِّيحَ مِنْهُ أَبْيَضُ نَفَقٍ لَهُ
 يَعْلُو حَضَارَةً مِنْهُ شَامِخٌ جَلَلٌ
 كَأَنَّمَا هُوَ فِي طُخْيَا لُجْنَةٍ أَيْمٌ
 مَازَالَتْ الْمَوْجُ تَعْلِيهِ وَتُخَفِّضُهُ
 وَكَبُرَ النَّسَاسُ أَعْلَاهُ الرُّنِيمُ
 وَصَافَحُوا الْبَيْدَ بَعْدَ الْيَمِّ وَابْتَدَرُوا
 عَلَى نَجَايِبَ تَتْلُوهُ أَجْنَابُهَا خَيْلٌ
 فِي مَوَكِبَ تَزْحَفُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهِ
 يَطَارِدُ الْوَحْشَ مِنْهُ فَيَلْقَى لَجِبٌ
 سَيُوفُهُمْ طَرْبٌ نَحْوَ الْحِجَازِ فَهُمْ
 شُعْتُ رُؤُسِهِمْ يُبْسُ شِفَاهُهُمْ
 حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بَيْتِ الْإِلَهِ لَهُمْ

ضَمَرُ أَبَاطِلُهُ وَلِلذُّنُسِ عَشْكَوْلُ
 سَاعَرُ اعْتَقَا فِيهِنَّ تَنَالِيلُ
 جَرَى يُرَى الْبَرْقُ عَنْهُ وَهُوَ مَخْذُولُ
 كِتَابِيًّا غَضَّ مِنْهَا الْعَرَضُ وَالْعُقُولُ
 مِنَ الْكِتَابِ وَغَرَّتْهُمْ أَبَاطِيلُ
 سُرَادِقًا فَعَالِيَهُمْ مِنْهُ تَخْيِيلُ
 هَامَ الْعَدُوُّ وَيَصْحَبُ النَّقْعَ تَضْلِيلُ
 فَكُلُّهُمْ مُنْهَلٌ بِالمَوْتِ مَعْلُولُ
 لِلْحَجِّ فَالْحَجُّ لِلْإِسْلَامِ تَكْمِيلُ
 رَفَ أَذْهَمَ بِالْأَشْطَانِ مَعْلُولُ
 مِنَ السَّحْبِ الْمُزْبَسِدِ اكْتِيلُ
 سَامٍ طَفَا وَهُوَ بِالنَّكْبَاءِ مَحْمُولُ
 يَعْرُو أَدِيمَ السَّيْلِ شِمْلِيلُ
 حَتَّى بَدَا مِنْ مَنَارِ الثُّغْرِ قَنْدِيلُ
 وَكُلُّهُمْ طَرْفُهُ بِالشَّهَدِ مَكْحُولُ
 سُبُلًا بِهَا لِحْنَابُ اللَّهِ تَوْصِيلُ
 بِهَا الْخَيْرُ مَعْقُودٌ وَمَعْقُولُ
 أَضْحَتْ وَمُوحِشَهَا بِالنَّاسِ مَأْمُولُ
 حَتَّى لَقَدْ ذَعَرَتْ فِي بَيْدِهَا الْغُولُ
 ذَوُو ارْتِيَاكِ عَلَى أَكْوَارِهَا مِيلُ
 خُوصٌ عَيُونُهُمْ غَرْبٌ مَهَازِيلُ
 نَوْرٌ إِذَا هُمْ عَلَى الْغَبْرِ أَرَاخِيلُ

يُعَفَّرُونَ وجوهاً طالما سَمَتْ
 حَفُّوا بكعبة مولاهم فكَعَبَهُم
 وبالصفاء وقتهم صافٍ بسعيهم
 تعرفوا عرفاتٍ واقفين بها
 لما قضينا من الغراء مَنْسَكَنَا
 شدنا إلى الشَّد قممات التي سكنت
 إلى الرسول تُزجى كل تعلمة
 من أنزلت فيه آياتٌ مطهرة
 وعُطرت من شذاه كل ناحية
 سرٌّ من العالم العلوى ضمَّنه
 نورٌ تمثِّل في أبصارنا بشرًا
 لقد تَسامى وجبريلٌ مُصاميهِ
 أوحى إليه الذي أوحاه من كُتب
 يتلو كتاباً من الرحمن جاء به
 جارٍ على منهج الأعراب أعجزهم
 بلاغةً عندها كعَّ البليغ فلم
 ومنها :

وطولبوا أن يُجيبوا حين رآبهم
 لاذو بدويان خطى وبُتر ظبسا
 فمُونفٌ في جبال الوُهد مُنحدر
 مازال بالعُصب هتاكاً سوايغهم
 وقد تحطَّم في نحر العدا قصد
 بسورةٍ مثله فاستعجز القميل
 يوم الوغا واعتراهم منه تنكيل
 وموثقٌ في جبال الغدِ مكبول
 حتى انثنى العُصبُ منهم وهو مفلول
 أصمُّ الوشج وخانتها العواميل

من لا يُعَدُّهُ القرآن كان له من الصِّفاد وبيض البئر تعديل
 وكم له معجزاً غير القرآن أتى فيه من الحقِّ مَنْقُولٌ ومعقول
 فللرسول انشِقَاقُ البدر نَشْهَدُهُ كما لمُوسى انْفِلاقُ البحر مَنْقُول
 ونبع ماءِ فِراتٍ من أنامله كالعين ثُرَّتْ فجاء الهتان ماءُ النيل
 رَوَّوا الخميس وهم زُهاء سبع مَعَ مع الرِّكَّابِ فَمَشْرُوبٌ وَمَحْمُول
 ومَيَّ عَيْنٌ بكفٍّ جاءَ يحملها قَتَادَةٌ وله شكوى وتَعْوِيل
 فكانت أَحْسَنَ عَيْنِيهِ ولا عَجَبُ مَسَّتْ أناميلُ فيها اليُمنُ مَجْعُول
 والجَذَعُ حَنَّ إلىهِ حينَ فارقه حَنِينٌ وَلَهُى لها للرومِ مَشْكُول
 وأشيعَ الكُثْرُ من قُلِّ الطعامِ ولم يَكُنْ ليعوزه بالكُثْرِ تَقْلِيل
 وفي جِرابٍ لى هنَّ عجائبُ كم يَمْتَارُ منه فَمَبْدُولٌ وَمَأْكُول
 وفي ارتواءٍ لى ذَرٌّ بزَمْزَمٍ ما يكفى تَبَدَّنَ منه وهو مَهْزُول
 والعنكبوتُ ببابِ الغارِ قد نُسِجَتْ حَتَّى كَأَنَّ رِداءً منه مَسْدُول
 وفَرَّخَتْ فى حِمَاهِ الوُرُقِ ساجعة تَبَكَّى وما دُمْعُها فى الخَدِّ مَطْلُول
 هذا وكم معجزاتٍ للرسول أَتَتْ لها من الله أَمْدَادٌ وَتَأْصِيل
 غَدَّتْ من الكُثْرِ أَعْدَادُ النجومِ فما يُحْصَى لها عِدْداً كَتَبْتُ ولا قِيل
 قد انْقَضَتْ معجزاتُ الرُّسلِ منذَ قَضُوا نَحْباً وَأَعْجَمَ منها ذلكَ الجِيلِ مَحْفُوظَةٌ ما لها فى الدَّهْرِ تَحْوِيل
 ومعجزاتُ رسولِ الله باقيةٌ وهل يَضِيعُ الذى باللهِ مَكْفُول
 تكفَّلَ اللهُ هذا الذِّكْرَ يَحْفَظْهُ المُلْكُ مُنْقَطِعٌ والوَحْيُ مَوْصُول^(١)
 هَذِهِ الْمَفَاخِرُ لَا يَحْطِى الْمُلُوكُ بِهَا

ومن مطولاته فى غرض يظهر منها :

هو العِلْمُ لا كالعِلْمِ شَيْءٌ تَرَاوَدُّه لَقَدْ فَازَ بِاِغْيِهِ وَأَنْجَحَ قَاصِدُهُ

(١) وردت هذه القصيدة فى الإسكوريال . ولم ترد فى الزيتونة .

وما فضل الإنسان إلا بعلمه وقد قصرت أعمارنا وعلومنا وفي كلها خير ولكن أصلها به يُعرف القرآن والسنة التي هما وناهيك من علم على مُشيد لقد حاز في الدنيا فخاراً وسودداً هو استنبط العلم الذي جلّ قدره وساد عطا نجله وابن هرمرز وعنبسة قد كان أبرعَ صحبه ومازال هذا العلم تُنميه سادة إلى أن أتى الدهر العقيم بواحد إمام الورى ذاك الخليل بن أحمد وبالبصرة الغراً قد لاح فجره يا ذكى الورى ذمناً وأصدق لهجة وما أن يروى بل جميع علومه^(١) هو الواضع الثاين الذى فاق أولاً فقد كان ربّائاً أهل زمانه

وما امتاز إلا ثاقبُ الدهن واقده يطول علينا حصرها ونكايدُه هو النحو فاحذر من جهول يُعائده أصلُ دين الله ذو أنت عابده^(٢) مبانیه أعزّز بالذى هو شايده أبو الأسود الديلى^(٣) فللجرّ ساندُه وطار به للعرّب ذكرٌ نعاوده ويحيى ونصر ثم ميمون ماهده فقد قلّدت جيدَ المعالى قلايدهُ جهايدةً تبلى به وتعضاضده من الأزّد تُنميه إليه فرايده أقرّ له بالسبق فى العلم حاسده فنارت أدانيه وضاعت أبايدهُ إذا ظنّ أمراً قلتُ ما هو شاهده بدايةً أعيت كلّ حَبير تُجالده ولا ثالثُ فى الناس تصمى قواصده صومٌ قومٌ رايغ الليل ساجده

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى التزيتونة كالأق (أصل ذا الدين الذى أنت عابده) .

(٢) الإشارة هنا إلى أب الأسود الذى يعتبر أول واضع للنحو ، المتوفى سنة ٦٩ هـ .

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى التزيتونة كالأق (وتبادر نبطاً نجله وابن حيدر) .

(٤) وردت هذه شطرة فى التزيتونة كالأق (وما أن يرى مثل تجمع علومه) .

يقيم منه دهره^(١) في مشوبة
 فعامٌ إلى حجٍّ وعامٌ لغزوة
 ولم يثنه يوماً عن العلم والتقى
 وأكثرُ سكناه بقمفر بحيث لا
 وما قوته إلا شَعِيرٌ يُسَيِّغُهُ
 عزوباً عن الدنيا وعن زَهْرَاتِهَا
 ولما رأى من سيبويه نجابة
 تخيره إذ كان وارثَ علمه
 وعَلَّمَهُ شيئاً فشيئاً علُومَه
 فلِذَا ذاك وافاه من الله وعُدُّهُ
 أتى سيبويه ناشراً لعلُومَه
 وأبدى كتاباً كان فخراً وجوده
 وجمع فيه ما تفرَّق في الوري
 بعمر بن عثمان بن قنبر الرضا
 عليك قرآن النحو نحو ابن قنبر
 كتاب أبي بشر^(٢) فلا تكُ قارياً
 هم خلُجٌ بالعلم مدَّت فعندما
 ولا تُعد عما حازه إنه^(٣) الفيرا
 إذا كنت يوماً مُحْكَمًا في كتابه

وثوقاً بأنَّ الله حقاً مواعده
 فيعرفه البيتُ العتيق ووافده
 كواعبُ حُسنٍ تَنثَنِي ونواهدُه
 تُناغيه إلا عَفْرُهُ وأوابدُه
 بماءٍ قَرَّاحٍ ليس تَغشَى مواردُه
 وشوقاً إلى المولى وما هو واعده
 وأيقن أنَّ الحينَ أدناه باعدُه
 ولا طَفَهُ حَتَّى كَأَنَّ هو والده
 إلى أن بَدَتْ سِيَاهُ واشتدَّ ساعده
 وراح وحيدَ العصر إذ جاء واحدُه
 فلولا ه أضحي للنحو عطلاً شواهدُه
 لقحطان إذ كعب بن عمرو مُحَاتَدُه
 فطارفه يُعزَى إليسه وتالده
 أطاعت عَوَاصِيه وتابت شوارده
 فآياته مشهودةٌ وشـواهدُه
 سواه فكلُّ ذاهبُ الحُسن فاقده
 تناءت غَدَتُ تَزْهِى وليست تُشاهدُه
 وفي جَوْفِهِ كُلُّ الَّذِي أَنْتَ صائده
 فَإِنَّكَ فينا نابه القَدَرُ ماجِدُه

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الدهر) .

(٢) أبو بشر ، هو كُتِبَ سيبويه ، فهو أبو بشر عمرو بن عثمان .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فهو) .

ولست تبالى إن فككت رموزه
هو العصب إن تلقى الهياج شهرته
تلقاه كل بالقبول وبالرضى
ولم يعترض فيه سوى ابن طراوة
وجسره طعن الميرد قبله
هما ما هما صارامدى^(٢) الدهر ضحكة
تكون صحيح العقل حتى إذا ترى
يقول امرؤ قد خامر الكبر رأسه
ولم يشتغل إلا بنز مسایل من
وقد نال بين الناس جاها ورتبة
وما ذاق للآداب طعما ولم
فينكح أبكار المعاني ويبغى لها
رأى^(٣) سيبويه فيه بعض نكادة
فقلت آتيت ما أنت أهل لفهمه
لعمرك ما ذو لحية وتسمت
فيمشى على الأرض الهوينى كأنما
وإيهامك الجهال أنك عالم
بأجلب للنحو الذى أنت هاجر

أعصك دهر أم عرتك ترايده
وإن لا تصب حرباً فإنك غامده
فدو الفهم من تبدو إليه مقاصده
وكان طرياً لم تقادم معاهده
وإن الثمالي^(١) بارد الذهن خامده
يُزيف ما قالوا وتبدو مفاصده
تبارى أبا بشر ، إذا أنت فاسده
وقد ظن أن النحو سهل مقاصده
الفقه وفى أوراقه هو راصده
واللهاك عن نيل المعالى ولا يده
يبت يعنى بمنظوم ونثر يجاوده
الكفو من لفظ بها هو عاقده
وعجمة لفظ لا تحل معاقده
وما أنت إلا غايض الفكر راكده
وإطراق رأس والجهات تساعده^(٤)
إلى الملا الأعلى تناهت مراصده
وأنت فرد فى الوجود وزاهده
من الدرس بالليل الذى أنت هاجده

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (النخالى) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (امد) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (أرى) . وفى الزيتونة (روى) . ونعتقد أن التصويب

أرجح .

(٤) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (تصاعده) ونعتقد أن الأول أرجح .

أَصْحَارٍ تَجَنَّبَ مِنْ غَوِيٍّ مُخَذَّلٍ وَخَذَ فِي طَرِيقِ النَّحْوِ أَنْتَ رَاشِدُهُ
لَكَ الْخَيْرُ فَادَّابْ سَاهِرًا فِي عِلْمِهِ [فَلَمْ تُشِمَّ] ^(١) إِلَّا سَاهِرَ الطَّرْفِ سَاهِدُهُ
وَلَا تَرَجُّ فِي الدُّنْيَا ثَوَابًا فَإِنَّمَا لَدَى اللَّهِ حَقًّا أَنْتَ لَا شَكَّ وَاجِدُهُ
ذَوُو النُّحُوفِ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ حَظُوظُهُمْ وَذُو الْجَهْلِ فِيهَا وَافِرٌ الْحِظُّ زَائِدُهُ
لَهُمْ أَسْوَةٌ فِيهَا عَلَى لَغْدٍ مَضَى وَلَمْ يَلْقَ فِي الدُّنْيَا صَدِيقًا يُسَاعِدُهُ
مَضَى بَعْدَهُ عَنْهَا الْخَلِيلُ فَلَمْ يَنْلُ كِفَافًا وَلَمْ يَعْدِمَ حَسُودًا يَنَاقِدُهُ
وَلَا قَى أَبَابِشِرٍ سَفِيهَهَا غَدَاةٌ تَمَالَتْ فِي ضَلَالٍ يُمَادِدُهُ ^(٢)
أَتَى نَحْوَ هَارُونَ ^(٣) يَنْظُرُ شَيْخَهُ فَتَفْحَةٌ حَتَّى تَبَدَّتْ مَنَاكِدُهُ
فَاطْرَقَ شَيْئًا ثُمَّ أَبْدَى جَوَابَهُ بِحَقٍّ وَلَا كُنْ أَنْكَرَ الْحَقِّ جَاحِدُهُ ^(٤)
وَكَادَ عَلَى عَمْرًا إِذَا صَارَ حَاكِمًا وَقَدْ مَا عَلَى كَانَ عَمْرُو يَكَايِدُهُ
سَقَاهُ بِكَأْسٍ لَمْ يَفْقَ مِنْ خِمَارِهَا وَأَوْرَدَهُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ وَارِدُهُ
وَلَابَنَ زِيَادَ شَرَكَةَ فِي مَرَادِهِ وَلَابَنَ رُشَيْدَ بَشْرِكٍ لِلْقَلْبِ رَابِدُهُ
هُمَا جَرَّعَا إِلَى عَلَى وَقْتِ بَسْرِ أَفَاوِيقَ ^(٥) سُمِّ لَمْ تَنْجِدَ أَسَاوِدُهُ
أَبْكَيْ عَلَى عَمْرُو وَلَا عَمْرٌ مِثْلُهُ إِذَا مُشْكَلٌ أَعْيَا وَأَعْوَزَ نَاقِدُهُ
قَضَى نَحْبَهُ شَرَّخَ الشَّيْبَةِ لَمْ يُرْعَ بِشَيْبٍ وَلَمْ تَعْلُقْ بِذَامٍ مَعَاقِدُهُ
لَقَدْ كَانَ لِلنَّاسِ اعْتِنَاءٌ بَعْلَمَهُ بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ تُسْتَنَارُ فَوَايِدُهُ
وَالْآنَ فَلَا شَخْصَ عَلَى الْأَرْضِ قَارِيءٌ كِتَابَ أَبِي بَشِيرٍ وَلَا هُوَ رَايِدُهُ
سِوَى مَعْشَرٍ بِالْغَرْبِ فِيهِمْ تَلَفَّتُ إِلَيْهِ وَشَوْقٌ لَيْسَ يَحْبُو مَوَاقِدُهُ ^(٦)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فلا تسافر) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بنادده) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هو هارون بن موسى . وكان يهوديا من أهل البصرة ، اعتنق الإسلام وانتقل به إلى

واشتهر بفضيلته والنحو والبراهمة في .

(٤) وردت في الإسكوريال (جاحده) . والتصويب من الزيتونة .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (أبانيق) والاولى أرجح .

وما زال منا أهل أندلس له
 وإني في مصر على ضعف ناصري
 أثار أثير الغرب للنحو كامناً
 وأحيا أبوحيان ميت علومه
 إذا مغربي حطّ بالثغر رحله
 مُنيئنا بقوم صُدُّوا في مجالس
 لقد أحرّ التصدير عن مُستحقّه
 وسوف يلاق من سعى في جلوسهم
 علا عقله فيهم هواه فما ذرى
 أقمنا بمصر عشرين^(١) حجة يُشاهدنا
 فلما نزل منهم مدى الدهر طايلا
 لنا سلاوة^(٢) فيدن سرّنا حديثهم
 أحيى إن تصل يوماً وبُلّغت سالماً
 وقبّل ثرى أرض بها حلّ ملكنا
 مُبيد العدا قتلاً وقد عمّر شرهم
 أفاض على الإسلام جوداً ونجدة
 وعِمّ بها إخواننا بتحيّة
 جزى الله عنا شيخنا وإمامنا
 لقد أطلعت جيان أوحد عصره

جهاًبُ تُبدى فضله وتُناجده
 لناصره ما دمت حياً وعاضده
 وعالجه حتّى تبدّت قواعده
 فأصبح علّم النحو ينفق كاسده
 تيقّن أن النحو أجفّاه لاحده
 لإقراء علم ضلّ عنهم مرأشده
 وقُدّم غمّر خامدُ الدهن جامده
 عُقبى ما أكنّت عقايدُه
 بأن هوى الإنسان للنار قايده
 ذو أمرهم ونُشاهدُه
 ولما نجد فيهم صديقاً نوادده
 وقد يُتسلّى بالذى قال سارده
 لغرناطة فأنفذ لما أنا عاهده
 وسُلطاننا الشّهْمُ الجميلُ عوايده
 ومُحيي النُداً فضلاً وقد رمّ هامده
 فعزّ مواليه وذلك مُعانده
 وخُصّ بها الأستاذُ لا عاش كايده
 وأستاذنا الحَبْرُ الذي عمّ فايده^(٣)
 فللغرب فخرٌ أعجز الشرق خُليده

(١) روت في الإسكوريال (نحو) . والنصوب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أسوة) .

(٣) يشير هنا إلى أستاذه أيام دراسته بقرناطة العلامة المحدث المقرئ المغوى أب جعفر ابن الزبير المتوفى سنة ٧٠٨ هـ ؛ وأصله من مدينة جيان . وقد ترجمه ابن الخطيب في المحلّة النور من الإحاطة (الطبعة الثانية ص ١٨٨ - ١٩٣) .

مؤرخة نحوية وإمامة محدثة
 جاء عظيم من ثقيف وإنما به
 وما أنس لا أنسى شهادى ببابه
 فيجلو بنور العلم ظلمة جهلنا
 وإننى وإن شطت بنا غربة النوى
 بغرناطة روى وفى مصر جثتى
 أبا جعفر خذها قوافى من فقى
 يسير بلا إذن إلى الأذن حسنهما
 غريبة شكلي كم حوت من غرايب
 فلولاك يامولاي ما فاه مقول
 لهدبنتى حتى أحوك^(١) مفوقاً
 وأذكيت فكرى بعد ما كان خامداً
 جعلت ختاماً فيه ذكرك إنسه
 ومما دون المطولات قوله رحمه الله :

تفردت لما أن جمعت بذات
 فلم أر فى الأكوان غيراً لأننى
 وقدستها عن رتبة لو تعيئت
 فها أنا قد أصدتها عن حضيضها
 تشاهد معنى روضة أذهب العنا
 أقامت زمانا فى حجاب فعندما
 لنقضى بها ما فات من طيب أنسينا بها ونسال الجمع بعد شتات

(١) مكنا فى الإسكوريال ، وفى « الزيتونة » (أجود) .

ومن النسيب قوله :

كَتَمَ اللِّسَانُ وَمَدْمَعِي قَدْ بَاحَا وَثَوَى الْأَسَى عِنْدِي وَأَسَى رَاحَا
إِنِّي أُحِبُّ طَيِّاً مَا نَشَرَ الْهَوَى نَشَرَا وَمَا زَالَ الْهَوَى إِفْصَاحَا
وَمَهْجَتِي مِنْ لَا أُصْرِحُ بِاسْمِهِ وَمِنْ الْإِشَارَةِ مَا يَكُونُ صُرَاحَا
رَيْمٌ أَرُومُ حُنُوءَ وَجَنُوحَهُ وَيُرُومُ عَنِّي جَفُوءَ وَجِمَاحَا
أَبْدَى لَنَا مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ ضِدِّينَ ذَا لَيْلًا وَذَاكَ صَبَاحَا
عَجِبَا لَهُ يَأْسُو الْجِسْمَ بِطَبِّهِ وَلَكُمْ بِأَرْوَاحٍ أَثَارَ جِرَاحَا
فَبَلَقَطَهُ بُرْءُ الْأَخِيذِ وَلَحْظُهُ أَخَذَ الْبَرَى فَمَا بَطِيقَ بَرَاخَا
نَادَيْتَهُ فِي لَيْلَةٍ لَا ثَالِثَ إِلَّا أَخُوهُ الْبِدْرَ عَارِفٌ لِأَخَا
يَا حُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ لَوْ أَنَهَا دَامَتْ وَمَدَّتْ لَتَوْصَلَ جَنَاحَا
وَقَالَ :

نُورٌ بِخَدِّكَ أَمْ تَوَقَّدَ نَارُ وَضَيٌّْ بِجَفْنِكَ أَمْ فَتُورَ عَقَارُ
وَشَذَا بِرَيْقِكَ أَمْ تَأَرَّجَ مِسْكَةٌ وَسَنَى بِثَغْرِكَ أَمْ شُعَاعَ دُرَارُ
جُمِعَتْ مَعَانِي الْحَسَنِ (١) فَبِكَ فَقَدْ غَدَتِ قَيْدَ الْقُلُوبِ وَفَتْنَةَ الْأَبْصَارِ
مُتَصَاوِنٌ خَفِيرٌ إِذَا نَاطَقْتَهُ أَغْضَى حَيًّا فِي سَكُونٍ وَقَارِ
فِي وَجْهِهِ زَهْرَاتُ لَفْظٍ تُجْتَلَى مِنْ نَرْجَسٍ مَعَ وَرْدَةٍ وَبَهَارِ
خَافَ اقْتِطَافَ الْوَرْدِ مِنْ جَنْبَاتِهَا فَادَّارَ مِنْ أَسْرِ سِيَّاحِ عِذَارِ
وَتَسَلَّلَتْ نَمْلُ الْعِذَارِ بِخَدِّهِ لِيَرْدُنَ شَهْدَةَ رَيْقِهِ الْمَعْطَارِ
وَبِخَدِّهِ وَرْدٌ حَمَتَهَا وَرْدُهَا فَوْقْفَنَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْإِصْدَارِ
كَمْ ذَا أَوَارَى فِي هَوَاهُ مَحَبَّتِي وَلَقَدْ وَثَّى بِي فِيهِ فَرَطُ أَوَارِ

ومن نظمه من المقطوعات في شتى الأغراض قوله رحمه الله :

أَزَحَتْ نَفْسِي مِنَ الْإِنْسَانِ بِالنَّاسِ لَمَّا غَنِيَتْ عَنِ الْأَكْيَاسِ بِالْيَاسِ

(١) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (المسك) والأولى أرجح .

وصرت في البيت وحدي لا أرى أحداً بناتُ فكري وكني هنَّ جالسي
وقال :

وزهدني في جمعي المال أنه إذا ما انتهى عند الفتى فارق العُمرا
فلا رُوحه يوماً أراح من العنا ولم يكتسب حمداً ولم يدخر أجرا
وقال :

سَعَتْ حَيَّةٌ من شَعْرِهِ نحو صدغِهِ وما انفصلت من خدِّهِ إنَّ ذا عَجْبُ
وأعجب من ذا أنَّ سلسال ريقِهِ برودٌ ولاكن شَبٌّ في قلبي اللهب
وقال :

راض حبيبي عارضٌ قد بدا يا حُسْنَهُ من عارض رابض
وظنَّ قوم أنَّ قلبي سالا والأصل لا يَعْتَدُّ بالعارض
وقال :

سال في الخدِّ للحبيب عذار وهو لا شك سائلٌ مرحوم
وسألتُ التَّشَامَةَ فتجنَّي فأنَّا اليوم سائلٌ محروم
وقال :

جُنْتُ بها سوداءَ لونٍ وناظِر ويا طالما كان العجنون بسوداءِ
وجدتُ بها بَرْدَ النِّعِيمِ وإنَّ فؤادي منها في جحيمٍ ولأواءِ
وقال في فتى يُسمى مظلوم :

وما كنت أدري أنَّ مالك مُهَجِّي يَتَسَمَّى بمظلوم وظلم جفـاؤه
إلى أنَّ دعائي للصبِّ^(١) فاجبتَه ومن يك مظلوماً أجيب دعاؤه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النزيثونة (الصلاب) .

وقال :

جُنَّ غَيْرِي بِعَارِضٍ فَتَرَجَّيْ أَهْلُهُ أَنْ يَفِيقَ عَمَّا قَرِيبِ
وَفُؤَادِي بِعَارِضِينَ مَصَابُ فَهُوَ دَاءٌ أَعْيَى دَوَاءَ الطَّبِيبِ

وقال :

شَكِي الْخَصْرَ مِنْهُ مَا يَلَاقِي بِرِدْفِهِ وَأَضْعَفَ غَصْنَ الْبَانِ جَرَّ كَثِيبِ
إِذَا كَانَ مِنْهُ الْبَعْضُ يُظْلَمُ بَعْضُهُ فَمَا حَالُ شَطِّ الْمَزَارِ غَرِيبِ

وقال :

وَذُو شَفَةِ لَهْمًا زُيِّنَتْ بِشَامَةِ مِنْ الْمَسْكِ فِي رَشَافِهَا يَذْهَبُ النَّسْكُ
ظَهَيْتَ إِلَيْهَا رِيْقَةً كَوَثْرِيَّةَ بِمِثْلِ لِقَائِي تُغْرِهَا يُنْظَمُ السَّلْكُ
تَعْلُ بِمَعْسُولٍ كَأَنَّ رُضَابِهِ مُدَامَ مِنَ الْفَرْدِ وَسُرَّ خَاتَمِهِ مِسْكُ

وقال :

أَجَلٌ شَفِيعٌ لَيْسَ يُمْكِنُ رَدُّهُ دِرَاهِمُ بَيْضٍ لِلْجُرُوحِ مَرَاهِمُ
تُصَيِّرُ صَعْبَ الْأَمْرِ^(١) أَسْهَلَ مَا تَرَى وَيَقْضِي لِبَانَاتٍ لِلنَّمِيِّ وَهُوَ نَائِمُ

وقال :

نُعِيدُ وَدَّ قَرِيبٍ ضَلَّ كَبِيرُ عَتَبٍ قَلِيلٌ عَتَبَا
كَالْمَسِّ ظَرْفًا كَالْمَسْكَ عَرْفًا كَالْخَشْفِ طَرْفًا كَالصَّخْرِ قَلْبَا

وقال :

عُدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمَنْسَةٌ فَلَا أَذْهَبُ الرَّحْمَنَ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْ بَحْثُوا عَنْ رَتِّي فَاجْتَنِبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَاكْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

مولده : ولد ببغريانة عام اثنين وخمسين وستماية .

هكذا وردت في الإستانبورك . وفي نزيونة (ش) .

وفاته : أخبرني الحاج الخطيب الفاضل أبو جعفر الشَّقُورِي رحمه الله .
قال ، توفي عام خمسة وأربعين وسبع مائة بمصر ، ودفن بالقرافة . وكانت
جنازته حافلة .

ومن الطاريين عليها في هذا الحرف

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللّخمي اليكّي^(١)

من أهل بَلَش^(٢) يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الكمّاد

حاله

من « عايد الصلة » : كان من جَلَّةِ صدور [الفقهاء]^(٣) الفضلاء ،
زهذا وقناعة وانقباضا ، إلى دَمائَةِ الخلق ، ولين الجانب [وحُسن اللقاء]^(٤)
والسَّداجَةِ المُمَوَّهَةِ بالغَفْلَةِ ، والعمل على التَّقشُّفِ والعُزْلَةِ ، قديم السَّماعِ
والرَّحْلَةِ ، إماما مشهورا في القراءات ، يُرحل إليه ، ويعُولُ عليه ، إتقاناً
ومعرفة منها بالأصول ، كثير المحافظة والضَّبْطِ ، محدثاً ثَبَتاً ، بليغ
التَّحَرُّزِ ، شديد الثقة ، فقيها مُتَصَرِّفاً في المسائل ، أعرف الناس بعقد
الشروط ، ذا حظٍّ من العربية واللغة والأدب . رحل إلى العُدوة ، وتجول في
بلاد الأندلس ، فأخذ عن كثير من الأعلام ، وروى وقيد وصنّف وأفاد ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اللبكي) .

(٢) بلش أو بلش مالقة وبالإسبانية Velez Malaga هي بلدة أندلسية قديمة تقع على قيد
ثلاثين كيلومترا من شرق مالقة وعلى قيد خمسة كيلو مترات من البحر المتوسط ، ويبلغ سكانها
اليوم نحو ثلاثين ألف نسمة .

(٣) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الاسكوريال .

(٤) هذه العبارة واردة في الاسكوريال ، وساقطة في الزيتونة .

وتصدّر للإقراء بغرناطة وبَلّش وغيرهما ، وتخرّج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة ، وانتفعوا به .

(١) مُشِيخَتُهُ

قرأ ببليده مُرسية على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن لب بن أحمد ابن أبي بكر الرُقوطي ، والمُقري أبي الحسن بن خلف الرُشاطي ، والمحدث الجليل أبي عمرو محمد بن علي بن عَيْشُون اللخمي ، وعلى الشيخ الفقيه الكاتب أبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطّاب الغافقي المُرسى . ومن أجازته الفقيه أبو عثمان سعيد بن عمرو البِطْرني ، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص ، لقيه ببَلّش مألقة وبَسْطَة ، قروى عنه الكثير ، والأستاذ أبو القاسم بن الأصهر الحارثي لقيه بآلرية . ولقي بغرناطة الأستاذ أبا جعفر الطَّبَّاع ، والوزير الراوية أبا القاسم محمد بن يحيى بن عبد الرحمن ابن جُزَي الكلبى ، روى عنه وأجازته . وكسب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل المشرق والمغرب ، حسبما تضمنه برنامجه .

توالي نفسه

اختصر كتاب « المُقنع » في القراءات اختصارا بديعا وسماه كتاب « الممتع في تهذيب المقنع » وغير ذلك .

شعره

من ذلك وقد وقف على أبيات أبي القاسم بن الصِّقْرِ في فضل الحديث :

(١) وردت المترجم له في مخطوط الزيتونة « مشيخة » طويلة من نحو لوحين . وقد رأى ناسخ الإسكوريال أن يضرب صفحا عنها ، وإن يكتفى بقوله : « قلت له مشيخة في الأصل طويلة اختصرتها لطلوها » . وقد رأينا نحن أن نورد مشيخته مختصرة من الزيتونة ، وأن نقصر فيها على عدد من جلة الأساتذة الذين أخذ عنهم المترجم له .

لقد حاز أصحاب الحديث وأهله
وصحّت لهم بين الأنام مزيّة
بدعوة خير الخلق أفضل مرسل
فهم دونوا علم الحديث وأنقنوا
وجاءوا بأخبار الرسول وصحبه
وهم نقلوا الآثار والسنن التي
وما قصّروا فيها بفقه ولا ونوا
وهم أوضحوا من بعدهم باجتهادهم
جزاهم إله العرش عنا بنصحبهم
ونسّله سبحانه نهج هديهم

شأوا وتوتيراً ومجداً مُخلّداً
أبانت لهم عزاً ومجداً وسودداً
محمد المبعوث بالنّسور والهدداً
ونصّوا بتبيين صحيحاً ومُسنداً
على وجهها لفظاً ورسماً مقيداً
من أصبح ذا أخذ بها فقد اهتدأ
بل التزموا حدّاً وحزماً مؤكّداً
وتبّينهم سُبُل الهدى لِدن اقتدأ
بأحسن ما جازى نصيحاً ومرشداً
وسعيّاً إلى التّقوى سبيلاً ومقصداً^(١)

ومن شعره رحمه الله قوله :

عليك بالصّبر وكُن راضياً
واسلك طريق المجد والهّج به
بما قضاه الله تلقى النجاح
فهو الذي يرضاه أهل الصّلاح

وقد ألّف شيخنا أبو البركات بن الحاج ، جزءاً سماه «شعر من لا شعر
له» ، فيه من شعر هذا الرجل الفاضل ومثله كثير

مولده : قبل الأربعين وسنّاه . وتوفى ثانی شهر الله المحرم عام اثني عشر
وسبع مائة

(١) هذه القصيدة الواردة في الإسنو بل وساقعة في رتبة .

« انتهى ما اختُصر من السفر السابع من كتاب « الإحاطة في تاريخ
 غرناطة » . يتلوه في السفر الثامن بعده إن شاء الله . ومن السفر الثامن
 من ترجمة المقرئين والعلماء رحمهم الله »^(١) .

(١) بعد اختتام السفر السابع من كتاب « الإحاطة » على هذا النحو ، أورد الناسخ نبذة طويلة
 استهلها بقوله أن الأستاذ أباجعفر بن الزبير قيد بخطه « تقييدا حسنا ساير فيه طبقات الأمم لصاعد
 فنقص منها ، وزاد في بعض أسماء رجالاتها حكايات وأخبارا » . ويدور الحديث في هذه النبذة كلها ،
 عن فلاسفة اليونان أو حكاياتهم الخمسة يرقليس وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس ، وعن
 أخبارهم وآرائهم ، ويتناول بصفة خاصة آراء أرسطاطاليس ومؤلفاته وعلاقته بالإسكندر المقدوني .
 وقد رأينا نحن أنه لا محل لإيراد هذه النبذة ، لأنه لا علاقة لها بكتاب الإحاطة ، وهي تشغل من مخطوط
 الإسكوريال (لوحات ١٠٢ إلى ١٠٥) .

ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الفسّاني

من أهل مالقه ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن حفيد الأمين

حاله

كان من أهل العلم والفضل والدين المتين ، والدُّؤوب على تدريس كتب الفقه . استظهر كتاب « الجواهر » لابن شاس ، واضطلع بها ، فكان مجلسه من مجالس الحُفَاط ، حُفَاط المذْهَب ، وانتفع به الناس . وكان معظماً فيهم ، متبركاً به ، على سُنن الصالحين ، من الزُّهد ، والانقباض . وعدم المبالاة بالملبس والمطعم . وقال صاحبنا الفقيه أبو الحسن الشَّباهي في تذييله لتاريخ مالقة : كان رجلاً ساذجاً ، مُخْشَوْشِئاً ، سُنَى المنازع ، شديد الإنكار على أهل البدع . جلس للتَّحْلِيق العام بالمسجد الجامع ، وأقرأ به الفقه والعربية والفرايض .

مشيخته

قال ، منهم أبو علي بن أبي الأحوص ، وأبو جعفر بن الزبير . وأبو محمد بن أبي السَّداد ، والقاضي أبو القاسم ابن السَّكوت . قال ، وأنشد للزاهد أبي اسحق بن قشوم . قوله :

يروقك يوم العيد حسن ملابس
أجل لحظات الفكر منك فلا ترى
ونعمة أجسام ولين قدود
سوى خرق تبلى وطعمة دود
وأنشد لأبي عمرو الزاهد :

تختبر الدنير في مئذني والدرهم الزايف إذ يذهبهم
والمرء إن رمت اختباراً له مئذقه الدنير والدرهم
من عفا عن هذا وهذا معا فهو التقي الورع المسلم

تواليفه

له تقييد حسن في الفرائض ، وجزء في تفضيل التين على التمر ،
وكلام على نوازل الفقه .
وتوفي في الكائنة العظمى بطريف ^(١) .

محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجي

من أهل ملتاس ^(٢) ، يكنى أبا عبد الله

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من سُرّة بلده وأعيانهم ، أستاذاً مُتَمَنِّناً
مُتَمَرِّباً لكتاب الله . كاتباً بليغاً ، شديد العناية بالكتب . كثير المغالاة في
قيمتها وأثمتها ، حتى صار له من أغلاقها وذخايرها ، ما عجز عن تحصيله
كثير من أهل بلده . كتب بخطّه ، وقيد كثيراً من كتب العلم . وكان

(١) سبق التعريف بهذه الموقعة (راجع المجلد الثاني من « الإحاطة » ص ١٨٠ حاشية) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ونرجح أنها ملتاس Montemas من قرى منطقة بلش ،
على نبط أماكن أخرى في الأندلس الجنوبية مثل مونتيمبور Montemayor ومونتي قريو Montefrio وغيرها

مُفَرِّجاً مَجُوداً ، عارفاً بالقراءات ، بصيراً بالعربية ، ثقةً ضابطاً ، مبرزاً في العدالة . حريصاً على العلم استفادةً ثم إفادةً ، لا يأنف من حمله عن أقرانه ، وانتفع به أهل بلده ، والغرباء أكثر .

مشيخته

أخذ عن طائفة من أهل العلم . منهم الشيخان الرُّحَلَتَان . أبو عبد الله ابن الكَّاد ، وأبو جعفر بن الزيات عَظِيماً بلده ، والخطيب ولي الله أبو عبد الله الطَّنْجَالِي ، والقاضي أبو عبد الله بن بكر . وروى عن الشيخ الوزير أبي عبد الله بن ربيع ، وابنه الراوية أبي عامر ، والخطيب الصالح أبي إسحق بن أبي العاصي . وروى عن الشيخ الراوية الرَّحَّال أبي عبد الله ابن عامر الوادي آشِي وغيرهم ، ودخل غرناطة . .

مولده : ولد ببِلَش عام ثمانية وثمانين وستمائة

وفاته : توفي ببِلَش عاشر شهر شعبان من عام أربعة وثلاثين وسبعماية .

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة ، يكنى أبا الحكم ، ويعرف بابن حفيد الأمين

حاله

من « العايد »^(١) : كان هذا الشيخ من أهل العلم والدين المتين . والجَرَى على سُنَنِ الفقهاء المتقدمين ، عقد الشروط بمالقة مدة طويلة . في العدول المبرزين ، وجلس للتَّحْلِيْق في المسجد الأعظم من مالقة . بعد فقد

(١) أي كتاب « عايد الصلة » .

أخيه أبي القاسم ، وخطب بمسجد مالقة الأعظم . ثم أُخِّر عن الخطبة لمشاحنة وقعت بينه وبين بعض الولاة ، أثمرت في إحتتِه . ولم يزل على ما كان عليه من الاجتهاد في العبادة ، والتقيد للعلم ، والاشتغال به ، والعناية بأهله ، إلى أن توفي على خير عمل .

مُشِيخَتِه

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي ، وروى عن جلة من الشيوخ . مثل صهره الخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، وشاركه في أكثر شيوخه ، والأديب الحاج الصالح أبي القاسم القبتوري^(١) وغيرهم مولده : ولد بمالقة عام ثلاثة وسبعين وستمائة .

وفاته : توفي بمالقة يوم الأربعاء الثامن عشر لذي حجة من عام تسعة وأربعين وسبعماية . ودخل غرناطة غير ما مرة مع الوفود من أهل بلده ، وفي أغراضه الخاصة

محمد بن أحمد الرقوتي^(٢) المرسي

يكنى أبا بكر

حالُه

كان طرُفًا في المعرفة بالفنون القديمة ، المنطق والمهندسة والعدد والموسيقى

(١) نسبة إلى قبتور أو كبتور Captor من بلاد منطقة إيتيلبة (أنظر المجل الأول من الإحطة ص ٢١٤ حاشية) .

(٢) نسبة إلى رقوطة ، وبالإسبانية Ricate ، وهي بلدة صاعدة في شرق الأندلس . تقع على مقربة من شمال غربي مرسية على الضفة الغربية لنهر شقورة R . Segura

والطَّب ، فيلسوفاً ، طبيباً ماهراً ، آيةُ الله في المعرفة بالآلِسن . يُقَرَى الأُممُ
بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فنوَّههم الّتي يرغبون في تعلّمها ، شديد البَآو ، مترفعاً . متعاطياً .
عَرَفَ طَاغِيَةُ الروم حقّه ، لما تَغَلَّب على مرسية ، فبنى له مدرسة يُتْرَى فيها
المسلمين والنصارى واليهود ، ولم يزل معظماً عنده . ومما يحكى من مَلَحِه
معه ، أَنه قال له يوماً ، وقد أدنى مَنْزِلَتَه ، وأشاد بفضله ، لو تنصّرت
وحصّلت الكمال ، كان عندي لك كذا وكذا ، وكُنْتُ كذا ، فأجابِه
بما أَقْنَعَه . ولما خرج من عنده ، قال لأَصْحَابِه ، أَنَا الآنَ أَعْبُدُ واحداً ، وقد
عجزتُ عما يجب له ، فكيف حالى لو كنتُ أعبدُ ثلاثة كما أَراد منى .
وطلبه سلطان المسلمين ، ثانى الملوك من بنى نصر^(١) ، واستقدمه ، وتلحّد
له ، وأسكّنه فى أعدل البُقْع من حضرته . وكان الطلبة يَغْشون منزله
المعروف له ، وهو بيدى الآن ، فتعلّم عليه الطب والتعاليم وغيرها ، إذ
كان لا يُجَارَى فى ذلك . وكان قوىّ العارضة ، مضطّلعاً بالجدل ، وكان
السلطان يجمع بينه وبين مُنتابى حضرته ، ممن يُقدّم مُنتحلاً صناعة أو
علماً ، فيظهر عليهم ، لتمكُّنه ودالّته . حسبما يأتى فى إسم أبى الحسن
الأبْدَى ، وأبى القاسم بن خَلْصون إن شاء الله . وكان يركب إلى باب
السلطان ، عظيم التَّوَدّة ، مُعار البَغْلَة ، رايق البِرّة ، رفيق المشى ، إلى أن
توفى بها . سمح الله له .

محمد بن إبراهيم بن المُفَرِّج الأوسى

المعروف بابن الدبّاغ الإشبيلي .

(١) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالملك المظفر لئلّه وتقواه . وقد
حكم ثلاثة فُرْصَة من سنة ٦٧١ - ٧٠١ هـ (١٢٧٢ - ١٣٠٢ م) .

حاله

كان واحد عصره في حفظ مذهب مالك ، وفي عقد الوثائق ، ومعرفة عللها . عارفاً بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ . وكان كثير البشاشة ، عظيم الانقياض ، طيب النفس ، جميل المعاشرة ، كثير المشاركة ، شديد التواضع ، صبوراً على المطالعة ، سهل اللفاظ في تعليمه وإقرايه . أقرأ بجامع غرناطة لأكابر علمائها ، الفقه وأصوله ، وأقرأ به الفروع والعمائد للعامة مدة . وأقرأ بجامع باب الفخارين ، وبمسجد ابن عزرة وغيره .

مشيخته

قرأ على والده الأستاذ أبي إسحق إبراهيم ، وعلى الأستاذ أبي الحسن الدباج ، وعلى القاضي أبي الوليد محمد بن الحاج التيجي القرطبي ، وعلى القاضي أبي عبد الله بن عياض . وفاته : توفي برؤنـدة يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية وستين وسمائة .

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسى

ن أهل مرسية - نزيل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الرقام الشيخ الأستاذ المتفـنن

حاله

كان نسيج وحده . وفريد دهره . علماً بالحساب والهندسة والطب

والهيئة ، وغير ذلك . مديدُ الباع . أصيل المعرفة . مضطّلعاً . متبحراً
لا يُشَقَّ غباراً . أقرأ التعاليم والطب والأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان
ثاني الملوك من بنى نصر من مدينة بجاية ، فانتفع الناس به . وأوضح
المشكلات ، وسُيِّلَ من الأقطار النازحة في الأوهام العارضة ، ودوّن في هذه
الفنون كلها ، ولخص ، ولم يفتر من تقييد وشرح وتلخيص وتدوين

تواليايفه

وتواليايفه كثيرة ، منها كتابه الكبير على طريقة كتاب « الشفا » ،
والزيج القويم الغريب المرصد ، المبنية رسايله على جداول ابن إسحق ،
وعدل مناخ الأهلّة ، وعليه كان العمل . وقيد أبتكار الأفكار في الأصول ،
ولخص المباحث ، وكتاب الحيوان والخواص . ومقالاته كثيرة جداً ،
ودواوينه عديدة .

وفاته : توفي عن سن عالية بغرناطة في الحادى والعشرين لصفر من عام
خمسة عشر وسبع مائة

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد^(١)

ابن مأمون^(٢) الأنصارى

ونسبه أبو محمد القرطبي ، أمويًا من صريحهم . بَلَنَسَى الأَصْل ،
يكنى أبا عبد الله

(١) وردت في الإسكوريال إل جانب هذا الإسم كلمة (مكبرا)

(٢) وردت في الإسكوريال (ابن مانون) ، ونرجح التصويب .

حاله

كان صدرًا في مُتَمَيِّنِي القرآن العظيم . وأيَّمة تجويده ، مبرزًا في النحو ، إمامًا معتمدًا عليه ، بارع الأدب ، وافر الحظُّ من البلاغة ، والتَّصَرُّفُ البديع في الكتابة ، طيب الإمتاع بما يورده من الفنون ، كريم الأخلاق ، حسن السَّمت ، كثير البشر ، وقورًا ، دينًا ، عارفًا ، ورعًا ، وافر الحظُّ من رواية الحديث

مشيخته

روى عن أبي إسحق بن صالح ، وأبي بكر بن أبي ركب ، وأبي جعفر ابن ثعبان ، وأبي الحجاج الثَّقَالِ ، وأبي الحسن شُريح ، وأبي محمد عبد الحق ابن عطية ، وأبي الحسن بن ثابت ، وأبي الحسن بن هُذَيْل ، وتلا عليه بالسَّبع ، وأبو عبد الله بن عبد الرحمن المذحجي الغرناطي ، وابن فرح القيسي ، وأبي القاسم خلف بن فُرْتُون . ولم يذكر أنهم أجازوا له . وكتب له أبو بكر^(١) عبد العزيز بن سُدير ، وابن العزقي ، وابن قندلة ، فأبو^(١) الحسن طارق بن موسى ، وابن مُوهب ، ويونس بن مُغيث ، وأبو جعفر بن أيوب ، وأبو الحكم عبد الرحمن بن غشيان ، وأبو عبد الله الجياني المعروف بالبغدادي . وذكر أبو عبد الله بن يربوع أن له رواية عن أبي الحسن بن الطراوة

من روى عنه

روى عنه أبو بحر صفوان بن إدريس . وأبو بكر بن عتيق الأزدي وابن قترال . وأبو جعفر الجيَّار ، والذهبي . وابن عميرة الشهيد ،

(١) وردت في الإسكوريال (أبا ثم) فأبا) فاقضى التصويب .

وأبو الحسن بن عزمون . وابن عبد الرزاق . وأبو الحسن عبيد الله بن عاصم
الدَّارِي ، وأبو الربيع بن سالم ، وأبو زكريا الجعفري . وأبو سليمان
ابن حَوْط الله ، وأبو عبد الله الأَنْدَلُسِي ، وابن الحسين بن محبر . وابن
إبراهيم الريسي ، وابن صلتان ، وابن عبد الحق التلمسني ، وابن يربوع ،
وأبو العباس العزني ، وأبو عثمان سعد الحفَّار . وأبو علي عمر بن جميع .
وأبو عمران بن إسحق ، وأبو القاسم الطيب بن هرقال ، وعبد الرحيم
ابن إبراهيم بن قريش الملاحى ، وأبو محمد بن دُلف بن اليُسر . وأبو الوليد
ابن الحجاج .

توالمفه

له شرح على « إيضاح الفارسي » ، وآخر على « جُمَل الزَّجَاجِي »

مولده : ببلنسية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

وفاته : توفي بمرسية إثر صدوره عن غرناطة عشي يوم السبت لثلاث

عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة

محمد بن حَكَم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي

من أهل سَرْقُسْطَة . سكن غرناطة ثم فاس . يكنى أبا جعفر

حاله

كان مُقْرِياً مُحَوِّداً مُحَقِّقاً بعلم الكلام وأصول الفقه . محصلاً لها .

متقدِّماً في النحو . حافظاً للغة ، حاضر الذكر لأقوال تلك العلوم . جيد

الخطير . متوقد الذهن . ذكي القلب . فصيح اللسان . ولى أحكام فاس
وأفتى فيها ، ودرّس بها العربية . كتاب سيبويه وغير ذلك

مُشِيخَتُهُ

روى عن أبي الأصبغ بن سهل ، وأبوى الحسن الحضرمي ، وابن سابق ،
وأبي جعفر بن جراح . وأبي غالب السرقسطي ، الأديبين ، وأبوى عبد الله
ابن نصر . وابن يحيى بن هشام المحدث ، وأبي العباس الدلاءي ، وأبي
عبيد الله البكري ، وأبي عمر أحمد بن مروان القيرواني ، وأبي محمد
ابن قورش ، وأبي مروان بن سراج . وأجاز له أبو الوليد الباجي رحمه الله .

من روى عنه

روى عنه أبو إسحق بن قرقول ، وأبو الحسن صالح بن خلف ،
وأبو عبد الله بن حسن السبتي ، وأبو الحسن الأبلدي ، وتوفى قبله ،
وابن خلف بن الأيسر ، والنميري ، وأبو العباس بن عبد الرحمن
ابن الصّقر ، وأبو علي حسن بن الجزار ، وأبو الفضل بن هرون الأزدي ،
وأبو محمد عبد الحق بن بونه ، وقاسم بن دحمان . وأبو مروان بن الصّقل
الوقشي^(١)

توالياً

شرح « إيضاح الفارسي » . وكان قيماً على كتابه ، وصنّف في الجدل
مُصَنَّفَيْن ، كبيراً صغيراً . وله عقيدة حياة
وفاته . توفى بفاس . وفيل بتامسان سنة ثلاث وثلاثين وخمسين مائة^(٢)

(١) هكذا ورد في الإسنو يلى . ورد في حدود اللى
نسب إلى وشقه .
(٢) ورد في « جذوة الإقباس » أن وفاته كانت بتامسان .

محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف

ابن خلف الأنصاري

من أهل مالقة . يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الحاج . وابن صاحب الصلاة .

حاله

كان مقرباً صدرّاً في أئمة التجويد ، محدثاً متقناً ضابطاً ، نبيل الخط والتقييد ، ديناً ، فاضلاً . وصنف في الحديث ، وخطب بجامع بلده . وأم في الفريضة زماناً ، واستمرت حاله كذلك ، من نشر العلم وبثه إلى أن كرمه الله بالشهادة في وقعة العقاب^(١) .

دخوله غرناطة ، راوياً عن ابن الفرس ، وابن عروس ، وغيرهما

مشيخته

روى بالأندلس عن الحجاج ابن الشيخ ، وأبي الحسن بن كوثر ، وأبي خالد يزيد بن رفاعه ، وأكثر عنه ، وأبوى عبد الله بن عروس ، وابن الفخار ، وأبي محمد بن حوط الله ، وعبد الحق بن بونّه ، وعبد الصمد ابن يعيش ، وعبد المنعم بن الفرس ، وأجازوا له . وتلا القرآن على أبي عبد الله الإستنجي . وروى الحديث عن أبي جعفر الحصار . وحجّ في نحو

(١) موقعة العقاب وبالإسبانية Las Navas de Tolosa ، نشبت في شهر صفر سنة ٦٠٩ ، بين الجيوش الإسبانية المتحدة ، وبين الجيوش الموحدية وسبق التعريف بها (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ٣٢٩ حاشية) .

سنة ثمانين وخمسمائة . وأخذ عن جماعة من أهل المشرق ، كآبي الطاهر
 الخشوعي وغيره
 وفاته : توفي شهيداً محرضاً صابراً يوم الاثنين منتصف صفر عام
 تسعة وستماية

محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن قرال ، من أهل مالقة

حاله

طالبٌ عفيف مجتهد خير . قرأ بغرناطة ، وقام على فنّ العربية قياماً
 بالغاً ، وشارك في غيره ، وانتسخ الكثير من الدواوين بخط بالغ أقصى مبالغ
 الإجادة والحسن ، وانتقل إلى مالقة فأقرأ بها العربية ، واقتدى بصهره
 الصالح أبي عبد الله القطان ، فكان من أهل الصلاح والفضل . وتوفي في
 محرم عام خمسين وسبعماية .

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك

ابن محمد بن سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله القضاعي

من أهل إسطنبول^(١) ، يكنى أبا بكر ، ويعرف بالقللوسي

حاله

كان رحمه الله إماماً في العربية والعروض والقوافي ، موصوفاً بذلك .

(١) إسطنبول أو إشتونه وبالإسبانية Estepona ثغر صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط .
 جنوبي غربي مالقة ، وشمال جبل طارق ، على مقربة من ثغر مربلة .

مَنْسُوباً إِلَيْهِ ، يَحْفَظُ الْكَثِيرَ مِنْ كِتَابِ سَيْبُويهِ ، وَلَا يَفَارِقُهُ بَيَاضُ يَوْمِهِ ، شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لَهُ ، مَعَ خِفَّةٍ وَطِيشٍ يَحْمِلُهُ عَلَى التَّوَعُّلِ فِي ذَلِكَ . حَدَّثَنِي شَيْخُنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْجِيَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ ، وَقَفَ أَبُو بَكْرٍ الْقَلْلُوسِيُّ يَوْمًا عَلَى الْقَاضِي أَبِي عَمْرٍو بْنِ الرُّنْدُونِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْوَقَارِ ، مَهِيْبًا ، وَتَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ، نَقَلَهَا عَنْ سَيْبُويهِ ، فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو عَمْرٍو . أَخْطَأَ سَيْبُويهِ . فَأَصَابَ أَبَا بَكْرٍ الْقَلْلُوسِيَّ قَلَقٌ كَادَ يَلْبِطُ بِهِ الْأَرْضَ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَوَابِهِ بِمَا يَشْفِي بِهِ صَدْرَهُ لِمَكَانِ رُتْبَتِهِ ، قَالَ ، فَكَانَ يَدُورُ بِالْمَسْجِدِ ، وَالْدُمُوعُ تَنْحَدِرُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ أَخْطَأَ مِنْ خَطْئَاهُ ، يَكْرُرُهَا وَالْقَاضِي أَبُو عَمْرٍو يَتَغَافَلُ عَنْهُ ، وَيَزُرِي عَلَيْهِ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ . مُشَارِكًا فِي فَنُونِ ، مِنْ فَقْهِهِ وَقَرَاءَاتِهِ . وَفَرَايِضِ ، مِنْ أَعْلَامِ الْحُفَاطِ لِللُّغَةِ ، حُجَّةٍ فِي الْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي ، يُخَطِّطُ بِالْقَافِي عِنْدَ ذِكْرِهِ فِي الْكُتُبِ . وَلَهُ فِي ذَلِكَ تَوَالِيْفٌ بَدِيعَةٌ . وَوُلِّيَ الْخُطَابَةَ بِبَلَدِهِ مَدَّةً ، وَقَعَدَ لِلتَّدْرِيسِ بِهِ ، وَأَنْشَأَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَأَخَذُوا عَنْهُ . وَنَسَخَ بِيَدِهِ الْكَثِيرَ وَقِيدَ ، وَكَانَ بَقِطْرُهُ عِلْمًا مِنْ أَعْلَامِ الْفَضْلِ وَالْإِيْثَارِ وَالْمُشَارَكَةِ

توَالِيْفُهُ

نَظَمَ رَجَزًا شَهِيرًا فِي الْفَرَايِضِ عِلْمًا وَعَمَلًا ، وَنَظَمَ فِي الْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي وَأَلَّفَ كِتَابَ « الدَّرَّةُ الْمَكْنُونَةُ فِي مُحَاسِنِ إِسْطَبُونَةِ » ، وَأَلَّفَ تَأْلِيْفًا حَسَنًا فِي تَرْحِيلِ الشَّمْسِ ، وَسُوسَطَاتِ الْفَجْرِ ، وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ ، وَنَظَمَ أَرْجُوزَةً فِي شَرْحِ مَلَاْحَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ ، وَأَرْجُوزَةً فِي شَرْحِ كِتَابِ « الْفَصِيْحِ » . وَرَفَعَ لِلْوَزِيرِ ابْنِ الْحَكِيمِ كِتَابًا فِي الْخَوَاصِّ وَصَنَعَةَ الْأَمَدَةِ وَالتَّطْبِيعِ الشَّابِ . غَرِيبًا فِي مَعْنَاهُ

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع ، ولازمه ، وأخذ عنه . وعن
أبي القاسم بن الحصار الضرير السبتي ، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير
بغرناطة ، وغيرهم .

شعره

من شعره قوله من قصيدة يمدح ابن الحكيم :

عُلَاهُ رِيَاضٌ أَوْرَقَتْ بِمَحَامِدِ تُتَوَّرُ بِالْجَدْوَى وَتُثْمَرُ بِالْأَمَلِ
تَسْحُ عَلَيْهَا مِنْ نَدَاهِ غَمَامَةٌ تَرَوِي ثَرَى الْمَعْرُوفِ بِالْعَلِّ وَالنَّيْلِ
وَهَلْ هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ نَفْسًا وَرِفْعَةً فَيَغْرُبُ بِالْجَدْوَى وَيَبْعُدُ بِالْأَمَلِ
تَعْمُ أَيَادِيهِ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا فَدَانٍ وَقَاصٍ جَوْذُ كَفَيْهِ قَدْ شَمِلَ

وهي طويلة . ونقلت من خطأ صاحبنا أبي الحسن الثباهي . قال يمدح
أبا عبد الله الرنداحي :

أَطْلَعَ بِأَفْقِ الرَّاحِ كَاسَ الرَّاحِ وَصَلَ الزَّمَانُ مَسَاءَهُ بِصَبَاحِ
خَذَهَا عَلَى رَغَمِ الْعَدُولِ مُدَامَةً تَنْفَى الْهَمُومَ وَتَأْتِي بِالْأَفْرَاحِ
وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ بُرُودَ أَزَاهِرِ وَتَمَنُّطَقَتْ مِنْ نَهْرِهَا بِوِشَاحِ
وَالْجَوُّ إِذْ يَبْكِي بِدَمْعِ غَمَامَةٍ ضَحِكَ الرَّبِيعُ لَهُ بِثَغْرِ أَقْصَاحِ
وَالرَّوْضُ مَرْقُومٌ بِوَشْيِ أَزَاهِرِ وَالطَّيْرُ يَفْضَحُ أَيُّمَا إِفْصَاحِ
وَالْغُصْنُ مِنْ طَرَبٍ يَمِيلُ كَأَنَّمَا سَقَيْتُ بِكَفِّ الرِّيحِ كَأَنَّ الرَّاحِ
وَالْوَرْدُ مُنْتَظَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ يَبْدُو فَتَحْسِبُهُ خَسْدُودَ مَلَاحِ
وَكَأَنَّ عَرَفَ الرِّيحِ مِنْ زَهْرِ الرَّبِيِّ عَرَفَ امْتِدَاحَ الْقَائِدِ الرُّندَاحِ

وفاته : ببلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنة سبع وسبعماية

محمد بن محمد بن محارب الصريحى

من أهل مالقة . يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن أبي الجيش

حاله وأوليته

أصل سلفه من حصن يُسر من عمل مُرسية ، من بيت حَسَبٍ وأصالة ،
ولخؤولته بالجهة الناكرونية ثورة

وقلت فيه فى « عايد الصلة » : كان من صدور المُقرّين ، وأعلام
الْمُتَصَدِّرين تفنناً واضطّلاعاً ، وإدراكاً ، ونظراً . إماماً فى الفرائض والحساب
قايماً على العربية ، مُشاركاً فى الفقه والأصول ، وكثير من العلوم العقلية .
قعد للإقراء بمالقة ، وخطب بجامع الرّبض

مشيخته

قرأ على الأستاذ القاضى الْمُتَفَنِّن أبى عبد الله بن بكر ، ولازمه . ثم
ساء ما بينهما فى مسألة وقعت بمالقة ، وهى تجويز الخُلف فى وَعْد الله ،
شنع فيها على شيخنا المذكور ، ونسبه إلى أن قال ، وعُدَّ الله ليس بلازم
الصّدق ، بل يجوز فيه الخُلف ، إذ الأشياء فى حقه متساوية ، وكتب فى
ذلك أسئلة^(١) للعلماء بالمغرب ، فقاطعه وهجره . ولما ولى القاضى أبو
عبد الله بن بكر القضاء ، خافه ، فوجه عنه إثر ولايته ، فلم يشك فى

(١) وردت فى الإسكوريال (أسولة) فاقضى التصويب .

الشر ، فلما دخل عليه ، رَحَّبَ به ، وأظهر له القَبُولَ عليه ، والعفو عنه ،
واستأنف مودَّتَه ، فكانت تُعَدُّ في مآثر القاضي رحمه الله
ورحل المذكور إلى سَبْتَه ، فقرأ بها على الأستاذ أبي إسحق الغافقي ، ومن
عاصره ، ثم عاد إلى مالقة ، فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته

دخوله غرناطة

دخل غرناطة مرات ، متعلِّماً ، وطالب حاج . ودُعِيَ إلى الإقراء بمدرستها
النَّصْرِيَّة^(١) ، عام تسعة وأربعين وسبع مائة ، فقدم على الباب السلطاني ،
واعتذر بما قُبِلَ فيه عُذْرُه . وكان قد شرع في تقييد مفيد على كتاب
« التسهيل »^(٢) لابن مالك . في غاية النبل والاستيفاء والحُضْر والتَّوجِيه ،
عاقته المنية عن إتمامه .

وفاته : توفي بمالقة في كايبة الطاعون الأعظم^(٣) في أخريات ربيع الآخر
من عام خمسين وسبع مائة ، بعد أن تصدق بمال كثير ، وعهد بربيع مُجدد
لطلبة العلم ، وحبس عليهم كتبه

محمد بن محمد بن لب الكِنَانِي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن لب

(١) المدرسة النصيرية أو مدرسة أو جامعة غرناطة ، هي المدرسة الشهيرة التي أسَّسها السلطان
يوسف أبو الحجاج ، في سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) . وقد سبق التعريف بها (أنظر ص ٣٦ من هذا
المجلد من الإحاطة) .

(٢) هو كتاب « تسهيل الفوائد وتكيل المقاصد » في الحو للمعامة المغوى الكبير ابن مالك
الهدنى ، صاحبة الألفية الشهيرة . المتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

(٣) الطاعون الأعظم أو الوباء الجارف هو الوباء العظيم الذي طاف بـمشرق وأوروبا والأندلس
سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) وقد كتب عنه بن الخطيب رسالة ، مقنعة لسائل عن المرض أسأل « وقد
أُشِرَ إليّ في المجلد الأول من الإحاطة (ص ٦٨) .

حاله

كان ذا كراً للعلوم القديمة . معنياً بها . عاكفاً عليها . متقدماً في علمها على أهل وقته . لم يكن يشاركه أحد في معرفتها ، من الرياضيات والطبيعات والآليات . ذا كراً للمذاهب القدماء . وما أخذهم في ذلك . حافظاً جداً ، ذا كراً للمذاهب المتكلمين ، من الأشعرية وغيرهم ، إلا أنه يوتر ما غلب عليه من مآخذ خصومهم . وكان نفوذه في فهمه ، دون نفوذه في حفظه ، فكان مُتَعَمِّد على حفظه في إيرادِه ومناظرته ، وكان ذا كراً مع ذلك لأصول الفقه وفروعه . عَجَباً في ذلك ، إذا وَرَدَتْ مسألة ، أَوْرَدَ ما للناس فيها من المذاهب . وعزم عليه آخر عمره ، فقعد بجامع مالقة ، يتكلم على الموطأ ، وما كان من قبل تهيأً لذلك ، إلا أنه سَتَرَ عليه حفظه ، وتعظيمُ أهل بلده له . قال ابن الزبير ، وكانت فيه لَوَثَّةٌ ، واخشيَشان ، وكان له أربُّ في التَّطَوُّاف ، وخصوصاً بأرض النصارى ^(١) ، يتكلم مع الأساقفة في الدين ، فيظهر عليهم ، وكانت أموره غريبة ، من امتزاج اليَقَظَةِ بالغَفَلَةِ ، وخلق السَّدَاجَةِ بالدُّعَابَةِ . يحكى عنه أنه كانت له شجرة تين بداره بمالقة ، فباع ما عليها من أحد أهل السُّوق ، فلما همَّ بجمعها ، ذهب ليمهد للتين بالورق في الوعاء ، فمنعه من ذلك ، وقال له إنما اشتريت التين . ولم تدخل الورق في البيع ، فتعب ذلك المشتري ما شاء الله ، وجَلَبَ ورقاً من غيرها ، حتى انقضى الأمر ، وعزم على معاملته في السنة الثانية . فأول ما اشترط الورق ، فلما فرغ من الغلة ، دعاه فقال له ، احمل ورقك ، فإنه يؤذيني ، فأصابه من المشقة في جمعه من أطراف

(١) وردت في الإسكوريال (انصرى) ، وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

الغصون ما لم يكن يَحْتَسَب ، ولم تبات السنة الثالثة ، إلّا وللرجل فقيه ،
اشترط مقدار الكفاية من الورق ، فسامحه ورَفَّق به .

دخل غرناطة وغيرها ، وأخباره عجيبة . قال أبو جعفر بن الزبير :
عَرَّض لي بمالقة مسایل ، يرجع بعضها إلى الطريقة البَيَّانِيَّة ، والمأخذ الأدبية ،
وضحت ضرورة إلى الأخذ معه فيها ، وفي آيات من الكتاب العزيز ،
فاستدعيته إلى منزلي ، وكان فيه تَخَلُّق ، وحسن ملاقة . مع خَفَّتْه الطبيعية
وتشتت منازعه ، فأجاب ، وأخذتُ معه في ذلك ، فألفيته صائماً عن ذلك
جملة .

وصمته

قال ، وكان القاضي الجليل ، أبو القاسم بن ربيع ، وأخوه أبو الحسن
ينافران على الإطلاق ، ويجذران منه ، وهو كان الظاهر من حاله . قال ،
واستدعاني في مرض اشتدَّ به ، قبل خروجي من مالقة على انفراد ، فتنصَّل
لي مما كان يُدْنُ^(١) به ، وأكثر البكاء ، حتى رَئَيْتُ له .

وفاته : توفي بمالقة ، ووصي قبل موته بوصايا من ماله . في صدقات
وأشباهاها ، وحَبَسَ داره وطابفةً من كُتُبِهِ على الجامع الكبير بمالقة .

محمد بن محمد البدوي

الخطيب بالرَّبُّض من بَلَّش ، يكنى أبا عبد الله

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله حسن التَّلَاوة لكتاب الله ، ذا قَدَمٍ في

(١) يدن هنا بمعنى يوصم ويتهم من (الذنن) وهو القذر

الفقه ، له معرفة بالأصلين ، شاعراً مُجيداً ، بصيراً ، بليغاً في خطبته ،
 حسن الوعظ ، سريع الدِّمعة . حجَّ ولقى جُلَّةً . وأقرأ ببِلّش زماناً ، وانتفع
 به ، ولقى شدايد ، أصلها الحَد

مُشِيخته

قرأ العِلْم على الشَّيْخَيْن المُقَرَّرَيْن ، الحُجَّتَيْن ، أبي جعفر بن الزِّيَّات ،
 وأبي عبد الله بن الكَّاد ، وقرأ العربية والأصلين ، على الأستاذ أبي عمرو
 ابن مَنْظُور ، ولازمه وانتفع به ، وقرأ الفقه على الشيخ القاضي أبي عبد الله
 ابن عبد السلام بمدينة تونس .

شعره

من شعره قوله في غرض النسيب :

وَلَوْلُوْا ثَغْرُكَ أَمَّ جَوْهَر	خَالَ عَلَى خَدِّكَ أَمَّ عَنَبَر
فَصَارَتِ النَّارُ بِهِ تَسْعَر	أَوْرِيَتْ نَارَ الْوَجْدِ طَيَّ الْحَشَا
لَقَلَّتْ خَوَرُ عَسَلٍ سَكَّر	لَوْ جُدَّتْ لِي مِنْكَ بَرَشْفُ اللَّمَّا
سَفَكَ دَمَ الْعَاشِقِ لَا يُنْكَر	دَعْنِي فِي الْحُبِّ أَذْبُ حَسْرَةً

وقال :

وَوَرْدُ خَدِّكَ يَذْكِي فِي الْحَشَا نَارَا	عَيْنَايَ تَفْهَمُ مِنْ عَيْنَيْكَ أَسْرَارَا
قَدْ أَثَّرَ الدَّمْعُ فِي خَدْيِهِ آثَارَا	مَلَكَتْ قَلْبَ مُحِبٍّ فِيكَ مُكْتَبِيب
يَالَيْتَ نَفْسِي تَقْضِي مِنْهُ أَوَاطَارَا	رُضَابُ ثَغْرِكَ يَرَوِي حَرَّ غُلَّتْهُ
مَاذَا عَلَيْكَ بِطَيْفٍ مِنْكَ لَوْ زَارَا	أَنْعِمَ بِطَيْفِ خِيَالٍ مِنْكَ أَلْمَحُهُ
يَصْبُو لَهُ الْقَلْبُ مَضْطَرّاً وَمُخْتَارَا	نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ظَنِّي بِهِ كَلَفُ

وقال :

أَيُّهَا الطَّيِّبُ تَرَفَّنْ بِكَيِّيبٍ قَدْ هَلَكَ
أَلَذَنْبٍ تَتَجَنَّى أَمْ لَنِيَّ بُوَصْلِكَ
إِنَّ رُوحِي لَكَ مِلْكٌ وَكَذَا قَلْبِي لَكَ
إِنَّمَا أَنْتَ هِلَالٌ فَلَكَ الْقَلْبُ فَلَكَ

ومن مجموع نظمه ونثره ما خاطبني به ، وقد طلبت من أدبه لنبعض ما صدر عني من المجموعات : « يا سيدي أبقاك الله بهجةً للأعيان الفضلاء ، وحجةً لأعلام العلاء ، ولا زلت تسير فوق النسر ، وتجرى في الفضائل على كرم النجر . ذكر لي فلان أنك أريدتم أن يرد على كمالكم ، بعض الهذيان ، الصادر عن مُعَظَّم جلالكم ، فأكبرت ذلك ، ورأيتني لست هنالك ، وعجبت أن يُنظم مع الدرِّ السَّبَّح ، أو يضارع العَمَشُ الدَّعَج . بيد أن لنظم الدرِّ صناع ، والحديث قد يُذاع ، ولا يُضاع ، وحين اعتذرت له فلم يَغْذُرَنِي ، وانتظرته فلم ينظرني ، بعد أن استعفيته فأبى ، واستنهضت جواد الإجابة فكبي ، وسلك غير طريقي ، ولم يُبَلِّغَنِي رَيْقِي ، وقَّيْتُ الغرض ، وقضيتُ من إجابته الحقَّ المُفْتَرَض ، ورددت عن تغذاله النَّصِيح ، وأثبتُ هنا ما معناه صحيح ، ولفظه غير فصيح :

بريتُ من حولي ومن قوتي بحَوْلٍ من لا حَوْلَ إِلَّا لَهُ
رثقتُ بالخالق فهو الذي يُدَبِّرُ الْعَبْدَ وَأَفْعَالَهُ

وقلت بالحرم عند المُلتزم من المنظوم في مثل ذلك :

أمولاي بالباب ذو فاقة وهذا يحطُّ خطايا الأمم
فَجِدْ لي بعفوك عن زلَّتِي بجُودِ الكريم بقدر الكَرَمِ

وما أعددت له للوفادة على خير من عُقِدَتْ عليه أَلَوِيَّةُ السِّيَادَةِ :

حَمَدْتُ إِلَيْكَ مَعَ الصَّبَاحِ سُرَاهَا وَأَتَتَكَ تَطْلُبُ مِنْ نَدَاكَ قِرَاهَا
وَسَرَّتْ إِلَيْكَ مَعَ النَّسِيمِ بِمِئْنَاهَا شَوْقًا يَسَابِقُ فِي السَّرَى يُسْرَاهَا

ولولا العَجَرُ لوصلتُ ، والعذرُ لأُطلتُ ، لكن ثُنيتُ عناني لثنائك «
لحُسنِ اعتنائيك ، وقلتُ معذراً من الصُّورة لمجدكم ، وتالياً سريرة حمدكم :

المجد نخبر عن صِدْقِ مآثره وناظمُ المجد في العُلَياءِ نائِرهُ
والجودُ إنَّ جَدَّ جَدِّ المرءِ يُنجدُه وقلُّما نَمَّ في الأَيَّامِ ذاكِرُه
من نال ما نِلْتَ من مجدٍ ومن شرفٍ فليس في الناسِ شخصٌ يُناظرُه
يا سيِّداً طاب في العُلَياءِ مَحْتَدُه ما جِداً رَسَخَتْ فِيهِ أَوَاصِرُه
سَرَيْتَ في الفضلِ مُسْتَنّاً على سُنَنِ في الفضلِ مَارِبُهُ حَقّاً وسامِرُه
ورِثْتَه عن كبيرٍ أَوْحَدٍ عِلْمٍ كذاكَ يَحْمِلُه أيضاً أَكابِرُه
مُبَارَكُ الْوَجْهِ وَضَاحُ الْجَبِينِ لَهُ نورٌ يُنِيرُ أَغْرُ النُّورِ باهرُه
مَوْفَقٌ بِكَفِيلٍ مِنْ عَنایتِهِ مُرَقِّعُ العُذْرِ سائِ الذِّكْرِ طاهرُه
رَعَيْتَ في الفضلِ حَقَّ الفضلِ مجتهداً مفهوماً مجدك هذا الحكمَ ظاهرُه
عَلَوْتُ كالشمسِ إِشْراقاً ومنزلةً فَأَنْتَ كَالغَيْثِ يُخَيِّ الأَرْضَ ماطرُه
يَنْمُ بِالْفَضْلِ مِنْكَ الْفَضْلُ مشتهراً كما يَنْمُ بِزَهْرِ الرُّوضِ عاطرُه
دُمُ وابقِ للمجد كَهْفاً وَالْعَلَا وَزَرّاً^(١) فَإِنَّمَا المجدُ شَخْصٌ أَنْتَ ناظرُه
مُؤَمَّلًا مِنْكَ خيراً أَنْتَ صَانِعُهُ وصانِعُ الخیرِ عِنْدَ اللَّهِ شاکِرُه
وما وُلِّيتُ وما أُولِّيتُ مِنْ حَسَنِ فَلِلنَّاسِ وَالْعَالَمِ الْعُلُوּیِ ذاکِرُه
بَقِيتَ تُكْسِبُ مِنَ الْإِلَاحِ مَكْرَمَةً وَناصِراً أَبَداً مِنْ قَلِّ ناصِرُه

(١) الوزر هو الحبل المنيع أو الملجأ والمتعم .

عذراً لك الفضل عما جيت من خطي أن يُخطِ مثلي يوماً أنت عاذره
ثم السلام على عليك من رجل تُهدى الذي يخفى ضمائره
دخوله غرناطة : دخلها غير ما مرة ، ولقيته بها لتقضى بعض أغراض
بباب السلطان ، مما يليق بمثله .
مولده : (١)
وفاته : توفي ببغش في أنخريات عام خمسين وسبعماية .

محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد
ابن عبد الله العبدري

قرطبي ، استوطن مدينة مراکش ، يكنى أباً بكر .

حاله

كان عالماً بالقراءات ، ذا كراً للتفسير ، حافظاً للفقهاء واللغات والأدب ،
شاعراً مُحَسِّناً ، كاتباً بليغاً ، مبرزاً في النحو ، جميل العشرة ، حسن الخلق ،
متراضعاً ، فكه المحاضرة ، مليح المداعبة . وصنف في غير ما فن من العلم
وكلامه كثير مدون ، نظماً ونثراً .

مشيخته

روى عن أبي بكر بن العربي ، وأبي الحسن شربج . وعبد الرحمن
ابن بقمي ، وابن الباذش ، ويونس بن مغيث ، وأبي عبد الله بن الحاج .
وأبي محمد بن عتاب . وأبي الوليد بن رشد ، ولا زمه عشرين سنة . قرأ

(١) بياض في الأصل .

عليهم وسمع ، وأجازوا له ، وسمع أبا بَحر الأسدي ، وأبوى بكر عيَّاش
ابن عبد الملك ، وابن أبي ركب ، وأبا جعفر بن سانجة^(١) ، وأبا الحسن
عبد الجليل ، وأبا عبد الله بن خلف الأيسري ، وابن المناصف ، وابن أخت
غانم ، ولم يذكر أنهم أجازوا له ، وروى أيضاً عن أبوى عبد الله مكِّي ،
وابن المعمر ، وأبي الوليد بن طريف .

من روى عنه : روى عنه أبو البقاء يعيش بن القديم ، وأبو الحسن
ابن مؤمن ، وأبو زكريا المرجعي ، وأبو يحيى أبو بكر الضرير واختص به .

تواليـفه

من مُصنّفاته « مَسَاجِدُ الْأَفْكَارِ فِي مَأْخِذِ النَّظَارِ » وشرحاه الكبير والصغير
على « جُمْلُ الزَّجَاجِي » ، وشرح أبيات الإيضاح العُصْدِي ، « ومقامات
الحريري » ، وشرح مُعْشَرَاتِهِ الْغَزَلِيَّةَ ، ومُكْفَرَاتِهِ الزَّهْدِيَّةَ ، إلى غير ذلك ،
وهما مما أبان عن وقور علمه ، وغزارة مادته ، واتساع معارفه . وحسن
تصرفه .

دخل غرناطة راوياً عن الحسن بن الباذهن ومثله .

محنة—ه

كان يحضر مجلس عبد المؤمن^(٢) مع أكابر من يحضره من العلماء ،
فيشِفُّ على أكثرهم بما كان لديه من التحقيق بالمعارف . إلى أن أنشد

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وقد تكون صحتها (شائجه) ، وهو تعريب لاسم ملوك
اسبانيا المشهور (سانشو) Sancho . وربما كان هذا العالم من طائفة المولدين (أى مسلمي
الإسبان) .

(٢) هو الخليفة عبد المؤمن بن علي ، أول خلفاء الدولة الموحدية بعد المهدي ابن تومرت .
واسطَلَبَ خلافته بدم واه المهدي في سنة ٥٢٤ هـ حتى وفاته في سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) وقد أشهر
بمجالسه العلمية التي كانت تضم مئات من طلبة العلم . (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ١٤١ حاشية)

أبا محمد عبد المؤمن أبياتاً كان نَظَمَها في أبي القاسم عبد المنعم بن محمد
ابن تَست وهى :

أبا قاسم والهوى جِنَّة وها أنا من مَسِّها لم أَفُتق
تَقَحَّمتْ جامح نار الضلوع كما خضت بحر دموع الحَدَق
أَكُنْتَ الخليلَ أَكُنْتَ الكَلِمَ أَمِنْتَ الحريقَ أَمِنْتَ الفَرَق

فهجره عبد المؤمن ، ومنعه من الحضور بمجلسه ، وصرف بنيه عن
القراءة عليه ، وسرى ذلك فى أكثر من كان يقرأ عليه ، ويتردد إليه .
على أنه كان فى الطبقة العليا من الطهارة والعفاف .

شعره

قال فى أبي القاسم المذكور ، وكان أزرق ، وقد دخل عليه ومعه أبو
عبد الله محمد بن أحمد الشاطبي ، وأبو عثمان سعيد بن قوسرة . فقال
ابن قوسرة :

عابوه بالزُّرْق الذى يَجْفُونه والماءُ أزرَقُ والعَيْنان كذلكا
فقال أبو عبد الله الشَّاطِبي :

الماءُ يُهدى للنفوس حياتها والرُّمَح يُشرع للمَنُون مسالكا
فقال أبو بكر بن ميمون المُترجم به :

وكذلك فى أجفانه سَبَبُ الرَّدَى ولا كن أرى طيب الحياة هُنالكَا

وما استفاض من شعره تموله فى زمن الصُّبا عفا الله عنه :

لا تكثر ثبث بنمراق أو طمان الصُّبا فعسى تذل بغيرهن سَعُودا
والدُّر يُنظَّم عند فَقْد بحماره بجديل أجياد الحِسان عقودا

ومن مشهور شعره :

نوسَلْتُ يا ربِّي بِأَنِّي مُؤْمِنٌ وما قَلْتُ أَنِّي سَامِعٌ وَمُطِيعٌ
أَيُّضَلِي بِحَرِّ النَّارِ عاصٍ مُوحِّدٌ وَأَنْتَ كَرِيمٌ وَالرَّسُولُ شَفِيعٌ

وقال في مرضه :

أَيَّرَنَجِي العِيشَ مِنْ عَلَيَّهِ دَلائِلُ لِلرَّدى جَلِيَّةٌ
أَوْهًا مُخْبِرٌ بِثُؤانٍ ذاك أَمَانٌ وَذا مَنِيَّةٌ

وفاته : توفي بمراكش يوم الثلاثاء الثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى
الآخرة سنة سبع وستين وخمسماية ، ودفن بمقبرة تاغزوت داخل مراكش .
وقد قارب السبعين سنة .

محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النُميري

من أهل وادي آش^(١) ، يكنى أبا عامر .

حاله

كان أحد شيوخ بلده وطالبته ، مشاركاً في فنون ، من فقه وأدب
وعربية ، وهى أغلبُ الفنون عليه ، مطرح السُّنن ، مُحَشَّوْشِ الزُّي ،
قليل المبالاة بنفسه ، مُختَصِراً في كافة شئونه ، ملبحُ الدُّعابة ، زاهد
الحمل ، كثير التواضع ، وبيته معمور بالعلماء أولى الأصالة والتأصيل
تصدر ببلده للفتيا والتدريس والإسماع .

(١) تقع وادي آش ، وبالإسبانية Guadix شرق حضرة غرناطة . وإليها ينسب كثير
كثير من الوزراء والعلماء والأدباء . وقد سبق التعريف بها (انظر ص ١٠٩ من المجلد الأول من
الإحاطة - حاشية) .

مشيخته

قرأ على الأستاذ القاضي أبي خالد بن أرقم ، والأستاذ أبي العباس ابن عبد النور . وروى عن أبيه مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الوزير العالم أبي عبد الله بن ربيع ، والقاضي أبي جعفر بن مسعدة ، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وولى الله الحسن بن فضيلة .
ورحل إلى العدوة ، فأخذ بسبته عن الأستاذ أبي بكر بن عبيدة ، والإمام الزاهد أبي عبد الله بن حريث ، وأبي عبد الله بن الخضار ، وأبي القاسم بن الشاط ، وغيرهم .

شعره

وهو من الجزء المسمى « بشعر من لا شعر له » والحمد لله . فمن ذلك قوله
مدح أبا زكريا العزفي بسبته ، ويذكر ظفـره بالأسطول من قصيدة أولها :
أما الوصال فإنه كالعيد عذرا المتيم واضحا في الغيد .
وفاته : توفي بببلده عام أربعين وسبعماية . ودخل غرناطة ، راويا ومتعلما ، وغير ذلك :

محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن الجدد الفهرى

الحافظ الجليل يكنى أبا بكر ، جليل إشبيلية ، وزعيم وقته في الحفظ .
لبني^(١) الأصل ، إشبيلي ، استدعاه السيد أبو سعيد والى غرناطة ، فأقام بها

(١) نسبة إلى مدينة لبلة وبالإسبانية Niebla ، وهي إحدى مدن ولاية الغرب الأندلسية Algarve ، وتقع غرب إشبيلية على الضفة اليمنى للنهر الأحمر Rio Tinto ، وما زالت حتى اليوم تحتفظ بأسوارها الموحدة المحيطة بها كاملة . وقد سقطت لبلة في يد الموحدين العاشر (الحكيم) ملك قشتالة في سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) .

عنده ، في جُمْلَةٍ من الفضلاء مثله سنين . ذكر ذلك صاحب كتاب « ثورة
المُرِيدِينَ »^(١) .

حاله

كان في حِفْظِ الفقه بَحْرًا يَغْرِفُ من مُحِيط . يقال إنه ما طالع^(٢) شيئاً
من الكتب فَنَسِيَهُ^(٣) ، إلى الجلالة والأصالة ، وبُعْدِ الصَّيْتِ ، واشتِهار
المَحَلِّ . وكان مع هذا يتكَلَّمُ عند الملوك ، وَيَخْطُبُ بين يديها ، ويَأْتِي
بِعُجَابٍ ، وفي كتاب « الإِعلام » شيءٌ من خبره ، قال ابن الزبير .

مُشِيخَتُهُ

روى عن أبي الحسن بن الأخضر ، أَخَذَ عنه كتاب سيبويه وغير ذلك ؛
وعن أبي محمد بن عَتَّاب ، وسمع عليه بعض الموطَّأ ، وعن أبي بَحْرٍ الأَسَدِي ،
وأبي الوليد بن طَرِيف ، وأبي القاسم بن منظور القاضي ، وسمع عليه
صحيح البخاري كله ، وشُرَيْح بن محمد ، وأبي الوليد بن رُشد . وناولهُ
كتاب « البيان والتحصيل » . وكتاب « المَقَدِّمَات » . لقي هؤلاء كلهم ،
وأجازوا له عامة . وأخذ أيضاً عن مالك بن وهيب .

من حَدَّثَ عَنْهُ

أبو الحسن بن زَرْقُون ، وأبو محمد القرطبي الحافظ ، وإبنا حوط الله .
وغيرهم . وعليه من خُتِمَتْ به المائة السادسة كَأَبِي محمد بن جُمْهُور ،

(١) كتاب « ثورة المريدین » من تألیف ابن صاحب الصلاة صاحب كتاب « المن بالإِمة »
(الخالص بتزیه الموحدين) . وهو یمالِج فیما یدو ما وصل إلینا من الإشارات تاریخ وفلسفة ابن قسّی
وزملائه ، زعماء ثورة الغرب فی بداية حکم الموحدين للاندلس . ولم یصل هذا السکتاب الینا .

(٢) وردت فی الإسکوریال (طلع) . وأنصوب من الزيتونة .

(٣) وردت فی الإسکوریال (فانیه) ، والتصویب من الزيتونة .

وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ خَلِيلٍ وَإِخْوَتَهُ الثَّلَاثَةَ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَبِي زَيْدٍ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْحَقِّ . قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ الزُّبَيْرِ :
حَدَّثَنِي عَنْهُ ابْنُ خَلِيلٍ وَأَبُو الْقَاسِمِ الْجُبَّانِيُّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ السَّرَّاجِ .
مَوْلَدُهُ : [بَلْبَلَةَ] ^(١) فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ :
وَتَوَفَّى [بِإِشْبِيلِيَّةِ] ^(٢) فِي شَوَّالِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . ذَكَرَهُ
ابْنُ الْمُلْجُومِ ، وَأَبُو الرَّبِيعِ بْنُ سَالِمٍ ، وَابْنُ فُرْتُونٍ .

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ

ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْفَخَّارِ الْجُدَامِيِّ

يَكْنَى أَبَا بَكْرٍ ، أَرْكُشِيُّ ^(٢) الْمَوْلَدُ وَالْمِنْشَأُ ، مَالِقِيُّ الْأَسْتِيطَانِ ، شَرِيشِيُّ ^(٣)
التَّدْرِيبِ وَالْقِرَاءَةِ .

حَالُهُ

مِنْ « عَايِدِ الصَّلَةِ » : كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ خَيْرًا صَالِحًا ، شَدِيدَ الْانْقِبَاضِ ،
مُغْرَفًا فِي بَابِ الْوَرَعِ ، سَلِيمَ الْبَاطِنِ ، كَثِيرَ الْعَكُوفِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْمُلَازِمَةِ ،
قَلِيلَ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ . خَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ أَرْكُشَ عِنْدَ اسْتِبْلَاءِ الْعَدُوِّ عَلَى
قَصَبَتِهَا ، وَكَانَ يَصِفُهَا ، وَيَنْشِدُ فِيهَا مِنْ شِعْرِ أَسْتَازِهِ الْأَدِيبِ أَبِي الْحَسَنِ
الْكَرْمَانِيِّ :

أَكْرَمَ بِأَرْكُشٍ دَارًا تَاهَتْ عَلَى الْبَدْرِ قَدْرًا
يَخْطُاطِبُ الْمَجْدَ عَنْهَا لِقَلْبٍ تَذَنَّى شُكْرًا

(١) الزِّيَادَةُ مِنْ « جَذْرَةِ الْاِقْتِبَاسِ » .

(٢) نِسْبَةٌ إِلَى مَدِينَةِ أَرْكُشٍ وَقَدْ سَبَقَ التَّرْتِيبُ بِهَا .

(٣) نِسْبَةٌ إِلَى شَرْبِشٍ وَبِالْإِسْبَانِيَّةِ Xerex أَوْ Jerez ، هِيَ مَدِينَةُ أَنْدَلُسِيَّةٌ تَقَعُ عَلَى نَهْرِ

وَادِي لَكَّةَ عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْ ثَغْرِ قَادِسٍ .

واستوطن مدينة شَريش ، وقرأ بها ، وروى بها عن علماءها ، وأقرأ بها .
ولما استولى العدو عليها لحق بالجزيرة الخضراء ، فدرس بها ، ثم عبر البحر
إلى سبتة . فقرأ بها وروى . ثم كَرَّ إلى الأندلس ، فقصده غرناطة ، وأخذ عن
أهلها . ثم استوطن مالقة ، وتصدَّر للإقراء بها . مفيدُ التعليم ، متفَنِّئُه ،
من فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث ، عظيمُ الصبر ، مستغرقُ الوقت .
يدرس من لَدُن صلاة الصبح إلى الزوال . ثم يُسند ظهره إلى طاق المسجد
بعد ذلك ، فيقرئ ، وتأتيه النساء من خلفه للفتيا ، فيفتيهنَّ على حال
سؤالتهنَّ إلى نصف ما بين العصر والعشاء الأولى . ثم يأتي المسجد الأعظم
بعد الغروب ، فيقعُد للفتيا إلى العشاء الآخرة ، من غير أن يَقْبَل من أحد
شيئاً . ومن أخذَ منه بعد تحكيم الورع ، أثابه بمثله . ما رثى في وقته أروع
منه . وكان يتخذ روميةً مملوكةً ، لا يشتمل منزله على سواها ، فإذا أنس
منها الضجر للحصر وتمادى الحجاب ، أعتقها^(١) ، وأضحَبها إلى أرضها .
ونشأت بينه وبين فقهاء بلده خصومة^(٢) في أمور عدَّوها عليه ، لم ارتكبها
اجتهاده في مناط الفتوى ، وعقد لهم أمير المسلمين بالأندلس ، مجلساً ،
أجلى عن ظهوره فيه ، وبقاء رسمه ، فكانت محنة ، وخلَّصه الله منها .
وبلغ من تعظيم الناس إِيَّاه ، وانحياشهم إليه مَبْلَغاً لم يَنْلُه مثله ، وانتفع
بتعليمه ، واستُفيد منه الأدب ، على نُسكه وسداجته .

مَشِيخَتُهُ

قرأ ببِلد شَريش على المُكْتَب الحاج أبي محمد عبد الله بن أبي بكر
ابن داود القيسي . وعلى الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد بن الرباح ، وعلى

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي تزيونة (أطلقها)

(٢) هكذا وردت في التزيونة ، ووردت في الإسكوريال (مشاحة ، مشاحنة) والأولى أرجح .

الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن حكيم السكوني الكرماني . أخذ عنه
العربية والأدب ، وعلى الحافظ أبي الحسن علي بن عيسى المعروف بابن
متيوان ، وعلى الأصولي الكاتب أبي الحسن دلال بن أبي سنان الأزدي
المراكشي ، وعلى الخطيب أبي العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري ،
وعلى الفقيه أبي عبد الله الجنيد المعروف بالغراقي ، وعلى الفقيه العددي
أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الكاتب المكناسي . وقرأ
بالجزيرة الخضراء على الخطيب الصالح أبي محمد الركني ، وزوى عنه ،
وقرأ بها على الخطيب أبي غبيد الله بن خميس ، وعلى الأصولي أبي أمية .
وقرأ بسبته على الأستاذ الفرّضي إمام النحاة أبي الحسن بن أبي الربيع ،
وعلى أبي يعقوب المحبساني ، وعلى المحدث أبي عمرو عثمان بن عبد الله
العبّادي ، وعلى الفقيه المالكي الحافظ أبي الحسن الميثوي ، والأصولي
أبي الحسن البصري ، والفقيه المَعمر الراوية أبي عبد الله محمد الأزدي ،
والمحدث الحافظ أبي محمد بن الكّاد ، وعلى الأستاذ العروضي الكفيف
أبي الحسن بن الخضّار التلمساني . ولقى بغرناطة قاضي الجماعة أبا القاسم
ابن أبي عامر بن ربيع ، والأستاذ أبا جعفر الطّباع ، وأبا الوليد إسماعيل
ابن عيسى بن أبي الوليد الأزدي ، والأستاذ أبا الحسن بن الصّانغ . ولقى
بناقة الخطيب الصالح أبا محمد عبد العظيم بن الشيخ، والراوية أبا عبد الله
محمد بن علي بن الحسن الجذامي السّهيلي . وسمع على الراوية أبي عمرو
ابن حوط الله ، وعلى الأستاذ أبي عبد الله بن عباس القرطبي

تواليه

كن رحمه الله مُعَرِّياً بالتأليف ، فألّف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون
مختلفة . منها كتاب « تحبير نظم الجُمان في تفسير أم القرآن » ،

و « انتفاع الطلبة النباه في اجتماع السبعة القراء » . و « الأحاديث الأربعون بما ينتفع به القارئون والسمعون » ، وكتاب « منظوم الدرر في شرح كتاب المختصر » ، و « كتاب نصح المقالة في شرح الرسالة » ، وكتاب « الجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم » ، وكتاب « استواء النهج في تحريم اللعب بالشطرنج » ، وكتاب « الفيصل المنتقى المهزوز في الرد على من أنكر صيام يوم النيروز » ، وكتاب « جواب البيان على مُصارمة أهل الزمان » ، وكتاب تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر الوقت المُختار على صلاة الصبح للمنفرد في أول وقتها بالابتدار » ، وكتاب « إرشاد السالك في بيان إسناد زياد عن مالك » ، وكتاب « الجوابات المُجمعة عن السؤالات المتنوعة » ، وكتاب « إملا فوايد الدول في ابتداء مقاصد الجمل » ، وكتاب « أجوبة الإقناع والإحساب في مشكلات مسایل الكتاب » ، وكتاب « منهج الضوابط المُقسمة في شرح قوانين المُقدمة » ، وكتاب « التوجيه الأوضح الأسماء في حذف التنوين من حديث أسما » ، وكتاب « التكملة والتبيرة في إعراب البسملة والتضلية » ، وكتاب « سح مُزنة الانتخاب في شرح خطبة الكتاب » . ومنها الأليح المعتمد عليه في الرد على من رفع الخبر بلا إلى سيبويه ، وغير ذلك من مُجيد ومُقصر

شعره

وشعره كثير ، غريب النزعة ، دال على السذاجة ، وعدم الاستيرابة والشعور ، والعفلة المُعربة عن السلامة ، من ارتكاب الحوشى ، واقتحام الضرر^(١) ، واستعمال الألفاظ المشتركة التي تتشبه بها أطراف الملايين

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الضراير) .

والمعاريض ، وَلَع كثير من أهل زمانه بالرَّد عليه ، والتَّمْلُح بما يصدر عنه ،
منهم القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك .

ومن منتخب شعره قوله :

أنظر إلى ورد الرياض كأنه ديباجُ خَدٍّ في بَنان زَبَرْجَد
قد فَتَحَتْه نضارةٌ فبدا له في القلب رونتُ صُفْرَةَ كالعَسجد
حَكَّتِ الجوانبُ خَدَّ حُبٍّ ناعم والقلبُ يحكى خَدَّ صَبٍّ مُكَمَد

حدَّث الفقيه العدل أبو جعفر أحمد بن مُفضل المالقى ، قال ، قال لى
يوما الشيخ الأستاذ أبو بكر بن الفخَّار ، خرجت ذات يوم وأنا شاب من
حَلَقَةِ الأستاذ بشَرِيش ، أعادها الله للإسلام ، فى جملة من الطلبة ، وكان
يقابل باب المسجد حانوت سَرَّاج ، وإذا فتىٌ وسيمٌ فى الحانوت يَرُقُم جِلْدًا
كان فى يده ، فقالوا لى لا تجاوز هذا الباب ، حتى تَصْنَع لنا شعراً فى هذا
الفتى . فقلت :

وربَّ معذَّر للحبِّ داع ^(١) يروق بهاءَ مَنْظَرِهِ البهيج
وشى فى وجنتيه الحسنُ وشياً كَوْشَى يَدَيْهِ فى أدم السروج

مولده : بحصن أَرْكُش بلده ، وكان لا خُبْرَ به ، فى ما بين الثلاثين
والأربعين وست مائة .

وفاته : توفى بمالقة فى عام ثلاثة وعشرين وسبعماية ، وكانت جنازته

بمالقة مشهورة

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى « الزيتونة » (دارع) .

محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي النستائي

من أهل الحنّة من عمل البريّة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف راسن العربي وينتمي في بني أسود من أعيانها .

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من أدل العلم والدين والفضل ، طلق الوجه ، حسن السير ، كثير الحياء ، كأنك إذا كلمته تُخاطب البكر العذراء ، لا تلقاه إلا مُبتسماً ، في حُسن سَمْت ، وفضل هوى ، وجميل وقار ، كثير الخشوع ، وخصوصاً عند الدخول في الصلاة ، تلوح عليه بذلك ، عند تلاوته سبّعى الحضور ، وحلاوة الإقبال . وكان له تحقيق بضبط القراءات ، والقيام عليها ، وعناية بعلم العربية ، مع مشاركة في غير ذلك من الفنون السنية ، والعلوم الدينية . انتصب للإقراء والتدريس بالحنّة المذكورة ، فقرّب النجعة على أهل الحصون والقرى الشرقية ، فصار مُجتمِعاً لأرباب الطلب من أهل تلك الجهات ومُرتفقاتهم . وكان رجلاً صالحاً ، مبارك النية ، حسن التعليم ، نفع الله به من هنالك ، وتخرج على يديه جمعٌ وافر من الطلبة ، عمّرت بهم سائر الحصون . وكان له منزلٌ رحبٌ للقاصدين ، ومُنْتَدَى عذبٌ للواردين . تجول في آخرة بالأندلس والعُدوة ، وأخذ عن لقي بها من العلماء ، وأقام مدةً بسبّنة ، مُكبّاً على قراءة القرآن والعربية . وبعد عوده من تجواله لزم التصدّر للإقراء بحيث ذكر ، وقد كانت الحواضر فقيرة لمثله ، غير أنه آثر الوطن ، واختار الاقتصاد .

مشيخته

أخذ يَأْلَمَرِيَّةً عن شيخها أبي الحسن بن أبي العَيْش ، وبغرناطة عن الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبَيْر ، والعدل أبي الحسن بن مَسْتَقُور . وببِلُّش عن الأستاذ أبي عبد الله بن الكَّمَاد ، والخطيب أبي جعفر بن الزيات . وبمَالَقَة عن الأستاذ أبي عبد الله بن الفَخَّار ، والشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري . وبالجزيرة عن خطيبها أبي العبَّاس بن خَدِيس . وبسَبْتَة عن الأستاذ أبي إسحق العافقي ، والخطيب أبي عبد الله بن رُشيد ، والإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن حُرَيْث ، والقاضي أبي عهد الله القرطبي ، والزَّاهِد أبي عبد الله بن مُعَلَّى ، والشيخ الخطيب أبي عبد الله الغهماري . وبمَكْنَسَة عن القاضي وارياش . وبفاس من الحاج الخطيب أبي الربيع سليمان بن مِفْتَاح اللجَّاي ، والأستاذ أبي الحسن بن سليمان ، والأستاذ أبي عبد الله بن أَجْرُوم الصَّنْهَاجِي ، والحاج أبي القاسم بن رجا ابن محمد بن علي وغيرهم ، وكل من ذُكِرَ أَجَازَ لَهُ عامَة ، إلَّا قاضي مَكْنَسَة أبي عبد الله محمد بن علي الكلبي الشهير بوارياش .

مولده : في أول عام اثنين وثمانين وستماية

وفاته : توفي بالحمّة ليلة الإثنين الثامن عشر لشهر محرم عام

ثمانية وأربعين وسبعماية .

محمد بن علي بن محمد العبدي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باليتيم

حاله

كان رحمه الله أحد الظرفاء من أهل بلده ، مليح الشكل ، حسن الشَّيْبَة ،

لَوْ دَعِيَ فِي وَقَارٍ ، رَشِيقَ النِّظَامِ وَالنَّشْرِ ، غَزَلَ مَعَ الصَّوْنِ ، كَثِيرَ الدُّعَابَةِ مِنْ
غَيْرِ إِفْحَاشٍ ، غَزِيرِ الْأَدَبِ ، حَسَنَ الصَّوْتِ ، رَائِقِ الْخَطِّ ، بَدِيعِ الْوَرَاقَةِ ،
مَعْسُولِ الْأَلْفَاظِ ، مُتَمَتِّعِ الْمُجَالَسَةِ ، طَيِّبِ الْعِشْرَةِ . أَدَّبَ الصَّبِيانَ مَدَّةً ،
وَعَقَدَ الشُّرُوطَ أُخْرَى ، وَكَانَ يَقْرَأُ كُتُبَ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالرَّقَائِقِ
لِلْعَامَةِ بِالمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ ، بِأَعْذَبِ نَغْمَةٍ ، وَأَمْثَلِ طَرِيقَةٍ ، مَذْأَزِيدٍ مِنْ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، لَمْ يُخَلِّ مِنْهَا وَقْتًا إِلَّا لَيْلَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا بِسَبَبِ امْتِسَاكِنَا بِهِ
فِي تَزُهُةٍ بِرِيَاضِ بَعْضِ الطَّلَبَةِ . لَمْ يُخَلِّفْ مِثْلَهُ بَعْدَهُ . وَخُطِبَ بِقَصَبَةٍ
مَالِقَةٍ ، وَمَالَ أُخِيرًا إِلَى نَظَرِ الطَّبِّ ، فَكَانَ النَّاسُ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَنَفَّعُونَ بِهِ
لِنِيَاغِ مِثَارِكِهِ ، وَعُمُومِ انْقِيَادِهِ ، وَبِرِّهِ ، وَعَمَلِهِ عَلَى التَّوَدُّدِ وَالتَّجَمُّلِ .

وَجَرَى ذِكْرُهُ فِي « النَّجَاحِ الْمُحَلِّي » بِمَا نَصَّهُ : مَجْمُوعُ أَدَوَاتِ حِسَانٍ ، مِنْ
خَطِّ وَنَغْمَةٍ وَلِسَانٍ ، أَوْرَاقُهُ رَوْضُ تَضَوُّعِ نَسَمَاتِهِ ، وَيَشْرُهُ صَبْحُ تَنَاقُلِ
قَسَمَاتِهِ ، وَلَا يُخْفَى سِيَمَاتِهِ . يُقَرِّطُ أَغْرَاضَ الدُّعَابَةِ وَيُصَمِّمُهَا ، وَيُفَوِّقُ سِيَهَامَ
الْفُكَاكَةِ إِلَى مَرَامِيهَا ، فَكَلَّمَا صَدَرَتْ فِي عَصْرِهِ قَصِيدَةٌ هَازِلَةٌ ، أَوْ أَبْيَاتٌ
مُنْحَطَّةٌ عَنِ الْإِجَادَةِ نَازِلَةٌ ، خَمَسَ أَبْيَاتَهَا وَذَيْلُهَا ، وَصَرَفَ مَعَانِيَهَا وَسَهْلُهَا ،
وَتَرَكَهَا سَمَرَ الثَّلَمَانِ ، وَأَضْحَكَ الزَّمَانَ . وَهُوَ الْآنَ خَطِيبُ الْمَسْجِدِ الْأَعْلَى
مِنْ مَالِقَةٍ ، مُتَحَلٍّ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ ، حَالٍ مِنْ أَهْلِهَا بِمَكَانَةٍ مَكِينَةٍ ، لسهولة
جَلْبِهِ ، وَاتِّصَاحِ مَقَاصِدِهِ فِي الْخَيْرِ وَمَذَاهِبِهِ . وَاشْتَغَلَ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ بِالتَّعْلِيمِ
وَالتَّكْوِينِ ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْوَقَارِ وَالتَّرْتِيبِ ، وَلِلشَّبَابِ لَمْ يَنْصِلْ خَضَابِهِ ،
وَلَا شُلَّتْ لِلْمَشِيبِ عِضَابُهُ ، وَنَفْسُهُ بِالمَحَاسَنِ كَلِيفَةٌ ، وَشَأْنُهُ كُلُّهُ هَوًى
وَمُحِبَّةٌ . وَلِذَلِكَ مَا خَاطَبَهُ بِهِ بَعْضُ أَوْدِيَاءِهِ ، وَكَلَاهُمَا رَمَى أَهْلَهُ بِدَايِهِ ،
حَسِبَا بَاتَى خِلَالَ هَذَا الْمَقُولِ فِي أَثْنَائِهِ بِحَوْلِ اللَّهِ .

شعره

كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْأَلُ مِنْهُ مَا أَثْبَتُ فِي كِتَابِ «التَّاج» مِنْ شِعْرِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ :
 أَمَا الْعَرَامُ فَلِمَ أُخْلِلَ بِمَذْهَبِهِ فَلِمَ حَرَمْتَ فُؤَادِي نَيْلَ مَطْلَبِهِ
 يَا مُعْرِضاً عَنْ فُؤَادٍ لَمْ يَزَلْ كَلِيفاً بِحُبِّهِ ذَا حِذَارٍ مِنْ تَجَنُّبِهِ
 قَطَعْتَ عَنْهُ الَّذِي عَوَّدْتَهُ فَعْدَا وَحُظُّهُ مِنْ رِضَاهُ بَرَقَ خُلْبِهِ
 أَيَّامَ وَصْلِكَ مَبْدُولٌ وَبِرُّكَ بِي مُجْدِدٌ قَدْ صَفَا لِي عَذْبُ مَشْرِبِهِ
 وَسَمِعُ وَدُّكَ عَنْ إِفْكَ الْعَوَازِلِ فِي شُغْلٍ وَبِدْرِ الدُّجَى نَاسٍ لِمَغْرِبِهِ
 أَلَا أَنْتَ تَمْنَعُنِي نَيْلَ الرِّضَا كَرَمًا وَلَا فُؤَادِي بِوَانٍ فِي تَطْلُبِهِ
 اللَّهُ عَرَفَكَ مَا أَذْكِي تَنْسَمُهُ لَوْ كُنْتَ تَمْنَحُنِي اسْتِشْقَاقَ طَيْبِهِ
 أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي لَمْ أَتَّخِذْ بَدَلَا مِنْهُ وَحَاشَ لِقَلْبِي مِنْ تَقَلُّبِهِ
 يَا ابْنَ الْخَطِيبِ الَّذِي قَدْ فُقِّتَ كُلُّ سِنَاءٍ أَزَالَ عَنْ نَازِلِي إِظْلَامَ غَيْبِهِ
 مُحَمَّدُ الْحَسَنِ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ كَمَلْتَ بِاسْمِكَ مَعْنَى الْحُسْنِ فَازَهُ بِهِ
 نَأَيْتَ أَوْ غَيْتَ مَالِي عَنْ هَوَاكَ غَنِيٌّ لَا يَنْقُصُ الْبَدْرُ حُسْنًا فِي تَغْيِيرِهِ
 سَيَّانُ حَالُ التَّدَانِي وَالْبُعَادِ وَهَلْ لِمُبْصِرِ الْبَدْرِ نَيْلٌ فِي تَرْقُبِهِ
 يَأْمَنُ أَحْسِنَ ظَنِّي فِي رِضَاهُ وَمَا يَنْفَكُ يُبْدِي قَبِيحًا مِنْ تَغَضُّبِهِ
 إِنْ كَانَ ذَنْبِي الْهَوَى فَالْقَلْبُ مَنِيٌّ لَا يُصْنَعِي لِسَمْعٍ مَلَامٍ مِنْ مُؤَنَّبِهِ

فَأَجَبْتُهُ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَهِيَ ظَرِيفَةٌ فِي مَعْنَاهَا :

« يَا سَيِّدِي ، الَّذِي إِذَا رُفِعَتْ رَايَةُ ثَنَائِهِ تَلَقَّيْتُهَا بِالْيَدَيْنِ ، وَإِذَا قُسِّمَتْ
 سِهَامُ وَدَّادِهِ عَلَى ذَوِي اعْتِقَادِهِ ، كُنْتُ صَاحِبَ الْفَرِيضَةِ وَالِدِّينِ ، دَامَ
 بِقَاوُكَ لَطَرُفَةٌ تُبَدِّلُهَا ، وَغَرِيبَةٌ تُرَدِّفُهَا ، بِأُخْرَى تَلِيهَا ، وَعَقِيلَةٌ بَيَانٍ تُحْلِيهَا
 وَنَفْسٌ أَخَذَ الْحُزْنَ بِكَظْمِهَا ، وَكَلِّفَ الدَّهْرُ بِشَتْ نَظْمِهَا ، تُؤَنِّسُهَا وَتُسْلِيهَا ،
 لَمْ أَزَلْ أَعَزُّكَ اللَّهُ ، أَشَدُّ عَلَى بَدَايِعِهَا يَدَ الضَّئِنِ ، وَأَقْتَنِي دُرَرَ كَلَامِكَ ،

ونَفَثَاتُ أَقْلَامِكَ ، اقْتِنَاءُ الدَّرِّ الشَّمِينِ ، وَالْأَيَّامُ بَلَقِيَاكَ تَعِدٌ وَلَا تَسْعِدُ ،
 وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ انشَأْتَ عَلَى سَمَاوِكَ بَعْدَ قَعْحَطٍ ، وَتَوَالَتْ عَلَى آلَاؤِكَ عَلَى شَحْطٍ ،
 وَزَارَتْكَ مِنْ عَقَائِلِ بَيَانِكَ كُلُّ فَائِئَةِ الطَّرْفِ ، عَاطِرَةُ الْعَرْفِ ، رَافِلَةٌ فِي حُلِّ
 الْبَيَانِ وَالطَّرْفِ ، لَوْ ضُرِبَتْ بَيُوتُهَا بِالْحِجَازِ ، لَأَقَرَّتْ لَنَا الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ
 بِالْإِعْجَازِ ، مَا شِيتَ مِنْ رَصْفِ الْمَبْنَى ، وَمَطَاوَعَةِ اللَّفْظِ لَغَرَضِ الْمَعْنَى ،
 وَطِيبِ الْأَسْلُوبِ ، وَالتَّشْبِثِ بِالْقُلُوبِ . غَيْرَ أَنَّ سَيِّدِي أَفْرَطَ فِي التَّنْزِيلِ ،
 وَخَلَطَ الْمَخَاطِبَةَ بِالتَّغْزِيلِ ، وَرَاجَعَ الْأَلْتِفَاتِ ، وَرَامَ اسْتِدْرَاكَ مَا فَاتَ . يَرْحَمُ
 اللَّهُ شَاعِرَ الْمَعْرِهَةِ ، فَلَقَدْ أَجَادَ فِي قَوْلِهِ ، وَأَنْكَرَ مَنَاجَاةً لِلشُّوقِ ، بَعْدَ انْصِرَامِ
 حَوْلِهِ فَقَالَ :

أَبْعَدَ حَوْلٍ تُنَاجِي لِلشُّوقِ نَاجِيَةً هَلَّا وَنَحْنُ عَلَى عَشْرِ مِنَ الْعُشْرِ
 وَقَدْ تَجَاوَزْتَ فِي الْأَمَلِ ، وَأَنْسَيْتَ أَخْبَارَ صَاحِبِكَ عَبْدَ الصَّمَدِ ، فَأَقْسَمُ
 بِأَلْفَاتِ الْقُدُودِ ، وَهَمْزَاتِ الْجُفُونِ السُّودِ ، وَحَامِلِي الْأَرْوَاحِ مَعَ الْأَلْوَاكِ ،
 بِالْغَدْوِ وَالرَّوَاكِ ، لَوْلَا بُعْدُ مَزَارِكَ ، مَا أَمِنْتُ غَايِلَةً مَا تَحْتَ إِزَارِكَ . ثُمَّ
 إِنِّي حَقَّقْتُ الْغَرَضَ ، وَبَحِثْتُ عَنِ الْمُسْكَلِ الَّذِي عَرَّضَ ، فَقُلْتُ لِلْخَوَاطِرِ
 انْتِقَالِ ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَ ، وَتَخْتَلَفُ الْحَوَائِجُ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ ، ثُمَّ رَفَعَ
 اللَّبَسَ خَبِرُ الثَّقَاتِ .

ومنها : وَتَعَرَّفْتُ مَا كَانَ مِنْ مُرَاجَعَةِ سَيِّدِي لِحَرْفَةِ التَّكْتِيبِ وَالتَّغْلِيمِ ، وَالْحَنِينِ
 إِلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ ، فَسُرُورَتِ بَاسْتِقَامَةِ حَالِهِ ، وَفَضْلُ مَالِهِ . وَإِنْ لَاحِظُ
 الْمُلَاحِظُ مَا قَالِ الْجَاحِظُ ، فَاعْتِرَاضٌ لَا يَرُدُّ ، وَقِيَاسٌ لَا يُضْطَرُّ . حَبْدًا وَاللَّهِ
 عِشْرَ أَهْلِ النَّادِيَةِ ، فَلَا بِالضَّنْكِ وَلَا بِالْجَلِيلِ ، مَعَاهِدَةُ الْإِحْسَانِ .
 وَمَشَاهِدَةُ الصُّورِ الْحَسَنِ . يَمِينًا إِنَّ الْمُعَلِّمِينَ لِسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ . وَإِنِّي لَأَنْظُرُ
 مِنْهُمْ ، كُلَّمَا خَطَرَتْ عَلَى الْمَكَاتِبِ . أَمْرًا فَوْقَ الْمَرَاتِبِ ، مِنْ كُلِّ مُسَيِّطِرٍ

الدَّرة ، مُتَقَطَّبُ الأَسيرة ، مُتَنَمِّرٌ لِلوَارِدِ تَنَمَّرُ الهَرَّةُ ، يَغْلُو إِلَى مَكْنَبِهِ ،
والأَمِيرُ فِي مَوْكِهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَقَلَّ فِي فَرْشِهِ ، وَاسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ ، وَتَرَنَّمَ
بِتِلَاوَةِ قَانُونِهِ وَوَرَشِهِ ، أَظْهَرَ لِلخَلْقِ احْتِقَاراً ، وَأَنْدَى بِالْجِبَالِ وَقَاراً ،
وَرُفِعَتْ إِلَيْهِ الْخُصُومُ ، وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ الظَّالِمُ وَالْمَظْلُومُ ، فَنَقُولُ كِشْرَى
فِي إِيْوَانِهِ ، وَالرَّشِيدُ فِي زَمَانِهِ ، وَالْحَجَّاجُ بَيْنَ أَعْوَانِهِ . وَإِذَا اسْتَوَى عَلَى
الْبَدْرِ السَّرَّارِ ، وَتَبَيَّنَ لِلشَّهْرِ الْقَرَارُ^(١) ، وَتَحَرَّكَ إِلَى الْخَوَّجِ ، تَحَرَّكَ الْقَرْدُ
إِلَى الْفَرَجِ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مَا يَشُقُّ عَلَى سَيِّدِي سَمَاعَهُ ، وَتَشْمَتُ مِنْ ذِكْرِهِ
طِبَاعُهُ ، شَيْمُ اللِّسَانِ ، خَلَطُ الإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ ، وَالْغَفْلَةُ مِنْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ .
فَأَيُّ عَيْشٍ هَذَا الْعَيْشُ ، وَكَيْفَ حَالِ أَمِيرِ هَذَا الْجَيْشِ ، طَاعَةُ مَعْرُوقَةٍ ،
وَوُجُوهٌ إِلَيْهِ مَصْرُوفَةٌ ، فَإِنْ أَشَارَ بِالْإِنْصَاتِ ، تَتَحَقَّقُ الْغُصَّاتُ ، فَكَأَنَّمَا
طَمَسَ الْأَنْوَاهُ ، وَلَامَ بَيْنَ الشُّفَاهِ . وَإِنْ أَمَرَ بِالْإِفْصَاحِ ، وَتِلَاوَةِ الْأَلْوَاكِ ،
عَلَا الضُّجْجُ وَالْعَجِيجُ ، وَحَفَّ بِهِ كَمَا حَفَّ بِالْبَيْتِ الْحَجِيجُ . وَكَمْ بَيْنَ
ذَلِكَ مِنْ رِشْوَةٍ تُدْمَسُ ، وَغَمَزَةٍ لَا تُحَسُّ ، وَوَعْدٍ يُسْتَنْجَزُ ، وَحَاجَةٍ تُسْتَعَجَّلُ
وَتُخَفَّزُ . هُنَا اللَّهُ سَيِّدِي مَا خَوْلَهُ ، وَأَنْسَاهُ بِطِيبِ آخِرِهِ أَوَّلَهُ . وَقَدْ بَعَثْتُ
بِدُعَابَتِي هَذِهِ مَعَ إِجْلَالِ قَدْرِهِ ، وَالثَّقَّةِ بِسَعَةِ صَدْرِهِ ، فَلْيَتَلَقَّهَا بِبَيْمِينِهِ ،
وَيَفْسَحْ لَهَا فِي الْمَرْتَبَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْدَيْنِهِ ، وَيُفَرِّغْ لِمِرَاجِعَتِهَا وَقْتاً مِنْ أَوْفَاتِهِ ،
بِمُقْتَضَى دِينِهِ ، وَفَضْلِ يَقِينِهِ ، وَالسَّلَامِ .

وَمِنْ شَعْرِهِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى :

آيَاتِ حُسْنِكَ حُجَّةٌ لِلْقَسَالِ	فِي الْحُبِّ قَائِمَةٌ عَلَى الْعُدَالِ
يَا مَنْ سَبَّاحًا طَوَعَا عَقُولَ ذَوِي النُّهَى	بِبِلَاغَةٍ قَدْ أُيِّدَتْ بِجَمَالِ
يَسْتَعْبِدُ الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ مَا	يَجْلُو وَيَتْلُو مِنْ سَنِيِّ مَقَالِ

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (الْمَرَارِ) . وَنَعْتَقِدُ أَنَّ التَّصْوِيبَ أَرْجَحُ .

وعليك أهواء النفوس بأسرها
 رفعت لريه^(١) في البلاغة راية
 وغدت تُباهى منك بالبذر الذي
 ماذا ترى يا ابن الخطيب لخطاب
 جذبته نحو هواك غر محاسن
 وشمائل رقت لرقّة طبعها
 وحلّى آداب بمثل نفيسها
 يستخدم الياقوت عند نظامها
 سبق الأخير الأولين بفضلها
 شغفى بذكر من عقايلها إذا
 فابعث بها نلت المنا مهوره
 لازلت شمساً في الفضائل يهتدى
 ثم السلام عليك يترى ما تلت
 ومن الدعابة ، وقد وقعت إليها الإشارة من قبل ، ما كتب به إليه
 صديقه الملائف أبو علي بن عبد السلام :

أبا عبد الله نداء خلّ وفي
 جاء يمنحك النصيحة
 إلى كم تألف الشبان غياً
 وخذلانا أما تخشى الفضيحة
 فأجابه رحمه الله :

فديتاك صاحب السمة المليحة
 ومن قلبي وضعت له محلاً
 ومن طابت أرومته الصريحة
 فما عنه يحلّ بأن أزيحه
 نأيت فدمع عيني في انسكاب
 وأكباد لفرقتكم قريحة

(١) ربه هنا هو اسم الولاية الأندلسية التي يقع بها ثمر مالقة بلد المرجم له . وبالإسبانية Rejio

وَطَرَفِي لَا يُتَاحَ لَهُ رُقَادٌ وهل نَوْمٌ لِأَجْفَانٍ جَرِيحَةٍ
 وَزَادَ تَشَوُّقِي أَبْيَاتُ شَعْرٍ أَنْتَ مِنْكُمْ بِالْفَافِ فَصِيحَةٍ
 وَلَمْ تَقْصِدْ بِهَا جَدًّا وَلَا كُنْ قَصَدْتَ بِهَا مُدَاعِبَةً قَبِيحَةٍ
 فَقُلْتَ أَتَأَلَّفُ الشَّبَانَ غِيًّا وَخِذْلَانَا أَمَا تَخْشَى الْفُضِيحَةَ
 وَفِيهِمْ حِرْفَتِي وَقَوَامُ عَيْشِي وَأَحْوَالِي بِخُلُطَتِهِمْ نَجِيحَةَ
 وَأَمْرِي فِيهِمْ أَمْرٌ مُطَاعٌ وَأَوْجُهُهُمْ مَصَابِيحُ صَبِيحَةِ
 وَتَعْلَمُ أَنَّي رَجُلٌ حَصُورٌ وَتَعْرِفُ ذَاكَ مَعْرِفَةً صَحِيحَةَ

قال في «التاج»^(١) : ولما اشتهر المشيب بعارضه وليمته ، وخَفَرَ الدهر
 لعمود صباه وإذمته ، أَقْلَعَ واسترجع ، وتَأَلَّمَ لما فَرَطَ وتَوَجَّعَ ، وهو الآن
 من جِلَّةِ الخطباء ، طاهرُ العرض والثوب ، خالصُ من الشوب ، بادٍ عليه
 قبولُ قابلِ التوب .

وفاته رحمه الله : في آخر صفر من عام خمسين وسبعماية في وقعة
 الطاعون العام^(٢) ، ودخل غرناطة .

ومن الغرباء في هذا الباب

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق المَجْبِسِي

من أهل تِلْمَسَانَ ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرقية

بشمس الدين

(١) هو كتاب « التاج المحلى في مساجلة القدرح المولى » من كتب ابن الخطيب الصغيرة . وقد سبق
 ذكره فيما تقدم غير مرة .

(٢) سبق التعرف بهذا الطاعون في ترجمة ابن محارب الصريحي (راجع ص ٧٩ من هذا
 المجلد - حاشية) .

حاله

هذا الرجل من طُرْفِ دهره ظَرْفًا وخصوصيةً ولطافةً ، مليح التوسّل (١) حسن اللقاء ، مبذول البشر ، كثير التّودّد ، نظيف البِزّة ، لطيف التّأثّي ، خيّر البيت ، طَلَقُ الوجه ، خلُوب اللسان ، طيّب الحديث ، مُقدّر الألفاظ ، عارف بالأبواب ، دَرَبٌ على صُحبة الملوك والأشراف ، مُتقاضٍ لإيثار السلاطين والأمراء ، يَسْجِرُهُمْ بخلاصة لفظه ، وَيَفْتَلِهِمْ في الذُّروة والغارب بَتَنَزُّله ، وَيَهْتَدِي إلى أغراضهم الكميّنة بحِذْقِه ، وَيَضْمَع غاشيتهم بتلطّفه ، ممزوجُ الدُّعابة بالوقار ، والفكاهة بالنُّسك ، والجِشْمَة بالبَسْط ، عظيم المشاركة لأهل وُدّه ، والتّعصّب لإخوانه ، إلفٌ مألوف ، كثير الأتباع والعِلق ، مُسَخَّرُ الرِّقَاع في سبيل الوساطة ، مُجْدِي الجاه ، غاصُّ المنزل بالطلّبة ، مُنْقَادُ الدَّعوة ، بارع الخط ، أنيقه ، عذب التّلاوة ، متّسع الرواية ، مشاركٌ في فنون ، من أصول وفروع وتفسير ، يكتب ويُسَعر ويُقيّد ويؤلف ، فلا يعدو السّداد في ذلك ، فارسٌ مِنْهَرٍ غير جَزوع ولا هيابة (٢) .

رَحَلَ إلى المشرق في كَتَفِ حِشْمَة من جناب والده رحمه الله ، فحجَّ وجاور ، ولقى الجِلَّة ، ثم فارقة ، وقد عُرف بالمشرق حقّه ، وصَرَفَ وجهه إلى المغرب ، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره ، اشمألا خلطه بنفسه ، وجعله مَفْضَى سِرِّه ، وإمام جُمُعته وخطيب مِنْبَرِه ، وأمين رسالته ، فقدم في غَرَضِها على الأندلس في أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعماية ، واجذبه سلطانها رحمه الله ، وأجراه على تلك الوَتييرة ، فقلّده الخُطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، وأقَعده للإقراء بالمدرسة من

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي جذوة الاقتباس (الزّسل) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النّفع (هياب) .

حَضَرْتُهُ . وفي أخريات عام أربعة وخمسين بعده أَطْرَفَ عَنْهُ حِفْنَ بَرٍّ ، في أسلوب طِمَاحٍ^(١) ودَالَّةٍ ، وسبيل هوى وَقِحةٍ ، فاغتنم العبرة ، وانتهز الفرصة ، وَأَنْفَذَ في الرَّحِيلِ العَزْمَةَ ، وانصرف عزيز الرحلة ، مغبوط المنقلب ، في أوائل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعماية ، فاستقر بباب ملك المغرب ، أمير المؤمنين أَبِي عِنَانِ فَارِسٍ في مَحَلٍّ تَجَلَّه ، وبِإِسَاطٍ قُرْبٍ ، مُشْتَرِكٍ الجاه ، مُجْدَى التَّوَسُّطِ ، نَاجِعُ الشَّفَاعَةِ ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ وَيَزِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ .

مَشِيخَتُهُ

[من كتابه المسمى « عَجَالَةُ الْمُسْتَوْفِزِ الْمُسْتَجَازِ فِي ذِكْرِ مَنْ سَمِعَ مِنَ الْمَشَائِخِ دُونَ مَنْ أَجَازَ ، مِنْ أَئِمَّةِ الْمَغْرِبِ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ » . فَمَنْ لَقِيَهُ بِالْمَدِينَةِ الْمُشْرِفَةِ عَلَى سَاكِنِهَا الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ عَزَّ الدِّينَ مُحَمَّدٌ أَبُو الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْوَاسِطِيِّ صَاحِبِ خُطَطِي الْإِمَامَةِ وَالْخُطَابَةِ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ ، وَأَفْرَدَ جُزْءًا فِي مَنَاقِبِهِ . وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الْإِمَامُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَلْفِ بْنِ عَيْسَى الْخَزْرَجِيُّ السَّعْدِيُّ الْعَبَّادِيُّ ، تَحَمَّلَ عَنْ عَفِيفِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مَزْرُوعٍ وَأَبِي الْيُمْنِ وَغَيْرِهِ . وَالشَّيْخُ الْإِمَامُ خَادِمُ الْوَقْتِ بِالْمَسْجِدِ الْكَرِيمِ وَنَائِبُ الْإِمَامَةِ وَالْخُطَابَةِ بِهِ ، وَمُنْشِدُ الْأُمْدَاحِ النَّبَوِيَّةِ هُنَالِكَ]^(٢) . وَبِمَكَّةَ شَرَّفَهَا اللَّهُ ، الشَّيْخُ الْمُعَمَّرُ الثَّقَةُ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَجَّيُّ الْمَكِّيُّ . وَالشَّيْخُ الصَّالِحُ شَرَفُ الدِّينِ خَضِرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَجَمِيُّ . وَالشَّيْخُ مُقَرَّرِيُّ السَّحَرِ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ وَالنَّفْعِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (طَمَعٌ) .

(٢) هَذَا مَا وَرَدَ فِي الزَّيْتُونَةِ عَنْ مَشِيخَةِ ابْنِ مَرْزُوقٍ . وَوَرَدَ عَنْهَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ مَا يَتَّقَى فَقَطْ (مَقُولَةٌ مِنْ خَطِّهِ وَكِتَابُهُ الْمُسَمَّى عَجَالَةُ الْمُسْتَوْفِزِ الْمُسْتَجَازِ . فِي ذِكْرِ مَنْ سَمِعَ مِنَ الْمَشَائِخِ دُونَ مَنْ أَجَازَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمَغْرِبِ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ ، اخْتَصَرَتْهَا لِطَوَّلِهَا إِذْ هِيَ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْرَاقٍ) . وَتَدْرَأُضِفُ نَحْنُ إِلَيْهَا عِدَّةَ أَسْمَاءٍ أُخْرَى . وَأَوْرَدَهَا الْمُقَرَّرِيُّ بِجَمَلَتِهَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ٢ ص ٢٠١ و ٢٠٢)

برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الآبلى المصري . والشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي الحجة ، انتهت إليه الرئاسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم . والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكيناني قاضي القضاة بمصر . وبمصر الشيخ علاء الدين القونوي . والتقى السعدى ، وقاضى القضاة القزويني ، والشرف ألقى القضاة الإخميمي ، وكثيرون غيرهم . وسمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة والحفاظ والعلماء بتونس ، وبجاجة ، والزاب ، وتلمسان

محنته

اقتضى الخوض الواقع بين يدي تامل الأمير أبي الحسن رحمه الله ، وتوقع عودة الأمر إليه ، وقد ألقاه اليوم بالساحل بمدينة الجزائر ، أن قبض عليه بتلمسان ، أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة ، من بنى زيان ، إرضاء لقبيلهم ، المتهم بمداخلته ، وقد رحل عنهم دسيساً من أميرهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمرايين ، فصرف مأخوذاً عليه طريقه ، منتهباً رحله ، منتهكة حرمة ، وأسكن قرارة مطبق عميق القعر ، مقل المسلك ، حريز القفل ، ثانی اثنين . ولأيام قتل ثانيه ذبحاً بمقربة من شقى تلك الركية ، وانقطع لشدة الثقاف أثره ، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه . ولزمان [من] ^(١) محنته ظهرت عليه بركة سلفه ، في خبر ينظر بطرقه ^(٢) إلى الكرامة ، فنجا ولا تسل كيف ، وخلّصه الله خلاصاً جميلاً ، وقديم على الأندلس ، والله ينفعه بمحنته ^(٣) .

(١) هذه الكلمة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (بطرف) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بنيته) ف

شعره

وما وقع من المكاتبة بيني وبينه .

رَكِبَ مع السلطان خارج الحمراء ، أيام ضَرَبَتِ اللَّوْزُ قَبَابَها البِيضُ ،
وَزَيَّنَتِ الفَحْصُ العَرِيضُ ، والرَّوْضُ الأَرِيضُ ، فارتجل في ذلك :

[أنظر إلى النُّوَارِ في أغصانه يحكي النجوم إذا تَبَدَّتْ في الحَلَاكِ (١)
حيًّا أمير المسلمين وقال قد عَمِيَتْ بصيرةٌ من بغيرك مثلك
با يوسفًا حُرَّتِ الجمال بأسره فمحاسنُ الأيام تُؤمِّي هَيْتَ لك
أنت الذي صَعَدَتْ به أوصافه فيقال فيه ذا مَلِكٍ أو مَلِكِ

ولما قدمتُ على مدينة فاس في غرض الرسالة ، خاطبني بمنزل الشاطبي
على مَرَحَلَةٍ منها بما نصه :

يا قادمًا وافي بكل نجاج أبشِّر بما تلقاه من أفراح
هذي ذرى ملك الملوك فلذَّ بها تنل المني وتفرُّ بكل سماح
مغنى الإمام أبي عنان يَمُنُّ تظفر ببحر في العلي (٢) طَفَّاح
من قاس جُودَ أبي عنان ذي الندى بسواه قاس البحر بالضَّحْضاح
ملكٌ يفيض على العفاة نواله قبل السؤال وقبل بَسْطَةِ راح
فلجود كعب وابن سعدى في الندى ذكرُّ محاه من نِداء ماح
ما أن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله من أَرِيحِي للندى مُرتاح
بَسَطَ الأمان على الأنام فأصبحوا قد ألحفوا منه بظلِّ جِناح
وهمي على العافين سيبُ نواله حتى حكى سَحَّ الغمام السَّاح
فنواله وجلالُه وفعاله فاقت وأَعْيَتِ أَلْسُنُ المُدَّاح

(١) هذا البيت وارد في « الزيتونة » والنفح ، وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الاسكوريال والنفح . وفي الاستقصا (بالندا) (ج ٢ ص ٩٢) .

وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت كل المنى تنقاد بعد جماع
 من كان ذا ترح فرؤية وجهه متلافة الأحزان والأنراح
 فانهض أبا عبد الإله تفرّج بما تبغيه من أمل ونيل نجاح
 لازلت ترتشف الأمانى راحة من راحة المولى بكل صباح
 والحمد لله ياسيدى وأخى على نعيمه التى لا تحصى حمداً يوم به
 جميعنا المقصد الأسنى ، فيبلغ الأمد الأقصى ، فطالما كان معظم سيدى
 للأسى فى خيال ، وللأسف بين اشتغال بال ، واشتغال بلبال . ولقدومكم
 على هذا المقام العلى فى ارتقاب ، ولمواعدكم بذلك فى تحقق وقوعه من
 غير شك ولا ارتياب ، فها أنت تجتلى ، من هذا المقام العلى ، لتشيّعك
 وجوه المسرات صباحاً ، وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صباحاً
 بحول الله . ولسيدى الفضل فى قبول مرّكوبه الواصل إليه بسرّجه ولجامه ،
 فهو من بعض ما لدى المحب^(١) من إحسان مولاى وإنعامه . ولعمرى لقد
 كان وافداً على سيدى فى مُستقرّه مع غيره . فالحمد لله الذى يسّر فى إيصاله
 على أفضل أحواله .

فراجعته بقولى :

راحتْ تذكّرني كؤوس الرّاح	والقُرب يخفض للجنوح جناح
وسرّت تدلّ على القبول كأنما	دلّ النسيم على انبلاج صباح
حسناء قد غيّبت بحُسن صفاتها	عن دملج وقلادة ووشاح
أمست تحضّ على اللّياذبن جرّت	بسُعوده الأقلام فى الأفرّاح
بخليفة الله المؤيد فارس	شمس المعالي الأزهر الوضّاح
ما شيت من همم ومن سيم غدت	كالزهر أو كالزهر فى الأدواح

(١) مكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (المعظم) .

فضلُ الملوكِ فليس يُدركُ شأوه أني يُقاسُ الغمرُ بالضَّحاح
 أسنى بنى عباسِهِم بلوانه المنصور أو بحسامه السفاح
 وغدت مغاني الملك لما حلَّها تزهي ببدر هُدىً وبحر سماح
 وحياءُ من أهداك تحفة قادم في العرف منها راحة الأرواح
 مازلتُ أجعل ذكره وثناءه رُوحى وزِيحاني الأريج وراح
 ولقد تمازج حبه بجوارحي كمازج الأجسام بالأرواح
 ولو أنني أبصرت يوماً في يدي أمرى لطرتُ إليه دون جناح
 فالآن ساعدني الزمان وأيقنت من قُربه نفسى بفوز قِداح
 إليه أبا عبد الإلاه وإنسه لنداء ودُّ في علاك صُراح
 أما إذا استنجدتني من بعد ما رككتُ لما خَبَت الخطوب رِياح
 فآليتها مهزولة وأنا امرؤ قررتُ عجزى وأطرحْتُ سلاح

سيدى : أبقاك الله لعهد تحفظه ، وولى بعين الولاء تلحظه . وصلتني
 رفعتك التي ابتدعت ، وبالحق من مدح المولى الخليفة صدعت ، وألفتني
 وقد سطت بي الأحوال ، حتى كادت تُتلف الرِّحال ، والحاجة إلى الغذاء ،
 قد شمرت كشح البطين ، وثانية العجماوين قد توقع فوات وقتها ،
 وإن كانت صلاتها صلاة الطين ، والفكر قد غاض مَعِينُهُ ، وضعف وعلى الله
 جزاء المولى الذى يُعِينُهُ ، فغزنتى بكتيبة بيان أسدّها هُصور ، وعلمها منصور ،
 وألفاظها ليس فيها قُصور . ومعانيها عليها الحُسن مَقْصور ، واعتراف مثلى
 بالعجز فى المضايق حول ومِنَّة . وقول لا أدري للعالم فكيف لغيره جنة .
 لآكنها بشرتني بما يقل لمهديه ^(١) بذل النفوس وإن جَلَّت ، وأطلعتني من

(١) هكذا الإسكورييل . وفى النسخ والاستقصاء (المؤديه) .

السَّراءِ على وجه تحسده الشمس إذا تَجَلَّتْ ، بما أعلمت ^(١) به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله ، في عبْدِه ، وصِدْقِ المَخِيلَةِ في كَرَمِ مَجْدِه . وهذا هو الجود المحض ، والفضل الذي شُكِرْهُ هو الفَرَضُ . وتلك الخلافة المُولَوِيَّةُ تَتَّصِفُ بصفة ^(٢) من يبدأ بالنَّوال ، من قَبْلِ الضَّرَاعَةِ والسُّؤال ، من غير اعتبار للأسباب ، ولا مجازاة للأعمال . نسأل الله أن يُبْقِيَ منها على الإسلام أَوْفَى الظَّلَالِ ، ويبلِّغها من فضله أَقْصَى الآمالِ . ووصل مابعثه سيدى صحبتها من الهدية ، والتحفة الودية ، [وقبلتها امتثالاً] ^(٣) ، واستجليتُ منها عِتْقاً وجمالاً . وسيدى في الوقت أنسبُ إلى اتخاذ ذلك الجنس ، وأقدرُ على الاستكثار من إناث البَهْمِ والإنس . وأنا ضعيف القدرة ، غير مستطيع لذلك إلا في النَّدرة ، فلو رأى سيدى ، ورأيه سَدَاد ، وقصده فضل ووداد ، أن ينقل القَصِيَّةَ [إلى باب العارية من باب الهبة] ^(٤) مع وجوب الحقوق المترتبة ، لبَسَطَ خاطري وجمعه ، وعمل في رفع المؤنة على شاكِلة حالى معه ، وقد استصحبته مركوباً يَشُقُّ على هجره ، ويناسب مقامى شكله ونَجْرَه ، وسيدى في الإسعاف على الله أجره ، وهذا أمر عرض ، وفرض فَرِض ، وعلى نظره المَعُول ، واعتماد إغضائه هو المعقول الأول . والسلام على سيدى من مُعَظِّم قدره . ومُلْتَزِم بِرِّه ، ابن الخطيب ، في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي قعدة سنة خمسة وخمسين وسبعماية ،

(١) هذا في الإسكوريال . وفي النسخ والاستقصاء (أعلمت) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والاستقصاء (بصوت) .

(٣) هذه العبارة وردت في النسخ والاستقصاء ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) وردت هذه العبارة في الإسكوريال (من باب الهدية إلى باب العارية) والنصوب من

النسخ والاستقصاء .

والسَّماءُ قد جادت بِمَطَرٍ سَهَرَتْ مِنْهُ الْأَجْفَانُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ طُوفَانٌ ، وَاللُّهَاقُ
فِي غَدِّ بِالْبَابِ الْمَوْلُوى ، مُؤْمِلٌ بِحَوْلِ اللَّهِ .

ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه ، ما أنشد عنه ، وبين يديه ، في ليلة

الميلاد المعظم ، من عام ثلاثة وستين وسبعماية بمدينة فاس المحروسة :

[أَيَانَسِيم ^(١) السَّحَرُ بِاللَّهِ بَلُّغَ خَبَرِ
إِنْ أَنْتَ يَوْمًا بِالْحِمَى جَرَرْتَ فَضْلَ الْمُزَرِ
ثُمَّ حَثَّتِ الْخَطْوُ مِنْ فَوْقِ الْكَيْتِيبِ الْأَغْفَرِ
مُسْتَقَرًّا فِي عُشْبِهِ خَفِيَ وَطَى الْمَطَرِ
تَرَوَى عَنِ الضَّحَاكِ فِي الرُّوضِ حَدِيثَ الزَّهْرِ
مُخَلَّقِ الْأَذْيَالِ بِالْعَبِيرِ أَوْ بِالْعَنْبَرِ
وَصِفِ لَجِيرَانَ الْحِمَى وَجَلْدِي بِهِمْ وَسَهَرِي
وَحَقَّهُمْ مَا غَيَّرَتْ وَدَّى صُرُوفُ الْغَيْرِ
لِلَّهِ عَهْدٌ فِيهِ قَضِيَتْ حَمِيدَ الْأَثَرِ
أَيَّامُهُ هِيَ الَّتِي أَحْسَبُهَا مِنْ عُمَرَى
وَيَا لَيْلِ فِيهِ مَا عَيْبٌ بِغَيْسِرِ الْقَصْرِ
الْعَمْرِ قَيْنَانِ وَوَجْهُ الدَّهْرِ طَلَّقَ الْغُرُ
وَالشَّمْلُ بِالْأَجْبَابِ مَنْظُومٍ كَنْظَمِ الدُّرِّ
صَفَوْا مِنَ الْعَيْشِ بِلَا شَائِبَةٍ مِنْ كِبَرِ
مَا بَيْنَ أَهْلِ تَقْطِيفِ الْإِنْسِ حَتَّى الشَّمْسِ
وَبَيْنَ آمَالِ تَبْيِيحِ الْقُرْبِ صَافِي الْغَدْرِ
يَا شَجَرَاتِ الْحَيِّ حَيَّاكَ الْحَيَا مِنْ شَجَرِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (قل لنسيم) .

إذا أجال الشوق في تلك المغاني فكري
 خرجت من خدي حديث الدمع فوق الطرر
 وقلت يا خدُّ ارو من دمي صحاح الجوهري
 عهدى بحادي الركب كالورقاء عند السحر
 والعيس تجتاب الفلا واليغمات تنبري
 تخبط بالأخفاف مظلوم البرا وهو برى
 قد عطفت عن ميد والتفت عن حور
 قمي سير ما سبوى العنزم لها من وتير
 حتى إذا الأعلام حليست لحفي البشر
 واستبشر النازح بالقرب وتيل الوطر
 وعين الميقات للسفر نجاح السفر
 والناس بين محرم بالحج أو مغمم
 ليبيك لبيك إله الخلق باري الصور
 ولاحت الكعبة بيت الله ذات الأثر
 مقام إبراهيم والمأمون عنمد الذعر
 واغنم القوم طواف القدام المبتدر
 وأعقبوا ركعتي السعي استلام الحجر
 وعرفوا في عرفات كل عرف أذفر
 ثم أفاض الناس سعياً في غد للمشعر
 فوقفوا وكبروا قبل الصباح المفسر
 وفي منى نالوا المني وأيقنوا بالطفر
 وبعد رمي الجمرات كان خلق الشفر

أَكْرَمَ بِذَلِكَ الصَّحْبَ ^(١) وَاللَّهُ وَذَلِكَ النَّفْسُ ^(٢)
يَا قَوْزُهُ مِنْ مَوْقِفٍ يَارَبُّهُ مِنْ مَنَجَرٍ
حَتَّى إِذَا كَانَ الْوَدَا عَ وَطَافَ الصُّلْدُ
فَأَيُّ صَبْرٍ لَمْ يَخُنْ أَوْ جَلْدٍ لَمْ يَغْدُرْ
وَأَيُّ وَجْدٍ لَمْ يَصُلْ وَسَلْوَةٍ لَمْ تُهْجِرْ
مَا أَفْجَعَ الْبَيْنَ لِقَلْبٍ الْوَالِهِ الْمُتَغَفَّرِ ^(٣)
ثُمَّ ثَنَوْا نَحْوَ رَسْمِهِ لَ اللَّهُ سَيْرَ الضُّمُورِ
فَعَابَنُوا فِي طَيْبَةِ الْأَلَاءِ نَوْرَ نَيْسَرِ
زَارُوا رَسُولَ اللَّهِ وَاسْتَشْفَعُوا بِلِسْمِ الْجُدُرِ
نَالُوا بِهِ مَا أَمَلُوا وَعَرَّجُوا فِي الْأَثَرِ
عَلَى الضَّجِيعِينَ أَبَى بَكَرَ الرُّضَا وَعُمَرُ
زِيَارَةَ الْهَادِي الشُّفِيعِ جَنَّةً فِي الْمَحْشَرِ
فَأَحْسَنَ اللَّهُ عِزًّا قَاصِدٍ لَمْ يَزُرْ
رَبْعٌ تَرَى مُسْتَنْزِلَ الْآيِ بِهِ وَالسُّورِ
وَمَلْتَقَى جَبْرِيلَ بِالْهَادِي الرَّكِّيِّ الْعُنْصُرِ
وَرَوْضَةَ الْجَنَّةِ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَمَنْبَرِ
مُنْتَخَبِ اللَّهِ وَمُخْتَارِ الْوَرَى مِنْ مُضَرِ
وَالْمُنْتَقَى وَالْكُونِ مِنْ مَلَابِسِ الْخَلْقِ عَرَى
إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي أَفْقٍ مِنْ زُحَلٍ أَوْ مُشْرِ ^(٤)

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي النَّفْعِ (الْفَرِ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي النَّفْعِ (الْفَرِ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ وَفِي النَّفْعِ (الْمُسْتَهْجِرِ) .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي النَّفْعِ (وَمُشْرِ) .

ذو المعجزات الغرّ أمثال النجوم الزهر
 يشهد بالصّدق له منها انشقاق القمر
 والضّب والطّي إلى نُطق الحصى والشجر
 من أطعم الألف بصا ع في صبح الخبر
 والجيش رواه بما ء الراحة المنهمر
 يا نُكتة الكون التي فأت مَنال الفكر
 يا حجة الله على الرا نح والمبتكر
 يا أكرم الرُّسل على الله وخير البشر
 يامن له التّقدم الحقُّ على التّأخّر
 يامن لدى مولده المُقدّس المُطهر
 إيوان كسرى ارتجّ إذ ضاقت^(١) قُصور قيصر
 ووَقد النار طفا كأنها لم تُسعر
 يا عُمدي يا ملجئ يا مفرّج يا وزري
 يا من له اللّواء والحَوْض وورد الكوثر
 يا منقذ الغرق وهم رهن العذاب الأكبر
 إن لم تُحقّق أُملى بُؤتُ بسعى المُخسر
 صلّى عليك الله يا نور الدُّجا المُعتر
 يا ويحُ نفسي كم أرى [من غفلتي في غمر]^(٢)
 واحسروا من قِلّة الزّاد وبعد السّفر
 يُحجّني والله بالبرهان وعُظّ المنبر

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ضامت) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . وفي النسخ (في غفلة من عمري) .

يا حُسْنَهَا مِنْ خُطْبٍ لو حُرِّكَتْ مِنْ نَظَرٍ^(١)
 يا حُسْنَهَا مِنْ شَجَرٍ لو أُورِقَتْ مِنْ ثَمَرٍ
 أوْ مَلَّ الْأُزْبَنَةَ وَالْأَمْرَ بِكَفِّ الْقَدَرِ
 أَسَوْفُ الْعِزْمِ مِنْ شَهْرِ لَيْسَ شَهْرٍ
 مِنْ صَفَرٍ لِرَجَبٍ مِنْ رَجَبٍ لَصَفَرٍ
 ضَبِعَتْ فِي النُّجُورَةِ مَا أَهْدَوْهُ فِي صِغَرٍ
 وَلَيْسَ مَا مَرَّ مِنْ الْأَيْتَامِ بِالْمُنْتَظَرِ
 وَقُلْ مَا أَنْ حَادَثُ سَلَامَةً فِي غَمَرٍ
 وَلِي غَرِيمٍ لَا يَنْتَى عَنْ طَلَسِ الْمُنْكَسِرِ
 يَا نَفْسَ جَدِّي قَدْ بَدَأَ الصَّبْحَ أَلَا فَاعْتَبِرِي
 وَأَتَعَطَّى بِمَنْ مَضَى وَارْتَدَعِي وَازْدَجَرِي
 مَا بَعْدَ شَيْبِ الْفَوْدِ مِنْ مُرْتَقِبِ فِشْمَرِي
 أَنْتِ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى فِي قُلْعَةٍ أَوْ سَفَرٍ
 وَلَيْسَ مِنْ عُذْرٍ يُقِيمُ حُجَّةَ الْمُعْتَذِرِ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى تَسْرُقُ طَيْبَ الْعُمَرِ
 هَلْ ارْتَجَى مِنْ عَوْدَةٍ أَوْ رَجَعَةٍ أَوْ صَدَرٍ
 فَنُابِرْدُ الْغُلَّةِ مِنْ ذَاكَ الزُّلَالِ الْخَصِرِ
 مَقْتَسِدِيًّا بِمَنْ مَضَى مِنْ سَلَفٍ وَمَعْشَرِ
 نَالُوا جِسَارَ اللَّهِ وَهُوَ الْفَخْرُ لِلْمُقْتَضِرِ
 أَرْجُو بِإِبْرَاهِيمَ لَنَا بِلِسْوَغِ الْوَطَرِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الشَّح (نظري) .

فوعده لا يمتنرى في انصدق منه الممتنر^(١)
فهو الإمام المرتضى والخير ابن الخير
أكرم من نال المنى^(٢) بالمرهفات البتسر
ممهّد الملك وسيف الحق والليث الجسرى
خليفة الله الذى فاق بحسن السّير
وكان منه الجبر فى العلباء وفق الخبر
فصدق التصديق من مرآه للتصصور
ومستعين الله فى وزد له وصدر
فاق الملوك الصّيد بالمجد الرّبيع الخطر
فأصبحت ألقابهم منسيّة لم تذكر
وحاز منهم^(٣) أوحد وصف العديد الأكثر
برأيه المأمون أو عسكره المظفر
بسيفه السّفاح أو بعزمه المقتدر
بالعلم المنصور أو بالذّابل المستنصر^(٤)
بابن الإمام الطاهر البرّ الزّكى السّير
مدحك قد علم نظم الشعر من لم يشعر^(٥)
جهد المقلّ اليوم من مثلى كوشع المكسر
فإن يقصّر ظاهرى فلم يقصّر مضمر

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (مترى) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (الملا) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (منه) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (المتصر) .

(٥) هذه الأبيات الأخيرة كان قد نظمها ابن مرزوق فى مديح ملك المغرب يومئذ السلطان أبى سالم إبراهيم المرىنى ، ولكنه لاق مصرعه فى ذى القعدة ٧٦٢ هـ قبل حلول المولد النبوى .

وَوَرَدَتْ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الْعَالَمِ أَبِي عَنَّانٍ ، فَبِلُوتٍ مِنْ مِثْلِهِ .
وَحَمِيدٍ سَعِيهِ . مَا يَلِيْقُ بِمِثْلِهِ . وَلَمَّا نَكَبَهُ لَمْ أَقْصُرْ عَنْ مُمَكِّنِ حِيلَةٍ فِي أَمْرِهِ .
وَلَمَّا هَلَكَ السُّلْطَانُ أَبُو عَنَّانٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَصَارَ الْأَمْرُ لِأَخِيهِ [الْمُتَلَحِّقِ] مِنْ
الْأَنْدَلُسِ أَبِي سَالِمٍ بَعْدَ الْوَلَدِ الْمُسَمَّى بِالسَّعِيدِ ^(١) كَانَ مِنْ دُمُتٍ لَهُ
الطَّاعَةِ ، وَأَنَاخِ رَاحِلَةِ الْمُلْكِ ، وَحَلَبِ ضِرْعِ الدَّعْوَةِ ^(٢) ، وَخَطْبِ [عُرُوسِ] ^(٣)
الْمَوْهَبَةِ ، فَأَنْشَبَ ظُفْرَهُ فِي مَتَاتٍ مَعْقُودٍ مِنْ لَدُنِ الْأَبِ ، مَشْدُودٍ مِنْ لَدُنِ
الْقُرْبَةِ ^(٤) ، فَاسْتَحْكَمَ عَنْ قُرْبٍ ، وَاسْتَغْلَظَ عَنْ كَثَبٍ ، فَاسْتَوَلَى عَلَى أَمْرِهِ ،
وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَسْتَأْثِرْ عَنْهُ بَيْتُهُ ، وَلَا أَنْفَرِدَ بِمَا سِوَى بَضْعِ أَهْلِهِ .
بِحَيْثُ لَا يَقْطَعُ فِي شَيْءٍ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ . وَلَا يَمْنَحُو وَيُثْبِتُ إِلَّا وَاقِفًا عِنْدَ
حُدِّهِ ، فَغَشِيَتْ بِأَبْنِهِ الْوَفُودُ ، وَصُرِفَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ ، وَوُقِفَتْ عَلَيْهِ الْأُمَالُ ،
وَخَدِمَتْهُ الْأَشْرَافُ ، وَجُلِبَتْ إِلَى سُدْنِهِ بِضَائِعُ الْعُقُولِ وَالْأُمُومَالِ ، وَهَادَتْهُ
الْمُلُوكُ ، فَلَا تَخْذُلُو الْحُدَاةَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا تَحْطُ الرِّحَالُ إِلَّا لَدَيْهِ . إِنْ خَضَرَ
أَجْرَى الرَّسْمِ ، وَأَنْفَذَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَحْظًا أَوْ سِرَارًا أَوْ مَكَاتِبَةً ، وَإِنْ غَابَ ،
تَرَدَّدَتْ الرُّقَاعُ ، وَاخْتَلَفَتْ الرُّسُلُ . ثُمَّ أَنْفَرِدَ أَخِيرًا بِبَيْتِ الْخُلُوةِ ،
وَمُنْتَبِذِ الْمُنَاجَاةِ ، مِنْ دُونِهِ مُصْطَفَى الْوُزَرَاءِ ، وَغَايَاتِ الْحُجَابِ ^(٥) ، فَإِذَا
انْصَرَفَ تَبِعَتْهُ الدُّنْيَا ، وَسَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوُزَرَاءُ ، وَوُقِفَتْ بِبَابِهِ الْأُمَرَاءُ ،
قَدْ وَسَّعَ الْكُلُّ لِحَظَّهُ ، وَشَمِلَهُمْ بِحَسَبِ الرُّتَبِ وَالْأُمُومَالِ رَعِيَهُ ، وَوَسَّعَ
أَفْزَادَهُمْ تَسْوِيْدَهُ ، وَعُقِدَتْ بَبْنَانُ عَلَيْهِمْ بَنَانُهُ . لَئِنْ رَضِيَ النَّاسُ غَايَةَ

(١) هذه الزيادة من النسخ . ومكانها في المخطوط هذه العبارة (بعد ولده) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الدولة) .

(٣) هذه الرابدة من النسخ

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (التقرب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الحجابة) .

لا تُدرك ، والْحَقْدُ^(١) بين بنى آدم قديم ، وقَبِيلُ الملك مَبَايِنٌ لِمَثَلِهِ ، فَطُوِيَتْ
الجوانح منه على سَل ، وَحُنِيَتْ الضُّلُوع على بَث ، [وَأُغْمِضَتْ الجفون
على قَذَى]^(٢) إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ نَكْبَتِهِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ طَهُورًا .

وَلَمَّا جَرَتْ الْحَادِثَةُ عَلَى السُّلْطَانِ^(٣) [بِالْأَنْدَلُسِ]^(٤) ، وَكَانَ لِحَاقِ جَمِيعِنَا
بِالْمَغْرِبِ ، جَنِيَتْ ثَمَرَةً مَا أَسْلَفَتْهُ فِي وُدِّهِ ، فَوْقَ كَيْلِ الْوَفَا ، وَأَشْرَكَ فِي
الْجَاهِ ، وَأَدْرَ الرِّزْقِ ، وَرَفَعَ الْمَجْلِسِ [بَعْدَ التَّسْبِيبِ فِي الْخِلَاصِ]^(٥) ،
وَالسَّعَى فِي الْجَبْرِ ، جَبَرَهُ اللَّهُ [تَعَالَى وَكَانَ لَهُ]^(٦) أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى ذَلِكَ ،
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ سُلْطَانَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَذَفَ بِهِ بَحْرُ التَّمْحِيصِ إِلَى شَطْلِهِ ،
وَأَضْحَى جَوْ النُّكْبَةِ بَعْدَ انْطِبَاقِهِ ، أَثَرَ التَّشْرِيقِ بِأَهْلِهِ وَجُمْلَتِهِ ، وَاسْتَقَرَّ
بِتَوْتُسَ ، خَطِيبَ الْخِلَافَةِ ، مَقِيمًا عَلَى رَسْمِهِ مِنَ التَّجَلَّةِ ، ذَائِعِ الْفَضْلِ
هَتَالِكَ وَالْمُشَارَكَةِ ، وَهُوَ بِحَالِهِ الْمَوْصُوفَةِ إِلَى الْآنَ كَانَ اللَّهُ لَهُ .

وَكُنْتُ أَحْسَسْتُ مِنْهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ ، صَاحِيَةً إِلَى الدُّنْيَا ،
وَحَنِينًا لَمَّا فَارَقَ مِنْ غُرُورِهَا ، فَحَمَلَنِي الطَّيْرُ الَّذِي ارْتَكَبَتْهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ
بِتَوْفِيقِ اللَّهِ . عَلَى أَنْ خَاطَبْتَهُ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَحَقُّهَا أَنْ يَجْعَلَهَا خِدْمَةَ الْمُلُوكِ
مَنْ يُنْسَبُ إِلَى نُبُلٍ ، أَوْ يُلَمُّ بِمَعْرِفَةٍ ، مُصْحَفًا يَدْرُسُهُ ، وَشِعَارًا يَلْتَزِمُهُ ، وَهِيَ:
سِيدِي ، الَّذِي يِلُّهُ الْبَيْضَاءُ لَمْ تَذْهَبْ بِشَهْرَتِهَا الْمَكْفَافَةِ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ

(١) هَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (الْحَسَدِ) .

(٢) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنَ النَّفْحِ .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (الدُّوَلِ) .

(٤) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنَ النَّفْحِ .

(٥) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (تَسْبِيبِ الْخِلَاصِ) . وَالتَّصْوِيبِ مِنَ النَّفْحِ .

(٦) الزِّيَادَةُ مِنَ النَّفْحِ .

في مَدْحِهَا الْأَفْعَالِ ، وَلَا تَغَايِرَتْ فِي حَمْدِهَا الصِّفَاتِ ، وَلَا تَزَالُ تَعْتَرِفُ بِهَا
 الْعِظَامُ الرُّفَاتِ ، أَطْلَقَكَ اللَّهُ مِنْ أَسْرِ الْكَوْنِ ، كَمَا أَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ بَعْضِهِ ،
 وَرَشَّدَكَ فِي سَمَائِهِ الْعَالِيَةِ وَأَرْضِهِ ، وَحَقَّرَ الْحِطَّ فِي عَيْنِ بَصِيرَتِكَ بِمَا يَحْمِلُكَ
 عَلَى رَفْضِهِ . اتَّصَلَ بِنِ الْخَبَرِ السَّارِ مِنْ تَرْكِكَ لَشَأْنِكَ ، وَإِجْنَاءِ اللَّهِ إِيَّاكَ ثَمَرَةَ
 إِحْسَانِكَ ، وَإِنْجِيَابِ ظَلَامِ الشَّدَةِ الْحَالِكِ ، عَنْ أَفْقِ حَالِكَ . فَكَبِّرَتْ لَانْتِشَاقِ
 عَفْوِ اللَّهِ الْعَاطِرِ ، وَاسْتَعْبَرَتْ لَتَضَاوُلِ الشَّدَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْفَرَجِ ، لَا يَسُوَى
 ذَلِكَ مِنْ رِضَى مَخْلُوقٍ يُؤَمَّرُ فَيَأْتَمُرُ ، وَيَدْعُوهُ الْقَضَاءُ فَيَبْتَدِرُ ، إِنَّمَا هُوَ قَبِيضٌ
 وَظَلٌّ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، وَنَسَّأَلَهُ جَلَّ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا آخِرَ عَهْدِكَ
 بِالْدُّنْيَا وَبَنِيهَا ، وَأَوَّلَ مَعَارِجِ نَفْسِكَ . الَّتِي تُقَرِّبُهَا مِنَ الْحَقِّ وَتُدْنِيهَا ،
 وَكَأَنَّيَ وَاللَّهُ أَحْسَنُ بِثِقَلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ عَلَى سَمْعِكَ ، وَمُضَادَّتِهَا وَلَا حَوْلَ
 وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لَطَبْعِكَ ، وَأَنَا أَنَا فِرَكَ إِلَى الْعَقْلِ الَّذِي هُوَ قِسْطُاسُ اللَّهِ فِي
 عَالَمِ الْإِنْسَانِ ، وَالْآلَةُ لِبَيْتِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْمَلِكِ الَّذِي يَبِينُ عَنْهُ
 تُرْجَمَانُ اللِّسَانِ ، فَمَا أَقُولُ لَيْمَ شِعْرِي مَا الَّذِي غَبَّطَ سَيْدِي بِالْدُّنْيَا ، وَإِنْ بَلَغَ
 مِنْ زِبْرِجِهَا الرُّتْبَةَ الْعُلْيَا ، وَأَفْرَضَ الْمِثَالِ لِحَالَةِ إِقْبَالِهَا ، وَوَضَّلَ حِيَالِهَا ،
 وَضَرَاعَةَ سِبَالِهَا ، وَخَشَوْعَ جِبَالِهَا . أَلْتَوَقَّعَ الْمَكْرُوهَ صَبَاحَ مَسَا ، وَارْتَقَابَ
 الْحِوَالَةَ الَّتِي تُدِيلُ مِنَ النُّعِيمِ الْبَاسَا ، وَلِزُومِ الْمُنَافَسَةِ الَّتِي تُعَادِي الْأَشْرَافَ
 وَالرُّؤْسَا . أَلْتَرْتُّبَ الْعَنْبَ . حَتَّى عَلَى التَّقْصِيرِ فِي الْكُتُبِ ، وَطَعِينَةَ جَارِ
 الْجَنْبِ ، وَوَلُوعَ الصَّدِيقِ بِإِحْصَاءِ الذَّنْبِ . أَلِنَسَبَةَ وَقَائِعِ الدَّوْلَةِ إِلَيْكَ
 وَأَنْتَ بَرِي ، وَتَطْوِيْقِكَ الْمُؤَبِّقَاتِ وَأَنْتَ مِنْهَا عَرِي . أَلَا سَتَهْدِافُكَ لِلْمَضَارِ
 الَّتِي تُنْتَجِهَا غَيْرَةُ الْفُرُوجِ . وَالْأَحْقَادِ الَّتِي تَضْمَطُّ بِهَا رَكْبَةُ السُّرُوجِ وَسَرَحَةُ
 الْمُرُوجِ ، وَنَجُومُ الْمَنَّا ذَاتِ الْبُرُوجِ . أَلِتَقْلِيدُكَ التَّقْصِيرِ فِيمَا ضَاقَتْ عَنْهُ
 طَاقَتُكَ . وَصَحَّتْ إِلَيْهِ فَاقَتُكَ ، مِنْ حَاجَةٍ لَا يَقْتَضِي قَضَائِهَا الْوُجُودَ .

ولا يُكَيِّفُهَا الرُّكُوعَ لِلْمَلِكِ وَالسُّجُودَ . أَلْقَطَعَ الزَّمانَ بَيْنَ سُلْطَانٍ يُعْبَدُ ،
 وَسِيَّاهِمْ لِلْغُيُوبِ تَكْبِيدُ . وَعَجَاجَةً شَرَّ تَلْبِيدُ . وَأَقْبُوحةً تُخَلِّدُ وَتُوْبِدُ . أَلِوزِيرِ
 يُصَانِعُ وَيُدَارِي . وَذِي حُجَّةٍ صَحِيحَةٍ يُجَادِلُ فِي مُرْضَاةِ السُّلْطَانِ وَيُمَارِي ،
 وَعَوْرَةٍ لَا تُوَارَى . أَلِإِمْبَاكَرَةِ كُلِّ عَائِبٍ حَاسِدُ ، وَعَدُوٍّ مُسْتَأْسِدُ ، وَسُوقٍ
 لِلْإِنْصَافِ وَالشَّفَقَةِ كَاسِدُ ، وَحَالٍ فَاسِدُ . أَلِلُّوفُودِ تَتَرَاخَمُ بِسُدَّتِكَ ، مُكَلِّفَةُ
 لَكَ غَيْرِ مَا فِي طَوْفِكَ ، فَإِنْ لَمْ تَنْلُ أَغْرَاضَهَا . قَلْبَتِ عَلَيْكَ السَّمَاءُ مِنْ فَوْقِكَ .
 أَلِجُلَسَاءِ بَبَائِكَ ، لَا يَقْطَعُونَ زَمَنَ رَجُوعِكَ وَإِيَابِكَ ، إِلَّا بِقَبِيحِ اغْتِيَابِكَ .
 فَالْتَّصَرُّفَاتِ تُنْقَتُ ، وَالْقَوَاطِعِ النُّجُومِيَّاتِ تُوَقَّتُ ، وَالْأَلَاقِ^(١) تُبَثُّ ،
 وَالسَّعَايَاتِ تُحَثُّ ، وَالْمَسَاجِدُ يُشْتَكَى قِيَاهَا الْبَثُّ ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي
 يَدِكَ ، بِمَنْزِلَةِ الْجَمَارِ الْمَذْبُورِ . وَالْيَتِيمِ الْمَحْجُورِ ، وَالْأَسِيرِ الْمَأْمُورِ .
 لَيْسَ لَهُ شَهْرَةٌ وَلَا غَضَبٌ . وَلَا أَمَلٌ فِي الْمَلِكِ وَلَا أَرْبٌ . وَلَا مَوْجِدَةٌ لِأَحَدٍ
 كَامِنَةٌ . وَلِلشَّرِّ ضَامِنَةٌ . وَلَيْسَ فِي نَفْسِهِ عَنْ رَأْيِ نُفْرَةٍ . وَلَا بِلِزَاءِ مَا لَا
 يَقْبَلُهُ نَزْوَةٌ وَطَفَرَةٌ . إِنَّمَا هُوَ جَارِحَةٌ لَصَيْدِكَ . وَعَانٍ فِي قَيْدِكَ . وَآلَةٌ لِنَصْرُفِ
 كَيْدِكَ ، وَأَنْتَ عِلَّةُ حَيْفِهِ ، وَمُسَلِّطُ سَيْفِهِ . الشُّرَّارُ يُسْمِلُونَ عُيُونَ النَّاسِ
 بِاسْمِكَ ، ثُمَّ يُمَزَّقُونَ بِالْغَيْبَةِ مَزَقَ جِسْمِكَ . قَدْ تَنَخَّلَهُمُ الْوُجُودُ أَخْبَثَ
 مَا فِيهِ . وَاخْتَارَهُمُ السُّفْيَةُ فَالسُّفْيَةُ . إِذْ الْخَيْرُ يُسْرِهُ اللَّهُ عَنِ الدُّوْلِ وَيُخْفِيهِ .
 وَيَقْزِيهِ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ . فَهَمْ يَمْتَحِنُونَ بِكَ . وَيُولُونُكَ الْمَلَامَةَ . وَيَقْتَحِمُونَ
 عَلَيْكَ أَبْوَابَ الْقَوْلِ . وَيَسُدُّونَ طُرُقَ السَّلَامَةِ . وَلَيْسَ لَكَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ
 إِلَّا مَا يَمُوزُكَ مَعَ ارْتِفَاعِهِ ، وَلَا يَفُوتُكَ مَعَ انْقِشَاعِهِ . وَذَهَابَ صُدَاعِهِ . مِنْ
 غِذَاءِ يُشْبِعُ ، وَثَوْبٍ يُقْنَعُ ، وَفِرَاشٍ يُنِيْمُ ، وَخَدِيمٍ يَقْعُدُ وَيُقِيمُ . وَمَا الْفَايِدَةُ
 فِي فُرُشٍ تَحْتَهَا حَمَرُ الْغَضَا . وَمَالٍ مِنْ وَرَابِهِ سُوءُ الْقَضَا . وَحَادٍ تُحَلِّقُ عَلَيْهِ

(١) الْأَلَاقِ جَمْعُ الْفَقِي ، وَمِنْهَا الْأَلَمَارُ وَالْإِحَاجِي .

سيفٌ مُنتَصَا . وإذا بَلَغَتِ النَّفْسُ إِلَى الْإِتِّدَادِ مَا لَا تَمْلِكُ ، وَاللَّجَاجَ حَوْلَ
 الْمَسْقُطِ الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّهَا فِيهِ تَمْلِكُ . فَكَيْفَ يُنْسَبُ إِلَى نُبُلٍ أَوْ يُسَرَّ مَعَ
 السَّعَادَةِ فِي سُبُلٍ . وَإِنْ وَجَدَتْ فِي الْقُعُودِ بِمَجْلِسِ التَّحِيَّةِ بَعْضَ الْأَرِيحِيَّةِ ،
 فَلَيْتَ شِعْرِي أَىُّ شَيْءٍ زَادَهَا ، أَوْ مَغْنَى أَفَادَهَا ، إِلَّا مُبَاكَرَةَ وَجْهِ الْحَاسِدِ ،
 وَذَى الْقَلْبِ الْفَاسِدِ ، وَمَوَاجَهَةَ الْعَدُوِّ الْمُسْتَأْسِدِ . أَوْ شَعَرْتَ بِبَعْضِ الْإِيْنَانِ
 فِي الرُّكُوبِ بَيْنَ النَّاسِ ، هَلْ أَلْتَدَّتْ إِلَّا بِحِلْمٍ كَاذِبٍ ، أَوْ جَذَبَهَا غَيْرُ
 الْغُرُورِ مُجَاذِبٍ . إِنَّمَا الْحِلْيَةُ وَافَتْكَ مِنْ يُحْدِثُ إِلَى الْبِزَّةِ ، وَيَسْتَطِيلُ مَدَّةَ
 الْعِزَّةِ ، وَيَرْتَابُ إِذَا حُدِّثَ بِخَبْرِكَ ، وَيَتَّبَعُ بِالنَّقْدِ وَالتَّجَسُّسِ مَوَاقِعَ نَظْرِكَ ،
 وَيَمْتَعِكَ مِنْ شَارَةِ أَنْسِكَ . وَيَحْتَالُ عَلَى فَرَاغِ كَيْسِكَ ، وَيُضْمِرُ الشَّرَّ لَكَ
 وَلِرَسْمِكَ . وَأَىُّ رَاحَةٍ لِمَنْ لَا يُبَاشِرُ قَصْدَهُ ، وَيَسِيرُ مَتَى شَاءَ وَخَدَهُ ، وَلَوْ صَحَّ
 فِي هَذِهِ الْحَالِ لَلَّهِ حَظٌّ ، وَهَبَهُ زَهِيداً ، أَوْ عَيَّنَ لِلرُّشْدِ عَمَلاً حَمِيداً ، لَسَاغَ
 الصَّابُ^(١) . وَخَفَّتِ الْأَوْصَابُ . وَسَهَّلَ الْمُصَابُ . لَآكُنَ الْوَقْتُ أَشْغَلَ ،
 وَالْفِكْرُ أَوْغَلَ ، وَالزَّمَنُ قَدْ غَمَرَتْهُ الْحَصَصُ الْوَهْمِيَّةُ ، وَاسْتَنْفَدَتْ مِنْهُ
 الْكَمِيَّةُ . أَمَا لَيْلُهُ فَفَكَرٌ أَوْ نَوْمٌ ، وَعَتَبٌ يَجْرُ الضَّرَاسُ وَلَوْنٌ ، وَأَمَا يَوْمُهُ
 فَتَدْبِيرٌ ، وَقَبِيلٌ وَدَبِيرٌ ، وَأُمُورٌ يَعْبَاهَا نَبِيرٌ ، وَبَلَاءٌ مُبِيرٌ ، وَلَعَطٌ لَا يَدْخُلُ
 فِيهِ حَكِيمٌ كَبِيرٌ . وَأَنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ خَبِيرٌ . وَوَاللَّهِ يَا سَيِّدِي ، وَمَنْ قَلَقَ الْحَبَّ
 وَأَخْرَجَ الْأَبَّ . وَذَرَا مِنْ مَشَى وَمَا دَبَّ . وَسَمَى نَفْسَهُ الرَّبَّ ، لَوْ تَعَلَّقَ الْمَالُ
 الَّذِي يَجِدُهُ هَذَا الْكَذْحُ ، وَيُورِي سَقِيظَهُ هَذَا الْقَدْحُ ، بِأَذْيَالِ الْكُوكَبِ ،
 وَزَاوَحَمَتِ الْبَدَنَ بِذُرَّةِ الْمَنَاكِبِ ، لَا وَرِثَهُ عَقِبٌ ، وَلَا خَلَصَ بِهِ مُخْتَقِبٌ ،
 وَلَا فَازَ بِهِ سَافِرٌ وَلَا مُنْتَقِبٌ . وَالشَّاهِدُ الثُّوْلُ وَالْمَشَايِمُ الْأُولُ . فَإِنَّ الرُّبَاعَ
 الْمُقْتَنَةَ ، وَأَيْنَ الدِّيَارِ الْمُبْتَدَاةُ . وَأَيْنَ الْحَدَائِقِ الْمُغْتَرَسَاتُ . وَأَيْنَ الذُّخَايِرِ

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأن الصابة شجرة مرة . وجمعه صاب .

المُخْتَلَسَات ، وأَيْنَ الودائع المؤمَّلة ، وأَيْنَ الأمانات المُحمَّلة ، تَأْذَنُ اللهَ
بِتَبْيِيرِهَا ، وإِدْنَاءِ وتَارِ التَّيَّارِ مِنْ دَنَائِيرِهَا ، فَعَلَمَّا تَلْقَى أَعْقَابَهُمْ إِلَّا أَغْرَبًا
لِلطُّمُورِ ، مُتَرَمِّقِينَ بِجَرَايَاتِ الشُّهُورِ ، مُتَعَلِّينَ بِالْهَبَاءِ الْمُنْثُورِ ، يُطْرَدُونَ مِنْ
الْأَبْوَابِ الَّتِي حُجِبَ عَنْهَا آبَاؤُهُمْ ، وَغُرِفَ مِنْهَا إِبَاؤُهُمْ ، وَشُمَّ مِنْ مَقَاصِيرِهَا
عَنْبَرُهُمْ وَكِبَاؤُهُمْ ، لَمْ تُسَامَحْهُمْ الْآيَامُ إِلَّا فِي إِرْثٍ مُحَرَّرٍ ، أَوْ حَلَالٍ مُقَرَّرٍ ،
وَرَبَّمَا مَحَقَّهُ الْحَرَامُ ، وَتَعَذَّرَ مِنْهُ الْمَرَامُ . هَذِهِ أَعَزُّكَ اللهُ حَالُ قَبُولِهَا وَمَالِهَا مَعَ
التَّرْفِيهِ ، وَعَلَى فَرَضٍ أَنْ يَسْتَوِيَ الْعُمَرُ فِي الْعِزِّ مُسْتَوْفِيهِ . وَأَمَّا ضِدُّهُ مِنْ
عَدُوٍّ يَتَحَكَّمُ وَيَنْتَقِمُ ، وَخُوتٌ بَغَى يَبْتَلِيعُ وَيَلْتَقِمُ ، وَطَبَقٌ يَحْجِبُ الْهَوَا ،
وَيُطِيلُ فِي التَّزَابِ الثَّوَا ، وَثُعْبَانٌ قَحِيدٌ^(١) يَعْضُ السَّاقَ ، وَشَوْبُوبٌ عَذَابٌ
يُعَزِّقُ الْإِبْشَارَ الرَّقَاقَ ، وَغِيلَةٌ يَهْدِيهَا الْوَاقِبُ الْغَاسِقُ ، وَيَجْرَعُهَا الْعَدُوُّ
الْفَاسِقُ ، مَعَ الْأَفْوَالِ وَالشُّرُوقِ . فَهَلْ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا مُتَبَطِّطٌ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ ،
أَوْ مَا يَسَاوِي جُرْعَةَ حَالٍ مُرَّةٍ .. وَاحْسَرْتَادٌ لِلْأَحْلَامِ ضَلَّتْ ، وَلِلْأَقْدَامِ زَلَّتْ ،
وَيَا هَا مُصِيبَةٌ جَلَّتْ ، وَلِسِيْدِي أَنْ يَقُولَ حَكَمْتُ عَلَى بَاسِثِثِقَالِ الْمَوْعِظَةِ
وَاسْتِجْفَانِهَا ، وَمُرَاوَدَةِ الدُّنْيَا بَيْنَ خِلَائِنِهَا وَأَكْفَائِهَا ، وَتَنَاسِيِ عَدَمِ وَفَائِهَا ،
فَأَقُولُ الطَّبِيبُ بِالْعِلَلِ أَدْرِي ، وَالشَّفِيقُ بِسُوءِ الظَّنِّ مُغْرَى . وَكَيْفَ لَا وَأَنَا
أَقِفُ عَلَى السَّحَابَاتِ ، بِخَطِّ سَيِّدِي ، مِنْ مَطَارِحِ الْإِعْتِقَالِ ، وَمَثَاقِفِ النُّوبِ
الْثَّقَالِ ، وَخَلَوَاتِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلِقَاءِ الْخُطُوبِ الشَّدَادِ ، وَنَوْشِ الْأَسِنَّةِ الْحِدَادِ ،
وَحَيْثُ يَجْمَلُ دُمُؤُهُ أَلَّا نَصْرِفَ فِي غَيْرِ الْخُضُوعِ لِلَّهِ بَدَانًا . وَلَا يَثْنِي
لِمَخْلُوقٍ عِنَانًا . وَأَتَعْرِفُ أَنَّهَا قَدْ مَلَأَتْ الْجَوَّ وَالْدُّوَّ ، وَقَصَّدَتِ الْجَمَادَ وَالْبُؤَّ ،
تَقْتَحِمُ أَكُفَّ أَوْلَى الشَّمَاتِ ، وَحَفَظَتِ الْمَذَمَّاتِ . وَأَعَوَانَ الثُّوبِ الْمُلِمَّاتِ ،
زِيَادَةً فِي الشُّقَا . وَقَصَّدَ أَبْرِيَاءَ مِنَ الْإِخْتِيَارِ وَالْإِنْتِقَا . مُشْتَمَلَةً مِنَ التَّجَاوُزِ

(١) قَسِدَ أَعْنَى طَوِيلًا مِنْ قَسِدَ قَسِدًا أَيْ طَالَ حَسَمَهُ .

على أغرب من العنقا ، ومن النفاق على أشهر من البلقا . فهذا يُوصف
 بالإمامة ، وهذا يُنسب في الجود إلى كعب بن مامة ، وهذا يُجعل من أهل
 الكرامة ، وهذا يُكلّف الدّعاء وليس من أهل ، وهذا يُطلب منه لقا
 الصّالحين وليسوا من شكله ، إلى ما أخفّظني والله من البحث عن السّموم ،
 وكتّيب النجوم ، والمذموم من المعلوم ، هلا كان من ينظر في ذلك قد قُوطع
 بتأتا ، وأعتقد أن الله قد جعل لزمن الخير والشر ميقاتا ، وأنا لامتلك موتا
 ولا نُشورا ولا حياتا ، وأنّ اللّوح قد خَصَر الأشياء مَحْزُورا وإثباتا ، فكيف
 نرجو لما منع منالاً ، أو نستطيع مما قدر إفلاتا . أفيدونا ما يُرجح العقيدة
 المقررة ، نَدَحُولُ إليه ، وبينوا لنا الحقّ . نعوّل عليه . الله الله ياسيدى في
 النّفس المرشحة ، وللذات المُخلّات بالفضائل المُوشحة . والسلف الشهير
 الخير ، والعمر المُشرف على الرّحلة بعد حثّ السّير ، ودخّ الدنيا لأهلها ،
 فما أركس حطوطهم ، وأخس لحوظهم ، وأقلّ فتاعهم ، وأعجل إسزاعهم ،
 وأكثر عناءهم ، وأقصر آناهم :

ما تمّ إلا ما رأيت وربما تعي السّلامة
 والناس إما جائر أو حائر يشكو ظلامه
 والله ما احتقّب الحريص سوى الذّنوب أو الملامه
 هل ثمّ شك في المعاد الحق أو يوم القيامة
 قولوا لنا ما عندكم أهل الخطابة والإمامه

وإن رميت بأحجارى ، وأوحررت المرّ من أشجارى ، فوالله ماتلبّست
 منها لليوم بشيء قديم ولا حديث ، ولا استأثرت بطيب فضلاً عن خبيث .
 وما أنا إلا عابر سبيل . ، وهاجر مرعى وبيل ، ومُرتقب وعدٍ قدر فيه
 الإنجاز ، وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز قد فررت من الدنيا

كما يُفَرِّقُ من الأسد ، وحاولت المقاطعة ، حتى بين رُوحى والجَسَد ، وغَسَلَ
الله قلبي ، وله الحمد ، من الطَّمَع والحَسَد ، فلم أَبْقِ عادةً إِلَّا قَطَعْتُهَا ،
ولا جَنَّةً للصَّبْر إِلَّا أَدْرَعْتُهَا . أمَّا اللِّبَاسُ فالصُّوف ، وأما الزُّهْدُ فَمَا فِي أَيْدِي
النَّاسِ فَمَعْرُوف ، وأما المَالُ الغَبِيْطُ فعَلَى الصَّدَقَةِ مَصْرُوف . والله لو عَلِمْتُ
أَنَّ حَالِي هَذِهِ تَتَّصِل ، وَغُرَاهَا لَا تَنْفَصِل ، وَأَنْ تَرْتَبِي هَذَا يَدُوم ، وَلَا
يَجِيزُنِي الوَعْدُ المَحْنُوم ، والوقتُ المَعْلُوم ، لَمْتُ أَسْفَاً ، وَحَسْبِيَ اللهُ وَكَفَا .
ومَعَ هَذَا يَا سَيِّدِي ، فَاَلْمَوْعِظَةُ تُتَلَقَّى مِنْ لِسَانِ الْوُجُود ، وَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ
الْمُؤْمِنِ يَطْلُبُهَا بِبَذْلِ الْمَجْهُود ، وَيَأْخُذُهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِمَحَلِّهَا الْمَذْمُوم أَوْ
الْمَحْمُود . وَلَقَدْ أَغْمَلْتُ نَظْرِي فِيْمَا يَكْفِي عَنِّي بَعْضُ يَدِكَ ، أَوْ يَنْتَهِي فِي
الْفَضْلِ إِلَى أَمْرِكَ ، فَلَمْ أَرْ لَكَ الدُّنْيَا كَفَاً . هَذَا لَوْ كُنْتُ صَاحِبَ دُنْيَا .
وَأَلْفَيْتُ بِذَلِكَ النَّفْسَ قَلِيلاً لَكَ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا ثَنِيّاً . فَلَمَّا أَلْهِمَنِي اللهُ
لِمَخَاطَبَتِكَ هَذِهِ النَّصِيحَةَ الْمَفْرَغَةَ فِي قَالِبِ الْجَفَا ، لَمَنْ لَا يُثَبِّتُ عَيْنَ الصَّغَا ،
وَلَا يُشِيمُ بَارِقَةَ الْوُفَا ، وَلَا يَعْرِفُ قَادُورَةَ الدُّنْيَا مَعْرِفَةً مِثْلِي مِنَ الْمُتَدَنِّسِينَ
بِهَا الْمُتَنَهِّمِينَ ، وَيَنْظُرُ غَوَارِهِ الْفَادِحَ بَعَيْنِ الْيَقِينِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا الْمَوَسَّةُ الَّتِي
حُسْنُهَا زُور ، وَعَاشِقُهَا مَغْرُور ، وَسُرُورُهَا شُرُور ، تَبَيَّنَ لِي أَنِّي قَدْ كَافَيْتُ
صَنِيعَتَكَ التَّقَدُّمَ ، وَخَرَجْتُ عَنْ عَهْدِكَ الْمُلتَزِمَةِ ، وَمَحَضْتُ لَكَ النَّصِيحَ
الَّذِي يُقَرُّ بِعِزِّ اللهِ ذَاتِكَ ، وَيُطِيبُ حَيَاتَكَ ، وَيُحْيِي مَوَاتَكَ ، وَيَرْبِحُ
جَوَارِحَكَ مِنَ الْوَصَبِ ، وَقَلْبَكَ مِنَ النَّصَبِ ، وَيُحَقِّرُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا فِي
عَيْنِكَ إِذَا اغْتَبَرْتَ ، وَيُلَاقِي عِظَايِمَهَا لَدَيْكَ إِذَا اخْتَبَرْتَ ، كُلُّ مَنْ تَقَعَ
عَلَيْهِ عَيْنُكَ حَقِيرٌ قَلِيلٌ ، وَفَقِيرٌ ذَلِيلٌ ، لَا يَفْضُلُكَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِاقْتِفَاءِ
رُشْدٍ أَوْ تَرْكِ غِيٍّ . أَثْوَابُهُ النَّبِيْهَةُ يَجْرُدُهَا الْغَاسِلُ . وَغُرُورُهُ غَيْرُهُ يُفْصَلُهَا
الْفَاصِلُ ، وَمَالُهُ الْحَاضِرُ الْحَاصِلُ ، يَعْثُ فِيهِ الْحُسَامُ الْفَاصِلُ ، وَاللهُ

مَا تَعَيَّنَ لِلخَلْفِ إِلَّا مَا تَعَيَّنَ لِلسَّلَفِ ، وَلَا مَصِيرُ الْمَجْمُوعِ إِلَّا إِلَى التَّلَفِ ،
 وَلَا صَحَّحَ مِنْ الْهِيَاطِ وَالْمِيَاطِ ، وَالصَّيَّاحِ وَالْعِيَاطِ ، وَجَنَعَ الْقِيَرَاطِ إِلَى
 الْقَهَرَاطِ ، وَالْإِسْتِظْهَارِ بِالْوَزَعَةِ وَالْأَشْرَاطِ ، وَالْخَبْطِ وَالْخَبَّاطِ ، وَالْإِسْتِكْثَارِ
 وَالْإِفْخِيَاطِ ، وَالْغُلُوِّ وَالْإِسْتِطْطَاطِ ، وَبِنَا الصَّرْحِ وَعَمَلِ السَّابَّاطِ ، وَرَفَعَ الْعِمَادِ
 وَالْإِهَارَةَ الْفُسْطَاطِ ، إِلَّا أَلَمَ يَذْهَبِ الْقُوَّةُ ، وَيُنْسَى الْأَمَالُ الْمَرْجُوَّةُ ، ثُمَّ
 نَفْسٌ يَصْعَدُ ، وَسَكَرَاتٌ تَتَرَدَّدُ ، وَحَسَرَاتٌ لِفِرَاقِ الدُّنْيَا تَتَجَدَّدُ ، وَلِسَانٌ
 يَثْقُلُ ، وَعَيْنٌ تُبْصِرُ الْفِرَاقَ الْحَقَّ وَتَعْمَلُ . قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتُمْ عَنْهُ
 مُعْرِضُونَ . ثُمَّ الْقَبْرِ وَمَا بَعْدَهُ ، وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعِيدُهُ وَوَعْدُهُ . فَالْإِضْرَابُ
 الْإِضْرَابُ ، وَالتُّرَابُ التُّرَابُ ، وَإِنْ اعْتَذَرَ سَيِّدِي بِقِلَّةِ الْجَلْدِ ، لَكثْرَةِ
 الْوَلَدِ ، فَهُوَ ابْنُ مَرْزُوقٍ ، لَا ابْنَ رَزَاقٍ ، وَبِيَدِهِ مِنَ التَّسْبِيبِ ، مَا يَتَكَفَّلُ
 بِإِمْسَاكِ أَرْمَاقِ . أَيْنَ النَّسْخُ الَّذِي يَتَبَلَّغُ الْإِنْسَانُ بِأَجْرَتِهِ ، فِي كَيْنِ حُجْرَتِهِ ،
 لَا بَلِ السُّؤَالُ الَّذِي لَا عَارَ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِمَعْرَتِهِ ، السُّؤَالُ وَاللَّهُ أَقْوَمُ طَرِيقاً ،
 وَأَكْرَمُ فَرِيقاً ، مِنْ يَدِ تَمْتَدُّ إِلَى حَرَامٍ ، لَا يَقُومُ بِحَرَامٍ ، وَلَا يُؤْمِنُ مِنْ ضِرَامٍ
 أُخْرِقَتْ فِيهِ الْحُلُلُ ، وَقُلِبَتْ الْأَدْيَانُ وَالْمِلَلُ ، وَضُرِبَتْ الْإِبْشَارُ ، وَنُحِرَتْ
 الْعِشَارُ ، وَلَمْ يَصِلْ مِنْهُ عَلَى يَدَيِ وَاسِطَةِ السُّوءِ الْمِعْشَارُ . ثُمَّ طُلِبَ عِنْدَ
 الشَّدَّةِ فَفُضِّحَ ، وَبَانَ سَوْمُهُ وَوَضَّحَ ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ مِنَّا أَيْدِينَا وَقُلُوبَنَا ، وَبَلِّغْنَا
 مِنَ الْإِنْصِرَافِ إِلَيْكَ مَطْلُوبَنَا ، وَعَرَّفْنَا بِمَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَكَ ، وَلَا يَسْتَرْفِدُ
 إِلَّا خَيْرَكَ يَا اللَّهُ . وَحَقِيقٌ عَلَى الْفَضْلَاءِ إِنْ جَنَحَ سَيِّدِي مِنْهَا إِلَى إِشَارَةٍ ، أَوْ
 أَعْمَلَ فِي اخْتِلَافِهَا إِضْبَارَهُ . أَوْ لَبِسَ مِنْهَا شَارَةً ، أَوْ تَشَوَّفَ إِلَى خِدْمَةِ إِمَارَةٍ .
 أَلَا يُحْسِنُوا ظَنُونَهُمْ بَعْدَهَا بِأَبْنِ نَاسٍ . وَلَا يَغْتَرُّوا بِسَمْتٍ وَلَا خَلْقٍ وَلَا لِبَاسٍ ،
 فَمَا عَدَا عَمَّا بَدَا . تَقْضَى الْعُمُرُ فِي سِجْنٍ وَقَيْدٍ ، وَعَمُرُو وَزَيْدٍ ، وَضُرَّ
 وَكَيْدٍ ، وَطِرَادَ صَبْدٍ . وَسَعْدَ وَسَعِيدٍ . وَعَبْدَ وَعَبِيدٍ ، فَمَتَى تَظْهَرُ الْأَفْكَارُ ،

وَيَقِرُّ الْفَرَارَ ، وَتُلَازِمُ الْأَذْكَارَ ، وَتُشَامُ الْأَنْوَارَ ، وَتَتَجَلَّى الْأَسْرَارَ ، ثُمَّ يَقَعُ الشُّهُودُ الَّذِي تَذْهَبُ مَعَهُ الْأَفْكَارَ ، ثُمَّ يَحَقُّ الْوُصُولُ الَّذِي إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ الْفَرَارِ ، وَعَلَيْهِ السَّادَرُ . وَوَحَقَّ الْحَقُّ ، الَّذِي مَا سِوَاهُ قَبَاطِلِ ، وَالْقَيْضِ الرَّحْمَانِ ، الَّذِي رَبَابُهُ لَا بَدَّ هَاطِلِ ، مَا شَابَ مُخَاطَبَتِي لَكَ شَائِبَةً بِرَيْبٍ ، وَلَقَدْ مَحَضْتُ لَكَ مَا يَسْخَضُهُ الْحَبِيبُ إِلَى الْحَبِيبِ ^(١) ، فَيَحْمِلُ جَفَاءً فِي الَّذِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ الْغَيْبَةَ ، وَلَا تَنْظُرُ بِي غَيْرَهُ . وَإِنْ أَقْدَرُ قَدْرِي فِي مُكَاشَفَةِ سَيَادَتِكَ بِهَذَا الْبَثِّ ، فِي الْأَسْلُوبِ الرَّثِّ ، فَالْحَقُّ أَقْدَمَ ، وَبِنَاوُهُ لَا يَهْدِمُ ، وَشَأْنِي مَعْرُوفٌ فِي مُوَاجَهَةِ الْجَبَابِرَةِ ، عَلَى حِينٍ يَدَى إِلَى رِفْدِهِمْ مَمْدُودَةٌ ، وَنَفْسِي فِي النَّفُوسِ الْمُتَهَافِتَةِ عَلَيْهِمْ مَعْدُودَةٌ ، وَشِبَابِي فَاحِمٌ ، وَعَلَى الشَّهَوَاتِ مُزَاحِمٌ ، فَكَيْفَ بِي الْيَوْمَ مَعَ الشَّيْبِ ، وَنُصْحِ الْجَيْبِ ، وَاسْتِكْشَافِ الْعَيْبِ ، إِنَّمَا أَنَا الْيَوْمَ عَلَى كُلِّ مَنْ عَرَفَنِي كُلُّ ثَقِيلٍ ، وَسَيْفُ الْعَذْلِ فِي كَفِّي صَقِيلٌ ، أَغْدِلُ أَهْلَ الْهَوَى ، وَلَيْسَتْ النَّفُوسُ فِي الْقَبُولِ سَوَا ، وَلَا لِكُلِّ مَنْ ضَرَّ دَوَا ، وَقَدْ شَفَيْتُ صَدْرِي ، وَإِنْ جَهِلْتُ قَدْرِي ، فَاحْمِلْنِي حَمْلَكَ اللَّهُ عَلَى الْجَادَّةِ الْوَاضِحَةِ ، وَسَحَبَ عَلَيْكَ سِتْرَ الْأَبْوَةِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّلَامَ .

وَلَمَّا شَرَحَ كِتَابَ « الشُّفَا » ^(٢) لِلْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ بْنِ مُوسَى ابْنَ عِيَاضِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَاسْتَبَحَرَ فِيهِ ، طَلَبَ أَهْلَ الْعُدُوتَيْنِ بِنَظْمِ مَقْطُوعَاتٍ تَتَضَمَّنُ الثَّنَاءَ عَلَى الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ ، وَإِطْرَاءً مُؤَلَّفَهُ ، فَانْشَالَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الطَّمِّ وَالرَّمِّ ، بِمَا تَعَدَّدَتْ مِنْهُ الْأَوْرَاقُ ، وَاخْتَلَفَتْ فِي الْإِجَادَةِ وَغَيْرِهَا

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (الْجَيْبِ) . وَنَعْتَقِدُ أَنَّ التَّصْوِيبَ أَرْجَحُ .

(٢) كِتَابُ « الشُّفَا » بِتَعْرِيفِ حَقُوقِ الصُّطْفَى « هُوَ أَعْظَمُ كُتُبِ الْقَاضِي الْإِمَامِ الْحَافِظِ عِيَاضِ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ الْبَحْصِيِّ السَّبْتِيِّ الْمَتَوَفَّى بِمِرَاكُشَ سَنَةِ ٥٤٤ هـ . وَسَوْفَ يَتَرَجَّمُ لَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ يَمَّا يَمْدُ فِي حَرْفِهِ الدِّينِ .

الأرزاق ، إيثاراً لِرَغْضِهِ ، ومِبَادَرَةً من أهل الجهات لِإِسْعَافِ أَرِيهِ ، وطَلَبِ
مَنِ أَنْ أَلِمَّ فِي ذَلِكَ بَشْيْءٌ ، فَكَتَبْتُ فِي ذَلِكَ :

شِفَا عِيَاضٍ لِلصُّدُورِ شِفَاءٌ	وَلَيْسَ بِفَضْلٍ قَدْ حَوَاهُ خَفَاءٌ
هَدِيَّةٌ بَرٌّ لَمْ يَكُنْ لِحَزْزِيلِهَا	سِوَى الْأَجْرِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ كَفَاءٌ
وَفِي لِنَبِيِّ اللَّهِ حَقٌّ وَفَاتِهِ	وَأَكْرَمُ أَوْصَافِ الْكِرَامِ وَفَاءٌ
وَجَاءَ بِهِ بَحْرًا يَقُولُ بِفَضْلِهِ	عَلَى الْبَحْرِ طَعْمٌ طَيِّبٌ وَصَفَاءٌ
وَحَقُّ رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ	رَعَاهُ وَإِغْفَالُ الْحُقُوقِ جَفَاءٌ
هُوَ الذُّخْرُ يُغْنِي فِي الْحَيَاةِ عَتَادَهُ	وَيَتْرُكُهُ مِنْهُ الْيَقِينُ رِفَاءٌ
هُوَ الْآثَرُ الْمَحْمُودُ لَيْسَ يَنَالُهُ دُثُورٌ	وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عَفَاءٌ
حَرَصْتُ عَلَى الْإِطْنَابِ فِي نَشْرِ فَضْلِهِ	وَتَمَجِيدِهِ لَوْ سَاعَدَتْنِي فَاءٌ

وَاسْتَزَادَ مِنْ هَذَا الْغَرَضِ ، الَّذِي لَمْ يَقْنَعْ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ ، فَبِعَثْتُ إِلَيْهِ
مِنْ مَحَلِّ انْتِقَالِي بِمَدِينَةِ سَلَا حَرْسَهَا اللَّهُ :

أَزَاهِيرُ رِيَاضٍ	أُمُّ شِفَاءٍ لِعِيَاضٍ
جَدَّلَ الْبَاطِلَ لِلْحَقِّ	بِأَسْيَافِ مَوَاضٍ
وَجَلَا الْأَنْوَارُ بِرُهَا	نَاً بِحَقِّ ^(١) وَافْتِرَاضٍ
وَشَفَى مَنْ يَشْتَكِي الْغُلَّةَ	فِي زُرْقِ الْحِيَاضِ
أَيُّ بُنْيَانٍ مُعَارٍ ^(٢)	آمِنٍ فَوْقَ انْقِضَاضٍ
أَيُّ عَهْدٍ لَيْسَ يُرْمَى	بِانْتِكَاثٍ وَانْتِقَاضٍ
وَمَعَانٍ فِي سَطُورٍ	كَأَسْوَدٍ فِي غِيَاضٍ
وَشِفَاءٍ لِلصُّدُورِ	مِنْ صَنِ الْجَهْلِ مُرَاضٍ

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (بِخَلْفِ) وَالتَّعْوِيلِ مِنَ النِّفْحِ .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي النِّفْحِ (مَقَالٌ) .

حَرَّ القَصْدُ فَمَا شَيْنُ بِنَقْدٍ وَاعْتِرَاضٍ
 يَا أَبَا الْفَضْلِ أَذْرَ بَأَنَّ اللَّهَ عَنْ سَعِيكَ رَاضٍ
 فَازَ عَبْدٌ أَقْرَضَ اللَّهَ بِرُجْحَانِ الْقِرَاضِ
 وَجِبَتْ عِزُّ الْمَزَايَا مِنْ طَوْلِ وَعِراضِ
 لَكَ يَا أَصْدَقَ رَاوٍ لَكَ يَا أَعْدَلَ قَاضٍ
 لِرَسُولِ اللَّهِ وَقِيَّتَ بِجِدِّ وَانْتِهَاضِ
 خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ فِي حَالٍ وَفِي آتٍ وَمَاضٍ
 سَدَّدَ اللَّهُ ابْنَ مَرْزُوقٍ إِلَى تِلْكَ الْمُعْرَاضِ
 زُبْدَةُ الْعِرْفَانِ مَعْنَى كُلِّ نُسْكَ وَارْتِيَاضِ
 فَتَوَلَّى بَسْطَ مَا أَجْمَلَتْ مِنْ غَيْرِ انْقِيَاضِ
 سَاهِرٌ لَمْ يَذَرْ فِي اسْتِغْلَاصِهِ طَعْمَ اغْتِمَاضِ
 إِنْ يَكُنْ دَيْنَا عَلَى الْإِيْسَامِ قَدْ حَانَ التَّقَاضِ
 دَامَ فِي عُلوٍّ وَمِنْ عَادَاهُ يَهْوَى فِي انْخِفَاضِ
 مَا وَشَى الصُّبْحُ الدِّيَاجِي فِي سَوَادِ بَيَاضِ

ثم نظمت له أيضاً في الغرض المذكور ، والإكثار من هذا النمط ،
 في هذا الموضع ، ليس على سبيل التَّبَجُّحِ بغرابته وإجادته ، ولا كن على
 سبيل الإشادة بالشرح المشار إليه ، فهو بالغ غاية الاستبحار .

حُبِّيتَ يَا مُخْذَطَ سَبْتِ بْنِ نُوحٍ بِكُلِّ مُزْنٍ يَغْتَدِي أَوْ يَرُوحُ
 وَحَمَلِ الرِّيْحَانِ رِيحَ الصَّبَا أَمَانَةً فِي كُلِّ إِلَى كُلِّ رُوحِ (١)
 دَارُ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ الَّذِي أَضْحَتْ بِرِيَّاهُ رِيَاضاً تَفْوُحُ
 يَا نَاقِلَ الْآثَارِ يُعْنَى بِهَا وَوَاصِلاً فِي الْعِلْمِ جَرَى الْجَمُوحِ

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الاسكوريال . وفي النسخ (أمانة فيك إلى كل روح) .

طَرَفَكَ فِي الْفَخْرِ بَعِيدُ الْمَدَا
 كَفَاكَ إِعْجَازاً كِتَابَ الشُّفَا
 اللَّهُ مَا أَجْزَلَتْ فِينَا بِهِ مِنْ
 رَوْضٍ مِنَ الْعِلْمِ هَمَى فُسُوقِهِ
 فَمِنْ بَيَانِ الْحَقِّ زَهْرٌ نِيدٌ^(١)
 تَأَرَّجَ الْعَرْفُ وَطَابَ الْجَنَى
 وَحُلَّةٌ مِنْ طِيبِ خَيْرِ الْوَرَى
 وَمُعَسَّلَمٌ لِلدِّينِ شَيْدَتُهُ
 فَقُلْ لَهَا مَانٌ كَذَا أَوْ فَلَ
 فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ أَنْشَأَتُهُ
 فَعُمُرُهُ الْمَكْتُوبُ لَا يَنْقُضِي
 كَأَنَّهُ فِي الْحَقْلِ رِيحُ الصَّبَا
 مَا عُدَّ مَشْغُوفٌ بِخَيْرِ الْوَرَى
 عَجِبْتُ مِنْ أَكْبَادِ أَهْلِ الْهَوَى
 إِنْ ذُكِرَ الْمُحِبُّوبُ سَالَتْ دِمَا
 يَا سَيِّدَ الْأَوْضَاعِ يَا مَنْ لَهُ
 يَا مَنْ لَهُ الْفَخْرُ عَلَى غَيْرِهِ
 يَا خَيْرَ مَشْرُوحٍ وَفِيٍّ وَاكْتَفَى
 طَرَفَكَ لِلْمَجْدِ شَدِيدُ الطُّمُوحِ
 وَالصَّبْحُ لَا يُنْكَرُ عِنْدَ الْوُضُوحِ
 مِنْحَةٌ تَقْصُرُ عَنْهَا الْمُنُوحِ
 مِنْ صَيِّبِ الْفِكْرِ الْغَمَامُ السُّفُوحِ
 وَمِنْ لِسَانِ الصَّدَقِ طَيْرٌ صَبْدُوحِ
 وَكَيْفَ لَا يُثْمَرُ أَوْ لَا يَفُوحِ
 فِي الْجَيْبِ وَالْأَعْطَافِ مِنْهَا نُفُوحِ
 فَهَذِهِ الْأَعْلَامُ مِنْهُ تَلْبُوحِ
 يَأْمَنُ أَضَلُّ الرُّشْدِ تَبْنِي الصُّرُوحِ
 خَلْقاً جَدِيداً بَيْنَ جِسْمٍ وَرُوحِ
 إِذَا تَقَضَّى عُمُرُ سَامٍ وَنُوحِ
 وَكُلُّ عَطْفٍ فَهُوَ غَضٌّ^(٢) مَرُوحِ
 إِنْ هَاجَ مِنْهُ الذِّكْرُ أَنْ لَا يَبُوحِ
 وَقَدْ سَطَا الْبُعْدُ وَطَالَ التُّزُوحِ
 مَا هُنَّ أَكْبَادٌ وَلَكِنْ جُرُوحِ
 بِسَيِّدِ الْإِرْسَالِ فَضْلُ الرُّجُوحِ
 وَالشُّهْبُ^(٣) تَخَفُّ عِنْدَ إِشْرَاقِ يَوْحِ^(٤)
 مِنْهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ بِخَيْرِ الشُّرُوحِ

(١) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (بَدَا) .

(٢) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (غَضَن) .

(٣) مَكْذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (وَالشَّمْسِ) .

(٤) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (بُوح) .

فَتَحَّ مِنْ اللَّهِ حَبَاهُ بِهِ وَمِنْ جَنَابِ اللَّهِ تَأَقَّى الْفُتُوحَ
مولده : بتلمسان عام أحد عشر وسبعماية^(١)

محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي القسلي^(٢) الكرنسوطي
من أهل فاس ، نزيل ما لقة يكنى أبا عبد الله .

حاله

الشيخ الفقيه المتكلم أبو عبد الله ، غزير الحفظ ، متبحر الذكر ،
عديم القرين ، عظيم الاطلاع ، عارف بأسماء الأوضاع ، يتنهل منه على
المسايل كتيب مهيل ، ينقل الفقه منسوباً إلى أمانة ، ومنوطاً برجاله ،
والحديث بأسانيده ومثونه ، خوار العنان^(٣) ، وساع الخطو ، بعيد
الشأو ، يفيض من حديث إلى فقه ، ومن أدب إلى حكاية ، ويتعدى ذلك
إلى غرائب المنظومات ، مما يختص بنظمه أولو الشطارة والحرفة من
المغاربة ، ويستبظهر مطولات القصاص ، وطواير الوعظ ، ومساطر أهل
الكذبة ، في أسلوب وقاح يفضحه الإعراب . حسن الخلق جيم الاحتمال . مطرّح
الوقار ، رافض التصنع ، متبذل^(٤) اللبسة . رحيب أكناف المرارة لأهل
الولايات ، يلقي بمعاطنهم البرك . وينوط بهم الوسائل ، كثير المشاركة

(١) جاء في « جلوة الاقتباس » أنه توفي بعد الثلاثين وسبعماية (ص ٢٢٧) . وورد في هامش
المخطوط ما يأتي بعد ذكر مولد ابن مرزوق : « قال الشيخ جلال الدين السيوطي في تاريخ الحياة ،
مات في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وسبعماية » . هذا ولو يكن من الميسور أن يذكر ابن الخطيب
وفاته ، وقد توفي قبله خمسة أعوام .

(٢) نسبة إلى قبيلة « تمولة » إحدى قبائل البربر النزالة في شمال غربي المغرب الأقصى .

(٣) خوار العنان أي سهل المعطف لبيته .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ومتبذل اللبسة ترسيه . تنبسه وهدهده . وذلك
بخلاف مبتذل اللبسة أعني رث الملابس .

لُؤْصَلَايَه ، مُخَصِّبٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، حَدِيبٌ عَلَى بَنِيهِ . قَدِمَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ
عَامَ اثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَأَقَامَ بِالْجَزِيرَةِ مَقْرِباً بِمَسْجِدِ الصَّوْاعِ مِنْهَا ،
وَمَسْجِدِ الرَّايَاتِ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى مَالِقَةَ وَأَقْرَأَ بِهَا ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى غَرْنَاطَةِ عَامِ
خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَتَعَرَّفَ عَلَى أَرْيَابِ الْأَمْرِ ، بِمَا نَجَحَتْ حِيلَتُهُ ،
وَخَفَّ بِهِ مَوْقِعَهُ ، فَلَمْ يَعْدَمْ صَلَةً ، وَلَا فَقَدَ مِرْفَقَةً ، حَتَّى ارْتَأَشَ وَتَنَاقَلَ
بِمَحَلِّ سُكْنَاهُ مِنْ مَالِقَةَ ، مَدْرَةَ مُغَلَّةً ، وَعَقَاراً مَفِيداً . وَطَالَ قَعُودُهُ لِسَرْدِ
الْفَقْهِ بِمَسْجِدِهَا الْجَامِعِ ، نَمِيرٌ فِي الرِّكْبِ ، مَهْجُورُ الْحَلَقَةِ ، حَمَلًا مِنْ
الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، لَتَلْبِسَهُ بِالْعَرَضِ الْأَذْنَى . وَهُوَ الْآنَ خَطِيبُ مَسْجِدِ الْقَصْبَةِ
بِهَا ، وَمَحَلُّهُ مِنَ الشُّهُرَةِ ، بِالْحِفْظِ وَالِاسْتِظْهَارِ لِفُرُوعِ الْفَقْهِ ، كَبِيرٌ .

مَشِيخَتُهُ

قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ، مِنْهُمْ أَبُوهُ ، وَالْأُسْتَاذُ
أَبُو الْحَسَنِ الْقَيْيِجَاطِيُّ الْبَلَوِيُّ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْحَرِيرِيُّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنِ
سُلَيْمَانَ . وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَجْرُومَ . وَقَرَأَ الْفَقْهُ عَلَى أَبِي زَيْدِ الْجَزُولِيِّ ،
وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَفَّانَ ، وَأَبِي الْحَسَنِ الصَّغِيرِ ، وَعَبْدَ الْمُؤْمِنِ الْجَانَانِيَّ ^(١) .
وَقَرَأَ الْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَدَّةً ، ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَلِذَلِكَ حِكَايَةٌ . حَدَّثَنِي الشَّيْخُ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُرْسُوطِيُّ ، الْمُتَرْجِمُ بِهِ ، قَالَ قَرَأْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فِي قَوْلِ
أَبِي سَعِيدٍ فِي التَّهْذِيبِ ، وَالذَّجَاجِ وَالْأَوَزِ الْمُخْلَاتِ ، فَقَالَ أَنْظِرْ هَلْ يُقَالُ
الذَّجَاجُ أَوْ الْجَدَّادُ ، لِغَةِ الْقُرْآنِ أَفْصَحَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَجَدَّدُ بَيْضَ .
[وَحُمْرٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهَا] ^(٢) . وَغَرَابِيبُ سُودٍ . فَأَرْزَى بِهِ ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ
إِزَارَهُ ^(٣) ، فَعَزَلَهُ . وَقَعْدَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْأَقْرَاءِ بِفَاسَ ، كَذَا حَدَّثَ وَأَخَذَ عَنْ

(١) هَكَذَا وَ . . . فِي الْإِسْكُورِيَّاتِ ، وَفِي الْخُذُودِ (الْخَنَاقِ)

(٢) هَذِهِ الْعُسْرَةُ وَرَدَتْ فِي « الزَيْتُونَةِ » وَسَاقَطَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّاتِ .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « الزَيْتُونَةِ » . وَفِي الْإِسْكُورِيَّاتِ (أَزْرَاوَهُ) .

أبي إسحق الزناني^(١) ، وعن خلف الله المجاصي ، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي ، وأبي الحسين المزدغي ، وأبي الفضل ابنه ، وأبي العباس بن راشد العمراني ، وأبي عبد الله بن رُشيد . وروى الحديث بسبته عن أبي عبد الله الغماري ، وأبي عبد الله بن هاني ، وذاكر أبا الحسن بن وشَّاش . وبمألقة عن الخطيب الصالح الطنجالي ، وأبي عمرو بن منظور . وبغرناطة عن أبي الحسن القيجاطي ، وأبي إسحق بن أبي العاصي . وببلس عن أبي جعفر الزيات

تواليفه

منها « الغرر في تكميل الطُّرر » ، طرر أبي إبراهيم الأعرج . ثم « الدرر في اختصار الطُّرر » المذكور . وتقييدان على الرسالة ، كبيرٌ وصغيرٌ ، ولخص « التهذيب » لابن بشير ، وحذف أسانيد المُصنِّفات الثلاثة ، [البخاري ، والترمذي ، ومسلم]^(٢) ، والتزم إسقاط التكرار ، واستدراك الصُّحاح^(٣) الواقعة^(٤) في التهذيب على مسلم والبخاري . وقيد على مختصر الطُّليطي ، وشرع في تقييد على قواعد الإمام أبي الفضل عياض بن موسى ابن عياض ، برسم ولدى أسعده الله .

شعره

أنشدني ، وأنا أحاول بمألقة لَوث العمامة ، وأستعين بالغير على إصلاح العمل ، وإحكام الليانة :

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (البرناسي) .

(٢) هذه الزيادة واردة في « الزيتونة » وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (الصمايح) . والتصويب من النسخ

(٤) وردت في الإسكوريال ، وفي « الزيتونة » (المرافقة) .

أَمْعَمًا قمرًا تكامل حُسْنُهُ أرْبَى على الشمس المنيرة في البَها
لا تلتمس مَن لَدَيْكَ زيادة فالبدرُ لا يَجْتَارُ من نور السُها
ويَصْدُرُ منه الشعرُ مُصَدِّرًا ، لا تَكْنِفه العِناية .

محنته

أسير ببحر الزُّقاق^(١) ، قادمًا على الأندلس ، في جُملة من الفضلاء ،
منهم والده . واستقر بطرِيف^(٢) عام ستة وعشرين وسبعماية ، ولقى بها
شدةً ونكالا ، ثم سُرح والده ، لمحاولة فكّك نفسه ، وفكّ ابنه ، ويسّر الله
عليه ، فتخلّصا من تلك المحنة في سبيل كُدّية . وأفلّت من بين أنياب
مشقة

بعض أخباره

قال ، لقيتُ الشيخ ولي الله أبا يعقوب بساحل بادس^(٣) ، قاصداً
الأخذ عنه ، والتّبرك به ، ولم يكن رآني قط ، وألفيتُ بين يديه عند
دخولي عليه ، رجلاً يقرأ عليه القرآن . فلما فرغ ، أراد أن يقرأ عليه
أسطراً من الرسالة . فقال له ، اقرأها على هذا الفقيه . وأشار إلى ، ورأيتُ
في عَرَصَةٍ له أصولَ خَصٍّ ، فتمنّيت الأكل منها ، وكان ربّاعها غير حاضر ،
فقام عن سُرعة ، واقتلع منها أصولاً ثلاثة ، ودفعها إلى ، وقال كُل . فقلت
في نفسي ، تصرف في الخَصرة قبل حضور ربّاعها ، فقال لي ، إذا أردت

(١) بحر الزقاق ، يطلق على الطرف الغربي الفيق من البحر المتوسط ، الواقع شرق جبل طارق أو جبل الفتاح ، فيما بين ثغر ألمرية شمالاً ومليّة جنوباً . وقد يشمل مضيق جبل طارق نفسه .
(٢) ثغر طريف أو جزيرة طريف . سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٣٧٤ حاشية) .

(٣) بادس أو باديس ثغر مغربي صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط الجنوبي مقابل ثغر مالقة الأندلسي . وغربي ثغر مليّة الإسباني .

الأكل من هذه الخَضرة ، فكل من هذا القسم فإنه لى . قلت . وخَبِرْتُ من اضْطَّلاع هذا المترجم به بعبارة الرؤيا ، ما قضيت منه العَجَب فى غير ما شئ جَرَّبْتُهُ . وهو الآن بحاله الموصوفة . وأصابه لهذا العهد جلاء عن وطنه ، لتوفر الحَمْل عليه من الخاص والعام ، بما طال به نَكْدَه . ثم آلت حاله إلى بعض صلاح ، والله يتولاه .

مولده : بمدينة فاس عام تسعين وستماية .

محمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحيرى

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عبد المنعم ، من أهل سَبْتَة . الأستاذ
الحافظ

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله رجلَ صِدْقٍ ، طيبَ اللهجة . سليم الصدر ، تام الرُّجولة ، صالحاً ، عابداً ، كثير القُرب والأوراد فى آخر حاله ، صادق اللسان . قرأ كثيراً ، وسنه تنيف على سبع وعشرين . ففات ^(١) أهل الدُّوب والسَّابِقة ، وكان من صدور الحُفَّاظ . لم يَسْتَظْهر أحدٌ فى زمانه من اللُّغة ما اسْتَظْهره . فكاد يستظهر كتاب التَّاج للجَوْهرى وغيره . آية تُتلى ، ومثلاً يُضرب ، قائماً على كتاب سيبويه ، يَسْرُدُه بلفظه . اختبره الفاسيون فى ذلك غير ما مرة . طبقة فى الشطرنج ، يلعبها محجوباً . مُشاركاً فى الأصول آخذاً فى العلوم العقلية . مع الدَّلازمة للسُّنة . يُعرب أبداً كلامه ويزينه

(١) ورد فى الإسكوريال (مسأى) والتعويب من « الزيتونة »

مشيخته

أخذ ببلده عن الأستاذ أبي إسحق الغافقي ، ولازم أبا القاسم بن الشاط ،
وانتفع به وبغيره من العلماء .

دخوله غرناطة

قدم غرناطة مع الوفد من أهل بلده ، عند ما صارت إلى إيالة الملوك
من بني نصر ، لما وصلوا بالبيعة .

وفاته : كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان [عند]^(١) مُنصرفهم
عن باب السلطان ، ملك المغرب ، بأخواز تيزي^(٢) ، حسبما وقع التنبيه
على بعضهم .

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سميد

ابن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رُشيد الفهري

من أهل سبتة ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن رُشيد

حاله

من « عايد الصلة » : الخطيبُ المحدثُ ، المتبحرُ في علوم الرواية
والإسناد . كان رحمه الله فريداً دهره عدالةً وجلالةً ، وحفظاً وأدباً . وسنناً
وهدياً ، واسع الأشيعة ، على الإسناد . صحيح النقل ، أصيل الضبط ،
تام العناية بصناعة الحديث . قيماً عليها بصيرابها ، محققاً فيها ، ذا كراً
فيها للرجال ، جماعةً للكُتب ، محافظاً على الطريقة ، مضطلعاً بغيرها ،

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق

(٢) بلدة تازة المغربية ، وهي تقع شمال شرق فاس .

من العربية واللغة والعروض ، فقيهاً أصيل النظر ، ذاكراً للتفسير ، ربّان من الأدب . حافظاً للأخبار والتواريخ ، مُشاركاً في الأُصْلين ، عارفاً بالقراءات ، عظيم الوقار والسكينة ، بارع الخطّ ، حسن الخلق ، كثير التواضع ، رقيق الوجه ، مُتَجَمِّلاً ، كَلِيفُ الخاصّة والعامة ، مهذول الجاه والشفاعة . كَهْنُفاً لأَصْنَافِ الطَّلَبَةِ . قَدِمَ على غَرْنَاطَةِ في وزارة صديقه ، وَرَفِيقِ طَرِيقِهِ في حَجِّهِ وَتَشْرِيقِهِ ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ ، فَلَقِيَ بَرّاً ، وَتَقَدَّمَ لِلخُطَابَةِ بِالْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ ، وَنَفَعَ اللَّهُ لَدَيْهِ بِشَفَاعَتِهِ الْمَبْتُولَةَ ، طَائِفَةً مِنْ خَلْقِهِ ، وَانْصَرَفَ إِثْرَ مَقْعَلِهِ إِلَى الْعُدَّةِ ، فَاسْتَقَرَّ بِمَدِينَةِ فَاسَ ، مَعْظَمُهَا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالْخَاصَّةِ ، مَعْرُوفُ الْقَدْرِ عِنْدَهُمْ .

مَشِخْتُهُ

[قرأ ببلده سَبْتَهُ على الأستاذ إمام النُّحَاة أبي الحسن بن أبي الربيع كتاب سبويه ، وقيد على ذلك تقييداً مفيداً ، وأخذ عنه القراءات . وأخذ أيضاً عن الأستاذ أبي الحسن بن الخطّار . وَرَحَلَ مِنْ بِلَدِهِ سَبْتَهُ لِأَدَاءِ الْفَرِيضَةِ . حَجَّ وَلَقِيَ الْمَشَايخَ عَامَ ثَمَانِيَةِ وَثَمَانِينَ وَسِتْمَاةَ ، فَوَافَى فِي طَرِيقِهِ الْحَاجَّ الْمُحَدِّثَ الرَّأْوِيَّ ، ذَا الْوَزَارَتَيْنِ بَعْدَ ، أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَكِيمِ ، وَأَخَذَ عَنِ الْجِلَّةِ الَّذِينَ يُشَقُّ إِخْصَاؤُهُمْ . فَمِمَّنْ لَقِيَ بِإِفْرِيقِيَةِ الرَّأْوِيَةِ الْعَدْلَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَارُونَ يَرْوَى عَنْ ابْنِ بَقِيٍّ ، وَالْأَدِيبِ الْمُتَبَحَّرِ أَبَا الْحَسَنِ حَازِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُرْطَاجَنِيِّ . وَرَوَى بِالْمَشْرِقِ عَنِ الْعَدِيدِ الْكَثِيرِ كَالْإِمَامِ جَارِ اللَّهِ أَبِي الْيَعْنَنِ بْنِ عَسَاكِرَ . لَقِيَهُ بِبَابِ الصَّفَا تِجَاهَ الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ ، وَهُوَ مُوَضَّعٌ جُلُوسُهُ لِلسَّمَاعِ ، غَرَّةُ شَوَالِ عَامِ أَرْبَعَةِ وَثَمَانِينَ وَسِتْمَاةَ ، وَعَنْ غَيْرِهِ ، كَأَبِي الْعِزِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَنْظُورِ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ

وغيرهم ممن ثَبَّت في اسم مُرافقة في السَّماع والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم
رحمه الله ، فليُنظر هنالك ^(١)

توالياً

أَلَّف فوايدَ رحلته في كتاب سَمَّاه « ملي » العَيْبة فيما جُمع بِطُول الغَيْبة
في الوجْهتين ^(٢) الكَرِيمتين ، إلى مَكَّة وَطِيبَة . قال شيخنا أبوبكر
ابن شَبْرين ، وقفتُ على مُسَوِّدته ، ورأيتُ فيه فتوناً وضروباً من الفوايد
العِلْمية والتاريخ ، وطرفاً من الأخبار الحِسان . والمُسندات العوالي والأناشيد .
وهو ديوانٌ كبير ^(٣) ، ولم يُسبق إلى مثله . قُلْتُ ورأيتُ شيئاً من مُختصره
بِسَبْطة .

دخوله غرناطة

وَرَد على الأندلس في عام اثنين وتسعين وستماية . فعَقَد مجالِس
للخاص والعام ، يُقرى بها فنوناً من العِلْم . وتقدَّم خطيباً وإماماً بالمسجد
الأعظم منها . حدَّثني بعضُ شيوخنا ، قال : قَعَد يوماً على المنبر ، وظنَّ
أن المؤذِّن الثالث قد فرغ ، فقام يَخْطُب والمؤذِّن قد رفع صوته بأذانه ،
فاستمعتم ذلك بعضُ الحاضرين . وهمَّ آخر بإشعاره وتنبئيه . وكَلَّمه آخر ،
فلم يُننه ذلك عما شَرع فيه : وقال بديهةً . أيها الناس . رَحِمَكُم الله ،
إنَّ الواجب لا يُبْطَله المَندوب . وأنَّ الأذان الذي بعد الأول غير مَشْرُوع
الوُجوب ، فتأهَّبوا لطلب العلم . وانتبَهوا . وتذكَّروا قوله عزَّ وجلَّ :

(١) نقلنا مشيخة ابن رشيد عن مخطوط الزيتونة . وهي رافعة و إسكوريال . وقطع
أورد عنها الناسخ هذه العبارة (قلت اختصرتها لعلها تكونها في اسم مرافقة في السماع
والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم رحمه الله) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الجهتين)

(٣) وردت في الإسكوريال (كثير) والتصويب من ربيعه .

وما أناكم الرسول فحلووه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، وقد رُوينا عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ، مَنْ قال لأخيه والإمام يَخْطُبُ ، أَصُمْتُ ، فقد لغا ، ومن لغا فلا جُمُعَة له . جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ عَلِمَ فَعَمِلَ ، وَعَمِلَ فَقُبِلَ ، وَأَخْلَصَ فَتَخَلَّصَ . وكان ذلك مما اسْتَدِلَّ به على قُوَّةِ جَنَانِهِ ، وانقيادِ لِسَانِهِ لِبَيَانِهِ .

شعره

وله شعر يتكلفه إذ كان لا يَزِنُ أَعَارِيضَهُ إِلَّا بِمِيزَانِ الْعُرُوضِ ، فمن ذلك ما حَدَّثَ به ، قال لما حَلَلْتُ بدمشق ، ودخلتُ دار الحديث الأَشْرَفِيَّةَ ، برسم رُؤْيَةِ النُّعْلِ الْكَرِيمَةِ ، نَعْلِ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَلَشَمْتِهَا ، حَضَرْتَنِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

هنيئاً لعيني أن رأت نعل أحمد	فيا سَعْدُ جَدِي قد ظَفِرَتْ بِأَسْعَدِ ^(١)
وقبلتها أشفى الغليل فزادني	فيا عَجَباً زاد الظُّمَأُ عند مُورِدِ
فلله ذاك اللُّثْمُ فهو أَلَدُّ مِن	لِما شَفَقَ لَمَيَّا وخَدُّ مُورِدِ
ولله ذاك اليوم عيداً ومعلماً	بتاريخه أَرَخْتُ مَوْلِدَ أَسْعَدِ
عنيه صلاة نشرها طيبٌ كما	يُحِبُّ وَيَرْضَى رَبُّنَا لِمَحْمَدِ

[وقال ، وقلت في موسم عام ستة وثمانين وستماية ، يَشْغُرُ سَبْتُهُ حَرَسَهَا اللهُ تعالى :

أقول إذا هبَّ النَّسيمُ الْمُعْطَّرُ	لعلَّ بَشِيرًا باللقاء يُبَشِّرُ
وعلى الصُّبَا مرَّتْ على رَنعِ جِيرَتِي	فَعَنَ طَيِّبُهُمْ عَرَفُ النَّسيمِ يُعَبِّرُ
وأذكر أوقاتي بسلامي وبالحِمَى	فتَذَكُّرُ لَطْفِي في أَضْلَعِي حين أذْكَرُ
ربوعٌ يودُّ الْمِسْكَ طيبَ نراها	ويَهْوِي حَصِيَّ فيها عَفِيقُ وَجْهِهِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي « الجذوة » (بمقتضى) .

بها جيرة لا يخفرون بدمية
 إذا ما اجتلت زهر النجوم جمالم
 ومن جود جنواهم يرى اللئيم
 ومن سيب عناهم يرى الروض يزهر
 رعى الله عهداً بالمصلى عهده
 زماناً نعيمنا فيه والظل وارف
 والله أيام المصلى وطيبها وأنفسنا بالقرب والأنس تجبر
 بحيث يرى بدر الكمال وشمسه
 أروم دنوا من بهاء جمالها
 خضعت وذلل للحبیب تعزز
 ووجه سرورى سافر متهلل
 فطوبى لمن أضحي بطيبة ناوياً
 وإذا فات عيني أن تراهم فرددوا على مسمى ذكر المصلى وكرروا
 وردت فيا طيب الورود بطيبة
 رمانى زمانى بالفراق فغرتى
 وأضمرت أشجاني ودمعى مظهر
 فعين أدمعى ماء يفيض وبهمر
 فجسمي مضفر وفودى أبيض
 وحين دنا التوديع من أحبه
 ونادى صحابي بالرحيل وأزمعوا
 وأوى إليه الجيد حتى وجعته
 وقفت لأقضى زفرة وسبابة
 هم لمواليهم جمال ومفخر
 تغار لباهى نورهم فتغور
 يعمر ومن خوف عدواهم يذعر
 ومن قبض نعماهم يرى البحر يزخر
 وروض المني غص يرق وينضر
 بجنات عدن تحتها العذب يخضر
 وروضته فردوس وحوض ومبر
 ولثماً فتاني هينة وتوقر
 فطرفي مغضوض وخدى مفر
 وحالى بهم حلل وعيشي أخضر
 يجر أذبال الفخار وينشر
 على مثل من فارقت عز النصبر
 وأسرت هجراني وحالى تخبر
 ومن أضلعي نار تفور وتسعر
 وعيشي مغبر ودمعى أحمـر
 وحان الذى مازلت منه أخطر
 وسارت مطاياهم وظلت أفقر
 وظل فؤادى لوعة يتفطر
 ولا أنثنى فالوت أجدى وأجدر

وَلَوْ أَنَّي بَعَثَ الْحَيَاةَ بِنَظَرَةٍ
 وَمَا بِاخْتِيَارِي إِنَّمَا قَدَرْتُ جَرَى
 حَيِّنِي إِلَى مَعْنَى الْجَمَالِ مَوَاضِلِ
 وَغَيْرُ جَمِيلٍ أَنْ يُرَى عَنْ جَمَالِهَا
 أَيْضُبُّ ظِلْمًا يُغَالِ بِغُلَّةٍ
 فَيَا عَيْنَهَا الزَّرْقَاءُ إِنَّ عُيُونَهَا
 سَأَقْطَعُ لَيْلٍ بِالسُّرَى أَوْ أَزُورُهَا
 وَأَتَضَيُّ الْمَطَايَا أَوْ أُوَفِّي رَبْعَهَا
 حَظَرْتُ عَلَى نَفْسِي الْجِدَارَ مِنَ الرَّدَى
 أَيْنَكَ تَغْرِيرِ الْمُشَوِّقِ بِنَفْسِهِ
 وَقَفْتُ عَلَى فَتَوَى الْمُحِبِّينَ كُلِّهِمْ
 وَإِنِّي إِذَا مَا خَطَرَةٌ خَطَرَتْ قَضَيْتُ
 أَوْيَمُ فَأَلْفِي بَيْنَ عَيْنِي هَمِّي
 إِذَا مَا بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَعْلَامُ طَيِّبَةٍ
 وَلِلْقُبَّةِ الزَّهْرَاءِ سَمَكُ سَمَا عُلَا
 وَلِقَابِ سَنَى كَالشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَزْهَرُ
 لَهَا مَنَظَرٌ قَيْدُ النَّوَظِرِ وَالنَّهْيِ
 هَا سَاكِنٌ مِنْ نُورِ الْبَدْرِ يَبْدُرُ
 سَلِمْتُمْ وَبُلَّغْتُمْ مُنَاكِمَ فَابْشُرُوا
 إِذَا لَاحَ نُورٌ فِي سَنَاهَا مُبَشِّرُ
 وَلَكِنهَا جُهْدٌ^(١) الْمُقِيلُ فَاغْذَرُ
 قِرَائِي عَلَيْكُمْ أَنَّ ذَنْبِي يُغْفَرُ
 وَأَصْفَحُ عَنْ جُورِ الْبُعَادِ وَأَعْذَرُ

(١) وردت في الإسكوريال (جهل) والتعويب أرجع .

وَأُرْتَعَ فِي ظِلِّ الْجِنَانِ مَنْعاً
 مُنَاكَ هُنَاكَ الْقُرْبُ فَانْعِمَ بَنِيْلَهُ
 وَدَعْ عَنْكَ تَطَوُّافَ الْبِلَادِ وَخَيْمِنَ
 فَخَرْتُ بِمَدْحِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَمَنْ
 أَطْلُتُ وَإِنِّي فِي الْمَدِيحِ مُقَصِّرُ
 فَمَا بَلَغْتَ كَفِّ أَمْرِي مَتَنَاوُلُ بِهَا
 وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا مَرَّ سَبْقُ
 وَقَالَ يَرِثُنِي إِبْنَا نَجِيْباً تَكْلَهُ بَغْرِنَاطَةً :

شَبَابُ نَوَى شَابَتْ عَلَيْهِ الْمَفَارِقُ
 عَلَى حَيْنٍ رَاقٍ النَّاطِرِينَ بِسَوْقِهِ
 فَمَا أَخْطَأَتْ مِنْهُ الْفَوَادَ بَعْمَدَهَا
 وَحِينَ تَدَانِي لِلْكَمَالِ هِلَالُهُ
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَهُوَ يُشْكِي نَوَازِعاً
 وَلَا مِثْلُ فَقْدَانِ الْبَنَى فَجِيعَةً
 مُحَمَّدٌ إِنْ الصَّبْرُ صَبْرٌ وَعَلَقَمٌ
 فَإِنْ جَزَعاً فَاللَّهُ لِلْعَبْدِ عَازِرُ
 وَتَالِ اللَّهِ مَا لِيَ بَعْدَ عَيْشِكَ لَذَّةٌ
 فَأَنَّى بِهِ وَالْمَذَكِرَاتِ عَدِيدَةٌ
 فَأَيْنَ التَّفَقُّتُ فَالشَّخْصُ لِلْعَيْنِ مَائِلُ
 وَإِنْ أَدْعُ شَخْصاً بِاسْمِهِ لِمُضْرُورَةٍ
 وَإِنْ تَقَرَّعَ الْأَبْوَابَ رَاحَةً قَارِعَ
 وَغُصْنُ ذَوَى تَأَقَّتْ إِلَيْهِ الْحَدَائِقُ
 رَمَتْهُ سَهَامٌ لِلْعَيُونِ رَوَاشِقُ
 فَلَا أَبْصَرَتْ تِلْكَ الْعَيُونُ الرُّوَانِقُ
 أَلَمْ بِهِ نَقْصٌ وَجَدَّتْ مَوَاحِقُ
 عِظَاماً سَطَاها لِلْعِظَامِ عَوَارِقُ
 وَإِنْ طَالَ مَا لَجَّتْ وَجَلَّتْ بَوَائِقُ
 عَلَى أَنَّهُ حُلُوُ الْمُثُوبَةِ سَابِقُ
 وَإِنْ جَلَدًا فَالْوَعْدُ لِلَّهِ صَادِقُ
 وَلَا رَاقِي مَرَأَى لَعِيْنِي رَائِقُ
 فَنُبُلٌ وَهَمٌّ لِلْعَوَائِدِ خَارِقُ
 وَإِنْ أَسْتَمِعَ فَالصَّوْتُ لِلأُذُنِ طَارِقُ
 فَإِنْ اسْمُكَ الْمَحْبُوبَ لِلنُّطْقِ سَابِقُ
 يَطِيرُ عِنْدَهَا قَلْبٌ لِذِكْرِكَ خَافِقُ

وكلُّ كتابٍ قد حوِيتَ فمُدَّ كَرُّ
 سبقتَ كهولةً في الطفولة لا تَنِي
 فلو لم يُغْلِكْ الموتُ دُمتَ مَجْلِيًّا
 على مَهَلٍ أحرزتَ ما شِيتَ ثَانِيًّا
 رَأَتْكَ المنايا سابقاً فأغرَّتْهَا
 لِيْنِ سُلَيْتِ مِنِّي نَفِيسُ ذَخَائِرِ
 وقد كان ظَنِّي أَنَّنِي لَكَ سَابِقُ
 غَرَبِينَ كُنَّا فَرَقَ الْبَيْنُ بَيْنَنَا
 فَبَيْنَ وَبَعْدُ بِالْغَرِيبِ تَوَكَّلَّا
 عَسَى وَطَنُ يَدْنُو فَتَدْنُو مِنِّي
 فلولاً الأَسَى ذَابَ الْفَوَادِ مِنَ الْأَسَى
 فخطَّ الأَسَى خطًّا تروقُ سَطوره
 فيأواحدًا قد كان للعين نُورهَا
 عليك سلام الله ما جَنَّ سَاجِعُ
 وما هَمَمَتْ سَحْبٌ غَوَادٍ رَوَايِحُ
 رَجَادٍ عَلَى مِثْوَالِ غَيْثٍ مَرُوضُ

وَأَثَارُهُ كُلُّ إِلَيْكَ تَوَائِقُ
 وَأَرْهَقَتْ أَشْيَاخًا وَأَنْتَ مُرَاهِقُ
 وَأَقْبَلَ سِكِّينًا وَجِيئَةً وَلَا حِسْقُ
 عِنَانِكَ لَا تَجْهَدُ وَأَنْتَ مُسَابِقُ
 فَجُدَّ طِلَابًا إِنَّهُمْ لَوَاحِقُ
 فَإِنِّي بِمَذْخُورِ الْأَجُورِ لَوَائِقُ
 فَقَدْ صَارَ عَلِمِي أَنَّنِي بِكَ لَاحِقُ
 فَأَبْرَحُ مَا يَلْقَى الْغَرِيبُ الْمُفَارِقُ
 قَدْ رَعَى بِمَا حَمَلْتُ وَاللَّهُ ضَايِقُ
 وَأَيُّ الْأُمَانِي وَالْخُطُوبِ عَوَائِقُ
 وَلَوْلَا الْبُكَاءُ لَمْ يَحْمِلِ الْحُزْنَ طَائِقُ
 وَتَمَحَّوْا الْبُكَاءَ فَالِدَمْعِ مَسَاحٍ وَسَاحِقُ
 اتْلُ ضِيَاءًا بَعْدَ بُعْدِكَ غَاسِقُ
 وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا ذَرٌّ شَارِقُ
 وَمَا لَمَعَتْ تَحْذُو الرُّعُودُ بَوَارِقُ
 عَبَادُ لِرِضْوَانِ الْإِلَهِ مُوَافِقُ^(١)

مَحْنَتُهُ

تعرَّضَ إِلَيْهِ قَوْمٌ ، يَوْمَ قَتَلَ صَدِيقَهُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَكِيمَ بِإِذَايَةِ
 قَبِيحَةٍ . وَأَسْمَعَ كُلَّ شَارِقٍ مِنَ الْقَوْلِ عَلَى أَلْسِنَةِ زَعَانِفَةٍ فَجَرَّ وَتَرَهَمَ الْقَتِيلُ ،
 فَتَخَلَّصَ وَلَا تَسَلَّ كَيْفَ ، وَأَزْمَعَ الرَّحِيلَ فَلَمْ يَلْبِثْ بَعْدَ ذَلِكَ .

وفاته : كانت وفاته بمدينة فاس . في اليوم الثامن من شهر المحرم

(١) هذا الشعر كله وارد في الإسكوريال . وساقط في الزيتونة .

مفتتح عام أحد وعشرين وسبعماية . ودفن في الجبانة التي بخارج باب
الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجنة ، التي اشتملت على العلماء والصلحاء
والفضلاء ، من الغرباء الواردين مدينة فاس . وكان مولده بسبته عام سبع
وخمسين وستماية .

محمد بن علي بن هاني [اللّخمى] ^(١) السّبتى

يكنى أبا عبدالله ، ويعرف باسم جدّه ، أصلهم من إشبيلية .

حاله

كان رحمه الله فريداً دهره في سموّ الهمة ، وإيثار الاقتصاد والتّحلّي
بالفناعة ، وشموخ الأنف على أهل الرّئاسة ، مقتصرأ على فايده ^(٢) رُبع له
ببلده ، يتبَلَّغ مع الاستقامة ، مع الصّبر والعمل على حفظ المروعة ، وضوّن
ماء الوجّه ، إماماً في علم العربيّة ، مبرزأ متقدماً فيه ، حافظأ للأقوال ،
مُستوعبأ لطريق الخلاف ، مُستحضرأ لحُجج التّوجيه ، لا يُشَقُّ في ذلك
غُبَارُه ، ريان من الأدب ، بارع الخطّ ، سهل مقادة الكلام ، مُشاركأ في
الأصليين ، قائماً على القراءات ، حَسَنَ المجلس ، رايق البرّة ، [بارع]
المحاضرة ، فايق التّرسل ، متوسط النّظم ، كثير الاجتهاد والعكوف ، مليح
الخلق ، ظاهر الخشوع ، قريب الدّعة ، بيته شهير الحسب والجلالة .
وجرى ذكره في « الإكليل الزاهر » ^(٣) بما نصه : عَلِمَ تَشِيرُ إِلَيْهِ الْأَكْفُ

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (فايد) .

(٣) كتاب « الإكليل الزاهر » من كتب ابن الخطيب المصري وقد سبق التعريف به (أنظر

مقدمة المجلد الأول من الإحاطة ، ص ٨٨ ، والمجلد الثاني ص ٣٤١ حاشية) .

ويعمل إلى لقاءه الحافر والخف، رفع للعربية ببلده راية لا تتأخر . ومَرَجَ منها لُجَّةً تَزْخَرُ ، فانفسخ مجالُ درسيه ، وأثمرت أدواح غُرسيه ، فركَضَ بما شا ويرح ، ودَوَّنَ وشرَحَ ، إلى شمايل تَمَلَّكَ الظَّرْفُ زمامها ، ودُعابة راشَتُ الحلاوة سِهامها . ولما أخذ المسلمون في مُنازلة الجَبَلِ ^(١) وحِصاره ، وأصابوا الكُفْرَ منه بجارحة أبصاره ، ورَمَوْا بالثُّكل فيه نازح أمصاره ، كان ممن انتدب وتطوَّع : وسمع النداء ، فأهبط ، فلازمه إلى أن نَفِدَ لأهله القُوتُ ، وبلغ من فَتْحَةِ الأَجَلِ الموقوت ، فأقام الصَّلَاةَ بمحاربه ، وقد غيَّرَ مُحيَّاه طولُ اغترابه ، وبادَرَه الطَّاغية قبل أن يستقرَّ نصلُ الإسلام في قِرابه ، أو يعلُقَ أصلُ الدين في تُرابه . وانتدب إلى الحصار به وتبرَّع ، ودعا له لُجَّةً فلبَّى وأسرع . ولما هدَّرَ عليه الفتيق ، أوركت إلى قِبَلَتِهِ المجانيق ^(٢) ، أصيب بحَجَرٍ دَوَّمَ عليه كالجراح المُحَلَّقُ ، وانقَضَ إليه انقضااض الباقِ المئالَّتِ ، فاقْتَنَصَه ، واختطفه ، وعمد إلى زَهْرِهِ فَقَطَفَهُ ^(٣) فمضى إلى الله طَوَّعَ نِيَّتَهُ ، وَصَحِبَتَهُ غَرَابَةُ المنازع حتى في مَنِيَّتِهِ .

مشيخته

قرأ على الأستاذ العلامة أبي إسحق الغافقي ، وعلى الأستاذ النحوي أبي بكر بن عُبَيْدَةَ ، واعتمد عليه ، وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله ابنِ حُرَيْثٍ .

تواليافه

ألف كُتُباً، منها كتاب «شرحُ التَّسهيل لابن مالك» ، وهو أجلُّ كتبه،

(١) الجبل يقصد بها جبل طارق أو جبل الفتح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ (ويركع إلى قبلة المنجنيق) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فاقططفه) .

أَبْدَعَ فِيهِ ، وَتَنَافَسَ [النَّاسُ] ^(١) فِيهِ . وَمِنْهَا « الْغُرَّةُ الطَّلَاعَةُ فِي
شِعْرَاءِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ » . وَمِنْهَا « إِنْشَادُ الصَّوَالِ » ، وَإِرْشَادُ السَّوَالِ فِي لَحْنِ
الْعَامَةِ » ، وَهُوَ كِتَابٌ مُفِيدٌ ، « وَقُوتُ الْمُقِيمِ » . وَدَوْنُ تَرْسُلِ رَيْبِسِ
الْكِتَابِ أَبِي الْمُطَرِّفِ بْنِ عَمِيرَةَ وَضَمَهُ فِي سَفَرَيْنِ . وَلَهُ رَجَزٌ فِي الْفَرَايِضِ
مُفِيدٌ

شعره

حَدَّثَنَا شَيْخُنَا الْقَاضِي الشَّرِيفُ ، نَسِيحٌ وَحْدَهُ ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنِيُّ ،
قَالَ ، خَاطَبَتِ الْأُسْتَاذَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَصِيدَةٍ مِنْ نَظْمِي أَوَّلَهَا :

هَلَّتِ الْحَدِيثَ عَنِ الْكَرْبِ الَّذِي شَخَصَا

فَأَجَابَنِي عَنْ ذَلِكَ بِقَصِيدَةٍ فِي رَوِيَّهَا :

لَوْلَا مَشِيبٌ بِفَوْدِي لِلْفَوَادِ عَصَا	نَضَيْتُ فِي مُهَمِّهِ التَّشْيِيبَ لِي قَلَصَا
وَاسْتَوْقَفَتْ عِبْرَاتِي وَهِيَ جَسَارِيَّةٌ	وَكَفَاءُ تَوْهَمٍ ^(٢) رُبْعًا لِلْحَبِيبِ قَصَا
مُسَايِلًا عَنْ كِيَالِيهِ الَّتِي انْتَهَزَتْ	أَيْدِي ^(٣) الْأَمَانِي بِهَا مَا شِئَتْهُ فُرْصَا
وَكُنْتُ جَارِيْتُ فِيهَا مِنْ جَرَى طَلْقًا	مِنْ الْإِجَادَةِ لَمْ يُحْجَمْ وَلَا نَكَصَا
أَصَابَ شَاكِلَةَ الْمَرَمَى حِينَ رَمَى	مِنْ الشُّوَارِدِ مَا أَوْلَاهُ مَا اقْتَنَصَا
وَمِنْ أَعْدُ مَكَانَ النَّبْلِ نُبْلٌ حِجَا	لَمْ يَرْضَ إِلَّا بِأَبْكَارِ النَّهْيِ قَنَصَا
ثُمَّ انْتَنَى ثَانِيًا عَطْفُ النَّسِيبِ إِلَى	مَذْحٍ بِهِ قَدْ غَلَا مَا كَانَ قَدْ رَخَصَا
فَظَلْتُ ^(٤) أَرْفُلُ فِيهَا لِبَسَةً شَرُفْتُ	ذَاتًا وَمُنْتَسَبًا أَعَزَّزَ بِهِ قَمَصَا

(١) الزيادة من النفع .

(٢) وردت في الإسكوريال (يومم) . والتصويب من النفع .

(٣) وردت في الإسكوريال (فيها) . والتصويب من النفع .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النفع .

يقول فيها وقد خولت منحتها
هذي عقايل وافقتك ذا شرف
فقلت هلاً عكست القول منك له
وقلت ذى بكر فكر من أخى شرف
لها حلى حسييات على حليل
خولتها وقد اعتزت ملابسها
خذها أبا قاسم متى نتيجة دى
جاءت تجاوب عما قد بعثت به

وجرّع الكاشح المغرّى بها غصصا
لولا أياديه بيع الحمّد مرخصا
ولم يكن قابلا من مدحه الرخصا
يردى ويرضى بها الحساد والخلصا
حسنية تستبى من حلّ أو شخصا
بالبعث ينقاد للإنسان ما عوصا
ودّ إذا شئت ودّا للورى خلصا
إن كنت تأخذ من^(١) در النور حصا

وهى طويلة . وما ينسب إليه ، وهو مليح فى معناه :

ما للنوى مدت لغير ضرورة
إن الخليل وإن دعت ضرورة

ولقبّل ما عهدى بها مقصوره
لم يرّض [ذلك]^(٢) فكيف دون ضروره

وقال مضمنا :

لا يلمنى عاذلى حتى^(٣) يرى
لو رأى وجه حبيبى عاذلى

وجه من أهوى فلوئى مستحيل
لتفارقنا على وجه جميل

وقال فى الفخر :

قل للموالى عيش بغبطة حامد
المزّن كفى والثريا همى

وللمعادى بت بضغنة حاسد
وذكا ذكرى والسعود مقاصد

وقال فى غير ذلك .

غنيت بى دون غيرى الدهر عن مثل
بعضى لبعضى أضحى يضرب المثالا

(١) وردت فى الإسكوريال (س) . والتصويب من النفع .

(٢) هذه الزيادة من « الزيتونة » والنفع .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (حير)

ظَهَرَى انْحَنِى لِمَشِيبٍ لَاحٍ وَاعْجَبَا غَضُّ إِذَا أَيْنَعْتَ أَزْهَارَهُ ذُبُلَا
أَذْكَ أُمُّ زَهْرٍ لَاحَتْ تَخْبِرُ أَنَّ يَوْمَ الصَّبَا وَالتَّصْبَايِ آنَسَ الطُّفْلَا
وَمَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ تَظْمِهِ وَنَثَرِهِ ، مَا رَاجَعَ بِهِ شَيْخَنَا الْقَاضِي الشَّرِيفَ

أَبَا الْقَاسِمِ الْحَسَنِ . عَنْ الْقَصِيدَةِ الْهَمْزِيَّةِ الَّتِي ثَبَتَتْ فِي اسْمِهِ :

يَا أَوْحَدَ الْأُدْبَا أَوْ يَا أَوْحَدَ الْفُضْلَا أَوْ يَا أَوْحَدَ الشُّرَفَا	مَنْ ذَا تَرَاهُ أَحَقَّ مِنْكَ إِذَا التَّوَتَ
طَرَقُ الْحِجَاجِ بَيِّنٌ يَجِيبُ نَدَاءَ	أَدَبٍ أَرَقُّ مِنَ الْمَسْوَءِ وَإِنْ تَشَا
فَمِنْ الْمَهْوَى وَالْمَاءِ وَالصُّهْبَاءِ	وَأَلَذُّ مَنْ ظَلَمَ الْحَبِيبَ وَظَلَمَهُ
بِالْظُّلْمِ مَفْتُوحًا وَضَمُّ الظُّلْمِ	مَا السُّخْرُ إِلَّا مَا تَصُوعُغُ بِنَانِهِ
وَلِسَانُهُ مِنْ حَلِيَّةِ الْإِنْشَاءِ	وَالْفَضْلُ مَا حَلِيَّتُهُ وَحَبِيتُهُ
وَحَبَوْتَنِي مِنْهُ بِخَيْرِ حِسَاءِ	أَبْكَارُ فِكْرِكَ قَدْ زُفِّتَ بِمَذْحِي
تَمْشِي رَوَاعِيهَا عَلَى اسْتِحْيَاءِ	لَا مِنْ قُصُورٍ بَلْ لَتُقْصِيهَا مِنْ
حَيْثُ لَمْ يَظْفَرَنَّ بِالْإِرْفَاءِ	لَا كَنْ جُبُونٍ وَقَدْ جُبِلْنَ ^(١) عَلَى
الرِّضَا فَالْجَبْرُ لِلْأَبْكَارِ لِلْإِبْسَاءِ	هَذَا إِلَى الشَّرَفِ الَّذِي قَدْ فَزَتْ
مِنْ عَلِيَّائِهِ بِالْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ	شَرَفُ السَّلِيلِ مِنَ الرُّسُولِ وَسَيْلُهُ
قَامَتْ بَابِنَ سَنًا وَابْنِ سَنَاءِ	حَسَنٌ وَأَبُو حَسَنٍ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ
الْهَادِي الْبَرِيَّةُ خَاتَمُ النُّبَلَاءِ	شَرَفٌ عَلَى شَرَفٍ إِلَى شَرَفَيْنِ
مَنْ ذَا حَازَ مَا حُزَّتْ مِنْ عَلِيَاءِ	هَذِي ثَلَاثٌ أَنْتَ وَاحِدٌ فَخْرِهَا
فَاشْمَخْ لَهَا شَرَفًا بِأَنْفِ عِلَاءِ	مَنْ رَامَ رُتْبَتَكَ السَّيَّةَ فَلْيَقِفْ
دُونَ الْمَرَامِ مَوَاقِفَ الْإِقْصَاءِ	هَذِي مَآثِرٌ قَدْ شَاوَتْ بِصِيَّتِهَا
مَنْ كَانَ مِنْ آبٍ لَهَا أَوْ شَاءِ	وَاللَّيْثُ يُرْهَبُ زَأْرُهُ فِي مَوْطِنِ
مَا كَانَ مِنْ نَقْدٍ بِهِ أَوْ شَاءِ	

(١) وردت في الإسكوريال (جابن) وندمقد أن التصويب أرجح .

يكفيك من نكد المعاند أن يرى
 السنُّ يُفنى بالأنامل قسره
 أتحتنى بقصيدة همزية
 كم بين تلك وهذه لاكنها
 ذو الشيب يعذره الشَّباب فما
 من قارب الخمسين خطواً سنه
 أبنيَّ إنك أنت أسدى من به
 لله نفثة سحر ما قد شدت لى
 عارضت صفواناً بها فآريت ما
 لو راء لؤلؤك المنظم لم يقز
 بوأتنى منها أجل ميوأ
 وسمى بها أسمى ساير فأنما بما
 وأشدت ذكرى فى البلاد فى بها
 ولقوى الفخر المشيد بنيت
 فليهن هانيهم يد بيضاء ما
 حليت أبياتا^(٢) لهم^(٤) لخمية
 فليشمخوا أنفا بما أوليتهم
 هذا ، بُنى ، وصل الله لك ولي بك علو المقدار ، وأجرى وفق أو فوق

إرادتك أو إرادتى لك جاريات الأقدار . ما سمح به الذهن الكليل واللسان

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (مستوطاً) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (ثناء) مرة أخرى ، والتصويب من النسخ .

(٣) وردت فى الإسكوريال (أبا) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (له) .

الفَلِيل في مراجعة قصيدتك الغراء، الجالية للسراء، الآخذة بمجامع القلوب،
الآتية^(١) بجوامع المطلوب، الحسنة المهيع والأسلوب، المتحلية بالحلى
الحسنية^(٢)، العريقة المنتسب في العلى الحسنية، الجالية صدا قلوب
ران عليها الكسل، وخانها المسعدان، السؤل والأمل، فمتى حامت المعاني
حولها، ولو أقامت حولها، شكت ويئله عوئها، وحُرمت من فريضة
الفضيلة عوئها، وعهدى بها، والزمان زمان، وأحكامه الماضية أمانى مقضية
وأمان، تتوارد آلفها، ويجمع إجماعها وخلافها، ويساعدها من الألفاظ كل
سهل مُنتع، مفترق مُجمع، مُستأنس غريب، بعيد الغور قريب، فاضح
الحلا، واضح العلأ، وضاح الغرة والجبين، رافع عمود الصبح المبين،
أيد من الفصاحة بإياد، فلم يحفل بصاحبي طي وإياد، وكسى بضاعة^(٣)
البلاغة، فلم يعبأ بهما وابن المراغة. شفاء المحزون، وعلم السر المخزون،
ما بين منشوره والموزون. والآن لا ملهج ولا مُبتهج [ولا مرشد ولا منهج]^(٤)
عكِست القضايا فلم تُنتج، فتبلد القلب الذكى، لولم يرشح القلبيب
البكى^(٥)، وعم الإفحام وغم الإحجام، وتمكن الإكداء والإجبال،
وكورت الشمس وسيرت الجبال، وعلت سامة، وغلبت ندامة، وارتفعت
ملامة، وقامت لنوعى الأدب قيامة. حتى إذا ورد ذلك المهزق، وفرع
غصنه المورق، تغنى به الحمام الأوزق، وأحاط بعِداد عُداته الغصص
والشرق، وأمن من الغضب والسرَق، وأقبل الأمن، وذهب بإقباله الفرق،

(١) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (الموفية).

(٢) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (النية).

(٣) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (نصاعة).

(٤) الزيادة من النسخ. (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. ومكانها في

النسخ (ولم يرشح القلم الذكى).

نفخ في صور أهل المنظوم والمنثور ، وبُعْثَر ما في القبور ، وحُصِّل ما في الصدور ، وتراءت للأدب صور ، وعَمَرَت للبلاغة كُور ، وهَمَّت للبراعة دُرر ، ونُظِمَت للبراعة دُرر ، وعندها يَتَبَيَّن أَنَّكَ واحدٌ حَلَبَةِ البَيان ، والسَّابِق في ذلك الميدان ، يوم الرُّهَان ، فكان لك القدم ، وأقرَّ لك مع التَّأخِر السَّابِق الأَقْدَم ، فوَحَقَّ نَصَاعَةٌ ^(١) أَلْفَاظُ أَجَدَتْهَا ، حين أوردَتْهَا ، وأَسْلَتْهَا حين أَرَسَلَتْهَا ، وَأَزَنْتَهَا حين وَزَنْتَهَا ، وبراعةٍ معانٍ سَلَكَتْهَا حين مَلَكَتْهَا ، وَأَرَوَيْتَهَا حين رَوَيْتَهَا ^(٢) وَأَرَوَيْتَهَا ، وَأَصَلَتْهَا حين فَصَلَتْهَا وَوَصَلَتْهَا ، ونظام جعلته لجسد البَيان قَلْبًا ، والمِعْصَمَةَ قَلَمًا ، وَهَضَمْتَ حَدَائِقَهُ غَلَبًا ، وارْتَكَبْتَ رَوِيَّةً صَغْبًا ، وَنِشَارًا أَتْبَعْتَهُ لَهُ خَدِيمًا ، وَصَيَّرْتَهُ لِمُدِيرِ كَأْسِهِ نَدِيمًا ، وَلَحَفَظَ ذِمَامَهُ الْمُدَامِي ، أَوْ مُدَامَهُ الذُّمَامِي مُدِيمًا ، لَقَدْ فَتَنْتَنِي حين أَتَّيْنِي ، وَسَبَّيْتَنِي حين نَصَبْتَنِي ^(٣) ، فَذَهَبَتْ خَفَّتُهَا بَوَقَارِي ، وَلَمْ يَرُعْهَا بَعْدَ شَيْبٍ عِذَارِي ، بَلْ دَعَتْ لِلنَّصَابِي فَقُلْتُ مَرَحِبًا ، وَحَلَلْتُ لِفَتْنَتِهَا الْحَبَا ، وَلَمْ أَحْفَلْ بِشَيْبٍ ، وَأَلْفَيْتُ مَارِدَ نِصَابِي نُصَيْبٍ ، وَإِنْ كُنَّا فَرَسَى رِهَانٍ ، وَسَابِقِي حَلَبَةِ مِيدَانٍ ، غَيْرَ أَنَّ الْجِلْدَةَ ^(٤) بِيضَاءً ، وَالْمَرْجُو الْإِغْضَاءُ . بَلْ الْإِرْضَاءُ . بُنِي كَيْفَ رَأَيْتُ لِلْبَيَانِ هَذَا الطَّوْعَ ، وَالْخُرُوجَ فِيهِ مِنْ نَوْعٍ إِلَى نَوْعٍ . أَيْنَ صَفْوَانِ بْنِ إِدْرِيسَ ، وَمَحَلُّ دَعْوَاهُ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَتَغْرِيسَ ، كَمْ بَيْنَ ثَغَاءٍ [بِقَر] ^(٥) هَذَا الْفَلَا ، وَبَيْنَ زَيْثِرٍ ^(٦) لَيْثِ الْعَرِيسِ . كَمَا أَنِّي أَقْطَعُ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الْفَجِّ (فَصَاحَةٌ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (رَوَيْتَهَا) .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (صَبْنِي) .

(٤) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (الْجَادَةُ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْفَجِّ .

(٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَوَارِدَةٌ فِي الْفَجِّ .

(٦) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَسَاقِطَةٌ فِي النَّفْحِ ، وَأُنْبَأَتْهَا لِأَنَّهُ لَا يَزَامُ لاسْتِقَامَةِ السِّيَاقِ

عِلْماً ، وأَعْلَمُ قَطْعاً . وَأَحْكَمُ مَضَاءً ، وَأَمْضَى حُكْماً ، أَنَّهُ لَوْ نُظِرَ إِلَى قَصِيدَتِكَ
الرَّائِقَةِ ، وَفَرِيدَتِكَ الْحَالِيَةِ الْفَائِقَةِ ، الْمَعَارِضَةِ بِهَا قَصِيدَتُهُ ، الْمُنْتَسَخَةِ بِهَا
فَرِيدَتُهُ ، لَذَهَبَ عَرْضاً وَطَوَلاً ، ثُمَّ اعْتَقَدَ لَكَ الْيَدَ الطُّوْلَى ، وَأَقْرَبَ بَارْتِفَاعِ
النِّزَاعِ ، وَذَهَبَتْ لَهُ تِلْكَ الْعُلَّالَاتُ وَالْأَطْمَاعُ ، وَنَسِيَ كَلِمَتَهُ اللَّؤْلُؤِيَّةَ ،
وَرَجَعَ عَنْ دَعْوَاهِ الْأَدْبِيَّةِ ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ رَبَّهُ مِنْ تِلْكَ الْإِلَهِيَّةِ . بُنِيَ وَهَذَا مِنْ
ذَلِكَ ، مِنَ الْجَرَى فِي تِلْكَ الْمَسَالِكِ ، وَالتَّبَسُّطِ فِي تِلْكَ الْمَأْخَذِ وَالْمَتَارِكِ ، أَيْتَزَعُ
غَيْرِي هَذَا السَّنَزَعَ ، أَمَ الْمَرْءُ بِشِعْرِهِ ^(١) وَابْنُهُ مُوَلَعٌ . حَيَّا اللَّهُ الْأَدَبَ وَبْنِيهِ ،
وَأَعَادَ عَلَيْنَا مِنْ أَيَّامِهِ وَسِنِيهِ ، مَا أَعْلَى مَنَازِعِهِ ، وَأَكْبَأَ مَنَازِعَهُ ، وَأَجَلَّ
مَأْخَذَهُ ، وَأَجْهَلَ تَارِكَهُ ، وَأَعْلَمَ آخِذَهُ ، وَأَرْقَ طَبَاعَهُ ، وَأَحَقَّ أَشْبَاعَهُ
وَأَتْبَاعَهُ ، وَأَبْعَدَ طَرِيقَهُ ، وَأَسْعَدَ فَرِيدَتَهُ ، وَأَقْوَمَ نَهْجَهُ ، وَأَوْثَقَ نَسْجَهُ ،
وَأَسَمَحَ أَلْفَاظَهُ ، وَأَفْصَحَ عُكَاظَهُ ، وَأَضْدَقَ مَعَانِيهِ وَأَلْفَاظَهُ ، وَأَحْمَدَ نِظَامَهُ
وَنِشَارَهُ ، وَأَغْنَى [شِعْرَاهُ وَدِثَارَهُ] ^(٢) . فَعَايِبُهُ مَطْرُودٌ ، وَعَايِبُهُ مَصْفُودٌ ،
وَجَاهِلُهُ مَحْضُودٌ . وَعَالِمُهُ مَحْشُودٌ . غَيْرَ أَنَّ الْإِحْسَانَ فِيهِ قَلِيلٌ ، وَلَطَرِيقُ
الْإِصَابَةِ فِيهِ عِلْمٌ وَدَلِيلٌ : مَنْ ظَفِرَ بِهِمَا وَصَلَ ، وَعَلَى الْغَايَةِ الْقَصْوَى مِنْهُمَا
حَصَلَ ، وَمَنْ نَكَبَ عَنِ الطَّرِيقِ ، لَمْ يَعِدْ مِنْ ذَلِكَ الْقَرِيقِ ، فَلْيَهْنُكْ أَيُّهَا
الْإِبْنُ الذَّكِيُّ ، الْبَرُّ الزَّكِيُّ ، الْحَبِيبُ الْحَقِيُّ ، الصَّفِيُّ الْوَفِيُّ ، أَنْتَ حَامِلُ
رَايَتِهِ ، وَوَاصِلُ غَايَتِهِ : لَيْسَ أَوَّلُوهُ وَآخِرُوهُ لِذَلِكَ بِمُنْكَرِينَ ، وَلَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ . وَلَوْلَا أَنَّ يَطُولُ الْكِتَابُ ، وَيَنْحَرِفُ الشُّعْرَاءُ وَالْكِتَابُ ،
لِفَاضَتْ يَنْابِيعُ هَذَا الْفَضْلِ فَيْضاً ، وَخَرَجَتْ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْبَلَاغَةِ أَيْضاً ،
قَرَّتْ عُيُونُ أَوْدَايِكَ . وَمُلِئَتْ غِيظاً صَدُورُ أَعْدَايِكَ . وَرَقِيتَ دَرَجَ الْأَمَالِ ،

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَلِ . وَفِي النِّفْعِ (بِنَفْسِهِ) .

(٢) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (دِثَارُهُ وَشِعْرَاهُ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ . وَهُوَ أَكْثَرُ تَمْشِيَا
مَعَ السِّيَاقِ .

وَوُفِّيتَ عَيْنَ الكَمَالِ ، وَحُفِظَ مَنْصِبُكَ العَالِي ، بِفَضْلِ رَبِّكَ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالَى .
 وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ الْأَكْمَلُ ^(١) الْأَعْمُ يَخُصُّكَ بِهِ ، مِنْ طَالٍ فِي مَدْحِهِ أَرْفَأَكَ
 وَأَغْذَاكَ ، وَرَادَ رَوْضُ حَمْدِهِ طَلُّكَ وَرَدَاذُكَ [وَوَغَدَتْ مَصَالِحُ سَعْيِهِ فِي سَعْيِ
 مَصَالِحِكَ ، وَسَيَنْفَعُكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، وَفَضْلِهِ وَمِنْتَهَى مُعَاذُكَ] ^(٢) وَوَسَّمتَ
 نَفْسَكَ بِتَلْمِيذِهِ ، فَسَمَتَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ أَسْتَاذُكَ ، ابْنُ هَانِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
 دَخُولُهُ غَرْنَاطَةَ : دَخَلَ غَرْنَاطَةَ مَعَ الْوَفْدِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ عِنْدَ تَصْيِيرِهَا إِلَى
 الْإِيَالَةِ النَّصْرِيَّةِ ، حَسْبَمَا ثَبِتَ فِي مَوْضِعِهِ .

تَوَفَّى بِجَبَلِ الْفَتْحِ ، وَالْعَدُوُّ يَحَاصِرُهُ ، أَصَابَهُ حَجَرٌ الْمَنْجَنِيْقِ فِي رَأْسِهِ ،
 فَذَهَبَ بِهِ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ شَهَادَتَهُ وَنَفَعَهُ ، فِي أَوَاخِرِ ذِي قَعْدَةِ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ
 وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ^(٣)

وَمِنْ رِثَائِهِ قَاضِي الْجَمَاعَةِ شَيْخُنَا الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِيُّ ، وَهُوَ
 الْقَصِيدَةُ الَّتِي أَوَّلَهَا :

سَقَى اللَّهُ بِالْخَضِرَاءِ أَشْلَاءَ سُودِدٍ تَضَمَّنَهُنَّ التَّرْبُ صَوْبَ الْغَمَامِ
 وَقَدْ ثَبِتَ فِي «جُهْدِ الْمُقِيلِ» فِي اسْمِ الْمَذْكُورِ فَلْيُنْظَرْ هُنَاكَ .
 وَمِنْ رِثَائِهِ شَيْخُنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ شَيْبَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ :
 قَدْ كَانَ مَا قَالَ الْيَزِيدُ ^(٤) فَاصْبِرْ فَحُزْنُكَ لَا يَفْسِدُ

(١) وَارِدَةٌ فِي النَّفْعِ . وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٢) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارِدٌ فِي النَّفْعِ وَسَاقِطٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٣) كَانَ النَّصَارَى (الْفِشْتَالِيُونَ) قَدْ انْتَزَعُوا جَبَلَ الْفَتْحِ (جَبَلُ طَارِقِ) مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي
 سَنَةِ ٧٠٩ هـ - ١٣١٠ م) وَلَبِثَ الْمُسْلِمُونَ يَتَحَيَّنُونَ الْفُرْصَ لِاسْتِرْدَادِ هَذَا الثَّرَافِ الْمَنْعِيِّ ، وَبَعَثَ السُّلْطَانُ
 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (ابْنُ الْأَحْمَرِ) مَلِكَ غَرْنَاطَةَ يَسْتَنْجِدُ بِمَلِكِ الْمَغْرِبِ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ أَبِي الْحَسَنِ الْمُرَبِّي
 فَلَمَّا نَدَاهُ . وَحَاصَرَتِ الْقَوَاتُ الْمُتَحَالِفَةُ جَبَلَ طَارِقٍ بِشِدَّةٍ مِنَ الرِّبِّ وَالْبَحْرِ ، وَاسْتَطَاعَتْ فِي الْهَالِيَةِ أَنْ
 تَرْعِمَ الْحَاكِمُ النَّصْرَانِيَّ عَلَى التَّسْلِيمِ (سَنَةِ ٧٣٣ هـ - ١٣٣٣ م) ، وَأَنْ تَسْتَرِدَّ الْجَبَلَ لِمَنْ فِي يَدِ
 لِلْمُسْلِمِينَ عَصْرًا آخَرَ .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْعِ (الْبَرِيدِ) .

أَوْدَى ابن هِلْفَى الرُّضَا فاعتادنى للشَّكْلِ عِيد
بحرُ العلوم وصدرُها وعميدُها إذ لا عَمِيد
قد كان زِيناً للوُجُو د ففِيهِ قد فُجِع الوُجُو
العِلْمُ والتَّحْقِيقُ والتَّوْفِيقُ والحَسَمُ التَّلِيدُ
تَنَدَى خِلَافُهُ فَقَلِيلُ فِيهَا هِى الرُّوضُ المَجْجُودُ
مُغْضٍ عَنِ الإِخْوَانِ لَا جَهْمُ اللِّقَاءِ وَلَا كَنُودُ
أَوْدَى شَهِيداً بِأَذَلٍّ . مَجْهُودٌ مَعَمُ الشَّهِيدُ
لَمْ أَنْسَهُ حِينَ المَعَا رَفَ بِاسْمِهِ فِينَا تَشِيدُ
وَلَهُ صُبُوبٌ فِي طَلَاً بِالعِلْمِ يَتْلُوهُ صُعُودُ
لِلَّهِ وَقَبْتُ كَانَ يَنْظِمُنَا كَمَا نَظَّمَ الفَرِيدُ
أَيَّامَ نَقْدِهِ أَوْ نَرُو ح وَسَعِينَا السَّعَى الحَمِيدُ
وَإِذَا المَشِيقَةُ جَنَمُ هَضْبَاتِ جِلْمٍ لَا تَبِيدُ
وَمُرَادُنَا جَمِ النَّبَا ت وَعِيشُنَا خُضِرَ البُرُودُ
لَهْفَى عَلَى الإِخْوَانِ وَالأَتْرَابِ كُلُّهُمْ فَقِيلُ
لَوْ جِيتُ أَوْطَانِي لِأَنْكُرَنِي التَّهْلِيلِ والنُّجُودُ
وَلِرَاعَ نَفْسِي شَيْبُ مِنْ غَاذَرْتَهُ وَهُوَ الْوَلِيدُ
وَلَطَفْتُ مَا بَيْنَ اللُّحُو د وَقَدْ تَكَاثَرَتِ اللُّحُودُ
سُرْعَانِ مَا عَاثَ الحِمَا م وَنَحْنُ أَيْقَاضُ هُجُودُ
كَمْ رُمْتُ إِعْمَالَ المَسِيرِ فَقَبِدْتُ عَزْمِي قُبُودُ
وَالآنَ أَخْلَفْتُ الوَعْوُو د وَأَخْلَقْتُ تِلْكَ البُرُودُ
مَا لِلْفَتَى مَا يَبْتَغَى وَاللَّهِ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ
أَعْلَى القَدِيمِ المُلْكِ بِمَا وَيَلَادُ يَعْترَضُ العَبِيدُ

يَابِئُ قَدْ طَالَ الْمَدَى أَرْعِدْ وَأَبْرِقْ يَا يَزِيدُ
 وَلِكُلِّ شَيْءٍ عَايَةٌ وَلرَبِّمَا لَانَ الْحَدِيدُ
 إِلَيْهِ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ وَدُونَنَا مَرْمَى بَعِيدُ
 أَينَ الرِّسَايِلَ مِنْكَ تَأُ تِينَا كَمَا نُظِمُ^(١) الْعُقُودُ
 أَينَ الرُّسُومِ الصَّالِحِينَ تِ تَصَرَّعَتْ أَيْسَنَ الْعُهُودُ
 أَنْعَمَ مَسَاءً لَا تَخْطُتُكَ^(٢) الْبَشَائِرُ وَالسُّعُودُ
 وَأَقْدَمَ عَلَى دَارِ الرُّضَا حَيْثُ الْإِقَامَةُ وَالْخُلُودُ
 وَالسَّقَّ الْأَحْبَسَةَ حَيْثُ هَا رُ الْمُلُوكِ وَالْقَصْرِ الْمَشِيدُ
 حَتَّى الشَّهَادَةِ لَمْ تَفْتُكْ فَنَجْمُكَ النِّجْمُ السَّعِيدُ
 لَا تَبْعُدَنَّ وَعْدُ لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ^(٣) فِي الدُّنْيَا يَعُودُ
 وَلَيْنَ بُلَيْتَ فَإِنَّ ذَكَرَكَ فِي الدُّنْيَا غَضُّ جَدِيدُ
 تَاللهُ لَا تَنْسَاكَ أَنْدَبَةُ الْعُلَى مَا اخْضَرَّ عُودُ
 وَإِذَا تَسَوَّحَ فِي الْحَقْوِ قَ فَحَقُّكَ الْحَقُّ الْأَكِيدُ
 جَادَتْ صَدَاكَ عِمَامَةٌ يُرَوَّى^(٤) بِهَا ذَاكَ الصَّعِيدُ
 وَتَعَهَّدَتْكَ مِنْ الْمُهَيْمِنِ رَحْمَةً أَبَدًا وَجُودُ

محمد بن يحيى العبادري

من أهل فاس . يكنى أبا عبد الله . ويعرف بالصادق

-
- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نق) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تخطيك) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (البعد) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يرى) وهو تحريف .

حاله

قال الأستاذ في « صلته »^(١) : إمامٌ في العربية ، ذاكرٌ للغات والآداب ، متكلمٌ ، أصولٌ مفيد ، مُتَفَقِّنٌ ، حافظٌ ، ماهرٌ ، عالمٌ ، زاهدٌ ، ورعٌ ، فاضلٌ . أخذ عِلْمَ العربية والآداب عن النُّحْوِي أَبِي الْحَسَنِ بْنِ خُرُوفٍ ، وعن النُّحْوِي الْأَدِيبِ الضَّابِطِ أَبِي ذَرٍّ الْخُشَنِيِّ ، وأكثرَ عنهما ، وأكْمَلَ الكتابَ على ابنِ خُرُوفٍ ، تَفَقَّهًا وَتَقْيِيدًا وَضَبْطًا . وكان حسنَ الإقراء ، جَيِّدَ العبارة ، متينَ المعارفِ والدينِ ، شديدَ الورعِ ، مُتَوَاضِعًا جَلِيلًا ، عالِمًا عاملاً ، من أَجَلٍ من لَقِيَّتُهُ ، وأَجْمَعِهِمْ لِفَتُونِ المعارفِ ، وَضُرُوبِ الْأَعْمَالِ ، وكان الحِفْظُ أَغْلَبَ عليه ، وكان سريعَ القَلَمِ إِذَا كَتَبَ أَوْ قَيَّدَ ، وسمِعْتُهُ يقولُ ، ما سمعتُ شيئاً من أحدٍ من أَشْيَاخِي ، من نُكْتِ الْعِلْمِ ، وَتَفْسِيرِ مُشْكِلٍ ، وما يرجعُ إلى ذلك ، إِلَّا وَقَيَّدْتُهُ ، ولا قَيَّدْتُ بِخَطِي شيئاً إِلَّا حَفِظْتُهُ ، ولا حَفِظْتُ شيئاً فَنَسِيتُهُ . هذا ما سمعتُ منه .

مشيخته

أخذ العربية عن الأستاذ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ خُرُوفٍ ، وعن النُّحْوِي الْأَدِيبِ الضَّابِطِ أَبِي ذَرٍّ الْخُشَنِيِّ . وأكثرَ عنه ، وأخذَ معهما عن أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدَانَ ، ولَازَمَ ثَلَاثَتَهُمْ ، وسمعَ وقرأَ على الفقيهِ الصَّالِحِ أَبِي مُحَمَّدٍ صَالِحٍ وَأَخَذَ^(٢) عن غيرِ من ذكر .

دخوله غرناطه

قال ، دخل الأندلس مراراً بيسير بضاعةٍ كانت لديه يَتَجَرُّ فيها ،

(١) يقصد بها كتاب « صله الصلة » لاني جعفر بن الزبير (راجع ترجمته في المجلد الأول من الإحاطة ص ١٨٨) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (واكر) رالأولى أدمج .

ودخل إشبيلية ، وتردد آخر عمره إلى غرناطة ومالقة إلى حين وفاته .
توفي رحمه الله شهيداً بمرسى جبل الفتح . دخل عليهم العدو فيه .
فقاتل حتى قُتل ، وذلك سنة أحد وخمسين وستماية . وسمعتُه يتوسل إلى
الله ، ويسأله الشهادة .

المحدثون والفقهاء والطلبة النجباء

وأولا الأصليون

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير

من أهل غرناطة ، ولد الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير ، يكنى
أبا عمرو

حاله

هذا الشيخ سَكَيْتُ حَلْبَةً ، ولد أبيه في علو النباهة . إلا أنه لو دُعي
فكِهِ ، حسن الحديث ، رافض للتصنع ، ركض طَرَفَ الشَّيْبَةِ في ميدان
الراحة ، مُنْكَباً عن سُنَنِ أَبِيهِ وقومه ، مع شُغُوفٍ إِذْرَاكٍ : وجودة حِفْظٍ .
كانا يُطْطِعَانِ والدَهُ في نجابته ، فلم يَعْدَمَ قَادِحاً . ورحل إلى العُدوة .
وشرَّق^(١) ونال حُظُوةً ، وَجَرَتْ عليه خطوب . ثم عاد إلى الأندلس على
معروف رَسْمِهِ يَتَكَوَّرُ بها ، وهو الآن قد نال منه الكِبَرُ . يُزْجِي الوقتَ
بِمَانَقَةٍ . متعللاً بوقفٍ من بعض الخِدمِ المَخْزَنِيَّةِ . لطف الله به .

(١) شرق أى رحل إلى الشرق .

مشيخته

استجاز له والده الطَّم والرَّم ، من أهل المغرب والمشرق ، ووقَّف عليه منهم في الصَّغر وقفاً لم يغتبط به عمره ، وأدَّكره الآن بعد أُمَّة ، عندما نَقَرَ عنه لديه : فَأَثَرَتْ به يده من عُلُوِّ رواية ، وتوفَّر سبب مَبَرَّة ، وداعية إلى إقالة عَثْرَة : وَسَتَرَ هَيْبَة شَيْبَة . فمن ذلك الشيخ الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المِشدالي ، إجازة ثم لقاءً وسماعاً ، والشيخ الخطيب الراوية أبو عبد الله بن غريون . وأجازه الأستاذ أبو إسحق الغافقي ، وأبو القاسم بن الشَّاط ، والشَّريف أبو العباس أحمد الحسني ، والأستاذ الإمام أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع القرشي نزيل سبَّعة . ومحمد ابن صالح بن أحمد بن محمد الكتَّاني الشَّاطبي ببجاية ، والإمام أبو اليمن ابن عساكر بالمسجد الحَرَام ، وابن دَقِيق العيد وغيرهم . ومن أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السَّداد ، وأبو جعفر بن الزيات ، وأبو عبد الله بن الكَّاد ، وأبو عبد الله بن ربيع الأشعري ، وأبو عبد الله بن بُرطال ، وأبو محمد عبد المنعم بن سِمَاك ، والعدَّل أبو الحسن بن مَسْتَقُور . وأجازه من أهل المشرق والمغرب ، عَالَمٌ كبير .

شعره

وبضاعته فيه مُزْجَاة ، فمن ذلك ما خاطبني به عند إيابي من العُدوة في غرض الرسالة عن السلطان :

عَلَّمُ نِعَمٍ كَسَتْ طَولاً وَعَرَضَا	نوالى الشُّكر للرحمن فَرَضَا
منه الذي يشاء (١) وَأَمْضَا	وكم لله من لُطف خَفِيَ لَنَا
تنال بها نعيم الدهر مَحْضَا	بِمَقْدَمِكَ السَّعيد أَتَتْ سُعُود
به والاك بارينا وأَرْضَا	فيا بُشْرَى لَأَنْدَلِسٍ بِمَا قَدْ

(١) هنا بياض في الإسكوريال .

ويا لله من سَفَرٍ سَعِيدٍ قَدْ أَقْرَضْتَ الْمُهِمَّ فِيهِ قَرْضَا
 نَهَضْتَ بِنِيَّةٍ أَخْلَصْتَ فِيهَا فَأَتَتْ بِكُلِّ مَا يَبْغَى وَيَرْضَا
 وَثَبَتْ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ لَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ أَفْضَا
 لَقَدْ أَحْيَيْتَ بِالتَّقْوَى رُسُومًا كَمَا أَرْضَيْتَ بِالتَّمْهِيدِ أَرْضَا
 وَقُمْتَ بِسُنَّةِ الْمُخْتَارِ فِينَا تُمَهِّدُ سُنَّةً وَتُقِيمُ فَرْضَا
 وَرَضْتَ مِنَ الْعُلُومِ الصُّغْبَ حَتَّى جَنَيْتَ ثَمَارَهَا رَطْبًا وَغَضَا
 فَرَأَيْكَ نَاجِحٌ فِيمَا تَسْرَاهُ وَعَزَمُكَ مِنْ مَوَاضِي الْهِنْدِ أَمْضَا
 تُدَبِّرُ أَمْرَ مَوْلَانَا فَيَلْقَى الْمُسِيءَ لَدَيْكَ إِشْفَاقًا وَإِغْضَا
 فَأَعْقَبَنَا شِفَاءً وَانْسِطَاطًا وَقَدْ كَانَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مَرَضَا
 وَمَنْ أَضْحَى عَلَى ظِمٍّ وَأَمْسَى يَرِدُ إِنْ شَاءَ مِنْ نِعْمَاكَ خَوْضَا
 أَبَا عَبْدِ الْآلَةِ إِلَيْكَ أَشْكُو حِينَ نَابُ الْفَقْرِ عَضَا
 وَمِنْ نِعْمَاكَ اسْتَجْدَى لِبَاسَا يَفِيضُ بِهِ عَلَى الْجَاهِ فَيْضَا
 بَقِيَتْ مُؤَمَّلًا تُرْجَى وَتُخْشَى وَمِثْلُكَ مِنْ إِذَا مَا جَادَ أَرْضَا
 توفي في التاسع لمحرم من عام خمسة وستين وسبعمائة .

محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب النعماني

من أهل غرناطة ، يكنى أبا أبكر ، ويعرف بالقليعي .

أوليته : قد جرى من ذكره ، وذكر بيته في الطبقات ما فيه كفاية ^(١)

حاله

كان نبيه البيت ، رفيع القدر ، عالي الصيت . من أهل العلم والفضل
 والحسب والدين ، وأجمع على استيفائه أهل بلده بعد أبي محمد بن سمحون
 سنة ثمان وخمسمائة .

(١) أورد ابن الخطيب ترجمة وافية لأبيه . في المجلد الأول من الإحاطة (ص ١٤٧ - ١٥٠) .

توفي بغرناطة، أوائل صفر عشرة وخمسمائة . ودفن في روضة أبيه
ذكره ابن الصيرفي وأطنب .

محمد بن أحمد بن محمد الدؤسي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطبة .

حاله

من « عايد الصلة » : كان رحمه الله شيخ الفقهاء والموثقين ، صدر
أرباب الشورى ، نسيج وحده في الفضل ، والتخلق والعدالة ، طرُفاً في
الخير ، مُحِبّاً إلى الكافة ، مجبولا على المشاركة ، مطبوعا على التفضيلة ،
كَهْفاً للغُرباء والقادمين ، مَألفاً للمتعلمين ، ثِمالاً للأسرى والعائنين ،
تخلّص منهم على يَدَيْهِ أُممٌ ، لقصد الناس إياه بالصدقة ، مقصوداً في
الشفاعات ، مُعْتَمداً بالأمانات ، لا يُسَدَّلُ دونه سِتْرٌ ، ولا تُخْجَبُ عنه
حُرْمَةٌ ، فقيها حافظا ، إخباريا محدثا ممتعا ، متقدما في صناعة التوثيق ،
حسن المشاركة في غيرها ، كثير الحُضُّ على الصدقة في المُحَوَّل والأزمات ،
يقوم في ذلك مقامات حميدة ، ينفع الله بها الضعفاء ، وينقاد الناس
لموعظته ، ويؤثّر في القلوب بصدقه . فُقِدَ بفقْدانه رَسْمٌ من رسوم البرِّ
والصدقة .

مُشِيخته

تَرَى على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزُّبَيْر ، والخُيَّيب وليَّ الله أبي الحسن
ابن زَيْلَة ، وروى عن الشيخ الوزير المُسَيَّب المحدث ابن محمد عبد المنعم
ابن سَمَّاك ، وأبي القاسم بن السُّكُوت الملقب ، والخطيب أبي عبد الله

ابن رُشيد . والقاضي أبي يحيى بن مسعود ، والعدل أبي علي البجلي ، وأبي محمد عبد المؤمن الخولاني . وأجازته جماعة من أهل المشرق والمغرب ، وناب عن بعض القضاة بغرناطة . ولد عام تسعة وستين وسمائة ، وتوفي في الثالث لربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وسبعماية . وكانت جنازته مشهودة .

محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن أحمد بن محمد ابن يوسف بن رويل الأنصاري

من أهل غرناطة ، ويكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن السراج . طليطي الأهل ، طبيب الدار السلطانية .

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من أهل التفنن والمعرفة ، متناهي الأبهة والخطوة ، جميل الصورة ، مليح المجالسة ، كثير الدعابة والمؤانسة ، ذاكرة للأخبار والطرف ، صاحب حظ من العربية والأدب والتفسير ، قارصاً للشعر ، حسن الخط ، ظريف الوراقة ، طرُفاً في المعرفة بالعُشب ، وتمييز أعيان النبات ، سنياً : محافظاً ، مُجبا في الصالحين ، ملازماً لهم ، مُعتنياً بأخبارهم ، مُتلمذاً لهم . انحاش إلى الولي أبي عبد الله التونسي ، وانقطع إليه مدة حياته ، ودون أحواله وكراماته . وعين ريع ما يستفيده في الطب صدقة على يديه . أجرى ذلك بعد موته لبنيه . ونال حظاً عريضاً من جاه السلطان ، فاطرح حظ نفسه مع المساكين والمحتاجين ، فكان على باوه على أهل الدنيا . يؤثر ذوى الحاجة ، ويخف إلى زيارتهم ، ويرفدهم ، ويُعينهم على معالجة عيالهم .

مَشِيخَتُهُ

قرأ الطَّبَّ على الشيخ الطبيب ، نسج وحده أبي جعفر الكَرْنِي . رئيس
الصناعة في وقته ، ولقى فيه الأستاذ إمام التَّعاليم والمعارف ، أبا عبد الله
الرَّقُوطِي المُرْسِي وغيره . وقرأ القرآن على المقرئ الشهير أبي جعفر الطَّبَّاع
بالروايات السَّبع ، والعربية على الأستاذ أبي الحسن بن الصايغ الإشبيلي ،
وأكثر القراءة على شيخ الجماعة العلامة أبي جعفر بن الزُّبَيْر .
نواليفه : أَلَفَ كتباً كثيرة . منها في النِّبات والرُّيا . ومنها كتاب
سماه ، « السَّرُّ المَذاع في تفضيل غَرْناطة على كثير من البقاع » .

شِعْرُهُ

من ذلك قوله مُلَغِّزاً في المَطَر :

وما زائرُ مهما أتي اِبْتَهَجَتْ بِهِ نفوسٌ وعمَّ الخَلْقَ جوداً وإحساناً
يُقيِّمُ فيشكو الخلقُ منه مُقسامه ويكرِّبهم طُراً إذا عَنْهم بساناً
يَسُرُّ إذا وافي وَيَكْرُبُ إن نَسَاى ويُكرِّه منه الوصل إن زار أحياناً
وأعجبُ شَيْءٍ هَجَسُ حُبِّ مواصِلٍ به حين يُطِلُّ هواه إن لم يُطِلْ خاناً

مَحَنَتُهُ

ذكر أنه لما توفي السلطان ثاني الملوك من بني نصر^(١) فجأة ، وهو
يُصَلِّي المغرب ، وباكراً الطبيب باباه غداة ليلة موته . سأل عن العلَّام
القريب عهد موته بتناؤله ، فأخبر أنه تناول كَعْكاً ودَلَّتْه من وليَّ عهده ،

(١) ثاني ملوك بني نصر بمملكة غرناطة هو محمد بن محمد بن يوسف المنقَّب بالنفقِية . وقد ولي
الملك عقب وفاة أبيه محمد بن الأحمر الكبير في سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ م) . وحكم ملكة غرناطة
حتى وفاته في سنة ٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) .

فقال كلاماً أوجب نكبته ، فامتحن بالسَّجْن الطويل ، والتمست الأسباب الموصلة إلى هلاكه ، ثم أُجلى إلى العُدوة . ثم دالت الأيام ، فعاد إلى وطنه مستأنفا ما عهده من البرِّ وفَقَّده من التَّجَلَّة .

ميلاده : بغرناطة عام أربعة وخمسين وستماية .

وفاته : ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين وسبعماية .

محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن أبي زَمَنِين المُرِّي

يكنى أبا عبد الله ، وبيته معلوم

حاله : كان من أهل المعرفة والنَّبل والذكاء

مشيخته

قرأ القرآن على أبي بكر بن النَّفيس ، وأبي عبد الله بن شهيد المُرِّي المَقْرِي بطبخشارش من غرناطة . ودرس الفقه عند المُشاور أبي عبد الله بن ملك . المقرئ ، وأبي الحسن علي بن عمر بن أَضْحَى ، وعلى غيرهما من شيوخ غرناطة .

توفي سنة أربعين وخمسمائة .

قلت ، وإنما ذكرت هذا المترجم به مع كوني اشترطت صدر خطبته ، ألا أذكر هذا النمط لمكان مُصَاهِرَتِي في هذا البيت . ولعل حافِدَ هذا المترجم به من ولدى ، يطلع على تعدادهم وذكرهم في هذا التاليف وتردادهم ، فيكون ذلك محرضا له على النَّجابة . محرضا للإجابة . جعلنا الله ممَّنْ انتمى للعِلْم وأهله ، واقتفى من سُنَّته واضح سُبُلِهِ .

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسى
الوادآشى الأصل والمعرفة ، التُّونسي الاستيطان ، يكنى أبا عبد الله ،
ويعرف بابن جابر

حاله

من « عايد الصلة » : نشأ بتونس ، وجال في البلاد الشرقية والمغربية ،
واستكثر من الرواية ونقّب عن المشايخ ، وقيد الكثير ، حتى أصبح جماعة
المغرب ، ورواية الوقت . ثم قديم الأندلس ظريف النزعة ، عظيم الوقار ،
قويم السمّت ، يأوى في فضل التّعيش إلى فضل ما كان بيده ، يصرفه في
مصارف التجارة . وقعد للإسماع والرواية ، وانتقل إلى بلّش ، فقرأ بها
القرآن العظيم والروايات السّبع ، على الخطيب أبي جعفر بن الزيات . ثم
رحل إلى المغرب ، ثم أعاد الرّحلة الحجازية ، وأغرق ، فلقى أمة من
العلماء والمحدثين ، وأصبح بهم شيخاً وحده ، انفساح رواية ، وعلوّ إسناد.

مشيخته

من شيوخه قاضى الجماعة بتونس أبو العباس بن الغمّاز الخزرجى
البلكنسى . وقاضى الجماعة بها أبو إسحق بن عبد الرّبيع . وقاضى قضاة
الديار المصرية بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن على بن
جماعة بن صخر الكِنانى . وقاضى الجماعة ببجاية . أبو العباس الغبرينى .
وسراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضصر بن طاهر بن طراد بن إبراهيم
ابن محمد ابن منصور الأصبهى . وأبو محمد عبد الغفار بن محمد السّعدى
المصرى . ورضى الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلى الجعفرى .
وشرف الدين أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الله ابن الحافظ عبد الغنى

ابن عبد الواحد بن سرور المقدسى . وأبو الفضل أبو القاسم بن حماد بن
 أبي بكر بن عبد الواحد الحضرمى اللبيد . وعبد الله بن يوسف بن موسى
 الخلاسى . وعبد الله بن محمد بن هرون . وإبراهيم بن محمد بن أحمد
 ابن محمد بن عبد الله بن الحاج التّجيبى . وأحمد بن يوسف بن يعقوب
 ابن على الفهرى اللبلى^(١) . وولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين ،
 وعزّ الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب ، وجمال الدين أبو عبد الله
 محمد بن عبد الباقي بن الصّفّار ، وأبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة
 العزفى ، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد التّجيبى ، وأبو يعقوب يوسف بن
 إبراهيم بن أحمد بن على بن إبراهيم بن عقاب الجذائى الشاطبى ،
 وعبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد الله الأنصارى الأسدى القيروانى ،
 وأبو القاسم خلف بن عبد العزيز القُبْتُورى^(٢) ، وعلى بن محمد بن أبي القاسم
 ابن رزّين التّجيبى . وأحمد بن موسى بن عيسى البَطْرِنى^(٣) ، وعرّ القضاة
 فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير ، وتقى الدين
 محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصرى ، وصدر النّحاة أبو حيّان ،
 وظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومى المقدسى الدّلاصى ،
 ورضىّ الدين بن إبراهيم بن أبي بكر الطّبرى . والمُعمر بهاء الدين
 أبو محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن هبة الله بن عساكر الدمشقى .
 وأما من كتب إليه فنحو مائة وثمانين من أهل المشرق والمغرب .

قدم غرناطة فى أول عام ستة وعشرين وسبعماية ، فهو باعتبار أصله
 أصلى ، وباعتبار قدومه طارىءٌ وغريب .

(١) نسبة إلى مدينة لبلة من قواعد الغرب الأندلسى .

(٢) نسبة إلى قبّور أو كبتور من بلاد منطقة إشبيلية .

(٣) نسبة إلى بطرنة . وهى بلدة أندلسية صغيرة تقع شمال غربى بلنسية .

تواليافه

له توالياف ءاءفاءة ءملاء ، منها أربعون ءاءفاءاً ، أغرب ففها بما ءلّ
على سعة ءطوه وانفساح رءله .
وفاته : كان ءفا سنة أربعفن وسبعمافة ، وبلغفن أنه توفي عام سبعة
بعءها .

مءمء بن ءلف بن موسى الأنصارف الأوسف

من أهل البفرة ، فكنف أباف عبء الله .

ءاله

كان مءكلماف ، واقفا على مءاهب المءكلمفن ، مءءقفا برأف الأشعرفة ،
ءاكراف لءتاب الأصول والاعءقاءاء ، مءاركا فف الأدب ، مءءماف فف الطّب .

مشففءفه

روف عن أبف ءعفر بن مءمء بن ءكم بن باق ، وأبف ءعفر بن ءلف
ابن الهفثم ، وأبوف ءسن بن ءلف العنسف ، وابن مءمء بن عبء العزفز
ابن أءمء بن ءمءفن ، وأبوف عبء الله بن عبء العزفز المورف ، وابن فرء
مولف الطلاءع ، وأبف العباس بن مءمء ءءاى . وأبف على الغسانف ، وأبف
عمروزفاء بن الصّفار ، وأبف القاسم أءمء بن عمر . وأءء علم الكلام
عن أبف بكر بن ءسن المرافى . وأبف ءعفر بن مءمء بن باق ، وأبف ءءاء
ابن موسى الكلفف . وتأءب فف بعض مسائل النءو بأف القاسم بن ءلف
ابن فوسف بن فرئون بن الأبرش .

من روف عنه : روف عنه أبو إسءق بن قرقول ، وأبوفاءلء المروانف ،

وأبو زيد بن نزار ، وأبو عبد الله بن الصَّيقل المرسى ، وأبو القاسم
عبد الرحمن بن عبد الله بن سمعان ، وأبو الوليد بن خيرة .

توالميفه

من توالميفه : « النُّكت والأمالى فى الرَّد على الغزالى » ، و « الإيضاح
والبيان فى الكلام على القرآن » ، و « الوصول إلى معرفة الله ونبوة الرسول »
ورسالة « الاقتصار على مذاهب الأيَّمة الأخيار » ، ورسالة « البيان فى حقيقة
الإيمان » ، والرَّد على أبى الوليد بن رشد فى مسألة الاستواء الواقعة له فى
الجزء الأول من مُقدماته ، و « شرح مشكل ما وقع فى الموطَّأ وصحيح
البيهاقى » ، وقد كان شرع فى تصنيفه عام ثمانية عشر وسبعمائة^(١) فى
شوال منه ، وبلغ فى الكلام فيه إلى النُّكتة الرابعة والخمسين ، وقطعت
به قواطع المرض ، وشرع فى معالجة العين لرؤيا رآها ، يقال له أَلَفَتْ
فى نور البصيرة ، فألَّف فى نور البَصَر تَنْفَع وتَنْتَفَع ، فأقبل على تأليفه
فى مداواة العين ، وهو كتاب جمُّ الإفادة ، ثم أكمل النُّكت .

شعره

وكان له حظٌّ من قرض الشعر ، فعن ذلك ما مدح به إمام الحرمين
أبا المعالى الجوينى :

حُبُّ حَبْر يَكْنَى أبا المعالى هو دينى ففيه لا تعذلونى

أنا والله مُغْرَم فى هـواه علَّلونى بذكره علَّلونى

مولده : ولد يوم الثلاثاء لإثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة
سبع وخمسين وخمسمائة .

(١) ورد هذا التاريخ فى الإسكوريال « الزيتونة » (عام ثمانية عشر وخمسمائة) . ومن
الواضح أنه تاريخ محرف ، وأن الحقيقة فيه أنه (ثمانية عشر وسبعمائة) حسبما أثبتناه . وذلك أولاً =

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني

غرناطي يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشريشي

حاله

من أهل التَّصَاوُن والحِشْمَةِ والوَقَار ، مُعْرِقٌ فِي بَيْتِ الْخَيْرِيَّةِ وَالْعَفَّةِ ،
وَكَانَ وَالِدُهُ صَاحِبَنَا رَحِمَهُ اللَّهُ ، آيَةً فِي الدُّؤُوبِ وَالصَّبْرِ عَلَى انْتِسَاخِ
الدُّوَابِّ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَجْزَاءِ ، بِحَيْثُ لَا مَطْنَةَ مَعْرِفَةٍ أَوْ حُجْرَةَ طَلَبٍ تَخْلُو
عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَطِّهِ إِلَّا مَا يَقِلُّ ، عَلَى سَكُونٍ وَعَدَالَةٍ وَانْقِباسٍ وَصَبْرٍ وَقَنَاعَةٍ ،
وَأَكْتَبَ لِلصُّبِّيَّانِ فِي بَعْضِ أَطْوَارِهِ ، وَنَشَأَ ابْنُهُ الْمَذْكُورُ ، ظَاهِرُ النُّبْلِ
وَالْخُصُوصِيَّةِ مُشَارِكاً فِي فَنُونٍ ، مِنْ عَرَبِيَّةٍ وَأَدَبٍ وَحِسَابٍ وَفَرِيضَةٍ ،
وَتَصَرَّفَ فِي الشَّهَادَةِ الْمَخْزَنِيَّةِ بَرَهَةً ، ثُمَّ نُزِعَ عَنْهَا انْقِياداً لِدَاعِي النِّزَاهَةِ ،
وَهُوَ الْآنَ بِحَالِهِ الْمَوْصُوفَةِ

شعره

وشعره من نمط الإِجَادَةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

يَحْكِي تَشْنِيهِ الْقَضِيبِ الرُّطِيبِ	بِي شَادِنٍ أَهْيَفٍ مَهْمَى انْتَنِي
فَوْقَ قَضِيبٍ نَابِتٍ فِي كَثِيبِ	ذُو غُرَّةٍ كَالْبَذْرِ قَدْ أُطْلِعَتْ
أَخْتَلِسَ الْوَصْلَ حِذَا رِيقِيبِ	خَضَّتْ حَشَا الظُّلُمَاءِ مِنْ حُبِّهِ
يَضْمُنُنَا ثَوْبٌ عَفَافٍ قَشِيبِ	فَبِتْ وَلِلْوَصْلِ لَنَا ثَالِثُ
مَالَتْ نَجُومُ الْأَفْقِ نَحْوَ الْغُرُوبِ	حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ وَلَّى وَقَدْ
أَسِيلَ مِنْ مَاءِ جَفُونِي غُرُوبِ	وَدَّعْتُهُ وَالْقَلْبَ ذُو لَوْعَةِ

يُنَاقِشُ الْفَيْلَسُوفَ ابْنَ رَشْدٍ الْخَفِيدَ صَاحِبَ «الْمَقْدِمَاتِ» تَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٥ هـ ، وَثَانِيَا ، لِأَنَّ ابْنَ الْخَطِيبِ
نَفْسَهُ يَقُولُ لَنَا إِنَّ صَاحِبَ التَّرْجِمَةِ قَدْ وَلَدَ سَنَةَ ٥٥٧ هـ .

فلست أدري حين أودعته قلبٌ بأضلاعى غدا أم مُقَلِّب
ومن ذلك فى النسب :
يا أَجْمَلِ الناسِ ويا مَنْ غَدَتْ
عُرَّتُهُ تمحو سَنَا الشمس
أَنعم على عَبْدِكَ يا مالِكى دونِ اشتراءِ ومُنَى نفسى
بأن تُرى وَسْطى لِعقدى وأن تُعيد رَبِّعى كَاملِ الأنسِ
فإن تَفَضَّلْتَ بما أَرْتَجى أبقيتنى فى عَالَمِ الإنسِ
وإن تَكن تُرْجِئى خَائباً فإِننى أَدْرَجُ فى رَمَسِ
وقال فى فضلِ العِلْمِ :

يا طالبِ العِلْمِ اجتهد إنَّه خيرٌ من التَّالِدِ والطَّسارِفِ
فالعِلْمُ يَذْكُو قَدْرُ إنْفاقِهِ والمالُ إذا أَنْفَقْتَهُ تَالِفُ
وترقَّى إلى هذا العهد بإشارتى إلى التى لا فَوْقَها من تَعْلِيمِ وَلَدِ السُّلْطَانِ ،
والرَّيَاسَةِ القُرْآنِيَّةِ ببابِ الإِمَارَةِ ، والإِمَامَةِ بالمسجد الجامع من القلعة ^(١) ،
حَمِيدُ الطَّرِيقَةِ فى ذلك كُلِّهِ ، معروفُ الحقِّ ، تَوَلَّاهُ اللهُ .
مولده : عام ثمانية عشر وسبعمائة .

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سُودَةَ الْمُرِّيِّ

يَكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ

أَوَّلِيَّتُهُ

من نُبُهَاءِ بَيُوتَاتِ الأَنْدَلُسِ وَأَعْيَانِهَا : سَكَنَ سَلْفُهُ البِشَارَةَ ^(٢) :

(١) الإشارة هنا إلى قلعة (أوتصبية) اخمراء الملاصقة للتصير السلطان .

(١) منطقة البشارة أو البشرات هى المنطقة الجبلية الواقعة على جنوبى سفوح جبال سيرانفادا Sierra Nevada ، جنوب غوى غرناطة ، وعلى مقربة من البحر المتوسط . وبالإسبانية Alpujarras . وتشتهر برقاعها الحصينة وحدائق فواكهها البانعة .

بشارة بنى حسان ، وولى جدّه الأشغال ، حميد السيرة ، معروف الإدانة .

حاله

هذا الفتى من أهل الخصوصية والسكون والحياء ، المانع عن كثير من الأغراض . مال إلى العلوم العقلية ، فاستظهر على المئاساة في بعض أغراضها بالدؤوب والعكوف . المورين تأثير جبل الركية في جحرها ، فتصدّر للعلاج ، وعانى الشعر ، وأرسم في الكتابة : وعدّ من الفضلاء ، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء . وتشوّف إلى العهد للرحلة الحجازية ، والله يُيسّر قصده .

مشيخته

قرأ الطبّ والتّغديل على الجبر طبيب الدّار السلطانية ، فارس ذينك الفنين ، إبراهيم بن زرزار اليهودى ، ورّحل إلى العُدوة . فقرأ على الشّريف العالم الشهير ، رحلة الوقت في المغرب ، أبى عبد الله اللّوى ، وبلغايه نجح

شعره

أنشد السلطان قوله :

جاء الحمى صوب الغمام هُتونه	تزجى البروق سحابه فتعينه
وسقى ديار العامرية بعد ما	وافى بجرعاً الكثيب ممينه
يندى بأفنان الأراك كأنه	عقد تناصر بالعقيق ثمينه
ومحى الكثيب سكوبه فكأنه	خطّ تطلّس ميمه أو نونيه
حتى إذا الأرواح هبت بالضحا	مسحت عليه بالجنّاح ثبينه
وكأنه والرعد يحسدو خلفه	صبّ يطول إلى اللقاء حنينه
أوسع دمي فوق أكناف اللوى	جادت بلؤلؤة النفيس عيونه

والبرق في حُلِّ السَّحابِ كأنه
 أو ثوبٌ ضافية الملبس كاعبٌ
 هنَّ الديار برامة لا دهرها
 ولقد وقفتُ برسمها فكأنني
 قلبي بذاك اللوى خلفته
 لا تسَلُ العُدال عني فالهوى
 إن يخف عن شرحى حديث زميرتي
 عجباً لدعوى لا يكفُ كأنما
 محبي المكارم بعدما أودى بها
 مولى الملوك عميدُ كل فضيلة
 يُضفي إلى داعي الندى فيهزه
 من ذا يُسابق فضله لوجوده
 إن تلقه تلقَ الجمال وقاره
 غمر الأنام نواله ومحا الضلال رشاده
 أحياء رسوم الدين وهي دوارس
 شمس الهدى حثفُ العدا مُنحي النُدا بحر الجدا طول المدى تمكينه
 ليثُ الشرى غوثُ الورى قمر السرى سنُّ القيرى عمُّ القرى تأمينه
 فليأسه يوم الوغى ولعزمه
 لا تسَلُ الهيجاء عنه إنه
 لو كان يُشغله المنام عن العلا
 وإذا تناولت الملوك بماجد
 يا بن الأبي نصرروا الرسول ومن بهم نطق الكتاب فصيحُه ومبينه

مكنون سرُّ قد أذيع مضمونه
 عمدت بحاشية النصار تزيينه
 سَلَسُ القياد ولا العتاب يلينه
 من ناجل الأطلال فيه أكونه
 ألوى بمزْدَلِف الرِّفاق ظمينه
 ذا يخامر بالضلوع دفينه
 فعلى الفنون فريضة تُبينه
 جدوى أبي عبد الله هُتونه
 زمنُ تقلُّب بالكِرام خُونه
 علق الزمان ثمينه ومكينه
 وبملتقى الجمعين طال سكونه
 ويلجُ فيض البحر فاض يمينه
 والحلم طبعُ والسماحة دينه
 غمر الأنام نواله ومحا الضلال رشاده
 أحياء رسوم الدين وهي دوارس
 شمس الهدى حثفُ العدا مُنحي النُدا بحر الجدا طول المدى تمكينه
 ليثُ الشرى غوثُ الورى قمر السرى سنُّ القيرى عمُّ القرى تأمينه
 فليأسه يوم الوغى ولعزمه
 لا تسَلُ الهيجاء عنه إنه
 لو كان يُشغله المنام عن العلا
 وإذا تناولت الملوك بماجد
 يا بن الأبي نصرروا الرسول ومن بهم نطق الكتاب فصيحُه ومبينه

خُصُوا ببيعته وحاموا دونسه نهج الرضا حتى تقاوم دينه
 أمعاضد الإسلام أنت عميدُه وخليفة الرحمن أنت أمينُه
 لم يبق إلا من بسيفك طابعُ والفنش^(١) في أقصى البلاد هينه
 وبجيشك المنصور لو لاقيتُه أدرى بمشجر الرماح طعنه
 ولو اصطنعت إلى العدو إدالةً طاعتُ إليك بلادُه وحصونه
 خذها إليك قصيدةً من شاعر حلو الكلام مهذبٌ تبينه
 جعل القوافي للمعالي سلماً فجنى الفريض كما اقتضته فنونه
 غطى هواه عقله واقتصاده يحصى النجوم جهالةً تزينه
 ولو أخذته أيدي التحرير والنقد ، لرجى أن يكون شاعراً ، وبالجملة
 فالرجل معدود من السراة بيتاً وتخصصاً .

محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي

منكب^(٢) الأصل يكنى أبا عبد الله ، طبيب الدار السلطانية .

حاله

من « عايد الصلة » : كان رحمه الله فذاً في الانطباع واللوعة ،
 حبيب المشاركة في الطب ، مليح المحاضرة ، حفيظاً ، طليعاً ، مستحضرأ
 للأدب ، ذاكرة لصناعة الطب ، أخذها عن إمام وقته ، أبي جعفر الكزني ،
 وانتصب للعلاج ، ثم انتقل إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطاني . ووُلّي
 الحسبة ، ومن شعره يخاطب السلطان على السنة أصحابنا الأطباء الذين

(١) يقصد بها هنا ملك تشالة ، وقد كان هذا الاسم يطلق على ملوك النصارى لأن معظمهم

كان يحمل اسم الفنش (الفونسو) .

(٢) منكب^(٢) الأصل ، أي ينتسب إلى نكر المنكب Almunecar . الواقع شرق مالقة .

جَمَعَتْهُمْ الخِدمة ببابه يومئذ ، وهم أبو الأَصْبَغ بن سعادة ، وأبو تمام
غالب الشَّقُورَى :

قد جمعنا ببابكم سَطْرَ عِلْمٍ لبلوغِ المَنَى ونيلِ الإرادة
ومن أسألتنا لكم حُسْنُ فِعالٍ غالبٌ ثم سالمٌ وسعادة
توفى في شهر رجب من عام سبعة عشر وسبعمائة .

محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين

من أهل البيرة ، يكنى أبا عبد الله

حاله

من الملاحى ^(١) : قال وَلى الأحكام ، وكان فقيها نبيها .
وفاته : توفى بغرناطة في عَشْرِ السنين وأربعمائة
قلت ، قد تقدم اعتذارى عن إثبات مثله في هذا المختصر ، فليُنظر
هناك إن شاء الله .

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد
ابن إبراهيم بن محمد بن أبي زَمَنِين عدنان بن بشير بن كثير المُرِّي

حاله

كان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين ، وأجلُّ وقته قدراً في
العلم والرواية والحفظ للرأى والتمييز للحديث ، والمعرفة باختلاف العلماء ،

(١) هو أبو القاسم الملاحى صاحب كتاب « تاريخ علماء البيرة » وقد سبق التعريف به .
وسوف يورد لنا ابن الخطيب ترجمته بعد قليل .

مُتَفَنِّناً فِي الْعِلْمِ ، مُضْطَّاعاً بِالْأَدَبِ ، قَارِضاً لِلشَّعْرِ ، مُتَصَرِّفاً فِي حِفْظِ
 الْمَعَانِي وَالْأَخْبَارِ ، مَعَ النُّسْكِ وَالزُّهْدِ ، وَالْأَخْذِ بِسُنَنِ الصَّالِحِينَ ، وَالتَّخَلُّقِ
 بِأَخْلَاقِهِمْ . لَمْ يَزَلْ أُمَّةً فِي الْخَيْرِ ، قَانِتاً لِلَّهِ ، مُنِيباً لَهُ ، عَالِماً زَاهِداً صَالِحاً
 خَيْراً مَتَّقِشاً ، كَثِيرَ التَّبَتُّلِ وَالتَّزَلُّفِ بِالْخَيْرَاتِ ، مُسَارِعاً إِلَى الصَّالِحَاتِ ،
 دَائِمُ الصَّلَاةِ وَالْبِكَاءِ ، وَاعْظَا . مَذْكُراً بِاللَّهِ ، دَاعِياً إِلَيْهِ ، وَرِعاً ، مُدَبِّبِي
 الصَّدَقَةِ ، مَعِيناً عَلَى النَّايِبَةِ ، مُوَاسِياً بِجَاهِهِ وَمَالِهِ ، ذَا لِسَانٍ وَبِبَانٍ ، تُصْغَى
 إِلَيْهِ الْإِفْتِدَاءُ ، فَصِيحاً ، بَهِيّاً ، عَرَبِيّاً ، شَرِيفاً ، أَلْبِيَّ النَّفْسِ ، عَالِي الْهَمَةِ ،
 طَيِّبِ الْمَجَالِسَةِ ، أَنْيَسِ الْمَشَاهِدَةِ ، ذَكِيّاً . رَاسِخاً فِي كُلِّ جُمٍّ مِنَ الْعُلُومِ ،
 صَبِيرٌ فَيَا جَهْدِئاً ، مَا رَوَى ^(١) قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ ، مِثْلَهُ .

مَشِيخَتُهُ .

سَكَنَ قَرْطَبَةَ ، وَسَمِعَ بِهَا مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَطْرُفٍ ، وَوَقَّعَ بِنِ مَسْرَةَ
 الْحِجَارِيِّ ، وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عَيْسَى بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ دَنْيَرٍ ، وَعَنْ وَالِدِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ
 بْنِ عَيْسَى .

مِنْ رَوَى عَنْهُ : رَوَى عَنْهُ الزَّاهِدُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَسْعُودِ الْإِلْبِيرِيِّ
 وَغَيْرِهِ .

تَوَالِيْفُهُ

أَلْفَ كِتَابِ الْمُغْرَبِ فِي اخْتِصَارِ « الْمُدَوَّنَةِ » ثَلَاثِينَ جُزْءاً ، لَيْسَ فِي
 الْمُخْتَصَرَاتِ مِثْلَهُ بِإِجْمَاعٍ ، وَالْمُهَذَّبُ فِي تَفْسِيرِ « الْمُوطَأِ » . وَالْمُشْتَمَلُ فِي
 أُصُولِ الرِّثَائِقِ ، وَحَيَاةِ الْقُلُوبِ . وَأَنْسُ الْفَرِيدِ ، وَمُنْتَخِبِ الْأَحْكَامِ .
 وَالنِّصَائِحِ الْمُنَظَّمَةِ ، وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ .

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُودِيَالِ (دى .) وَنَفَقَهُ أَنْ تَصَوِّبَ أَفْضَلَ .

مولده : في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .
وفاته : توفي في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة بحاضرة
البصرة ، رحمه الله ونفع به .

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مُشرف بن قاسم
ابن محمد بن هاني اللخمي القايصي

يكنى أبا الحسن

حاله

كان وزيراً جليلاً ، فقيهاً رفيعاً ، جواداً ، أديباً ، جيد الشعر ، عارفاً
بصناعة النحو والعروض ، واللغة والأدب والطب ، من أهل الرواية والدراية

مشيخته

روى عن الحافظ أبي بكر بن عطية ، وأبي محمد بن عتاب ، وأبي الوليد
بن رشد القاضي الإمام ، والقاضي أبي محمد عبد الله بن علي بن سمجون .

شعره

من شعره قوله :

يا حُرَّةَ البَيْنِ كَوَيْتِ الحِشَا حَتَّى	أَذَبْتَ القَلْسَبَ فِي أَضْلَعِهِ
أَذَكَيْتِ فِيهِ النَّسَارَ حَتَّى غَدَا	يَنْسَابُ ذَاكَ الدُّوْبُ مِنْ مَذْمَعِهِ
يَا سُوْلَ هَذَا القَلْبِ حَتَّى مَتَى	يُوسَى بَرَشَفَ الرِّيقِ مِنْ مُنْبَعِهِ
فَإِنَّ فِي الشَّهْدِ شِفَاً لِلْمُورَى	لَا سِيْمَا إِنْ يَجِرُ مِنْ مَكْسِرِهِ
وَاللَّهُ يَدْنِي مِنْكُمْ عَاجِلاً	وَيَبْلُغُ القَلْبَ إِلَى مَقْطَعِهِ .

مولده : ولد في الثلث الأخير من ليلة الجمعة لثلاث بقين لذي حجة
سنة ثمان وتسعين وأربعمائة .
توفي في آخر جمادى الأخرى سنة ست وتسعين وخمسمائة .

محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف
ابن أحمد الفسائي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله
حاله

كان محدثاً نبيلاً حاذقاً ذكياً ، وله شرح جليل على كتاب «الشهاب» ،
واختصاراً حسن في «اقتباس الأنوار» للرشاطي . وكان كاتباً وافر الحظ من
الأدب ، يقرض شعراً لا بأس به .

من شعره في ذكر أنساب طبقات العرب :

الشَّعْبُ ثُمَّ قَبِيلَةٌ وَعِمَارَةٌ	بَطْنٌ وَفَخْدٌ وَالْفَصِيلَةُ تَابِعُهُ
فَالشَّعْبُ يَجْمَعُ لِلْقَبَائِلِ كُلِّهَا	ثُمَّ الْقَبِيلَةُ لِلْعِمَارَةِ جَسَامِعُهُ
وَالْبَطْنُ يَجْمَعُهُ الْعِمَارُ فَأَعْلَمَنَ	وَالْفَخْدُ يَجْمَعُهُ الْبَطُونُ الْوَاسِعَةُ
وَالْفَخْدُ يَجْمَعُ لِلْفَصَائِلِ كُلِّهَا	جَاءَتْ عَلَى نَسَقٍ لَهَا مُتَتَابِعَةُ
فَعُزِيمَةُ شَعْبٌ وَإِنْ كِنَانَةٌ	لِقَبِيلَةٍ عَنْهَا الْفَصَائِلُ شَاسِعَةُ
وَقُرَيْشُهَا تَسْمُو الْعِبَارَةَ يَافَتِي	وَقُصَى بَطْنُ الْأَعَادِي قَامِعَةُ
ذَا مَا تَمَّ فَخْدٌ وَذَا عَبَاسُهَا	إِلَّا الْفَصِيلَةُ لَا تَنَاطُ بِسَائِعَةِ

ولد بغرناطة سنة ثمان وستين وخمسمائة .

وفاته : بمُرْسِيَّة في رمضان تسع عشرة وستماية .

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُفَرِّج بن أحمد بن عبد الواحد
ابن حُرَيْث بن جعفر بن سعيد بن محمد بن حَقْل الغافقي

من ولد مروان بن حقل النازل بقرية الملاحه من قَنْبَر قَيْس^(١) من
عمل للبيرة ، يكنى أبا القاسم ويعرف بالملاحى . وقد نقلنا عنه الكثير ،
وهو من المفاخر الفرناطية .

حاله

كان محدثاً راوية مُعْتَنِيَا ، أدبياً ، مؤرخاً ، فاضلاً جليلاً . قال
الأستاذ في « الصلة » : كان من أفضل الناس ، وأحسنهم عِشْرَةً ، وألينهم
كلمة ، وأكثرهم مروءة ، وأحسنهم خُلُقاً وخُلُقاً ، ما رأيت مثله ،
قدّس الله تربته . وذكره صاحب « الذيل »^(٢) ، الأستاذ أبو عبد الله بن
عبد الملك ، وأطرب فيه ، وذكره المحدث أبو عبد الله الطنجالى ، وذكره
ابن عساكر في تاريخه .

مشيخته

روى عن أبيه أبي محمد ، وأبي القاسم بن بَشْكُوَال ، وأبي العباس بن
اليتيم ، وعالم كثير من غير بلده ، ومن أهل بلده سوى أبيه ، وعن
أبي سليمان داود بن يزيد بن عبد الله السعدى القلعى . لازمه مدة . وعن
أبي خالد بن رَفَاعَة اللخمي . وأبي محمد عبد الحق بن يزيد العبدرى .

(١) سبق التعريف بهذين الموضعين . الملاحه وبالإسبانية La Mala ، وقنبر قيس
بإسبانية Cambea (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٨ ، و ١٢٨ ، و ١٢٩ حواشئ) .
(٢) أعنى كتاب « الذيل والتكمله » . وقد ورد بعد هذه الكلمة في مخطوط الإسكوريال كلمة
(ذكره) مرة أخرى ونعتقد أن وجودها هنا سهو من النسخ ، ومن ثم فقد أغفلناها .

وأبي جعفر عبد الرحمن بن الحسن بن القصير ، وأبي بكر بن طلحة
ابن أحمد بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، وأبي محمد عبد المنعم بن
عبد الرحيم ، وأبي جعفر بن حكيم الحصار ، وأبي عبد الله بن عروس ،
وأبي الحسن بن كوثر ، وأبي بكر الكتندى ، وأبي إسحق بن الجلاء ،
وأبي بكر بن أبي زمنين ، وأبي القاسم بن سمجون ، وأبي محمد عبد الصمد
ابن محمد بن يعيش الغساني . وكان من المكثرين في باب الرواية ، أهل
الضبط والتقيد والإتقان ، بارع الخط ، حسن الوراق ، أديباً بارعاً ذا كرا
للتاريخ والرجال ، عارفاً بالأنساب ، نقاداً حافظاً للأسانيد ، ثقةً عدلاً ،
مشاركاً في فنون ، سياسياً . وروى عنه الأستاذ ، واعتنى بالرواية عنه .
وقال الأستاذ ، حدثني عنه من شيوخى جماعة ، منهم القاضي العدل
أبو بكر بن المرباط .

تواليافه

ألف كتابه في « تاريخ علماء البيرة » ، واحتفل فيه . وألف كتاب
« الشجرة في الأنساب » ، و « كتاب الأربعين حديثاً » ، و « كتاب فضائل
القرآن » ، و « برنامج ووايته » وغير ذلك .

مولده : سنة تسع وأربعين وخمسمائة

وفاته : توفي في شعبان سنة تسع عشرة وستماية ببلده .

محمد بن على بن عبد الله اللخمي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالشقوري ، منسوباً إلى مدينة شقورة^(١)

(١) هي بلدة أندلسية حصينة تقع شمال شرق مدينة أبدة ، وشمال غرب مرسية على مقربة من

هر شقوره وبالإسبانية Segura .

ومنها أهله ، صاحبنا طبيب دار الإمارة ، حفظه الله .

حاله

هذا الرجل طُرِفَ في الخير والأمانة ، فذُ في حسن المشاركة ، نَقِيَ في حب الصالحين ، كثير الهوى إلى أهل التقوى ، حَذِرٌ من التفریط ، حريص على التعلُّق بجناب الله . نشأ سابع رداء العقَّة ، كثيف جَلَباب الصَّيَانَة ، متصدِّراً للعلاج في زمن المراهقة ، مُعِمًّا ، مُخَوِّلاً في الصَّنَاعَة ، بادِي الوقار في سَنِّ الحشمة . ثم نظر واجتهد ، فأخَرَزَ الشهرة بدينه ، ويُنَمِّنُ نَقِيبَتَه ، وكثرة حِيْطَتِه ، ولطيف علاجه ، ونُجِحَ تجربته . ثم كَلِفَ بصحبة الصالحين ، وخاض في السلوك ، وأخذ نفسه بالارتياض والمُجَاهَدَة ، حتى ظهرت عليه آثار ذلك . واستدعاه السلطان لعلاج نفسه ، فاغْتَبَطَ به ، وشدَّ اليَدَ عليه ، وظهر له فضله ، وهو لهذا العهد ببابه ، حميدُ السيرة ، قويم الطريقة ، صحيح العقْد ، حسن التدبير ، عظيم المشاركة للناس ، أشدُّ الخلق حرصاً على سعادة من صَحِبِه ، وأكثرهم ثناءً عليه ، وأَصْرَحَهُمْ نصيحة له ، نبيلُ الأغراض ، فَطِنُ المقاصد ، قائمٌ على الصنعة ، مُبِينُ العبارة ، معتدل في البحث والمذاكرة ، متكلم في طريقة الصُّوفِيَة ، عديم النظير في الفضل ، وكرم النفس .

شيوخه

قرأ على جده للأب ، وعلى الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة ، وعلى شيخنا الحكيم الفاضل أبي زكريا بن هُذَيْل ، ولازمه ، وانتفع به ، وسلك بالشيخ الصُّوفِي أبي مُهَذَّب عيسى الزيات ثم بأخيه الصالح الفاضل أبي جعفر الزيات ، والتزم طريقته ، وظهرت عليه بَرَكَتُه .

تواليافه

ألف كتباً نبيلة ، منها « تحفة المتوسل في صناعة الطب » وكتاباً أسماه « الجهاد الأكبر » ، وآخر سماه « قمع اليهودي عن تعدى الحدود » أحسن فيه ما شاء .

شعره

أنشدني بعد ممانعة واعتذار ، إذ هذا الغرض ليس من شأنه :
 سألت ركاب العز أين ركابي فابدى عنادا ثم رد جسواي
 ركائبك مع سيرى يسيرُ بسيره بغير حلول مذ حَلَلتَ جَنائي
 فلا تلتفت سيراً لذاتك إنما تسير بها سيراً لغير ذهاب
 وهي متعددة .
 ولد في عام سبعة وعشرين وسبعمائة .

محمد بن علي بن فرج القُرْبُلْيَانِي^(١)

يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشفرة^(٢)

حاله

كان رجلاً ساذجاً ، مشغلاً بصناعة الطب ، عاكفا عليها عمره .
 محققاً لكثير من أعيان النبات ، كلِّفَ به ، مُتَعَيِّشاً من عُشْبِهِ أول أمره ،

(١) بهذه الترجمة يبدأ الجزء الثالث من كتاب الإحاطة ، مخطوط الزيتونة الذي يحفظ بدار الكتب التونسية الوطنية (مكتبة المطارين) برقم 8136 . ومخطوط المتحف البريطاني (من كتاب الإحاطة) المحفوظ برقم 8674 . Or ، ومخطوط مكتبة الرباط العامة المنقول عنه . ويعمل رقم 22704 (الكتانية)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الشفر) .

وارتاد المنايت ، وسَرَحَ بالجبال ، ثم تصدَّرَ للعلاج ، ورأس به ، وحفظ الكثير من أقوال أهله ، ونسخ جملة من كُتَّابَيْهِ على ركَاكَه خطّه ، وعالج السلطان نصر المُستَقَرَّ بوادي آش ، وقد طرق من بها مرضٌ وافد [حمل علاجه المُشَاقَّحَة لِأجله ، وعظُمُ الهلاك فيمن اختَصَّ بتدبيره ، فطَوَّفَ القلب المبارك بِمَبرَاه . ثم رحل إلى العُدوة ، وأقام بِمَراكِش سنين عدة ، ثم كَرَّ إلى غرناطة في عام أحد وستين ، وبها هلك على أثر وصوله .

مُشِيخَتُهُ

زعم أنه قرأ على أبيه ببِلْدِهِ من قَرْبَلِيَان بِلْدِ الدَّجْن^(١) ، وأخذ الجِرَاحَة عن فوج من مُحَسِّنِي صِنَاعَةِ عَمَلِ اليَدِ من الرُّوح . وقرأ على الطبيب عبد الله بن سِرَاج وغيره .

توَالِيْفُهُ : أَلَفَ كِتَاباً فِي النِّبَاتِ .

وَفَاتِهِ : فِي السَّابِعِ عَشَرَ لِرَبِيعِ الْأَوَّلِ عَامِ أَحَدٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ^(٢)

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يُوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّكُونِي

يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَيَعْرِفُ بِابْنِ اللَّوْلُوَّةِ ، أَصْلُهُ مِنْ جِهَةِ قِمَارِش^(٣)

حَالُهُ

رَحَلَ فِي فِتَائِهِ ، بَعْدَ أَنْ شَدَا شَيْثَا مِنَ الطَّلَبِ ، وَكَلِّفَ بِالرَّوَايَةِ وَالتَّقْيِيدِ

(١) أي البلد الذي يسكنه المسلمون الذين تحت حكم النصارى . والظاهر أن هذه البلدة ، أي قَرْبَلِيَان كانت داخلة في حدود قشتالة .

(٢) كل ما هو محصور بين الحاصرتين واره في مخطوط الزيتونة . وساقط في الإسكوريال .

(٣) قمارش بلدة أندلسية حصينة تقع شمال شرق ثغر مالقة في سفح جبال سيرا نفادا

(جبل الثلج) ، وبالإسبانية Comares .

فلقى مشيخةً ، وأخذ عن جِلَّةٍ ، وقدم على بلده حسن الحالة ، مستقيم
الطريقة ، ظاهر الانقياض والعفة ، وأدخل الأندلس فوايد وقصايد ،
وكان ممن ينتفع به لو أمهلت المنية .

شعره

مما نسبته إلى نفسه من الشعر قوله :

يا من عليه اعتمادي	في قِلٍّ أمري وكُثْرِهِ
سَهْلٌ على ارتحالي	إلى النبي وقَبْرِهِ
فذاك أَقْصَى مُرادى	من الوجُود بأَسْرِهِ
وليس ذا بعزيز	عليك فامنن بِيُسْرِهِ

ومن ذلك :

أمن بعد ما لاح المَشِيبُ بمُفَرِّقِي	أميل لزور بالغُرور مصاغ
وأرتاح للذات والشَّيب مُنْذِر	بما ليس عنه للأُنام مِراغُ
ومن يَمُتْ قبل المشيب فإنه	يُراغ بهول بعده ويُراغ
فياربُ وفَقِنِي إلى ما يكون لي	به للذي أَرْجُوهُ منك بلاغ

توفي مُعْتَبِطاً في وقعة الطاعون^(١) عام خمسين وسبعماية ، خطيباً بحصن
قُمارش .

(١) إن وقعة الطاعون التي يشير إليها ابن الخطيب هنا والتي سبق أن أشار إليها غير مرة والتي سوف
يشير إليها فيما بعد مرارا أخرى باسم الطاعون الأعظم ، هي كارثة الوباء الجارف الذي اجتاح أم
الشرق والغرب معا فيما بين سنتي ١٣٤٨ و ١٣٤٩ م (٧٥٠ هـ) ، والذي طاف بالأندلس كما طاف
من قبلها بمصر وبلاد المغرب وحمل منها مئات الألوف . وتشير إليه الرواية الإسلامية باسم « الفناء
الكبير » وقد سبق التعريف بهذا الحادث .

محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المُرِّي

أصله من بُشْرَة غرناطة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من بعض التواريخ المتأخرة : كان شيخاً جليلاً ، كاتباً مجيداً ، بارع الأدب ، رايق الشعر ، سيال القريحة ، سريع البديهة ، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ ، ذا كراً لأيام السلف ، طيب المحاضرة ، مكيح الشئبة ، حسن الهيئة ، مع الدين والفضل ، والطهارة والوقار والصمت .

مشيخته

قرأ بغرناطة على الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرّس ، وغيره من شيوخ غرناطة . وبالمقة ، على الأستاذ أبي القاسم السهيلي وبجيان على ابن يربوع ، وبإشبيلية على الحسن بن زرقون وغيره من نظرائه .

أدبه

قال الغافقي ، كانت بينه وبين الشيخ الفقيه واحد عصره أبي الحسن سهل بن مالك ، مكاتبات ومراجعات ، ظهرت فيها براعته ، وشهدت له بالتقدم يراعه .

محتله

أصابته في آخر عمره نكبة ثقيلة ، أسير هو وأولاده ، فكانت وفاته أسفاً لما جرى عليهم نفعه الله . توفي في حدود سبعة وثلاثين وستمائة .

محمد [بن يزيد] ^(١) بن رَفاعة الأموي ^(٢) البيري ^(٣)

أصله من قرية طُرُش ^(٤)

حاله

طلب العلم وعنى بسمعه ^(٥) ، ونسخ أكثر كتبه بخطه ، وكان لُغويا شاعرا ، من الفقهاء المُشاورين الموثقين ، وُوِّل الصلاة بالحاضرة ، وعُزل وسَرَد الصَّوم عن نَذْرِ لَزِمه عُمره .

مشيخته

سمع من شيوخ البيرة ، محمد بن فطيس ، وابن عَمْريل ، وهاشم ابن خالد ، وعثمان بن جهير ، وحفص بن نجيح ، وبقرطبة من عُبَيْد الله ابن يحيى بن يحيى وغيره .

من حكاياته : قال المؤرخ ، من غريب ما جرى لأبي على البغدادي ، في مقدّمه إلى قرطبة ، أن الخليفة الحَكَم ، أمر ابن الرُّماحس عامله على كُورَتَي البيرة وبِجَّانة ، أن يجيء مع أبي على في وفد من وجوه رعيّته ، وكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ، إلى أن تجاروا يوما وهم سايرون ، أدب عبد الملك بن مَرَوان ، ومُساءلته جلساءه عن أفضل المناديل ، وإنشاده بيت عبدة بن الطبيب :

(١) الزيادة في النسب من الزيتونة . ووردت مصححة في هامش الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأسدى) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الإلبيري) .

(٤) طرش وبالإسبانية Torrox بلدة أندلسية صغيرة تقع بين المنكب وبلش مالقة على

مقربة من البحر المتوسط .

(٥) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بجمعه) والأولى أنسب .

ثُمَّ قُمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَاقُهُنَّ لَا يَدِينُنَا مَنَادِيلُ
وَكَانَ الذَّاكِرُ لِلْحِكَايَةِ أَبُو عَلِيٍّ ، فَانْشَدَ الْكَلِمَةَ فِي الْبَيْتِ أَعْرَاقُهَا ،
فَلَوَّى ابْنُ رِفَاعَةَ عِنَانَهُ مَنْصَرَفًا ، وَقَالَ ، مَعَ هَذَا يُوفَدُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَتُنَجِّشُ الرُّحْلَةَ الْعَظِيمَةَ ، وَهُوَ لَا يَقِيمُ وَزْنَ بَيْتٍ مَشْهُورٍ فِي النَّاسِ ،
لَا يَغْلُظُ فِيهِ الصُّبْيَانُ ، وَاللَّهُ لَا تَبِعَتْهُ خُطْوَةٌ ، وَانْصَرَفَ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، وَنَذَبَهُ
أَمِيرُهُ ابْنُ الرُّمَاحِسِ ، وَرَأَاهُ بَأْنٌ لَا يَفْعَلُ ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ حِيلَةَ ، فَكَتَبَ
إِلَى الْخَلِيفَةِ يَعْرِفُهُ بِابْنِ رِفَاعَةَ ، وَيَصِفُ مَا جَرَى مَعَهُ ، فَأَجَابَهُ الْحَكَمُ
عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي بَادِيَةِ مَنْ بَوَادِينَا مِنْ يُخْطِئُ وَفَدَ
أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَابْنَ رِفَاعَةَ بِالرُّضَا أَوَّلَى مِنْهُ بِالسُّخْطِ ، فَدَعَاهُ لَشَأْنِهِ ، وَأَقْدَمَ
بِالرُّجُلِ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ تَكْرِيمِهِ ، فَسَوْفَ يُعْلِيهِ الْإِخْتِبَارُ أَوْ يَحْطُّهُ .
تَوَفَى سَنَةَ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ^(١)

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي
ابن أبي بكر بن خميس الأنصاري

من أهل الجزيرة الخضراء

حاله

كَانَ فَاضِلًا وَقَوْرًا ، مَشَارَكًا ، خَطِيبًا ، فَقِيهًا ، مُجَوِّدًا لِلْقُرْآنِ ، قَدِيمَ
الطَّلَبِ - شَهِيرَ الْبَيْتِ ، مَعْرُوفَ التَّعْيِينِ ، نَبِيهَ السَّلَفِ فِي الْقَضَاءِ ،
وَالخُطَابَةِ وَالْإِقْرَاءِ ، مَضَى عَمْرُهُ خَطِيبًا بِمَسْجِدِ بِلَادِهِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ،

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَالزَيْتُونَةِ (وِثْلَاثُمِائَةٍ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ وَاضِحٌ ، وَصَحَّتْ مَا اثْبَتْنَاهُ
وَهُوَ (أَرْبَعِمِائَةٍ) ، لِأَنَّ الْخَلِيفَةَ الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصَرَ تَوَفَى بَعْدَ حُكْمٍ دَامَ سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا فِي سَنَةِ ٢٦٦ هـ
(٩٧٦ م) .

إلى أن تغلب العدو عليها ، وباشر الحصار بها عشرين شهرا ، نفعه الله
ثم انتقل إلى مدينة سبّنة ، فاستقرّ خطيبا بها إلى حين وفاته .

مشيخته

قرأ على والده رحمه الله ، وعلى شيخه ، وشيخ أبيه أبي عمر ، وعباس
ابن الطّفيّل الشهير بابن عَظيمة ، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ،
والخطيب أبي عبد الله بن رُشيد بغرناطة عند قدومه عليها ، والقاضي
أبي المجد بن أبي الأحوص قاضي بلده ، وكتب له بالإجازة الوزير أبو
عبد الله بن أبي عامر بن ربيع ، وأجازته الخطباء الثلاثة أبو عبد الله
الطنّجالي ، وأبو محمد الباهلي ، وأبو عثمان بن سعيد . وأخذ عن القاضي
بسبّنة أبي عبد الله الحضرمي ، والإمام الصالح أبي عبد الله بن حُرَيْث ،
والمحدث أبي القاسم التّجيبّي ، والأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم ،
والأخوين أبي عبد الله وأبي إبراهيم ابني يَرْبُوع . قال ، وكلّهم لقيته
وسمعتُ منه . وأجاز لي إجازة عامة ما عدا الإمام ابن حُرَيْث فإنه أجاز لي ،
ولقيته ولم أسمع عليه شيئا ، وأجاز لي غيرهم كناصر الدين المِشْدالي ،
والخطيب ابن عَزْمُون وغيرهما ، ممن تضمنه برنامجُه .

تواليفه

قال . وكان أحدُ بُلغَاء عصره ، وله مُصنّفات منها ، «النَّفْحة الأَرَجِيَّة» ،
في الغزوة المَرْجِيَّة» ، ودخل غَرْناطة مع مثله من مشيخة بلده في البَيْعات ،
أظن ذلك .

توفي في الطّاعون بسببته آخر جمادى الآخرة من عام خمس مائة وسبع مائة .

محمد بن أحمد بن عبد الله المطار

من أهل المريّة .

حاله : من بعض التقييدات ، كان فتىً وسيماً ، وقوراً ، صيباً ، متعففاً ، نجيباً ، ذكياً . كَتَبَ عن شيخنا أبي البركات بن الحاج ، وناب عنه في القضاء ، وانتقل بانتقاله إلى غرناطة ، فكَتَبَ بها . وكان ينظم نظماً مترفعاً عن الوسط . وجرى ذكره في « الإكليل » بما نصّه : مَن نَبِغَ وَنَجِبَ ، وَخُلِقَ لَهُ الْبِرُّ بِذَاتِهِ وَوَجِبَ ، تحلى بوقار ، وشعشع للأدب ككاس عِفَار ، إلا أنه اختُرم في اقتبال ، وأُصِيب الأجل بنِبال .

ومن شعره قوله من قصيدة :

دعاني على طول البُعَادِ هواها	وقد سَدَّ أَبْوَابَ اللَّقَا نَواها
وقد شَمْتُ بَرَقَا لِلْقَا مُبَشَّرَا	وقد نَفَحَتْ رِيحَ الصَّبَا بِشَدَاها
وجنَّ دُجَى لَيْلٍ بِخَيْلٍ بِصُبْحِهِ	كما بَخِلَتْ لَيْلَى بِطَيْفِ سُرَاها
وقاد زَمَانِي قَايِدُ الْحُبِّ قَاصِدَا	ربوعاً ثَوَتْ لَيْلَى بِطُولِ قَنَاها
وناديت والأشواق بالوَجْدِ بَرَحَتْ	ودمعي أَجْرَى سَابِغاً لِلْفَاها
أَبَاكَ بَةَ الْحُسْنِ الَّتِي لِلنَّفْسِ تُرْتَجَى	رضاها وَحَاشَى أَنْ يَخِيبَ رَجَاها
أَحْبَبْكَ يَا لَيْلَى عَلَى الْبُعْدِ وَالنَّوَى	وَبِ مِنْكَ أَشْوَاقُ تَشُبُّ لِفَاها
لَيْنٌ حُجِبَتْ لَيْلَى عَنِ الْعَيْنِ إِنْنِي	بَعِينٌ فَوَادَى لَا أَزَالُ أَرَاها
إِلَى أَنْ بَدَا الصَّبِيحُ الْمُشْتَتَّ شَمَلَنَا	وَمَا بَلَغَتْ نَفْسُ الْمُشَوِّقِ مُنَاها
فَمَدَّتْ يَمِيناً لِلْوَدَاعِ وَدَمْعُهَا	يُكْفِكِفُهُ خَوْفُ الرَّقِيبِ سُرَاها
وَقَالَتْ وَدَاعَا لَا وَدَاعَ تَفْرُقُ	لَعَلَّ اللَّيَالِي أَنْ تُدِيلَ نَسَاها
تَذَكَّرْنَا لَيْلَى مَعَاهِدَ بِاللَّوَى	رَعَى اللَّهُ لَيْلَاتِ اللَّوَى وَرَعَاها

توفي في الطاعون الأعظم عام خمسين وسبعمائة .

محمد بن أحمد بن المراكشي

من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالمراكشي .

حاله

كان فقي جليل الرؤيا^(١) ، سكوناً ، مطبوعاً على المغافصة^(٢) والغمز ، مهتدياً إلى خفي الحيلة ، قادراً على المباحثة ، ذكياً ، متسوراً^(٣) على الكلام في الصناعات والألقاب ، من غير تدرب ولا حنكة ، دمث الأخلاق ، لين العريكة ، انتحل الطب ، وتصدر للعلاج والمداواة ، واضطرب أغلوطه صارت له بها شهرة ، وهي رق يشتمل على أعداد وخطوط وزايرجة ، وجداول غريبة الأشكال ، تحتها علامات فيها اصطلاحات الصناعات والعلوم ، ويتصل بها قصيدة رويها لام الألف أولها ، وهي منسوبة لأبي العباس السبتي .

يقول سبتي وبمحمد ربه مُصَلُّ على هاد إلى الناس أرسلنا

وأنها مدخل للزيرجة ذكر أنه عثر عليها في مظنة غريبة ، وظفر برسالة العمل بها ، وتحرى بالإعلام بالكنائيات ، [والإخبار بالخفي^(٤)] وتقديم المعرفة ، والإنذار بالوقائع ، حتى استهوى بذلك جماعة من المشيخة ، ممن

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الرواية) . وهو تحريف .

(٢) المغافصة أى المفاجأة .

(١) وردت في الزيتونة (مستورا) وفي الإسكوريال (ستورا) وهو تحريف . والتصويب

أنسب للمعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (وإخراج الخبء) والأولى أفصح وأنسب

للسياق .

كان يركنُ إلى رُجحان نظره ، وسلامة فطرته ، واستغلت الشهادة له بالإصابة ، سجيّة النفوس في حرصها على إثبات دعاوى المتحرّفين ، أخبرني بعضهم أنه خبأ له عَظْماً صغيراً ، يكون في أطراف أجنحة الطير ، أخذه من جناح ديك ، وزعم أرباب الخواص أنه يُزيل الإعياء إذا عُلّق ، فتصرّف على عاداته [من الدخول] ^(١) في تلك الجداول ، وأخذ الأعداد الكثيرة ، بضربها آونة ، ويُقسّمها أخرى ، ويستخرج من تلك الجداول جيوباً وسهاماً ، ويأخذ جذوراً ، وينتج له العمل آخرأ حروفاً مقطعة . ببقيا الطرح ، يُولف منها كلاماً ، تُقتنص منه الفائدة ، فكان في ذلك بيت شعر :

وفي يديكم عَظْمٌ صغير مُدَوَّر يُزيل به الإعياء مَنْ كان في السَّفر
وأخبرني آخرون أنه سُبِل في نازلة فقهية لم يُلَق فيها نص . فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة ، فكان كذلك . وعارض ذلك كله جُلّة من أسيّاخنا ، فذكرني الشيخ نسيج وحده ، أبو الحسن بن الجيّاب أنه سامره يُخرج خبيثته سواد لئيلة ، فتأمل ما يصنعه ، فلم يأت بشيء ، ولا ذهب إلى عمل يُتعلّل ، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنية على نخيل وتخمين ، تختلف فيه الإصابة وضدها ، بحسب الحالة والقبائل . لتصرف الحيلة فيه ، فاقتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدّول إياه ، وانتسخوا نظاير من تلك الزبرجة الموهّمة ، ممطولين منه بطريق التصرف فيها إلى اليوم ، واتصل بالسلطان . فأرسم ببابه ، وتعدّى الإنس إلى طب الجن . فافتضح أمره ، وهُمّ به . فنجا مُفلتاً . ولم تزل حاله مضطربة ، إلى أن دُعِيَ من العُدوة وسلطانها . منازل مدينة تلمسان . ووصلت الكتب عنه ،

فتوجه في جفن هُييء له ، ولم ينشِب أن تُوفى بالمحلّة في أوائل عام سبعة وثلاثين وسبعماية .

محمد بن بكرون بن حزب الله

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من أهل الخصوصية والفضل ، ظاهر الاقتصاد ، كثير التخلُّق ، حسن اللقاء ، دائم الطريقة ، مختصر الملبس والمأكل ، على سنن الفضلاء وأخلاق الجِلّة . انتظم لهذا العهد في نمط من يُستجاز ويُجيز . وكان غفلاً فأقام رثماً محموداً ، ولم يُقصر عن غاية الاستعداد .

مشيخته

منهم الأستاذ مولى النعمة على أهل بلده ، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السّداد الباهلي ، قرأ عليه القرآن العظيم أربعة عشر ختمة قراءة تجويد وإتقان بالأحرف السبعة ، وسمع عليه كتباً كثيرة ، وقال عند ذكره في بعض الاستدعاءات : لازمته رضى الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته ، ونلتُ من عظيم بركاته ، وخالص دعواته ، ما هو عندي من أجلّ الوسائل ، وأعظم الذخيرة ، وأفضل ما أعدّته لهذه الدار والدار الآخرة . وكان في صدر هذا الشيخ الفاضل كثير من عِلْم اليقين . وهو عِلْم يجعله الله في قلب العبد إذا أحبه ، لأنّه يزول بأهله إلى احتمال المكروه ، والتزام الصبر ، ومُجاهدة الهوى ، ومُحاسبة النفس : ومراعاة خواطر القلب ، والمُراقبة لله ، والحياء من الله ، وصحّة المعاملة له ، ودوام الإقبال عليه ، وصحّة النية ،

واستشعار الخشية . قال الله تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ، فكفى بخشية الله علماً ، وبالإقبال عليه عزا . قلت ، وإنما نقلت هذا ، لأن مثله لا يصدر إلا عن ذى حركة ، ومُضْطَبَّن بركة ، ومنهم الشيخ الخطيب الفاضل ولى الله ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الطنجالى .
دخل غرناطة راوياً ، وفي غير ذلك في شتونه ، وهو الآن ببلده مألقة يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة .

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصارى الخزرجى

الميورقى^(١) الأصل ، سكن غرناطة .

حاله

كان محدثاً على الرواية ، عارفا بالحديث وعِلِّله ، وأسماء رجاله ، مشهورا بالإتقان والضبط ، ثقةً فيما نقل وروى ، ديناً ، زكياً ، متحاملاً ، فاضلاً ، خيراً ، مُتَقَلِّلاً من الدنيا ، ظاهري المذهب داوديه^(٢) ، يَحْلِب عليه الزهد والفضل .

مشيخته

روى بالأندلس عن أبي بكر بن عبد الباقي بن محمد الجيجارى ، وأبي على الصمّنى الغسائى ، وأبي مروان الباجى ، ورحل إلى المشرق راجعاً ، وأخذ بمكة كرمها الله ، عن أبي ثابت وأبي الفتح عبد الله بن محمد البيهساوى وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم العمرانى . قلت وغيرهم اختصرتهم

(١) نسبة إلى مدينة ميورقة Mallorca عاصمة جزيرة ميورقة ، كبرى الجزر الشرقية (البليار) .

(٢) يريد الإشارة هنا إلى خلف بن داود الإصفهاني . مؤسس المذهب الظاهري المتوفى سنة ٨٢٧٠هـ .

لطولهم . وقفل إلى الأندلس فحدث بغير بلده منها ، لتجواله فيها .
 من روى عنه : روى عنه أبو بكر بن رزق ، وأبو جعفر بن الغاسل
 وغيرهم .

محتثه

إمتحن من قبل على بن يوسف بن تاشفين ، فحمل إليه صحبة
 أبي الحكم بن يوجان ، وأبي العباس بن العريف ، وضرب بالسوط عن أمره ،
 وسجنه وقتا ، ثم سرحه وعاد إلى الأندلس ، وأقام بها يسيراً ، ثم انصرف
 إلى المشرق ، فتوقف بالجزائر ، وتوفي بها في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين
 وخمسمائة .

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف ببلده مالقة بالمُعَمَّم .

حاله

كان طبقة من طبقات الكُفَاة ، ظُرفاً ورُوءاء وعارضةً وترتيباً ، تجلَّل
 بفضل شهرة أبيه ، وجعل بعض المُتُرفين من وزراء الدول بالمغرب أيام
 وجَّهته إليه ، صُحبة الشيخ الصالح أبيه في غرض السفارة ، مالا عريضاً
 لينفقَه في سبيل البرِّ ، فبنى المدرسة غربى المسجد الأعظم ، ووقَّف عليها
 الرُّباع ، وابتنى غيرها من المساجد . فحَصَلَت الشهرة ، ونُبِّه الذِّكر ،
 وتطوَّر ، ورام العُروج في مدارج السُّلوك ، وانقطع إلى الخلوة ، فنَصَلَت
 الصُّبغة ، وغَلَبَت الطَّبيعة ، وتأنَّل له مال جم ، اختلف في سبب اقتنايه ،

[وأظهر ^(١)] التجر المُرْهَف الجوانب بالجاء العَرِيض ، والحِرْص الشديد ، والمُسَامحة في باب الوَرَع ، فَتَبَنَّاك به نعيما من ملبس ومطعم وطيب وترَفُه ، طارد به اللذة ما شاء في باب النُّكاح استِمتاعا وذواقاً يَتَّبِع رايد الطَّرْف ، وَيَقْلُد شاهد السَّمْع ، حتى نُعَى عليه . ووُلِّي الخطابة بالمسجد الأعظم بعد أبيه ، فأقام الرسم ، وأوسع المنبر ما شاء من جَهْوَرِيَّة وعارضة ، وتسوَّر على أعراض ^(٢) ، وألفاظ في أسلوب ناب عن الخشوع ، عريق في نسب القِحة . ثم رَحَلَ إلى المشرق مرة ثانية ، وكرَّ إلى بلده ، مليح الشَّيْبة بادی الوقار ، نبيه الرُّتبة ، فتولى الخطابة إلى حين وفاته .

مشيخته

حسباً قِيْدُهُ من خطُّ ولده أبي الحسن ، وارثه في كثير من خِلاله ، وأغلبها الكفاية . فمنهم والده رحمه الله . قرأ عليه وتأدب به ، ودوَّن في طريقه ، حسباً يتقرر ذلك . ومنهم الأستاذ أبو محمد بن أبي السداد الباهلي ، ومنهم الشيخ الراوية أبو عبد الله بن عيَّاش ، والخطيب الصالح أبو عبد الله الطَّنْجالي ، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الريات ، والأستاذ ابن الفخار الأركُنِي ، والقاصي أبو عمرو بن منظور ، والأستاذ ابن الزبير وغيرهم ، كابن رُشيد ، وابن خميس ، وابن بُرْطال ، وابن مَسْعُدة ، وابن ربيع ، وبالمشرق جماعة اختصرتهم لطولهم .

توالياه

وتسوَّر على التَّأليف ، بفرط كفايته ، فمما يُنسب إليه كتاب :

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقط في الإسكوريال .

(٢) وردت في المخطوطين (أغراض) . والتصويب أرجح بالنسبة للمعنى والسياف .

«التجر الربيع في شرح الجامع الصحيح» . قال ، منه ما جرده من المبيضة .
ومنه ما لم يسمح الدهر بإتمامه . وكتاب بهجة الأنوار . وكتاب الأسرار ،
وكتاب «إرشاد السائل لنهج الوسائل»^(١) ، وكتاب بغية السالك في أشرف
المسالك ، في التصوف . وكتاب «أشعة الأنوار في الكشف عن ثمرات الأذكار» .
وكتاب النفحة القدسية ، وكتاب «غنية الخطيب بالاختصار والتقريب»
في خطب الجُمع والأعياد ، وكتاب «غرايب النجب في رغائب الشعب» ،
شعب الإيمان ، وكتاب في مناسك الحج . وكتاب «نظم ينلك الجواهر في
جيد معارف الضدور والأكابر» ، فهرسة تحتوى على فوايد من العلم
وما يتعلق بالرواية ، وتسوية الشيوخ وتحرير الأسانيد .

دخوله غرناطة

دخلها مرات تشدُّ عن الإحصاء . ولد عام ثمانية وسبعين وسبعمائة ،
وتوفي بمالقة في صبيحة ليلة النصف من شعبان عام أربعة وخمسين وسبعمائة .

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي

يكنى أبا بكر ، ويعرف بالطنجالي ، ولد الشيخ الولي أبي عبد الله .

حاله

من ذيل تاريخ مالقة للقاضي أبي الحسن بن الحسن . قال ، كان هذا
العالم الفاضل ممن جتمع بين الدراية والرواية ، والتراث^(٢) والاكتساب .
وعُلُو الانتساب ، وهو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصَّوْل ، وطول

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المسائل) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (والتراث) .

الْأَلْسِنَةُ بِالطُّولِ ، وَهَلُّوا إِلَى الطُّيْبِ مِنَ الْقَوْلِ ، أَثَرُ الشُّمُوحِ يَبْرُقُ مِنْ أَنْفِهِ ، وَنَسِيمُ الرُّسُوحِ يَتَّبِقُ مِنْ عَرَفِهِ . وَزَاجِرُ الصَّلَاحِ يُؤَيِّ بِطَرَفِهِ ، فَتَخَالُهُ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ذَا لَمَمٍ ، وَفِي خَلْقِهِ دِمَائَةٌ ، وَفِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ . وَوَصَفَهُ بِكَثِيرٍ مِنْ هَذَا النَّمَطِ .

ومن « العايد » : كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّفَنُّنِ فِي الْمَعَارِفِ وَالتُّهْنِمِ بِطَلِبِهَا ، جَمَعَ بَيْنَ الرَّوَايَةِ وَالِدُّرَايَةِ وَالصَّلَاحِ . وَكَانَتْ فِيهِ خِفَّةٌ ، لَفَرَطٌ صِحَّةٌ وَسَدَاجَةٌ وَفَضْلٌ رُجُولَةٌ^(١) بِهِ ، بَارِعٌ الْخَطِّ ، حَسَنُ التَّقْيِيدِ ، مَهِيْبٌ جَزْلاً ، مَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوَاضُعِ ، يَحِبُّهُ النَّاسُ وَيَعْظُمُونَهُ . خُطِبَ بِالْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مِنْ مَالِيقَةِ ، وَأَقْرَأَ بِهِ الْعِلْمِ .

مَشِيخَتُهُ

قَبْرًا عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيِّ ، وَأَبِيهِ الْوَلِيِّ الْخَطِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَرَوَى عَنْ جَدِّهِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَعَنْ الرَّوَايَةِ الْأُسْتَاذِ الْكَبِيرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَالرَّوَايَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ ، وَالْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ السَّكُونِ ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَطُولُ ذِكْرُهُ ، مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .
وَفَاتَهُ : تَوَفَّى بِمَالِيقَةِ فِي أَوَّلِ صَفَرٍ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ [وَكَانَ عُمرُهُ]^(٢) نَحْوًا مِنْ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً .

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَيْمُونِ الْخَزَرْجِيِّ

يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَيَعْرِفُ بِأَبِي أَسْلَمٍ ، لِكَثْرَةِ ضُدُورِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَنْهُ ، مُرْسِي الْأَصْلِ ، وَسَكَنَ غَرْنَاطَةَ وَوَادَى آشَ وَالْمَرْيَةَ .

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (وَجُولَةِ) .

(٢) أَضْفَيْنَا هَذِهِ الزِّيَادَةَ نَهْضَةً السِّيَاقِ .

حاله

من كتاب « المؤمن » ^(١) : كان ذم الأخلاق ، قبل أن يحرجه شيء من [مُصَيِّقات الصدور] ^(٢) يشارك في العربية ، والشعر النازل عن الدرجة الوسطى ، لا يخلو بعضه عن لحن . وكان يتعيش من صناعة الطب . وجرت له شهرة بالمعرفة [ترفع به بتلك الصناعة على حد شهرة ترك النصيحة فيها ، فكانت شهرته بالمعرفة ترفع به] ^(٣) . وشهرته بترك النصيحة تنزله : فيسر بين الحالتين بشطاف العيش ، ومقت الكافة إياه .

قلت ، كان لا أسلم ، طرفاً في المعرفة بطرق العلاج ، فسيح التجربة ، يشارك في فنون ، على حال غريبة من قلة الطُرف ، وجفاء الآلات ، وخشني الظاهر ، والإزراء بنفسه وبالناس ، متقدماً في المعرفة بالخصوم ، يُقصد في ذلك . وله في الحرب والخيال حكايات ، قال صاحبنا أبو الحسن ابن الحسن : كانت للحكيم لا أسلم خنرٌ مُخبأ ، في كرم كان له بالمرية عثر عليها بعض الدعرة ، فسرقتها له . قال ، فعمد إلى جرّة وملأها بخمر أخرى ، ودفنها بالجهة ، وجعل فيها شيئاً من العقاقير المُسهلات ^(٤) . وأشاع أن الخمر الغَيبة التي كانت له لم تُسرق ، وإنما باقية ، بموضع كذا . فعمد إليها أولئك الدعرة ، وأخذوا في استعمالها ، فعادت عليهم بالاستيلاق القبيح المهلك . فقصدوا الحكيم المذكور . وعرضوا عليه ما أصابهم . فقال لهم إياه . أدوا إلي ثمن الشربة . وحينئذ أشرع لكم في

(١) وعنوانه الكامل « المؤمن على أنباء أبناء الزمن » من تأليف أبي البركات ابن الحاج البليقي ، من شيوخ ابن الخطيب الأثريين .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ضيق الصدر) .

(٣) ما بين الحاصرتين وازد في الإسكوريال وساقط في الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المسهلة) .

الدواء ، ويقع الشفا بحول الله . فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره ،
وعالجهم حتى شفوا بعد مشقة . وأخباره كثيرة .

وفاته : توفي عقب إقلاع الطاغية ملك برجلونة عن المرية عام
[تسعة] ^(١) وسبعماية . وخلفه ابن كان له يسمى إبراهيم ، ويعرف بالحكيم ،
وجرى له من الشهرة ما جرى لأبيه ، مرت عليه ببخت وقبول ، وتوفي بعد
عام خمسين وسبعماية .

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري

جَيَّانُ الْأَصْل مَالَقِيهِ ، يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَيَعْرِفُ بِالشَّدِيدِ عَلَى بَنِيهِ
التَّبَصُّغِيرِ ، وَهُوَ كَثِيرُ التَّرَدُّدِ وَالْمُقَامِ بِحَضْرَةِ غرناطة .

حاله

من أهل الطلب والذكاء والطرف والخصوصية ، مجموع خلال من خط
حسن واضطلاع بحمل كتاب الله . ثُلُبُل دَوْح السَّبْعِ المثاني ، وما شطة
عروس أبي الفرج الجوزي ، وآية صُفْعِهِ فِي الصَّوْتِ ، وطيب النِّعْمَةِ ،
اقتحم لذلك دسوت الملوك ، وتوصل إلى ضحبة الأشراف ، وجر أذيال الشهرة .
قرأ القرآن والعشر بين يدي السلطان ، أمير المسلمين بالعدوة ، ودنا منه
محلّه ، لولا إشار مَسْقَطُ رأسه . وتقرّب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه .
وصلّى التَّراويح بمسجد قصر الحمراء ، غريب المنزع ، عذب الفكاهة .

(١) ورد مكانها بيان في المخطولين . والحادث الذي يشير إليه ابن الخطيب هو قيام خايي
الثاني ملك أراجون (وعاصمتها يومئذ برشلونة أو برجاونه) بغزو ثغر المرية في سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م)
وذلك بالاتفاق مع ملك قشتالة فرناندو الرابع الذي قام في نفس الوقت بغزو الجزيرة الخضراء وجبل
طارق . ولكن جند الأندلس استطاعوا أن يهزموا الجيش الأراجوني وردّه عن المرية وبذلك . نجت من
خطر السقوط (راجع كتابي نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين : (الطبعة الثالثة ص ١١٥ و ١١٦) .

ظريف المجالسة ، قادرٌ على الحكايات ، مستورٌ حمى الوقار ، مُلَبِّ دأعى .
 الانبساط ، على استرجاع واستقامة ، مبرور الوفادة ، مُنَوِّه الإنزال ، قُلْد
 شهادة الديوان بمالقة ، مُعَوَّلًا عليه فى ذلك ، فكان مغار جبل^(١) الأمانة ،
 صليب العود ، شامخًا ، صادق النّزاهة ، لوحًا للألقاب ، مُحْرزًا للعمل .
 ووُلّ الحسبة بمالقة حرسها الله تعالى ، فخاطبته فى ذلك أداعيه ، وأشير
 إلى قوم من أجداده ، وأولى الحمل عليه بما نصه :

يا أيها المُحتسِبُ الجِزْلُ ومن لديه الجَدُّ والهزلُ
 تُهنّيك والشكر لمولى الورى ولايةٌ ليس لها عَزْلُ

كتبْتُ أيها المحتسب ، المنتمى إلى النزاهة المُنتسب ، أهنيك ببلوغ
 تمّنيك ، وأحذرك من طمع نفس بالغرور تُمنّيك . فكأنّى وقد طافت
 بركابك الساعة ، ولزم لأمرِك السّمع والطّاعة ، وارتفعت فى مصانعتك
 الطّماعة ، وأخذت أهل الرّيب بَغْتَةً كما تقوم الساعة . ونهضت تقعد
 وتقيم ، وسكوّتُك الريح العقيم ، وبين يديك القِسْطاس المُستقيم ، ولا بُدَّ
 من شَرِكٍ يُنصب ، وجماعة على ذى جاه تتعصّب ، وحالة كَيْتٍ بها الجناح
 الأخصب ، فإن غَضَضْتَ طَرْفَكَ . أَمِنْتَ عن الولاية صَرْفَكَ . وإن ملأت
 طَرْفَكَ ، رَحَلَتْ عنها حَرْفَكَ . وإن كَفَفْتَ فيها كَفَّكَ . حَفَّكَ العزُّ
 فيمن حَفَّكَ . فكن لقالى المَجْبَنَةِ قالياً ، ولحُوت السَّلَّةِ ساليا . وابدِ
 لدقيق الحَوارى زُهد حَوارى ، وازهد فيما بأيدي الناس من العَوارى .
 وسير فى اجتناب الحُلُو^(٢) على السبيل السّوا . وارفُض فى الشّوا^(٢) دواعى
 الأهوا . وكن على المهرّاس . وصاحب فريد الرّأس . شديد المراس . وثبُّ

(١) وردت فى الإسكوريال (حبل) والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى الزيتونة على التوالى : الحلوى . الشوى . الأهوى .

على بايع طَبِيخ الأعراس ، ليثاً مزهوب الافتراس ، وأدب أطفال السوق في السوق ، سيمًا من كان قبل البلوغ والسُّبوق ، وصمّم في استخراج الحقوق ، والناس أصناف ، فمنهم خسيس يطعم منك في إكّلة ، ومُستَعْدٍ عليك بوَكَزَة أو رَكْلة . وحاسدٌ في مطيئة تُركب ، وعطيئة تُسكّب ، فاختفض للحاسد جناحك ، وسدّد إلى حربته رماحك ، وأشبع الخسيس منهم مَرَقَةً دَسِمةً فإنه حَرِيقٌ ، ودس له فيها عَظْماً لعله يَحْتَنِق ، واحفر لشريرهم حُفْرَةً عميقة . فإنه العدو حقيقةً ، حتى إذا حَصَلَ ، وعلمت أن وقت الانتصار قد وَصَلَ . فأوقع وأوجع . ولا تَرْجِع ، وأوليّاه من [حزب] ^(١) الشيطان فافجع ، والحقُّ أقوى ، وإن تغفؤ أقرب للتقوى . سدّدك الله إلى غرض التوفيق ، وأغلّقنا من الحقِّ بالسبب الوثيق ، وجعل قدومك مقروناً برُخص اللحم والزيت والدقيق . بمَنه وفضله .

مشيخته

قرأ القرآن على والده المُكْتَب النَّصَّوح رحمه الله ، وحَفِظَ كُتُباً كرسالة أبي محمد بن أبي زيد . وشهاب القضاعي ، وفصيح ثعلب ^(٢) . وعَرَضَ الرِّسالة على ولي الله أبي عبد الله الطَّنْجَالِي ، وأجازَه . ثم على ولده الخطيب أبي بكر . وقرأ عليه من القرآن ، وجوّد بحرف نافع على شيخنا أبي البركات . وتلا على شيخنا أبي القاسم بن جُزَي . ثم رَحَلَ إلى المغرب ، فلقى الشيخ الأستاذ الأَوحد في التلاوة . أبا جعفر الدراج . وأخذ عن

(١) هذه الرِّبادة من الرِّبوتنة .

(٢) رسالة ابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٩ هـ . من أشهر متون المقام المالكي .
 . كذا . « الشَّهاب » لأبي عبد الله الشافعي المصري المتوفى سنة ٥٥٤ هـ من كتب الحديث . واه
 . « مسند الشَّهاب » في الحديث أيضاً . وكتاب الفصيح أو فصيح ثعلب من كتب اللغة والبلاغة
 لأنَّ لعيس أحمد بن زيد بن ثعلب اللغوي النحوي المتوفى سنة ٢٩١ هـ .

الشَّريف المُقَرِّى أبي العباس الحسنى بسبَّته ، وأدرك أبا القاسم التَّجِيبى ، وتلا على الأستاذ أبى عبد الله بن عبد المنعم ولازمه ، واختصَّ بالأستاذ ابن هانى السَّبَّى ، ولقى بفاس جماعةً كالفقيه أبى زيد الجَزُولى ، وخلف الله المجاصى ، والشيخ أبى العباس المِكناسى ، والشيخ البقية أبى عبد الله بن عبد الرزاق ، وقرأ على المُقَرِّى الفدَّ الشهير فى التَّرتُّم بِالْحان القرآن أبى العباس الزَّوَاوى سَبْعَ خَتَمَات . وجمع عليه السَّبْع ، والمُقَرِّى أبى العباس بن حزب الله ، واختصَّ بالشيخ الرئيس أبى محمد عبد المُهِمِن الحَضَرى .

شعره

من شعره ما كَتَبَ به إلى وزير النُولة المَغْرِبِيَّة فى غرض الاستِلطاف :

يا مَنْ به أبداً عُرِفْتَ ومن أنا لولاه لى دامتْ عُلاه وداما
لا تأخُذْكَ فى الشَّدِيدِ لومةٌ فشُخِصْ نَشَاتَه بِفَضْلِكَ قاما
رَبُّنْهُ عَلَنَتْهُ أَدْبَتْهُ قدَّمته للقرْضِ منك إماما
فجزاك ربُّ الخلق خيرَ جزاية عَنى وبوأك الجِنسان مُقاما

وهو الآن بالحالة الموصوفة ، مستوطناً حضرة غرناطة . وتالياً الأعشار القرآنية ، بين يدى السلطان أعزَّه الله ، مرفَّع الجانب ، معزَّز الجِراية بولايته أخباس المدرسة ، أطروفة عَصْرَه . لولا طَرَشْ نَقْصِ الأُنْسِ به ، نفعه الله .

ولد بمالقة فى عاشر ربيع الأول من عام عشرة وسبعماية .

ومن الغرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري

السُّبْقِيُّ الدَّارُ ، الغرناطي الاستيطان ، يكنى أبا الحسين ، ويعرف بالتلمساني .

حاله

طُرِفَ في الخير والسلامة ، مُعْرِقٌ في بَيْتِ الصُّونِ وانفضيلة ، مُعِمٌّ^(١) تَحَوَّلَ في العدالة ، قديم الطلب والاستعمال ، معروف الحق ، ملبح البسط ، حُلُو الفكاكة ، خفيف إلى هيعة الدُّعابة ، على سَمْتٍ ووقار ، غَزَلٌ ، لَوَذَعِي ، مع استيرجاع وامتناسك ، مُتَرَفٌّ ، عَزِيقٌ في الحضارة ، مؤثر للراحة ، قليل التَّجَلُّد ، نافرٌ عن الكد ، مُتَّصِلُ الاستعمال ، عَرِيضُ السعادة في باب الولاية ، محمول على كَتَدِ المبررة ، جارٍ على سُنَنِ شيوخ الطلبة والمُقتاتين من الأرزاق المُقدَّرة ، أولى الخُصوصية والضبط ، من التظاهر بالجاء على الكفاية . قَدِمَ على الأندلس ثمانية عشر وسبعماية ، فمهد كنفَ القُبول والاستعمال ، فوُلِّيَ الحِسبة بغرناطة ، ثم قُلِّدَ تنفيذ الأرزاق ، وهي الخُطة الشرعية ، والولاية المُجدية ، فاتَّصلت بها ولايته . وناب عني في العَرَض والجواب بمجلس السلطان ، حميدُ المنأى في ذلك كله ، يقوم على كتاب الله حِفْظاً وتَجْوِيداً ، طيبُ النِّعْمَةِ ، راوياً محدثاً . إخبارياً ، مُرتاحاً للأدب ، ضارباً فيه بسهم . يقوم على كُتُب السيرة النبوية . فذاً في ذلك . قرأه بالمسجد الجامع للجمهور . عند لحاقه بغرناطة ، مُعرباً به عن نفسه . منبهاً على مكانه . فزعموا أن رجلاً فاضت نفسه وجداً لشجُو نغمته . وحسن

(١) مع ، أعني الذي يعم بخيره الناس .

إلقائه . وقرأ التراويح بمسجد قصر السلطان إماماً به ، واتسم بمجلسه
بالسلامة والخير ، فلم تؤثر عنه في أحد وقعة ، ولا بدرت له ، في الحمل
على أحد بنت شفه .

مشيخته

منهم الشريف أبو علي الحسن بن الشريف أبي التقا طاهر بن أبي الشرف
ربيع بن علي بن أحمد بن علي بن أبي الطاهر بن حسن بن موهوب بن
أحمد بن محمد بن طاهر بن أبي الشرف الحسن بن علي بن محمد بن علي
ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب . ومنهم والده المترجم به ، ومنهم أبوه وجدّه ، ومنهم
الأمير الصالح أبو حاتم أحمد بن الأمير أبي القاسم محمد بن أبي العباس
أحمد بن محمد العزفي ، والمُقرى أبو القاسم بن الطيب ، وإمام الفريضة
أبو عبد الله محمد بن محمد بن حريث ، والأستاذ ملحق الأبناء بالآباء أبو إسحق
الغافقي ، والكاتب الناسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري ،
والأستاذ المُعمر أبو عبد الله بن الخضار ، والخطيب المحدث أبو عبد الله
ابن رُشيد ، والخطيب الأديب أبو عبد الله الغُمّاري ، والأستاذ أبو البركات
الفضل بن أحمد القنطري ، والوزير العابد أبو القاسم محمد بن محمد
ابن سهل بن مالك ، والولي الصالح أبو عبد الله الطنجالي ، والخطيب
الصالح أبو جعفر بن الزيات ، والقاضي الأعْدل أبو عبد الله بن بُرطال ،
والشيخ الوزير المعمر أبو عبد الله بن ربيع ، والصوفي الفاضل أبو عبد الله
ابن قَطْرال ، والأستاذ الحسابي أبو اسحق البرغواطى ، هؤلاء لقيهم وقرأ
وسمع عليهم . ومن كتب له بالإجازة ، وهم خلق كثير . كخال أبيه ،
الشيخ الأديب أبي الحكم مالك بن المرحّل ، والخطيب أبي الحسن فضل

ابن فضيلة ، والأستاذ الخاتمة أبي جعفر بن الزبير ، والعدل أبي الحصن
 ابن مَسْتَقُور ، والوزير المُعمر أبي محمد بن سِمَاك ، والخطيب أبي محمد
 مولى الرئيس أبي عُثْمَن بن حَكَم ، والشيخ الصالح أبي محمد الحَلَّاسِي ،
 والقاضي أبي العباس بن الغَمَّاز ، والشيخ أبي القاسم الحضرمي اللُّبَيْدِي ،
 والعدل المُعمر الراوية أبي عبد الله بن هرون ، والمحدث الراوية أبي الحسن
 القَرَافِي ، وأبي إِسْحَاق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة الله بن
 أبي المنصور ، والإمام شرف الدين أبي محمد الدُّمِيَّاطِي ، وبهاء الدين بن
 النَّحَّاس ، وقاضي القضاة تقي الدين بن دَقِيق العِيد ، وضياء الدين
 أبي مهدي عيسى بن يحيى بن أحمد ، وكتب في الإجازة له :

ولدتُ لعام من ثلاث وعشرة وست مِثْنِ هجرة لمحمد

تطوّفتُ قُدُماً بالحجاز وإنني بمصر هو المَرْبُوعُ وَسَبْتَةُ مَوْلِدِ

إلى عالم كثير من أهل المشرق ، يشق إحصاؤهم . قد ثبت معظمهم

في اسم صاحبه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي رحمه الله .

محنته

نالته محنة بجرى الأمور الاشتغالية وتبعاتها ، قال الله فيها لعُثْرته لغاً ،
 فاستقلَّ من النُّكبة ، وعاد إلى الرُّتبة . ثم عَفَّتْ عليه بآخرة ، فهلك تحت
 بُرْكها بعد مناهزة التسعين سنة . نفعه الله .

ولد عام ستة وسبعين وستماية ، وتوفي في شهر محرم من أربعة وستين
 وسبعماية .

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قَطْرَال الأنصاري

من أهل مَرَاكُش ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن قطرال .

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله فاضلاً صوفياً، عارفاً، متحدثاً، فقيهاً، زاهداً، تَجَرَّدَ عن ثَرَوَةٍ معروفة، واقتصر على الزُّهْدِ والتَّخَلِّي، وملازمة العبادة، والغُرُوبِ عن الدنيا. وله نَظْمٌ رائق، وخطٌّ بارع، ونشر بليغ، وكلام على طريقة القَوْمِ. رفيع الدَّرَجَةِ، على القدر. شرح قصيدة الإِسْرَائِيلِي، بما يشهد بفسوخ قدمه، وتَجَوَّلَ في لقاء الأكابر على حال جميلة من إِيْثار الصُّمُتِ والانقياض والحِشْمَةِ. ثم رَحَّلَ إلى المشرق حاجباً صَدَرَ سنة ثلاث وسبعمائة.

مُشِيخَتُهُ

من شيوخه القاضي العالم أَبُو عبد الله محمد بن علي، والحافظ أَبُو بكر بن محمد المُرَادِي. والفقيه أَبُو فارس الجَرَوِي، والعلامة أَبُو الحسين بن أَبِي الربيع، والْعَدْلُ أَبُو محمد بن عبيد الله. والحاج أَبُو عبد الله بن الخَضَّار. وأَبُو إِسْحَاق التَّلْمِيسَانِي. وأَبُو عبد الله بن خميس. وأَبُو القاسم بن السَّكُوت. وأَبُو عبد الله بن عِيَّاش. وأَبُو الحسن بن فضيلة. وأَبُو جعفر بن الزبير، وأَبُو القاسم بن خير. هؤلاء كلهم لَقِيَهُمْ. وأخذ عنهم. وكتب له بالإجازة جُمْلَةٌ، كالقاضي أَبِي علي بن الأَخْوَص، وأَبِي القاسم العَزَاقِي. وأَبِي جعفر الطَّنْجَالِي. وصالح بن شريف، وأَبِي عمرو الدَّارِي. وأَبِي محمد بن الحِجَّام. وأَبِي بكر بن خُبَيْش، وأَبِي يعقوب بن عقاب. وعز الدين الجَدَّاءِي. وفخر الدين بن البخاري، وابن طرخان. وابن البَوَّاب. وأمين الدين بن عساكر. وقطب الدين بن القسطلاني. وغيرهم.

شعره .

وأما شعره فكثير بديع . قال شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين كتبت

إليه :

يا مُعْمَل السَّيرِ أَىْ إِعْمَالٍ سَلَّمَ عَلَى الْفَاضِلِ ابْنِ قَطْرَالِ

من أبيات راجعنى عنها بأبيات منها :

زَارَتْ فَازَّرَتْ بِمَسْكَ دَارَيْنِ تَفَتَّنُ لِلْحَسَنِ فِي أَفَانَيْنِ

ومثلها في شتى محاسنها ليست ببديع من ابن شبرين

توفى بحرم الله عاكفاً على الخير وصالح الأعمال ، معرضاً عن زهرة

الحياة الدنيا ، إلى أن اتصل خبر وفاته ، وفيه حكاية ، عام تسعة وسبعماية

ودخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبي الحسن بن فضيلة .

وغير ذلك .

الْأَعْمَالُ فِي هَذَا الْإِسْمِ وَأَوَّلُ الْأَصْلِيَّاتِ

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل

يكنى أبا يحيى .

حاله

شيخ حسن الشَّيْبَةِ ، شامل البياض ، بعيد مدى الذَّقْنِ . خدوع الظاهر ،

خلوب اللفظ ، شديد الهوى إلى الصُّوفِيَّةِ . والكَلَفِ بِإِطْرَاءِ الْخَيْرِيَّةِ ،

سما عند فَقْدَانِ شُكْرِ الْوَلَايَةِ ، وجماح الحُطُوءِ . من بيت صَوْنٍ وحشمة ،

مبين عن نفسه في الأغراض ، مُتَقَدِّمٌ في معرفة الأمور العملية . خايض

مع الخايضين في غمار طريق التصوُّف ، وانتحال كيمياء السَّعَادَةِ ، راكبٌ

مَتْنٌ دعوى عريضة في مقام التَّوْحِيدِ ، تُكذِّبُهَا أحواله الرَّاهِنَةُ جُمْلَةً ،

ولا تسلم له منها بُذة . لمعاصاة خلقه على الرياضة واستيلاء الشره ،
وغلب سلطان الشهوة . فلم يجز من جعجاعه المبرم فيها إلا استغراق
الوقت في القواطع عن الحق . والأسف على ما رزته الأيام من متاع الزور ،
وفنية الغرور ، والمساحة أيام الولاية ، والشباب الشاهد بالشره ، والحلف
المتصل بياض اليوم ، في ثمن الخردة باليمين التي تجرُّ فساد الأنكحة ،
والغضب الذي يقلب العين ، والبدا الذي يصاب الشين ، مغلوب عليه
في ذلك ، ناله بسببه ضيق واعتقال ، وتفويت جدة ، وإطباق روع ،
وقيد للعذاب ، فألقيت عليه رداي . ونفس الله عنه بسببي ، محواً للسيئة
بالحسنة ، وتوسلاً إلى الله بترك الحظوظ ، والمينة لله جل جلاله على ذلك .

شعره

خاطبني بين يدي نكبتة أو خلفها بما نصه . ولم أكن أظن الشعر مما ثلوكه
جحفلته ، ولكن الرجل من أهل الكفاية :

راجوثك بعد الله يا خير منجد	وأكرم مأمول وأعظم مفرد
وأفضل من أملت للحادث الذي	فقدت به صبري وما ملكت يد
وحاشي وكلاً أن يخيب ماملي	وقد علقْتُ بابن الخطيب محمد
وما أنا إلا عبد أنعمه السى	عهدت بها يميني وإنجاح مقصد
وأشرف من حض الملوك على التقى	وأبدى لهم نصيحاً وصية مُرشد
وساس الرعايا الآن خير سياسة	مباركة في كل غيب ومشهد
وأعرض عن دُنياه زهداً وإنها	لمظهره طوعاً له عن تودد
وما هو إلا اللَّيْث والغَيْث إن	أتى له خائف أوجاء مغناه مُجْتَد
وبحر علوم ذرّه كلماته إذا	رُدَّت في الحفل أى تردد

صُقِيلَ مَرَأَى الْفِكْرِ رَبُّ لَطَائِفِ
 بَدِيعُ عُرُوجِ النَّفْسِ لِلْمَلَأِ الَّذِي
 شَفِيقٌ رَقِيقٌ دَائِمُ الْحَلَمِ رَاحِمٌ
 صَفُوحٌ عَنِ الْجَانِي عَلَى حِينِ قُدْرَةٍ
 أَيَا سِيدِي يَا عُمْدَتِي عِنْدَ شِدَّتِي
 حَنَانِيكَ وَالطُّفْ بِي وَكُنْ لِي رَاحِمًا
 رَجَاكَ رَجَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 وَأَمَّكَ مَضْطَرًّا لِرَحْمَاكَ شَاكِيًا
 وَعِنْدِي ائْتِقَارٌ لَأَنْوَالٍ مُوَاصِلًا
 تَرْفَقُ بِأَوْلَادٍ صَغَارٍ بِكَأْوْهِمْ
 وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَيْكَ تَطَلُّعُ
 أَنْيَلُهُمْ أَيَّامُوَلَايَ نَظَرَةَ مُشْفِقِي
 وَقَابِلِ أَخَا الْكُرْهِ الشَّدِيدِ بِرَحْمَةٍ
 وَلَا تَنْظُرْنَ إِلَّا لِفَضْلِكَ لَا إِلَى
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ لِي تَائِبٌ
 بَقِيَتْ بِخَيْرٍ لَأَنْوَالٍ وَعِزَّةٌ
 وَسُخْرُكَ الرَّحْمَنِ لِلْعَبْدِ إِنَّهُ

محاسنها تُجَلِّي بِحَسَنِ تَعَبُّدِ
 تَجَلَّتْ بِهِ الْأَسْرَارُ فِي كُلِّ مَضْعَدِ
 وَأَيُّ جَمِيلٍ لِلْجَمِيلِ مَعْسُودِ
 يُوَاصِلُ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ وَالْغَدِ
 وَيَا شِرْبِي مَتَى ظَلَمْتِ وَمَوْزِدِي
 وَرَفَقًا عَلَى شَيْخٍ ضَعِيفٍ مُنْكَدِ
 ذَوَافَاكَ يُهْدِي الشُّنَا الْمُجَدِّدِ
 بِحَالٍ كَحَرِّ الْجَمْرِ حِينَ تَوَقَّدِ
 لِأَكْرَمِ مَوْلَى حَازِ أَجْرًا وَسَيِّدِ
 يَزِيدِ لَوَقْعِ الْحَادِثِ الْمُتَزَيِّدِ
 إِذَا مَسَّهُمْ ضَرُّ أَلِيمِ التَّعَهُدِ
 وَجُدْ بِالرِّضَا وَانْظُرْ لَشَمْلٍ مُبَدَّدِ
 وَأَسْعِفْ بِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَأَبْعَدِ
 جَرِيمَةَ شَيْخٍ عَنِ مَحَلِّكَ مُبْعَدِ
 فَعَاوِدِ لِي الْفَعْلَ الْجَمِيلِ وَجَدِّدِ
 وَعِيشْ هُنِي كَيْفَ شِيتِ وَأَسْعِدِ
 لِمَتْنٍ وَدَاعٍ لِلْمَحَلِّ الْمُجَدِّدِ

وقد وُلِّيَ خُطَطًا نَبِيهَةً ، مِنْهَا خُطَّةُ الْإِسْتِغْثَالِ عَلَى عَهْدِ الْغَادِرِ الْمُكَايِدِ
 لِلدَّوْلَةِ ، إِذْ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ شَيْطَانِهِ وَمُتَدَيِّهِ فِي غِيَّهِ ، وَسَمَاسِيرِ شَعْوَذَتِهِ ،
 فَلَمْ يَزَلْ مِنْ مُسَيِّطَرِي دِيَوَانِ الْأَعْمَالِ ، عَلَى تَهَوُّرٍ وَاقْتِحَامٍ كَبِيرَةٍ ، وَخُطٌّ
 لَا غَايَةَ وَرَاحَهُ فِي الرِّكََاكَةِ ، كَمَا قَالَ الْمَعْرِيُّ :

تَمَشَّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَابِسَا وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مَسِيخَتْ نَمَالَا

استحضرته يوما بين يدي السلطان ، وهو غُفْل لَفَكٌ ما أَشْكَل من
مَعْمِيَّاتِهِ في الأَعْمَال عند المطالعة ، فوصل بحال سيئة ، ولما أُعْتِبَ بسببه ،
ونعيتُ عليه هُجْنَتُهُ ، أَحْسَن الصَّدْر عن ذلك الوَرْد ، ونَذَرَ في نفسه ، وقال
حيّا الله رداة الخطِّ ، إذا كانت ذريعةً إلى دخول هذا المجلس الكريم ،
فاستُحْسِن ذلك ، لطف الله بنا أجمعين .
توفى عام سبعة وستين وسبعمائة .

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد النافقي

يكنى أبا الوليد .

أولَّيته

أصله من طليطلة ، انتقل منها جدُّ أبيه ، وسكنوا غرناطة ، وعدوا
في أهلها .

حاله

كان أبو الوليد طالباً نبيلاً ، نبهاً ، سرياً ، ذكياً ، ذا خطٍّ بارع ،
ومعرفة بالأدب والحساب ، ونَزَعَ إلى العمل فكان محمود السيرة ، مشكور
الفعل . ووُلِّيَ الإشراف في غير ما موضع . قلتُ ، وآثاره في الأملاك المنسوبة
إليه ، التي من جُملة المُستَخْلَص السلطاني بغرناطة وغيرها ، مما يدل على
قِدَم ، وتَعَمَّة أصيلة .

توفى بمدينة إشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وسنه دون الخمسين .

محمد بن محمد بن حسن النافقي

إشبيلي الأصل ، غرناطي المنشأ . يكنى أبا عبد الله . ويعرف بابن
حسان .

محاله

من « العايد » : كان من أهل السُّرُو والظُّرف والمروعة ، وحسن الخلق .
تولى الإشراف بغرناطة ، وخُطَّة الأشغال ، فحسن الثناء عليه . وله أدب
ومشاركة . حدَّثني بعض أشياخنا ، قال ، كنت على مائدة الوزير ابن
الحكيم ، وقد تحدَّث بصرف ابن حسان عن عمل كان بيده ، وإذا رُقعة
قد انتهت إليه أحفظ منها :

لَكُمْ أَيَادٍ لَكُمْ أَيَادٍ كسورتها إنها كثيرة
فلن عزمت على انتقالي ريه أبغى أو الجزيرة
وإن أبيتم الأُمُحاي فنعمة منكم كبيرة

وقال لي بعضهم ، جرى بين ابن حسان هذا ، وبين أحد بني علائق^(١) ،
وهم أعيان ، كلام وملاحاة^(٢) فقال ابن حسان ، إنما كان جدكم مولى بني
أضحى ، وجد بني مشرف ، فاستعدى عليه ، ورفعته إلى الوزير ابن الحكيم
فيما أظن ، فلما استفهمه عن قوله ، قال أعزك الله ، كنت بالكُتَّيبين ،
وعُرض على كتاب قديم في ظهره أبيات حفظتها وهي :

أضحى الزمان بأضحى وهو مبتسم لنوره في سماء^(٣) المجد إشراق
فلم يسزل ينتمى للمجد كل فتى تطيب منه مواليد وأعراق
فإن تُرد شرفاً يمم مُشرفه^(٤) وإن ترد علق مجد فهو علائق

فعلم الوزير أن ذلك من نظمه ، ونتيجة بديهته ، فعجب من كفايته ،
وترضى خصمه . وصرفهما بخير . وتوفي في شهر رجب ثلاثة عشر وسبعماية .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنى غبلان) .

(٢) وردت في الإسكوريال (ملاحاة) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سناء) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مشرفهم) .

محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن ابراهيم
ابن عبد العزيز بن اسحق بن أحمد بن أسد بن قاسم النُمَيْرِي المدعوب ابن الحاج
يكنى أبا عمرو ، وقد مر ذكر أخيه

حاله

تولى خِطَّة الإشراف بِلَوْشَة وَأُنْدَرَش^(١) ومالقة . ووُلِّي النظر في
مختص المَرِيَّة ، والأعشار الرومية بغيرناطة . وكان له خط حسن ، وجودة
كاملة ، وحُسْن خُلُق ، ووَطْأَة أَكْنَاف ، تشهد له بجلالة قَدْرِهِ ، ورفيع
خَطَرِهِ . وصاهر في أعيان كالوزير أبي عبد الله بن أبي الحسن [فاضلٌ ،
سَرِيٌّ ، متخلِّقٌ ، حسن الضريبة ، متميِّزٌ بخصال متعددة ، من خطٍّ بديع ،
ونظم ، ومشاركة في فنون ، من طب وتعديل ، وارتياض سماع ، وذكر
التاريخ . حَجَّ وِجَال في البلاد . ولقى جِلَّةً ، وتولى بالمغرب خُططا نبهية
علية^(٢)]^(٣) . ثم كَرَّ إلى الأندلس عام ستين وسبعماية ، فاجرى من
الاستعمال على رَسْمِهِ . ثم اقتضت له العناية السلطانية بإشارتي ، أن يُوَجِّه
في غرض الرسالة إلى تونس وصاحب مصر ، لما تقدَّم من مُرانِهِ على تلك
البلاد ، وجولاتِهِ في أَقْطَارِهَا ، وتَعَرُّفِهِ بِمُلُوكِهَا والجلَّة من أهلها ، فأب بعد
أعوام ، مشكور التصرُّفات ، جاريا على سُنَنِ الفضلاء ، مضطَّعا بالأحوال
التي أُسْنَدَتْ إليه من ذلك . فلم يزل مُعْتَنِي بِهِ ، مُرَشِّحا إلى الخُطط التي تطمح
إليها نفس مثله ، مُسْنِدا النَّظَرَ في زمام العسكر الغربي إلى ولده ، الذي

(١) سبق التعريف بها (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١٥٨ حاشية) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (عملية) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٣) الفقرة التي بين الخاصرتين وردت في الزيتونة في أول الترجمة .

يخلفه عند رحلته نايبا عنه ، مُعَزَّزاً ذلك بالمرتبات والإحسان ، تولاه الله
وأعانه

شعره

مدح السلطان ، وأنشد له في المواليد النبوية . ورفع إلى السلطان
بحضرتي هذه الأبيات :

مولاي يا خير أعلام السلاطين	ومن له الفضل في الدنيا وفي الدين
ومن له سيرٌ ناهيك من سِيرِ	واقتُ بأكرم تحسين وتحسين
شرفتَ عَبْدك تشريفاً له رُتَبٌ	فوق النجوم التي فوق الأفق تُعلين
وكان لي موعدٌ مولاي أنجزه	وزاد في العزَّ بعد الرُتبة الدُّون
والله ما الشُّكر مني قاضياً وطَرى	ولو أتيْتُ به حيناً على حين
ولا الثناء مُوفٍ حقَّ أنعميه	ولو ملأتُ به كل الدَّواوين
لكن دُعائي وحُبي قد رَضيتُهما	كفا أفعاله الغر الميامين
وعند عَبْدك إخلاصٌ يواصله	في خدمةٍ لم يزل للخير تُدنين
وسوف أنصح كل النصيح مغتنما	رضى إمام له فضل يُرجَّين
جوزيتَ عنى أمير المسلمين بما	ترضاه للملك من نصرٍ وتمكين
وأنت أكرمُ من ساس الأنسام	ومن عم البلاد بتسكين وتهديد
ومن كمثل أبي عبد الآله إذا أضحى	الفَخار لنا رَحْبُ الميادين
محمد بن أبي الحجَّاج خيرةٌ من	أُهدى إليه مدحا بالسَّعد يحظين
وجهٌ جميل وأفعال تناسبه	ودولةٌ دولَةُ المأمون تُنسين
لازال في السَّعد والإسعاد ما سَجَّعتْ ورُق الحمام على قضب البساتين ^(١)	

(١) هذا الشعر وارد في الإسكوريال . وساقط كله في الزيتونة .

محمد بن عبد الرحمن الكاتب

يكنى أبا عبد الله من أهل غرناطة . أصله من وادي آش

حاله

كان طالبا نبيا [كاتبا] ^(١) جليلا ، جيد الكتابة . كَتَبَ عن بعض أبناء الخليفة أبي يعقوب ، واختصَّ بالسيد أبي زيد بغرناطة ، وبشرق الأندلس ، وكان أثيراً عنده مكرماً . وكان رحمه الله شاعرا ، مطبوعا ، ذا معرفة جيدة بالعَدَد والمساحة ، ثم نَزَعَ عن الكتابة ، واشتغل بالعمل ، فراش فيه ، ووُكِّلَ إشراف بُنَيَات غرناطة . ثم وُكِّلَ إشراف غرناطة ، فكفَّ يده ، وظهرت نصيحته . ثم نُقِلَ إلى حضرة مراكش ، فوُكِّلَ إشرافها مدة ، ثم صُرف عنها إلى غرناطة ، وقُدِّمَ على النظر في المُستخلص إلى أن توفي .

مناقبه

أشْهَد لما قُرِبت وفاته . أنه كان قد أخرج في صحته وجوازه ، أربعة «آلاف دُنيَر من صميم ماله لتتيمم القنطرة التي بنيت على وادي شنجيل ^(٢) بخارج غرناطة ^(٣) . وكان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله ، وتأنق في بنائه ، وأصلح مساجد عدة ، وفعل خيرا . نفعه الله .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هو نهر شنيل الذي يخترق غرناطة من شرقها (enil أو Genil) . ويسمى أيضا في الجغرافية الأندلسية بنهر سنجيل أو شنجيل من اسمه اللاتيني .

(٣) وردت بعد هذه الكلمة في الزيتونة عبارة (وشرق الاندلس) فربما إعمالها لأهل ليست مستقيمة مع السياق . ووجودها هنا حشو لا عمل له .

شعره

من شعره ما كتب به إلى الشيخ أبي يحيى بن أبي عمران وزير الخلافة ،
وهو بحال شكاية أصابته :

شكوتُ فأنصني المجدَ بَرِّحُ شِكَاتِهِ	وفارق وجه الشمس حسنُ آياته
وعادت بِعَدِيكَ الزَّمانَ زمانَةً	تعدَّتْ إلى عَوَادٍ وأَسْوانَةٍ
وغيض ما للبشر لما تبسَّطت	يدٌ للسُّقْمِ في ساحات كافي كفاتِهِ
فكيف بمقصُوصٍ وصلتَ جناحه	وأَذْهَمَ قد سَرَبَلَتَهُ بِشَاتِهِ
ومُمتَحِنٌ لولاك أذعن خبرَةً	وهان على الأيام غَمَزُ قَنَاتِهِ
أَمَعْلَقٌ آمالٍ ومطمَحٌ هَمَّتِي	وواهبُ نفسٍ في عِداد مِباتِهِ
سأستقبل النعمى ببرك غُضَّة	ويصغرُ ذنبُ الدهر في حَسَنَاتِهِ
وتسطو عينُ الحق منك بمُرْهَفٍ	تُراع الخطوب الجُور من فَتِكَاتِهِ
وتطلَّع في أفق الخلافة نيراً	تُطالِعنا الأَقْمار من قَسَمَاتِهِ
حرامٌ على الشكوى اعتياد . مطهر	حياة الدُّنا والدين طيَّ حِياتِهِ
فما عَرَضَتْ في قصده بمَساءة	ولكن ترجَّتْ أن تُرى في عَفَاتِهِ ^(١)

مُشِيخَتُهُ

قال الغافقي ، قرأ بمالقة على الأستاذ أبي زيد السُّهيلي رحمه الله .
وتوفى بغرناطة سنة سبع وستماية ودفن بداره بجهة قنطرة القاضي منها
على ضفة الوادي .

(١) هذا الشعر وارد في الإسكوريال ، وسقط كله في الزيتونة .

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن الحسن بن عثمان

ابن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر

أوليَّته

قد وقع التَّنْبِيْه عليها ويقع بحول الله .

حاله

كان وزيراً جليلاً بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهمة ، كثير الأمل ^(١) .

نباهته

ذكره ابن صاحب الصلاة فى تاريخه فى الموحدين ^(٢) ، فنبه على مكانة محمد بن عبد الملك منهم فى الرأى والحُظوة ، والأخذ عنه ^(٣) فى أمور الأندلس ، وأثنى عليه . وذكره أبو زيد السُّهَيْلى فى شرح السُّيرة الكريمة ، حتى انتهى إلى حديث كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الموجه إلى هرقل ، وأن محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش ، مكرماً ، مُفْتَحِراً به . والقضية مشهورة . وأما محلُّه من أمداح الشعراء ، فهو الذى مدحه الأديب أبو عبد الله الرُّصافى بقوله :

أبدأً تفيض وخاطراً متوقِّداً دعها تَبِتْ قَبَساً على عِلْمِ النداء

وفيه يقول أبو عبد الله بن شرف من قصيدة :

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (الأمال) .

(٢) ابن صاحب الصلاة هو عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجى المتوفى حول سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م) وكتابه المشار إليه هو كتاب تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ، ونوجد منه قطعة كبيرة مخطوطة بالمكتبة البودلية بأكسفورد ، وقد قام بنشرها الأستاذ عبد الهادى النازوى بدمشق سنة ١٩٦٤)

(٣) وردت فى الإسكوريال (معه) والتصويب من الزيتونة .

يارحمة الله للسراجي ونقمته لكل باغٍ طغا عن خيرة الرُّسل
لم تُبق منهم كفورا دون مَرْقبة مطالعاً منك حَتفاً غير مُنفصل
كما بُزأتك لم تترك بأرضهم وحشاً يَفِرُّ ولا طيراً بلا وجل
وكان كثير الصَّيد ، ومتردّد الغارات .

مناقبه في الدين

قالوا لما أنشده أبو عبد الله الرُّصافي في القصيدة التي مطلعها :
لمحلك الترفيع والتعظيم ولوجهك التقديس والتكريم
حلف ألا يسمعها ، وقال على جايزتكَ ، لكنّ طباعى لا تحتمل مثل
هذا ، فقال الرُّصافي ، ومن مثلك ، ومن يستحق ذلك في الوقت غيرك ،
فقال له ، دعنى من خداعك أنا وما أعلمه عن نفسى .

شعره

أنشده صاحب « الطالع » ^(١) ، ولا يذكر له غيره : ^(٢)
فلا تُظهرن ما كان في الصدر كامناً ولا تركبن بالغىظ في مَرْكَبٍ وعُر
ولا تبَحثن في عُذر من جاء تايباً فليس كريماً من يباحث في عُذر
وؤلى من الأعمال للموحدين كثيراً ، كمُختَص حضرة مراکش ، ودار
السلاح ، وسلا ، وإشبيلية ، وغرناطة ، واتصلت ولايته على أعمال
غرناطة ، وكان من شيوخها وأعيانها .

هــ حنته

وعُمل فيه عقد بأن بداره من أصناف الحلى ، ما لا يكون إلا عند الملوك ،

(١) هو كتاب « الطالع السعيد في تاريخ بنى سعيد » لأبى الحسن على بن سعيد ، وقد سهت
الإشارة إليه غير مرة .

(٢) وردت في الإسكوريال (قوله) ، وهو تحريف ، والتصويب بن الزيتونة .

وأنه إذا ركب في صلاة الصبح ، من دار الرُّخام التي يجري الماء فيها ، في
 إثني عشر مكاناً ، شوشَّ الناس في الصلاة ، دوىُّ الجلال بالبراة ،
 ومناداة الصيادين ، ونباح الكلاب ، فأمر المنصور بالقبض عليه ، وعلى
 ابن عمه صاحب أعمال إفريقية أبي الحسين ، في سنة ثلاث وسبعين
 وخمسماية . ثم رضى عنهما ، وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه
 كلَّ ما أخذ له ، فصرفه عليه ، ولم ينقصه منه شيء ، وغرم ما فات له .
 ولد سنة أربع عشر وخمسماية ، وتوفي بغرناطة سنة تسع وثمانين
 وخمسماية .

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن
 ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر العنسى
 يكنى أبا بكر ، وقد تقدّم التعريف بأوليته .

حاله

قال في « الطالع » ساد في دولة الملثمين^(١) ، ووُلوّه بغرناطة الأعمال ،
 وكانت له دار الرُّخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم بغرناطة . قال الغافق
 فيه : شيخ جليل ، فقيه نبيه من أهل قلعة يحصّب^(٢) . كان في عداد
 الفقهاء ، ثم نزع إلى العمل ، ووُلى إشراف غرناطة في إمارة أبي سعيد
 الميمون بن بدر اللمتونى . وقال صاحب « المُشهب » وحسب القلعة كَوْن
 هذا الفاضل الكامل منها ، وقد رقم بُرد مجده بالأدب ، ونال منه بالاجتهاد

(١) الملثمون أو أهل اللثام هم المرابطون .

(٢) قلعة يحصّب أو قلعة بنى سعيد ، تقع شمال غرناطة ، وهى بلدة Alcala la Real

الحديثة وقد سبق التعريف بها (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١١١ حاشية) .

والسجّية القابلة ، أعلى سبب ، وله من المكارم ما يُغيّر في وجه كعب
وحاتم ، لذلك ما قصده الأدباء ، وتهافتت في مدحه الشعراء ، وفيه أقول :

وكان أبو بكر من الكُفّر عصمة وردّ به الله الغُواة إلى الحق
وقام بأمر الله حافظاً أهله بلين وسبّط في المسيرة والخلق
وهذا أبو بكر سليل ابن ياسر بغرناطة ناغاه في الرأى والصدق
فهذا لنا بالغرب يَجْنى معالسا تُباهى الذى أحيا الديانة بالشرق
وقد جرى من ذكره عند ذكر أبي بكر بن قُزّمان ، ويجرى عند ذكر
نزهون بنت القِلاعى ما فيه كفاية ، إذ كان مَفْتُوناً بها ، وبِحَمْدَةِ
وزَيْنَب بنتى زياد المؤدّب من أهل وادى آش ، وفيهما يقول :

ما بين زينب عمرى أحت كَأْسى وحَمْدَه
وكل نظم ونثر وحكمة مُسْتَجْدَه
وليس إلا عَفَافٌ يُبَلِّغُ المرءَ قَصْدَه
ولذلك ما سعى به المخزومى الأعمى ، وقد سَهَا عن رَسْم تفقّده ، فكتب
إلى على بن يوسف فى شأنه بما كان سبب عزله ونكبتة :

إليك أمير المؤمنين نصيحة يجوز بها البحر المُجْجَع شاعر
بغرناطة ولّيت فى الناس عاملاً ولكن بما تحويه منه المآزر
وأنت ما تخفى عليك خفيّة فسل أهلها فالأمر للناس ظاهر
وما لإلاه العرش تفنيه حمدة وزينب والكأس الذى هو دابر

شعره : من ذلك قوله :

يا هذه لا تسروى خداع من ضائق دُرْعَه
تبسكى وقسد قتلتينى كالسيف يقطر دُمْعَه

وقال عفى الله عنه :

لقد صدعت قلبي حمامة أَيْكَة أثارت غراماً ما أجَلُّ وأَكْرَمَا
ورق نسيم الرِّيح من نحو أرضكم ولطفَ حتى كاد أن يتكلَّمَا

وقال في مذهب الفخر :

فَحَرَّنا بالحديث بعد القديم من معالٍ توارثت كالنجوم
نحن في الحرب أجْبَلُّ راسيات ولنا في النَّدَى لُطْفُ النُّسَمِ
ولد في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

ومن الطاريين في هذا الاسم من العمال

محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري

من أهل وادي آش ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

كان رجلاً شديد الأذمة ، أعين ، كث اللحية ، طرُفاً في الأمانة ، شديد الاستِراية بجليسه ، مُخِيناً لرفيقه ، سيء الظن بصديقه : قليل المداخلة ، كثير الانقباض ، مُختصر اللبس والمطعم ، عظيم المحافظة على النِّفير والقِطْمير ، مُستوعب للحضر والتقييد ، أسير محبي وعابد زمام ، وجَنِيب أمانة ، وحُلَس سقيفة ، ورَقِيب مُشرف ، لا يقبل هُوادة . ولا يُلبس رِشوة ، كثير الالتفات ، متفَقِّداً للآلة ، متممّاً للعمل .

جرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بسبب شِعْرِ خامل نسب إليه بما نصه : رجل غليظ الحاشية . معدود في جنس السَّايمة والماشية . تُلِيت على العمال به سُورة الغاشية ، ولم الأَشغال السلطانية . فدِرِعت الجُبابة

لولايته ، وأيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته ، وقنطوا كل القنوط ، وقالوا جاءت الدابة تُكلمنا ، وهى إحدى الشروط ، من رجل صايم الحسوة ، بعيد عن المصانعة والرشوة ، يتجنب الناس ، ويقول عند المخالطة لهم لا مَسَاس ، عهدى به فى الأعمال يَخِيط وَيَتَبَر ، وهو يَهْلُل وَيَكْبُر ، ويحسُن ويتبجح ، وهو يسبح ، انتهى . قلت ، ووُلَّى الأشغال السلطانية ، فضم النثر ، وأوصد باب الحيلة ، وبث أسباب الضياع ، وترصد ليلا وأصيب بجراحة أخطائه ، ثم عاجلته الوفاة ، فنفس عن أقتاله المُخَنَّق .

شعره : قال يخاطب بعض أثراء الدولة قبل نهايته :

عمادى ملاذى مُؤيلى ومُؤملى ألا انعم بما ترضاه للمتأهل
وحقق بنيل القصد منك رجاءه على نحو ما يُرضيك يا ذا التفضل
فأنت الذى فى العلم يُعرف قدره بخير زمان منه لازلت فيه تَعْتَل
فهُنيت يا مغنى الكمال برتبة تقرُّ لكم بالسبق فى كل محفل

توفى عام ثلاثة وأربعين بغرناطة أو قبل ذلك ببسبر ، وله خط حسن ، وممارسة فى الطلب ، وقد توسط المعترك .

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى

من أهل المريّة ، يكنى أبا بكر .

أوليته

من كتاب « المؤتمن »^(١) قال : يُشهر بنسبه وأصل سلفه من جهة بيرة^(٢)

(١) سق التعريف به (أنظر ص ١٩٥ من هذا المجلد) .

(٢) بيرة بلدة أندلسية تقع جنوب المصورة الواقعة على نهر المدبرة ، شمال شرق المريّة

إِما من بَجَّانَةَ^(١) ، وإِما من البَرِيج^(٢) ، واستوعب سبب انتقالمهم .

حاله

من « عايد الصلة » ، كان أحد الشيوخ من طبقة ، وصدر الوزراء من نمطه ببلده ، سراوَّة وسماحةً ، ومبرَّة^(٣) وأدباً ولودعية ودُعابة ، رافع راية الانطباع ، وحابز قصب^(٤) السبق في ميدان التخلُّق ، مبدول البير ، شايح المشاركة .

وقال في « المؤتمن » ، كان رجلاً عاقلاً ، عارفاً بأقوال الناس ، حافظاً لمراتبهم ، مُنْزِلاً لهم منازلهم ، ساعياً في حوايجهم ، لا يَصْدُرُون عنه إلا عن رضىٍ بجميل مُداراته . التفت إلى نفسه ، فلم يَنْسُ نصيبه من الدُّل ، ولا أَغْفَلَ من كان يالْفُهُ في المنزل الخَشِن ، واصلاً لرحمه ، حاملاً لوَطَاة من يَجْفُوهُ منهم ، في ماله حظٌ للمساكين ، وفي جاهه رِفْدٌ للمضطَّرين ، شيخاً ذكياً المُجالسة ، تَسْتَطِيب معاملته ، على يقين أنه يَخْفَى خلاف ما يُظْهر ، من الرجال الذين يصلحون الدُّنيا ، ولا يعلُق بهم أهل الآخرة ، لَعَرُوهُ عن النَّخوة والبَطَر ، رحمه الله . تَكَرَّرَتْ له الولاية بالديوان غير ما مرَّة ، وورد على غرناطة ، وافداً ومادحاً ومُعْزِياً .

مشيخته [وما صندرمه]^(٥)

قرأ على ابن عبد النُّور ، وتادَّب به ، وتلا على القاضي أبي علي بن أبي الأَحْوص أيام قضايه ببَسْطَة ، ونظم رَجَزاً في الفرائض .

- (١) بجانه وبالإسبانية Pechina ، تقع غربي نهر أندرش وشمال غربي ثغر ألمرية . وقد سبق التعريف بها (المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٦٢ حاشية) .
 (٢) بلدة من بلاد مقاطعة ألمرية تقع على مقربة من بجانه .
 (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مباراة) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قصبه) .
 (٥) الزيادة من الزيتونة .

شعره

قال الشيخ^(١) في «المؤتمن» ، كانت له مشاركة في نظم الشعر الوَسَط ، وكان شِعْرُ تلك الحَلْبَةِ الآخِذَةِ عن ابن عبد النور ، كأنه مصوَّغٌ من شعر شيخهم المذكور ، ومحلُّو عليه ، في ضعف المعاني ، ومِهْنَةُ الألفاظ . تنظر إلى شعره ، وشعر عبد الله بن الصَّايغ ، وشعر ابن شُعبَة ، وابن رُشيد ، وابن عُبيد ، فتقول ذرِّية بعضها من بعض .

فمن ذلك ما نظمه في ليلة سماع واجتماع بسبب قدوم أخيه أبي الحسن من الحجاز :

إلهي أجرني لمني لك تائب	وإني من ذنبي إليك لهارب
عصيتك جهلاً ثم جئتُك نادماً	مقراً وقدسدت على المذاهب
مضى زمن بي في البطالة لاهياً	شبابي قد ولي وعمرى ذاهب
فخذ بيدي واقبل بفضلك توبتي	وحقق رجائي في الذي أنا راغب
أخاف على نفسي ذنباً جنيتهَا	وحاشاك أن أشق وأنت المحاسب
وإني لأخشى في القيامة موقفاً	ويوماً عظيماً أنت فيه المطالب
وقد وُضع الميزان بالقسط حاكماً	وجاء شهيدٌ عند ذاك وكاتب
وطاشت عقول الخلق واشتد خوفهم	وفرَّ عن الإنسان خلٌّ وصاحب
فما ثم من يرجي سواك تفضلاً	وإن الذي يرجو سواك لخائب
ومن ذا الذي يعطى إذا أنت لم تجدْ	ومن هو ذو منْعٍ إذا أنت واهب
عبيدك يا مولاي يدعوك رغبة	وما زلت غفَّاراً لمن هو تائب

(١) يقصد بها هنا أبو البركات بن الحاح شيخ ابن الخطيب .

دَعَوْتُكَ مُضْطَرّاً وَعَفْوُكَ وَاسِعٌ فَأَنْتَ الْمَجَازَى لِي وَأَنْتَ الْمَعَاقِبُ
 فَهَبْ لِي مِنْ رَحْمَاكَ مَا قَدَرَجَوْتَهُ وَبِالْجُودِ يَا مَوْلَايَ تُرْجَى الْمَوَاهِبُ
 تَوَسَّلْتُ بِالْمَخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَمِنْ نَحْوِهِ قَصِداً تُحِثُّ الرُّكَايِبُ
 شَفِيعُ الْوَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاهُهُ وَمَنْقُذٌ مِنَ النَّارِ وَالْحَقُّ وَاجِبُ
 وَمَا بَلَغَ فِيهِ أَقْصَى مَبَالِغِ الْإِجَادَةِ ، قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ هُنَا فِيهَا سُلْطَانُنَا أَبَا
 الْحَجَّاجِ بْنِ نَصْرٍ ، لَمَّا وَفَدَ هُوَ وَجَمَلَةٌ أَعْيَانِ الْبِلَادِ أُولَاهَا :

يُهْنِي الْخِلَافَةَ فَتَحَتْ لَكَ بَابَهَا فَادْخُلْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ يُنْمِنَا غَابَهَا
 مِنْهَا وَهُوَ بَدِيعٌ ، اسْتَظَرَفَ يَوْمَئِذٍ :

يَا يَوْسُفِيَّ بِاسْمِهِ وَبِوَجْهِهِ اصْبَعْدِ لِمَنْبَرِهَا وَضَنْ مِحْسَرَابِهَا
 فِي الْأَرْضِ مَكَّنَكَ الْإِلَٰهَ كَيُوسُفَ وَلِتَمْلُكَنَّ بَرَبُّهَا أَرْبَابَهَا
 بَلَغَتْ بِكُمْ آرَابَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَالَتْ لِذَلِكَ نِسْوَةٌ مَا رَابَهَا
 كَانَتْ تُرَاوِدُ كُفُوهَا حَتَّى إِذَا ظَفِرَتْ بِيُوسُفَ غَلَقَتْ أَبْوَابَهَا

[قُلْتُ ، مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ ابْنَ الْخَطِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فِي هَذَا الْمُتَرْجِمِ
 بِهِ ، مِنْ أَنَّهُ يَنْظُمُ الشَّعْرَ الْوَسْطَ ، ظَهَرَ خِلَافُهُ : إِذَا أُثْبِتَ لَهُ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةُ
 الْأَخِيرَةُ . وَلَقَدْ أَبْدَعَ فِيهَا وَأَتَى بِأَقْصَى مَبَالِغِ الْإِجَادَةِ كَمَا قَالَ ، وَحَازَهَا
 نَظْماً أَعْلَى مِمَّا وَصَفَهُ بِهِ . وَأَمَّا الْقَصِيدَةُ الْأُولَى فَلَا خُفَاءَ أَنَّهَا سَهْلَةٌ الْمَأْخَذُ ،
 قَرِيبَةٌ الْمَنْزَعِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ الْجَزَالَةِ . وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ مَقْصُوداً مِنْ نَاطِقِهَا
 رَحِمَهُ اللَّهُ] ^(١) .

تُوفِي بِبِلَدِهِ عَنْ سَنٍ عَالِيَةٍ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ عَامِ ثَمَانِيَةٍ وَثَلَاثِينَ
 وَسَبْعِمِائَةٍ .

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْفَقْرَةُ أَيْ دِينَ الْحَاسِرِ بْنِ فِي مَخْصُوطِ الْإِسْلَامِيِّينَ فَقَطْ . وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهَا
 مِنْ تَعْلِيقِ النَّاسِخِ .

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه الله بقوله :

يا عين سحى بدمع واكف سرب لحامل الفضل والأخلاق والأدب
 بكيت إذ ذكر الموتى على رجل إلى بلى من الأحياء مُنتسب
 على الفقيه أبي بكر تضمّنه رَمْسٌ وأعمل سيرا ثم لم يؤب
 قد كان بي منه وُدٌ طاب مشرعه ما كان عن رغبٍ كلاً ولا رهب
 لكن ولا على الرحمن مُحْتَسِباً في طاعة الله لم يمدّق ولم يشب
 فالיום أصبح في الأجداث مُرْتَبِهاً ما ضرتّ الريح أُمْلُوداً من الغضب
 إنا إلى الله من فقد الأُحبة ما أشدّ لذعا لقلب الشاكل الوَصِب
 من للفضائل يُسديها ويُلحِمها من للعلی بین مَوْرُوث ومُكْتَسِب
 قلّ فيه أما تصفُ رُكناً لِمُنْتَبِذ رَوْضٍ لِمُنْتَجِع أنسٍ لِمُغْتَرِب
 باقٍ على العهد لا تثنیه ثانية عن المكارم في وِرد ولا قُرب
 سهل الخليفة بادی البشر مُنْبَسِط يلقى الغريب بوجه الوالد الحَدِب
 كم غير الدهر من حال فقلّبها وحال إخلاصه ممتدة الطُنْب
 سأمى المكانة معروف تقدّمه وقدره في ذوى الأقدار والرُتب
 أكرم به من سجايا كان يحملها وكلها حسنٌ تُنبّيك عن حَسَب
 ما كان إلا من الناس الألى دَرَجَوا عقلاً وحلماً وجوداً هَامِ السُّعْب بلقعة لكن محامدة تبقّى على الحُفْب
 أمسى ضجيج الثرى في جنب وإنما صبرها من أعجب العُجْب
 ليست صَبَابَة نفسى بعده عجباً لو غير منعه نادى الدمع لم يُجِب
 أجاب دمعى إذ نادى النعى به في كل يوم تناديه الردى اقترب
 ما أغفل المرء عما قد أريد به يا وبع نفسى الأنفاس مَضّت هدرأ بين البطالة والتسويق واللعب
 ظننت أنى بالأيام ذو هزو غلظت بل كانت الأيام تهزأ بي

أشكو إلى الله فقرى من معاملة
 ما المال إلا من الله قوى فأفلح
 أبا بكر الأَرْضَى نداءً أخٍ بك
 أهلاً بقدمتك الميمونَ ظاهرها
 نعم في الكرامة فالأسباب وافرة
 لله والآجال قاطعة ما
 ومن فرايد آداب يُحسبها
 أما الحياة فقد مُلِيتَ مدتها
 لولا قواطعُ لى أشراكها نُصبت
 وقل ما شُفيتَ نفسٌ بزورة
 يا نُخبةً ضمها تُربُّ ولا عجب
 كيف السبيل إلى اللُّقيا وقد ضربوا
 عليك منى سلام الله يتبعه

لله أنجو بها في مَوْقِفِ العَطَبِ
 من جاء القيامة ذا مالٍ وذانِشِبِ
 عليك مدى الأيام مُكْتَسِبِ
 على محل الرضى والسَّهْلِ والرحبِ
 وربما نِيلَتِ الحُسنى بلا سبب
 بيننا من خطاباتٍ ومن خُطَبِ
 فيودع الشُّهبُ أفلاكاً من الكُتبِ
 فعوض الله منها خير مُنْقَلَبِ
 لزُرْتُ قبرك لا أشكو من النُصبِ
 من حِلِّ البَقيعِ ولكن جُهدى أربِ
 إن التراب قديماً مدفن النُخبِ
 بينى وبينك ما بقى من الحجبِ
 حسنُ الثنا وما حييت من كتبِ

محمد بن محمد بن شُعْبة النَسَائِي

من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

قال شيخنا أبو البركات في الكتاب « المؤتمن » ، من أهل ألمرية ووجوهها
 لا حظاً له في الأدب ، وبضاعته في الطلب مُزَجَاة . قطع عمره في الأشغال
 المخزنية ، وهو على ذلك حتى الآن . قلت هذا الرجل أحد فرسان الطريقة
 الغنصية . ماضٍ على لين ، متحرك في سكون ، كاسدٌ سوقَ المروعة ، ضانٌ
 بما يملك من جدّة ، مُنْحَطٌّ في هوّة اللذة ، غير مُعرج على رُبْعِ الهمة ، لطيفٌ

التَّائِي ، مُتَنَزِّلٌ فِي الْمَاعِلَةِ ، دَمِثُ الْأَخْلَاقِ ، مَلِيحُ الْعَمَلِ ، صَمِيحُ الْحِسَابِ ، مُنْجِبُ الْوَلَدِ .

مشيخته : قرأ على ابن عبد النور ، والقدر الذي يُحَسُّ به عنه أخذه .
شعره : من شعره يخاطب أبا الحسن بن كُماشَة :

وَأَقْبَلَ السَّعْدُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْأَمَلُ	وَإِنِّي الْبَشِيرُ فَوَافِي الْأَنْسِ وَالْجَدَلِ
وَإِخْضَرَّتْ مِنْهَا الرَّبِّيُّ وَالسَّهْلُ وَالْجَبَلُ	وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ حُسْنًا زَاهِرًا وَسَنَى
لَهُ شِعَاعُ كَضْوَى الشَّمْسِ مُتَّصِلُ	وَلَا حَاجَ وَجْهٍ عَلَيَّ بَعْدَ ذَا فَعْدَا
أَحْشَاؤُنَا بِلَهَيْبِ الشَّوْقِ تَشْتَعِلُ	مَذْغَابُ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا لَنَا وَغَدَّتْ
عَادَ الظَّلَامُ ضِيَاءً وَانْتَفَى الْخَبَلُ	وَحِينَ أَشْرَقَتْ الدُّنْيَا بِغَرَّتِهِ
مَهْمَى اعْتَرَّتْ شِدَّةً أَوْ ضَاقَتْ الْحِيلُ	إِلَيْهِ أَبَا حَسَنٍ أَنْتَ الرَّجَاءُ لَنَا
نَالَ الْمُنَى وَبَدَأَ عَيْشٌ لَهُ خَصِلُ	وَأَنْتَ كَهْفُ مَنِيْعٍ مَنَ نَحَاكَ فَقَدْ
مَشِيْدَةٌ قَدْ بَنَتْهَا السَّادَةُ الْأَوَّلُ	يَاسِيدًا قَدْ غَدَا فِي الْمَجْدِ ذَا رُتَبِ
بَاهَتْ بِهِمْ فِي قَدِيمِ الْأَعْصَرِ الدُّوَلُ	بَنُو كُماشَةَ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ شُهِرُوا
وَالْبَازِلُونَ نَدَى وَالنَّاسُ قَدْ بُخِلُ	السَّالِكُونَ هَدَى السَّابِقُونَ مَدَى
وَالسَّيِّدُ الْمُرْتَجَى وَالْفَارُسُ الْبَطْلُ	أَنْتَ الْأَخِيرُ زَمَانًا وَالْقَدِيمُ عَلَاءُ
أَضْحَى بِجُودِ يَدَيْكَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ	إِنْ كُنْتَ جِئْتَ أَخِيرًا فَلَقَدْ
مَنْ رَامَ إِحْصَاءَهَا سُدَّتْ لَهُ السُّبُلُ	حُزْتُ الْمَآثِرَ لَا تُحْصَى لِكَثْرَتِهَا
وَأَنْتَ تَجْرُ النَّدَى وَالْوَابِلُ الْهَظْلُ	جُزْتُ الْبُدُورَ سَنَى وَالْفَرْقَدَيْنِ عَلَاءُ
وَجْهٌ طَلِيقٌ وَلَفْظٌ كُلُّهُ عَسَلُ	مَنْ جَاءَ يَطْلُبُ مِنْكَ السَّلَامَ قَابِلُهُ
لَقَدْ تَرَفَّعَ فِي بُرْجٍ لَهُ زُحَلُ	وَمَنْ يَرُدُّ غَيْرَ ذَا تَبَا لَهُ وَرَدَى
وَعِشْتَ فِي عِزَّةٍ تَتَرَى وَتَتَّصِلُ	هَنَّاكَ رَبُّكَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نَعَمِ
مَنْ ذُوْنَهَا رَفَعَةٌ فِي الْأَبْرُجِ الْحَمَلُ	وَلَا عَدِمْتَ مَدَى الْأَيَّامِ مَنَزَلَهُ

ونُحِذْهُ بَعْدَ سَلاماً عَاطِراً أَرِجاً يَدُومُ ما دَامَتِ الأَسْحارُ والأُصُلُ
 مِنْ خادِمٍ لِعَلامِكُمْ مَخْلُصٍ لَكُمْ مِنْ حُبِّكُمْ لا يُرى ما عَاشَ يَنْتَقِلُ
 تَقْبِيلُ كَفِّكَ أَعلى ما يَؤْمِلُهُ فَجُدْ بِهِ فِثِيفاً المَاسِمِ القُبُلُ
 وفاته ، في أول عام أربعة وستين وسبعمائة .

محمد بن محمد بن العراقي

وادی آشی ، یکنی أبا عبد الله .

حاله

فاضل الأبوة ، معروف الصَّون والعِفَّة ، بادى الاستقامة ، دَمِثَ
 الأخلاق ، حسن الأدوات ، ينظِّم وينشُر ، ويجيد الخطَّ ، تولى أعمالاً نَبِيهية ،
 ثم عَلِقَتْ بِهِ الحِرْفَةُ ، فلَقِنى ضَغْطاً ، وفقد نَشَباً ، واضطر إلى التحول
 عن وطنه إلى بَرِّ العُدُوَّة عام ستة وخمسين وسبع مائة ، وتُعرَّف لهذا العهد
 أنه تولى الأشغال بقُسْطَنْطِينة الهَوَاء^(١) من عمل إفريقية .

شعره

كتب إلى وقد أبى عملاً غُرِضَ عليه :

أَأَصَمْتُ أَلْفاً ثُمَّ أَنْطَقَ بِالْخُلْفِ وَأَفْقِدُ أَلْفاً ثُمَّ آتُسُ بِالْجِلْفِ
 وَأُهْمِسُكَ دَهْرِي ثُمَّ أَنْطَقُ عُلُقْماً وَيَمْحَقُ بَدْرِي ثُمَّ أُلْحِقُ بِالْخُسْفِ
 وَعَزُّكُمْ لا كُنْتُ بِالذَّلِّ عامِلاً وَلَوْ أَنْ ضَمَعْنِي يَنْتَمِي إِلَى حَتْفِ
 فَإِنْ تَعْمَلُونِي فِي تَصَرُّفٍ عَزَّةٍ وَعَسْدِلٍ وَإِلَّا فاحسبوا عِلَّةَ الصَّرْفِ
 بَقِيْتُ وَسُحِبَ العَطْفُ مِنْكُمْ تُظَلِّلُنِي وَعَطَفُ ثَنائِي دائِماً ثَنائِي العَطْفِ

(١) هكذا كانت تسمى مدينة قسطنطينية (معجم البلدان - مصر - ج ٧ ص ٨٩) . وهى اليوم من مدن الجزائر الزاهرة .

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن
عبد الله بن مُقَرُون الأنصاري

من أهل مالقة ، يكنى أبا القاسم ويعرف بالهنا
أولَّيته

يُنسب إلى القاضي بَطْلَيْوُس ، قاضي القضاة رحمه الله . وبمالقة
دورٌ تنسب إلى سَلَفِهِ تدل على نباهة ، وقد قيل غسر ذلك . والنَّص الجَلِي
أولى من القياس .

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار
السلطانية . صَدُرَ نَمَطُهُ ، وفريدُ فنِّه ، رجولةٌ وجزالةٌ واضطلاعا وإدراكا
وتجلدا وصبرا . نشأ بمالقة ، معدوداً في أهل الطُّلب والخصُوصية ، ورحل
إلى الحجاز الشريف في فتايه ^(١) ، فاستكثر من الرواية ، وأخذ عن أكابر
من أهل المشرق والمغرب ، حسبما يشهد بذلك برنامجه .

وكان على سُنَنِ من السُّرُورِ ^(٢) والحشمة ، فذاً في الكفاية ، جريئاً مقداماً
مهيئاً ، ظريف الشَّارة ، فارِه المَرْكَب ، مليح الشَّيبة ، حسن الحديث ،
وقَّاد الذهن ، صابراً على الوظائف ، يَخْلُط الخوض في الأمور الدُّنيوية ،
بعبادة باهظة ، وأوراد ثقيلة ، ويجمع ضحك الفاتك ، وبكاء النَّاسِك ،
في حالة واحدة ، هُشاً ، مفرط الجِدَّة ، يَشُرُّد عليه مَجْلُ ^(٣) لسانه في

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ساجه) والله دى واحد .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العبر) والاولى أرجح وأنسب للسياق .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مجد) والاولى أرجح .

وَحْذَهُ بَعْدَ سَلَامَا عَاطِرًا أَرْجَا يَدُومُ مَا دَامَتِ الْأَسْحَارُ وَالْأَصْلُ
 مِنْ خَادِمٍ لِعِلَّاكُمْ مُخْلِصٍ لَكُمْ مِنْ حُبِّكُمْ لَا يُرَى مَا عَاشَ يَنْتَقِلُ
 تَقْبِيلُ كَفِّكَ أَعْلَى مَا يُؤْمَلُهُ فَجُدْ بِهِ فَشِفَا الْمَسَايِمِ الْقُبُلُ
 وَفَاتِهِ ، فِي أَوَّلِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

محمد بن محمد بن العراقي

وادی آشی ، یکنی آبا عبد الله .

حاله

فاضل الأبوة ، معروف الصون والعفة ، بادی الاستقامة ، دَمِثُ
 الأخلاق ، حسن الأدوات ، ينظم وينثر ، ويجيد الخط ، تولى أعمالاً نبهية ،
 ثم عُلِقَتْ بِهِ الحَرْفَةُ ، فَلَقِيَ ضَغْطًا ، وَفَقِدَ نَشَبًا ، واضطر إلى التحول
 عن وطنه إلى بَرِّ العُدْوَةِ عام ستة وخمسين وسبع مائة ، وتُعرَفُ لهذا العهد
 أَنَّهُ تَوَلَّى الْأَشْغَالَ بِقُسْنُطِينَةِ الْهَوَاءِ^(١) مِنْ عَمَلٍ إِفْرِيقِيَّةٍ .

شعره

كتب إلى وقد أُنِيَ عَمَلًا غُرِضَ عَلَيْهِ :

أَصَمْتُ أَلْفًا ثُمَّ أَنْطَقَ بِالْخُلْفِ وَأَفْقِدُ أَلْفًا ثُمَّ آتُسُ بِالْجِلْفِ
 وَأَمْسَكَ دَهْرِي ثُمَّ أَنْطَقَ عُلُقْدًا وَيَمْحَقُ بَذْرِي ثُمَّ أُلْحَقُ بِالْخُسْفِ
 وَعَزُّكُمْ لَا كُنْتُ بِالذُّلِّ عَامِلًا وَلَوْ أَنَّ ضَعْفِي يَنْتَمِي إِلَى حَتْفِ
 فَإِنْ تُعْدِلُونِي فِي تَصَرُّفِ عَزَّةٍ وَعُدُلٍ وَإِلَّا فَاحْسِدُوا عَلَّةَ الصَّرْفِ
 بِقِيَّتِ وَسُحْبِ الْعَطْفِ مِنْكُمْ تَطْلُئُنِي وَعُطْفُ ثَنَائِي دَائِمًا ثَانِي الْعَطْفِ

(١) هكذا كانت تسمى مدينة قسطنطينة (معجم البلدان - مصر ج ٧ ص ٨٩) . وهي اليوم من مدن الجزائر الزاهرة .

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن
عبد الله بن فُرتون الأنصاري

من أهل مالقة ، يكنى أبا القاسم ويعرف بالهنا
أولَّيته

يُنسب إلى القاضي بَبْطَلْيُوس : قاضي القضاة رحمه الله . وبمالقة
دورٌ تنسب إلى سَلَفِهِ تدل على نباهة ، وقد قيل غمر ذلك . والنص الجلي
أولى من القياس .

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار
السلطانية . صَدْرُهُ نَمَطُهُ ، وفريدُ فنِّه ، رجولةٌ وجزالةٌ واضطلاعا وإدراكا
وتجلُّدا وصبرا . نشأ بمالقة ، معدوداً في أهل الطلب والخصُوصية ، ورحل
إلى الحجاز الشريف في فتايه^(١) ، فاستكثر من الرواية ، وأخذ عن أكابر
من أهل المشرق والمغرب ، حسبما يشهد بذلك برنامجه .

وكان على سُنن من السُّرو^(٢) والحشمة ، فذاً في الكيفية ، جرياً مقداما
مُهيبا ، ظريف الشَّارة ، فارِه المَرَكَب ، مليح الشَّيبة ، حسن الحديث ،
وقاد الذهن ، صابراً على الوظائف ، يَخْلُط الخوض في الأمور الدنيوية ،
بعبادة باهظة ، وأوراد ثقيلة ، ويجمع ضحك الفاتك ، وبكاء النَّاسِك ،
في حالة واحدة ، هُشاً . مفرط الحِدَّة ، يَشْرُد عليه مَجْلُ^(٣) لسانه في

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزينونة (سراج) والله دى واحد .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزينونة (انصاري) والاولى أرحم وأنسب للدين .

(٣) هكذا وردت في الزينونة . وفي الإسكوريال (مجد) والاولى أرحم .

المجالس السلطانية بما تعرضه المندمة بسببه . قاوما على حفظ القرآن وتجويده وتلاوته . ذا خصال حميدة . صنَّاع اليد ، مقتدرا على العمليات من نسخ ومقابلة وحساب . معدودا من صُدُور الوقت وأعلام القطر ، ورجال الكمال .

مشيخته

أخذ عن الجلة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي ، لازمه وانتفع به ، والخطيب أبي عثمان بن عيسى أخذ عنه ^(١) ، والولى أبي عبد الله الطنجالي ، وغيرهم مما يطول ذكرهم من العُدوة والأندلس والمشاركة .

محنته

لقى نصيباً فى الخدمة السلطانية ، وغضاً من الدهر لبأوه ، بتعنته وعدم مبالاته مرات ، ضُبق لها سجنه ، وعُرض عليه النكال ، ونيل منه بالإهانة كل منال ، وأغرم مالا أجحف بمُحتَجِنه ، وعُرض للأيدى نفائس كتبه ، وعلى ذلك فلم يذعر سربه ، ولا أضعفت النكبة جاشه . ولد عام ثلاثة وسبعين وستماية . ومات ميتة حسنة . صلى الجمعة ظهرا ، وقد لزم الفراش . ونفث دم الطاعون . ومات مُستقبل القبلة . على أتم وجوه التأهب ، سابع شوال من عام خسين وسبعماية .

محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل

من أهل مالقة . يكنى أبا القاسم . أزدى النسب . إشبلى الأصل .

من بيت نزاهة ونباهة .

(١) ورد بعد هذا الاسم فى مخطوط الربوة م بنى (ومن أهل السرى جاز الله بن الدين ، وأبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن القرشى الدلاسى ، قرأ عليه القرآن بالحرم الشريف) .

حاله

كان فاضلاً وقوراً سَمَحاً ، مليح الدُّعابة . عذبُ الفكاهة . حُلُو النادرة ،
يكتُبُ ويُشعر . طِرْفاً في الانطباع واللَّوْذِعيَّة . آيَةً في خلط الجدِّ بالهزل .
وُلِّيَ الإشراف بمدينة مالقة ، وتقلَّب في الشهادة المَخزنية عُمره .

شعره

من شعره يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم رحمه الله :
فَوَادَى مِنْ خَطْبِ الزَّمَانِ سَقِيمٍ وَفِيهِ لِسَهْمِ الْحَادِثَاتِ كُلُّومٍ
وَلَمْ أَشْكُ دَائِي فِي الْبَرِيَّةِ لَأَمْرِي أَأَشْكُو بِهِ وَابْنُ الْحَكِيمِ حَكِيمُ
توفي بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة وثلاثين
وسبعمائة .

محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عمرو

حاله

كان راوية ثقة ، بارع الأدب ، بليغ الكتابة . طيب النفس ، كامل
المروءة ، حسن الخلق . جميل العشرة ، تلبس بالأعمال السلطانية دهرا ،
ووُلِّيَ إشراف غرناطة وغيرها ، إلى أن قَعَدَ لشكاية منعه من القيام والتَّصَرُّفِ
فَعَكَّفَ عَلَى النَّظَرِ ، فانتفع به .

مشيخته

كانت له رِجْلَةٌ سَمِعَ فِيهَا بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْصُورٍ
وغيره ، وروى عنه الأخوان سالم وعبد الرحمن ابنا صالح بن سالم .

تواليفه

له اختصار حسن في « أغاني الإصبهاني » ، وردَّ جيّد على ابن غرسيّة في رسالته الشعبيّة ^(١) لم يَقْصُر فيها عن إجادة .
وتوفى لسبع خلون من محرم من عام اثنين وسماية .

الزُّهاد والصُّلحاء والصُّوفية والفقراء وأولا الأصيلون

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري
من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالصنّاع .

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ الصُّوفي ، الكثير الاتِّباع ، الفدُّ الطريقة المُجَبَّب إلى أهل الثغور من البادية . كان رحمه الله شيخاً حسن السمّت ، كثير الذِّكر والمداومة ، يقود من المُخْشَوْشِينَ عددَ ربعة ومضر ، يعمل الرّحلة إلى حُصُونِهِمْ ، فيتألّفون عليه ، تألّف النّحل على أمرها وبعاسيها . مُعلنين بالذِّكر ، مهرولين ، يخشون مثواه ، بأقواتهم على حالها ، ويتناغون

(١) ابن غرسية ، هو أبو عامر بن أحمد ، وهو مولد أندلسي من كتاب شرق الأندلس ، وقد نشأ بدانية في كنف محاهد العامري صاحب مملكة دانية والجزائر (٤٠٠ - ٤٣٦ هـ) واشتهر برسالته في « تفضيل المعجم على العرب » التي وجهها إلى ابن الحداد الشاعر ببلاط المعتصم بن صاوح أمير ألمرية . وهذه الرسالة نفيس تحاملا ضد الجنس العربي ، وتبالغ في تعداد نفاذه ومثالبه . وتشيد بالعكس بصفات المعجم (أي الروم أو النصارى) . وقد كان لرسالة ابن غرسية وقع عميق في سائر الأوساط الفكرية والأدبية في عصره وبعد عصره ، ورد عليه كثيرون من المفكرين والأدباء في رسائل عنيفة يسفّهون فيها آراءه واتهاماته للجنس العربي (راجع كتابي دول الطوائف - الطبعة الثانية ص ٢٠٤ - ٢٠٨ - ونص رسالة ابن غرسية في نفس الكتاب (ص ٤٥٥ - ٤٥٩) .

في التماس القرب منه ، ويباشرون العمل في فِلاحة كانت له بما يعود عليه بوفر وإعانة . وكان من الصالحين ، وعلى سُنن الخيار الفضلاء من المسلمين ، وله حظٌ من الطَّلب ومشاركة ، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينه ، ويتكلم في طريق المتصوفة على مذهب أبي عبد الله السَّاحلي شيخه ، كالامام جَهْورِيا ، قريب الغمر^(١) . وكان له طمع في صناعة الكيمياء نهافتَ على دفاتيرها ، وأهل مُنتحليها ، ليستعين بها بزعمه على آماله الخيرية ، فلم يحل بطايل .

مشيخته

قرأ على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير ، وكانت له في حاله فراسة . حدثني بذلك شيخنا أبو عبد الله بن عبد الولي رحمه الله . وسلك على الشيخ الصالح أبي عبد الله السَّاحلي .

وتوفى ليلة الاثنين السابع من شهر شوال عام تسعة وأربعين وسبعماية ، وكانت جنازته آخذة في الاحتفال ، قدِم لها العهد ، ونَفَرَ لها الناس من كل أوب ، وجىء بسريره ، تلوح عليه العناية ، وتحفُّه الأتباع المقتاتون من حِلِّ أموالهم وأيديهم من شيوخ البادية ، فتولوا مواراته ، تعلو الأصوات حوله ، ببعض أذكاره .

محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالموثق .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (القصر) .

لازم أبو العباس أبا الحسن الشاذلي^(١) . قال : ولقيه بعد هذا الشيخ أبي عبد الله جماعات في أقطار شتى ، ينتسبون إليه ، ويجرون من ملازمته الأذكار في أوقات معينة على طريقته ، وله رسائل منه إليهم طوال وقصار ، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق ، وملازمة الوظائف ، وخرج عنه إليهم على طريقة التدوين ، كتاب سماه « بالأنوار في المخاطبات والأسرار » مضمّن جملة من كلام شيخهم تاج الدين ، وكلام أبي الحسن الشاذلي ، ومخاطبات خطب بها في سرّه ، وكلام صاحبه أبي بكر الرندي ، وحقايق الطريق ، وبعض كرامات غير من ذكر من الأولياء ، وذكر الموت ، وبعض فضائل القرآن .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلوطي وأجازه ، وعلى أبي الحسن بن فضيلة وأجازه كذلك ، وعلى أبي جعفر بن الزبير وأجازه ، ثم رحل فحجّ ودخل الشام ، وعاش مدة من حراسة البساتين ، واعتنى بلقاء المعروفين بالزهد والعبادة ، وكان ملياً بأخبار من لقي منهم ، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله ، وصاحبه أبو بكر بن محمد الرندي ،

مناقبه

قال ، دخلت معه إلى من خفّ على قلبي الوصول إلى منزله لما قدم ألمرية ، وهو رجل يعرف بالحاج رحيب ، كان من أهل العافية ، ورقت حاله ، ولم يكن ذلك يظهر عليه . لمحافظته على ستر ذلك لعلو همته ، ولم يكن أيضا أثر ذلك يظهر على منزله ، بل أثاث العافية باق فيه من

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الزيتونة .

فَرِشٌ وماعون . فساعة وصول هذا الشيخ ، قال الله يَجْبُرُ حالَكَ ، فحسبْتُها
فِرَاسَةً من هذا الشيخ . قال ، وخاطبته عند لقائِي إياه بهذه الأبيات :

أشكو إليك بقلبٍ لست أملكهُ	ما لم يُرد من سبيل فهو يسلكه
له تعاقبٌ أهسواءٍ فيقلقه	هذا ويأخذه هذا ويتسركه
طوراً يؤمنهُ طوراً يُخوِّفه	طوراً يُيقنهُ طوراً يُشكِّكه
حيناً يوحشه حيناً يونسهُ	حيناً يسكنهُ حيناً يحرُّكه
عسى الذى يمسك السَّبع الطِّباق	على يديك يا مُطلع الأنوار يمسكه
فيه سقامٌ من الدنيا وزُخرفها	مهمى أبيضه بالذكر تُشركه
عسى الذى شأنه السَّتر ^(١) الجميل كما	غطى عليه زماناً ليس يهتكه

فلما قرأ منها ، فيه سقامٌ من الدنيا وزخرفها ، قال هذه عِلَّتِي .

مولده : سألتُه عنه ، فقال لي عام ثمانية وستين بقرية الجيظ من قرى الإقليم
وفاته : بقرية قنجة^(٢) خطيباً بها ، يوم الإثنين عشرين من شهر
شعبان المكرم عام خمسين وسبع مائة ، في الوباء العام ، ودفن بقرية قنجة ،
رحمة الله عليه ورضوانه .

محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد
ابن صفوان القيسى

وبيتُه شهير بمالقة يكنى أبا الطاهر ، ويعرف بابن صفوان .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، ووردت في الزيتونة (قرنجة) والاولى أرحح نظراً
لما تقدم من أن المترجم له يشهر (بالقونجي) .

حاله

كان مفتوحاً عليه في طريق القوم ، مُلْهِماً لرموزهم ، مصنوعاً له في ذلك ، مع المحافظة على السُّنة ، والعمل بها ، آخر الرِّعيل ، وكوكب السَّحر ، وفذلِكَ الحساب ببيلده ، اقتداءً وتخلُّقاً وخشوعاً وصلاحاً وعبادة ونصحاً . رَحَلَ فَحَجَّ ، وقَفَلَ إلى بلده ، مُؤثراً الاقتصار على ما لديه ، فإذا تكلَّم في شيءٍ من تلك التَّحَلَّة ، يأتى بالعجائب ، ويفكُّ كل غامض من الإشارات . وعُنَى بالجزء المنسوب إلى شيخ الإسلام أبي إسماعيل الرُّوبى المسمى « بتنازل السَّارى إلى الله » فقام على تدريسه ، واضطلع بأعبائه ، وقيد عليه ما لا يدركه إلا أولوا العناية ، ولازمه الجُملة من أولى الفضل والصلاح ، فانتفعوا به ، وكانوا في الناس قُدوة . وولى الخطابة بالمسجد الجامع من الرُّبض الشرقي ، وبه كان يقعد ، فيقصده الناس ، ويتبركون به ، وكان له مشاركة في الفقه ، وقيامٌ على كتاب الله .

توالياه

ألف بإشارة السلطان على عهده . أمير المسلمين أبي الحجاج رحمه الله ، كتاباً في التَّصَوُّف والكلام على اصطلاح القوم ، كتب عليه شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب بظهره ، لما وقع عليه ، هذه الأبيات :

أيام مولاي الخليفة يوسف	جاءت بهذا العالم المتصوِّف
فكنى بما أسدى من الحكم التي	أبدى من سرِّ الطريقة ما خِفي
وحقايق رفع الحجاب بهن عن	نور الجمال فلاح غير مُكَيَّف ^(١)
كالشمس لاكن هذه أبدى سناً	للحسن والمعنى لعين المنصف

(١) هذه الأبيات الثلاثة فقط هي التي وردت في الزيتونة من قصيدة ابن الجيَّاب .

فيه حياةٌ قلوبنا ودواؤها فمن استغاثت بجرعة منها شفى
 إن ابن صفوان إمام هداية صافي فصوفى فهو صوفى صاف
 وإن اختبرت فإنه صفو ابن صفو ظاهر فى طيبه صفو خف
 علم توارثه وحال قد خلت ذوقاً فنعم المقتدى والمقتسف
 فليهنلى المولى سعود إيامه فيها سراج نوره لا ينطفئ
 جلى وجوه شريعة وحقيقة صبحاً سناه باهر لا يخف
 لازلت تسلك كل نهج واضح منها وتحى كل سعى مزلف
 ومن تواليفه « جرُّ الحرِّ » فى التوحيد ، وعلّق على الجزء المنسوب لأبى
 إسماعيل الهروى .

من أخذ عنه

أخذ عنه ببلده ، وتبرك به ، جلّة ، وكان يحضر مجلسه عالم ، منهم
 شيخ الشيوخ الأعلام ، أبو القاسم الكسكلان ، وأبو الحسين الكوآب ،
 والأستاذ الصالح أبو عبد الله القطان ، وصهره الأستاذ أبو عبد الله بن قرال
 والعابد الناسك أبو الحسين الأحمر وغيرهم .

شعره

رأيت من الشعر المنسوب إليه ، وقد رواه عنه جماعة من أصحابنا ،
 يُذيل قول أبى زيد رضى الله عنه :
 رأيتك تُدّنينى إليك تُباعدى فابعدت نفسى الابتغاء التقرب^(١)
 فقال :

هويت بدمنى إليه فلم يكن بى البعد فى بعدى فصَحَّ به قرب

(١) وردت فى الإسكوريال (لابتغى فى القرب) وهو تحريف . والتصويب من الرينونة

فَكَانَ بِهِ سَمْعِي كَمَا بَصَرِي بِهِ وَكَانَ بِهِ لَأَيُّ لِسَانِي مَعَ الْقَلْبِ
فَقُرْبِي بِهِ قَرَبٌ بَغِيرُ تَبَاعُدٍ وَقُرْبِي فِي بُعْدِي فَلَا شَيْءَ مِنْ قُرْبٍ

وفاته

سافر من بلده إلى غرناطة في بعض وجهاته إليها ، وذهب سَحَرًا يرتاد ماءً لوضوئه . فتردى في حفرة تردبًا أوهن قواه ، وذلك بخارج بَلَشْ ، فُرِدَّ إلى مَالَقَة ، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة .

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالساحلي .

حاله

من « عايد الصلة » : المثل السائر في عُمران أوقاته كلها بالعبادة ، وصبره على المجاهدة . قطع عمره في التَّبَتُّلِ والتَّهَجُّدِ لا يفتُر لسانه عن ذكر الله ، والصلاة على نبيه ، صلى الله عليه وسلم . خرج عن مَتْرُوكِ والده ، واقتصر على التَّمَعُّشِ من حِرْفَةِ الخياطة . ثم تعدّاها إلى النِّسْخِ والتَّعْلِيمِ : وسلك على الشيخ أبي القاسم المُرِيد ، نفع الله به ، حتى ظهرت عليه سِيا الصالحين ، وأقام عمره مُستوعباً ضروب الخير : وأنواع القُرب من صوم وأذان وذكر ، ونسخ وقراءة ، وملازمة خُلُوة . ذا حظٍّ من الفصاحة . وجُرْأة على الوعظ ، في صوت جَهِير ، وعَارِضَةٍ صَلِيبَةٍ . اقتدى به طوائف من أصناف الناس على تباعد الديار ، والزمهم الأذكار . وحولهم للسلوك ، فأصبح كثير الأتباع ، بعيد الصَّيْتِ . ووُلِّي الخطابة بالمسجد الجامع من

بلده ، ونُقل إلى الخطابة . بجامع غرناطة في نَبْوةٍ عرضت له بسبب ذُنَابٍ ذرية طرَقوا الكَدْرَ إلى سِرْبِهِ^(١) ، ثم عاد إلى بلده متينَ ظَهْرِ الحُطْوَةِ ، وثيقَ أساسِ المَبَرَّةِ .

مشيخته

قرأ ببلده مألقة على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ ، وأبي عبد الله بن لب ، وأبي جعفر الحرَّار ، وأبي عبد الله بن الحلو ، والخطيب أبي عبد الله بن الأعور .

محتسه

ابتلى بعد السبعين من عمره بفَقْدِ بصره ، فظهر منه من الصبر والشكر والرِّضاء بقضاء الله ، ما يظهر من مثله . وأخبرني بعض أصحابه أنه كان يقول ، سألت الله أن يكفَّ بصرى خوفاً من الفِتنة . وفي هذا الخبر نظرٌ لمكان المعارضة في أمره صلى الله عليه وسلم بسؤال العافية ، والإمتاع بالإصباح والإبصار .

شهرته

وجعل الله له في قلوب كثير من الخلق ، الملوكَ فَمَنَ دونهم ، من تعظيمه ما لا شيءَ فوقه ، حتى أن الشيخ المَعمرَ الحَجَّةَ الرَّحلةَ أبا علي ناصر الدين الرُّشدَ إلى كتب إليه من بِجاية بما نصه : يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضَّر ، وجينا ببضاعة مُزجاة ، فأوفِّ لنا الكَيْلَ ، وتصدَّق علينا . إن الله يجزى المتصدقين . وبعده : من العبد الأصغر والمُحِبِّ الأكبر فلان ، إلى سيِّد العارفين ، وإمام المحققين ، في ألفاظ تناسب هذا المعنى .

حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب ، وكان من أعلام تلاميذه ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (شرفه) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

فَكَانَ بِهِ سَمْعِي كَمَا بَصَرِي بِهِ وَكَانَ بِهِ لَأَيُّ لِسَانِي مَعَ الْقَلْبِ
فَقُرْبِي بِهِ قَرَبٌ بَغِيرُ تَبَاعُدِ وَقُرْبِي فِي بُعْدِي فَلَا شَيْءَ مِنْ قُرْبِ

وفاته

سافر من بلده إلى غرناطة في بعض وجهاته إليها ، وذهب سَحَرًا يرناد ماءً لوضوئه . فتردى في حفرة تردباً أوهن قواه ، وذلك بخارج بَلَّش ، فرُدَّ إلى مالقة ، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة .

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالساحلي .

حاله

من « عايد الصلة » : المثل السائر في عُمران أوقاته كلها بالعبادة ، وصبره على المُجاهدة . قطع عمره في التَّبَتُّلِ والتَّهَجُّدِ لا يفتُر لسانه عن ذكر الله ، والصلاة على نبيه ، صلى الله عليه وسلم . خرج عن مَتْرُوكِ والده ، واقتصر على التَّمَعُّشِ من حِرْفَةِ الخياطة . ثم تعدّاها إلى النِّسْخِ والتَّعْلِيمِ . وسلك على الشيخ أبي القاسم المُرِيد ، نفع الله به ، حتى ظهرت عليه سِيَا الْعَصَالِحِينَ ، وأقام عمره مُسْتَوْعِباً ضروب الخير : وأنواع القُرْبِ من صوم وأذانٍ وذِكر ، ونَسْخِ وقراءة ، وملازمة حُلُوة . ذا حظٍّ من الفصاحة . وجُرْأَةٍ على الوعظ ، في صوت جَهِير ، وعَارِضَةٍ صَلِيبَةٍ . اقتدى به طوائفٌ من أصناف الناس على تباعد الدِّيار : وألزمهم الأذكار . وحولهم للسلوك ، فأصبح كثير الاتِّباع ، بعيد الصَّيْتِ . ووُلِّيَ الخطابة بالمسجد الجامع من

بلده ، ونُقل إلى الخطابة . بجامع غرناطة في نبوةٍ عرضت له بسبب دُئاني ذريةٍ طرَقوا الكَدْر إلى سِرْبِهِ^(١) ، ثم عاد إلى بلده متين ظَهر الحُظوة ، وثيق أساس المَبَرَّة .

مُشِيخَتُهُ

قرأ ببلده مَالِقة على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ ، وأبي عبد الله بن لُب ، وأبي جعفر الحرَّار ، وأبي عبد الله بن الحُلُو . والخطيب أبي عبد الله بن الأَعْوَر .

مَحْنَتُهُ

ابتلى بعد السبعين من عمره بفَقْد بصره ، فظهر منه من الصبر والشكر والرضا بقضاء الله ، ما يظهر من مثله . وأخبرني بعض أصحابه أنه كان يقول ، سألت الله أن يكفَّ بصرى خوفاً من الفِتنة . وفي هذا المخبِر نظرٌ لمكان المعارضة في أمره صلى الله عليه وسلم بسؤال العافية ، والإمتاع بالإسجاع والإبصار .

شَهِرَتُهُ

وجعل الله له في قلوب كثير من الخَلْق ، الملوكَ فَمَن دُونَهُمْ ، من تعظيمه ما لا شيءَ فوقه ، حتى أن الشيخ المُعَمَّر الحُجَّةَ الرُّحلة أبا على ناصر الدين الرِّشْدَ إلى كتب إليه من بِجَاية بما نصه : يا أيها العزيز مَسْنَا وأهلنا الضَّر ، وجينا ببضاعة مُزجاة ، فأَوْفِ لنا الكَيْل ، وتصدَّق علينا ، إن الله يجزى المتصدقين . وبعده : من العَبْد الأصغر والمُحِب الأكبر فلان ، إلى سيِّد العارفين ، وإمام المحققين ، في ألفاظ تناسب هذا المعنى .

حدَّثني شيخنا أبو الحسن بن الجِيَّاب ، وكان من أعلام تلاميذه ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (شرفه) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

وصدور السالكين على يديه . قال قصدت منه خطوة ، فقلت يا سيدى .
أصحابنا يزعمون أنك ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخبرنى واشف
صدرى هل هذه الرؤيا عينية أو قلبية ، قال ، فأفكر^(١) ساعة ، ثم قال ،
عندى شك فى رؤية ابن الجباب الساعة ومحدثته ، فقلت لا ، فقال كذلك
الحال ، قلت وهذا أمر غريب ، ولا يصح إلا رؤية القلب ، ولكن غلبت
عليه حتى تخيل فى الحس الصورة الكريمة ، إذ وجود جوهر واحد فى
محلين اثنين محال .

شعره

نظم الكثير من شعر مُنحط لا يصلح للكتِّب ولا للرواية ، ابتلى به
رحمه الله ، فدن لبابه قوله ، وهو من الوسط :
إن كنت تأمل أن تنال وصالحهم فامحُ الهوى فى القيل والأفعال
واصبر على مرِّ الدواء فإنه ياتيك بعدُ بخالص السُّلَّال
توالياً : ألف كتاباً سماه « إعلان الحجَّة فى بيان رسوم الحجَّة » .
توفى يوم الجمعة الرابع والعشرين لشوال عام خمسة وثلاثين وسبعماية ،
وكانت جنازته مشهودة ، تراحم الناس على نعشه ، وتناولوه تمزيقاً على
عادتهم من ارتكاب القحة^(٢) الباردة فى سُلَّاخ حُسن الظَّن .

محمد بن أحمد بن قاسم الأُمى

من أهل مالقة . يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالقُطَّان ، الفقيه الأَوَّاب
المتكلم المجتهد .

(١) عداى الإسكوريال والريثونة .
(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الحجَّة الباردة) .

حاله

من « العايد » : كان هذا الرجل غريب المنزَع ، عجيب التصوُّف . قرأ وعقد الشروط ، وتصدَّر للعدالة ، ثم تجرَّد ، وصدق في معاملته لله ، وعول عليه ، واضطلع بشروط التَّوبَةِ ، فتحلَّل من أهل بلده ، واستفاد واسترحم ، واستغفر ، ونفَّض يديه من الدُّنيا ، والتزم عبادة كبيرة ، فأصبح يُشار إليه في الزُّهد والورَع ، لا تراه إلا متبسِّماً ، ملازماً لذكر الله ، متواضعاً لأصاغر عبادِه ، محباً في الضُّعفاء والمساكين ، جميل التَّخلُّق ، مُغضياً عن الهنات ، صابراً على الإفادة . وجلس للجُمُهور بمجلس مألقة ، يتكلم في فنون من العلم ، يعظُّ الناس ، ويُرشدُهم ، ويُرْهِدُهم ، ويحملهم على الإيثار ، في أسلوب من الاستنفار^(١) والاسترسال ، والدلالة ، والفصاحة والحفظ ، كثير التأثير في القلوب ، يخبر بإلهام وإعانة . فمال الخلق إليه ، وتزاحموا على مجلسه ، وأعلنوا بالتَّوبَةِ ، وبادر مُترِفُوهم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات ، والاستقالة من الزَّلَّات . ودَّهم الوباء ، فبدلوا من الأموال في أبواب البرِّ والصَّدقة ، ما لا يأخذه الحَضَر ولا يُدركه الإحصاء ولولا أن الأجل طرَّقه ، لعظُم صيته ، وانتشر نفعه .

وفاته

توفي شهيد الطَّاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين وسبعماية ، ودفن بجبانة جبل فاره^(٢) ، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته . وصلى عليه خارج باب قنينة ، وألحده في قبره الخطيب القضاة الصالح ، أبو عبد الله الطَّنْجَالِي ، رحم الله جميعهم .

(١) وردت في الإسكودريال (الاستنفار) . وفي الزيتونة (الاستسار) .
السبب أرجح .

(٢) جبل فاره وباليابانية (Ibralfaro) ، هو الجبل الذي كان على ملكه الجوار .
وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٠٦ حاشية) .

ومن رناهُ الشيخ الأديب أبو الحسن الورّاد وقال :

[أبعُدْ وليَّ الله دمعِي يُسْجِمُ	وغمار قلبي من كلومٍ تُترجمُ
فؤادِي مَكْلُومٌ بحُزْنِي لفَقْدِهِ	لذاك جُفُونِي دمعُها كُلُّهُ دمٌ ^(١)
وماذا عسى يُغْنِي التفجُّعُ والبُكا	وماذا عسى يُجْدِي الأَسَى والتَّبرمُ
سَأَصْبِرُ لِلْبَلَوَى وإنْ جَلَّ خطبُها	فصبر الفتي عند الشدايد يُعلمُ
كذا العلم بالسيف الصَّقيل لدى الوغَى	فَوَيْقِ الذی من حُسْنِهِ يُوسمُ
على قَدَرٍ صبر المرءِ تَصْغُرُ عنده	خطوبٌ من الدنيا على الناسِ تَعْظُمُ
إلا إنها الدنيا تَعْلَةُ باطلٍ	ومَخْضَةُ أَحْلامٍ لِمَنْ باتَ يَحْلُمُ
تَجْنِبُها أهلُ العَقولِ فأَقْصروا	وأغرق فيها الجاهلون وأَشَامُ
أعدْ نظراً فيها تجبِكُ براحَةَ	وانسِ بما تقضى عليك وتحكمُ
أعدْ لها دِرْياقَ صبرك إنها	من البؤس والتلوين والله أَرْقَمُ
تَلَفَّتْ إلى تعذيبها لمحبتها	وماذا بها يَلْقَى كَثِيبٌ ومُغْرَمُ
يُظَنُّ بها رِيحانةٌ وهى سِدْرَةٌ	ولا مُنْتَهَى إلا الرَّدَى والتَّندَمُ
عجبت لها تَخْفَى علينا عُيُوبُها	وذاك لأننا فى الحقيقة نُؤمُّ
أليسَ عجيباً أنْ يُعَوَّلَ عاقلٌ	على عاجلٍ من وَضَلها يَتَصَرَّمُ
وما وَضَلها مِعْشَارُ عَشْرِ ضُدُورها	ولكنه حُصْرٌ لِلدَّهْرِ أَذْوَمُ
إذا ابْتَسَدَتْ يوماً تَرْقُبُ عُيُوسَها	فدا إن لنا منها يَسْدُومُ التَّبَسُّمُ
ضُحَى كان وجهُ الدَّهْرِ سَبْرُ بشره	فلم يَمَسْ حتى بان منه التَّجَهُمُ
دَرِينا به نمد من ولى مكانه	مكينٌ لدى العلياء سامٌ معظَّمُ
هوى مثل ماهوى من الأفق كوكب	فَجَلَّلنا ليل من الخُطْبِ مُظْلَمُ
تساوت لاديه صيدها وعبيدها	وعالمها التَّحْرِيسُ والمُتَعَلِّمُ

هو الموت لا ينفك للخلق طالبا
وما هو إلا الداء عَزَّ دواؤه
دها كل مخلوق فما منه سيد
ولو كان ذا كان النبي محمد
تعنى به موسى ويوسف قبله
به باد بهرام وثبير بهم
وكم من عظيم الشأن حل بربعه
ولكننا ننسى ونأى حديثه
فحتى إذا حل ساحة ماجد
نسينا حديث الموت جهلا بغد ره
وفاة ورمى في التراب مؤسدا
خبأ ضوء نادى أفقر ربعه
تردى فأردى فقداه أهل ربه
غدا أهلها من فجعة بمصابه
وهل كان إلا والد مات عنهم
قضى نحبه الاستاذ واحد عصره
قضى نحبه القطان فالحزن قاطن
وهل كان إلا روضة رف ظلها
وهل كان إلا رحمة عاد فقداه
سأل التائبين العاكفين على الهدى
أفادهم من كل علم لبابه
جزى الله رب الناس خير جزائه
أبان لهم طارق الرشاد فأقدموا

يروح ويغدو كل حين عليهم
فليس لشيء في البسيطة يحسم
له الجاه عند الله ينجو فسلم
تجنبه صلوا عليه وسلم
ونوح وإدريس وشيث وادم
وكسر من كسرى سوار ومعصم
فإن تختبره فهو رب وأعظم
وتنجد في الإعراض عنه وتتهم
نطل بها من حسرة نتسكلم
فألهمنا إذ هزنا منه ملهم
وأثاره فوق السماك تخيم
من العلم والتعليم ربع ومعلم
فما منهم إلا كتيب ومغرم
وعيشهم صاب قطيع وعلقم
فيا من لقوم يتموا حين أو يتم
فكاد الأسى يقضى إلى الكل منهم
مقيم بأحناء الضلوع محكم
أتيح له قيظ من الجون صيلم
علامة فقد العلم والله أعلم
لكم منة أسدى وأهدى إليهم
وفهمهم أسرارهم فتفهم
دليلا بهم نحو الهدى حيث يتم
وحذرهم عن كل غي فأحجم

وجاء من التعلیم للخیر كله
فصاحة ألفاظ وحسن عبارة
يُصيب فلا يخطئ إذا مقصدا
يحدث في الآفاق شرقاً ومغرباً
سرى في الوری ذكر له ومدائح
لَعَزُّك ما ياتی الزمان بمثله
فقيه نزيه زاهد متواضع
يود لو أن الناس أئرى جميعهم
يود لو أن الله تاب على الوری
عليه من الرحمن أوسع رحمة

بأبين من يأتي به من يعلم
مضى كما ينضی الحسام المصمم
ولمن يجيب فلا يبطل ولا يتلعم
فأخباره أضحت تخط وتترسم
يكاد بها طير العلى يتسرنم
وما ضرني لو كنت بالله أقسم
رؤوف عطوف مشفق مترحم
فلم يبق مسكين ولم يبق معدم
فتابوا فما يبق من الكل مجرم
فقد كان فينا الدهر يحنو ويرحم

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد

ابن عبد الرحمن ابن حميد الهاشمي الطنجالي

لوشى^(١) الأصل ، مالقي النشأة والاستيطان .

أوليتسه

[بيتهم نبيه إلى هاشمية النبه^(٢)] وهم ببلدنا لوشة أشراف ، وكانت
لهم فيها ثروة وثورة ، اجتثها الدهر ببعض طوارقه ، في أبواب المغالبات .
ويمت سلفنا إليهم بصحبة ومُصاهرة في حديث يستدعى طولاً ، وانتقل
خلفهم إلى مالقة .

(١) لوشى أى نسبة إلى لوشة Lota وهي بلد ابن الخطب وهي تقع غرب غ ناطة جنوى نهر

شليل .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال وفي الزبيدي دت كالآتي : (بيتهم
ينسب إلى الهاشمية أهل بيت نبيه) .

حاله

من « عايد الصلة » : كان هذا الولي الفاضل ، المُجمَعُ على ولايته وفضله ، سهل اللقاء ، رفيقاً بالخلق ، عَطُوفاً على الضعفاء ، سالكاً سُنَنَ الصَّالِح من السَّلف ، سَمْتاً وَهْدياً ، بصرُهُ مغْضُوض ، ولسانه صامتٌ ، [إلّا من ذكر الله ، وعلمه نافع] ^(١) وثوبُهُ خَشِن ، وطَعْمَتُهُ قد نَفِدها الورعُ الشَّدِيد ، حتى اضْطَفأها مختارة ، إذا أَبْصَرَتْ بها العينُ ، سَبَقَتْها العَبْرَةُ . بلغ من الخَلْق ، الملوكَ قَمَنُ دونهم الغاية ، فكان يلجأُ إليه المضطرُّ ، وتُمدُّ إلى عنايته الأيدي ، وتُحطُّ بفنائه الوسائل ، فلا يَرْتَفِع عن كُلفِ الناس ولا حوايجهم ، ولا يَنْقَبِض عن الشَّفاعَةِ لهم ، وإصلاح ذات بَيْنهم . له في ذلك كُلُّه أخبارٌ طريفة . واستُعمل في السَّفارة بين مَلِكِي العُدُوَّة والأَنْدلس ، في أحوال المسلمين ، فما فارق هَيْئته ، وركوبَ حِمَارِهِ واستيْصْحابِ زَادِهِ ، وَلِبْسِ الخَشِن من ثوبِهِ . وكان له حِظٌّ رَغِيبٌ من فِقهِ وحديث ، وتفسير ، وفريضة . وُلِّي الخطابة ببلده مالقة ، واستسقى في المَحُول ، فسُقِيَ الناس .

حدَّثني بعضُ أَشْيَاخِنَا : قال ، حضرت مُقامه ، مُسْتَسْقِياً ، وقد امتنع الغَيْث ، وقحط الناس ، فما زاد عند قيامنا أَنْ قال ، أَسْتَغْنِي الله ، فُضِجَّ الخَلْقُ بالبكاءِ والعَجيج ، ولم يَبْرَحُوا حتى سَقُوا . وكراماته كثيرة ، ذابغة من غير خلاف ولا نزاع .

حدَّث بعضُ أَشْيَاخِنَا عن الخطيب الصَّالِح أبي جعفر الزيات ، قال رأيت في النُّوم قايلاً يقول ، فُقِدَ اللَّيْلَةُ من يَعْبُرُ بَيْتَ الإِخْلَاصِ بِالْأَنْدَلُسِ . فما انتصف النهار ، من تلك الليلة . حتى وَرَدَ الخبرُ بَوْتِهِ .

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الزيتونة ، وساقط في الإسكود بال .

مشيخته

من شيوخه الذين قرأ عليهم ، وأسند إليهم الرواية والده رحمه الله ، وأبو عمرو بن حوط الله ، والخطيب أبو أبي ربحانة المربلي ، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص ، والرواية أبو الوليد بن العطار ، والرواية المحدث أبو بكر بن مُشليون ، والمقرئ أبو عبد الله بن مستقور الطائي ، والاستاذ أبو جعفر الطباع ، وأبو الحسين بن أبي الربيع ، والمحدث أبو عبد الله بن عيَّاش ، والاستاذ أبو الحسن السَّفَّاج الرندي ، والخطيب بلمرية أبو الحسن الغزال . وقرأ على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير . وأجازته من أهل المشرق جماعة منهم أبو عبد الله بن رزيق الشافعي ، والعباس أحمد ابن عبد الله بن محمد الطبري ، وأبو اليُمن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات المعروف بالنجم ، والحسن بن هبة الله بن عساكر ، وإبراهيم بن محمد الطبري إمام الخليل ، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد ربه الطبري ، ومحمد بن علي بن وهب بن مُطيع القشيري ، وأبو الفتح تقي الدين بن أبي الحسن فخر الدين ، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي وغيرهم .

ميلاده : بمالقة في رجب سنة أربعين وستمائة .

وفاته : بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة وعشرين وسبعماية . وقد ناهز الثمانين سنة ، لم ينتقص شيء من أعماله المقرية إلى الله . من الصوم والصلاة ، وحضور الجماعات ، وملازمة الإقراء والرواية ، والصبر على الإفادة .

حدث من يُوثق به . أن ولده الفقيه أباً بكر دخل عليه . وهو في

حال النَّزْع ، وَالْمَنِيَّةُ تُحْشَرُ ج فِي صَدْرِهِ ، فَقَالَ يَا وَلَدِي أَوْصِنِي ، فَقَالَ
وَعَيْنَاهُ تَدْمَعَان ، يَا وَلَدِي أَتَقِ اللَّهَ حَيْثُ كُنْتَ [وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ
تُجْهِهَا] ^(١) ، وَخَالَقَ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي ^(٢) ابن الحاج

والد شيخنا أبي البركات . وقد مرَّ في ذكر النِّسَبِ الْمُتَّصِلِ بِعَبَّاسِ
ابنِ مُرْدَاسٍ ، وَالْأَوَّلِيَّةِ النَّبِيَّهِ مَا يُغْنِي عَنِ الْإِعَادَةِ .

حاله

من خَطِّ وَلَدِهِ شَيْخِنَا عَلَى الْإِخْتِصَارِ ، قَالَ يَخَاطِبُنِي فِي بَعْضِ مَا كَتَبَ
بِهِ إِلَيَّ : ذَكَرَ أَبِي ، وَهُوَ مِمَّنْ طَلَبْتُمْ ذَكَرَهُ إِلَيَّ فِي أَخْبَارِهِ جَزْئًا مِنْ نَحْوِ
سَبْعِينَ وَرَقَةً فِي الْمَقْسُومِ ، لَخَّصْتُ لَكَ مِنْ مَبِیْضَتِهِ مَا يُذَكِّرُ :
نَشَأَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَبْتَةٍ عَلَى طَهَارَةٍ تَامَةٍ ، وَعِفَّةٍ بِالْعَةِ ، وَصَوْنٍ ظَاهِرٍ ،
كَانَ بِذَلِكَ عِلْمًا لَشُبَّانِ مَكْتَبِهِ . قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ، وَحَفِظَ
مَا يُذَكِّرُ مِنَ الْمَبَادِي ، وَاتَّسَمَ بِالطَّلَبِ . ثُمَّ تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى الْإِعْتِلَاقِ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى ، الَّتِي اغْتَلَقَ بِهَا سَلَفُهُ ، فَنبَذَ الدُّنْيَا ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ ، وَجَرَى
عَلَى سُنَنِ الْمُتَّقِينَ ، أَخَذًا بِالْأَشَدِّ مِنْ ذَلِكَ وَالْأَقْوَى ، طَامِعًا بِهَمَّتِهِ إِلَى أَقْصَى
مَا يُوَثِّلُهُ السَّالِكُونَ . فَرَفُضَ زِيَّ الطَّلَبَةِ ، وَلَبَسَ الْخَشْنِيَّةَ ^(٣) ، وَتَرَكَ
مُلَابَسَةَ الْخَلْقِ بِالْجُدَّةِ ، وَبَالَغَ فِي الْإِنْقِیَاضِ عَنْهُمْ ، وَانْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَوَرَدَتْ فِي الزَّيْتُونَةِ كَالْآلِقِ (وَاتَّبَعَ الْحَسَنَةَ
بِالسَّيِّئَةِ تَحْمِهَا) وَهُوَ قَلْبُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ .

(٢) نَسَبُهُ إِلَى بَلْفِيْقٍ ، وَبِالْإِسْبَانِيَّةِ Vellefique ، وَهِيَ بَلَدَةٌ أُنْدَلُسِيَّةٌ صَغِيرَةٌ تَقَعُ بِبُلَايَةِ
الْمَرِيَّةِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ جَنُوبِ بَرْشَانَةِ (رَاجِعِ الْمَجْلَدَ الثَّانِي مِنَ الْإِحَاطَةِ ص ١٤٣ حَاشِيَةً) .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (الْخَشْنِيَّةُ) .

برباطات سَبِيَّة وجبالها ، وخصوصاً بيناها ، وعكف على ذلك سنين ثم سافر إلى المغرب ، سايحاً في الأرض ، على زى الفقهاء لِقَاء العُبَاد وأهل العلم ، فمأحرز من ذلك ما شاء . ثم أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس ، وورَدَ المَرِيَّة ، مُسْتَقَرَّ سَلَمِهِ ، وأخذ في إيثار^(١) بقايا أملاك بقيت لأسلافه بها ، على ما كان عليه من التَّبَتُّل والإخبات . وكان على ما تلقينا من أصحابه وخذلانه ، صَوَاماً ، قَوَّاماً ، خاشعاً ذا كراً ، تاليا^(٢) ، قَوَّالاً للحق ، وإن كان مرّاً كبيراً في إسقاط التَّصَنُّع والمباهاة ، لا يُضاهي في ذلك ، ولا يُشَقُّ غُبَارُهُ . وقَدِمَ على غرناطة ، ودخل على أمير المسلمين ، وقال له الوزير ، يقول لك السلطان ما حاجتك ، فقال ، بهذا الرسم رحلتُ ، ثم ظهر لي أن أنزل حاجتي بالله ، فعارُّ على من انتسب إليه ، أن يقصد غيره . ثم أجاز البَحر وقد اشتدَّت أحوال أهل الأندلس بسبب عدوهم ، وقدم على مَلِكِهِ ، ووعظته موعظةً ، أعنف عليه فيها ، فأنفعل لموعظته ، وأجاز البحر بسببه^(٣) إلى جزيرة الأندلس ، وغزا بها ، وأقام بها ما شاء الله ، [وتآدب الروم لو تم المراد]^(٤) قال ، وأخبره السلطان أبو يوسف ملك المغرب ، قال كل رجل صالح دخل على كانت يده ترعُد في يدي ، إلا هذا الرجل ، فإن يدي كانت ترعُد في يده عند مصافحته .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (أثاره) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (تلا) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يسبته) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وورد مكانها في الزيتونة (وتآدب لتوهم

الراد) . ولم تتضح علاقتها تماماً بالسياق .

كراماته

وجلب له كرامات عدة ، فقال في بعضها ، ومن ذلك ما حدثني الشيخ
المُتلم الثقة أبو محمد قاسم الحصار ، وكان من الملازمين له ، المنقطعين
إلى خدمته ، والسفر معه إلى البادية ، فقال ، إني لأحفظ لأبيك أشياء من
الاحوال العظيمة ، منها ما أذكره ، ومنها ما لا أستطيع ذكره . ثم قال ،
حدثني أهل وادي الزرجون ، وهو حُشٌّ^(١) من أعمال سبته ، قالوا ، انصرف
السيد أبو عبد الله من هنا ، هذا لفظه ، فلما استقر في رأس العقبة ،
المشرفة على الوادي ، صاح عليه أهل القرى ، إذ كانوا قد رأوا أسداً
كبيراً جداً ؛ قد تعرض في الطريق ، ما نجا قط من صادفه مثله ، فلما سمع
الضياح قال ما هذا ، فقيل له أهل القرى يصيحون عليه خيفة من السبع
قال ، فأعرض عنهم بيده ، ورفع حاجبه كالتكبر على ذلك ، وأسكتهم ،
وأخذ في الطريق حتى وصل إلى الأسد ، فأشار عليه بالقضيب ، وقال له ،
من هاهنا من هاهنا ، أخرج عن الطريق ، فخرج بإذن الله عن الطريق ،
ولم يوجد هنالك بعد . وأمثال ذلك كثيرة .

مشيخته

قرأ على الاستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي ، وأجازته والده
أبو إسحق إجازة عامة . ومن شيوخه القاضي المُسنُّ أبو عبد الله الأزدي ،
والمحدث أبو بكر بن مشليوب ، وأبو عبد الله بن جوهر ، وأبو الحسين بن
السراج ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخررجي ، وأبو عبد الله بن
الآبار ، وأبو الوليد بن العطار ، وأبو العباس بن عبد الملك ، وأبو إسحق

(١) الحش أعنى البستان .

ابن عيَّاش ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عطية ، وأبو بكر القرطبي حميد ، وأبو إبراهيم الطُّرْبُشِي ، والقاضي أبو عبد الله بن عِيَّاض ، والكاظم أبو الحسن الرُّعَيْنِي ، وأبو الحسن الشَّارِي ، وأبو يحيى بن الفَرَس ، وأبو إسحق بن عبيد الله ، وأبو الحسن الغزَّال ، وجماعة من الأندلس غير هؤلاء . ومن أهل العُدوة كُتَّاب يعقوب المحاسبي^(١) وابن فُرْتُون وغيرهم

محتنته

نُحِيَ عنه إلى السلطان بالأندلس ، أنه اغْرَى به ملك المغرب ، وتخلَّص بعد لَأَى في خبر طويل ، وانتهب السلطان ماله ، وألحق أملاكه بالمختص^(٢) واستمر . وذلك إلى دولة والده وامنحن السَّاعون به ، فعجلَّ الله عقوبتهم .
مولده : قال شيخنا نقلت من خطِّ أبيه ما نصه : وُلِدَ إِبْنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ أَسْعَدَهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ ، فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنْ لَيْلَةِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ لِذِي قَعْدَةٍ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ .

وفاته : قال أَلْفَيْتُ بخط القاضي الأديب الكاتب أبي بكر بن شُبْرِينَ وكان ممن حضر جنازته بِسَبْتَةٍ . وكانت وفاة الفقيه النَّاسِكِ السَّالِكِ الصَّالِحِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْمُحَدِّثِ أَبِي إِسْحَاقِ السَّلْمِيِّ الْبُلْفِيْقِيِّ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ أَرْبَعَةٍ وَتِسْعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ بِمَحْرُوسَةِ سَبْتَةٍ ، وَدُفِنَ إِثْرَ صَلَاةِ الْعَصْرِ بِجَبَّانَةِ الْخَرْوَبَةِ مِنْ مَنَارَتِهَا بِمَقْرِبَةٍ مِنْ قَبْرِ رِيحَانِ الْأَسْوَدِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ نَفَعَ اللهُ بِهِ . وَصَلَّى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنِ حُرَيْثٍ .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المحاسبي) .

(٢) المختص ها يتقصد بها الأملاك السلطانية ، ويعبر عنها عادة في لغة الأملاك الأندلسية

(بالمستخلص) .

محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى ابن عباد النُفْزِي

من أهل رُنْدَة ، يكنى أبا عمرو ، ويعرف بابن عباد ، الحاجُّ الصُّوفِي

حاله

نشأ ببلده رُنْدَة ، وهو من ذوى البيوتات الأصيلة بها ، ثم رَحَلَ إلى المشرق ، ولقِيَ العلماء والصُّوفِيَّة ، وحضر عند المَشَيْخَة ، ثم كَرَّ إلى الأندلس ، فتصوف ، وجال في النواحي ، وأطرح السُّمُوت ، وفوت ما كان بيده من متاع الدنيا ، وكان [له مالٌ] ^(١) له خُطَر ، وألقى التَّصَنُّعَ لأهله رأساً . وكان فيه توكُّه وحِدَّة ، وله ذهنٌ ثاقب ، يتكلم في المعقولات والمنقولات ، على طريقة الحكماء والصُّوفِيَّة ، ويأتى بكل عبارة غريبة ، وآثاره هائلة من غير تمكُّنٍ عِلْمٍ ، ولا وثاقة إدراك ، غير أنك لا تسمع منه إلا حسناً ، وهو مع ذلك طَوَّاف على البلاد ، زوَّار للربط ، صَبَّار على المجاهدة طَوْعاً وضرورةً ، ولا يسأل ثياباً البتَّة إلا بَذْلَةً من ثوب أو غيره ، صَدَقَةُ واحد في وقته

محنته وفضله وشعره

نُمنى عنه كلامٌ بين يَدَيَّ صاحب المغرب ، أَسِفَ به مُدبِّر الدولة يومئذ ، فأشخص عند إِيابه إلى رُنْدَة وسُجِنَ بِسِجْنِ أَرْباب الجرايم ، فكتب إلى وليِّ الأمر :

تركتُ لكم عزَّ الغنى فابْيَيْتُمْ وأن تتركوني للأمدلة والفقر
ونازعتموني في الخمول وإنه لذى مُهْجَتِي أَحْلَى من البنى والأمر

(١) وردت هذه العبارة في الزيتونة . وهي ساقطة في الإسكوريال .

ثم قال ، يا مَنْ رَمَانِي بِسَهْمِهِ ، الغَرْبُ ، قد رُدَّ عَلَيْكَ مَخْضُوبًا بِالدَّمِّ .
قال فَوَاللَّهِ مَا مَرَّتْ ثَلَاثَةٌ ، حَتَّى نَفِذَ حُكْمُ اللَّهِ فَيَمُنَّ عَدَا عَلَيْهِ .

وشعره حسن يدل على طَبْعٍ مَعِينٍ ، فمن ذلك :

سُرِّي يُسِيرُ إِلَى أَنَّكَ تَارِكِي	نَفْسِي الْفِدَا لِلطُّفِكَ الْمُتَدَارِكِ
يَا مَا لَكَ وَلِيَ الْفَخْصَارَ بَأَنِّي	لَكَ فِي الْهَوَى مَلِكٌ وَأَنْتَ مَالِكِ
التَّرْكُ هَلْكَ فَاعْفِنِي مِنْهُ وَعِدْ	بِالْوَصْلِ تُحْيِي ذِمًّا مُجِبُّ هَالِكِ
وَأَعِدْ جَمِيلًا فِي الْهَوَى عَوْدَتِي	إِنْ لَمْ تُعِدْهُ إِلَى مَنْ لِلْهَالِكِ
يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ الَّذِي بِجَمَالِهِ	فُتِنَ الْوَرَى مِنْ فَاتِكَ أَوْ نَاسِكَ
أَأْتِيهِ دُونَكَ أَوْ أَحَارُ فِي سَنِي	ذَاكَ الْجَمَالَ جِلَا الظَّلَامِ الْحَالِكِ
وَلَكُمْ سَلَكَتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِينَ لَمْ	تَكُنِ الدَّلِيلَ اخْتَلَّ قَصْدُ السَّالِكِ
وَلَقَدْ عَرَفْتَ بَسْتَرِ سُرِّي فِي الْهَوَى	فَهَجَرْتَنِي فَكُسِبَتْ ثُوبُ الْهَاتِكِ
مَا السَّتْرُ إِلَّا مَا يَحُوكُ رِضَاكَ لَا	مَا حَاكَهُ لِلْبَيْتَرِ ^(١) كَفُّ الْحَايِكِ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا مَا حَكَمْتَ بِهِ فَضُنْ	وَأَهْتِكِ وَصِلَ إِنْ شِيتَ أَوْ كُنْ تَارِكِ
مَا لِي سِوَى حُبِّكَ يَا حُبِّي فَدَعْ	تَرْكِي فَهَلْكَ الْمَلِكِ تَرَكَ الْمَالِكِ

وقال أيضا :

هَذَا الْعَقِيقُ فَسَلْ مَعَاطِفَ بَانِهِ	هَلْ نَسَمَةٌ عَادَتْهُ مِنْ نُعْمَانِهِ
وَأَسْأَلُهُ ^(٢) إِنْ زَارْتَهُ مَاذَا أَخْبَرْتَ	عَنْ أَجْرُعِ الْعَلَمِينَ أَوْ سُكَّانِهِ
وَأَصْبَحْ لِحَسَنِ حَدِيثِهَا وَأَعَدَّهُ لِلْمُضْضِي	فَفِيهِ الْبُرْءُ مِنْ أَشْجَانِهِ
يَا حَبِّذَا ذَلِكَ الْحَدِيثَ وَحَبِّذَا	مَنْ قَدْ رَفَاهُ وَحَبِّذَا ^(٣) بَبِيَانِهِ

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وهي ساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في «الكتيبة الكامنة» لابن الخطيب . وفي الإسكوريال (وارسله) والأولى

أرجح .

(٣) وردت في الإسكوريال (وحب أن) . والتصويب من الكتيبة الكامنة .

وسقى الآله رمسانه ومكانه
يا سعدُ ساعدُ مُستهماً فيه لا
وأصيحُ لما يَتَلَوُ الوجُودَ عليك من
وأبنة لي وأقبل ذِمائي بشارة
وسل النسيم يهبُ من واديهم
ارحَمُ بروحٍ منه روحى تُحْيِيهِ
وبنشره انشر نفس مُشتاق
يا سعدُ حدثني فكل مُخبَّر
يا سعد حدثني فكل حديث عنهم
يا سعد طارِخِيهِ واملاً مسمعى
أنا فى الغرام أخوك حقاً والفتى
قل كيف وادى ودُّ سُكَّانِ الحمى^(١)
هل قلصت أَيْدَى النوى من ظِلِّهِ
وهل الربوع أواهِلُ بِجِمالِهِم
وهل التقى بان على عهد النوى^(٢)
فبرَوْض أنسِهِم غمَدت نضارة
وأرى هجير الهجر أذبل يانعاً
وأحال حال الأنس فيه وخشة

ويعزُّ قَدْرُ زمانه ومكانه
ذُقْتَ الهوى ونجوتَ من غدوانه
أنبأهم بلسان حالِ كِيانِهِ^(١)
ويقُلُّ بذل ذِمائى فى تَبْيِسانِهِ
شذا خُزاماه وطيبُ لُبائِهِ
ويُسْقِمُهُ سُقْمى فديتِكَ عانِهِ
قضت شوقاً لِنَفْحَةِ نَسْمَةٍ^(٢) من بانه
عن خسر من أهواد أو إحسانه
ويجلُّ قَدْرُ الحُبِّ عن نِسيانِهِ
من سرِّهِ إن شئت أو إعلانِهِ
لا يكتُم الأسرار من إخوانِهِ
ومنى أمانِيهِ ورَوْض لسانِهِ
أو ماجرى هل عاث فى جَرَيانِهِ
فَسُقَى للربوع الوُدُق من هَتانِهِ
وهل اللوى يلوى بعود زمانِهِ
نَزَّهت منها الطَّرَفُ^(٣) فى بُستانِهِ
منهُ وأذوى الغُضِّ من رِيحانِهِ
وطوى بِساطِ الأنس فى هِجرانِهِ

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الثامنة (بيان) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكاملة (هب) .

(٣) هكذا وردت فى الكتيبة الثامنة . وفى الإسكوريال (الفضا) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الكتيبة (الهوى) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الكتيبة (القلب) . ٢

عهد عَرَفْتُ الأُنْسَ في أزمانه
حِبُّ غَدَائِي حُسْبُهُ . بلبانهِ
كُلُّ الهوى فحملتُ كُلَّ هوانهِ
أزهُو بذلِّي في يَدَيَّ سِلْعانهِ
يَرْضَى فطيبُ العيش في رِضوانهِ
عن حُبِّهِ فسَلَوْتُ عن سُلْطانهِ
تبغى السُّلُو ولات حين أوانهِ
فالكلُّ فيه على من أعوانهِ
في الكون^(١) عاذره على شيمانه
أبدى الجمالُ العُذْر عن هَيْمانهِ
في الحبِّ فاتركه وثنى عِنانهِ
قد سامه ما ليس في إمكانيهِ

آهًا وواللهنى وويحى أن مضى
وبأجرع العلمين من شرقيه
حاز المحاسن كلها فجمعن لى
وزها على بعزة فبسواجب
وقضى بأن أقضى وليت بما قضى
واختار لى أن لا أميل لسُلوة
يا عاذلى أو ناصحى أو لايمى
غلب الغرام وعزَّ سلطان الهوى
فعلام تغيب مُستهماً كَلِّما
دع عنك لوى إننى لك ناصح
وإذا الفتى قام الجمال بعُذره
من سام قلبى فى هواه سَلوة

وقال فى الغرض المذكور :

فى ذا الغرام فأبكيه ويبكين
وهنتُ والصَّبُّ أولى الناس بالهون
وميتُ فى يده فردا فدلُّون
ما بين يأسٍ وآمالٍ نرجسين
فى ذا الهوى بتدبُّ أو دُمايين
لِفى ذا الهوى^(٢) تبوب زيب
بذلِّي وافتقارِ أُنْسِ السُّلُونِ

يا للرجال ألا حِبُّ يساعدن
غُلبت فيه وما أجدت مُغالبتى
ركبتُ لُجَّتَهُ وخذى فأذهشنى
واضيعةُ العُمر والبلوى مضاعفةُ
والهف نفسى إن أودت وما ظفرت
فليت شِعرى وعُبرى ينقضى طمعاً
هل الأولى ملكوا رِقِّ وقد علموا

(١) نسفها نعى فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى النونية (و الحب) .

فكم أكفكف دمعى بعدهم وأرى مجدداً نار يابى وهى تبلىن
وكم أمرٌ على الأطلال^(١) أنديها وبالمنازل من خيفٍ وداريسٍ
وفى الفؤاد لهم ما ليس يعلمه إلا لهم علمهم بالحال يكفين
أهمى المدامع كنى أروى فتعطشنى وألزم الذكر للسلوى فيشجين
وكل من لدحت عيني أسابله عنهم فيغري بهم قلبي ويغرين
يا أهل نجد وفخرى أن أحبكم لا أطلب الوصل عز الحب يغنين
هل للهوى من سبيل للمنى فلقد عزت أمانبه فى الدنيا وفى الدين^(٢)

محمد بن يوسف بن خلعون

يكنى أبا القاسم ، روطى الأصل لوشيه^(٣) سكن لوشة وغرناطة ومالقة

حاله

كان من جلّة المشيخة وأعلام الحكمة ، فاضلاً ، مُنقطع القرين فى

(١) وردت فى الاسكوريال (الأطناب) والتصويب من الكتيبة .
(٢) إن التبرمة الموجزة التى وردت فى مخطوطى الإسكوريال والزيتونة عن ابن عباد الرندى وكذا ما أورده عنه ابن الخطيب فى «الكتيبة الكامنة» (ص ٤٠ وما بعدها) هى تراجم موجزة ينقصها الكثير من صفات ابن عباد ومزايه العلمية والصوفية . وربما كان السبب فى هذا الإنجاز راجعاً إلى اختصار الناسخ . ونحن نستدرك هنا بعض الشيء فنقول إن لابن عباد مؤلفات كثيرة ، أشهرها شرحه لحساب الحكم العطنانية الذى وضعه العلامة الصوفى المصرى تاج الدين بن عطاء الله السكندرى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، وهو بالرغم من صغر حجمه يعتبر من أشهر كتب الحكم والنصوف . ولابن عباد أيضاً مجموعة فى أجوبة العلوم فى مجلدين . وقد توفى ابن عباد فى سنة ٧٩٢ هـ .

راجع ترجمة واقية لابن عباد بقلم صاحبه الشيخ أبى زكريا السراج وغيره أوردها المقرئ فى نفع الطيب (ج ٣ ص ١٧٥ - ١٧٧) .

(٢) روطى نسبة إلى روطه أو روضه وبازسبانية Rueda ، وهى بلدة صغيرة نفع على المحيط قرب ثبر شلوق . San Lúcar . نجاى مدينة سريش . وهى غير روطه الزيرية من سرقسطة . ولوشيه نسبة إلى بلدة لوشة وقد سبق التعريف بها .

المعرفة بالعلوم العقلية . متبحراً في الإلهيات ، إماماً في طريقة الصوفية . من أهل المقامات والأحوال ، كاتباً بليغاً ، شاعراً مجيداً ، كثير الحلاوة والطلاوة ، قائماً على القرآن ، فقيهاً أصولياً ، عظيم التخلق ، جميل العشرة . انتقل من حصن رُوطة إلى الخطابة والإمامة بلَوْشَة ، كثير الدُّووب على النظر والخلوة ، مقصوداً من مُنتحلي ما لديه ضرورة . لم يتزوج ، وتماثلت عليه طائفةٌ من شأنها الغُص من مثله ، فانزعج من لَوْشَة إلى مالقة ، فتحرف بها بصناعة الطِّب ، إلى حين ^(١) وفاته .

حدثني والدي ، وكان خبيراً بأحواله ، وهو من أصحاب أبيه . قال . أصابَتْ الناس شدةٌ قَحْط ، وكانت طائفةٌ من أصداده تقول كلاماً مُسَجَّعاً . معناد ، إنكم إن أخرجتم ابن خلصون من بينكم ، مُطَرْتَم . قال ، فانزعج عنها . ولما [كان على أميال] ^(٢) ، نزل الغيث الرغد ، قال فسجد بموضعه ذلك ، وهو معروف ، وقال ، سيدى ، وأساوى عندك هذا المقدار . وأوجب شكرنا . وقدم غَرْنَاطَة ، وبها الأستاذ أبو عبد الله الرُّقُوطى ، وله استيلاءٌ على الحُظوة ^(٣) السلطانية ، وشأنه اختبار من يرد على الحضرة . ممن يحمل فناً . والمسلطان على ابن خلصون موجدٌ ، لمدحه في حادثته . أحد الثوار عليه بقمارش ^(٤) ، بقصيدة شهيرة . فلما حضر ، سأله الأستاذ ما صناعتك ، فقال التصوف ، فالتفت إلى السلطان وقال : هذا رجل ضعيفٌ لا شيء لديه . بحيث لا يفرق بين الصناعة وغيرها ، فصرفه رحمه الله .

(١) ورد في الإسكوريال (حد) وانتصو . . من الريون

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الريوننة (ولما كان أميالاً) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الريوننة (الحضرة) وهو خريب .

(٤) هي بلدة من أعمال مقاطعة مالقة . وقد سبق التعريف بها (ج ١ ص ١٨٠ - ١٨١)

توالييفه

وتوالييفه كثيرة ، تدل على جلالته وأصاله معرفته ، تنطق علماً وحكمة ، وتروق أدباً وظرفاً . فمن ذلك كتابه في « المحبة » ، وقفت عليه بخط جدّي الأقرب سعيده ، وهو نهاية . وكتاب « وصف السلوك » ، إلى ملك الملوك » ، عارض به معراج الحاتمى ، فبان له الفضل ، ووجبت المزية ، ورسالة « الفتى والرتق » ، فى أسرار حكمة الشرق .

شعره

من ذلك قوله :

هل تعلمون مصارع العشاق	عند الوداع بلوعة الأشواق
والبين يكتب من نجيع دماهم	إن الشهيد لمن يمت بفسراق
لو كنت شاهد حالهم يوم النوى	لرأيت ما يلقون غير مطلق
منهم كئيب لا يمل بكأوه	قد أغرقت مدامع الآماق
ومحرق الأحشاء أشعل ناره	طول الوجيب بقلبه الخفاق
ومؤله لا يستطيع كلامه	ما يقاسى فى الهوى ويلاق
خرس اللسان فما يطيق عبارة	أليم المرور وماله من راق
ما للمحب من المنون وقاية	إن لم يغنه حبيبته بتلاق
مولاي عبدك ذاهب بغرامه	فادرك بوصلك من دماه الباق
لمنى إليك بذلتى متوسل	فاعطف باعطف منك أو لإشفاق

ومن شعره أيضاً :

أعد الحديث إذا وصفت جماله	فيه نهيج للمحب خياله
يا واصف المحبوب كرر ذكره	وأدر على عشائه جرياله

فَيَذْكُرُ مِنْ أَهْوَى وَشَرَحَ صِفَاتِهِ
طَابَ السَّمَاعُ بِوصْفِهِ لِمَسَامِعِي
قَلْبِي يَلِدُ مِلَامَةً فِي حَبِّهِ
يَا عَاذِلِي أَوْ مَا تَرِقُّ لِنَامِرٍ
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضاً :

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبَّنَا وَهَوَانَا
فَاسْجُرْ لِنَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتَ وَصَالَنَا
وَاخْلَعْ فَوَادَكَ فِي طِلَابِ وَدَادِنَا
فَإِذَا فَنَيْتَ عَنِ الْوُجُودِ حَقِيقَةً
أَوْ مَا عَلِمْتَ الْحَبَّ فِيهِ عِبْرَةً
وَابْدَلْ لُبَّابَكَ إِنْ وَقَفْتَ بِبَابِنَا
مَا لَعَلَّعَ مَا حَاجَرُ مَا رَامَةً
إِنْ الْجَمَالَ مُخَيِّمٌ بِقِيَابِنَا
نَحْنُ الْأَحْيَاءُ مِنْ يَلْدُ بِفَنَائِنَا
نَحْنُ الْمَوَالِي فَاخْضَعْنَ لِعَزِّ نَالِنَا
إِنْ التَّدَلُّ لِلتَّدَلُّ سَحَرُ
وَاصْبِرْ عَلَى ذُلِّ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى
نُونُ الْهَوَانِ مِنَ الْهَوَى مَسْرُوقَةٌ

فَلْتَحُولَنَّ مَذَلَّةً وَهَوَانَا
وَغَضِبْ عَلَيْهَا إِنْ طَلَبْتَ رِضَانَا
وَاسْمَحْ بِمَوْتِكَ ^(١) إِنْ هَوَيْتَ لِقَانَا
وَعَنِ الْفَنَاءِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَسْرَانَا
فَاخْلِصْ لَنَا عَنْ غَيْرِنَا وَسِوَانَا
وَاتْرِكْ حِمَاكَ إِذَا فَقَدْتَ حِمَانَا
مَا رِيْمُ أَنْسَ يَسْحَرُ أُمْنَانَا
وِظْيَاوُهُ مَحْجُوبَةٌ بِظُيُومَانَا
نَجْمَعُ لَهُ مَعَ حُسْنِنَا إِحْسَانَا
إِنَّا لَنُدْفَعُ فِي الْهَوَى مَنْ هِنَا
فَاخْلِدْ إِلَيْنَا عَاشِقًا وَنَهَانَا
وَاسْمَعْ مَقَالَةَ هَائِمٍ قَدْ لَانَا
فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقَيْتَ هَوَانَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (بنفسك) .

(٢) اللعلع أعنى العراب

ومن لطيف كلامه [ورقيق شعره] ^(١)

لو خيالٌ من حَبِيبِي طَرَقَا	لم يَدْعُ دَمْعِي بِخَدَيِ طَرَقَا
نسيمُ الريحِ منه لو سَرَى	بَشَاهِ لَأَزَالُ الْحَسْرَقَا
ومنى هَبَّتْ عَلَيَّالَاتُ الصَّبَا	صَحَّ جَسْمِي فَهَنْ لِي نَفْثُ رَقَا
عجباً يشكو فَوَادَى فِي الهَوَى	هَبَّ النَّسَارُ وَجَفْنِي الْفَرَقَا
يا أَهْلَ الْحَيِّ لِي فِيكُمْ رَشَا	لم يَدْعُ لِي رَمَقاً مُذْ رَمَقَا
بدرٌ تَمِ طَالَعِ أَثْمَرَهُ	غُصْنٌ بَانَ تَحْتَهُ دِغْصُ نَقَا
راق حُسْنًا وَجَمَالًا مِثْلَمَا	رَقَّ قَلْبِي فِي هَوَاهُ وَرَقَا
[أَنَسَى الشَّمْسَ ضِيَاهُ ذَهَبًا	وَكَسَى الْبَدْرَ سَنَاهُ وَرَقَا] ^(٢)
حُلِّلَ الْحُسْنَ عَلَيْهِ خُلِيعَت	فَارْتَدَاهَا وَلَهَا قَدْ خُلِقَا

ومن شعره .

دَعَوْتُ مِنْ شَفَتِي رِفْقًا عَلَى كَبْدِي	فَقَالَ لِي خُلِقَ الْإِنْسَانُ فِي كَبِدِ
قَلْتُ الْخِيَالُ وَلَوْ فِي النَّوْمِ يَقْنَعُنِي	فَقَالَ قَدْ كَحُلْتُ عَيْنَاكَ بِالسُّهْدِ
فَقَلْتُ حَسْبِي بِقَلْبِي فِي تَذَكُّرِهِ	فَقَالَ لِي الْقَلْبُ وَالْأَفْكَارُ مَلِكُ يَدِي
قَلْتُ الْوِصَالُ حَيَاتِي مِنْكَ يَا أَمَلِي	قَالَ الْوِصَالُ فِرَاقُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ
فَقَلْتُ أَهْلًا بِمَا يَرْضَى الْحَبِيبُ بِهِ	فَإِنَّ قَلْبِي لَا يَلْسُو عَلَى أَحَدِ

ومن أقواله الصُّوفِيَّةِ ، وكلها تشير إلى ذلك [المعنى] ^(٣)

رَكِينًا مَطَايَا شَوْقِنَا نَبْتَغِي الشَّرَى	وَلِلنَّجْمِ قَنَابِيلُ يُضِيئُهُ لِمَنْ سَرَا
وَعَيْنُ الدُّجَا قَدْ نَامَ لَمْ يَدْرِ مَا بَنَا	وَأَجْفَانُنَا بِالسُّهْدِ لَمْ تَطْعَمِ الْكَرَا

(١) هذه الزيادة من امر . . .

(٢) هذا البيت وارد في الإصحوريات وساقط في الرينونه .

(٣) هذه الأكلمة واردة في الرسونه وساقطة في الإصحوريات .

إلى أن رأينا الليل شاب قذاله
 لمحننا برأس البعد ناراً منيرة
 وأفضى بنا السير الحثيث بسحرة
 فلما حللنا خبوة السير عنده
 وحرّك ناقوساً له أعجم الصدا
 وقال لنا خطوا حميتكم مسيركم
 نعيثهم صباحاً ما الذي قد أتى بكم
 وراحتنا في الرّاح إن كنيت بايعاً
 فقال لكم عندي مدام عتيقة
 مُشعّشة كالشمس لكن تروحن
 وحلّ لنا في الحين ختم فداها
 وقلنا من السّاقى فلاح بوجهه
 وأشعلنا عن خمره بجماله

ولاح عمود الفجر غصداً مُنوراً
 فسرنا لها نبغى الكرامة والقرأ
 لحانة دبر بالنواقيس ذورا
 وأبصرنا القسيس قام مُكبّراً
 فأفصح بالسر الذي شاء مُخبّراً^(١)
 وعند الصّباح يجمّ القنوم السرى
 فقلنا له إنا أتيناك زوّراً
 فان لدينا^(٢) فيه أربع مُشترى
 مخلّدة من قبل آدم أعجزنا
 وجلّت عن التجسيم قدماً فلا تُرى
 فأسدى لنا مسكاً فتيقاً وعُبراً
 فأذهش الأبّاب الأنام وحيرا
 وغيبنا سُكراً فلم ندر ما جراً

ومن شعره في المعنى :

يانايماً يطلب الأسرار إسرا
 أرجع إليك ففبك الملك مُجتمّع
 أنت المِثال وكُرسى الصّفات فتّه
 والطور والدّر^(٣) منشوراً وقد كتبت
 والبيت يغمّره سرّ الملائك في

فيك العيان ونبغى بعد آثارا
 والفلك والفلك العلوى قد دارا
 على العوالم إعلاناً وإسرا
 أقلام قدرته في اللوح آثارا
 مشكاة قلبك قد أسرجن أنوارا

(١) هذا البيت وارد في الإسكوريال وساقط في الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لنا) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (والرق) والبولى أرجح .

ورَقَعَ اللهُ سَقْفًا أَنْتَ تَسْكُنُهُ
وَبَحْرٌ فِكْرِكَ مَسْجُورٌ بِجَوْهَرِهِ
فَإِنْ رَأَيْتَ [بِوَادِي الْقُدْسِ] ^(١) نَارَهُدَى
وَاخْلَعْ لَسَمْعِ النَّدَا نَعْلِيكَ مُفْتَقِرَا
وَعَبَّ عَنِ الْكَوْنِ بِالْأَسْمَاءِ مُتَّصِفَا
وَمِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَطْلَبُ مَا فِي الرُّوحِ مِنْ غَامِضِ السَّرِّ
عَرَضْتُ لِعِلْمِ أَتْبَهَمِ الشَّرْعِ بَابَهُ
وَلَكِنْ خَبِيرًا قَدْ سَأَلْتُ مُحَقِّقًا
وَبَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكَ قَدِّمْ وَسِيلَةً
وَلَا تَلْتَفِتْ جِسْمًا وَلَا مَا يَخْصُصُهُ
وَاخْذْ صُورَةً كَلْبِيَّةً جَوْهَرِيَّةً
وَلَكِنْ بِعِمْرَانِ الْبَقِيَّةِ تَوَلَّدَتْ
كَذَلِكَ لَمْ تَخْذُثْ وَلَيْسَتْ قَدِيمَةً
وَلَكِنْ بِذَاتِ الذَّاتِ كَانَ ظُهُورُهَا
وَمِنْ هَذَا الْغَرَضِ قَوْلُهُ :

مُشَاهَدَتِي مَغْنَاكَ يَا غَايَتِي وَقْتُ
مُقَامِي بِقَائِي عَاكِفًا بِجَمَالِكُمْ
لَنْ حَالَتِ الْأَحْوَالُ دُونَ لِقَائِكُمْ
وَإِنْ كَانَ غَيْرِي فِي الْهَوَى خَانَ عَهْدَهُ
فَمَا أَشْتَكِي بَعْدًا وَحُبًّا لِي نَعْتُ
فَكُلُّ مُقَامٍ فِي الْحَقِيقَةِ لِي تَحْتَ
فَلَانِي عَلَى حُكْمِ الْمَحَبَّةِ مَا حُلْتُ
فَانِي وَأَيُّمُ اللَّهِ عَهْدِي مَا خُنْتُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بالقدس) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (التحميس) .

ومالي رجاً غير نَبِيلٍ وصالكم
نعم إن بدا من جانب الأنس بارق
يُحرّكني بسطاً به نحوكم طِرتُ
ومهما تذكّرتُ العتاب يهزني لهيبَتكم^(١) قَبْضُ يَغيب به النعت
تواجهتُ حتى صار لي الوجدُ مشرباً
فها أنا بين الصّحو والمحو دايرٌ
قُصودي إليكم والورد علىكم
وفي غَيْبِي عني حضوري لديكم
وفي فُرقتي الباني بحق جَمعتني
تجلّيته لي حتى دهشتُ مهابة
مواردُ حق بل مواهبُ غاية إذا
لوايح أنوار تلوح وتختفي^(٢) ولكن
ومهمي بدت تلك الطّوالع أدهشتُ
وهيهات هيبات الجلال تردني
نسفن جبالٍ فهي قاعٌ صَفْصَفٌ
ولي أدمع أججّن نار جوانحي ولي
ألا فانظروا قلبَ العيان حقيقةً
مراتبُ في التّلوين نلتُ جميعها
وعند قياي عن فناي وجدتكم
ورودٌ وشربٌ ثم لا رى بعده

ولا خوفٌ إلا أن يكون له قوت
يُحرّكني بسطاً به نحوكم طِرتُ
ولاح وجودٌ للحقيقة إذ غِبتُ
أقول فلا حرفٌ هناك ولا صوّت
ومنكم سُهودي والوجود إذا عَدِمْتُ
وعند امتحان^(٢) الرّسم والمخو أثبتُ
وفي جَمع جَمعتني في الحقيقة فرقت
ولما ردّدت اللَّحظ بالسّر لي عِشتُ
ما بدّت تلك البوادة لي تُهتُ
وميضُ البرق ليس له ثَبْتُ
وإن غُيبت تلك اللّوامع أظلمت
وعند التّجلى لا محالة دَكْدَكَتُ^(٤)
وليس يرى فيهنّ زيغٌ ولا أَمْتُ
نَفْسٌ لولاه من حُبكم ذبْتُ
فناي ووجودي والحياة إذا متُ
وفي عالم التّمكين عن كلّها بِنْتُ
فلا رُتْبَةٌ عُلوّية فوق ما نلت
لين كنت أروى من شراك لا كنت

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لطيتكم) .

(٢) وردت في الإسكوريال (امتحا) والتصويب أرجح .

(٣) وردت في الإسكوريال (واختن) والتصويب من الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تككدكت) .

شربتُ أكْوَاسَ الوجود مُدَامَةً ولكنيُّ من صاحب الدَّيرِ أُسْكِرْتُ
وَكَيْفَ وَأَقْدَاحَ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا جَمَالَ الْمَعَانِي لَا الْمَغَالِي عُلِمْتُ
تَعْلِقُ قَوْمٍ بِالْأَوَانِي وَإِنِّي وَقَدِ نِلْتُهَا صِرْفًا فَيَا لِعُمْرَى مَا ضِيعَتْ
وَأَرْضَعْتُ كَأْسًا لَمْ تُدَنِّسْ بِمَزْجِهَا وَأَرْضَعْتُهَا صِرْفًا لِأَنِّي قُرْبَتْ
شَرَابُهَا الْأَبْرَارُ طَابَ مَزَاجُهُمْ تَبَدَّتْ لَهُ شَمْسًا لَهَا نَحْوُهُ سَمْتُ
بِهَا آدَمُ نَالَ الْخِلَافَةَ عِنْدَمَا وَمَنْ بَانَ عَنْ أَسْرَارِهَا عَمْدَ الْمَوْتِ
وَنَجَّيَتْ لِنُوحٍ حِينَ فَرَّ لِفُلْكِهِ وَكَانَ لِمُوسَى عَنْ أَشْعَثِهَا بُهْتِ
وَقَدْ أَخْمَدَتْ نَارَ الْخَلِيلِ بِنُورِهَا فَأَبْصَرَهُ الْأَعْمَى وَكَلِمَهُ الْمَيْتِ
وَحَبَّتْ لِرُوحِ اللَّهِ رُوحُ نَسِيمِهَا إِلَى حَيْثُ لَا قَوْقُ هُنَاكَ وَلَا تَعَتْ
وَسَارَ بِهَا الْمُخْتَارُ سَيْرِي لِرَبِّهِ لَقَدْ نَالَ مَا يَبْغَى وَسَاعَدَهُ الْبَخْتُ
هَلِيئًا لَمَنْ قَدْ أُسْكِرْتَهُ بِعَرَفِهَا

ومن نشر الأستاذ الجليل أبي القاسم بن خَلْصُون المترجم به ، قوله من رسالة :
«وصلني أيها الإبن النجيب ، المُخلص الحبيب ، كتابك الناطق
بِخُلُوصٍ وَدُّك ، وَرُسُوحٍ عَهْدُكَ ، وَتِلْكَ سَجِيَّةً لَا يِقَّةً بِمَجْدِكَ ، وَشِنْشِنَةً
تُعْرِفُ مِنَ وَالِدِكَ وَجَدُّكَ ، وَصَلَّ اللَّهُ أَسْبَابَ سَعْدِكَ ، وَأَتَهَضَّ عِزِّ جَدِّكَ ،
بِتَوْفِيقِ جَدِّكَ ، وَبِلَغْثِكَ مِنْ مَأْمُولِكَ ، أَقْصَى قَصْدِكَ ، فَلَتَعْلَمَ أَيُّهَا الْحَبِيبُ
أَنْ جَنَانِي يَنْطَوِي لَكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْشُرُهُ لِسَانِي . فَإِنِّي مُغْرَى بِشُكْرِكُمْ وَإِنْ
أَعْجَزْتُ ، وَمُفْصِحٌ بِجَمِيلِ ذِكْرِكُمْ وَإِنْ جَمَعْتُ ، لَا جَرَمَ أَنَّ الْوَقْتَ
حَكَمَ بِمَا حَكَمَ ، وَاسْتَوَى الْهَرَجَ فَاسْتَحْكَمَ ، حَتَّى انْقَطَعَتْ الْمَسَالِكُ ، وَعَدِمَ
الْوَارِدُ وَالسَّالِكُ ، وَذَلِكَ تَمْحِصٌ مِنَ اللَّهِ جَارٍ عَلَى قَضِيَّةٍ قِسْطُهُ ، وَتَقْلِيبٌ
لِقُلُوبٍ عِبَادِهِ بَيْنَ إِصْبَعِي قَبْضِهِ وَبَسْطِهِ ، حِينَ مَدَّ عَلَى الْخَلِيقَةِ ظِلَّ
التَّلْوِينِ ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ، ثُمَّ جَعَلَ شِسْ الْمَعْرِفَةِ لِأَهْلِ التَّمَكِينِ ،

عليه دليلاً باطناً ، ثم قبض كل الفرق عن خاصيته قهضاً يسيراً ، حتى أطلع عليهم من الأنس بداراً مُنيراً . وإلى ذلك يا بُنَيَّ فإني أحمَد الله تعالى إليك على تشويقه إياك إلى مُطالعة كُتُب المعارف ، وتعطُّشك للورود على بحر اللطائف . وإنَّ الإمام أبا حامد ^(١) رحمه الله ، لمَن أحرز خصلها ، وأحكَم فرعها وأصلها ، لا يُنكر ذلك إلا حاسدٌ ، ولا ياباه إلا مُتعمِّفٌ جاحد . هذا وصفه ، رحمه الله ، فيما يخصه في ذاته . وأما تعليمه في تواليفه ، وطريقه التي سلكها في كافَّة تصانيفه ؛ فمِن علمايته رضي الله عنهم ، من قال إنه خلط النِّهاية بالبداية ، فصارت كُتُبُه أقرب إلى التُّضليل منها إلى الهداية ، وإن كان لم يقصد فيها إلا النفع ، فيما أمَّه من القرض ، فوجد في كتبه الضَّرر بالقرض ، ومن قال بهذا الفقيه الحكيم أبو بكر بن الطَّفيل ^(٢) . قال ، وأما أبو حامد ، فإنه مضطرب التَّأليف ، يربُّط في موضع ، ويحلُّ في آخر ، ويتَّمذهب بأشياء ، ويكفر بها ، مثل أنه كفر الفلاسفة باعتقادهم أن المعاد رُوحاني ، وإنكارهم حشر الأجساد . وقد لوح هو بأن ذلك مذهبُه في آخر كتاب « الجواهر والأربعين » وخرَّج بانه مُعتقَد كبار الصُّوفية ، في كتاب آخر ، وقال إن مُعتقده كمُعتقدهم ، وأنه وقع على ذلك بعد بحثٍ طويلٍ وعناءٍ شديد . قال ، وإنما كلامه في كُتُبِه ، على نحو تعلُّم الجمهور . وقد اعتذر أبو حامد نفسه عن ذلك في آخر كتاب ، « ميزان العمل » ، على أغلب ظني ، فإن لي من مُطالعة الكتب مُدَّة . قال ، ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلا ما يُشكِّك في اعتقادك الموروث .

(١) هو حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

(١٠٥٨ - ١١١١ م) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ابن طفيل) وهو الأكثر شيوعاً . وقد

ترجم له ابن الخطيب ذيقاً تقدم (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ٤٧٨ - ٤٨٢) .

يَعْنَى التَّقْلِيدَ ، فَإِنَّهُ مِنْ لَمْ يَشْكُ . لَمْ يَنْظُرْ ، وَمِنْ لَمْ يَنْظُرْ ، لَمْ يُبْصِرْ ، وَمِنْ لَمْ يُبْصِرْ فَقِيَ الْعَمَى وَالْحَيْرَةَ . ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

خَذَ مَا تَرَاهُ وَدَغَ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحُلِ
وَذَلِكَ أَنَّهُ قَسَمَ آرَاءَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ : رَأَى يُجَابُ بِهِ كُلُّ مُسْتَرْشِدٍ سَائِلٍ ،
بِحَسَبِ سَوَالِهِ ، وَعَلَى مَقْدَارِ فَهْمِهِ . وَرَأَى يُجَابُ بِهِ الْخَاصَّةُ ، وَلَا يُصَوِّحُ
بِهِ لِلْعَامَّةِ . وَرَأَى بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ شَرِيكِهِ
فِي اعْتِقَادِهِ . وَأَمَّا الْفَقِيهَ الْفَاضِلُ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ بَالِغٌ
فِي ذَلِكَ مَبَالِغٍ عَظِيمَةٍ ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي وَصَفَ فِيهِ مَنَاجِزَ أَدَلَّةِ
الْمُتَكَلِّمِينَ ، فَإِنَّهُ لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى طُرُقِ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزِّلَةِ ، وَالْفَلَّاسِفَةِ ،
وَالصُّوفِيَّةِ ، وَالْحَشَوِيَّةِ ، وَمَا أَحْدَثَتْهُ ^(١) الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ الضَّرَرِ فِي الشَّرِيعَةِ
بِتَوَالِيْفِهِمْ ، أَنْعَطَفَ فَقَالَ ، وَأَمَّا أَبُو حَامِدٍ ، فَإِنَّهُ طَمَّ الْوَادِيَّ عَلَى الْقُرَى ،
وَلَمْ يَلْتَزِمْ طَرِيقَةً فِي كُتُبِهِ ، فَتَرَاهُ مَعَ الْأَشْعَرِيَّةِ أَشْعَرِيّاً ، وَمَعَ الْمُعْتَزِّلَةِ ،
مُعْتَزِّلِيّاً ، وَمَعَ الْفَلَّاسِفَةِ فِيلَسُوفاً ، وَمَعَ الصُّوفِيَّةِ ، صُوفِيّاً ، حَتَّى كَأَنِّي بِهِ
يَوْمًا يَمَانٌ إِذَا لَاقَيْتَ ذَا يَمَنٍ وَإِنْ لَقَيْتَ مَعَدِيّاً فَعَدْنَانُ

ثُمَّ قَالَ ، وَالَّذِي يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنْ يُنْهَوْا الْجُمْهُورَ عَنْ كُتُبِهِ ،
فَإِنَّ الضَّرَرَ فِيهَا بِالذَّاتِ ، وَالْمَنْفَعَةُ بِالْعَرَضِ . قَالَ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ صَرَّحَ
فِي كِتَابِهِ بِنَتَائِجِ الْحِكْمَةِ ، دُونَ مَقْدَمَاتِهَا ، وَأَفْصَحَ بِالتَّأْوِيلَاتِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ
عَلَيْهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ ، الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ . وَهِيَ الَّتِي لَا يَجُوزُ أَنْ تُؤَوَّلَ لِلْجُمْهُورِ ،
وَلَا أَنْ تُذَكَّرَ فِي غَيْرِ كُتُبِ الْبُرْهَانِ . وَأَنَا أَقُولُ إِنَّ كِتَابَهُ فِي الْأَصْلَيْنِ ،
أَعْنَى أَصُولِ الدِّينِ ، وَأَصُولِ الْفِقْهِ . فِي غَايَةِ النَّبْلِ وَالنَّبَاهَةِ . وَبَسْطِ
الْلَفْظِ ، وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ وَالتَّقْسِيمِ ، وَقُرْبِ الْمَسَائِلِ . وَكَذَلِكَ كُتُبُهُ الْفَقْهِيَّةُ

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ (وَمَا أَخَذْتَهُ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الزِّيْتُونَةِ .

والخلافية والمذهبية ، التي ألفها على مذهب الشافعي ، فإنه كان شافعي المذهب ، في الفروع . وأما كتبه التي ذهب فيها مذهب التصوف ، فهي التي يوجد فيها ما ذكر من الضرر بالعرض . وذلك أنه بقي الأكثر من الاعتقادات فيها على ما نادى إلى فهمه من مذاهب الفلاسفة ، ونسبها إلى المتصوفة . وقد نبه على ذلك الفقيه الجليل أبو بكر الطرطوشي^(١) في كتابه الذي سماه «بمراق العارفين» . قال ، وقد دخل على السالكين ضرر عظيم من كتب هذا الرجل الطوسي^(٢) ، فإنه تشبه بالصوفية ولم يلحق بمذاهبهم ، وخلط مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم ، حتى غلط الناس فيها . على أنني أقول إن باعه في الفلسفة كان قصيراً ، وإنه حدا حدو الشيخ أبي علي بن سينا في فلسفته التي نقلها في المقاصد ، ومنطوقه الذي نقله في معيار العلم ، لكن قصر عنه . وتلك الاعتقادات ، منها حق ومنها باطل ، وتلخيصه لا يتأتى إلا لصنفين من الناس ، أعني أهل البرهان ، وأهل المكاشفة ، فبحسب ذلك تحتاج كتبه إلى تقديم علوم البرهان ، أو رياضة أهل المكاشفة . ولذلك صنف هو معيار العلم ، ليكون الناظر في كتبه يتقدم ، فيتعلم منه أصناف البراهين ، فيلحق بأهل البرهان . وقدم أيضاً تصنيف «ميزان العمل» ليكون المرتاض فيه ، وبه يلحق بأهل المكاشفة ، وحينئذ يُنظر في سائر كتبه . وهذه الرسالة طويلة ، تكلم فيها على كتب أبي حامد الغزالي رحمه الله ، بما يدل على تفننه ، وعلى اضطلاعه . رحمه الله .

(١) أبو بكر الطرطوشي فقيه ومفكر سياسي واجتماعي أندلسي ، ولد بقرطوشة من أعمال الثغر الأعلى سنة ٤٥١ هـ ، وتلقى دراسته الأولى بسرقة ، ثم نزح إلى المشرق وطاف بمواضره ، وتلقى الكثير عن علماءه ، واستقر أخيراً بالإسكندرية وتوفي بها سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٧ م) ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب (سراج الملوك) وهو يعالج نظريات في السياسة والاجتماع .

(٢) نسبة إلى طوس من أعمال فارس ، وهي مسقط رأس الإمام الغزالي .

ومن الغرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جفيل بن يوسف المراقى
ثم الخلاطى ، ثم الأقشرى الفارسى ، ويُنعَت من النُّعوت المشرقية
بجلال الدين ، من بلاد فارس

حاله

كان من الصوفية المتجردين من المال والعيال ، ذا وقار وتؤدة ،
وسكون ومحافظة على ظاهره . أكثر في بلاد المشرق من الأخذ عن الشيوخ
المحدثين والمتصوفين ، ثم قديم المغرب ، فاستوطن بعض بلاده ، ثم أجاز
البحر إلى الأندلس عام أربعة وسبعماية ، وأخذ عن بها من الشيوخ ،
ودخل غرناطة . وكان شافعي المذهب . يُشارك في قرض الشعر .

مشيخته

أخذ عن أبي مروان عبد الملك الشريشى بفاس ، وعن أبي بكر محمد
ابن محمد بن قسي المومياي ، وليس الخرقه الصوفية من جماعة بالمشرق ،
وبالمغرب ، منهم الإمام أبو إبراهيم الماجرى ، عن أبي محمد صالح ، عن
أبي مدين .

توالياً

أخذ عنه تاليفه في نحو اللغة الفارسية ، وشرح ألفاظها . قال شيخنا .
الوزير أبو بكر بن الحكيم ، كتب إلى والدى ببابه : وقد أحس بغض من
الشيخ الإمام أبي عبد الله بن خميس ، عميد مجلس الوزارة الحكيمية :

عَبِيدُ بِيَابِ الْعُلَى واقِفْ أَيْقِبْهُ الْمَجْدُ أَمْ يَنْصَرِفْ
فَإِنْ قَبْلَ الْمَجْدِ نِلْتُ الْمُنَا وَإِلَّا فَقَدَرِي مَا أَعْرِفْ
ثم كتب على لفظه ما من وصححه . قال فأذن له ، واستظرف منزعه .

محمد بن أحمد بن شاطر الجَمَحِي المُرَاكَشِي

يكنى أبا عبد الله . ويُعرف بابن شاطر .

حاله

فَقِيرٌ مُتَجَرِّدٌ ، يَلْبَسُ أَحْسَنَ أَطْوَارِ الْخِرْقَةِ . وَيُؤَثِّرُ الْأَصْطِلَاحَ . مَلِيحٌ
الشَّيْبَةَ ، جَمِيلُ الصُّورَةِ ، مُسْتَظَرَفُ الشَّكْلِ . مَلَاذِمٌ لِلْمَسْجِدِ ، مَسَاكِنُ
بِالْمَدَارِسِ ، مُجَبَّبٌ إِلَى الْخَوَاصِ . كَثِيرُ الذُّكْرِ ، مُتَرَدِّدُ التَّأَوُّهِ ، شَارِدُ
اللِّسَانِ ، كَثِيرُ الْفَلَكَاتِ ، مُطَّرَحٌ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ لِلسَّمْتِ ، يَنْزِعُ إِلَى
هَدْفِ تَايِهِ . تَشِمُّ عَلَيْهِ الْقِحَّةُ وَالْمَجَانَةُ ، مُقْتَحِمٌ حِمَى الْحِشْمَةِ فِي بَابِ
إِيْهَامِ التَّلْبِيسِ . يَزَلْقُ سُوءَ الْإِعْتِقَادِ عَنْ صِفَاتِهِ ، وَإِنْ قَارَبَ الْإِتِهَامَ ، غَيْرُ
مَبَالٍ بِنَاقِدٍ ، وَلَا حَافِلٍ بِدَامٍ . وَلَا حَامِدٍ . كَلِمَةُ أَتْبَعَ أَنْفَرِدُ . وَمَهْمَى
اسْتِقَامِ شُرْدٍ . تَغْلِيْبُ النَّفْسِ بِهِ عَلَى غَرَّةٍ . وَيُحَسِّنُ الظَّنَّ بِبَاطِنِهِ عَلَى سُوءِ
ظَاهِرِهِ . مَلِيحُ الْحَدِيثِ ، كَثِيرُ الْإِعْتِبَارِ . دَائِمُ الْإِسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِغْفَارِ . فَعَالُ
الْمَوْعِظَةِ . مُجِيبُ الْإِنْتِزَاعِ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ . مَعَ عِلْمِ الْحِفْظِ ، مُسْتَشْهَدٌ
بِالْأَبْيَاتِ الْغَرِيبَةِ عَلَى الْأَحْوَالِ . مَالُ شَيْخِنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَرِّي :
لَقِيتُ فِيهِ لَقِيَتُ بِتِلْكَ سَانِ رَجُلَيْنِ . أَحَدُهُمَا عَالِمُ الدُّنْيَا ، وَالْآخَرُ نَادِرُهَا .
أَمَّا الْعَالِمُ فَشَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ الْعَبَّادِيِّ الْآبِلِي ،
وَأَمَّا النَّادِرُ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثُومٍ زَيْدِيٌّ عَالِمٌ . وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثُومٍ

كثيراً ، وأبى عبد الله بن تجّلات^(١) . وأبى العباس بن البنا ، وإخوانهم من المُرّاكشين ومن جاورهم ، واختصّ بآبى زيد الهزيمى ، وآثره وتبناه ، وكان يقول له . وألقيت عليك محبة منى ، فيظهر أثر ذلك عليه ، من ستر الهنات ، ووضع القبول ، فلا تجد من يستثقله من راض عنه أو ساخط. دخل الأندلس ، وقدم على غرناطة ، وتلوم بها أياماً .

نبذة من أقواله

فمن ذلك أنه إذا سئل عن نفسه يقول ، أنا ولى مفسود ، وفي هذا من النصفة ، وخفة الروح ما لا يخفاء به . قال بعض شيوخنا ، قلت له يوماً ، كيف أنت ، فقال ، كيف أنا محبوس في الدّم . ومن حكمه ، الليل والنهار حرسيان ، أحدهما أسود ، والآخر أبيض ، وقد أخذت بمجامع الخلق إلى يوم القيامة ، وإن مررنا إلى الله . ومرّ يوماً بآبى العباس بن شعيب الكاتب وهو جالس في جامع الجزيرة ، وقد ذهبت به الفكرة ، فصاح به فلما رفع رأسه ، قال ، وله نعش خاطر ، أنظر إلى مركب عزرايل ، قد رفع شراعه ، والنّدا عليه ، أركبوا يا عزا . قال شيخنا أبو عبد الله المقرئ ، وجدته يوماً في المسجد ذاكراً ، فقلت له ، كيف أنت ، فقال مهيم في روضة يجبرون ، فهممتُ بالانصراف . فقال أين تذهب من روضة من رياض الجنة . يقام فيها على رأسك هذا التّاج . وأشار إلى المنار ، مملوئاً بالله أكبر . قال وأنشدنى أبو العباس بن البنا ، وكتبهما عنه :

قصدت إلى الوجازة في كلامي لعلمي بالصواب في الاختصار

(١) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الهيثم (بنحوه) .

ولم أخْذَرْ فهو ما دون فهمي ولكن خِفْتُ إزراءَ الكبار
 فشأن فحولة العلماء شأني وشأن البسطِ تعليم الصغار
 قال ، وأخبار ابن شاطر تحتمل كُرَّاسة ، قلت رأيته بفاس في أخريات
 عام خمسة وخمسين ، وهو الآن بحاله الموصوفة ، قد أَرَبِي على السَّبعين .

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي ، ابن الحفاوي^(١)

من أهل تونس ، يكنى أبا عبد الله ، نَزِيل غرناطة ، ويعرف بالتونسي
 وبابن المؤذن ببلده .

حاله

من « العايد » : قال ، وليَّ الله المُجَابُ الدعوة ، الظاهرُ الكرامة ،
 المشهودُ له بالولاية . وَرَدَ الأندلس في جملة من تُجَار بلده ، وبيده مالٌ
 كبير ، بذله في معاملة ربِّه ، إلى أن استأصله بالصدقة ، وأنفقَه في
 سبيل الله ، ابتغاءَ مَرْضَاتِهِ ، وتجرَّد عن الدنيا . وأخذَ نَفْسَه بالصلاة والصوم
 والتلاوة ، وكثرة السجود . والتطارح [على ذلك]^(٢) ، محفوظاً في ذلك
 كله ، حِفْظَةَ الأولياء ، مُذَكِّراً بمن سَلَفَه من الزهاد ، عازباً عن الدنيا
 [أخذَ نَفْسَه]^(٣) بسلوك الإيتاب عنها ، رحمةً للخلق . وعملاً للمساكين ،
 يتعصده الناس بصدقاتهم ، فيبشُّها في ذوى الحاجات^(٤) . فيتألَّف في باب
 مسجده آلاف من رجالهم ونسائهم وصبيانهم . حتى يعمُّهم الرِّقْد ، وتسعُّهم

(١) هكذا في الإسكوريال . ووردت في الزينونة (الحفاوي) .

(٢) هذه الزيادة من الزينونة .

(٣) هذه الزيادة من الزينون .

(٤) هكذا وردت في الزينونة . وفي الإسكوريال (الحاجه) . وانظر إلى أسب .

الصدقة . وكان غريب الأحوال ، إذا وصل وقت الصلاة ، يظهر عليه البشرُ والسرور ، ويدخل مسجده الذي ابتناه ، واحتفل فيه ، فيخلو بنفسه أخذاً في تعبدات كثيرة ، غريبة شاملة لجميع أركان المسجد ، ويزدحم الناس حول المسجد ، وأكثرهم أهلُ الفاقة ، فإذا تمكَّن الوقت ، أذن أذاً مؤثراً في القلوب ، جداً وصدقاً ووقاراً ، كان صدره ينصدع عند قول ، لا إله إلا الله . ثم يعيدُ التَّعَبُّدَ والسُّجودَ في الصَّومعة وأذراجها ، حتى يُفْتَحَ باب المسجد ، وينتقل إلى صدر المحراب ، فيصلي ركعات خفيفة . فإذا أقام الصلاة ، وقف عند المحراب ، ظهر عليه من الخوف والكآبة والحزن والانكسار والتضرُّع والتَّمَلُّق^(١) والرَّغبة ، ما لا تفي العبارة بوصفه ، كأن موقفه موقف أهل الجرائم بين أيدي الملوك الجبابرة . فإذا أتم الصلاة على أتم هيئاتها ، ترى كأن الغبار على وجهه ، أو كأنه حُشِر من قبر ، فإذا شرع في الدعاء بأثر الصلاة ، يتلوه بترداد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل دَعْوَةٍ ، ويتوسَّلُ به ، وتظهر عليه أحوال من الحُضور والمراقبة ، وينجلي عن وجهه ما كان به . وكان يَخْتِمُ القرآن في شهر رمضان مائة خَتْمَةٍ ، فما من ليلة ، إلا ويُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ فيها بمسجده . هذا ترتيبه . ولو تَتَبَّعْنَا ما شوهد من كراماته وأحواله ، لخرجنا عن الغرض .

ولد بتونس في حدود الأربعين وسماية .

توفي في شهر ربيع الثاني عام خمسة عشر وسبعماية . وكان الحفل في جنازته عظيماً . استوعب الناس كافة ، وحضر السلطان ، فمن دونه ، وكانت تسمُّ زعموا . على نعشه وقبره رائحة المسك . وتبرك الناس بجنازته ،

(١) هذا وردت في الإسحور يال . وفي الزينونه (التخلق) .

وقصد قبره المرضى وأهل الحاجات . وبقى القهراء يقرأون القرآن عليه مدة طويلة . وتُصدّق على قبره بجملة من مال ، فقُدّي به طائفة من الأسرى . وقبره بباب إلبيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسال ، معروف هنالك .

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي
من أهل طنجة ، يكنى أبا عبد الله ، ويُعرف بابن بطوطة .

حاله

من خطّ شيخنا أبي البركات ، قال ، هذا رجلٌ لديه مشاركة يسيرة في الطّلب ، رحّل من بلاده إلى بلاد المشرق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعماية ، فدخل بلاد مصر والشام والعراق ، وعراق العجم ، وبلاد الهند والسند ، والصين ، وصين الصين ، وبلاد اليمن . وحج عام سنة وعشرين وسبعماية . ولقى من الملوك والمشايخ عالماً ، وجاوز بمكة . واستقرّ عند ملك الهند ، فحظي لديه ، وولاه القضاء ، وأفاده مالاً جسيماً . وكانت رحلته على رسم الصوفية زياً وسجّيةً ، ثم قفل إلى بلاد المغرب ، ودخل جزيرة الأندلس ، فحكى بها أحوال المشرق ، وما استفاد من أهله ، فكذّب . وقال ، لقيته بغرناطة ، وبتنا معه بيّستان أبي القاسم ابن عاصم بقرية زبلّة ، وحدثنا في تلك الليلة ، وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها ، فأخبر أنّه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى ، وهي على قدر مدينة مُسقّفة كلها . وفيها اثني عشر ألف أسقف . قلت ، وأحاديثه في الغرابة أبعد من هذا . وانتقل إلى العُدوة ، فدخل

بلاد السودان . ثم تُعرَّف أن ملك المغرب استدعاه ، فلهحق ببابه : وأمر بتدوين رحلته (١) .

سائر الأسماء في حرف الميم

الملوك والأمراء ، وما منهم إلا طارىء علينا أو غريب

مَزْدَلِي بن تيولتكان بن حمى بن محمد بن ترقوت بن وزابطن بن منصور
ابن نصاله بن أمية بن واباتن الصنهاجي اللتموني

حاله

كان الأمير مَزْدَلِي عَضْدَ القايم بالدولة اللّتمونية يوسف بن ناشفين ،
وقريبه لالتقائهما في تَرْقُوت ، رَأْسَ به وبرى ، وَجَزَّ وَفَرَى ، فهو شيخ
الدولة اللّتمونية ، وكبير العصابة الصّنهاجية ، بطلاً ثَبَتًا ، بُهْمَةٌ من البُهْمِ
بعيد الصّيت ، عظيم الجَلَد ، شهير الذّكر ، أَصِيلُ الرَّأْيِ ، مُسْتَحْكَمُ
الحُنْكَة ، طال عمره ، وَحُمِدَتْ مواقِعُهُ ، وَبُعِدَتْ غاراتُهُ ، وَعُظِمَتْ في
العدوّ وقايِعُهُ ، وشُكِرَتْ عن سلطانه نيابَتُهُ .

من مناقبه ، استرجاع مدينة بلنسية من أيدي الروم بسعيه ، وردّه إلى
مُلْكَةِ الإسلام بحميد غنايه في مُنتصف رجب عام خمس وخمسين مائة .

(١) إنه لمن بواعث الأسف والدهشة معاً ، أن يقتصر ابن الخطيب في التعريف بابن بطوطة ،
أدبهم الرجل المسلمين ، على هذه الأسطر العليلة ، التي نقلها من خط سرح ابن الحاج . قد دلّنا جرداً به
أن يعطى سيرة هذا الرحالة العظيم ثَبَتًا من الأهمية ، فيعدها إلينا على الأقل في الحيز الممنول الذي
ترجم فيه لمواطنه الرحالة الفرناطى ابن حبير (راجع هذه الترجمة في المجلد الثانى من الإحاطة ص ٢٣٠ -
٢٣٩) والتي عرف فيها بحاله ورحلته ومشيجته ونثره وشعره بأفاضة . ولقد كان ابن الخطيب ، قبل
أن ينسحب لابن بطوطة هذه الترجمة الموجزة ، على ما قد موّه ، صداقاً به . وقد وجدنا وقت أن كان
قاضياً بالسوس بتامسنا (في سنة ٥٧٦٣هـ) أثناء إقامته ببلا ، رسالة يستشير فيها في شراء الأرض
بجواره (راجع هذه الرسالة في كتابنا لسان الدين ابن الخطيب . ص ٣٣٤) .

دخله عرباطه . ولَّى قرطبة و غرناطة وما إليهما من قبيل يوسف بن

ناشقين سنة خمس وخمسمائة

قال ابن الصِّيرفي^(١) . توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شوال عام ثمانية وخمسمائة . غازيا على مقربة من حصن قسطنطينية ، طرق به إلى قرطبة . فوصل يوم الأربعاء ثاني يوم وفاته ، وصَلَّى عليه إثر صلاة العصر الفقيه القاضي بقرطبة أبو القاسم بن حمدين ، ودفنه قريب أبيه ، وبُنيَتْ عليه روضةٌ حسنة . وكان ، نصر الله وجهه ، البقية الصالحة على نهج أمير المسلمين يوسف .

موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهنتاتي

السيد أبو عمران .

حاله

بَيَّنَّته معروف . وكان أديباً شاعراً ، جواداً ، واختصَّ بالعدل ، فجل قَدْرُه في دولته ، وأمله الناس بإشبيليه في حوايجهم لمحلّه منهم . ولما انصرف عنها العادل إلى طلب الخلافة ، قدّمه عليها ، فبلغ الغاية . وفي شوال من عام اثنين وعشرين وستماية ، كانت على جيّشه الواقعة ، أوقعها به السيد أبو محمد البياسي ، وأخباره شهيره . وتوفي تَغْريماً في البَحْر بعد أن وُلِّي بجاية ، رحمه الله وعفما عنه .

شعره

قال ، وكان أبو المطرّف بن عميرة ، يَنشِدُ له ، يخاطب الفقيه

(٢) هو من علماء غرناطة وكتّابها في النصف الأول من القرن السادس الهجري . وقد سبق

التعريف به . (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ١٠٨ حاشية) .

الأديب أبا الحسن بن خريق بسنحته على نظم الشعر في عروض الخب .
 خذ في الأشعار على الخب فقصورك عنه من العجب
 هذا وبنو الآداب قضاوا بعلو مجدك في الرتب
 فنظم له أبو الحسن القصيدة المشهورة ، منها :

أبعيد الشيب هوى وصبا كلاً لا لهواً ولا لعباً
 ذرت الستون برادتها في مسك عذارك فاشتهدا
 ومنها : يا نفس أحيى تصلى أملاً عيشى روحياً تروى عجباً
 وخذى في شكر الكبيرة ما لاح إلا صباح وما ذهباً
 فيها أحرزتُ موارفَ ما أبليت بجِدته الحقباً
 والخمر إذا أغتقت وصفتُ . أعلن ثمناً منها عنباً
 وبقية عمر المرء له أن كان بها طباً درباً
 هبني فيها بلانابته ما هدمه أيام صبا
 دخل غرناطة ، فوجب ذكره مع مثله .

مَنديل بن يعقوب بن عبد الحق بن يحيى الأمير أبو زيان

حاله

كان فاضلاً عاقلاً جواداً ، عينه أبوه أمير المسلمين أبو يوسف بن عبد الحق ، للضرب على أحواز مالقة عند الفتنه . فاضطرب المحلة تجاه سهيل^(١) . وضيع على تلك الأحواز ، وبرز إليه الجيش لنظر موسى بن

(١) سهيل ، وتسمى اليوم بالإسبانية Fuengirola بلدة من إقليم مالقة ، تقع على شاطئ البحر المتوسط ، على قيد نحو ثلاثين كيلو متراً غرب مالقة .

زُخْوٍ من قرابته ، النازعين عن إيالة المغرب من بني رَحُو . وكان اللقاء ،
فوقعت به الدبورة ، وانهزم جيشه ، وقُبِضَ عليه ، وسيق إلى السلطان ،
فتلقاه بالبر ، ورعى ما لبّيته الكبير من الحق ، وأسكنه مجاوراً لقصره
بحمرايه ^(١) ، مرفهاً عليه ، مَحْجُوزاً عن التصرف ، إلى أن كانا تلاحق
هذه الحال من وفاة أبيه السلطان أبي يوسف بالجزيرة الخضراء ، وقصير
الأمر إلى ولده السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف . وتجددت الألفة
وتأكدت المودة ، وارتفعت الإحنة ، فكان ما هو معروف من التقايهما على
تَغِينَةٍ ^(٢) إجازة ملك المغرب أبي يعقوب البحر على ظاهر مَرَبَلَّة ^(٣) ، وصُرف
الأمير أبوزيان محبوباً بما يليق به .

حدثني شيخنا أبو زكريا بن هُدَيْل رحمه الله ، قال ، نُصِبَ للسلطان
أبي يعقوب خِباء احتفل في اتخاذه له أميرُ سَبْتَةٍ ، فبلغ الغاية التي
لاستطيعها الملوك ، سُمُو عماد ، وامتداد ظل ، وانفساح ساحة ، إلى إحكام
الصنعة ، والإيعاء في الزخرف . وقعد فيه السلطان ملك المغرب ، وأجلس
السلطان أمير المسلمين أباً عبد الله ابن الغالب بالله ، عن يمينه ، وأخاه
الأمير أبا زيّان عن يساره ، وقرأ عِشاره المعروفة بالوقاد ، آية الله في حُسن
الصوت ، وبعد ماى السمع ، وطيب النعمة ، قوله عز وجل ، « يا أيها
العزیز مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ ، وجئنا ببضاعة مُزْجاة ، فأوف لنا الكيل ،
وتصدق علينا ، إنَّ الله يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ . قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف

(١) بحمرايه أى قصر الحمراء مقر سلاطين غرناطة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة وفي الإسكوريال (تبة) .

(٣) مَرَبَلَّة . بالإسبانية Marbella ثغر من ثغور شاطئه إسبانيا الجنوبي المسمى بساحل
الشمس Costa del sol ، نظراً لصفاء جوهه ، تقع على نحو ستين كيلو متراً غرب مائة
(و . ا . ح . المحدث) من الإحالة ض ١٩٧ حاشية) .

وأخيه ، إذ أنتم جاهلون ، قالوا إنك لأنت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا ، إنه من يتق ويصبر ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين . قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ، قال لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . فكان مقاماً مبهِتاً . كان السلطان رحمه الله يقول ، لشدة ما جنى على عدو الله بفتحته ، والله لقد كان يُشير بيده إلى السلطان وأخيه عند قوله ، أنا يوسف وهذا أخى . ثم أجاز للعدوة ، فطاح بها لعنه غير بعيد .

وكان الإيقاعُ بجيش الأمير أبي زيّان في أخريات ذى الحجة عام أربعة وثمانين وسبّاية . فاتصل بذلك موتُ والد أمير المسلمين أبي يوسف بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين بعده ، وكان لقاء السُلطانين بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين هذه ، وكان اللقاء كما ذكر في شهر ربيع الآخر من العام المذكور .

ومن الطارئین

المُطَرِّف بن عبد الله بن محمد ابن [عبد الرحمن بن الحكم] بن هشام
ابن عبد الرحمن بن معاوية^(١)

حاله

كان المطرّف ، ولد الخليفة^(٢) عبد الله أمير المسلمين بالأندلس ، شجاعاً مقداماً ، جريئاً . صرّفه والده الخليفة في الغزوات ، وقوّد العساكر ، وهو الذى بنى حصن لَوْشَة . ووقم كثيراً من الخوارج على والده .

(١) وردت نسبة المطرف محرقة في الإسكوريال حيث ذكرت (المطرف بن عبد الله ابن عبد الله) وأسقط منها من بعد محمد اسم (عبد الرحمن) . ولكنها وردت صحيحة في الزيتونة .

(٢) إن استعمال كلمة (الخليفة) هنا هو من باب التجاوز ، لأن عبد الله لم يكن سوى أمير الأندلس ، ولم تبدأ الخلافة إلا من بعده على يد حفيده عبد الرحمن الناصر .

دخوله غرناطة

قال ابن حيان ^(١) غزا المطرّف ببشّير ^(٢) بسبب ابن حفصون ، إذ كان صالح الأمير عبد الله ، ودفع رهينة إبنه ، فلما امتحن الطفل ، وجد غير ابنه ، فنهض إليه المطرّف ، وكان القايد على العسكر قبله عبد الملك ابن أمية ، فنهض صُحبته ، ونازل المطرّف ابن حفصون ، فهتَكَ حَوَزَتَهُ ، وتقدم إلى بِنِيَّةٍ كان ابتناها بموضع يعرف باللّويّات ، فشرع في خرابها ، وخرج ابن حفصون ومن معه من النّصرانية يُدافع عنها ، وعن كنيسة كانت بقربها ، فغلب ابن حفصون ، وهدمت الكنيسة ، وقتل في هذه الحرب حفص بن المرأة قايده ووجوه رجاله ، وعند الفراغ من ذلك . انصرف المطرّف ، فدخل كورة البيرة ، وبنا لَوْشَةً ، وتقدم منها إلى البيرة ودخلها ، ثم طاف بتلك الجهات والحصون ، ثم انصرف .

ذكر إيقاعه بعبد الملك بن أمية وسبب ، الإحنة بينه وبين أبيه

قال ، وفي هذه الحركة ، أوقع بعبد الملك بن أمية ، لما كان في نفسه لصرف والده عن عقد البينة له ، وتمزيق العهد في خبر يطول . وكان والده قد أخذ عليه الميثاق عند خروجه إلى شُدونة ^(٣) ، ألاّ يعرض إليه بمكروه ، وأقسم له بالإيمان ، لين نال منه شيئاً ليعاقبته بمثله ، فلما قتله ، عقد

(١) أبو مروان بن حيان القرطبي من أعظم مؤرخي الأندلس (٣٧٧ - ٤٦٩ هـ) . وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٢ حاشية) .

(٢) ببشّير وبالإسبانية Bobastro ، بلدة حصينة تقع في شمال غربي مالقة ، وعلى مقربة من شمال شرق رندة ، وكانت أيام الفتنة الكبرى من معاقل زعيم ثورة الجنوب ابن حفصون .

(٣) شُدونة أو مدينة شُدونة وبالإسبانية Medina Sidonia ، تقع في منطقة العرثيرة في المثلث الإسباني على مقربة من جنوب شرق شريش ، وعلى مقربة منها كانت الموقعة الحاسمة التي انتصر فيها طارق بن زياد فاتح الأندلس على القوط سنة ٨٩٢ (٧١١ م) .

البوثائق عليه ، وأخذ الشهادات فيها بالظلم والشُّوم خوفاً من أبيه ، وكتب إليه يَعْتَذِرُ له ، وَيُحْكِمُهُ في نفسه .

مقتل المطرف

قال ، وظهرت عليه ، فعال قبيحة ، من أذى جيرانه بما أكَّد غابلة أبيه عليه ، وأعان عليه معاوية بن هشام ، لما ذكروا أنَّ المطرف كان قد خلا به ، فذكروا أنه نَزَلَ يوماً عنده بمنزله ، وأخذوا في حديث الأبناء ، وكان المطرف عقيماً ، فدعا معاوية بِصَبِي يَكْلَفُ به ، فجاء وبرأسه ذؤابتان ، فلما نظر إليه المطرف حسَّده ، وقال يا معاوية ، أتتشبه بأبناء الخلفاء في بنيهم ، وتناول السيف فحزَّ به الذؤابة ، وكان معاوية حيَّة قريش دهاء ومكرًا ، فأظهر الاستحسان لصنعه وانبسط معه في الأُنس ، وهو مضطغن . فلما خرج كتب إلى الخليفة ينسأله اتصاله إليه ، فلما أوصله كاشفه في أمر المطرف [بما أزعجه ، وأقام على ذلك ليلًا أحكم أمره عند الخليفة] ^(١) بلطف حيلته ، فأصاب مقتله سهم سعايته . قال ابن الفياض ، بعث الأمير عبد الله إلى دار ولده المطرف عسكرًا للقبض عليه ، مع ابن مُضَر ، فقوئل في داره حتى أخذ ، وجيء به إليه ، فتشاور الوزراء في قتله ، فأشار عليه بعضهم أن لا يقتله ، وقال بعضهم إن لم تقتله قتلك ، فأمر ابن مُضَر بصرفه إلى داره ، وقتله فيها ، وأن يدفنه تحت الريحانة التي كان يشرب الخمر تحتها ، وهو ابن سبع وعشرين سنة ، وذلك في يوم الأحد ضحى لعشر خلون من رمضان سنة اثنين وثمانين ومائتين .

(١) هذه العبارة الواردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

مُنْذِرُ بْنُ يَحْيَى التَّجِيبِي

أمير الثُّغُرِ الْمُنتَزِي بعد الجماعة بقاعدة سَرَقُسطة ، يَكْنَى أبا الْحَكَمِ
وَيُلَقَّبُ بِالْحَاجِبِ الْمَنْصُورِ ، وَذِي الرِّيَاسَتَيْنِ

حَالُهُ

قال أبو مروان ، وكان [أبو الحكم] ^(١) رجلاً من عَرَضِ الْجَنْدِ ،
وترقَّى إلى القِيَادَةِ آخر دولة ابن أبي عامر . وتناهى أمره في الفِتْنَةِ إلى
الإِمَارَةِ . وكان أبوه من الفُرسان غير النُّبَهَاءِ . فأما ابنه مُنْذِرُ ، فكان فارساً
نَقِيَّ الْقُرُوسَةِ ، خَارِجاً عن مدى الجهل ، يَتَمَسَّكُ بِطَرْفِ ^(٢) من الكِتَابَةِ
السَّاذِجَةِ . وكان على عَدْرِهِ ، كَرِيماً ، وَهَبَ قُصَادَهُ مَالاً عَظِيماً ، فَوَقَدُوا عَلَيْهِ ،
وَعَمُرَتْ لَذَلِكَ حَضْرَتُهُ سَرَقُسطة . فَحَسُنَتْ أَيَّامُهُ ، وَهَتَفَ الْمُدَّاحُ بِذِكْرِهِ .
وفيه يقول أبو عمرو بن درَّاج القَسَطَلِيُّ ^(٣) قصيدته المشهورة ، حين
صَرَفَ إِلَيْهِ وَجْهَهُ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ :

بُشْرَاكَ مِنْ طَوْلِ التَّرْحُلِ وَالسُّرَى صُبْحَ بَرْوَحِ السَّفَرِ لَاحٍ فَاسْفِرَا
مِنْ حَاجِبِ الشَّمْسِ الَّذِي حَجَبَ الدُّجَا فَجَرًّا ^(٤) بَنَاهَا الذَّرَى مُتَفَجِّرَا

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يضرب) .

(٣) هو أبو عمرو (وهو الأرجح في كنيته) أحمد بن محمد بن دراج القسطل ، من أعظم شعراء الأندلس في أواخر عهد المنصور وأوائل عهد الطوائف . ولد سنة ٣٤٧ هـ بقسطة من أعمال جيان . وتوفي سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) وله مدائح كثيرة لأمراء الطوائف . وقد قام على تحقيق ديوانه ونشره الدكتور محمود علي مكِّي (دمشق سنة ١٩٦١) .

(٤) وردت في الإسكوريال (فجري) . والتصويب من الديوان .

نادى بحى على الندى ثم اعتدلا
لبيك أسمعنا نداءك ودوننا
من كل طارق ليل هم^(١) ينتحى
سار ليعدل عن سهايك أنجضى
فكأنما أعدته^(٢) أسباب النوى
أو غار من همى فأنحى شأوها
حتى علفت النسر فاعلقا
فسريت في حرم الألهة مظلمة
وشعيت أفلاذ الفيؤاد ولم أكذ
ست تسراها الجلاء مغرباً
لا يستفيق الصبح منها ما بدا
ظعن ألفن القفر في غول الدجا
يطلبن لج البحر حيث تقاذفت
هيم وما يبتغين دونك مؤردا
من كل نضو الآل محبوبك المنى
بدن فدت منا دماء نحورها
نحرت بنا صدر الدبور فأنبطت
وصبت إلى نحو الصبا فاستخلصت
خوص نفخن بنا البرى حتى انثنت

سبل العفا مهلاً ومكبراً
نوء الكواكب مخويا أو منظرأ
وجهى بوجه من لقايك أزهرأ
وقد ازدهاها عن سنالك محيراً
نور الهدى عن يدك منورا^(٣)
فلك البروج مغرباً ومغوراً
مثنى يدى ملك الملوك النيرا
ورقلت في خلع السموم مهجراً
فحدوت من حدو الشريا منظرأ
وحدا بها حادى النجاء مشراً
فلقأ ولا جدى الفراقدا ما سراً
وتركن مألوف المعاهد مففراً
أماوجه والبر حيث تنكراً
أبدا ولا عن بحر جودك مضدرا
يزجيه نحوك كل محبوبك القرأ
بيغائها فى كل أفق منحرا
قلق المضاجع تحت جو أكذرا
سكن الليالى والنهار المبصرأ
أشلاؤهن كمثل أنصاف البرأ

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الديوان (همى) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الديوان (أغرته)

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال ، ووردت فى الديوان كالتى (تقدر لبعدى

من يدك مقدراً) .

نَذَرْتُ لَنَا أَنْ لَا تُلَاقِي رَاحَةً
وَتَقَاسَمْتَ أَنْ لَا تُسَيِّغَ حَيَاتِهَا
لِلَّهِ أَىْ أِهْلَةً بَلَغَتْ بِنَا
بَلْ أَىْ غُضَنِ فِي ذَرَاكَ هَضْرَتِهِ
فَلَنْ صَفَا مَاءَ الْحَيَاةِ لَدَيْكَ لَى
وَلَنْ خَلَعْتَ عَلَى بُرْدَا أَخْضَرَا
وَلَنْ مَدَدْتَ عَلَى ظِلَا بَارِدَا
[وَكَيْلِن] (٢) جَعَلَ الْحَيَاةَ بِضَاعَةً
فَمَنْ الْمُبْلَغُ عَنْ غَرِيبٍ نَازِحٍ
لَهْفَانَ لَا يَرْتَدُّ [طَرَفُ جَفُونِهِ] (٣)
أَبْنَى لَا تَذْهَبُ بِنَفْسِكَ حُسْرَةً
فَلَنْ تَرَكْتَ اللَّيْلَ فَوْقَ دَاجِيَا
وَلَقَدْ وَرَدَتْ مِيَاهُ مَارِبٍ حُفْلًا
وَنَظَّمْتَ لِلْغَيْدِ الْحَسَانَ قَلَانِدًا
وَحَلَلْتَ أَرْضًا بُدِّلَتْ حَصْبًا وَهَاجَا
وَلِيَعْلَمَ الْأَمْلَاكُ أَنِّي بَعْدَهُمْ
وَرَمَى عَلَى رِدَائِهِ مِنْ دُونِهِمْ
ضَرَبُوا قِدَاحَهُمْ عَلَى فِئَازٍ بَى

مَا تُلَاقِي أَوْ تُلَاقِي مُنْذِرَا
دُونَ ابْنِ يَحْيَى أَوْ تَمُوتَ فَتُعْذِرَا
يُمْنَاكَ يَا بَذَرَ السَّمَاءِ الْمُقِيمِيَا
فَجَرَى (١) فَأَوْرَقَ فِي يَدَيْكَ وَأَثْمَرَا
فَمَا شَرِقَتْ إِلَيْكَ بِالْمَاءِ الصَّرِي
فَلَقَدْ لَيْسَتْ إِلَيْكَ عَيْشًا أَغْبَرَا
فَلَكُمْ صَلَبَتْ إِلَيْكَ جَوًّا مُسْعَرَا
وَرَأَى رِضَاكَ يَهَا رَخِيصًا فَاشْتَرَى
قَلْبَا يَكَادُ عَلَى أَنْ يَتَفَطَّرَا
إِلَّا تَذَكَّرَ عَسْبَرَتِي فَاسْتَعْبَرَا
عَنْ غَوْلٍ رَخِلَى مُنْجِدَا أَوْ مُغَوَّرَا
فَلَقَدْ لَقِيتُ الصَّبْحَ بَعْدَكَ أَزْهَرَا
وَأَسَمْتُ خَيْسَلِي وَسَطَ جَنَّةٍ عَبْرَا
مِنْ تَاجِ كِسْرَى ذَى الْبَهَاءِ وَقَيْصَرَا
ذَهَبًا يَرِفُ لِنَاطِرِي وَجَوْهَرَا
أَلْقَيْتُ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
مَلِكُ تُخَيْرَ لِلْعُلَا فَتَخَيَّرَا
مَنْ كَانَ بِالْقَدَحِ الْمُعَلَّى أَجْدَرَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الديوان (نخر)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الديوان (وكفاك من)

(٣) وردت في الإسكوريال (في أجفانه) بعبارة الديوان (طرف جفونه) أنسب

مِنْ فَلَكَ طَرْفِي مِنْ تَكَالِيفِ الْفَلَاحِ
 وَكُفَا عَيْسَانِي مِنْ أَلَامِ مُعَذِّرَا
 وَمُسَائِلِ عَيْسَى السَّرْفَاقِ وَوُدِّهِ
 وَبَقِيَّتِي فِي لُجَجِ الْأَسَى مُتَضَلِّلَا
 كَلًّا وَقَدْ آتَسْتُ مِنْ هُودِ هُدًى
 وَأَصَبْتُ فِي سَبَابِ مَوْرَثِ مُلْكِهِ
 فَكَاثِمَا تَابَعْتُ تَبِعَ رَافِعَسَا
 وَالْحَارِثُ الْجَنْبِي مَمْنُوعِ الْجِمِي
 وَحَطَطْتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي حَائِمِ
 وَلَقِيتُ زَيْدَ الْخَيْلِ تَحْتَ عَجَاجَةٍ
 وَعَقَدْتُ فِي يَمَنِ مَوَائِقَ ذِمَّةِ
 وَأَتَيْتُ بَحْدَلٍ وَهُوَ يَرْفَعُ مِنْبِرَا
 وَحَطَطْتُ بَيْنَ جِيفَانِهَا وَجُفُونِهَا
 تِلْكَ الْبَحُورُ تَتَابَعَتْ وَخَلَفَتْهَا
 وَلَقَدْ كَسَمْتُكَ وَلَادَةً وَسِيَادَةً
 فَصَمَرْتُ بِالْأَمَالِ (١) أَكْرَمَ أَكْرَمِ
 وَشَمَائِلِ عَقِيتُ بِهَا سُبُلَ الْهُدَى
 أَهْدَى إِلَى شَعَفِ الْقُلُوبِ مِنَ الْهَوَى
 وَمَشَاهِدِ لَكَ لَمْ تَكُنْ أَيْسَاهَا

وَأَجَارَ طَرْفِي مِنْ تَبَارِيحِ السُّرَى
 وَتَدَمَّيْ مَمَّنْ تَحْمِلُ مُعَذِّرَا
 لَوْ تَنْبِذَ السَّانِحَاتِ (٢) رَحْلِي بِالْعَرَا
 وَعَدَلْتُ عَنْ سُبُلِ الْهُدَى مُشَحِيرَا
 وَلَقِيتُ يَغْرُبَ فِي الْقُدُولِ وَجَمِيرَا
 يَسْجَى الْمُلُوكَ وَالْبَدْبُ لَهَا الضَّرَا (٣)
 أَغْلَامَهُ مَلِكَا يَدِينُ لَهُ السُّورَى
 بِالْخَيْلِ وَالْأَسَادِ مَبْذُولُ الْقِرَى
 أَيَّامَ يَقْرَى مَوْسِرَا أَوْ مُعْسِرَا
 يَكْسُو غَلَابِلُهَا الْجِيَادَ الضُّمْرَا
 مَشْدُودَةُ الْأَسْبَابِ مَوْثِقَةُ الْعُرَى
 لِلدِّينِ وَالذَّنْبِ وَيَخْفِضُ مِنْبِرَا
 حَزَمًا أَبَتْ حُرُمَاتُهُ أَنْ تُخْفَرَا
 سَعِيًّا فَكُنْتُ الْجَوْهَرَ الْمُتَخَيَّرَا
 وَكَسَمْتُكَ عَزًّا وَابْتَنَنُوا لَكَ مَفْعَرَا
 مُلْكًا وَرَثْتُ عُلَاهُ أَكْبَرَ أَكْبَرَا
 وَذَرْتُ عَلَى الْآفَاقِ مِسْكَأً أَذْفَرَا
 وَأَلَذُّ فِي الْأَجْفَانِ مِنْ طَعْمِ الْكَرَى
 ظَنًّا يَرِيبُ وَلَا حَدِيثًا يُفْتَسِرَى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (السادات) .

(٢) هذا البيت ساقط في الإسكوريال . ووارد في الديوان .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الديوان (بالإقبال) .

لاقيت فيها الموت أسود أذهما فدعرتَه بالسيف أبيض أخمرا
 ولو اجتلى في زى قرنيك معلماً لتركتَه تحت العجاج مُعَفِّراً
 يا من تكبَّر بالتكرم قدره حتى تكسرم أن يرى مُتَكَبِّراً
 والمنذر الأعداء بالبشرى لنا صدقت صفاتك مُنذراً ومُيَشِّراً
 ما صور الإيمان في قلب امرئ حتى يراك الله فيه مُصَوِّراً
 فارفع لها علم الهدى فلمثلها رفعتك أعلام السيادة في الذرى
 وانصر نصرت من السماء فائما ناسبت^(١) أنصار النبي لتُنْصِراً
 واسلم ولا وجئوا لجوكم منفساً في النائبات ولا لبحرك مغبراً^(٢)

سيرته

قال ، وساس لأول ولايته عظيم القرنحة . فحفظت أطرافه ، وبلغ من
 اسمائه طوائف النصرانية ، أن جرى على يديه بحضرته . عقد مصاهرة
 بعضهم^(٣) ، فقرفته الألسنة لسعيه في [نظام سلك النصارى]^(٤) . وعمر
 به الثغر إلى أن أئوت به المنيّة . وقد اعترف له الناس بالرأى والسياسة .

-
- (١) هكذا وردت في الديوان وفي الإسكوريال (ناصبت) والاول أرجح .
 (٢) لم يرد في الزيتونة من هذه القصيدة سوى البيتين الأولين . ووردت القصيدة برمتها
 في ديوان ابن دراج الفسطلي السابق ذكره (ص ١٢٤ - ١٢١) . وأورد منها ابن بسام
 في الذخيرة ثلاثين بيتاً (القسم الأول من المجلد الأول ص ٥٦ - ٥٨ طبعة الجمعه المصرية) .
 (٣) كانت هذه المصاهرة بين سانشو ملك نافار (أنبره) ورامون بوربل أمير برشلونة
 حيث اقترن الأول بأبنة الثاني . وعقد الزواج بقصر الأمير المنذر بقرطبة . وحضره الفقهاء
 والقساوسة وأعيان الملتن .
 (٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الربووس دلاتي :
 (نظام ملك النبار) وملك النبار ، هنا يعنى ملك نافار أونبره ، وكلا القراءتين صحيحة ، وتؤدى
 معنى متاسيا .

كِتَابِهِ واستكتب عدة كتاب كاهن مدور وابن أزرَق . وابن واجب وغيرهم .

وصوله إلى غرناطة

وصل غرناطة صُحبة الأمير المُرتضى الآتي ذكره ، وكان من انهزم بانهبائه . وذكروا أنه مرَّ بسليمان بن هُود ، وهو مُثبِت للإفرنج الذين كانوا في المحلّة لا يريم موقفه^(١) ، فصاح به النجاة ، يا ابن الفاعلة ، فلستُ أقف عليك ، فقال له سليمان ، جيت والله بها صلماً ، وفَضَحْتُ أهل الأندلس ، ثم انقلع وراءه .

وفاته

وكانت على يَدَي رجل من أبناء عمه يدعى عبد الله بن حَكَم ، كان مُقَدِّماً في قُواده ، أضمر غدره ، فدخل عليه ، وهو غافل في غِلالة ، ليس عنده إلا نفرٌ من خواصّ خَدَمه الصُّقُلب ، قد أكبَّ على كتاب يقرؤه ، ففلاه بسِكِّين أجهاز به عليه . وأجفل الخدم إلّا شَهِمٌ منهم أكبَّ عليه فمات معه . ومَلَك سَرَقُسطة ، وتمسَّك بها أياماً ، ثم فرَّ عنها ، ومَلَكها ابن هُود . وكان الإيقاع به غرة ذى حجة سنة ثلاثين وأربعمائة ، رحمة الله عليه .

موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يَغْمَر ابن بن زيَّان
الأمير ينلمسان ، يكنى أبا حَمُو .

(١) أى لا يبرحه .

أُولَيْسْتَه

أُولَيْسْتَه معروفة تنظر فيها سلف من الأسماء .

حاله

هذا السلطان مُجْمَعٌ عَلَى حَزْمِهِ ، وَضَمَّهُ لَأَطْرَافِ مُلْكِهِ ، وَاضْطَلَعَهُ
بِأَعْبَاءِ مُلْكٍ وَطَنِهِ ، وَصَبَّرَهُ لِدَوْلَةِ قَوْمِهِ ، وَطَلَّوعَهُ بِسِعَادَةِ قَبِيلِهِ . عَاقِلٌ ،
حَازِمٌ . حَصِيفٌ ، ثَابِتُ الْجَأْشِ ، وَقَوْرٌ مَهِينٌ ، جَمَاعَةٌ لِلنَّالِ ، مَبَاشِرٌ
لِلْأُمُورِ ، هَاجِرٌ لِلذَّاتِ ، يَقِظٌ ، مُتَشَمِّرٌ . قَامَ بِالْأَمْرِ غُرَّةَ ربيعِ الأولِ فِي عِلَامِ
سِتِينَ^(١) ، مُرْتَاشِ الْجَنَاحِ بِالْأَخْلَافِ مِنْ عَرَبِ الْقِبْلَةِ ، مَعُولًا عَلَيْهِمْ عِنْدَ
قَصْدِ عَذْوِهِ ، وَحَلَبِ ضِرْعِ الْجَبَايَةِ ، فَأَثَرَى بَيْتُ مَالِهِ ، وَتَبَهَّتْ دَوْلَتُهُ ،
وَاتَّقَتْهُ جِيرَتُهُ ، فَهُوَ الْيَوْمَ مِمَّنْ يُشارُ إِلَيْهِ بِالسَّدَادِ .

أدبه وشعره

ووجهٌ لهذا العهد في جُمْلَةِ هدايا وَدِّيَّةٍ ، وَمَقَاصِدِ سِنِيَّةٍ ، نَسَخَةٌ مِنْ
كِتَابِهِ الْمُسَمَّى «بِوَسِيَّةِ السُّلُوكِ فِي سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ»^(٢) ، افْتَتَحَهُ بِقَوْلِهِ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ نِعْمَتَهُ عَلَى الْخَلْقِ ، بِمَا أَلْفَمَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ،
شَامِلَةً شَايِعَةً ، وَيَسَّرَ طَوَائِفَ مِنْ عِبَادِهِ لِلْيُسْرَى ، فَأَتَتْ إِلَيْهَا مُسَاعَدَةٌ
مُسَارِعَةً ، وَحَضَّهَمَ عَلَى الْأَخْذِ بِالْحُسْنَى ، وَلَا أَحْسَنُ مِنْ نَفُوسِ أُرْشِدَاتِ ،

(١) أَمِنْ سِتَةِ سَهَابَةِ وَسِتِينَ ٨٧٦٠ .

(٢) وَجَدَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ نَسَخَةَ مَحْطُوطَةٍ مَخْبِيَةِ جَرَانِزِ الرَّطْبَةِ حَفِظَ بِهَا فِي ١٣٧٤ مِنْ
بِهْرَسِ Pagnan . وَتَقَعُ هَذِهِ النُّسخَةُ فِي ٩٣ لَوْحَةٍ كَتَبَهَا مَكْتُوبَةٌ بِحِطِّ مَغْرِبِي . وَفِيهَا اِطْلَعْنَا عَلَى الْكِتَابِ
وَهُوَ يَحْتَوِي عَلَى أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ . الْأَوَّلُ فِي «الْوَسَائِلِ وَالْخَدَمِ» وَالثَّانِي فِي «فَوَائِدِ الْمُلِكِ وَأَرْكَانِهِ»
وَالثَّالِثُ فِي «الْأَوْصَافِ الَّتِي هِيَ نِظَامُ الْمُلِكِ» وَالرَّابِعُ فِي «الْفَرَاغَةِ» وَيَسْخُلُ هَذِهِ الْأَبْوَابُ
كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَايَاتِ وَالسَّوَابِقِ .

فَأَقْبَلَتْ لِإِرْتِبَا طَالِبَةً وَلِرَبِّهَا طَائِعَةً . وَلَا أَسْمَى مِنْ هِمَمٍ نَظَرَتْ بِحُسْنِ
السِّيَاسَةِ فِي تَدْبِيرِ الرِّيَاسَةِ . الَّتِي هِيَ لِأَشْنَاتِ الْمَلِكِ جَامِعَةٌ . وَلِأَسْبَابِ
الْمَلِكِ مَانِعَةٌ ، وَأَظْهَرَتْ مِنْ مَعَادِنِهَا دُرَرُ الْحِكْمِ ، وَغُرَرُ الْكَلِمِ لَايِحَةُ لَامِعَةٌ ،
فَاجْتَلَتْ أَقْمَارَهَا طَالِعَةً ، وَاجْتَنَنْتْ أَزْهَارَهَا يَانِعَةً . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الْكَرِيمِ ، الْمَبْعُوثِ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ ، سَاطِئَةً سَاطِئَةً ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْمُعْجَمَاتِ
قَاصِمَةً لَظُهُورِ الْجَاحِدِينَ قَاطِعَةً . الَّذِي زُوِيَتْ لَهُ الْأَرْضُ ، فَتَدَانَتْ أَفْكَارُهَا
وَهِيَ نَابِيَةٌ شَاسِعَةٌ ، وَاشْتَاقَتْ لَهُ الْمِيَاهُ ، فَفَبَرَزَتْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ يَانِعَةً ،
وَأَمْتَثَلَ السَّحَابُ أَمْرَهُ ، فَسَحَّ بِاسْتِسْقَايِهِ دُرَرًا هَامِيَةً هَامِعَةً ، وَحَنَّ الْجَذَعُ
لَهُ ، وَكَانَ حَنِينُهُ لِهَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ آيَةً رَابِعَةً ، إِلَى مَا لَا يُحْصَى : مَا أَتَتْ
بِهِ مُتَوَاتِرَاتِ الْأَخْبَارِ ، وَصَيِّحَاتِ الْأَثَارِ ، نَاصِرَةً لِنُبُوَّتِهِ سَاطِعَةً . صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَعِزَّتْهُ أَلَّتِي أَجَابَتْ دَاعِيَ اللَّهِ خَاشِيَةً خَاشِعَةً ،
وَأَذَعَنْتْ لِأَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَتْ مِنَ الْاسْتِيْدَادِ
خَالِيَةً ، وَلِلْأَنْدَادِ خَالِعَةً ، صَلَاةً دَائِمَةً مُتَتَابِعَةً ، وَسَلَامٌ كَثِيرًا » .
جَمَعَ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنْ أَخْبَارِ الْمُلُوكِ وَسَيَرِهِمْ ، وَخَصَّ بِهِ وَلَدَهُ وَوَلَّى عَهْدَهُ ،
فَجَاءَ مَجْمُوعًا يُسْتَنْظَرُ مِنْ مِثْلِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى مَكَانِهِ مِنَ الْأَدَبِ وَمَحَلِّهِ .
وَتَبَيَّنَ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنْ شِعْرِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةٌ أَجَابَ فِيهَا أَحَدَ
رُؤُوسِ الْقَبَائِلِ ، وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ الرُّجُوعَ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَالْإِنْتِظَامَ فِي سَبِيلِ
جَمَاعَتِهِ ، وَهِيَ :

تَذَكَّرْتُ أَطْلَالَ الرَّبُوعِ الطَّوَاسِمِ	وَمَا قَدْ مَضَى مِنْ عَهْدِهَا الْمُتَقَادِمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ [بَعْدَ أَنْسِيهَا] ^(١)	بِصَبْرِ مُنَافٍ أَوْ بِشَوْقٍ مُلَازِمِ
نَهَيْتُ بِمَعْنَاهُمْ وَتَنَدَّبَ رَبِّعُهُمْ	وَأَيَّ فُؤَادٍ بَعْدَهُمْ غَيْرُ هَاسِمِ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْمُبَارَةُ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (هَذَا نَسِيْمَا)

وما حبُّ سلمى ومن سَكَنَ الحمى
فلا تَنْدِبِ الأطلالَ واسلُ عن الهوى
فإنَّ الهوى لا يَسْتَفِيزُ ذوى النُهَى
صبورٌ على البَلوى طَهُورٌ من الهوى
ومن يَبِغْ دَرْكَ المَعْلَوَاتِ ونَيْلِهَا
ولا يَمُتْ لما رَكِبْنَا إلى العُلا
تقول بإشفاقٍ أَتَنَسَى هوى الدِّمَا
إليك فإنَّا لا يَرُدُّ اعتزَامُنَا
ألم تَذَرِ أن اللومَ لومٌ وأننا
فما بسوى العُلَيَا هِمْنَا جِلَالَةً
بزوق السُّيُوفِ المَشْرِفِيَّاتِ والقَنَا
وأما صَمِيلُ السَّابِحَاتِ لَذَى الوَعَى
وأحسنُ من قَدِّ الفَتْسَاةِ وخَدَّهَا
إذا نحن جَرَدْنَا الصُّوَارِمَ لم تَعُدْ
نواصل بين الهند [وإلى الطَّلَا] (١)
فیرغب منا السَّلمُ كلُّ مُحَارِبٍ
نَقُودٍ إلى الهَيْجَاءِ كلُّ مُضْمَرٍ
وما كلُّ من قَادَ الجِيُوشَ إلى العِدا
وننصر مظلوما ونمنع ظالما
ويأوى إلينا المُسْتَجِيرَ ويلتجى

وما حبُّ سلمى للفتى بمُسالِمٍ
ولا تَقُلْ في تَذْكَارِ تلكِ المعَالِمِ
ولا يَسْتَهِي إِلَّا الضَّعِيفُ العَسَاوِمِ
قريبٌ من التَّقْوَى بعيدُ المَأْتَمِ
يُسَاقُ بِخَلْقِ الشَّهْدِ مُرَّ العَلَاظِمِ
بحارِ الرَّدَى قِي لَجْهَ المَتَلَاظِمِ
وتنثُرُ دُرَرًا مِنْ دُمُوعِ سَوَاجِمِ
مقالةً بآكٍ أو ملامَةً لا يَمِ
لنجنب اللومَ اجتنابَ المحارِمِ
إذا هام قومٌ بالحسانِ النُّواعمِ
أحبُّ إلينا من بروقِ المباسِمِ
فأشجى لدينا من غِنَا الحمايمِ
قدودِ العوالى أو خلودِ الصُّوَارِمِ
إلا غِمَادُهَا الأَبْحَرُ البِغْلَاصِمِ
بتفريقِ مابينِ الطُّلَى والجِماجمِ
ويَرْهَبُ مِنَّا الحربُ كلُّ مُسَالِمِ
ونقدم إقدامَ الأسودِ الضُّرَاغِمِ
يعسودُ إلى أوطانِهِ بالغِشَائِمِ
إذا شِيكَ مظلومٌ بشَوْكَةِ ظالمِ
ويحميه مِنَّا كلُّ لَيْثٍ صِيَارِمِ (٢)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزينونة (وإلى الطَّلَا) .

(٢) هكذا وردت في « الزينونة » . وفي الإسكوريال (ضبارم) .

ألم تر إذ جاء السبيعي^(١) قاصدا
وذلك لما أن جفاه صحابه
وأزْمَع إرسالاً إلينا رسالة
وكان رأى أن المهمة^(٢) بيننا
وقال ألا سَلْ من عليم مجرب
فيلبِّغ عنه الآن خير رسالة
على ناقة وجناء كالحرف ضامر
[من اللابي يُظلمن الظلم إذا عدى
إذا أتلعت فوق السحاب جوابها
وإن هملجت بالسير في وسط مهمه
ولم يَأْمَنْ الخَلَان بعد اختلاهم
فقالوا فحملها الحمايم قال لا
وما القصد إلا في الوصول بسرعة
فقال لنعم المرسلات وإثما
فلم يَلَفَ فيها للأمانة مَوْضِعاً
فحينئذ وافى إلينا بنفسه
يجوب إلينا البَيْدَاء قصداً وبشرنا^(٦)
طُلاب العلا تَسْرَى مع الوحش في الفلا ويَصْحَبُ منها كلُّ باغٍ وباغِم

إلى بابنا يَبْغِي^(٢) التماس المكارم
وكلُّ خليل ودُّه غير دايِم
بإخلاص ودُّ واجب غير واجم
فخلَى لذات الخُفِّ ذات المنايم
أبثُّ له ما تحت طيِّ الحيازِم
تودّي إلى خير الملوك الأعاضِم
تَخَيَّرَهَا^(٤) بين القِلاصِ الرواسِم
ويُشَبِّهه في جيسده والقوايم
تَخَيَّلَتْهَا تَعَضُّ السَّحَابِ الرُّوَّاكِم^(٥)
نَزَلَتْ كمثل البرق لاح لشايم
فأَمْسَى وفي أكبادها أي جاجِم
لُبَعْد المدا أو خَوْف صَيْدِ الحمايم
فقالوا فحملها أَكُفِّ النواصِم
لها ألسُن مشهورة بالنهـايم
وكلُّ امرئ للسر ليس بكاسِم
فكان لدينا خيرُ واف وقسام
يُضَيُّ له الظُّلَماء في كلِّ عاتم
يُجَوِّب إلينا البَيْدَاء قصداً وبشرنا^(٦)

(١) هكذا وردت في « الزيتونة ». وفي الإسكوريال (السبيع) والأولى أنسب للوزن .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بكى) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الملامة) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (نجريها) .

(٥) هذان البيتان واردان في الإسكوريال وساقطان في الزيتونة .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سرناء) .

على سَلَهَبٍ^(١) ذى صوتين مُطْعَمٌ^(٢)
 إذا شاء أى الوحش أدركه به
 ويُقدِّمه طوعاً إلينا رجلوه
 ألا أيها الآتى لظلِّ حناننا
 وقوبلتَ منا بالذى أنتَ أهلكه
 كذا دأبنا للقادمين محلنا
 وهذا جوابٌ عن نظامك إننا
 ونحن ذوو التيجان من آل حمير
 بهمتنا العلىا سمونا إلى العلا
 شددنا لها أزراً وشدنا بنساءها
 نظمنا شتيت المجد بعد افتراقه
 ورضنا جواد الملك بعد جماحها
 مناقبُ زِيَانِيَّةٍ^(٣) موسويَّةٍ
 يقصُر عن إدراكها كلُّ مُبتَغٍ
 فله منا الحمدُ والشكر دائماً
 ونختصُّكم منا السلام الأثير ما

من المغربات الصافات الصلادم
 فتحسبه في البيد بعض النعائم
 حمايتنا لإيماهُ من كل ظالم
 نزلت برحب في عراض المكارم
 وفاض عليك الجودُ فيض الغمام
 حمى وندأ ينسى به جود حاتم
 بعثنا به كاللؤلؤ المتناظم
 لعمرك ما التيجان غير الغمام
 وكم دون إدراك العلا من ملاحم
 وكم مكثت دهرأ بغير دعائم
 وكم بات نهبا شمله دون ناظم
 فذلت وقد كانت صعب الشكائم
 يذل لها عز الملوك القماقم
 ويعجز عن إحصائها كل ناظم
 وصلى الله على المختار من آل هاشم
 تضاحك روض عن بكاء الغمام

قلت ، ولما تعرفتُ كلفه بالأدب . والإمام بمجاورته ، عزمت على
 لقايه ، وتشوقتُ عند العزم على الرحلة الحجازية . إلى زيارته ، ولذلك
 كنت أخطبه بكلمة منها :

(١) فرس سلهب أى طويل ، وخيل سلاهب .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مطعم) .

(٣) نسبة إلى ينمراسن بن زيان بن ثابت زعيم بنى عبد الواد ، ومؤسس مملكة تلمسك
 المستقلة في سنة ٨٦٤٠ ، ورأس هذه الأسرة الملوكية .

على قَدَرٍ قد جِيتَ قومَكَ يا موسى فجَلَّتْ بك التَّعَمَّى وزالت بك البُوسى
فجَالَتْ دون ذلك الأحوال . وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد .
وفقه الله ، وسائر من تولَّى أمراً من أمور المسلمين .
وجرى ذكره في رجز الدول ^(١) من نظمي :

بأَدْرَها المُفَدَّى الهَمَامُ موسى فأذهب الرحمن عنها البُوسى
جدد فيها المَلِكُ لما أخلقها وبعث السَّعد وقد كان لقسا
ورَتَّبَ الرُّتبا والرُّسوما وأطلَّع الشُّمس والنُّجوما
واختَجنَ المال بها والعُدَّة وهو بها باق لهُدى المُدَّة
ولد بمدينة غرناطة حسبا وقعت عليه بخط الثقة من ناسه ، في أول عام
ثلاثة وعشرين وسبعماية ^(٢) .

مُبارك ومُظَفَّر الأميران مَوليا المنصور بن أبي عامر

حالهما

قال أبو مروان ^(٣) ، ترقياً إلى تَمَلُّك بَلَنَسِيَّة من وكالة السَّاقية ،
وظَهر من سياستهما وتعاوُضهما صَحَّة الألفه طول حياتهما ، ما فاتنا به في
معناها أَشِقَاء الأُخوة ، وعُشاق الأَحِبَّة . إذ نَزَلَا معاً بقصر الإمارة مُخْتَلِطِينَ ،
تجمعهما مائدة واحدة من غير تَمَيُّز في شَيْء ، إلا الحَرَم خاصَّة . وكان
التَّقَدُّم لِمُبارك في المُخاطبة . وحفظ رسوم الإمارة . أَفْضَلُ صِرامَةً وِذْكَراً ،

(١) يقصد ابن الخطيب هنا الإشارة إلى كتابة (رقم الحلل في نظم الدول) وقد عرفنا به
في مقدمة هذا الكتاب .

(٢) توفى السلطان العالم الأديب أبو حو - موسى بن يوسف بن عبد الرحمن في سنة
٧٩١ هـ ، قتيلاً خلال ثورة قام بها ولده أبرتاشفين لانتزاع الملك منه بمعاونة بني مرين .

(٣) يعنى أبو مروان ابن حيان (بن خلف بن حيان) .

قَصَرَ عَنْهُمَا مُظَفَّرٌ ، لَدُمَا تَخَلَّقَهُ ، وَانْحِطَاطُهُ لِمُصَاحِبِهِ فِي سَائِرِ أَمْرِهِ ، عَلَى نَحْوِ نَحْوَتِهِ بِكِتَابَةِ سَازِجَةٍ وَفَرُوسَةٍ ، فَيُلَاحِظُ الْغَايَةَ مِنْ اقْتِنَاءِ الْأَسْلِحَةِ وَالْآلَاتِ الْمَلُوكِيَةِ ، وَالْخَيْلِ الْمُغْرِبَاتِ ، وَنَفْسِ الْحُلِيِّ وَالْخَلَلِ ، وَإِشَادَةِ الْبِنَاءِ لِلْقُصُورِ . وَاشْتَمَلَ هَذَا الرَّأْيُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِمَا ، وَمِنْ تَعَلُّقِ بَهِمَا مِنْ وَزَرِيهِمَا وَكُتَّابِهِمَا ، وَلَمْ يَغْرِضْ لَهَا عَارِضٌ إِنْفَاقٍ يَتَلَكَّ الْآفَاقُ ^(١) ، فَانْتَفَسَا فِي النِّعَمِ إِلَى قِيَمِ رُؤُوسِهِمَا حَتَّى انْقَضَى أَمْرُهُمَا .

قَالَ ، وَكَانَ مَوْتُ مُبَارَكٍ أَنَّهُ رَكِبَ يَوْمًا مِنْ قِصْرِ بَلَنْسِيَةِ ، وَقَدْ تَعَرَّضَ أَهْلُهَا مُسْتَعِثِّينَ مِنْ مَالٍ افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ ، إِنْ كُنْتُ لَا أُرِيدُ إِنْفَاقَهُ فِيمَا يَغْنَمُ الْمُسْلِمِينَ نَفْعُهُ ، فَلَا تُؤَخِّرْ عِقُوبَتِي يَوْمِي هَذَا . وَرَكِبَ لِأَثَرِ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَتَى الْقَنْطَرَةَ ، وَكَانَتْ مِنْ خَشَبٍ ، خَرَجَتْ وَجُلُ فَرَسِهِ مِنْ خَدِّهَا فَرَمَى بِهِ أَسْفَلَهَا ، وَاعْتَرَضَتْهُ خَشَبَةٌ نَاتِيَةٌ شَرَحَتْ وَجْهَهُ ، وَسَقَطَ الْفَرَسُ عَلَيْهِ ، فَفَاضَتْ نَفْسُهُ ، وَكَفَاهُمْ اللَّهُ أَمْرَهُ يَوْمَئِذٍ .

وَفِي مُبَارَكٍ وَمُظَفَّرٍ يَقُولُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ دُرَّاجٍ الْقَسْطَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَنُورِكَ أُمٌّ أَوْقَدَتْ بِاللَّيْلِ نَارَكَ	لِبَاغٍ قِرَارَكَ أَوْ لِبَاغٍ جَمُورَكَ
وَرِيَاكَ أُمٌّ عَرَفُ الْمَجَامِرِ أَشْعَلَتْ	بَعُودَ الْكِبَاءِ وَالْأَلْوَةِ نَارَكَ
وَمَبْسِمُكَ الْوَضَاحُ أُمٌّ ضَوْءُ بَارِقٍ	حَدَاهُ دُعَائِي أَنْ يَجُودَ دِيَارَكَ
[وَخَلْخَالَكَ اسْتَنْصِيَتْ أُمٌّ قَمَرٌ بَدَا	وَشَمْسٌ تَبَدَّتْ أُمٌّ أَلَحَتْ سَوَارَكَ] ^(٢)
وَطَرَةٌ صُبْحُ أُمٍّ جَبِينُكَ سَافِرًا	أَعَرَّتِ الصَّبَاحُ نَوْرَهُ أُمٌّ أَعَارَكَ
وَأَنْتَ هَجَرْتَ ^(٣) اللَّيْلَ إِذْ هَزَمَ الضُّحَى	كُتَابَهُ وَالصُّبْحَ لَمَّا اسْتَجَارَكَ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (الْإِقْطَارِ) .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ وَارِدٌ فِي دِيْوَانِ ابْنِ دُرَّاجٍ (السَّابِقُ التَّعْرِيفُ بِهِ) وَسَاقَطَ فِي الْإِسْكُورِيَالِ

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الدِّيْوَانِ (أَجْرَتْ) .

فللصبح فيما بين قرطبك مطلع
 فبالتهنار لا يُغيض ظلامه
 ونجم الثريا أم لآل تقسمت
 لسلطان حسن في بديع محاسن
 وجند غرام في دروع صباية
 هو الدلك لا بلقيس أدرك شأوها
 وقادحة^(١) الجزاء راعيت موهناً
 وطيفك أسرى فاستنار تشوق
 وموقد^(٢) أنفاسي إليك استطارني
 فكم جرت من بحر إلى ومهمة
 [أذو الحظ من علم الكتاب حدالك إلى
 وكيف كتمت الليل وجهك مظلماً
 وكيف اعتسفت البید لافي ظعائن
 ولا أذن الحى الجميع برحلة
 ولا أزممت خوص المهارى مجيبة
 ولا أذكت الركبان عنك عيونها
 وكيف رضيت الليل ملبس طارق
 وكم دون رخلي من بروج^(٣) مشيدة

وقد سكن الليل البهيم خمارك
 وبالظلام لا يُغيض نهارك
 يمينك إذ ضمختها أم يسارك
 يصيد القلوب النافرات نيفارك
 تقلدن أقدار الهوى واقتدارك
 مدالك ولا الزبائن شقت لجبارك
 بحر هواك أم ترسمت أدارك
 إلى العهد أم شوق إليك استشارك
 أم الروح لمارد في استطارك
 يكاد ينسى المستهام أذكارك
 أم الفلك الدوار نحوى أدارك^(٤)
 أشعرك أغشيت^(٥) السنا أم شعارك
 ولا شجر الخطى حفف شجارك
 أراح لها راعي المخاض عشارك
 صهيل جباد يكتنفن قطارك
 حذار عيون لا ينمن حذارك
 وما ذر قرن الشمس إلا استنارك
 تحرّم من قرب المزار مزارك

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (وقادمة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (ومرتد) .

(٣) هذا البيت ساقط في الإسكوريال ووارد في الديوان .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (أغشيت) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (قصور) .

وقد زارتُ حولي أسودٌ تهاَمست
 وأرضي سيلولٌ من خيولٍ مُظفَّر
 بحيثُ وجدتُ الأمنَ يهتفُ بالمُنَى
 هَلُمِّي إلى بحرَينِ قد مَرَجَ النَّدَى
 هَلُمِّي إلى سَيْفَينِ والحدُّ واحدٌ
 هَلُمِّي إلى طِرْفِي رِهانَ تقدُّما
 هَلُمِّي إلى قُطْبِي نجومَ كتائب
 وحِي^(٢) على دَوْحَينِ جادَ نَداهما
 وبُشراكِ قد فازتُ قِداحُك بالعلَا^(٤)
 شريكانِ في صِدْقِ المُنَى وكلاهما
 هما سَمعا دعواك يادعوة الهدى
 [وسلّا سيوفاً لم تزل تَلْتَظِي أَسَى
 ويَهْنِيكَ يا دارَ الخلافَةِ منهما
 كلا القَمَرِينِ بين عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ
 فقادَ إِلَيْكَ الخيلَ شُعْناً شوازيها
 سوابِقَ هَيْجاءَ كأنَّ صهيلَها
 بكلِّ سَرَى العِتقِ سَرَى عن الهدى
 لها الأسدُ أنْ كُفِّي عن السَّمعِ زارَكِ
 وليلى نجومٌ من سماءِ مُبشارَكِ
 هَلُمِّي إلى عَيْنَينِ جادا سَراَرَكِ
 عُبَابَيهما لا يَسْأَمانَ انْتِظارَكِ
 يُجيرانِ من صَرَفِ الحوادثِ جارَكِ
 إلى الأَمَدِ الجالِي عليك اختيارَكِ
 تنادى نجومَ النُّعسِ غُورى مَغارَكِ^(١)
 ظلالُكَ واستَدْنِي إِلَيْكَ^(٣) ثِمَارَكِ
 وأُعْطيتِ من هذا الأَنامِ خيارَكِ
 إذا قارَنَ^(٥) الأَقْرانِ غيرَ مُشارَكِ
 وقد أوثقَ الدهرُ الخُثُونِ إِسارَكِ
 بشارِكِ حتى أَدْرَكَكَ لكَ ثارَكِ
 هِلالانِ لاحا يَرُفَعانِ مَنارَكِ
 أثارتِ كُسُوفَيكِ وجَلَّتِ سِراَرَكِ^(٦)
 يُلبِّينِ بالنُّصرِ العَزيزِ انتِصارَكِ
 يُجاوبُ تحتَ الخافِقاتِ شِعارَكِ
 وكلِّ حَمِيٍّ الأَنفِ أَخْمى ذِمَارَكِ

- (١) هذا البيت وارد في الإسكوريال وساقط في الديوان .
 (٢) هكذا وردت في الديوان . وفي الإسكوريال (وحبا) .
 (٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الديوان (إلى) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الديوان (بالمُنَى) .
 (٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الديوان (بارز) .
 (٦) هذه الأبيات الثلاثة واردة في الديوان وساقطة في الإسكوريال .

تَحَلُّوا مِنَ الْمَنْصُورِ نَصْرًا وَعِزَّةً
 إِذَا انْتَسَبُوا يَوْمَ الطَّعَانِ لِعَامِرٍ
 يَقُودُهُمْ مِنْهُمْ سِرَاجُ كِتَابٍ
 إِذَا افْتَرَّتِ الرَّايِسَاتُ عَنْ غُرَّتَيْهِمَا
 وَإِنْ أَشْرَقَ النَّادَى بِنُورِ سَنَاهِمَا
 وَكَمْ كَشَفْنَا مِنْ كُرْبَةٍ بَعْدَ كُرْبَةٍ
 وَكَمْ لَبَّيَّا مِنْ دَعْوَةٍ وَتَسْدَارِكَا
 وَيَانْفَسَ غَاوٍ كَمْ أَقْرَأَ نَفْسَارَكَ
 وَلَسْتُ بِبِدْعٍ حِينَ قُلْتُ لَهُمَّتِي
 [فَلَلَهُ صِدْقُ الْعَزْمِ آيَةٌ غِرَّةٌ
 فَإِنْ غَالَتْ الْبَيْدُ اصْطَبَارَكَ وَالسُّرَى
 وَيَاخُلَّةُ التَّسْوِيفِ قَوْمِي فَأَغْدِقِي
] وَحُسْبُكَ بِي يَاخُلَّةُ النَّأْيِ خَاطِرِي
 فَقَدْ آتَى إِعْطَاءُ النَّوَى صَفْقَةَ الْهَوَى
 وَيَاسُتُرُ الْبَيْضِ النَّسْوَاعِمِ أَعْلَى
 نَوَاجِسِي وَاسْتَوْدَعْتُهُنَّ نَوَاجِيسَا
 وَدُونَكَ أَفْلَاذُ الْفَوَادِ فَشَمَّرِي
 صَرَفْتُ الْكَرَى عَنْهَا بِمُعْتَبَقِ السُّرَى^(٥)

فَأَبْلَوْكَ فِي يَوْمِ الْبَسَاءِ اخْتِيَارَكَ
 فَعُمَّرَكَ يَا هَامَ الْعِدَى لَا عَمَارَكَ
 يَقُولَانِ لِلدُّنْيَا أَجْدَى انْتِخَارَكَ
 فَيَا لِلْعِدَى أَضَلَلْتُ مِنْهُمْ فِرَارَكَ
 فَيُشْرِي الْأَمَانِي عَيْنَكَ لَا ضِمَارَكَ
 تَقُولُ لَهَا النِّسِيرَانُ كُفِّي أَوَارَكَ
 شَفَى رَمَقِي مَا كَانَ بِالْمُتَدَارِكِ
 وَيَارْجُلِ هَاوٍ كَمْ أَقْلَا عِشَارَكَ
 أَقْلَى لِإِعْتَابِ الزَّمَانِ انْتِظَارَكَ
 إِذَا لَمْ تُطِيعِي فِي لَعَلِّ اغْتِيَارَكَ^(١)
 فَمَا غَالِ ضَيْمُ الْكَاشِحِينَ اصْطَبَارَكَ
 قَبَاعَكَ مِنْ دُونِي وَشَدَى إِزَارَكَ
 بِنَفْسِي إِلَى الْحِظِّ النَّفِيسِ حِطَارَكَ^(٢)
 وَقَوْلُكَ لِلْأَيَّامِ [جُورِي مَجَارَكَ]^(٣)
 إِلَى الْيَعْمَلَاتِ وَالرُّحَالِ بَدَارَكَ^(٤)
 حِفَاظَكَ يَا هَذِي بِذِي وَازْدِهَارَكَ
 وَدُونَكَ يَا عَيْنَ اللَّيْسِبِ اعْتِبَارَكَ
 وَقُلْتُ أَذِيرِي وَالنَّجْمُومِ عُقَارَكَ

(١) هذا البيت وارد في الديوان وساقط في الإسكوريال .

(٢) هذا البيت وارد في الديوان وساقط في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (جوري محارك) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الديوان (سراك) .

(٥) هكذا وردت في الديوان ، وفي الإسكوريال (بمعتق) والأولى أنسب للسياق

فإن وجبت للمغربتين جنوبهما
فأورى بزندی سُدفة ودُجنة
وإن خلع الليل الأصائل فاخلعي
بلنسية مثنوى الأمانى فاطلسى
سینبک زجرى عن بلائ نسيته
وأظفر سعى بالرضا من مظفر
قصي المنى^(١) قد شام بارقة الحيا
وحمدأ يميني قد تملأت بالمنى
وقل لسماء المزن إن شئت اقلعى
ولا توحشى يادولة العز والمنى^(٢)
فداوي برقرق السراب حمارك
إذا كانتا لى مرنحك وعفارك
إلى الحاكمين الأكرمين عذارك
كنوزك فى أقطارها وأدخارك
إذا أصبحت تلك القصور قصارك
وبورك لى فى حُسن رأى مُبارك
وانشقت يا ظفر الرجا حوارك^(٣)
وشكراً يسارى قد حويت يسارك
ويا أرضها^(٤) إن شئت غيضى بحارك
مسائك من نوريهما وابتيكارك^(٥)

وصولهما إلى غرناطة

وصلا مع أمثالهما من أمراء الشرق صحبة المرتضى، وكان من انهزام الجميع
بظاھرھا ، وإيقاع الصناهجة^(٦) بهم ما هو معلوم حسبما مر ويأتى بحول الله .

ومن ترجمة الأعيان والوزراء

بل ومن ترجمة الطارئين والغرباء منها

-
- (١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الديوان (فظم) .
(٢) هكذا وردت فى الديوان . وفى الإسكوريال (جوارك) . والأول أنسب للسياق .
والحوار هو ولد النافقة الرضيع .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الديوان (ويا أرضها) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الديوان (الندى) .
(٥) وردت هذه القصيدة برمتها فى ديوان ابن دراج القسطلی الذى سبقت الإشارة إليه
(ص ١٠١ - ١٠٨) .
(٦) أى جند صنهاجة .

منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مخيؤ

يكنى أبا علي

أوليته

معروفة قد مرت عند ذكر إخوته وقومه .

حاله

كان رحمه الله فتى القوم ، لسيناً ، مَفَوَّهاً ، مُدْرِكاً ، متعاطياً للأدب والتاريخ ، مُخالطاً للنُّبَلَاءِ ، مُتَسَوِّراً خُلُقَ العلماء ، غَزْلاً ، كَلَفاً بالدُّعَابَةِ ، طُرْفَةً من طُرَفِ أهل بيته ، قوى الشَّكِيمَةِ ، جَوَاداً بما في وُسْعِهِ ، مُتَنَاهِياً في الْبَدَانَةِ . دخل غرناطة في الْجُمْلَةِ من إخوانه وبني عمِّه ، مُغْرِبِينَ عن مَقَرِّ الملوك بالمغرب ، وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وستين وسبعمائة . وَرَكِبَ البحر في الخامس والعشرين منه ، عندما لَحِقَ أَخُوهُ عَبْدُ الْحَكِيمِ بالمغرب ، وبإيَّامِهِ الناس ، وَلاَحَتْ لَهُ بَارَقَةٌ ، لم تَكِدْ تَقْدُ حَتَّى خَبَتْ ، فبادر إلى مَظَاهِرَتِهِ في جَفْنٍ عَزَوَى من أُسْطُولِ الأَنْدَلُسِ ، وَصَحْبِهِ قَوْمٌ مِمَّنْ يَخْطُبُ الخُطُوطَ ، وَيَبْتَدِرُ رَمَقَ الدُّوَلِ . وهال عليهم البحر ، فَطَرَحَ الْجَفْنَ بِأَحْوَازِ غَسَّاسَةٍ ، وقد عَادَتْهَا مُلْكَةُ عَدُوِّهِمْ ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ ، وَأَدْخَلَ مَدِينَةَ فَاسَ في الثَّانِي لِرَبِيعِ الآخر من العَاصِمِ ، مَشْهُورَ المَرْكَبِ على الظَّهْرِ . يُضْرَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبْلٌ لِلشُّهْرَةِ . وَنَاقُورُ المِثْلَةِ ، وَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ . فَأَبْلَى بما راق الحَاضِرِينَ من بَيَانِهِ مِنَ العُذْرِ لِلْمَخْرُوجِ بِالِاسْتِمَالَةِ حَتَّى لَرَجَى خِلَاصُهُ . وَاسْتَقَرَّ مُتَقَفِّناً تَتَعَلَّقُ بِهِ الأَرَاغِيْفُ ، وَيَخُومُ حَوْلَ مَطْرَحَةِ الاختِبَارِ إلى حين وفاته .

شعره

أنشدني الفقيه الأديب أبو بكر بن أبي القاسم بن قُطَبة من شعره ، وكان صاحبه في الرحلة ، ومُزامله في أسطول المنحسة ، وذلك قوله :

سوف ننال المني ونسرق مراقي العزِّ والمعسال
إذا حططنا بأرض فاس وحكمت في العدى العوال
فأنت عندي لها حقيق يا حايِز الفضل والكمال

وفاته

في وسط جمادى الأولى من العام . دُخل عليه في بيت مُعتقله فقتل ، ودُفن ببعض مدافنهم . رحمة الله عليه .

مقاتل بن عطية البرزالي

يكنى أبا حرب ، وقال فيه أبو القاسم الغافقي ، من أهل غرناطة ، ويُلقَّب بذي الوزارتين ، ويعرف بالرَّيه^(١) لحُمرة كانت في وجهه .

حاله

كان من الفرسان الشجعان لا يُضطَلّ بناره ، وكان معه من قومه نحو من ثلاث مائة فارس من بني برزال . وولاه الأمير عبد الله بن بُلُقَيْن بن باديس مدينة اليُسانة^(٢) ، والتقى به ابن عباد وأخذ بمُخَنَّقها ، وكان (١) كذا في الإسكوريال والزيتونة . والظاهر أن كلمة « آريه » هذه مأخوذة من الكلمة الإسبانية El Rojo ، معناها الأحمر . وقد كان تنسب إلى العامة الأندلسية كذا . من الكلمات القشتالية .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اللسانة) . واللسانة ، وتسمى أحيانا أليسانة ، وبالإسبانية Lucena . وهي بلدة حصينة من أعمال مقاطعة غرناطة تقع شمال غربي مدينة لوشة على مقربة من نهر شنيل .

عبد الله يَحْذَرُهُ . وعندما تحقّق حركة اللّمتونيين إليه ، صرّفه عن جهته ،
فقلّ لذلك ناصِرُهُ ، وأسرع ذهابُ أمره .

شجاعته

قال ، وحضر مُقاتل مع عبد الله بن بُلقَيْن أمير غرناطة وقِيعَة النَّبِيل
في صدر سنة ثمان وسبعين وأربع مائة ، فأبلى فيها بلاء عظيمًا ، وجُرح
وجهه ، ومُزّق دِرْعُه بالطّعن والضّرب . وذكر من حضرها ونجا منها ،
قال ، كنتُ قد سقط الرمح من يدي ولم أشعر ، وحَمَلْتُ التُّرس ولم أعلم
به ، وحَمَلَنِي الله إلى طريق مَنجاة فَرَكِبْتُهَا ، مرّةً أفع ومرّةً أقوم ، فأدركت
فارساً على فرس أذهم ورُمحه على عاتقه ، ودَرَقْتُهُ على فَخْذِهِ ، ودِرْعُه
مُهْتَكَةٌ بالطّعن ، وبه جُرح في وجهه يُثْعَب دما تحت مِغْفَرِه ، وهو مع ذلك
ينهبض على رَسْلِه ، فرجعت إلى نفسي فوجدت ثِقْلاً ، فتذكرت التُّرس ،
فأخرجتُ حِمَالَتِه عن عَاتِقِي ، وأَلْقَيْتُه عني ، فوجدت خِفَةً ، وعدتُ إلى
العَدُوِّ ، فصاح ذلك الفارس ، خُذِ التُّرس ، قلت لا حاجة لي به ، فقال
خُذْهُ ، فتركته وولّيت مسرعاً ، فهمز قَرَسُه ووضع سِنَان رُمحه بين
كَتِفَيَّ ، وقال خذ الترس . وإلا أخرجته بين كَتِفَيْكَ في صَدْرِكَ ، فرأيت
الموت الذي فررت منه ، ورجعت إلى التُّرس فأخَذْتِه ، وأنا أدعو عليه ،
وأسرعتُ عَدُوّاً . فقال لي « على ما كنتَ فليكن عدوك » . فاستَعَدْتُ وقلت ،
ما بعثه الله إلا لهلاكِي . وإذا قطعة من خَيْل الروم قد بَصُرَتْ به ، فوقع
في نفسه أنه يُسْرِع الجري فَيَسْلُم وأُقْتَلَ . فلما ضاق الطَّلُق ما بينه وبين
أَقْرَبِهِمْ منه ، عَطَفَ عليه كالْعُقَاب ، وطعنه ففطره ، وتخلّص الرمح منه ،
ثم حمل على آخر قطعته . ومال على الثالث فانهزم منه . فرجع إلَيَّ ، وقد

بهت من فعله ، ورشاش دم الجرح . يتطاير من قناع المغفر لشدة
نفسه . وقال لي يا فاعل يا صانع أتلقي الرمح ومعك مقاتل الرية .

« انتهى اختصار السفر الثامن والحمد لله رب العالمين

يتلوه في اختصار التاسع بعده

ومن ترجمة القضاة

مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي من البيرة^(١)

(١) هذا ما ورد في المخطوط في حتام هذا السفر أي السفر السابع - الذي بدأ بترجمة
(محمد بن أحمد بن محمد ابن أبي خزيمة الجبائي (المجلد الثاني ص ٣١٥) ، وهو أكبر أسفار
الإحاطة ، ويشغل في مخطوط الإسكوريال من اللوحة رقم ١ إلى اللوحة رقم ١٨٨ .

ومن السَّفر التاسع من ترجمة القضاة
مُومِّل بن رجاء بن عِكْرِمة بن رجاء العُقيلي

من البيرة

حنباله

كان شيخاً مَضْعُوفاً يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْبَلَه ، من أهل التَّعِين والحَسَب والأَصَالَة ، عَرِيقاً فِي الْقَضَاء ، قَاضٍ ابْنُ قَاضٍ ابْنُ قَاضٍ . وَلِي قَضَاءِ الْبِيرَةِ ، لِلْأَمِيرِ مُحَمَّد .

من حكاياته : رَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ كِتَابَ صَدَاقِهَا ، فَقَالَ الصَّدَاقُ مَفْسُوخٌ ، وَأَنْتَ عَلَى حَرَامٍ ، فَافْتَرَقَا ، فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَكُمَا . ثُمَّ رَمَى بِالصَّدَاقِ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ ، وَقَالَ عَجَباً لِمَنْ يَدْعِي [فِقْهاً] ^(١) وَلَا يَعْلَمُهُ ، أَوْ يَزْعُمُ أَنَّهُ بُوْثِقٌ وَلَا يُتَّقَنُهُ ، مِثْلَ أَبِي فُلَانٍ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ يَكْتُبُ هَذَا الصَّدَاقَ ، وَهُوَ مَفْسُوخٌ ، مَا أَحَقُّهُ أَنْ يُغْرَمَ مَا فِيهِ . فَدَارَ الصَّدَاقُ عَلَى يَدَيِّ كُلِّ مَنْ حَضَرَ ، وَكُلٌّ يَقُولُ مَا أَرَى مَوْضِعَ فُسْخٍ ، فَقَالَ أَنْتُمْ أَجْهَلُ مَنْ كَاتَبَهُ ، لَكِنِّي أَغْدُرُكُمْ ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، يَسْتُرُ عَلَى صَاحِبِهِ خَطَأَهُ ، أَنْظَرُوا وَأَمْنَحِكُمْ الْيَوْمَ ، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئاً يَوْجِبُ فُسْخاً . فَدَنَا مِنْهُ مُحَمَّدُ ابْنُ فُطَيْسٍ الْفَقِيه ، فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي ، إِنْ اللَّهُ مَنَحَكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ ، مَا نَحْنُ مَقْرُونُونَ بِالْعَجْزِ عَنْهُ ، فَأَفْدَنَّا هَذِهِ الْفَائِدَةَ ، فَقَالَ ، ادْنُ فَدَنَا مِنْهُ ، فَقَالَ ، أَوْ لَيْسَ فِي الصَّدَاقِ « وَلَا يَمْنَعُهَا زِيَارَةُ ذَوَى مُحَارِمِهَا ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ زِيَارَتُهَا بِالْمَعْرُوفِ » ، وَلَوْ لَا مَعْرِفَتِي بِمَحَبَّتِكَ مَا أَعْلَمْتُكَ . فَشَكَرَهُ

(١) مَكْذَا فِي الْإِسْكُورِيَال . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (صَدَاقُهَا) .

الشيخ . وأخذ بطرفٍ لحيته يجره إليه حتى قبلها . وكان عظيم اللحية طویلها . شيمة أهل هذه الطبقة . قال ابن فطيس ، أنا المخصوص بالفايدة ، ولا أعرفُ بها إلا من تأذن بتعريفه إياها ، فتبسّم القاضي معجباً بما رأى ، وشفّعوا إليه أن لا يفسخ الصّدّاق ، وقيل للزوجين ^(١) ، لا تطلّبا به عنده شيئا . ووُلّي قضاء جيان .

ومن الطارئين والغربا

المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي

من أهل ألمرية يكنى أبا القاسم .

حاله

كان من أدهى الناس وأفصحهم ، ومن أهل التّعین والعناية التامة ، واستُقضى بالمرية .

مشيخته

سمع من أبي محمد الإصبهاني . ورحل وروى عن أبي ذرّ الهروي .
تواليفه : ألف كتابا في « شرح البخاري » . أخذه الناس عنه .
وفاته : توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة . وقيل سنة . . . (٢)

ومن ترجمة الكتاب والشعراء وم الأصليون

مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرّج

ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرّج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي زبدون (للهربوس) .

(٢) وردت هذه الترجمة الموجزة مكتوبة بخط نفس الناسخ في دمشق انحطوط (لوحة 188) فرأينا إثباتها ، وقد عني منها السطر الأخير . فلم يتيسر لنا قراءته .

الْمَنْزَلِ بَوَادِي الْحِجَارَةِ بِمَدِينَةِ الْفَرَجِ الْمُنَسُوبَةِ إِلَيْهِ الْآنَ .

قال ابن عبد الملك ، كذا كتب لي بخطه بسببته ، وهو مصمودى ثم شَصَادَى مولى بنى مخزوم ، مَالَقَى ، سَكَنَ سَبْتَةَ طَوِيلًا ثُمَّ مَدِينَةَ فَاسَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى سَبْتَةَ مَرَّةً أُخْرَى ، وَبِأَخْرَجِ فَاسَ ، يَكْنَى أَبَا الْحَكَمِ وَأَبَا الْمَجْدِ ، وَالْأَوَّلَى أَشْهَرُ ، وَيَعْرِفُ بِابْنِ الْمُرَحَّلِ ، وَصَفٌ جَرَى عَلَى جَدِّهِ عَلَى بَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَمَّا رَحَلَ مِنْ شَنْتَمَرِيَّةٍ ^(١) حِينَ إِسْلَامِهَا لِلرُّومِ عَامَ خَمْسَةِ وَسْتِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

حَالُهُ

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، شاعرٌ رقيقٌ مطبوعٌ ، مُتَقَدِّمٌ ، سَرِيعُ الْبَدِيَّةِ ، رَشِيقُ الْأَغْرَاضِ ، ذَاكِرٌ لِلْأَدَبِ وَاللُّغَةِ . تَحَرَّفَ مَدَّةً بِصِنَاعَةِ التَّوْثِيقِ ببلده ، وَوُلِيَ الْقَضَاءَ مَرَاتٍ بِجِهَاتٍ غَرْنَاطَةَ وَغَيْرَهَا . وَكَانَ حَسَنَ الْكِتَابَةِ إِذَا كَتَبَ ، وَالشُّعْرُ أَغْلَبُ عَلَيْهِ . وَذَكَرَهُ ابْنُ خُلَادٍ ، وَابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَمَّا ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَلَمْ يَسْتَوْفِ لَهُ مَا اسْتَوْفَى لِغَيْرِهِ . وَأَمَّا ابْنُ خُلَادٍ فَقَصُرَ بِهِ ، إِذْ قَالَ ، كَانَتْ نَشَائِئُهُ بِمَالَقَةِ بَلَدِهِ ، وَقَرَارُهُ مَوْلَدَهُ فِي نَاسِهَا وَوَسَطِ أَجْناسِهَا ، لَمْ يَتَمَيَّزْ بِحَسَبٍ ، وَلَمْ يَتَقَدِّمْ فِي مِيدَانِ نَسَبٍ ، وَإِنَّمَا أَنْهَضَهُ أَدَبُهُ وَشَعْرُهُ ، وَعَوَّضَهُ بِالظُّهُورِ مِنَ الْخُمُولِ نَظْمُهُ وَنَثْرُهُ ، فُطِّلَعَ فِي جَبِينِ زَمَانِهِ غُرَّةٌ مُبِيرَةٌ ، وَنَصَّعَ فِي سِلْكِ قُصَصِهِ أَوَانُهُ دُرَّةٌ خَطِيرَةٌ ، وَحَازَ مِنْ جِيلِهِ رُتْبَةَ التَّقْدِيمِ ، وَامْتَازَ فِي رَعِيْلِهِ بِإِذْرَاكِ كُلِّ مَعْنَى وَسِيمٍ . وَالْإِنْصَافُ

(١) هي شنتمرية الشرق أو شنتمرية ابن رزين ، وبالإسبانية Albarracin وهي مدينة أندلسية ، تقع شرق وادي الحجارة . وكانت أيام الطوائف قاعدة لإمارة صغيرة تحت حكم بني رزين ، ولما تولى محمد بن سعد بن مردنيش إمارة بلنسية (وشرق الأندلس) كانت شنتمرية ضمن أملاكه ، وهو الذي أسلمها إلى الروم (القشتاليين) ، ولكن في تاريخ أسبق من الذي يورده ابن الخطيب (نحو سنة ٥٥٠هـ) .

فيه ما ثَبَتَ لى فى بعض التَّفْهِيْدَاتِ وهو ، الشَّيْخُ المُسَيَّنُ المُعَمَّرُ الفَقِيْه ،
 شَاعِرُ المَغْرِبِ ، وأَدِيبُ صُقْعِهِ . وحَامِلُ الرَّايَةِ ، المُعَلِّمُ بِالشُّهُرَةِ ، المِثْلُ فى
 الإِكْتِنَارِ ، الجَامِعُ بَيْنَ سَهْوَةِ اللَّفْظِ ، وَسَلَاسَةِ المَعْنَى ، وإِفَادَةِ التَّوْلِيدِ ،
 وإِحْكَامِ الإِخْتِرَاعِ ، وَانْقِيَادِ القَرِيْبَةِ ، وَاسْتِرْسَالِ الطَّبْعِ ، وَالنَّفَازِ فى
 الأَغْرَاضِ . اسْتَعَانَ عَلَى ذَلِكَ بِالعِلْمِ بِالمَقَاصِدِ اللُّسَانِيَةِ ، لُغَةً وَبَيَاناً وَعَرَبِيَّةً
 وَعَرُوضاً ، وَحِفْظاً وَاضْطِلَاعاً ، إِلَى نَفُوذِ الدَّهْنِ ، وَشِدَّةِ الإِدْرَاكِ ، وَقُوَّةِ
 العَارِضَةِ ، وَالتَّبَرُّيزِ فى مِيدَانِ اللُّوْذِغِيَةِ ، وَالقِيْحَةِ وَالمَجَانَةِ ، المُؤَيِّدُ ذَلِكَ
 بِخِفَّةِ الرُّوْحِ ، وَذِكَاةِ الطَّبْعِ ، وَحَرَارَةِ النَّادِرَةِ ، وَحِلَاوَةِ الدُّعَابَةِ ، يَقُومُ
 عَلَى الأَغْرِبَةِ وَالأَخْبَارِ ، وَيُشَارِكُ فى الفَقْهِ ، وَيَتَقَدَّمُ فى حِفْظِ اللُّغَةِ ، وَيَقُومُ
 عَلَى الفَرَايِضِ . وَتَوَلَّى القَضَاءَ . وَكَتَبَ عَنِ الأُمَرَاءِ ، وَخَدَمَ وَاسْتَرْفَدَ ، وَكَانَ
 مَقْصُوداً مِنْ رُؤَاةِ العِلْمِ وَالشُّعْرِ ، وَطُلَّابِ الدُّلَحِ ، وَمُلْتَمِسِيِ الفَوَائِدِ ،
 لِسَعَةِ الذَّرْعِ وَانْفِسَاحِ المَعْرِفَةِ ، وَعِلْوِ السَّنِّ ، وَطَيْبِ المَجَالِسَةِ ، مَهِيْبَا
 مَخْطُوبِ السَّلَامَةِ ، مَرْهُوباً عَلَى الأَغْرَاضِ ، فى شَذَقِهِ شَفَرَتُهُ وَنَارِهِ ،
 فَلَا يَتَعَرَّضُ إِلَيْهِ أَحَدٌ يَنْقُدُ ، أَوْ أَشَارَ إِلَى قَنَاتِهِ بَغْمَزٍ ، إِلَّا وَنَاطَبَهُ آبَدَةً ،
 تَرَكْتَهُ فى المِثْلَاتِ ، وَلِذَلِكَ بَخَسَ وَزَنَّهُ ، لِمَوَاقُتِحِمِ حِمَادٍ ، وَسَاءَتِ بِمَحَاسِنِهِ
 القَالَةُ ، رَحِمَهُ اللهُ وَتَجَاوَزَ عَنْهُ .

مَشِيْخَتُهُ

تَلَا بِالسَّبْعِ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَلَى الفَخَّارِ ، وَأَخَذَ عَنْهُ بِمَالِقَةٍ وَعَنْ غَيْرِهِ .
 وَصَحَبَ وَجَالَسَ مِنْ أَهْلِهَا . أَبَا بَكْرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلَى بْنِ دَحْمَانَ ،
 وَأَبَا عَبْدِ اللهِ الإِسْتِجَى ، وَابْنَ عَسْكَرٍ ، وَأَبَا عَمْرٍو بْنِ سَالِمٍ ، وَأَبَا النِّعَمِ
 رِضْوَانَ بْنَ خَالِدٍ ، وَانْتَفَعَ بِهِمْ فى الطَّرِيقَةِ . وَبِفَاسِ أَبَا زَيْدِ الْيَرْنَاسَنِ
 الْفَقِيْهِ . وَلَقِيَ بِإِشْبِيلِيَةِ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ الدَّبَاغِ ، وَأَبَا عَلَى الثَّلُوبِيِّ ،

وأبا القاسم بن بَقي، وأجازوا له. وروى عنه أبو جعفر بن الزبير، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الملك وجماعة .

دخوله غرناطة

قال ابن الزبير ، تكرر قدومه علينا بغرناطة ، وآخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع وسبعين وستاية ، وقال لي حفيده أبو الحسين التلمساني من شيوخنا ، أنشد السلطان الغالب بالله ، مجلسه للناس من المقصورة بإزاء الحمراء ، قبل بناء الحمراء . وقال غيره أقام بغرناطة ، وعقد بها الشروط مدة . وقال لي شيخنا أبو الحسن الجيَّاب ، ولى القضاء بجهات من الليشارات^(١) ، وشكى للسلطان بضعف الولاية ، فأضاف إليه حصن أشكر يانتشر^(٢) ، وأمر أن يهمل هذا الاسم ولا يُشكَّل ، فقال أبو الحكم رحمه الله عند وقوفه عليه ، قال لي السلطان في تصحيف هذا الاسم ، « أشكر يا تيس »^(٣) وهي من المقاصد النبيلة .

تواليفه

وهي كثيرة متعدّدة ، منها شعره ، والذي دُون منه أنواع . فمنه مختاره ، وسماه بالجلولات . ومنه ، الضدور والمطالع . وله العشريّات والنّبويّات على حروف المعجم ، والتزام افتتاح بيوتها بحرف الروى ، وسماها ، « الوسيّلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى » . وعشريّاته

(١) البشارات أو البشرات وبالاسبانية Alpujarras ، قد سبق التعريف بها (انظر هذا المجلد من الإحاطة ص ١٦٨ حاشية) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي الزيتونة (اشكر يانش) . وأشكر أو حصن أشكر ، بالاسبانية Huescar محلة أندلسية تقع شمال مدينة بسطة ، في شمال شرق ولاية غرناطة .

الزُّهْدِيَّة . وأرجوزته المسماة « سلك المُنْخُلُ لمالك بن المُرْجَل » نظم فيها مُنْخَلُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمَغْرَبِيِّ ، والقصيدة الطويلة المسماة بالواضحة ، والأرجوزة المسماة « اللُّؤْلُؤُ والمُرْجَان » والمُوطَّأُ لمالك . والأرجوزة في العروض . وكتابه في كان ماذا ، المسمى « بالرَّمي بالحصا » ، إلى ما يَشُقُّ إحصاره ، من الأغراض النبيلة ، والمقاصد الأدبية .

شعره

قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك ، كان مُكْثَرًا مِنَ النِّظْمِ ، مُجِيدًا ، سريع البديهة ، مُسْتَعْرِقُ الْفِكْرَةِ فِي قُرْضِهِ ، لَا يُفْتَرُّ عَنْهُ حِينًا مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . شاهدت ذلك وأخبرني أَنَّهُ دَابَّةٌ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدَرُ عَلَى صَرْفِهِ مِنْ خَاطِرِهِ ، وَإِخْلَاءٍ بِأَلِهِ مِنَ الْخَوْضِ فِيهِ ، حَتَّى كَانَ مِنْ كَلَامِهِ فِي ذَلِكَ ، أَنَّهُ مَرَضٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُزْمِنَةِ ، وَاشْتَهَرَ نَظْمُهُ ، وَذَاعَ شِعْرُهُ ، فَكَلِفَتْ بِهِ أَلْسِنَةُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، وَضَارَ رَأْسَ مَالِ الْمُسْتَمْعِينَ وَالْمُعَنِّينَ ، وَهَجِيرُ الصَّادِرِينَ وَالْوَارِدِينَ ، وَوَسِيلَةُ الْمُكْدِّينَ ^(١) ، وَطِرَازُ أَوْرَادِ الْمُؤَذِّنِينَ وَبَطَاقِيَّةُ ^(٢) الْبَطَالِينَ ، وَنَحْنُ نَجْتَزِي مِنْهُ بِثَبَدٍ مِنْ بَعْضِ الْأَغْرَاضِ تَدُلُّ عَلَى مَا وَرَاءَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَمِنْ ذَلِكَ فِي غَرَضِ النَّسِيبِ :

دَنَيْتُ تَسْتَرَّ بِالْغَمَامِ طَوِيلًا	حَتَّى تَغْيِيرَ رَقَّةً وَنُحُولًا
بُسِطَ الْوِصَالِ فَمَا تَمَكَّنْ جَالِسًا	حَتَّى أَقِيمَ عَلَى الْبِسَاطِ دَلِيلًا
يَا سَادَتِي مَاذَا الْجَزَا فَدَيْتُكُمْ	الْفَضْلُ لَوْ غَيْرَ الْفَتَى مَا قِيلَا
قَالُوا نَعَاطَى الصَّبْرَ عَنْ أَحْبَابِهِ	لَوْ كَانَ يَصْبِرُ لِلصُّدُودِ قَلِيلَا
مَا ذَاقَ إِلَّا شَرِبَةً مِنْ هَجْرِنَا	وَكَأَنَّهُ شَرِبَ الْفُسْرَاتِ شُمُولًا

(١) وردت في الإسكوريال . (١١) فقط بعدها بياض والتكلمة من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ومطامة) .

لو قال مُتْ لكان أقوم قِيلا
 إن لم يدعه ميتاً فعليلاً
 قَطَعْتَ فلم تسمع لهنَّ صليلاً
 ماذا المَلال وما عهدتُ ملولاً
 أترك تقطع حبلها الموصولاً
 ولَبَسْتُ ظلاً من رِضاكَ ظليلاً
 عند الهَجِير فما وجدتُ مَقِيلاً
 أَحرقته في نار هجركَ لوعةً وغليلاً
 شوقاً وما أَلْفَى اليك سبيلاً
 بالناس لو حَشَرُوا إليه قَبِيلاً
 أيطيقُ قلبي غَضَبَةً ورحيلاً
 فوجدتُ يا رِيحَ القبول قبولاً
 فارقته بعث النسيم رسولا
 يا قلبُ ويك أما وجدتُ دليلاً
 نكَلْتُ عَيْنِي بالبُكا تنكيلاً

أيقول عِشْتُ وقد تملكه الحوى
 حَلَفَ الغرام بحُبِّنا وجمالنا
 إن الجُنُود هي السُّيوف وإنما
 قل للجيب ولا أَصْرَحْ باسمه
 بيني وبينك ذِمَّةٌ مرعيَّةٌ
 ولكم شَرِبْتُ صففاً وذُكَّ خالصاً
 فيما غُضِنَ باني باني ظلهُ
 إعطى على المُضنى الذي
 فارقته فتقطعتُ أُنبلادُه
 لو لم يكن منك التَّغْيِيرُ لم يَسْأَلْ
 يا راحلاً عني بقلبٍ مُغْضِبٍ
 قل للصِّبا هيَّجَتْ أشجان الصِّبا
 هل لي رسول في الرياح غازٍ من
 يا ليت شعري أين قرَّ قرارُه
 إن لم يعد ذاك الوصال كعهدنا

وقال نسيباً ومدحاً :

مالى به قِبَلٌ ولا بفنونه
 من ذا يُجير عليه ملكُ يمينه
 فعبدتُ نود الحُسن فوق جبينه
 فتبينَ التَّمَكِينُ في تنوينه
 لم يَجْنِ منها الصَّبُّ غيرُه ونونه

أَعْدَى على دواهٍ خصمُ جفونه
 إن لم تُجْزِ منه رحمةُ قلبه
 صاب من الأتبراك أصبى مُهْجتي
 متمكِّن في الحُسن نون صِدْغِه
 تنساب عقربُ صِدْغِه في جنَّة

فعل الكلیم ارتاع من تبیینہ
لو أُنْكَنَتْنِي فِيهِ رَقَّةٌ دِينَهُ
كَالرَّمَحِ شِدَّةُ طَائِفَةٍ فِي لَيْمِنِهِ
أَعْدَى عَلَى مَنْ الذِّى يَجْفُونَهُ
وَشَعَرْتُ مِنْ لَفْظِ السَّلَامِ بِسِينِهِ
مِمَّا تَهُ وَحِضْرَاكَ كَسُكُونِهِ
فَمُنْتَاهَا أَنْ يَلْقَاهُ زَيْبُ مُنَوْتِهِ
فَأَمَانُهُ مِنْ ذَلِكَ ظَهْرُ أَمُونِهِ
فَبِرَى مَحَلَّ الْفَصْلِ حَقَّ يَتَمِينِهِ
فِي حَدِّ مَجْدِ جَامِعِ لَفْظُونِهِ
تُجِبُّ مَرَزْنَ عَلَى الْعَطَا بِرُكُوبِهِ
وَتَطُوفُ بِالْحَاجَاتِ عِنْدَ حَاجُونِهِ
وَرِثَ الْبَيْتَانَ وَزَادَ فِي تَبْيِينِهِ
طَوْرًا وَيَخْمِي الْعِزَّ فِي عِرْنِينِهِ
بَسَطَ الْغِنَا نَفْسَنَا بِلُحُونِهِ
كَالْيَمْسِكِ إِذْ يَثْنِي عَلَى دَارِينِهِ^(١)

وَلَوْ ضَغْفِيرَتُهُ فَوَلَّى مُدْبِرًا
قَدْ أَطَاعَتْنِي فِيهِ رَقَّةٌ خَدَّهُ
وَرَجُوتُ لَيْنِ قَوَامِهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ
شَاكِي السَّلَامِ وَمَا الذِّى فِي جَفْنِهِ
فَادَيْتُهُ لِمَا نَدَّتْ لِي سِينُهُ
رَحِمَاكَ فِي دَنَفِ غَدَا وَحِيَاثِهِ
إِنَّ لَمْ تَمَنَّ عَلَى مَنْةٍ رَاخِمِ
وَلَا أَبَيْتُ سُنُوِيَّ بَيْنَاتِ غَدُوهِ
مُنْتَبِخُهَا فِي بَابِ أَرْوَعِ مَا جَدِ
حَيْثُ الْمَعَارِفِ وَالْعَوَارِفِ وَالْعَمَلِ
بَدْرُ وَفِي الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدِ التَّقَاتِ
تَبَغَّى مَنَاهَا فِي مَنَاهَا عِنْدَهُ
فَرَعٌ مِنَ الْأَصْلِ الْيَمَانِي طَيْبُ
يُسْدَى الْبِشَاشَةِ فِي أَسْرَةِ وَجْهِهِ
بُسْطَتْ شَبَابِلُهُ لِلزَّمَانِ كَمَثَلِ مَا
يُثْنِي عَلَيْهِ كُلُّ فِعْلٍ سَايَرِ

وَمِنَ النَّسِيبِ قَوْلُهُ :

لَبِىَّ الْخِيَارِ وَأَمَّا فِي هَوَادِ فَلَا
أَبَتْ أَدْنَى أَنْ تَسْمَعَ التَّمَدُّلَا
كَفَى بِخُلُكْ غَدْرًا أَنْ يُقَالَ سَلَا
وَقَلْبُ غَيْرِي صَحَابِي مِنْ بَعْدِ مَا تَمَلَا

هُوَ الْحَبِيبُ قَضَى بِالْجَوْرِ أَمْ عَدَلَا
تَاللَّهِ مَا قَصَّرَ الْعُدَالُ فِي عَدْلِي لِبَكْنِ
أَمَّا السُّلُو فَشَيْءٌ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
جُفُونُ غَيْرِي أَصْحَتْ بَعْدَ مَا قَطَرَتْ

(١) هكذا في الإيسكوريال . وفي الرهينة (صارينه) .

وَعُصْنُ بَانٍ تَشْنَى مِنْ مَعَاظِفِهِ
 أَثَرُهُ نَسِيمُ الشَّعْرِ آوْنَةً
 أَمَلْتُ وَالْهَمَّةُ الْعَلِيَاءُ طَامِحَةٌ
 وَقَالَ إِيَّهَا طُفَيْلِي وَمُقْتَرَحُ
 مَا مَنْ تَحَدَّثَ عَنْ حُسْنِي وَعَنْ كَلْفِي
 نَبِطْتُ خَدْيَ خَوْفِ الْقَبْضِ مِنْ مَلِكِهِ
 تُقْبَلُ الْأَرْضُ أَعْضَائِي وَتُخْدَمُهُ
 يَا مَنْ لَهُ دَوْلَةٌ فِي الْحُسْنِ بَاهِرَةٌ
 وَمَنْ نَظَمَهُ فِي عَرُوضٍ يَخْرُجُ مِنْ دُوبَيْتِي مَجْزُوءًا مُقْصِرًا قَوْلَهُ . وَمُلْكُهُ
 فِي اخْتِرَاعِ الْأَعْيَانِ كَثِيرَةٌ :

وَالْحَبُّ لَصَدَقَهُ دَلَايِلُ
 الصَّبُّ إِلَى الْجَمَالِ مَايِلُ
 وَالِدَمْعُ لِسَائِلِي جِسْوَابُ
 وَالْحُسْنُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالِ
 لَوْ سَاعَدَ مَنْ أَحَبُّ سَعْدُ
 يَا عَاذِلِي إِلَيْكَ عَنِّي لَا
 مَا نَازَلَنِي ^(١) كَمَثَلِ ظَبْيِ
 مَا بَيْنَ دَفُونِهِ حُسَامُ
 وَالسَّيْفُ يَبِيتُ ثُمَّ يَنْبُو
 وَالسَّهْمُ يُصِيبُ ثُمَّ يُخْطَى
 مَهْلًا قَدَمِي لَهُ حَلَالُ
 إِنْ صَدَّقَنِي ^(٢) فَذَاكَ قَصْدِي
 وَالْحَبُّ لَصَدَقَهُ دَلَايِلُ
 إِنْ رَوَّجَعَ سَائِلِي بِسَائِلِ
 وَالْقَلْبُ إِلَى الْحَبِيبِ وَابِلُ
 مَا حَالُ مِنَ الْحَبِيبِ حَايِلُ
 تُقَرَّبُ سَاحَتِي الْعَوَازِلُ
 يَشْفِي بِلَحْظَةِ الْمُنَازِلِ
 مَخَارِقُهُ لَهُ حِمَائِلُ
 وَاللَّحْظُ يُطَبِّقُ الْمَفَاصِلُ
 وَاللَّحْظُ يَمُرُّ فِي الْمَقَاتِلِ
 مَا أَقْبَلُ فِيهِ قَوْلَ قَسَائِلِ
 أَوْ جَدَّلَنِي فَلَا أَجَادِلُ

(١) وردت في الإسكوريال (ما نازل) والتصويب من الزيتونة .

(٢) وردت في الإسكوريال (انصدي) والتصويب من الزيتونة .

يا حسن طلوعه علينا
 ظمآن مُخَفَّفُ الأَعْمَالِ
 قد نَمَّ به شذا الغمّوالِ
 والطيب منبّه عليه
 والخنج مُحرّك إليه
 والسحر رسول مُقلّتيه
 والروض يعبر وجنتيه
 واللين يَهْزُ معطفيه
 والكاس تلوح في يديه
 يُسقيك بريقه مُداما
 يُسبيك برقّة الحواشي
 ما أحسن ما وجدت خدّاً
 والسكر بمعطفيه مايسل
 ريان مثقل الأسافل
 إذ هبَّ ونمت الغاليل
 من كان عن العيان غافل
 من كان مُسكّن البلبال^(١)
 ما أقرب عهده ببابل
 ورداً كهوى غير حایل
 كالغصن تهزّه الشمائل
 كالنجم بأُسعد المنازل
 ما أملح ساقياً مُواصل
 عِشْقاً ولكافّة الشمائل
 إذ نجم صباى غير آفل

ومن مستحسن نزعاته :

يا راحلين وبى من قربهم أملُ
 سِرْتُمْ وسار اشتياقِي بَعْدَكُمْ مثلاً
 وظلُّ بَعْدِلُنِي فِي حُبِّكُمْ نَفْسُ
 عطفاً علينا ولا تَبْغُوا بنا بَدَلاً
 قد ذقت فضلكم دهرًا فلا وأبى
 وقد هَرَمْتُ أَسَى من هجركم وجوى
 لو أغنت الحليتان لى القول والعملُ
 من دونه السامران^(٢) الشعر والمثل
 لا كانت المختنان^(٣) الحبُّ والعَدْلُ
 فما استوى التابعان العطف والعمل
 ما طاب لى الأحمران^(٤) الخمر والعسل
 وشبَّ منى^(٥) اثنتان الحرصُ والأملُ

(١) هذا البيت وارد فى الإسكوريال وساقط فى الزيتونة .

(٢) هكذا وردت فى الزيتونة والخلوة . وفى الإسكوريال (الساران) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت فى الزيتونة . ووردت فى الإسكوريال (المختنان) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والخلوة . ووردت فى الزيتونة (الأحمران) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (من) والتصويب من الزيتونة .

غدرتم أو مللتم يا ذوى ثقتى
قالوا كبرت ولم تبرح كذا غزلاً
لم أنس يوم مانادوا للرحيل ضحى
وأشرقت بهواذهم هـوادجهم
وودّعوني^(٢) بأجفان مرمضة تغضها
كم عفروا بين أيدي العيس من بطل
دارت عليهم كؤوس الحب متبرعة
وأخريين اشتفوا منهم بضمة بهم
كأنما الروض منهم روضة أنف
من لمشرق الروابي والوهاد بهم
يا حادى العيس خذني مأخذاً حسناً
لم يبق لى غير ذكر أو بكما طلل
يا ليت شعرى ولا أنس ولا جدل
ومن قوله على لسان الشيخ ينطق بالسجين ثمة ويقرأ بالرويين :

عمرت ربيع الهوى بقلوب
لبث فيه أحر ذيل النحول
إن ميت شوقاً فى غرام
أما حديث المسوى فحق
تعبت بالشوق فى حبيب
لقوة الحب غير ناكس
أحب به لاديس ث
نباته بالسقام واديس ث
يصرف بلواه كل حاديس ث
أنا به ما خيت يايدس ث

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الزبونة والحلوة . ووردت فى الإسكندرية كالاتى
(أحب الحصلتان) .

(٢) وردت فى الإسكندرية (ودعوا) . والتصويب من الزبونة .

(٣) هكذا فى الإسكندرية . ووردت فى الزبونة (ينهى) .

يَخْتَالُ كَالْغُضَنِ مَا دَنَ فِيهِ طَرَفٌ فَنَازَرَى كُلَّ مَا يَسُ ث
 دُنْيَا تَبَدَّلَتْ لِكُلِّ وَائِي فَهُوَ لِدُنْيَا أَيُّ حَارِسِ ث
 يَلْعَبُ بِالْعَاشِقِينَ طُرًّا وَالْكُلُّ رَاضٍ وَهُوَ عَابِسِ ث
 وَمَنْ شَعَرَهُ فِي الزَّهْدِ يَصِفُ الدُّنْيَا بِالْعُرُورِ وَالْحَذَائِحِ وَالزُّورِ :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا طَلَبْتَ غُرُورًا وَقَبِلْتَ مِنْ تِلْكَ الْمَجَالِسِ زُورًا
 دُنْيَاكَ إِمَّا فِتْنَةٌ أَوْ مِخْنَةٌ وَأَرَاكَ فِي كِلْتَابِيهِمَا مَقْهُورًا
 وَأَرَى السَّنِينَ تَمُرُّ عَنْكَ سَرِيعَةً حَتَّى لِأَحْسِيَّهِنَّ صِرْنٌ شَهُورًا
 بَيْنَنَا تَرِيكَ أَهْلَةً فِي أَفْقِهِمَا أَبْصَرْتَهَا فِي إِثْرِ ذَلِكَ بُدُورًا
 كَانَتْ قِسِيًّا ثُمَّ صِرْنٌ دَوَائِرًا لَا بَدَّ أَنْ تَرْنَى الْوَرَى وَتَسْلُورًا
 يَأْتِي الظَّلَامُ فَمَا يَسُودُ رُقْعَةً حَتَّى تَرَى مَسْطُورَةً مَنَشُورًا
 فَإِذَا الصَّبَاحُ أَتَى وَمَدَّ رِدَاءَهُ نَقَضَ الْمَسَاءُ رِدَاءَهُ الْمَنَشُورًا
 يَتَهَاقِبَانِ عَلَيْكَ هَذَا نَاشِرٌ مِسْكًا وَهَذَا نَاشِرٌ كَافُورًا
 مَا الْمُسْكُ وَالْكَافُورُ إِلَّا أَنْ تَرَى مِنْ فِئْلِكَ الْإِمْسَاكَ وَالتَّكْبِيرَا
 أَمْسَى عَلَى قَوْدَيْكَ مِنْ لَوْنِيهِمَا سِمَةٌ تَسُومُ كِتَابَهُ وَبُسُورَا
 حَتَّى مَتَى لَا تَرَعُوى وَإِلَى مَتَى أَوْ مَا لَقَبْتَ مِنَ الْمَشِيبِ نَائِبِرَا
 أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ فَرَبَمَا تَلْقَى الصَّغِيرَ مِنَ الذُّنُوبِ كَسِيرَا
 فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ إِنْنِي لَكَ نَاصِحٌ وَاسْتَغْفِرِ الْمَوْلَى تَجِدُهُ بَغْفُورَا
 مِنْ قَبْلِ مَصْجَعَتِكَ الَّتِي تَلْقَى هَا خَدَّ الصُّغَارِ عَلَى التُّرَابِ حَقِيرَا
 وَالْهُولُ ثُمَّ الْهُولُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَجِدُ الَّذِي قَدَّمَته مَسْطُورَا

وَقَالَ فِي الْمَنَى الْمَذْكُورِ :

لِشْفِ الْوَجْدَ مَا أَبْكِي الْعَيْنُونَا وَأَشْفِي الدَّمْعَ مَا نَكَا الْجُفُونَا

فيا ابن الأربعين اركب سفيناً من التقوى فقد عمرت حينا^(١)
 ونح إن كنت من أصحاب نوح لكي تنجو نجاة الأربعينا
 بدا الشيب في قوديك رقم فيا أهل الرقيم اتسمعوننا
 لأنتم أهل كهف قد ضربنا على آذانهم فيه سسينا
 رأيت الشيب يجرى في سواد بياضاً لا كعقل الكاتيينا
 وقد يجرى السواد على بياض فكان الحسن فيه مستبينا
 فهذا العكس يؤذن بانعكاس وقد أشعرتهم لو شعرونا
 نبات حاج ثم يرى خطاماً وهذا اللحظ قد شمل العيوننا
 نذير جاءكم عريان يعدو وأنتم تضحكون وتلعبوننا
 أخى إلى متى هذا التصابي جئنت هذه الدنيا جنونا
 هي الدنيا وإن وصلت وبرت فكم قطعت وكم تركت بنينا
 فلا تخذعنك أسام تليها ليال واخشها بياضاً وجسونا
 فذاك إذا نظرت سلاح دنيا تُعيد حراك ساكنها سُكوننا
 وبين يديك يوم أي يسوم يدينك فيه رب الناس ديننا
 فلما دار عز ليس يفنى وإما دار هون لن يهوننا
 فطوبى في غد للمتقيننا وويل في غد للمجرميننا
 وآه ثم آه ثم آه على نفسي أكررها مئيننا
 أخى سمعت هذا الوعظ أم لا ألا ليتني في السامعيننا
 إذا ما الوعظ لم يُورد بصدق فلا خسر كخسر الواعظيننا

وقال يتشوق إلى بيت الله الحرام ، ويمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 شوق كما رُفعت نارٌ على علم تشب بين فروع الضال والسلم
 ألمه بضلوعي وهو يحرقها حتى برأى برياً ليس بالقلم^(٢)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (مبيناً) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (للقلم) .

من يَشْتَرِينِي بِالْبُشْرَى وَبِالْكُنَى
 دَعُ لِلْحَبِيبِ ذِمَامِي وَاحْتَمَلْ
 يَا أَهْلَ طَيِّبَةِ طَابَ الْعَيْشُ عِنْدَكُمْ
 عَايَتُمْ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مِنْ كَذَبٍ
 لَنْتَرْكَنَ بِهَا الْأَوْطَانُ خَالِيَةً
 رِكَابُنَا تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ مُثْقَلَةً
 ذُنُوبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَثُرَتْ
 ذَنْبٌ يَلِيهِ عَلَى تَكَرُّارِهِ نَدَمٌ
 نَبْكِي فَتُشْغَلُنَا الدُّنْيَا فَتُضْحِكُنَا
 يَا رَكَبَ مَصْرُورٍ يَدَا يَلْتَحِقُ بِكُمْ
 فِيهِمْ عُبَيْدٌ تَسُوقُ الْعَيْسُ زَفَرَتَهُ
 يَبْغِي إِلَيْهِ شَفِيعاً لَا نَظِيرَ لَهُ
 ذَاكَ الْحَبِيبَ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
 صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْخَلْقِ مَا طَلَعَتْ

ومن مقطوعاته العجيبة في شتى الأغراض ، وهي نقطة من قطر ، وبلاغة
 من بحر ، قوله مما يكتب على حمالة سيف ، وقد كَلِّفَ يَذَلِكْ غَيْرَهُ مِنْ
 الشُّعْرَاءِ بِسَبْتَةٍ . فلما رآها أَخْفَى كُلَّ مَنْظُومَةٍ ، وزعم أنه لم يَأْتِ بِشَيْءٍ ،
 وهو المَخْتَرَعُ الْمُرْقِصُ :

جماله كرياض جاورت نهرا فَأَنْبَتَتْ شَجَرًا رَاقَتْ أَزَاهِرُهَا
 كحبة الماء عامت فيه وانصرفت فغاب أولها فيه وآخرها

وقوله وقد تناول الرئيس ابن خلاص^(١) بيده مقصاً فأدى
يده فأنشده :

عداوة لا لكفك من قد نَمَّ
لئن أذماك فهو لها شبيهه
وقوله في الخضاب :

سترت مشبي بالخضاب تعللاً
كأنى وقد زورت لونا على الصبا
غراب خضاب لم يقف من حذاره
وقوله وهو من البديع المخترع :

لابد من ميل إلى جهة فلا
إن الفؤاد وإن توسط في الحشا
وقوله وهو معنى قد قيل فيه :

لا تعجبوا للبرء يجهل قدره
فالعين تبصر غيرها مع بعده
وقوله :

أرى المتعلمين عليك أعداء
فما عند الصغير سوى عقوق
وقوله في وصفه ذى الجاه :

يضع الناس صاحب الجاه فيهم
إن آوّه يوماً ترجع وزناً
كل يوم في كفة الميزان
ضاعفوا البر فهو ذو رُجحان

(١) هو الرئيس أبو علي بن أبي جعفر بن خلاص البلسي ، تولى حكم سبته من قبل الموحدون
في سنة ٦٣٤ هـ ، ثم خلع طاعة الملائنة الموحدية في سنة ٦٤٢ هـ ، واعترف بطاعة الدولة الحفصية
في تونس .

أو رأوا منه نقصَ حبة وزن ما كسوه في حبة الجُلجُلان
وأنشدنا عنه غير واحد من شيوخنا وقد بلغ الثمانين :

يا أيها الشيخ الذي عُمُرُهُ قد زاد عَشْرًا بعد سَبْعِينَا
سَكِرَتْ من أَكْوَسِ خَمْرِ الصَّبَا فحدَّكَ الدهر ثمانينَا
وقال ، هيهات ما أظنه يُكْمَلُها ، وقال في الكَبِيرَةِ :

يا من لشيخ قد أَسَنُّ وقد عَفَا مذ جاوز السَّبْعِينَ أَضْحَى مُذْنَفَا
خَانَتْهُ بعد وفائها أَعْصَاؤُهُ فغدا قَعِيدًا لا يُطِيقُ تَصَرُّفَا
هَرِمًا غريبًا ما لديه مُؤَانِس إلَّا حديث محمد والمصطفى
وكتب إلى القاضي أبي الحجاج الطُّرْسُونِي في مراجعة :

يا سيدى شاكركم مَالِك قد صَيَّرْتِ بِمِ اسمِهِ هَاءَ
ومن يَعِشْ خَمْسًا وَتِسْعِينَ قد أَنْتَهَى في التَّعْمِيرِ إِنِّهَاءَ

ومن نظمه في عُرْسٍ ، صَنَعَهَا بِسَبْتَةٍ على طريقه في المَجَانَةِ :

الله أكبر في منسار الجامع	من سَبْتَةٍ تاذين عَبدَ خاشع
الله أكبر للصَّلَاةِ أَقِيمُهَا	بين الصُّفوف من البلاط الواسع
الله أكبر مُخْرِمًا وَمُوجِّهًا	وِدْبَرَةً إلى ربِّي بقلب خاضع
الحدد لله السلام عليكم	آمِينَ لا تُفْتَحْ لكل مخادع
إن النساءَ خَدَعْنِي ومَكَّنَ بِي	ومَلَأْنَ من ذكر النساءِ مَسَامِع
حتى وقعتُ وما وقعتُ بِجَانِبِ	لكن على رَأْسٍ لَأَمِيرٍ واقِع
والله ما كانت إليه ضرورة	لكن أَمَرَ الله دون مَدَافِع
فَخَطَبْنِي في بيت حُسْنِ قُلْنِي لِي	وكَذَبْنِي لِي في بنتِ قُبْحِ شَانِع
بِكُرٍّ زَعَمَ صَغِيرَةً في سَنِّهَا	حسناءُ تُسْفِرُ عن جمال بارِخ
خوداً لها شَعْرٌ أَثِيثٌ حَالِك	كالليل تُجلى عن صباح ساطع

حَوْرَاء يَرْتَاعُ الْغَزَالُ إِذَا رَنْتُ
 تَتَلَوُ الْكِتَابَ بَغْنَةً وَفَصَاحَةً
 بِسَامَةٍ عَنْ لَوْلُوٍ مُتَنَاسِقٍ
 أَنْفَاسُهَا كَالرَّاحِ فَضُّ خَتَامُهَا
 شَمَاءٌ دُونَ تَفَاوُتِ عَرَبِيَّةٍ
 غَيْدَاءٌ كَالْغَضَبِ الرُّطِيبِ إِذَا
 تَخَطَّوْا عَلَى رِجْلِي جَمَامَةٍ أَيْكَةٍ
 وَوَصَفْنِي لِي مِنْ حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا
 فَدَنَوْتُ وَاسْتَأْمَنْتُ بَعْدَ تَوَحُّشِي
 فَحَجَلْنِي نَحْوَ الْوَلِيِّ وَجِئْنِي
 وَبَعِيفِهِ مِنْ نَافِعٍ لَتَعَادِلِ
 فَشَرَطَنْ أَشْرَاطًا عَلَى كَثِيرَةٍ
 ثُمَّ انْفَصَلْتُ وَعَلِمْتُ بِأَنِّي
 وَتَرَكْنِي يَوْمًا وَعِذَنْ وَقَلَنْ لِي
 وَاصْنَعْ لَهَا عُرْسًا وَلَا تَحُوجْ إِلَى
 وَقَرَعْتُ سِنِّي عِنْدَ ذَاكَ نَدَامَةً
 وَلَزِمْتَنِي حَتَّى انْفَصَلْتُ بِمَوْعِدِ
 فَلَوْ أَنِّي طَلَقْتُ كُنْتُ مَوْفَقًا
 لَكِنْ طَمَعْتُ بِأَنْ أَرَى الْحُسْنَ الَّذِي
 فَتَنْظَرْتُ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ مُعْجَلًا
 وَطَمَعْتُ بِأَنْ تُجَلِّيَ وَيُبْصِرَ وَجْهَهَا

بِجُفُونٍ خَشَفَ^(١) فِي الْخَمَائِلِ رَافِعٍ
 فَيَمِيلُ نَحْوَ الذِّكْرِ قَلْبُ السَّامِعِ
 فِي ثَغْرِهَا فِي نَظْمِهِ مُتَمَتِّعٍ
 مِنْ بَعْدِ مَا خُتِمَتْ بِمَسْكِ رَافِعٍ
 بِبِيسَالَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَمَنْبَازِ
 مَشَيْتُ نَاءَتْ بِرِذْفٍ لِلتَّعَجُّلِ مَانِعٍ
 مَخْضُوبَةٍ تُسَبِّي فَوَادِ السَّامِعِ
 مَا الْبَعْضُ مِنْهُ يُقِيمُ عُذْرَ الْخَالِغِ
 وَأَطَاعَ قَلْبٌ لَمْ يَكُنْ بِمَطَاوِعِ
 بِالْبِشَاهِدِينَ وَجِلْدَ كِبَشٍ وَاسِعِ
 وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِنَسَافِعِ
 مَا كُنْتُ فِي حَمْلِي لَهَا بِمَطَاوِعِ
 أَوْثَقْتُ فِي عُنْقِي لَهَا بِجَوَامِعِ
 خُجْدٌ فِي الْبِنَاءِ وَلَكِنْ بِمِرَافِعِ
 قَاضٍ عَلَيْكَ وَلَا وَكِيلٍ رَافِعِ
 مَا كُنْتُ لَوْلَا خُدَعْتُ بِقَسَارِعِ
 بَعْدَ الْيَمِينِ إِلَى النَّهَارِ الرَّابِعِ
 وَتَفَضُّتُ مِنْ ذَاكَ النِّكَاحِ أَصَابِعِ
 زَوَّرَنْ لِي فَذَمَّمْتُ سُوءَ مَطَامِعِ
 وَصَنَعْتُ عُرْسًا يَا لَهَا مِنْ صَانِعِ
 وَيَقَرُّ عَيْنِي بِالْهَلَالِ الطَّسَالِعِ

وظننتُ ذاك كما ذُكِرُن ولم يكن
وحَمَلَنِي لَيْلًا إِلَى دَارِهَا
دَارُ خَرَابٍ فِي مَكَانٍ تَوَحُّشٍ
فَقَعَدْتُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ مَظْلَمٍ
فَسَمِعْتُ حَسًّا عَنْ شِمَالِي مُنْكَرًا
فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْجُو بِنَفْسِي هَارِبًا
فَلَقِيتُهُنَّ وَقَدْ أَتَيْنَ بِجَذْوَةٍ
وَدَخَلْنِي فِي الْبَيْتِ وَاسْتَجَلَسْنِي
وَأَشَرْنَ لِي نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَلْنَ لِي
هَذِي خَلِيلَتُكَ الَّتِي زَوَّجْتَهَا
وَبِتْنَا النُّعْمَى الَّتِي خُولَتْهَا
فَنَظَرْتُ نَحْوَ خَلِيلَتِي [مَتَأَمِّلًا] ^(١)
وَأَتَيْتَهَا وَأَرَدْتُ نَزْعَ خِمَارِهَا
فَوَجَلَّتْهَا فِي صَدْرِهَا وَحَذَوْتَهُ
فَوَجَدْتُهَا قَرْعَاءَ تَحْسِبُ أَنَّهَا
حَوْلَاءُ تَنْظُرُ فَوْقَهَا فِي سَاقِهَا
فَطَسَاءُ تَحْسِبُ أَنْ رَوْثَةً أَنْفِهَا
صَمَاءٌ تُدْعَى بِالْبَرِيحِ ^(٢) وَتَارَةً
بَكَمَاءٍ إِنْ رَامَتْ كَلَامًا صَوْتًا

وَحَصَلْتُ أَيْضًا فِي مَقَامِ الْفَزَاعِ
فِي مَوْضِعٍ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ سَامِعٍ
مَا بَيْنَ آثَارِ هُنَاكَ بِلَاقِعٍ
لَا شَيْءَ فِيهِ سِوَى حَصِيرِ الْجَامِعِ
وَتَنَحُّنًا يَحْكِي تَقْيِيقَ ضَفَادِعِ
وَوُثِيثًا عِنْدَ الْبَابِ وَثْبَةً جَزَاعِ
فَرَدَّدْتَنِي وَجِهَمَتْنِي بِمَجَامِعِ
فَجَلَسْتُ كَالْمَضْرُورِ يَوْمَ زَعَاذِعِ
هَذِي زَوْبِيعَةٌ وَبِنْتُ زَوَابِعِ
فَاجْلِسْ هُنَا مَعَهَا لِيَوْمٍ سَابِعِ
فَلَقَدْ حَصَلْتُ عَلَى رِيَاضٍ يَانِعِ
فَوَجَدْتُهَا مَحْجُوبَةً بِبِسْرَاقِعِ
فَغَدَّتْ تُدَافِعُنِي بِجِدٍّ وَازِعِ
وَكَشَفْتُ هَامَتَهَا بِغِيْظِ صَارِعِ
مَقْرُوعَةٍ فِي رَأْسِهَا بِمَقَارِعِ
فَتَخَالَّهَا مَبْهُوتَةً فِي الشَّارِعِ
قُطِعَتْ فَلَا شُلَّتْ يَمِينُ الْقَاطِعِ
بِالطَّبْلِ أَوْ يُؤْتَى لَهَا بِمَقَامِعِ ^(٣)
تَصْوِيَتْ مِعْزَى نَحْوِ جَدْنِي رَاضِعِ

(١) هكذا وردت بالزيتونة . ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) البريح هنا معناها ، انتهب .

(٣) جمع قطة . وهي عبارة عن ذباب أزرق نسج يدخل أنوف الدواب . ويهاجم الإبل

إذا اشتد الحر ويلسها .

فَقَمَاءٌ إِنْ تَلْتَقَى أَسْنَانُهُمَا تَفْسُو إِذَا نَطَقَتْ فِسَاءُ الشَّابِعِ
 عَرَجَاءٌ إِنْ قَامَتْ تَعَالَجَ مَشِيهَا أَبْصَرَتْ مِشْيَةَ [ضَالِعٍ أَوْ خَامِعٍ] ^(١)
 فَلَقَيْنَهَا وَجَعَلَتْ أَبْصَقَ نَحْوَهَا وَأَفْرُ نَحْوِ دُجَاٍّ وَغَيْثٍ هَامِعِ
 حَيْرَانُ أَغْدُو فِي الزُّفَاقِ كَأَنَّنِي لَصُّ أَحْسَ بَطَالِبٍ أَوْ تَابِعِ
 حَتَّى إِذَا لَاحَ الصَّبَاحُ وَفَتَّحُوا بَابَ الْمَدِينَةِ كُنْتُ أَوَّلَ كَاسِعِ
 وَاللَّهِ مَالِي بَعْدَ ذَلِكَ بِأَمْرَهَا عِلْمٌ وَلَا بِأُمُورِ بَيْتِي الضَّايِعِ

نشره

وَفَضَّلَ النَّاسَ نَظْمَهُ عَلَى نَشْرِهِ ، وَنَحْنُ نُسَلِّمُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْكَثْرَةِ ،
 لَا مِنْ بَابِ الْإِجَادَةِ . وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ مُعَلِّمَةٌ بِالشَّهَادَةِ بِحَوْلِ اللَّهِ .

كُتِبَ إِلَى الشَّيْخَيْنِ الْفَقِيهَيْنِ الْأَدِيبَيْنِ الْبَلِیْغَيْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ یُوسُفَ بْنِ
 الْفَخَّارِ وَأَبِي الْقَاسِمِ خَلْفِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَبْتَوِيِّ :

« اللَّهُ دَرَكُمَا خَلِيفَتِي صَفَاءُ ، وَأَلِيفَتِي وَفَاءُ ، يَتَنَازَعَانِ كَأَسِ الْمَوَدَّةِ ،
 تَتَنَازَعُ الْأَكْفَاءُ ، وَيَتَهَادِيَانِ رِيحَانُ التَّحِيَّةِ مَهَادِي الظُّرْفَاءِ . قَسِيمَتِي نَسَبُ ،
 وَقَرِيعَتِي حَسَبُ ، يَتَجَاوِزَانِ بِمَطْبُوعٍ مِنَ الْأَدَبِ وَمُكْتَسَبِ ، وَيَتَوَارِدَانِ عَلَى
 عِلْمٍ مِنَ الظُّرْفِ وَنَسَبِ ، رَضِيعَتِي لِبَانُ ، ذَرِيعَتِي لُبَانُ ، يَحْرُزَانِ مِيرَاثَ
 قُسٍّ وَسَخْبَانِ ، وَيُبْرِزَانِ مِنَ الذِّكَا ، مَا بَانَ عَلَى أَبَانِ ، قَسِيمَتِي مُجَالُ ،
 فَصِيحَتِي رَوِيَّةٌ وَارْتَجَالُ ، يَتَرَعَانِ فِي أَشْطَانِ الْبَلَاغَةِ ، سَجَالًا بَعْدَ سَجَالِ ،
 وَيَقْشِرَعَانِ فِي مِيدَانِ الْفَصَاحَةِ رَجَالًا عَلَى رَجَالِ . مَا بِالْكَمَا لَا حُرْمَتَ حِبَالِ الْكَمَا
 وَلَا قُصَمَتَ نِبَالِ الْكَمَا . لَمْ تَسْمَحَا لِي مِنْ عُقُودِكُمَا بِدُرَّةٍ ، وَلَمْ تُرْشِحَا لِي مِنْ
 نُقُودِكُمَا بِدُرَّةٍ . وَلَمْ تَفْسَحَا لِي بِحُلُوءَةٍ وَلَا مُرَّةٍ . لَقَدْ ابْتَلَيْتُمْ مِنْ أَدَبِكُمَا
 بِنَهْرِ أَقْرَبِهِ وَلَا أَشْرَبِهِ . وَمَا أُرَدُّهُ وَلَا أَتَبَرَّرُهُ . وَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (الْخَامِعِ أَوْ ضَالِعِ) .

طالوت لا فُسِحت لي عُرفَة ، وأُتيحت لي تُرفَة . بل لو كنت من الإبل
ذوات الأظماء ، ما جُليت بعد الظُّمَاءِ عن الماء . ولا دخلتُ بالإشفاق مدخل
العجما . كيف وأنا ولا فخر في صورة إنسان ، ناطق بلسان . أفرّق بين
الإساءة والإحسان . وإن قلت إنَّ باعِي في النِّظْم قصير ، ومالِي على النَّثر
ولِي ولا نصير . وصنعة النحو عني بمَعَزِل . ومنزل الفقيه ليس لي بمنزل ،
ولم أقْدِم على العلم القديم ، ولا استأثرت من أهله بنديم . فأنا والحمد لله
غنيُّ بصنعة الجفَر ، وأقتنى البراع كأنها شبابيك التبر ، وأبرى البرية
المغا تنيف على الشبر ، وأزين خُدود الأسطار المُستوية ، بعقارب اللّامات
المُلتوية ، ولا أقول كأنها ، فلا ينكر السيدان أعزهما الله ، أنها نعم بعود
أزاعم ، وبمثل شكسى تُخضّر الملاحم . فما هذا الازدراء والاجترأ في هذا
الأمر مر المواقير . تالله لقد ظلّمتاني على علم ، واستندتما إلى غير حلم ، أما
رَهْبُتُما شَبَابِي ، أما رَغْبُتُما في حسابي ، أما رَفْعُتُما بين نفح صبابي ، ولَفَح
صِبابي . لعمري لقد رَكِبْتُما خطرا ، وهَجُتُما الأسد بطرا ، وأَبَحْتُما حِمِي
مُختضرا ، ولم تمنعنا في هذا الأمر نظرا .

أَعِدْ نظراً يا عبدَ قيس لعِلْمَا أضاعت لك النار الحِمار المقيّدا
ونفسي عينُ الحمار في هذا المضمار ، لا أعرف قبيلًا من دَبر ، ولا
أفرّق بحسبي بين صغير وكبير ، ولا أعهد أن حصاة الرّمي أخفُّ من ثبير ،
أليس في ذوى كبد رُطبة أجر ، وفي معاملة أهل التّقوى والمغفرة تجر ،
وإذا خولتُما نعمة ، أو نفلتُما نَفْلاً ، فاليَدُ العليا خير من اليد السفلى ،
وما نَقَصَ مال من صدقة ، ولا جمالٌ من لَمَحَ حدقة ، والعِلْمُ يزيد
بالإنفاق ، وكنتمهُ حراماً باتفاق ، فإن قلتما لي إنَّ فهِمَك سَقِيم ، وعِوَجُك
على الرِّياضة لا يستقيم ، فلعلّ الذي نَصَبَ قامتي ، يَمُنُّ باستقامتي ، وعسى

الذى يَشْتَقُّ سمعى وبصرى ، أن يزيل عيى وحصرى ، فأعنى ما تَقْصُصَان .
وأجتنلى ما تَنْصُصَان ، وأجنى ثمار تلك الأغصان ، فقد شاهدتما كثيراً من
الحيوان ، يُناغى فيتعلَّم ، ويُلقَن فيتكلَّم . هذا والجنس غير الجنس ،
فكيف المُشارك فى نَوْعِيَّة الإنس ، فإن قلنا إن ذلك يَشْتَقُّ ، فأين الحقُّ
الذى يَحَقُّ ، والمشقة أخت المروة ، وينعكس مساق هذه الأخوة ، فيقال
المروة أخت المشقة ، والحجيج يصبر على بُعد الشقة ، ولولا المشقة ، كثر
السادة ، وقلت الحسادة ، فما ضر كما أياها السيدان ، أن تحسبا تحويجى ،
وتكتسبا الأجر فى تدريجى ، فإنكما إن فعلتما ذلك ، نُسيبت إلى ولايكما ،
كما حُسيبت على عليكما ، وأضيفت إلى نديكما ، كما عُرِفَت بمنندكما . ألم
تعلمنا أن المرء يُعرف بخليله ، ويُقاس به فى كثيره وقليله ، ولعللى أمتحن
فى مرام ، ويُعْجِم عودى رام . فيقول هذا العود من تلك الأعواد . وما فى
الحلبة من جواد ، فأكسوكم عاراً ، وأكون عليكم شعاراً . على أنى إذا
دُعيت باسمكما ، استرَبْتُ من الإدعاء ، فلا أستجيب لهذا الدُعاء ، ولكن
أقول كما قال ابن أبى سفيان . حين عرف الإدارة ، وأنكر الإمارة ، نعم
أخوتى أصح ، وأنها بها أشح ، إلا أن غيرى نظم فى السلك ، وأسهم فى
الملك ، وأنا بينكما كالمحجوب بين طلاب ، يشاركونهم فى البُكا لا فى
الثراث ، إن حضرت فكنتم فى الإقحام . أو لمقعد فى زحام ، وإن غُبت
فَيُقْضَى الأمر ، وقد سَطَرَ زيد وعمرو . ناشدتكما الله فى الإنصاف ، أن
تربعا بوادٍ من أودية الشجر . فى نادٍ من أندية الشعر بل السحر ، حيث
تندرج الأنهار ، وتتأرجح الأزهار . ويتبرَّح الليل والنهار ، ويقرأ الطير
صُحُفاً مُنتشرة ، ويجلو النور ثغورا مؤشرة ، يُغازل عيون النرجس الوجِل
خدود الورد الخجل . وتبايل أعطاف البان ، على أرذاف الكُثبان ، فيرقد

النسيم العليل في جحر الروض وهو بليل ، وتبرُّز هودج الرياح على الرياح .
وقد هليت بأقمار ، وخديت بأزهار ومزمار ، وركبتها الصبا والكُميت في
ذلك المضمار ، ولم تنالا في طيب ، وعيش رطيب ، من قباب وخدور .
وشموس وبُذور ، تصلان الليالي والأيام ، أعجازاً بضدور ، وأنا الطريد
منبوذ بالعراء ، موقوذاً في جهة الوراء ، لا يُدني محلي ولا يُغني بعقدى
ولا حلي ، ولا أدرج من الحرور إلى الظل ، ولا أخرج من الحرام إلى الحِل ،
ولا يُبعث إليّ مع النسيم هبة ، ولا يُتاح لي من الآتي عبء . قد هلكت لغواً ،
ولم تُقيما لي صفواً ، ومت كمدأ ، ولم تَبْعثا لبغى أمدأ . أتراه خلفتماني
جرّضاً . وألقيتُماني حرّضاً ، كم أَسْتَسْقِي فلا أُسْقَى . وأَسْتَرْقِي فلا أُرْقَى :
لاماء أشربُه ولا عمل في وِضْلِكما أدربُه . لم يبق لي حيلة إلا الدعاء المجاب .
فعسى الكرب أن يَنجِب . اللهم كما أمددت هذين السيِّدين بالعلم الذي
هو جمال ، وسدّدتهما إلى العمل الذي هو كمال ، وجَمَعْتَ فيهما الفضائل
والمكارم . وَخَتَمْتَ بهما الأفاضل والمكارم ، وجعلتَ الأدب الصريح أقلَّ
خِصَالهما ، والنظر الصحيح أقلَّ نِصَالهما ، فاجْعَل اللهم لي في قلوبهما رحمة
وحناناً . وابسُط لي منهما وَجْهاً ، واشرح لي جَناناً ، واجعلني اللهم ممّن
اقتدى بهما ، وتعلّق بأهدابهما ، وكان دأْبُه في الصّالحات كدأْبهما . حتى
أكون بهما ثالثَ القَمَرين في الآيات . وثالثَ العُمَريْن في عمل البرِّ وطول الحياة .
اللهم آمين وصلى الله على محمد خاتم النبيّين . وكأني أنظر إلى سيدي
أعزّها الله ، إذا وقفا على هذا الخطاب ، ونظرا إلى هذا الاحتِطاب . كيف
يُديران رَمْزاً ، ويسيران غَمْزاً ، ويقال استَتَبَّ^(١) الفِصال ، وتعاطى البياذق
ما تفعل النّصال . وَحَنُّ جَذْعُ ليس منهما ، وَخُذُّ عَجْفاءك وَسَمَها .

(١) هذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (استثنيت) .

فَأَقُولُ وَطَرَفِي غَضِيضٌ ، وَمَحَلِّي الْحَضِيضُ ، مِثْلِي كَمِثْلِ الْفُرُوجِ أَوْ ثَانِي
الْبُرُوجِ ، وَمَا تَقَاسَ الْأَكُفُ بِالسُّرُوجِ . فَأَضْرِبُهَا عَنْيَ أَيُّهَا الْفَاضِلَانِ ،
مَ أَنَا مِّنْ تَنَاضِلَانِ ، وَالسَّلَامُ » .

مولده

قال شيخنا الفقيه أبو عبد الله بن القاضي المُتَبَجِّرُ الْعَالِمُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
'بن عبد الملك ، سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلَدِهِ فَأَنْشَدَنِي :

يَا سَائِلِي عَنْ مَوْلَدِي كَيْ أَدْكُرَهُ وَلِدْتُ يَوْمَ سَبْعَةٍ وَعَشْرَةٍ
مِنَ الْمُحَرَّمِ افْتِتَاحَ أَرْبَعٍ مِنْ بَعْدِ سِتْمَايَةِ مُفَسَّسَةٍ

وفاته

فِي التَّاسِعِ عَشَرَ لِرَجَبِ عَامِ تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ وَسِتْمَايَةِ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ فَاسَ ،
وَأُمِرَ أَنْ يَكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ :

زَرِ غَرِيبًا بِمَقْرَهُ نَازِحًا مَالَهُ وَلِ
تَرْكُوهُ مُوسَدًّا بَيْنَ تُرْبٍ وَجَنْدَلِ
وَلْتَقُلْ عِنْدَ قَبْرِهِ بِلِسَانِ التَّدَلُّلِ
يَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدَهُ مَالِكُ بْنُ الْمَرْحَلِ

وَمِنْ طَارِئِي الْمُقْرِئِينَ وَالْعُلَمَاءِ

مَنْصُورُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزَّوَاوِي

صَاحِبُنَا ، يَكْنَى أَبَا عَلِيٍّ .

حاله

هَذَا الرَّجُلُ طَرَفٌ فِي الْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ ، وَحَسَنُ الْعَهْدِ ، وَالصُّونِ وَالطَّهَارَةِ

والعنة . قليل التصنع ، دؤثر للاقتصاد ، منقبض عن الناس . مكفوف الدان واليد ، مُشْتَغَلُ بِشَأْنِهِ ، عاكفٌ على ما يُعْنِيهِ ، مستقيم الظاهر . ساذج الباطن . مُنْصِفٌ في المذاكرة ، مُوجِبٌ لحَقِّ الْخَصْمِ ، حريصٌ على الإفادة والاستفادة ، مثابرٌ على تعلُّمِ الْعِلْمِ وتعليمه ، غيرَ أَزِيفٍ عن حَمَلِهِ عَمَّنْ دُونِهِ ، جُمْلَةٌ من جُمَلِ السَّادِجَةِ والرُّجُولَةِ وحسن المعاملة ، صَدْرٌ من صدور الطَّلَبَةِ ، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ . واطِّلَاعٌ وتقيد ، ونظر في الْأَصُولِ والمنطق وَعِلْمُ الْكَلَامِ ، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات . يكتب الشَّعْرَ فلا يعدو الإِجَادَةَ والسَّادَادَ .

قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، فلبقى رَجَباً ، وعُرف قَدْرُهُ ، فتقدم مُقَرَّنًا بالمدرسة^(١) تحت جِراية نبيهه ، وَحَلَّقَ لِلنَّاسِ مَتَكَلِّمًا على الفروع الفقهية والتفسير . وتصدَّرَ لِلْفَتْيَا ، وحضر بالدار السلطانية مع مثله . جَرَّبَتْهُ وَصَحِبَتْهُ . فَبَلَّوْتُ مِنْهُ دِلِيلًا وَنَصِيفَةً ، وحسن عِشْرَةً .

مَحْنَتُهُ

امتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعية ، لِمُتَوَقَّفٍ صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والنُّبُوَّةِ ، وشكَّ في القول بتكفيره ، فقال القوم بإشراكه في التكفير ولَطَخِهِ بِالْعَابِ^(٢) الكبير ، إذ كان كثير المشاحة^(٣) لجماعتهم ، فَأَجَلَّتِ الْحَالُ عَنْ صَرْفِهِ عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبعماية .

(١) المقصود بالمدرسة هنا ، المدرسة النصرية أو جامعة غرناطة الشهيرة ، انظر: السلطان يوسف أبو الحجاج في سنة ٨٧٥٠ (١٣٤٩ م) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العاب) وهو تحريف

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المشاحة) والمؤدى واحد

مشيخته

طلبتُ منه تقييد مشيخته ، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما نصه :
 « يتفضلُ سيدى الأعلى الذى أهدى بمصباحه ، وأغشوا إلى غُرره
 وأوضحه . جامعُ أشنات العلوم ، وفاتقُ رتقُ الفهوم ، حاملُ راية البديع ،
 وصاحبُ آيات التورية^(١) فيه والترصيع ، نُخبة البلغاء ، وفخر الجهابذة
 العلماء . قائدُ جِياد البلاغة من نواصيها . وسائقُ شِوارد الحِكم من أقاصيها ،
 أبو عبد الله بن الخطيب ، أبقاه الله للقريض ، يَقْطِفُ زهره ، وَيَجْتَنِي
 غُرره . وللبديع يُطلع قمره ، وينظم دُرره . وللآدب يحك حُلله . ويجمع
 تفاصيله وجُمْلَه ، وللمعانى يجوس بجيوش البراعة خِلالها ، ويفتتح
 بعوامل البراعة أقفالها ، وللأسجاع يُقرطُ^(٢) الأسماع بفرايدها ، ويحلّ النحور
 بقلايدها . وللنظم يُورد جِياده أحلى الموارد ، ويُجبلها^(٣) فى مِضمار البلاغة
 من غير مُعانَد ، وللنثر يفتّرع أبكاره . ويودعها أسرارَه ، ولساير العلوم
 يصوغها فى مَفرق الآداب تاجاً ، ويضعُها فى أسطر الطُروس سراجاً ، ولازال
 ذا القلم الأعلى ، وبذر الوزارة الأوضح الأجلّى ، ببقاء هذه الدولة المولوية
 والإمامة المحمدية . كعبةً للملوك الإسلام . ومَقْصِداً للعلماء الأعلام . ورضى
 عنهم خَلْفاً وسَلْفاً ، وبُورِكَ لنا فيهم وسطاً وطَرْفاً ، ولا زالت آمالنا بَعْلانهم
 مَسْوَطة . وفى جاههم العريض مَبْسُوطَة ، بقبول ما نَبّه عليه . من كُتب
 شيوخى المشاهير إليه ، فها أنا أذكر ما تيسر لى من ذلك بالاختصار .
 إذ لاتفى بذكرهم وحُلاهم المجلّدات الكبار .

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . ووردت فى الإسكوريال (آية التفويف) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى الزيتونة (بقلر) وهو تحريف .

(٣) هكذا ووردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ويحيها) .

فمنهم ، مولاى الوالد على بن عبد الله لقاءه الله ، الروح والريحان ،
وأوسع الرضا والغفران . قرأت عليه القرآن ، وبعض ما يتعلق به من
الإعراب والضبط . ثم بعثنى إلى شيخنا المجتهد الإمام ، علّم العلماء ،
وقُطِب الفقهاء ، قُدوة النظار ، وإمام الأمصار ، منصور بن أحمد المشدلى
رحمه الله وقُدس روحه ، فوجدته قد بلغ السنَّ به غاية أوجبت جلوسه فى
داره ، إلا أنه يُفيد بفوايده بعض زوّاره . فقرأت من أوائل ابن الحاجب^(١)
عليه لإشارة والدى بذلك إليه ، وذلك أول محرم عام سبعة وعشرين
وسبعمائة . واشتد الحصار ببجاية لساعنا أن السلطان العبد الوادى^(٢)
ينزل علينا بنفسه ، فأمرنى بالخروج رحمه الله ، فعاقبى عايق عن الرجوع
إليه لأتمم قراءة ابن الحاجب عليه . ثم مات رحمه الله عام أحد وثلثين
وسبعمائة ، فخَصَّ مصابه البلاد وعمَّ ، ولفَّ ساير الطلبة وضمَّ ، إلا أنه
ملاً ببجاية وأنظارها بالعلوم النظرية وقساها ، وأنظارها بالفهوم النقلية
والعقلية . فصار^(٣) من طلبته ، شيخنا المعظم ، ومفيدنا المُقَدِّم
أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى المعروف بالمُفسِّر^(٤) رحمه الله ، بالطريقة
الحاجبية ، والكتابة الشرعية والأدبية ، مع فضل السن وتقرير حسن ،
إلى معارف^(٥) تحلّاها ، ومحاسن اشتمل حُلّاها . واستمر فى ذكر شيوخه

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبى بكر المعروف بابن الحاجب ، إذ كان والده
حاجباً لأحد أمراء الدولة الصلاحية المصرية . ولد بالقاهرة وبرخ فى الفقه وعلوم اللغة ، واشتهر
بكتبه فى النحو وفى مقدمتها « الكافية » و « الشافية » . وكانت كتبه من أهم نصوص الدراسة اللغوية
طوال العصور الوسطى . وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ .

(٢) نسبة إلى نبي عبد الواد ملوك مملكة تلمسان بالمغرب الأوسط .

(٣) هكذا وردت فى الزيتونة . ووردت فى الإسكوريال (فنار) وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (بالاسفر) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (معان) .

على هذه الوتيرة من التزام السَّحح ، بتقرير الحَلْي ، فأجاد ، وتجاوز^(١) المعتاد . فذكر منهم محمد بن يحيى الباهلي المذكور ، وأنه أخذ عنه جملة من العلوم ، فافزده بقراءة الإرشاد . والأستاذ أبا علي بن حسن البجلي ، وقرأ عليه جملة من الحاصل . وجملة من المعالم الدينية والفقهية ، والكتب المنطقية ، كالخونجي ، والآيات البينات . والقاضي أبا عبد الله محمد بن أبي يوسف ، قاضي الجماعة ببجاية ، وأبا العباس أحمد بن عمران الساوي اليانبولى^(٢) . قال ثم ثنيت العنان بتوجهي إلى تلمسان . راغباً في علوم العربية ، والفهم الهندسية والحسابية ، فأول من لقيت شيخنا الذي عُلمت في الدنيا جلالته وإمامته . وعُرفت في أقاصي البلاد سيادته وزعامته ، وذكر رئيس الكتاب العالم الفاضل أبا محمد عبد المهيمن الحَضْرَمِي . والمحدث البقية أبا العباس بن يربوع ، والقاضي أبا إسحق بن أبي يحيى . وقرأ شيئاً من مبادئ العربية على الأستاذ أبي عبد الله الرندي . ولقي بالأندلس جلّة . فممن قرأ عليه إمام الصنعة العربية شيخنا أبو عبد الله بن الفخّار الشهير بالبيري^(٣) . ولازمه إلى حين وفاته ، وكتب له بالإجازة والإفك له في التّحليق بموضع قُعوده من المدرسة بعده . وقاضي الجماعة الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني ، نسيجٌ وحده ، ولازمه . وأخذ عنه تواليفه ، وقرأ عليه تسهيل الفوائد لابن مالك . وقيد عليه . وروى عن شيخنا إمام البقية أبي البركات بن الحاج ، وعن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي . وهو الآن بالبحال الموصوفة أعانه الله وأمتع به

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (جواز) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الباني) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (البيري) . والمؤدى واحد ، وهو

النسبة إلى البيرة .

شعره

زُرنا معا والشيخ القاضي المتفنن أبو عبد الله المقرئ عند قدومه إلى
الأندلس رباط العقاب^(١) . واستنشدتُ القاضي . وكتب لي يومئذ بخطه ،
استنشدني الفقيه الوجيه الكامل ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب ،
أطال الله بقاه كما أطال ثناه ، وحفظ مُهَجته . كذا ، أحسن مُهَجته ،
فأنشدته لنفسى :

لما رأيْناكَ بعد الشَّيبِ يا رَجُلٌ لا تستقيم وأمر النفس تمتثل
زدنا يقيناً بما كنا نصدِّقه عند المشيب يشبُّ العِزُّ والأمل

وكان ذلك بمسجد رابطة العقاب ، عقب صلاة الظهر من يوم الأحد
التاسع والعشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعماية .
وكتب الشيخ الأستاذ أبو علي يقول : منصور بن علي الزواوي ، في رابطة
العقاب في كذا ، أجزتُ صاحبنا الفقيه المعظم ، أبا عبد الله بن الخطيب
وأولاده الثلاثة عبد الله . ومحمداً . وعلياً ، أسعدهم الله ، جميع ما يجوز لي
وعني روايته ، وأنشدته قولي مخاطب بعض أصحابنا :

يحييك عن بعض المنازل صاحب صديق غدت تهدي إليك رسايه
مُقدِّمةً حفظ الوداد وسيلة ولا وُدَّ إلا أن تصحَّ وسائله
يُسائل عنك الدارين ولم يكن تغيب لبُعْد الدار عنك مسايه
وكتبت له قبل هذا مما أنشدته عند قدومي على غرناطة :

يا مَنْ وجدناه لفظاً حقيقةً في المعسالى
مقدِّماتٌ عُلاكم أنتَ جن كل كدال

(١) رباط العقاب أو رابطة العقاب ، كانت أحد الرباط التي بنيت في غرناطة ، وكانت تقع على مقربة من غرناطة ، وقد سبق التعريف بها (أنظر المجلد الثاني من الجزء ١٥٥ حاشية) .

وكل نظم قياس خلوت منه فخال
وهو من لدن أزعج عن الأندلس ، كما تقدم ذكره . مقيم بتلمسان .
على ما كان عليه من الإقراء والتدريس .

مسلم بن سعيد التَّمَلِيّ^(١)

حاله

كان غير نبيه الأبوة . ظهر في دولة السلطان أمير المسلمين . ثاني الملوك
من بني نصر ، بمزيد كفاية ، فقلده خُطّة الحِفازة ، وهي تعميم النظر في
المعاني ، وضم الأموال ، وإيقاع النكير في محل التقصير ، ومطأن الرّيب
فتمت حاله ، وعظم جاهه ، ورُهِبت سَطوته ، وخيف إيقاعه . وقُرِبَتْ
من السلطان وسيلته ، فتقدم الخُدّام ، واستوعب أطراف الحُطوة . واكتسب
العقار ، وصاهر في نبيه البيوتات ، وأروث عنه أخبارا ، تشهد له بالجود
وعلوّ الهمة ، وشرف النفس ، إلى أن قَضَى على هذه الوتيرة .

ذكروا أن شخصاً جلب سِلعة نفيسة ، مما يُطعم في إخفاها ، جيدة عن
وظيفة المقرم الباهظة ، في مثل جنسه ، فبينما هو يروم المحاولة ، إذ بَصُرَ
بنييه المركب والبزة ، يَنْفَضُّ في زوايا الفحص عن مثل مُضْطَبَّنَه ، فظنّه
رئيساً من رؤساء الجند ، فقصده ورغب منه إجازة خبيثته بباب المدينة .
وقرر لتخوفه من ظلم الحافظ الكذا مُسلم ، فأخذها منه وخبأها تحت
ثيابه ، ووكل به . ولم يذهب المسكين الا يسيراً . حتى سأل عن الرجل ،

(١) هكذا ورد في الإِسْكُورِيّال . وفي الزيتونه (السخل) وهو تحريف . والتَّمَلِيّ
نسبة إلى بلدة تيممل . وهي بلدة صغيرة تقع فوق سوح جبال الأطلس ، في جنوب غرب مراكن ،
ومنها كان نهوض المهدي ابن تومرت ، ومبعث دولة الموحدين .

فأخبر أنه الذي فرَّ عنه . فسُقِطَ في يده . ثم تحامل فألقاه ينظره في داخل السور ، فدفع إليه أمانته ، وقال سر في حفظ الله ، فقد عَصَمَهَا اللهُ من ذلك الرجل الظالم ، فحَجَلَ الرجل ، وانصرف متعجباً . وأخبره في السراوة . ونجح الوسيلة . كثيرة .

وفاته

توفي في عام ثمانية وتسعين وستمائة ، وشهد أميرُه دفنه . وكان قد أسَفَ ولى العهد بأمور صانعه فيها من باب خدمة والده . فكان يتَلَمَّظُ لنكبته ، ونصب لشاته لأكله . فعاجله الحِمَام قبل إيقاع نَقَمته به . ولما تصيّر إليه الأمر ، نبش قبره ، وأخرج شلوه ، فأحرق بالنار ، إغراقاً في شهوة التَّشْفَى رحمة الله عليه ^(١) .

ومن العمال الأثراء

مُؤمِّل ، مولى باديس بن حبّوس

حاله ومحنته

قال ابن الصَّيرفي . وقد ذكر عبد الله بن بُلُقَيْن حفيد باديس . واستشارته عن أمره . لما بلغه حركة يوسف بن تاشفين إلى خلعه . وكان في الجملة من أحبابه . رجل من عبيد جدّه اسمه مؤمِّل . وله سين . وعنده دهاء وفطنة . ورأى ونظر . وقال في موضع آخر . ولم يكن في وزراء

(١) وردت هذه الترجمة في هامش اللوحة 198 من مخطوط الإسكوريال . والظاهر أن السج ٢٠ ، قد نسبها ، وهي واردة في مكانها بمخطوط الزيتونة باللوحة 84 من الجزء الثاني .

مملكته وأخبار^(١) دولته ، أصيل الرأي ، جزل الكلمة ، الا ابن أبي خيثمة من كتبه ، ومؤمل من عبيد جدّه ، وجعفر من فتّيانه . رجّع ، قال ، فألطف له مؤمل في القول ، وأعلمه برفق ، وحسن أدب ، أن ذلك غسر صواب ، وأشار إليه بالخروج إلى أمير المسلمين إذا قرب ، والتطأرح عليه ، فإنه لا تمكنه مدافعتة ، ولا تطاق حرّته ، والاستجداء^(٢) له . أحمد عاقبة وأيمن مغبة . وتابعه على ذلك نظراؤه ، من أهل السن والحكمة ودافع في صدّ رأيه الغلّة والأغمار ، فاستشاط غيظاً على مؤمل [ومن نحا نحوه]^(٣) ، وهمّ بهم ، فخرجوا ، وقد سلّ بهم فرقاً منه . فلما جنّهم الليل فرّوا إلى لوشة ، وبها من أبناء عبيد باديس قايدها ، فملكوها وثاروا فيها ، بدعوة أمير المسلمين يوسف بن تاشف . وبادر مؤمل [بالخطاب إلى أمير المسلمين المذكور]^(٤) وقد كان سقر إليه عن سلطانه ، فأعجبه عقلاً ونُبلاً ، فاهتزّ إليه ، وكان أقوى الأسباب على حرّكته . وبادر حفيد باديس الأمر ، فأشخص الجيش لنظر صهره ، فتغلّب عليهم ، وسبق مؤمل ومن كان معه شرّ سوق في الحديد ، وأركبوا على دواب هجن ، وكشفت رؤوسهم ، وأردف وراء كل رجل من يصفعه . وتقدّم الأمر في نصب الجذوع وإحضار الرّماة . وتلطّف جعفر في أمرهم . وقال للأمير عبد الله : إن قتلتهم الآن ، أطفأت غضبك ، وأذهبت ملكك . فاستخرج المال : وأنت من وراء الانتقام ، فثقفهم ، وأطمعوا في أنفسهم ريثما شنله الأمر ،

(١) وردت في الإسكوريال (أحبا) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (الابحذاء) وهو تحريف .

(٣) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . وورد مكابها في الإسكوريال (بخطاب

يوسف المذكور) . والأولى أنسب للسياق .

«أُنْفَذَ إِلَيْهِ يَوْسُفُ بْنُ تَاشُفِينٍ فِي حُلٍّ اعْتَقَلَهُمْ ، فَلَمْ تَسَعَهُ مَخَالَفَتُهُ وَأُطْلِقَهُمْ . وَلَمَّا مَلَكَ غَرْنَاطَةَ عَلَى تَفْئِثَةِ تِلْكَ الْحَالِ ، قَدَّمَ مُؤَمَّلًا عَلَى مُسْتَخْلَصِهِ^(١) وَجَعَلَ بِيَدِهِ مَفَاتِيحَ قَصْرِهِ ، فَنَالَ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ وَحُظُوتِهِ ، وَاقْتَنَى مَا أَرَادَ مِنْ صَامِتٍ وَذَخِيرَةٍ . وَنُسِبَتْ إِلَيْهِ بِغَرْنَاطَةَ آثَارٌ ، مِنْهَا السَّقَايَةُ بِيَابِ الْفَخَّارِيِّنَ وَالْحَوْزُ الْمَعْرُوفُ بِحَوْزِ مُؤَمَّلٍ^(٢) ، أَدْرَكَهَا وَهِيَ بِحَالِهَا .

وفاته

قال ابن الصَّيرَفِي ، وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْعَامِ ، وَهُوَ عَامُ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، تَوَفَّى بِغَرْنَاطَةَ مُؤَمَّلٌ مَوْلَى بَادِيَسِ بْنِ حَبُّوسَ ، عَبْدِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَابِي مُسْتَخْلَصِهِ [وَكَانَ لَهُ دِهَاءٌ وَصَبْرٌ]^(٣) ، وَلَمْ يَكُنْ بِقَارِيءٍ وَلَا كَاتِبٍ . رَزَقَهُ اللَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، مَنْزِلَةً لَطِيفَةً وَدَرَجَةً رَفِيعَةً . وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَنِيَّةِ ، أَحْضَرَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ مَالِ الْمُسْتَخْلَصِ ، وَأَشْهَدَ الْحَاضِرِينَ عَلَى دَفْنِهِ إِلَى مَنْ اسْتَوْتَقَهُ عَلَى حَمْلِهِ . ثُمَّ أَبْرَأَ جَمِيعَ عَمَالِهِ وَكُتَّابِهِ . وَأَنْفَذَ رِجَالًا مِنْ صَنَائِعِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِجُمْلَةٍ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ ، يَرِيهِ أَنَّ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا اكْتَسَبَهُ فِي دَوْلَتِهِ ، أَيَّامَ خِدْمَتِهِ ، وَأَنَّ بَيْتَ الْمَالِ أَوْلَى بِهِ ، وَرَغِبَ فِي سِتْرِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ، أَظْهَرَ الْأَسْفَ عَلَيْهِ ، وَأَمْضَى تَقْدِيمَ صَنِيعَتِهِ . ثُمَّ ذَكَرَ مَا كَشَفَ الْبَحْثُ عَنْهُ مِنْ مُحْتَاجَتِهِ ، وَشَقَاءِ مَنْ خَلَفَهُ بِسَبَبِهِ ، وَعَدَّدَ مَالًا وَذَخِيرَةً .

(١) المستخلص هنا يقصد بها الأملاك والأموال الأميرية .

(٢) حوز مؤمل أو رجة مؤمل ، اسم مكان بغرناطة الإسلامية كان يقع في جنوب غرب الحمراء ويشتهر برياضه ومنتزهاته . وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٤١ ؛ حاشية) .

(٣) هذه العبارة واردة في الزيتونة . ومكانها بياض بالإسكوريال .

حرف النون

الملوك والأمراء

نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن

محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي الأنصاري

أمير المسلمين بالأندلس ، بعد أبيه وجده وأخيه ، يُكنى أبا الجيوش
وقد تقدم من أولية هؤلاء الملوك ما يُغنى عن الإعادة .

حاله

من كتاب « طرفة العصر في أخبار الملوك من بني نصر »^(١) من تصنيفنا .
قال . كان قتيلاً بالعيون حسناً وتام صورة ، دُمّت الأخلاق . ليين العريكة .
عفيفاً ، مجبولاً على طلب الهدنة وحب الخير . مُغمّد السيف ، قليل الشر ،
نافراً للبطر وإراقة الدماء ، مُحبا في العلم وأهله . أخذاً من صناعة التعديل
بحظٍّ رغيب . يخطُّ التقاويم الصحيحة ، ويصنع الآلات الطريفة بيده ،
اختصّ في ذلك الشيخ الإمام أبا عبد الله بن الرّقام . وحيد عصره . فجاء
واحد دهره ظرفاً وإحكاماً . وكان حَسَنَ العهد . كثير الوفاء . حمّله الوفاء
على اللّجّاج في وزيره المطلوب يغرّله ، على الاستهداف للخلع .

تقدّم يوم خلع أخيه ، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعماية .
وسنه ثلاث وعشرون سنة . فكان من تمام الخلق ، وجمال الصورة ، والتأنق
في ملوكي اللباس ، آية من آيات الله خالته . واقتدى برسوم أبيه وأخيه ،
وأجرى الألقاب والعوايد لأول دولته وكانت أيامه كما شاء الله ، أيام

(١) قننا بالتعريف بهذا الكتاب . هــن مؤلف ابن المطيب ، في مقدسة الجبلد الأول من
« الإحاطة » (ص ٥٨) .

نَحْنُ مستمر . شملت المسلمين فيها الأُزمة ، وأحاط بهم الذُّعر ، وكَلِبَ العدو . وسيمر من ذلك ما فيه كفاية . وكان فتيّ أيّ فتيّ ، لو ساعده الجَدُّ . والأمر لله من قبل ومن بعد .

وزراء دولته

وزّر له مُقيم أمره ومُحكم التدبير على أخيه ، أبو بكر عتيق بن محمد ابن المول . وبيت بنى مَوْل بقرطبة ، بيت له ذكر وأصالة . ولما تغلّب عليها ابن هود ، اختفى بها أبوه أياما عدة . ولما تملكها السلطان الغالب بالله تلك البرهة . خرج إليه وصحبه إلى غرناطة ، فاتصلت قرّباه بعقدّه على بِنْتٍ للرئيس أبي جعفر المعروف بالعُجّاب ابن عم السلطان . واشتدَّ عَصْدُهُ . ثم تأكّدت القرّبي بعقد مَوْل أخى هذا الوزير على بِنْتٍ الرئيس أبي الوليد أخت الرئيس أبي سعيد . مُنْجِب هؤلاء الملوك الكرام ، فقام بأمره ، واضطلع بأعباء سلطانه ، إلى أن كان من تغلّب أهل الدولة عليه ، وإخافة سلطانه منه ، ما أوجب صرفه إلى المغرب في غرض الرسالة ، وأشير عليه في طريقه بإقامته بالمغرب . فكان صرفاً حسناً . وتولى الوزارة محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج ، المُسَيَّر لخلّعه ، واجتثاث أصله وفرّعه ، وكان خبياً داهية ، أعلم الناس بأخبار الرُّوم وسيرهم وآثارهم . فحدّثت بين السلطان وبين أهل حضّرتة الوحشة بسببه .

قضاته

أقر على خطة القضاء بحضرته قاضى أخيه الشيخ الفقيه أبا جعفر القرشى المُنبِز بابن فركون ، وقد تقدم التعريف به مستوفى بحول الله^(١)

(١) وردت ترجمة ابن فركون انشيد إليه ، في المجاهد الأول من الإحاطة (١٥٣ - ١٥٧)

كتابه

شيخنا الصدر الوجيه ، نسيج وحده أبو الحسن على بن محمد بن سليمان بن الجيَّاب إلى آخر مدته

من كان على عهده من الملوك

بالمغرب ، السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، تصير الأمر إليه بعد وفاة أخيه السلطان أبي ثابت عامر بأخواز طَنْجَة ، في صفر عام ثمانية وسبع مائة ، وكان مشكوراً ، مُبْتَخَت الولاية . وفي دولته عادت سَبْتَة إلى الإيالة المرينية ، ثم توفي بتازي^(١) في مستهل رجب من عام عشرة وسبعماية . وتولى الملك بعده عمُّ أبيه السلطان الجليل الكبير ، خِذْنُ العافية ، وولى السلامة ، وممهد الدولة أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . واستمرت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير ، وكثيراً من أيام مَنْ بعده . وقد تقدّم من ذكر السلطان أبي يوسف في اسم من تقدم من الملوك ما فيه كفاية .

وبتلمسان ، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يَغْمِرَاسِن ، سلطان بني عبد الواد^(٢) ، مدلل الصُّقع ، والمثل السَّائر في الحزم والتيقُّظ ، وصلابة الوجّه ، زعموا ، وإحكام القِحة ، والإغراب في خُبث السَّيرة . واستمرت ولايته إلى عام ثمانية عشر وسبعماية ، إلى أن سَطَا به ولده ، عبد الرحمن أبو تاشفين .

وبتونس ، الأمير الخليفة أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن

(١) تازي أو تازة أو تازا بلدة مغربية تقع شرق مدينة فاس ، وجنوب ثغر المزمة .

(٢) وردت في المخطوطين (عبد الوادي) والأصح ما أثبتناه

المستنصر محمد بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص . ثم تُوفي في ربيع الآخر عام تسع وسبع مائة . فولى الأمر قريبه الأمير أبو بكر بن عبد الرحمن ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحق بن الأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص . ونهض إليه من بجاية قريبه السلطان أبو البقاء خالد ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحق ابن الأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص ، فالتقيا بأرض تونس ، فهزم أبو بكر ، ونجا بنفسه ، فدخل بُسْتَانًا لبعض أهل الخدمة ، مُخْتَفِياً فيه ، فسعى به إلى أبي البقاء ، فجيء به إليه ، فأمر بعض القرابة بقتله صبراً ، نفعه الله . وتم الأمر لأبي البقاء في رابع جمادى الأولى منه ، إلى أن وفد الشيخ المعظم أبو يحيى زكريا الشهير باللُّحياني ، قافلاً من بلاد المشرق ، وهو كبير آل أبي حفص نسباً وقُدراً ، فأقام بإطرابلس ، وأُنقذ إلى تونس خاصته ، الشيخ الفقيه أبا عبد الله المَرْدُورِي (١) محارباً لأبي البقاء ، وطالباً للأمر . فتم الأمر ، وخلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعمائة . وتم الأمر للشيخ أبي يحيى ، واعتقل أبو البقاء ، فلم يزل مُعتَقلاً إلى أن توفي في شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة ، ودفن بالجبانة المعروفة لهم بالزَّلَاج ، فضرَّيحه فيما نعرفنا بإزاء ضريح قتيله المظلوم أبي بكر . لا فاصل بينهما . وعند الله تجتمع الخصوم .

وأتَّصَلت أيام الأمير أبي يحيى ، إلى أن انقرضت مائة الأمير أبي الجيوش . وقد تضمَّن الإلماع بذلك الرَّجَز المسمى بقطع السلوك (٢) من

(١) هكذا ورد اسم هذا الفقيه في الإصحاح وهو ابن الصَّحاح . وفي الزيادة (٢) يا عبد الله السلام (رى) وهو تحريف .

(٢) ابن الخطيب هنا إلى كتابه (رقم الحلل في نظم الدرر) الذي سبقت الإشارة إليه .

نظمى . فمن ذلك فيما يختص بملوك المغرب قولى فى ذكر السلطان أبى يعقوب :

ثم تقضى معظم الزمان	مواصلاً حُضر بنى زِيَّان
حتى [أنى] ^(١) أهل تلمسان الفرج	ونَشَقُوا من جانب اللُّطْف الأرج
لما ترقى دَرَج السَّعد دَرَج	فانفضَّ ضيق الحصر عنها وانفَرَج
وابن ابنه وهو المسمى عامراً	أصبح بعدُ ناهياً وأمرأ
وكان ليثاً دأبى المخالب	تغلب الأمر بجِدٍّ غالب
أباح بالسيف نفوساً عدَّة	فلم تَطُل فى المُلك منه المُدَّة
ومات حَتَفَ أنفسه واختَرما	ثم سليمان عليها قُدَّما
أبو الربيع دهره ربيع	يُثنى على سِيرته الجميع
حتى إذا المَلِك سليمان قضى	تصير الملك لعُثمان الرضا
فلاح نور السَّعد فيها وأضأ	وسى العهد الذى كان مضأ

وفى يختص بينى زِيَّان ، بعد ذكر أبى زِيَّان :

حتى إذا استوفى زمان سَعده	قام أبو حمّو بها من بعده
وهو الذى سطا عليه ولده	حتى انتهى على يَدَيْه أَمده

وفى يختص بآل أبى حنّص بعد ذكر جملة منهم :

ثم الشهيد الأمير خالد	هيهات ما فى الدهر حى خالد
وزكريّا بها بعدُ ثلّوا	ثم نلّوا الرّحلة عنها والثلّوا
رحل بالشرق وبالشرق ثلّوا	وربما فاز امرؤ بما نلّوا

ومن ملوك النصرارى بقشّته : هرانده بن شانجه بن ألنشه بن هرانده بن

(١) ناقصة فى الإسكوريال وواردة فى الزيتونة واللمعة البدرية

شأنه^(١) . ونازل على عهده الجزيرة الخضراء ، ثم أقلع عنها عن صربية وشروط ، ثم نازل في أخريات أمره حصن القبذاق^(٢) ، وأدركه ألم الموت بظاهره ، فاحتل من المحلة إلى جيان ، وبقيت المحلة منيخة على الحصن ، إلى أن تملك بعد موت الطاغية بأيام ثلاثة ، كتموا فيها موته . ولسبب هلاكه حكاية ظريفة ، تضمنتها « طرفة العصر في تاريخ دولة بنى نصر » . وقام بعده بأمر النصرانية ولده أهنشه^(٣) ، واستمرت أيامه إلى عام خمسين وسبعماية .

بعض الأحداث في أيامه

نازل على أول أمره طاغية قشتالة . الجزيرة الخضراء في العاشر من العشرين من عام تسعة وسبعماية ، وأقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور ، وأقلع عنها بعد ظهوره على الجبل^(٤) وفوز قداحه^(٥) به . ونازل صاحب برجلونة مدينة ألمرية غرة ربيع الأول من هذا العام ، وأخذ بمخنقتها ، وتفرقت الطبعا على الخراش ، ووقعت على جيش المسلمين الناهد إليه وقيعة كبيرة ، واستمرت المطاولة إلى أخريات شعبان ، ونفس الله الحضر ، وفرج الكرب . وما كاد أهل الأندلس يستنشقون ريح العافية ،

(١) هرانده أى فرناندو ، وشأنه أى سانشو ، وأهنشه أى ألفونسو ، وهو الملك فرناندو الرابع ابن سانشو الباسل الذى تولى عرش قشتالة سنة ١٢٩٦ م (٥٦٩٦هـ) ، تحت وصاية أمه ماريادى مولينا ، وتوفى سنة ١٣١٢ م .

(٢) القبذاق ، وبالإسبانية Alcaudete ، بلدة حصينة تقع جنوب غربى جيان على مقربة من شمال غربى قلعة يحصب

(٣) أهنشه أى ألفونسو ، وهو هنا ألفونسو الحادى عشر ، وقد حكم قشتالة من سنة ١٣١٢ إلى سنة ١٣٥٠ م (٧٥١هـ)

(٤) يقصد به هنا جبل الفتح أو جبل طارق .

(٥) أى من حظه وحنن طالعه .

حتى [نشأ نجم الفتنة]^(١) . ونشأت ربيعُ الخلاف ، واستفسد وزير الدولة ضمائر أهلها ، واستهدف إلى رعيّتها بإيثار النصارى والصاغية^(٢) إلى العدو ، وأظهر الرئيس ابن عم الأب صاحب مألقة أبو سعيد فرج ابن اسماعيل ، صينو الغالب بالله ابن نصر ، الامتسك بما كان بيده ، والدعاء لنفسه ، وقدم ولده الدّايل إلى طلب المُلْك . وثار أهل غرناطة ، يوم الخامس والعشرين لرمضان من العام ، وأعلن منهم من أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير ، وخبَطُوا العِشْوَاء ، ونزل الحشَم ، فلاذ الناس منهم بديارهم ، وبرَز السلطان إلى باب القلعة ، متقدماً بالعِفة عن الناس ، وفرّ الحاسرون عن القِناع ، فلحقوا بالسلطان أبي الوليد بمألقة ، فاستنْهضوه إلى الحركة ، وقصد الحَضرة ، فأجابهم وتحرك ، فأطاعته الحصون بطريقه ، واحتل خارج غرناطة صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين لشوال منه ، فابتدرة الناس من صايح ومشير بثوبه ، ومُتطارح بنفسه . فدخل البلد من ناحية رَبِض البيازين ، واستقر بالقَصبة ، كما تقدم في اسمه . وفي ظهر يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر ، نزل الحمراء دار الملك ، وانفصل السلطان المُترجم به ، موفى له شرط عَقْدِه من انتقاله إلى وادى آش ، مستبدّاً بها ، وتعيين مالٍ مخصوص ، وغير ذلك . ورَحَلَ نيلة الثلاثاء الثالث لذي قعدة من العام . واستمرت الحال ، بين حرب ومهادنة ، وجَرَتْ بسبب ذلك أُمُور صَعْبَةٌ إلى حين وفاته . رحمه الله .

مولده

وُلِدَ في رَمَضانَ عام ستّة وثمانين رست مائة . وكانت سنّه ستاً وثلاثين

(١) هكذا وردت في الإكوردال والزيتونة . وفي الملحّة البدرية (نجم نهاب الفتنة)

(٢) هكذا وردت في الملحّة البدرية وفي المخطوطين (الطائفة) والاولى أنسب السياق

والصاغية معناها هنا الخاصة والأنصار

سنة وثلاثة أشهر، ودولته الجامعة خمس سنين شهراً واحداً ، ومُقامه
بوادى آش تسعة أعوام وثلاثة أيام .

وفاته

توفى رحمه الله ، ليلة الأربعاء سادس ذى قعدة من عام اثنين وعشرين
وسبعمائة بوادى آش ، ودفن بجامع القصبة منها ، ثم نقل فى أوائل
ذى الحجة منه إلى الحَضْرَة ، فكان وصوله يوم الخميس السادس منه ،
وبرز إليه السلطان ، والجمْعُ الكثير من الناس ، ووُضع سريره بالمصلى
العِيدى ، وصُلِّي عليه إثر صلاة العصر ، ودفن بمقبرة سلفه بالسَّبِيكة ،
وكان يوماً من الأيام المشهودة ، وعلى قبره مكتوب فى الرُّخام :

« هذا قبر السلطان المُرَقَّع^(١) المقدار ، الكريم البيت ، العظيم النُّجار
سلالة الملوك الأعلام الأخيار ، الصَّريح النِّسب فى صميم الأنصار ، الملك
الأوَّحد ، الذى له السُّلف العالى المنار ، فى المُلْك المنيع الذُّمار ، رابع ملوك
بنى نصر ، أنصار دين المصطفى المختار ، المجاهدين فى سبيل الملك الغفار ،
الباذلين فى رضاه كرايم الأموال ، ونفايس الأعمار . المعظَّم المقدس المرحوم ،
أبى الجيوش نصر ابن السلطان الأعلى الهمام الأسمى ، المجاهد الأحمى ،
الملك العادل ، الطَّاهر الشَّمايل ، ناصر دين الإسلام ، ومُبيد عَبْدَة الأصنام ،
المؤيد المنتصور ، المقدس ، المرحوم أمير المسلمين أبى عبد الله بن السلطان
الجليل . الملك الشهير ، مؤسس قواعد الملك على التَّقوى والرضوان ،
وحافظ كلمة الإسلام ، وناصر دين الإيمان ، الغالب بالله . المنتصور بفضل
الله ، المقدس المرحوم ، أمير المسلمين أبى عبد الله بن نصر ، تغمدّه الله
برحمته وغُفرانه ، وبوَّاه منازل إحسانه . وكتبه فى أهلِ رِضوانه . وكان

(١) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى اللوحة البدرية (الرفيع) .

مولده في يوم الاثنين الرابع والعشرين لشهر رمضان المعظم عام ستة وثمانين
وسمّاية . وبويع يوم الجمعة غرة شوال عام ثمانية وسبعماية . وتوفي رحمه الله
ليلة يوم الأربعاء السادس لشهر ذي قعدة عام اثنين وعشرين وسبعماية فسيحان .
المَلِكُ الحقُّ المبين ، وارث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . وفي جهة :

يا قبر جاد ثراك صوب غمام	يَهْمِي عليك برحمة وسلام
بُورِكتَ لَحْداً فيه أَى ودِيعَة	ملك كريم من نِجار كرام
ماشيت من حلم ومن خلق رضى ^(١)	وزكاء أعراق ومجد سمام
فاسعد بنصر رابع الأملاك من	أبناء نصر ناصرى الإسلام
من خزرَج الفخر الذين مقامهم	في نصر خير الخلق خير مقام
يا أيها المولى المؤسس بيته	في معدن الأحساب والأحلام
ماللمنية والشباب مساعد	قد أقصدتك بصائبات سهام
عجلت على ذلك الجمال [فغادرت] ^(٢)	ربيع المحاسن طامس الأعلام
فمحي الردى من حُسن وجهك آية	نحو النهار لسدفة الإظلام
ما كنت إلا بدّر تيم باهراً	أخنى الخسوف عليك عند تمام
فعلى ضريح أبى الجيوش تحية	كالمسك عرفاً عند فض ختام
وتغمّده رحمة الله التى	ترضيه من عدن بدار مُتمام

ومن الأعيان والوزراء

نصر بن إبراهيم بن أبى الفتح الفهرى

يكنى أبا الفتح . أصلهم من حصن أريؤل من عمل مرسية . ولهم في

(١) هكذا وردت في الزيتونة واللحة البدرية . وفي الإسكوريال (رضا) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال والزيتونة ، وواردة في اللحة البدرية .

الدولة النصرية مزية خُصوا لها بأعظم رُتب القيادة ، واستُعمل بعضهم في ولاية السلطان .

حاله

تقلت من خط شيخنا أبي بكر بن شيرين : قال ، وفي السادس عشر
لدى قعدة منه ، يعنى عام عشرة وسبعماية ، توفى بغرناطة القايد المبارك ،
أبو الفتح ، أحد الولاة والأعيان الذاكرين لله تعالى ، أولى النزاهة والوفاء .

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم بن نصر الفهرى
يكنى أبا الفتح ، حفيد المذكور [معه في هذا الباب] ^(١) .

حاله

من كتاب «طرفة العصور» : نسيحٌ وحده في الخير والعفاف ، ولين
العريكة ، ودمائة الأخلاق ^(٢) ، إلى بُعد الهمة ، وجمال الأبهة ، وضخامة
التجند ، واستجادة المركب والعدة ، وارتباط العبادة . استعان على ذلك
بالنعمة العريضة بين مُنادية ^(٣) إليه بمبراث . ومُكتسبٍ من جِراء المُتغلب
على الدولة صِهْره ابن المحروق معيشة لُبنتيه . ونَمَت حال هذا الشهم النجد ،
وشَمَخَت رُستته حتى خُطِب للوزارة في أخريات أيامه : وعاق عن تمام
المُرَاد به ، إلحاح السَّقَم على بدنه ، وملازمة الضَّنا لجُثمانه ، فمضى
لسبيله ، عزيز الفَقْد عند الخاصَّة ، ذائع الثَّنَا . نقى العِرْض ، صدرأ في
الوَلَاة . وعَلَمًا في القَوَاد الحُماة .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الزيتونة مكانها كلمة (قبله) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة وفي الإسكوريال (الأخلاق) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (متاوية) .

وفاته

توفي بغرناطة ليلة الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسبعماية . وكانت جنازته آخذةً نهاية الاحتفال ، ركب إليها السلطان ، ووقف بإزاء لحده ، إلى أن وُورى ، تنوياً بقدره ، واشادة ببقاء الحرمة على خلفه . وحمل سريرَه الجملة من فرسانه وأبناء نعمته .

ومن الكتاب والشعراء

نزهون بنت القليعي^(١)

قال ابن الأثير ، وهو فيما أحسب أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف ابن عبد الملك بن غالب الغسائي ، غرناطية .

حالتها

كانت أديبة شاعرة ، سريعة الجواب ، صاحبة فكاهة ودعابة . وقد جرى شيء من ذلك في اسم أبي بكر بن قزمان ، والمخزومي الأعشى . وأبي بكر بن سعيد^(٢) .

شعرها

دخل الأديب أبو بكر الكتندى الشاعر ، وهي تقرأ على المخزومي الأعشى ، فلما نظر إليها ، قال أجز يا أستاذ :
« لو كنت تبصر من تكلمه »^(٣) . فأفحم المخزومي زامعاً ، فقالت :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزبوتنة (القليعي) وذكرها ابن الخطيب من قبل (نزهون بنت القلاعي) (المجلد الأول ص ٤٢٥)
(٢) راجع المجلد الأول من الإحاطة (ص ٤٢٥-٤٢٧) ، والمجلد الثاني (ص ٥٠٤-٥٠٥) .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النسخ (تجالسه)

« لَعَدَوْتَ أَخْرَسَ مِنْ خَلَاخِلِهِ » ثُمَّ زَادَتْ :
إِلَيْهِ الْبَادِرُ يَطْلُعُ مِنْ أَرْزَتِهِ وَالْعُصْنُ يَمْرَحُ فِي غَلَايِلِهِ
وَلَاخْفَاءَ بِهَرَاةِ هَذِهِ الْإِجَازَةِ ، وَرِفَاعَةِ هَذَا الْأَدَبِ .
وَكُتِبَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهَا تُخَالِطُ غَيْرَهُ مِنْ
الْأَدْبَاءِ الْأَعْيَانِ :

يَا مَنْ لَهُ أَلْفُ خُلٍّ^(١) مِنْ عَاشِقٍ وَعَشِيقٍ
أَرَاكَ خَلَّيْتَ لِلنَّاسِ مِنْ سَدِّ ذَاكَ الطَّرِيقِ
فَأَجَابَتْهُ بِقَوْلِهَا :

حَلَلْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَلًّا مَنَعْتَهُ سِوَاكَ وَهَلْ غَيْرُ الرِّفِيعِ^(٢) لَهُ صَدْرِي
وَإِنْ كَانَ لِي كَمِ مَنْ حَبِيبٌ فَإِنَّمَا^(٣) يَقْدُمُ أَهْلُ الْحَقِّ فَضْلُ^(٤) أَبِي بَكْرٍ
وَهَذِهِ غَايَةُ فِي الْحُسْنِ بَعِيدَةٌ . وَمَحَاسِنُهَا شَهِيرَةٌ ، وَكَانَتْ مِنْ غُرَرِ
الْمُفَاحِشِ الْغُرْنَاتِيَّةِ .

حرف الصاد

من الأعيان والوزراء

السَّمِيلُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَذَعِ بْنِ شِمْرِ [بْن]

ذِي الْجَوْشَنِ^(٥) الضَّبَّابِيُّ الْكَلْبِيُّ

وَهُوَ مِنْ أَشْرَافِ عَرَبِ الْكُوفَةِ .

-
- (١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي النَّفْعِ وَفِي الْإِسْكُورِيَّالِ (شَخْصٌ)
(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ ، وَفِي النَّفْعِ (الْحَبِيبُ) .
(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي النَّفْعِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَّالِ (وَإِنْ كَانَ حَالًا لِي كَثِيرٌ فَإِنَّمَا) .
(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ ، وَفِي النَّفْعِ (حَبِ) .
(٥) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ وَالزَّيْتُونَةِ (ذِي الْجَيْوِشِ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ

أوليّته

قال صاحب الكتاب « الخزائني »^(١) جدّه أخذ قَتْلَ الحسين بن علي ،
والذي قَدِمَ برأسه على يزيد بن معاوية . فلما قام المختار ثائراً بالحسين ،
فرَّعنه شمر ، ولحق بالشام فاقام بها^(٢) في عزٍّ ومنعة . ولما خرج كلثوم بن
عياض غازياً إلى المغرب ، كان الصُّمَيْلُ ممن ضُرب عليه البعث في أشراف
أهل الشام . ودخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القُشَيْرِي^(٣) ، فشرَّف
ببَدَنِهِ إلى شرفٍ تقدَّم له . وردَّ ابن حيَّان هذا ، وقال في كتاب « بهجة
الأنفس ، وروضة الأنس » ، كان الصُّمَيْلُ بن حاتم هذا جدّه شمر قاتل
الحسين رضي الله عنه ، من أهل الكوفة ، فلما قتله ، تمكَّن منه المُختار^(٤)
بقتله ، وهَدَمَ داره ، فارتحل ولده من الكوفة ، فرأس بالأندلس ، وفاق
[أقرانه]^(٥) بالنجدة والسَّخاء .

حاله

قال ، كان شجاعاً ، نَجْدًا ، جواداً ، كريماً ، إلا إنه كان رجلاً أُمِّيًّا
لا يقرأ ولا يكتب ، وكان له في قَلْبِ الدول ، وتدبير الحروب ، أخبارٌ
مشهورة .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (الحزاذ)

(٢) واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال

(٣) واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال

(٤) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي . وقد خرج بالكوفة في سنة ٦٦ هـ مطالباً بشار الحسين
ومن قتل من آل البيت . واستول على الكوفة ، وبايعه الناس على سنة كتاب الله ورسوله ، والمطالبة
بشار الحسين وآل البيت ، وتجرّد المختار لمطاردة قتلة الحسين ، فقتل شمر بن ذى الجوشن ، و عمر
ابن سعد بن أبي وقاص ، وكل من اشترك في مأساة مقتل الحسين رضي الله عنه في كربلاء

(٥) واردة أيضاً في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال

من أخباره . حكى ابن القوطية ، قال ، مرَّ الصَّمِيلُ بِمَعْلَمٍ يَتَلَوُ
« وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، فوقف يسمع ، ونادى بالمعلم ، يا هناه
كذا نزلت هذه الآية ، فقال نعم ، فقال ، أرى ^(١) والله أن سيُشْرِكُنَا في
هذا الأمر ، العبيد والأراذل والسُّفلة .

خبره في الجود : قال ، كان أبو الأجرى الشاعر ، وقفاً على أمداح
الصَّمِيلِ ، وهو القايل :

بَنَى لَكَ حَاتِمٌ بَيْتًا رَفِيعًا رَأَيْنَاهُ عَلَى عُمْدٍ طُشْوَالٍ
وَقَدْ كَانَ ابْتَنَى شِمْرٌ وَعَمْرُو بَيْوتًا غَيْرَ ضَاحِيَةِ الظَّلَالِ
فَأَنْتَ ابْنُ الْأَكَارِمِ مِنْ مَعْدٍ تَعْتَلِجُ الْأَبَاطِحُ وَالرَّمَالِ
وَقَارَضَهُ بِإِجْزَالِهِ لِعَطَايِهِ ، وَانْتِمَائِهِ فِي ثَوَابِهِ ، بَأَنَّ أَغْلَظَ الْقَسَمِ عَلَى
نَفْسِهِ ، بَأَنَّ لَا يَرَاهُ ، إِلَّا أَعْطَاهُ مَا حَضَرَهُ ، فَكَانَ أَبُو الْأَجْرِي قَدْ اعْتَمَدَ
اجْتِنَابَهُ ^(٢) فِي اللَّقَاءِ ، حِيَاءً مِنْهُ ، وَإِبْقَاءً عَلَى مَالِهِ ، فَكَانَ لَا يَزُورُهُ إِلَّا
فِي الْعِيدَيْنِ ، قَاضِيًا لِحَقِّهِ . وَقَدْ لَقِيَهُ يَوْمًا مُوَاجِهَةً بِبَعْضِ ^(٣) الطَّرِيقِ ،
وَالصَّمِيلُ رَاكِبٌ ، وَمَعَهُ ابْنَاهُ فَلَمْ يَخْضُرْهُ مَا يُعْطِيهِ ، فَأَرْجَلَ أَحَدَ ابْنَيْهِ ،
وَأَعْطَاهُ دَابَّتَهُ . فَضَرَبَ فِي صُنْعِهِ . وَفِيهِ يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

دُونَ الصَّمِيلِ شَرِيعَةٌ مُورُودَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الْعَدُوُّ وَرُودًا
فُتَّ الْوَرَى وَجُمِعَتْ أَشْتَاتُ الْعَلَا وَحَوَّيْتُ مَجْدًا لَا يُنَالُ وَجُودًا
فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَا تَحْمِلُ فَارِسٌ سَيْفًا وَلَا حَمَلَ النِّسَاءِ وَلِيدًا
وَكَانَ صَاحِبَ أَمْرِهِ وَلَأَهَ الْأَنْدَلُسِ قَبْلَ الْأُمَوِيِّينَ ، لَهْمُ الْأَسْمَاءِ . وَلَهُ
مَعْنَى الْإِمْرَةِ . وَكَانَ مُظَفَّرَ الْحُرُوبِ . سَدِيدَ الرَّأْيِ . شَهِيرَ الْمَوْقِفِ ، عَظِيمَ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّبْتُونَةِ (يَزَاب)

(٢) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الزَّبْتُونَةِ ، وَمَكَانَهَا بَيَاضٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي الزَّبْتُونَةِ (فِي)

الصبر . وأوقع باليمنية وقائع كثيرة ، منها وقعة شقندة ، ولم يكن بالأندلس مثلها ، أئخذ فيها القتل باليمانية .

أنفته

قال ، وكان أبا للضم ، مُحاميا عن العشيرة ، كلم أبا الخطار الأمير ، في رجل من قومه ، انتصر به ، فأفجمه ^(١) ، ورد عليه ، فأمر به ، فتعنع ومالت عمامته . فلما خرج قال له بعض من على باب الأمير ، يا أبا الجوشن ما بال عمامتك مائلة ، فقال إن كان لي قوم فسيتقيمونها ، وخرج من ليلته ، فأفسد ملكه .

وفاؤه : وخبر وفاته مشهور ، فيما كان من جوابه لرؤسوك عبد الرحمن ابن معاوية إليه ، بما قطع به رجاء الهوادة في أمر أميره ، يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، والتستّر مع ذلك عليهما ^(٢) ، فليُنظر في كتاب «المقتبس» ^(٣) .

دخوله غرناطة

ولما صار الأمر إلى عبد الرحمن بن معاوية ، صقر بنى أمية ، وقهر الأمير يوسف الفهرى ، ووزيره الصميل ، إذ عزله الناس ، ورجع معه يوسف الفهرى والصميل إلى قرطبة . ولم يلبثا أن نكثا ، ولحقا فحضر غرناطة ، ونازلهما الأمير عبد الرحمن بن معاوية في خبر طويل ، واستنزلهما عن عهد ، وعاد الجميع إلى قرطبة ، وكان يوسف والصميل يركبان إلى

(١) هكذا وردت في الزيتونة وفي الإسكوريال (فنجمة) والاولى أرجح

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (عليها)

(٣) هو كتاب «المقتبس في أخبار أهل الأندلس» أو «المقتبس في تاريخ رجال الأندلس»

لأبي مروان بن حيان ، أعظم مؤرخى الأندلس ، وأونتهم رواية ، وأبرعهم ندبا (٣٧٧-٦٩٠هـ) وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٢ حاشية)

الْقَصْرُ كُلُّ جُمُعَةٍ إِلَى أَنْ مَضِيََا لِسَبِيلِهِمَا . وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ
يَسْتَرْجِعُ . وَيَقُولُ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ رَجُلًا . لَقَدْ صَحَّبَنِي مِنَ الْبَيْرَةِ إِلَى قَرْطَبَةِ ،
فَمَا مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ ، وَلَا خَرَجَتْ دَابَّتُهُ عَنْ دَابَّتِي .

ومن الكتاب والشعراء

صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

عَيْسَى بْنِ إِدْرِيسَ التُّجِيبِيِّ

مِنْ أَهْلِ مُرْسِيَّةَ ، يُكْنَى أَبَا بَجْرٍ .

حاله

كَانَ أَدِيبًا ، حَسِيبًا جَلِيلًا ، أَصِيلًا ، مُتَمَتِّعًا مِنَ الظَّرْفِ ، رِيَّانًا مِنَ
الْأَدَبِ ، حَافِظًا ، حَسَنَ الْخَطِّ ، سَرِيعَ الْبَدِيعَةِ ، تَرِفَ النِّشَاءِ ، عَلِيَّ تَصَاوُنِ
وَعَفَافٍ ، جَمِيلًا سَرِيًّا ، سَمَحًا ذَكِيًّا ، مَلِيحَ الْعِشْرَةِ ، طَيِّبَ النَّفْسِ ، مَمَّنَّ
تَسَاوَى حِفْظُهُ فِي النِّظَمِ وَالنَّثْرِ ، عَلَى تَبَايُنِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ .

مشيخته

رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَخَالَهِ ، ابْنِ عَمِّ أَبِيهِ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ إِدْرِيسَ ،
وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ مُغَاوِرَ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، وَأَبِي رِجَالٍ بْنِ غَلْبُونِ ، وَأَبِي
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُمَيْدٍ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ مَضَاءَ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ حُبَيْشٍ ، وَأَبِي
مُحَمَّدٍ الْحِجْرِيِّ ، وَابْنَ حَوْطِ اللَّهِ ، وَأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ رُشْدٍ . وَأَجَازَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ
ابْنُ بَشْكُوَالٍ .

مِنْ رَوَى عَنْهُ : أَبُو إِسْحَاقَ الْمِائِرِيُّ . وَأَبُو الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ

ابْنُ أَبِي الْبَقَاءِ . وَأَبُو عَمْرٍو بْنِ سَالِمٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْشُونَ .

توآلفه

له توآلف أدبفة منها ، « زاد المسافر » ، وكتاب « الرحلة » ، وكتاب « العجالة » سفران ففضمفان من نظمه ونثره ، أدباً لا كفء له . وانفرد من فآبفن الفسفن رضف الله عنه ، وبكاء أهل البفف بفما ظهرت عفله بركنفه فف فكافاء كفففة .

شعره

فبف من ذلك فف العجالة قوله :

جاء الزمان بأفة الجرءاء	فوقان من دمف وفف سماء
فالدمع فقفف عففها حق الهوى	والفمف حق البانة الفففاء
فلف الصفور من القلوب كما فلل	فلك المقاصر من مفف وظففاء
واقف أقول لصاحبف وإفنا	ذفر الصففق لأمفء الأشياء
فا صاحبف ولا أقل إذا أنا	فافف من إن فصففا لنفاء
عوجا بفار الفمف فف سقى الفما	حتى فرى كفف انفكاب الماء
ونسف فف سقى المنازل سنة	فمضى بها حكماً عف الطرفاء
فا منزلاً فشطت إلفه عفرف	حتى فبسم زهره لبكاء
ما كنت قبل مزار ربفك عالما	أن المدامع أصفق الأنواء
فالفف شعرف والزمان فنفل	والفهر فاسف شفة برفاء
هل فلفقى فف روفة مؤشفة	فمفاقة الأغصان والأففاء
ونفال ففها من فالففا ولو	ما ففه سومة ^(١) أعفن الرقبفاء
فف فف فلفف الفصون سواففا	فد قلل فف لالف الأنففاء

(١) ورءف فف الإسكورفال (سومة) والفصوب من الفزففة

عَيْنِي عِذار الآسَةِ المِيسَاءِ
رَمَدُ أَلَمٍ بِمُقْلَةٍ زَرْقَاءِ
زُهرِ النجومِ تَلْسُوحٍ بِالخَضْرَاءِ
لِلرَّوْضِ يُخْبِرُهُ بِطُولِ بَقَاءِ
بِدْرَاهِمِ الْأَزْهَارِ رَمَى سَخَاءِ
بِالْعُذْرِ عَنْهُ نَعْمَتُهُ الْوَرْقَاءِ
كَالْخُودِ فِي مَوْشِيَّةٍ خَضْرَاءِ
طَرِباً وَقَهَقَهُ مِنْهُ جَرَى الْمَاءِ
فَكَانَهُ قَدْ كَانَ فِي الْإِغْفَاءِ
وَكَلَاهِمَا سَبَبٌ لَطُولِ عَنَاءِ
إِنْ الرُّقَاعَ لَتُحْفَةُ النُّبْهَاءِ
إِنْ الْكِتَابَ تَحْيِيَّةُ الظُّرْفَاءِ

وَجَرَتْ ثُغُورُ الْيَاسَمِينِ فَقَبِّلْتِ
وَالْوَرْدَ فِي شَطْطِ الْخَلِيجِ كَأَنَّهُ
وَكَانَ غَصَنُ الزُّهْرِ فِي خُضْرِ الرَّبِيِّ
وَكَأَنَّمَا جَاءَ النَّسِيمُ مَبْشُراً
فَكَسَاهُ خِلْعَةً طَيِّبَةً وَرَمَى لَهَا
وَكَأَنَّمَا احْتَقَرَ الصَّنِيعُ فَبَادَرَتْ
وَالْغُصْنُ يَرْقُصُ فِي حُلَى أَوْرَاقِهِ
وَافْتَسَرَ ثُغْرَ الْأَقْحُوَانِ بِمَا رَأَى
أَفْدِيَهُ مِنْ أَنْسٍ تَصْرَمُ فَاَنْقَضَى
لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ ذِكْرٍ أَوْ مَنَى
أَوْ رُقْعَةٍ مِنْ صَاحِبِ هِيَ تَحْفَةٍ
كَبَطَاقَةِ الْوَسْمَى إِذْ حَيَّا بِهَا

وهي طويلة . وقال مراجعا عن كتاب أيضا :

ذُرَى ^(١) بَوْرُودِهِ ^(٢) أَنْسَى قَبَابَا
دَعَا بِهَا لِبَرْنِي فَاسْتَجَابَا
فَلَيْتَ الدَّمْسَرُ سَنَى لِي إِيَابَا
فَقِيعَتِ بِمَثَلِهِ عِلْقاً لِيَابَا ^(٣)
فَدَعَانِي أَقْطَعُ الْعُمَرُ اغْتِرَابَا
فَهَلْ وَجَّهْتُ طَرَساً أَمْ شِهَابَا
يُذَكِّرُنِي شَمَائِلَكَ الْعِذَابَا

أَلَا سَمَحَ الزَّمَانُ بِهِ كِتَابَا
فَلَا أَدْرَى أَكَانَا تَحْتَ وَغْدٍ
وَقَدْ ظَفِيرَتْ يَدَى بِالْغَنَمِ مِنْهُ
فَلَوْ لَمْ أَسْتَفِدْ شَيْئاً سِوَاهُ
إِذَا أَحْزَنْتُ هَذَا فِي اغْتِرَابِي
رَجَمْتُ بِأَنْسِهِ شَيْطَانِ هَمِّي
رَشَفْتُ بِهِ رُضَابَ الْوُدِّ عَذِيبَا

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الزَيْتُونَةِ (زَوَى)

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي الزَيْتُونَةِ (فَوْرُودِهِ)

(٣) هَكَذَا فِي الزَيْتُونَةِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (لِيَابَا)

وَكِدْتُ أَجْرُ أَذِيَالِي نَشَاطًا
فَقَضْتُ خَتَامَهُ عَنِّي كَأَنِّي
فَكِدْتُ أَبْثُهُ [فِي جَفْنِ عَيْنِي ^(١)]
وَكُنْتُ أَصُونُهُ فِي الْقَلْبِ لَكِنِ
وَلَوْ أَنَّ اللَّيْسَالِي سَامَحْتَنِي
فَأَبْلَى ^(٢) عِنْدَكُمْ بِالشُّكْرِ عُنْدَا
وَلَكِنِ اللَّيْسَالِي قَيَّدَتْنِي
فَمَا تَلْقَانِي ^(٣) الْأَحْبَابَ إِلَّا
لَأَمْرٍ مَا يَقْصُ الدَّهْرُ رِيثِي
وَعَاذِلَةٌ تَقُولُ وَلَسْتُ أَصْغِي
تُخَوِّفُنِي الدَّوَاهِي وَهِيَ عِنْدِي
إِذَا طَرَقَتْ أَعِدُّ لَهَا قِرَاهَا
وَمَا مِثْلِي يُخَوِّفُ بِالدَّوَاهِي
تَعَاتِبْنِي فَلَا يَرْتَدُّ طَرْفِي
وَلَوْ أَنَّ الْعِتَابَ يُفِيدُ شَيْئًا
وَقَدْ وَصَّيْتُهَا بِالصَّمْتِ عَنِّي
تَعْنُفُنِي عَلَى تَرْكِي بِلَادًا
تَقُولُ وَهَلْ يَنْغُلُ السَّيْفُ إِلَّا
فَقُلْتُ وَهَلْ يَضُرُّ السَّيْفُ فَلَّ

وَلَكِنِ خِلْتُ قَوْلَهُمْ تَصَابَا
فَتَحْتُ بِقَضِّهِ لِلرُّوْضِ بَابَا
لَسَكِي أَسْتَوْدِعُ الزُّهْرَ السَّحَابَا
خَشِيتُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفُسِي التَّهَابَا
لَكُنْتُ عَلَى كِتَابِكُمُ الْجَوَابَا
وَأَجْزِلُ مِنْ ثَنَائِكُمُ الثُّوَابَا
وَقَيَّدْتُ غَرْضِي ^(٤) إِلَّا الْخَطَايَا
سَلَامًا أَوْ مَنَامًا أَوْ كِتَابَا
لَإِنَّ السَّهْمَ مَهْمَا رِيثُ صَابَا
وَلَوْ أَصْغَيْتُ لَمْ أَرْفَعِ جَوَابَا
أَقْلُ مِنْ أَنْ أُضَيِّقَ بِهَا جَنَابَا
وَقَارَأُ وَاخْتَسَابَا وَاصْطَبَارَا
عَرِينُ اللَّيْثِ لَا يَخْشَى الذُّبَابَا
وَهَلْ تَسْتَرْفِصُ الرِّيحُ الْهَضَابَا
مَلَأْتُ مَسَامِعَ الدُّنْيَا عِتَابَا
فَمَا صَمَّتْ وَلَا قَالَتْ صَوَابَا
عَهَدْتُ بِهَا الْقَرَارَةَ وَالشُّبَابَا
إِذَا مَا فَارَقَ السَّيْفُ الْقَرَابَا
إِذَا قَطَعَ الْجَمَاجِمَ وَالرِّفَابَا

(١) هكذا وردت في الإمبريال . وفي الزيتونة (بمحيس)

(٢) هكذا وردت في الإمبريال . وفي الزيتونة (فامل)

(٣) هكذا وردت في الإمبريال . وفي الزيتونة (علق)

(٤) هكذا وردت في الإمبريال . وفي الزيتونة (تلق) .

يَخَوِّضُ الْهَوَلَ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي
 فَلَيْثُ الْغَسَابُ يَفْتَرِسُ الْإِنْسَانِي
 وَلَوْ كَانَ انْقِضَاضُ الطَّيْرِ سَهْلًا
 دَعَيْنِي وَالنَهْلُ اسْلُرَ أُسِيرَ فِيهِ
 أَغَاظِلُ مِنْ غَزَالَتِهِ فَتَمَازَاةٌ
 إِذَا شَاءَتْ مُوَاصَلَتِي تَجَلَّيْتُ
 وَأُسْرَى اللَّيْلُ لَا أَلْوِي عِنَانَا
 أَطَارِحُ مِنْ كَوَاكِبِهِ كَمَا مَا
 وَأَرْكَبُ شُهْبًا غُبْرًا كِبَاعِي
 وَأَتَّخِذُ مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ حَقِي
 وَلَسْتُ أَذِيلُ بِالْمَدْحِ الْقَوَائِي
 أَأَمْدَحُ مِنْ بِهِ أَهْجُو مَدِيحِي
 سَأُخْزِنُهَا^(١) عَنِ الْأَسْمَاعِ حَتَّى
 فَلَسْتُ بِمَادِحٍ مَا عِشْتُ إِلَّا
 أَبَا مُوسَى وَإِنِّي أَخَى وَدَادٍ
 وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ مَهْمَةٌ لِسُو
 أَخَى بَرُّ الْمَوَدَّةِ كُلِّ بَرٍّ^{*}
 بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنْ نَظْمِي بِدُرٍّ^{*}
 عِدَانِي الدَّهْرِ إِنْ يَلْقَاكَ شَخْصِي

يَحَوِّضُ الْهَوَلَ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي
 فَلَيْثُ الْغَسَابُ يَفْتَرِسُ الْإِنْسَانِي
 وَلَوْ كَانَ انْقِضَاضُ الطَّيْرِ سَهْلًا
 دَعَيْنِي وَالنَهْلُ اسْلُرَ أُسِيرَ فِيهِ
 أَغَاظِلُ مِنْ غَزَالَتِهِ فَتَمَازَاةٌ
 إِذَا شَاءَتْ مُوَاصَلَتِي تَجَلَّيْتُ
 وَأُسْرَى اللَّيْلُ لَا أَلْوِي عِنَانَا
 أَطَارِحُ مِنْ كَوَاكِبِهِ كَمَا مَا
 وَأَرْكَبُ شُهْبًا غُبْرًا كِبَاعِي
 وَأَتَّخِذُ مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ حَقِي
 وَلَسْتُ أَذِيلُ بِالْمَدْحِ الْقَوَائِي
 أَأَمْدَحُ مِنْ بِهِ أَهْجُو مَدِيحِي
 سَأُخْزِنُهَا^(١) عَنِ الْأَسْمَاعِ حَتَّى
 فَلَسْتُ بِمَادِحٍ مَا عِشْتُ إِلَّا
 أَبَا مُوسَى وَإِنِّي أَخَى وَدَادٍ
 وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ مَهْمَةٌ لِسُو
 أَخَى بَرُّ الْمَوَدَّةِ كُلِّ بَرٍّ^{*}
 بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنْ نَظْمِي بِدُرٍّ^{*}
 عِدَانِي الدَّهْرِ إِنْ يَلْقَاكَ شَخْصِي

(١) هَكَذَا فِي الرِّبْتُونَةِ. وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ كَلِمَةُ «و» وَاضِحَةٌ (سَي)

(٢) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (دَجْبَتُهُ) وَالصُّوْبُ مِنَ الزَّيْتُونَةِ .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي الرِّبْتُونَةِ (أَطْلَبُ)

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي الرِّبْتُونَةِ (سَأُضْرِبُهَا)

وقال في الغرض الذى نظم فيه الرُصافي من وصف بلدّه ، وذكر إخوانه ومعاهده^(١) ، مساجلا في العَروض والرّوى ، عَقِب رسالة سماها « رسالة طراد الجياد في الميدان . وتنازع اللّدان والإخوان ، في تَنْفِيهِ مُرْسِيَةِ عَلَى غيرها من البُلدان » .

هل رسول البرق يفتنهم الأَجرا	فينشر عنى ماء عبّرتَه نَشرا ^(٢)
معاملة أَرَبُو هَها غير مُذنب	فأَقْضِيهِ دمع العين من نقطة بَحْرا
ليُسَقِنِي من تَدْمِير ^(٣) قَطْرا مُحَبِّبا	يَقْرُ بعين التَطَرُّ أَن تشرب القطرا
ويَقْرِضُهُ ذوب اللُّجَيْن وإنما	تُوفِيهِ عَيْنِي من مادامعها تَبِرا
وما ذاك تقصيرا هَها غير أَنه	سَحِيَّة ماء البَحْر أَن يَدْوَى الزُّهرا
خليلي قوما فأَحْبِسْا طرق الصَّبَا	مخافة أَن تحمى بزَفَرْتِي الحَرا
فإن الصَّبَا رِيحٌ على كريمة	بأية ما تَسْرَى من الجَسَنَةِ الصُّغرا
خليلٌ أَغْنَى أرض مُرْسِيَةِ المُنَا	ولولا توخَّى الصَّدق سَمِيَّتْها الكُبرا
محلى بل جوّى الذى عبقت به	نواسمُ آدابي مُعْطَرة نَشِرا
ووَكَرَى الذى منه دَرَجَتْ فليتنى	فُجعت بريش العَزم كى أَلْزَم الوَكرَا
وما روضة الخَضراء قد شَلَّت هَها	مَجَرَّتْها نَهرا وَأَنجَمَها زُهرا
بأبهج منها والخليج مجرة	وقد فَضَحَتْ أَزهار ساحتها الزُّهرا
وقد أَسْكَرت أَزهار ^(٤) أَغصانها الصَّبَا	وما كُنْتُ أَعْتَدُ ^(٥) الصَّبَا قَبْلَها خَمرا

(١) وردت قصيدة الرصافي المشار إليها في ترجمته التي تتألف من (المجلد الثاني من الإحاطة ص ٥٠٧ - ٥٠٩) ومطلها :

خليل ما للبيد قد عبقت نَشرا وما لرؤوس الركب قد رجعت سَكرَا .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي :
(فيبشر عنى ما عبّرت به ذُرَا) .

(٣) تدمير هو اسم آخر لمَرسِيَةِ ، وهو اسم الولاية التي تقع فيها .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أعطاف) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أعددت) .

هناك بين الغصن والقطر والصبا
إذا نَظَمَ الغصن الحيا قال خاطري
وإن نَشَرْتُ رِيحُ الصَّبا زهر الربى
فوايد أسحارٍ هناك اقْتَبَسْنَهَا
كَأَنَّ هَزِيزَ الرِّيحِ يمدح رَوْضَهَا
أَيَارُنُقَات [الحسن] ^(٢) هل فيك نظرة
فَانْظُرْ مِنْ هَذِي لِنَظَرِكَ كَأَنَّمَا
هِيَ الْكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ تُمَمُ حُسْنَهَا
إِذَا خُطِبَتْ أَعْطَتْ دَرَاهِمَ زَهْرَهَا
وَقَامَتْ بِعُرْسِ الْأَنْسِ قَيْنَةٌ أَيْكَةً
أَغَارِيدَهَا تَسْرِقُصُ الْغُصْنَ النَّضْرَا
وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا قَصْرَا
كَصَفْحَةِ سَيْفٍ وَسَمُهَا قُبْعَةٌ ^(٣) ضُرَا
بَسَطَرٍ ^(٤) لَجِينُ ضَمٍّ مِنْ ذَهَبٍ عَشْرَا
لِنَهْرِ يَوَدُّ الْأَفْقَ لَوْ زَارَهُ فَجَسْرَا
وَقَدْ بَكِيَا مِنْ رَقَّةٍ ذَلِكَ النَّهْرَا
مِنْ الْأَنْسِ مَا فِيهِ سَوَى أَنَّهُ مَرَا
وَكَمْ لِي بِالْبَابِ الْجَدِيدِ ^(٥) عَشِيَّةُ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (فلأفاها) .

(٢) الزيادة من الزيتونة والنفع .

(٣) وردت في الإسكوريال والزيتونة (نبعة) والتصويب من النفع .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة وفي النسخ (بشد) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (بايات الحديد) . والأولى

أرجح وأنسب للسياق .

عَشِيَّاتٍ^(١) كَانَ الدَّهْرُ غُصَّ^(٢) بِحَسَنِهَا
 عَلَيْهِنَّ أَجْرَى خَيْلٍ دَمَعِي بَوَجْنَتِي
 أَعْهَدِي بِالْغَرَسِ الْمُنْعَمِ دَوْحِهِ
 فِكَمْ فَيْكِ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَ مُحَجَّلٍ
 عَلَى مُدَنِّبٍ كَالنَّحْرِ^(٣) مِنْ فَرْطِ حُسْنِهِ
 سَقَتِ أَدْمَعِي وَالْقَطَرُ أَهْمَا انْبَرَى
 وَإِخْوَانُ صِدْقٍ لَوْ قَضَيْتِ حَقُّوْقَهُمْ
 وَلَوْ كُنْتُ أَقْضِي حَقَّ نَفْسِي وَلَمْ أَكُنْ
 وَمَا اخْتَرْتُ هَذَا الْبُعْدَ إِلَّا ضَرْوَةً
 قَضَى اللَّهُ أَنْ [يَنَآيَ فِي الدَّهْرِ]^(٤) عَنْهُمْ
 وَوَاللَّهِ لَوْ نِلْتُ الْمُنَا مَا حَمِدْتِهَا
 أَيَّانَسُ بِاللَّذَاتِ قَلْبِي وَدُونِهِمْ
 وَيَصْحَبُ هَادِي اللَّيْلِ رَاءَهُ وَحُرْفَةً^(٥)
 فَدَيْتُهُمْ بَانُوا وَضُنُّوا بِكُتُبِهِمْ
 وَلَوْلَا عَلَا هِمَاتِهِمْ لَعَتَبْتُهُمْ
 فَاجَلَّتْ سِيَاطُ^(٦) الْبَرْقِ أَفْرَاسَهَا الشُّقْرَا
 إِذَا رَكِبْتَ حُمْرًا مِيَادِينَهَا الصَّفْرَا
 سَقَّتْكَ دَمْعِي إِنَّهَا مُزْنَةٌ شُكْرَا
 تَقَضَّتْ أَمَانِيهِ فَخَلَّدَتْهَا ذِكْرَا
 تَوَدُّ الثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ نَحْسْرَا
 نَقَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءُ فَالنَّهْرُ فَالْجِسْرَا
 لَمَّا فَارَقْتُ عَيْنِي وَجُوهَهُمُ الزَّهْرَا
 لَمَّا بَتُّ اسْتَحْلَى فِرَاقَهُمُ الْمُسْرَا
 وَهَلْ تَسْتَجِيرُ الْعَيْنَ أَنْ تَفْقِدَ الشُّفْرَا
 أَرَادَ بِذَلِكَ اللَّهُ أَنْ أَعْتَبَ الدَّهْرَا
 وَمَا عَادَةُ الْمَشْغُوفِ أَنْ يُحْمِدَ الْهَجْرَا
 مَرَامُ يَجِدُ الرُّكْبَ^(٧) فِي طَيْهَا شَهْرَا
 وَصَادًا وَنُونًا قَدْ تَقَوَّسَ^(٨) وَاصْفَرَّا
 فَلَا خَبْرًا مِنْهُمْ لَقِيْتُ وَلَا خُبْرَا
 وَلَكِنْ غُرَابُ الْخَيْلِ لَا تَحْمِلُ الزُّجْرَا^(٩)

-
- (١) هكذا وردت في النسخ. وفي الإسكوريال والزيتونة (عشايا) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (غص) وفي النسخ (غضا) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة والنسخ (بساط) والأولى أرجح .
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (كالبحر) .
 (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ (تألي في الدار) .
 (٦) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النسخ (الكرب) والأولى أرجح وأنسب السياق .
 (٧) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (وحزمة) .
 (٨) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (تقدس) والأولى أرجح .
 (٩) هذا البيت وارد في الإسكوريال والزيتونة ، وساقط في النسخ .

ضربتُ غُبارَ البِيدِ في مَهْرَقِ السُّرى
وحَقَّقْتُ ذاكَ الضَّرْبَ جَمْعاً وُعدَةً
كَأَنَّ زَمَانِي حَاسِبٌ مُتَعَسِّفٌ
فَكَمْ عَارِفٌ بِي وَهُوَ يَحْسُبُ رُتْبَتِي
لِذَلِكَ مَا أَعْطَيْتُ نَفْسِي حَقَّهَا
فَمَا بَرِحْتُ فِكْرِي عَدَارَى قَصَايِدِي
وَلَسْتُ وَإِنْ طَاشَتْ سَهَامِي بِأَيْسٍ
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ :

يَا قَمْرَا مَطْلَعُهُ أَضْلَعِي
وَرَبَّمَا اسْتَوَقَدَ نَارَ الْمَسْوِي
مَلَكْنَتِي فِي دَوْلَةٍ مِنْ صِبَا
عِنْدِي مِنْ حُبِّيكَ^(٣) مَا لَوْ سَرَتْ
لَهُ سَوَادُ الْقَلْبِ مِنْهَا غَسَقٌ
فَنَابَ فِيهَا لَوْنُهَا عَنْ شَفَقٍ
وَصَدَّتْنِي فِي شَرْكِ مَنْ حَدَقَ
فِي الْبَحْرِ مِنْهُ شُعْلَةٌ لَاحْتَرَقَ
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ أَيْضاً :

قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ فَلَمَّا فَارَقُوا
وَجَرَتْ سَحَابٌ بِالْدمُوعِ فَأَوَقَدَتْ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ فَيْضَ مِدَامِي
وَشَعْرَهُ الرَّمْلُ وَالْقَطَرُ كَثُرَ ، فَانْخَتَمَ لَهُ الْمَقْطُوعَاتُ بِقَوْلِهِ :
قَالُوا وَقَدْ طَالَ بِي مَدَى خَطِيءٍ
أَعَدَدْتُ شَيْئاً تَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ
لَمْ أَزَلْ فِي تَجَرُّمِي سَاهٍ
فَقُلْتُ أَعَدَدْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ

(١) أورد الناسخ هذا البيت في هامش الصفحة (206)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة والنفع (لا ترم الذكرا) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (حبك) .

نشره

كتب يهني ، قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقى من رسالة : لان قدره^(١) ،
 دام عمره ، وامثِلَ نِهْه [الشرعى]^(٢) وأمره ، أعلى رتبة ، وأكرم محلا ،
 من أن يتَحَلَّى بخُطَّة هي به تَحَلَّى . كيف يهنا بالعود لسماع دَعْوَة الباطل ،
 ولمعانة الإنصاف المَطُول من الماثل ، والتَّعب في المعادلة . بين ذوى
 المجادلة . أما لو عَلِمَ الْمُتَشَوِّقُونَ إلى خُطَّة الأحكام ، المُتَشَرِّقُونَ إلى مالها
 من التَّبَسُّط والاحتكام ، ما يجب لها من اللّوازم ، والشروط الجوّازم ،
 كَبَسْطِ الكَنَف ، ورَفْعِ الجَنَف ، والمساواة بين العدو وذى الذَّنْب ، والصاحب
 بالجنْب ، وتقديم ابن السَّبِيل ، على ذى الرَّحْم والقَبِيل ، وإيثار الغريب
 على القريب ، والتوسُّع في الأخلاق ، حتى لِمَنْ ليس له من خلاق ، إلى
 غير ذلك مما عَلِمَ قاضي الجماعة أخصاه ، واستعمل لخلقه الفاضل أدناه
 وأقصاه ، لَجَعَلُوا حُمُولَهُم مامولهم ، وأضربوا عن ظُهُورهم ، فنبذوه وراء
 ظُهُورهم ، اللهم إلا من أَوَى بَسْطَةً في العِلْم ، ورَسَا طوداً في ساحة الحِلْم ،
 وتساوى ميزانه في الحرب والسُّلم . وكان [كقاضي الجماعة]^(٣) ، في
 المماثلة بين أجناس الناس ، فقصاراه أن يتقلد الأحكام للأجر ،
 لا للتَّعَسُّف^(٤) والزَّجر ، ويتولَّاهم للثواب . لا للغِلْظَة في رد الجواب . ويأخذها
 نحْسَنُ الجزاء ، لا لِقُبْح الاستهزاء . ويلتزمُها لجزيل الذُّخْر لا للإِزْرَاءِ
 والسُّخْر . فإذا كان كذلك . وسلك المتولَّى هذا السَّالك ، وكان كقاضي^(٥)

(١) هكذا في الإسكوريال والزينة وفي النسخ (محله) .

(٢) هذه الكلمة الزائدة من الذيل والتكلة ، والنسخ .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (كونالا) .

(٤) هكذا في الإسكوريال وفي الذيل والتكلة والنسخ (للتعنيف) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الذيل والتكلة (مثل قاضي) .

الجماعة ولا مثل له ، ونفع الحقُّ به عِلله ، ونَقَعَ غُلله ، فيومئذ تَهْنَأُ به
خُطَّةُ القضاء ، ويعرف ما لله عليه ^(١) من اليدِ البَيضاء ^(٢) .

ومحاسنه في النشر أيضاً جمّة .

ومن أخباره أنه رحل إلى مراكش متسبباً في جهاز بنتٍ بلغت التزويج ،
وقصد دار الإمارة مادحاً ، فما تيسر له شيء من أمله . ففكر في خيبة
قصده ، وقال لو كنت تأملتُ جهة الله ، ومدحتُ المصطفى صلى الله عليه
وسلم ، وآل بيته الطاهرين ، لبلغتُ أُملى بمحمود عملي . ثم استغفر الله في
توجُّهه الأول ، وعلم أن ليس على غير الثاني من مُعَوَّل ، فلم يكن إلا أن
صوّب نحو هذا القصد سَهْمه ، وأمضى فيه عزمه . وإذا به قد وُجّه عنه ،
وأدخل على الخليفة ، فسأله عن مقصده . فأخبره [منصحاً به] ^(٣) فأنفذه
وزاده عليه . وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في النّوم
يأمره بقضاء حاجته . فانفصل مُوفّى الأغراض . واستمر في مدح أهل
البيت حتى اشتهر في ذلك .

وفاته

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وسنه دون الأربعين سنة . وصلى عليه
أَبُوهُ ، فإنه كان بمكان من الدين والمفضل رحمة الله عليه . وتلقيت من
جهات ، أنه دخل غرناطة ، لما امتدح القايد أبا عبد الله بن ضناديد بمدينة
جيان ، حسبما يظهر من عُجالاته ، من غير تحقيق لذلك .

(١) وردت في الإسكوريال (على) وفي النسخ (عليها) والصواب أرجح .

(٢) وردت هذه الرسالة بأكملها في الذيل والنكلة (السفر الرابع ص ١٤٠ - ١٤٣) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بما جاء له) .

صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم
ابن علي بن شريف النعمري
من أهل رُنْدَة ، يكنى أبا الطَّيِّب .

حاله

قال ابن الزُّبَيْر ، شاعر مُجِيدٌ في المدح والغزل ، وغير ذلك . وعنده مشاركة في الحساب والفرايض . نظم في ذلك . وله توالييف أدبية ، وقصايد زهدية ، وجزءٌ على حديث جبريل عليه السلام ، وغير ذلك مما روى عنه . وكان في الجملة معدوداً في أهل الخير ، وذوى الفضل والدين . تكرر لقائى إياه ، وقد أقام بمالقة أشهراً ، أيام إقراءى . وكان لا يفارق مجالس إقراءى ، وأنشدنى كثيراً من شعره .

وقال ابن عبد الملك ، كان خاتمة الأدباء بالأندلس ، بارع التصريف في منظوم الكلام ومنثوره ، فقيهاً حافظاً ، فريضياً ، متفنناً في معارف شتى ، نبيل المقاصد ، متواضعاً ، مقتصداً في أحواله . وله مقامات بديعة في أغراض شتى ، وكلامه نظماً ونثراً ، مُدَوَّن .

مشيخته

روى عن آباء الحسن أبيه^(١) . والدباج . وابن الفخار الشريشى ، وابن قطرال . وأبي الحسن بن زَرْقُون . وأبي القاسم بن الجَدِّ .

توالييفه

ألف جزءاً على حديث جبريل ، وتضمنيفاً في الفرائض وأعمالها ،

(١) هكذا في الإيسكوريال والزيوتونة .

وآخر في العروُض ، وآخر في صَنعة الشعر سماه «الوافي»^(١) في عِلْم القوافي»^(٢) .
وله كتاب كبير سماه «رَوْضةُ الأُنس ، ونُزهةُ النَّفس»^(٣) .

دخوله غرناطة

وكان كثير الوفاة على غرناطة ، والتردد إليها ، يَسْتَرْفِد : ملوكها ،
ويُنشِد أمراءها ، والقصيدة التي أولها : «أواصلُ يوماً وهاجرتي ألفاً» ،
أخبرني شيخنا أبو عبد الله اللُّوشى ، أنه نظمها باقتراح السلطان رحمه الله .
وقد أوعز إليه ألا يخرج عن بعض بساتين المُلْك ، حتى يُكملها في
معارضة محمد بن هاني الالبيري .

شعره

ودو كثير ، سهل المأخذ ، عذب اللفظ ، رايق المعنى ، غير مؤثر
للجزالة . فمن ذلك قوله رحمه الله في غرض المدح من السلطانيات :
سرى والحبُّ أمر لا يُرام وقد أغرى به الشوق والفِرام
وأغنى أهلها إلا وُشاة إذا نام الحوادثُ لا تنام
وما أخفا بين القوم إلا ضناً وربما نفع السُّقام
فنال بها على قدر مُناه وبين التَّبَضُّع والبَسْط القِوام
وأشهى الوصل ما كان اختيلاًسا وخيرُ الحبِّ ما فيه اختتام

(١) وردت في الإسكوريال وازيتونة «الكافي» ، وكذا في نسخة لابن عبد الملك
(السفر الرابع ص ١٣٧) وصححت في هامش الإسكوريال (الوافي) .

(٢) وعنوان الكتاب الصحيح حسبما اطلعنا على نسخة محفوظة منه بمكتبة الرياط العامة
(رقم ١730 الكتانية) هو : «الكتاب المسمى بالوافي في نظم الخوافي» ، وهو مطبوع قديم جمع
في ١٨٧ صفحة كبيرة ، مكتوب بخط منربى جميل . وفي ديباجته ما يدل على أن مؤلفه أبا الحب
الرندي ، قد تولى منصب القضاء .

(٣) هو كتاب في التاريخ والأدب . وقد كتبه أبو الطيب برسم حاميهِ السلطان محمد
ابن يوسف بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة (٦٣٥ - ٦١١ هـ) ، وكان شعره الأثير .

وما أَخْلَى الوِصالَ لو أَنَّ شَيْعًا من الدُّنيا للسَّدَّةِ دَوامُ
 بَكَيْتُ من الفِرَاقِ بغيرِ أَرْضِي وقد يَبْكِي الغَرِيبُ المُسْتَهامُ
 أَعَاذِلْتِي وقد فارقتِ إلَهِي أمِثْلِي في صَبَابَتِهِ يُسَلِّمُ
 أَأَفْقِدُهُ فلا أَبْكِي عليه يكونُ أَرْقَ من قَلْبِي الحِمَامُ
 أَنَسَاهُ فَأَخْبَبَهُ كَصَبْرِي وهل يُنْسِي لمُحِبِّوبِ ذِمَامُ
 رُوَيْدًا إِنْ بَعْضُ اللُّومِ لَوْمٌ ومثْلِي لا يُنْهِنُهُ المَلَامُ
 ويومُ نَوَى^(١) وَضَعْتُ الكَفَّ فِيهِ على قَلْبٍ يَطِيرُ به الهِيَامُ
 ولولا أَن سَفَحْتُ به جَفْمُونًا تَنْمِيضُ دَمًا لِأَحْرَقَها الضَّرَامُ
 وَلَيْلُ بَتِّهِ^(٢) كَالدَّهْرِ طَوَلًا تَنْكَرُ لِي وَعَافَهُ التَّمَامُ
 كَانَ سِماهُ زُهْرٌ^(٣) تَجَلَّى بِزَهْرِ الزَّهْرِ والشُّوقِ الكِمَامُ
 كَانَ البَذَرُ تَحْتَ الغَيْمِ وَجْهٌ عليه من مَلاحِهِ لِسَامُ
 كَانَ الكَوَكَبُ الدُّرِّيُّ كَأَسْرُ وَقَدْ رَقَّ الزُّجَاجَةُ والمُدَامُ
 كَانَ سَطُورُ^(٤) أَفْلاكِ الدَّرَارِي قَسِيَّ والرُّجُومَ لها سِيَهَامُ
 كَانَ مَدَارُ قُطْبِ بَنَاتِ نَعَشٍ نَدَى والنَّجُومَ به نِيَدَامُ
 كَانَ بَنَاتُهُ الكَسْبَرِي جَوَارِ حَوَارِ والسُّهَى فِيهَا غَلَامُ
 كَانَ بَنَاتُهُ الصُّغْرَى جُمانَ على لَبَّائِها مِنْهَا^(٥) نِظَامُ
 كَوَاكِبُ بَتِّ أَرْعَاهُنَّ حَتَّى كَانِي عَاشِقٌ وَهِيَ الذَّمَامُ
 إِلَى أَن مَسَرَّقتِ كَفُّ الثُّرَيَّا جِيوبَ الأفقِ وأنْجَابَ الظَّلَامُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (النوى) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي التكلة (صباية) . والبيت ساقط في الزيتونة .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي التكلة (روض) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (سلوك) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والزيتونة ، وفي الذيل والتكلة (منه) .

قَرَاباً يُنْتَضِي مَسْنَهُ حُامٍ
 بِوَجْهِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامِ
 فَلِلْبَدْرِ الْمَلَاةِ وَالْتِمَامِ
 كَأَنَّكَ فِي مُحْيَاةِ ابْتِسَامِ
 كَأَنَّكَ لَا سَمِيهَا أَلْفٌ وَلَا مِ
 صَنَائِعُهُ كَفَرْتَهُ وَسَامِ^(١)
 فَقَدْ بَخُسْتُ وَقَدْ خُدِعَ الْغَمَامِ
 يُرَاعُ بِذِكْرِهِ الْجَيْشُ اللَّهُامِ
 عَلَى أَمْرِ فَسَلِّمْ يَا سَلَامِ
 فَمَا يَدْرِي أَمْحِيَاً أَمْ حِمَامِ
 سُرَاةً مِنْ بَنِي نَصْرِ كِرَامِ
 وَلَوْلَا الْمِسْكُ مَا طَابَ الْخِتَامِ
 وَلَوْلَا الْجَدُّ مَا قَطَعَ الْحُسَامِ
 جَوَاراً لَا يُدْمُ وَلَا يُضَامِ
 وَسَلِّمْ تَحِيَّتِهِ سَلَامِ
 لَهُ بَعْدَهُ الْإِلَهِ بِكَ اعْتِصَامِ
 وَغَبَّ السَّلْمُ نَصْرُ مُسْتَدَامِ
 بِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ سَهَّلَ الْمَرَامِ
 ففِيهِ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ دَوَامِ
 وَمَا لِلْعُرْوَةِ الْوُثْقَى انْفِصَامِ
 وَمَعْنَى أَنْتَ وَلِلْفُظِّ الْإِنْسَامِ

فَمَا خِلْتُ انْصِدَاعَ الْفَجْرِ إِلَّا
 وَمَا شَبَّهْتُ وَجْهَهُ الشَّمْسِ إِلَّا
 وَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِالْبَدْرِ يَوْمَاً
 تَهْلَلُ مِنْهُ حُسْنُ الدَّهْرِ حَتَّى
 وَعَرَفَ مَا تَنْسَكَّرُ مِنْ مَعَالٍ
 وَمِلَّ الْعَيْنُ مِنْكَ جَلَالَ مَوْلَى
 إِذَا مَا قِيلَ فِي يَدِهِ غَمَامِ
 وَحَشَوُ الدَّرْعِ أَرْوَعَ غَالِيٍّ
 إِذَا مَا سَلَّ سَيْفُ الْعِزِّ يَوْمَاً
 تَنَاهَى مَجْدُهُ كَرَمًا وَبِأَسَا
 نَمَّتْهُ لِلْمَكْسَارِ وَالْمَعَالِ
 هُمْ الْأَنْصَارُ هُمْ نَصَرُوا وَأَوُوا
 وَهُمْ قَادُوا الْجِيُوشَ لِكُلِّ فَتْحِ
 وَهُمْ مَنَحُوا الْجَزِيرَةَ مِنْ حِمَاهِمِ
 فَمَنْ حَرَّبٍ تَشِيبُ لَهُ النَّوَاصِي
 بِسَعْدِكَ يَا مُحَمَّدُ عَزُّ دِينِ
 وَبِاسْمِكَ تَمَّ لِلْإِسْلَامِ سَلْمٌ
 وَكَانَ مَرَامُهُ صَعْبًا وَلَكِنْ
 آدَامُ اللَّهِ أَمْرُكَ مِنْ أَمِيرِ
 وَأَنْتَ الْمُرُوءَةُ الْوُثْقَى تَمَامَا
 وَرُوحُ أَنْتَ وَالْجِسْمُ السَّعَالِ

(١) في الرينة (وشم) .

إذا ما ضاقت الدنيا بحرًّا
كفاه لثَمُّ كَفِّكَ والسلام
ومن شعره أيضا :

أواصلتى يوماً وهاجرتى ألفاً
ومن عجبٍ للطَّيفِ أن جاء واحتدى
فيا سائراً لولا التخيُّل ما سرى
ألمٌ فأحيانى وولّى فراعنى
بِعَيْتى شكواى لِلْغَرامِ وتيهه
فعانقته شوقاً وقبّلتَه هوى
وصالُك ما أخلّى وهجرُك ما أجفا
فعاد عليّاً^(١) عاد كالطَّيفِ أم أخفا
ويا شاعداً لولا التعلُّل ما أغفا
ولم أرَ أجفَى منك طبعاً ولا أشفا
إلى أن تثنى عطفه فانثنى عطفاً
ولا قبلة تكفى ولا لوعة تطفأ

ومن نزعاته العجيبة قوله ، وقد سبق إلى غرضه غيره :

يا طَلْعَةَ الشمسِ إلّا إنه قمرٌ
كيف التخلُّص من عَيْنِكَ لى ومتى
وكيف يُسلى فؤادى عن صِبابته
أنت المُنّا والمنايا فيك قد جُمعت
ولى من الشوق ما لا دواء له
وفى وصالك ما أبقى به رَمَقى
وكان طَيفُ خيالٍ منك يُفَنِّعنى
يانابياً^(٢) لم يكن إلّا ليملكنى
ما غيّت إلّا وغاب الجنسُ أجمعه
بما تُكِنُّ ضلوعى فى هواك بمن
إدرك بقيّة نفسٍ لست مُدرِكُها

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى التزيتونة (معليا) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى التزيتونة (يا غاليا) .

وَدُلَّ حَيْرَةً مَهْجُورَ بِلَا سَبَبٍ
وإنَّ أَبَيْتَ فُلَى مِنْ لَيْسَ يُسَلِّمُنِي
مُؤَيِّدًا لِمَلِكٍ بِالْآرَاءِ يُحْكِمُهَا
مَنْ كَالْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ الْوَالِدِ إِذَا مَا
الْوَاهِبِ الْخَيْلَ آلَافًا وَفَارَسَهَا^(١)
وَالْمُشَبِّهِ اللَّيْثَ فِي بَأْسٍ وَفِي خَطَرٍ
تَأَمَّنَ النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ وَمَشَوْا
وَزَالَ مَا كَانَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ
رَأَيْتُ مِنْهُ الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُهُ
مَا شَبَّهَتْ مِنْ شَيْمٍ عَلِيًّا وَمِنْ شَيْمٍ
وَمَا أَرَدَتْ مِنْ إِحْسَانٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَعُورَةً يَتَلَأُلُؤُا مِنْ سَمَاحَتِهَا
إِيَّاهُ فَلَوْلَا دَوَاعٍ مِنْ مَحَبَّتِهِ
نَأَيْتُ عَنْهُ اضْطِرَارًا ثُمَّ عُدْتُ لَهُ
فَإِنْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يَقْضَى بِهِ أَمَلِي
وَلَسْتُ أَبْعُدُ إِذْ وَالْحَالُ مُتَسَّعٌ

يَبْكِي لَهُ الْقَاسِيَانِ الدَّهْرُ وَالْحَجَرُ
إِذَا نَبَا الْمَذْهَبَانِ الْوَرْدُ وَالصُّدْرُ
فِي ضَمْنِهَا الْمُتَبَهِّجَانِ الْيَمْنُ وَالظُّفْرُ
خَانَتْ الْقَدَمَانِ^(٢) الْبَيْضُ وَالسَّمَرُ
إِذَا اسْتَوَى الْمُهْطِعَانِ الصُّرُّ وَالصَّبْرُ
وَنِعِمَّتِ الْحِلْيَتَانِ^(٣) الْبِاسُ وَالْخَفَرُ
كَمَا مَشَى الصَّاحِبَانِ الشَّاةُ وَالنَّمْرُ
فَمَا يُرَى الدَّالِيلَانِ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ
وَحَبْذَا الطَّيِّبَانِ [الْحَبْرُ وَالْخُبْرُ]^(٤)
كَأَنَّهَا الرَّايِقَانِ الظِّلُّ وَالزَّهْرُ
يُنْسَى بِهِ الْأَجُودَانِ الْبَحْرُ وَالْمَطَرُ
كَأَنَّهَا النَّهْرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لَمْ يَسْهَلِ الْأَضْعَبَانِ الْبَيْنُ وَالْخَطَرُ
كَمَا اقْتَضَى الْمُبْرَمَانِ الْحِلُّ وَالسَّفَرُ
فَحَسْبِيَ الْمُحْسِبَانِ الظِّلُّ وَالشَّمَرُ
أَنْ يُبْلَغَ الْغَايِبَانِ السُّؤْلُ وَالْوَطَرُ

ومن شعره في أغراض متعددة . قال في الليل والسهرة :

أَطَالَ لَيْلِي الْكَمَدَ فَالدَّهْرُ عِنْدِي سَرَمَدَ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العدمان) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (ومارسا) والأول أرجح .

(٣) وردت في الإسكوريال والزيتونة (الحيلتان) والتصويب أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (الحر والخبر) .

وقد أثرتنا الأولى لأنه لا محل لذكر الحمر هنا باعتبارها من الطيبات .

وما أظن أنه ليليلة الهجر غَد

يا ناعما عن لَوَعَى عُوْفِيَتِ مِمَّا أَجِدُ

أَرْقُدْ هَنِيئًا إِنْسِي لَا أَسْتَطِيعُ أَرْقُدُ

لَوَاعِجٌ ^(١) مَا تَنْطَفِي ^(٢) وَأَدْمَعُ تَضْطَرِدُ

وَكَبِدِي كَبِدَ الْهُوَى وَأَيْنَ مِنْى الْكَبِدِ ^(٣)

وَلَا تَسَلْ عَنْ جَلْدِي وَاللَّهِ مَالِي جَلْدُ

ومن شعره أيضا في المقطوعات .

وليلة قُصِرَ مِنْ طَوْلِهَا بِزُورَةٍ مِنْ رَشَاءٍ نَافِرِ

أَسْتَوْفِرُ الدَّهْرَ بِهَا غَالِطًا فَادْغَمِ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ

وقال من قصيدة مُغْرِبَةٍ فِي الْإِحْسَانِ :

وليلة نَبَّهَتْ أَجْفَانَهَا وَالْفَجْرُ قَدْ فَجَّرَ نَهْرَ النَّهَارِ

وَاللَّيْلُ كَالْمُهْزُومِ فِي يَوْمِ الْوَغَا وَالشُّهْبُ مِثْلُ الشُّهْبِ عِنْدَ الْفِرَارِ

كَأَنَّمَا اسْتَخْفَى السُّهَى خَيْفَةً وَطُولِبَ النَّجْمُ بِثَأْرِ فُتَارِ

لِذَاكَ ^(٤) مَا شَابَتْ نَوَاصِي الدُّجَى وَطَارَحَ ^(٥) النَّسْرُ أَخَاهُ فَطَارِ

وَفِي الثُّرَيَّا قَمَرٌ سَافِرٌ عَنْ غَرَّةٍ غَيْرٍ مِنْهَا الشُّفَارِ

كَأَنَّ عِنْقُودًا [بِهَا مَائِلٌ] ^(٦) إِذْ صَارَ كَالْعُرْجُونِ عِنْدَ السَّرَارِ

كَأَنَّمَا تُسَبِّكُ دِينَارَهُ وَكَفُّهَا تَفْتَلُ مِنْهُ سَوَارِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (زراعجي)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (دأدمي) .

(٣) هكذا ورد هذا البيت في الزيتونة وورد في الإسكوريال كالآتي (وكبد في كبد ،

لمنى واين الكبد) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (كذلك) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (طير) .

(٦) هكذا في الإسكوريال والزيتونة ، وفي النسخ (تفتى به) .

كأنما الظلماء مظلومة تحكّم الفجرُ عليها فجار
 كأنما الصُّبحُ لمشتاقه^(١) [إقبالٌ دُنيا]^(٢) بعد ذلّ افتِقار
 كأنما الشمسُ وقد أشرقت وجهُ أي عبدِ الآله استنّار
 وفي وصف البحر والأنهار وما في معنى ذلك :

البحر أعظمُ مما أنت تحسبه من لم ير البحر يوماً ما رأى عجباً
 طامٍ له حَبَبٌ طاف على زورق مثلُ السماءِ إذا ما ملئت شهباً
 وقال في وصف نهر :

وأزرقُ محفوظٌ بزهر كأنه نجومٌ بأكنافِ المجرة تزهر
 يسيل على مثل الجُمان مُسلسلاً كما^(٣) سُلّ عن غمد حُسامٍ مُجوهر
 وقد صافح الأدواح من صفحاته حتى حبابٍ بالنسيم مُكسّر
 فما كان في عطف الخليج قلامة وما كان في وجه الغدير فمُغفّر
 وفي العقل والتَّغرُّب :

ما أحسن العقل وآثاره لو لآزم الإنسان إثْثاره
 يصُون بالعقل الفتى نفسه كما يصون الحرُّ أسرارَه
 لا سيما إن كان في غُربة يحتاج أن يُعرف مِقْدارَه
 ومن وصفه الجيش والسلاح :

وكتيبة بالدارعين كثيفة جرّت ذبول الجَحْفَل الجرار
 روضُ المنايا بينها القُصْبُ التي زُفّت بها الرّيات كالآزهار
 فيها الكُماة بنو الكُماة كأنهم أسدُ الشّرى بين القنا الخطّار

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لشاقه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة ، وفي النسخ (سز غنى) .

(٣) وردت في الإسكوريال (كل) والتصويب من الزيتونة .

مُتَهَلِّلِينَ لَدَى اللَّقَاءِ كَأَنَّهُمْ خُلِقَتْ وَجُوهُهُمْ مِنَ الْأَقْمَارِ
 مِنْ كُلِّ لَيْثٍ فَوْقَ بَرْقٍ خَاطِفٍ بِيَمِينِهِ قَدْرٌ مِنَ الْأَقْسَادِ
 مِنْ كُلِّ مَاضٍ قَدْ تَقَلَّدَ مِثْلَهُ فَيُصَبُّ آجَالاً عَلَى الْأَعْمَارِ
 لِبَسُوا التَّقْلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ وَأَسْرَعُوا لَأَكْفَهُمْ نَاراً لِأَهْلِ النَّارِ
 وَتَقَدَّمُوا وَلَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ حُنُقُ الْعِدَا وَحُمِيَّةُ الْأَنْصَارِ
 فَارْتَاعَ نَاقُوسٌ بِخَلْعٍ لِسَابِهِ وَبَكَى الصَّلِيبُ لِدَلَّةِ الْكُفَّارِ
 ثُمَّ انْتَحُوا عَنْهُ وَعَنْ عُبَّادِهِ وَقَدْ أَصْبَحُوا خَبِيراً مِنَ الْأَخْبَارِ
 وَفِي السَّيْفِ :

وَأَبْيَضُ صَبِغٍ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ لَهَبٍ عَلَى اعْتِدَالٍ فَلَمْ يَخْشُدْ وَلَمْ يَسِلْ
 مَاضِي الْغُرَارِ يَهَابُ الْعُمُرِ صَوْلَتَهُ كَأَنَّمَا هُوَ مَطْبُوعٌ مِنَ الْأَجَلِ
 أَبْهَى مِنَ الْوَصْلِ بَعْدَ الْمَجْرِ مَنْظَرُهُ حُسْنًا وَأَقْطَعُ مِنْ دَيْنٍ عَلَى مَالِ
 وَأَسْمَرُ ظَنٍّ مَا كُلُّ سَابِغَةٍ فَخَاسِضٍ كَالْأَيْمِ يَسْتَشْفَى مِنَ النَّهْلِ
 هَامُ الْحِكَاةِ بِهِ حَبًّا وَلَا عَجَبٌ مِنْ لَوْعَةٍ بِمَلِيحِ الْقَدِّ مُعْتَدِلِ
 إِذَا الطُّعَيْنَ تَلَقَّاهُ وَأَرْغَفَهُ حَسْبَتَهُ عَاشِقًا يَبْكِي عَلَى طَلَلِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ قَوْسٍ :

تَنْكَبُهَا كَحَاجِبِهِ وَسَوَى بِأَهْدَافِ الْجُفُونِ لَهَا نَيْبَالَا
 فَلَمْ أَرْ قَبْلَهُ بِسَدْرًا مَنِيرًا تَحْمِلُ فَوْقَ عَاتِقِهِ هِلَالَا
 وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ قَلَمٍ :

وَأَصْفَرُ كَالصَّبِّ فِي رَوْنَقٍ تَظُنُّ بِهِ الْحُبَّ مَنْ نَحَلَ
 بَدِيعِ الصِّفَاتِ حَدِيدُ السَّبَاتِ يَطُولُ الرِّمَاحُ وَإِنْ لَمْ يَطُلْ
 يُعْبَرُ عَمَّا وَرَاءَ الضَّمِيرِ وَيَفْعَلُ مَا فَعَلَ الظُّبَا وَالذُّبُلُ

ومن ذلك قوله فيما يظهر منها :

تفاخر السيفُ فيما قيل والقلمُ والفصلُ بينهما لاشك مُنفهم
كلاهما شَرَّفَ الله دَرَّهُما وجبَذَ الخُطَّانَ الحُكْمَ والحَكْمُ

ومن ذلك قوله في سَكِينِ الدَّوَاةِ :

أَنَا صَمَامَةُ الْكِتَابَةِ مَالِي من شَبِيهِ فِي الْمُرَهَفَاتِ الرَّقَاقِ
فَكَأَنِّي فِي الْحُسْنِ يَوْمَ وَصَالِ وَكَأَنِّي فِي الْقَطْعِ يَوْمَ فِرَاقِ
ومن ذلك قوله في الْمَقْصَصِ :

وَمُعْتَنِقِينَ مَا اشْتَهَرَا بِعِشْقِ وَإِنْ وُصِفَا بِضَمٍّ وَاعْتِنَاقِ
لَعَرُّ أُبَيْكَ مَا اعْتَنَقَا لِمَعْنَى سَوَى مَعْنَى الْقَطِيعَةِ وَالْفِرَاقِ
ومن ذلك قوله في الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ سُلْطَانُ كُلِّ زَهْرٍ [لَوْ أَنَّهُ دَائِمُ الْوُرُودِ] ^(١)
بَعْدَ خُدُودِ الْمِلَاحِ شَيْءٌ مَا أَشْبَهَ الْوَرْدَ بِالْخُدُودِ
ومن ذلك قوله في الْخَيْرِيِّ ^(٢) :

وَأَزْرَقَ كَمَثَلِ السَّمَاءِ فِيهِ لِمَنْ يَنْظُرُ سِرٌّ عَجِيبٌ
شَحَّ مَعَ الصُّبْحِ بِأَنْفَاسِهِ كَأَنَّمَا الصُّبْحُ عَلَيْهِ رَقِيبٌ
وَبَاحَ بِاللَّيْلِ بِأَسْرَارِهِ لَمَّا رَأَى اللَّيْلُ نَهَارَ الْأَرِيبِ
ومن ذلك قوله في الرِّيحَانِ :

وَأَخْضَرَ فَسْتَقَى اللُّونَ غَضٌّ يَرُوقُ بِحَسَنِ مَنْظَرِهِ الْعُبُونَا

(١) - هنا وردت هذه الشطر في الزيتونة ، ووردت في الإسكندرية (ما به)

(٢) - وردت في (ما به) نفس الشطر الخافية لمبيت الثاني كمرره انشاع ميم البيت الأول .

(١) - هنا وردت في الإسكندرية ، وفي الزيتونة (الحمر) ، والخبري ذات بهو في

البحر .

أغار على الترنج وقد حكاها وزاد على اسمه ألفاً ونسونا
وقال من جملة قصائده المطولات . التي تفنن فيها رحمه الله :
وغانية يُغنى عن العود صونُها وجارية تُسقى وساقية تجسرى
بحيث يعجرُ النهر ذيل مجرةٍ يرفُّ على حافاتها الزهر كالزهر
وقدهزت الأرواح خصر كتاب بألوية بيض على أسلي سمر
رمى قزح نبلًا إليها فجردت سيوف سواقيها على دارع النهر
وهبت صبا نجد فجرت غلايلا تجفف دمع الطل عن وجنة الزهر
كان بصفح الروض وثى صحيفة وكالآلفات القضب والطرس كالتبر
كان به الأقحوان خسواتما مفضضة فيها فصوص من التبر
كان به النرجس الغض أعيما تفرق في أجفانها أدمع القطر
كان شذا الخيري زورة عاشق يرى أن جنح الليل أكنم للسر
وقال في وصف الرمان :

لله رمانة قد راق منظرها فمثلها ببديع الحسن منعوت
القيش حق لها قد ضم داخله والشحم قطن والحب ياقوت
أنظر إلى جذر في اللون مختلف البعض من سح والبعض من ذهب
ومن ذلك قوله في الجزر :

إن قلت قصب فقل قصب بلا زهر أو قلت شع فقل شع بلا لب
وفي الاغتراب^(١) وما يتعلق به مما يقرب من المطولات :

غريب كلمسا يلقي غريب فلا وطن لديه ولا حبيب
تذكر أصله فبكي اشتياقا وليس غريبا أن يبكي غريب
ومما هاج أشواق حديث جرى فجري له الدمع السكوب

(١) هكذا وردت في الإيكوريال . وفي الزيتونة (الإغراء) وهو تحريف .

ذكرتُ به الشباب فشقَّ قلبي
 على زمن الصِّبا فليَبكْ مثلي
 جهلتُ شَيْبتي حتى تولَّتْ
 ألا ذَكَرَ الآله بكل خير
 بلادُ ماؤها عذب زُلال
 بها قلبي الذي قلبي المعنى
 رُزقت الصِّبر بلين أبي وأمي
 ألا فتَوَخَّ بعدى من أُوأخى
 ولا تحكم بأول ما تراه
 إلا إننا خلقنا في زمان
 وقد لذَّ الحِمام وطاب عندي
 لحى الله الصُّرورة فهي بَلوى
 رأيت المال يَسْتُر كل عَيْب
 وفَقْدُ المال في التَّحقيق عندي
 وقد أَجهدتُ نفسي في اجتِهاد
 وقد تجرى الأمور على قياس
 كأنَّ العقل للُدُنْيَا عدوٌّ
 إذا لم يُرزق الإنسان بَخْتاً

ومن نسيبه قوله في بادرة من حمام :

برَزَّت من الحمام تمسح وجهها
 عن مثل ماء الورد بالعُنباب
 والماء يقطر من ذوائب شعرها
 كالطَّل يسقط من جناح غراب
 فكانها الشمس المنيرة في الضُّحى
 طلَّعت علينا من خلال سحاب

ومن مقطوعاته أيضاً قوله :

وَمُنِّمٌ^(١) لو كان صَوَّرَ نفسه
ما كان يرضى بالصدود وإنما
ما زادها شيئاً سوى الإشفاق
كثرت عليه مسائل العشاق
وقال :

وإني وقد زانه جمال
ثلاثة ما لها مثال
فمن رآه رأى رياضاً
فيه لعشاقه اعتذار
الوجه والخد والعذار
الورد والآس والبهار

ومن ذلك قوله في ذم إخوة السوء :

ليس لإخوة باللسان أخوة
لا أنت في الدنيا تُفَرِّجُ كربه
فإذا تُراد أخوتي لا تنفع
عني ولا يوم القيامة تشفع

وقال كذلك :

ولقد عرفتُ الدهر حين خبرته
فإذا الأخوة باللسان كثيرة
وبلوت بالحاجات أهل زمان
وإذا الدراهم مئلق الإخوان

ومن ذلك قوله في ثقیل :

تنزلت الأرض زلزالها
فقالوا أئانا أبو عامر
فقلت لسكانها ما لها
فأخرجت الأرض أثقالها

ومن ذلك قوله في الصبر :

الدهر لا يُبقي على حالة
فإن تلقاك بمكروهه
لكنه يُقبل أو يُدبر
فاصبر فإن الدهر لا يصبر

(١) وردت في الإنكوريال والزيتونة (وتمت) والتصويب أرجح .

ومن ذلك قولة في الموت :

الموت سرُّ الله في خلقه وحكمةٌ دلت على قهره
ما أضعب الموت وما بعده لو فكر الإنسان في أمره
أيام طاعات الفتي وحدها هي التي تحسب من عُمره
لا تُلهيك الدنيا ولذاتها عن نهْي مولاك ولا أمره
وأنظر إلى من ملك الأرض هل صحَّ له منها سوى قبره

نثره

قال في كتاب « روضة الأنس » ما نصه :

« ويتعلق بهذا الباب ، ما خاطبني به الفقيه الكاتب الجليل ، أبو بكر البرذعي من أهل بلدنا ، أعزه الله : أخبرك بعُجاب ، إذ لا سرٌّ دونك ولا حجاب ، بعد أن أتقدم إليك أن لا تعجل باللوم إلى قبل علم ما لدى ، فإن الدهر أخذع من كفة الحابل ، وقلب الإنسان للآفات قابل . مشيت يوماً إلى سوق الرقيق ، لأخذ حق فؤاد عتيق . فرأيت بها جارية عسجدية اللون ، حديثة عهد بالصَّون ، متائلة القد ، قايسة النهْد ، بلحظ قد أوتى من السَّحر أوفر حظ ، وقم كشرطة رُشحت يدم ، داخله سِمطان لولاهما ما عُرف النظم ، ولا حُكم على الدر للعظم ، في صدغها لآمان ، ما خطَّ شكلهما قلم ، ولا قصَّ مثلهما حِلْم . لما جيد تتمناه الغيد ، وخضر هو قبضة الكف في الحَصْر ، وردف يظلمه من يُشبه به بالحِقف . ويدان خلقا للوشى . وقدمان أهلتا للنم لا للمشى : فتناولت إليها الأعناق . وبذلت فيها الأعلاق ، والياسير عليها مُغرم^(١) في القوم . وتسوم أهل السوم ،

(١) هكذا وردت في النزيتونة . وفي الإسكوريال (يعزم) .

وكل فيها يزيد ، ليلبلغ ما يريد ، إلى أن جاء فتى صادق في حبه ، لا يبالي
بفساد ماله في صلاح قلبه ، فعدَّ المال عدًّا ، ولم يجد غيره من التسليم
بُداً . فلما فاتتني ، تركتُ الأشواق وأتتني ، وانتقصت عزائم صبري
فما أتتني ، فالله الله ، تدارك أذاك سريعاً ، قبل أن تُلغيه من الوجد صريعاً ،
واستنزله خادماً ، قبل أن تُصبح عليه نادماً ، ولن أحتاج أن أصفها إليك
مع ما قصصته عليك ، وقد أهديتها دُرراً ، فخذها على وجه الفكاهة
والدُّعابة .

ولا تطلع أخا جهلٍ عليها فمَنْ لم يَدْرِ قدر الشيءِ عابه

فأجبتُه ، نعم نعم ، أنعم الله بالك ، وسنى آمالك ، أنا بحول الله
أرتادُ لك ، من نحو هاتيك ، ما يُسليك ويؤاتيك ، وإلا فبيضاً كاللَّجَيْنِ ،
هل القلب والعين ، زهرة غُصْنٍ في روضة حُسن ، ذات ذوايب ، كأنها الليل
على نهار ، أو بنفَسٍ في بهار . لها وجه أبهى من الغنا ، وأشهى من نيل المنا ،
فيه حاجبان كأنهما قَوْسٌ صنعت من السَّبح ، ورُصِّعت بعاج من البلح ،
على عينين ساحرتين ، بالعقل ساخرتين ، بهما تُصاب الكُبود ، وتُشَقُّ
القلوب قبل الجلود ، إلى فمٍ كأنه خِتام مسك ، على نظام سِلَك . سقاه
الحسن رحيقه ، فأنبتت دُرَّره وعقيقه ، وجيد في الحسن وحيد ، على
صدرٍ كأنه من مرمر ، فيه حَقَّتْ عَاج طَوْقتا بَعَثِير ، قد خلقتا للغصن ، في
جسم غصن ، له خضر مُدْمَج ، وردفه بتموج ، وأطراف كالعَتم . رُقمت
رَقَم القلم . من اللابي شَهِدَن ابن المؤمِّل ، وقال في مثلها الأول ، إن هي
تاهت فمثلها تاهاً ، أو هي باهت فمثلها باهاً ، من أين للغصن مثل قامتها .
أو أين للبدر مثل مرآها . ما فعلت في العقول صابية . ما فعلت في العقول

عينها . تَمْلِكُنِي بِالْهَوَى وَأَمْلِكُهَا : فَمَآنَا عِبْدُهَا وَمَوْلَاهَا ، فَأَيُّهُمَا لَسْتُ
 بِذَلْتُ فِيهِ الْجُهْد . وَأَرْقَيْتُ لِلْمَجْدِ وَالْوُدِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَأَنَا فَيَا عَرَضَ
 لِسَيْدِي ، حَفِظَهُ اللَّهُ ، عَلَى مَا يُحِبُّ : أَعْدِرُهُ وَلَا أَعْذِلُهُ ، وَأَنْصُرُهُ وَلَا أَخْذِلُهُ
 لَكُنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ . لَا يَنْبَغِي لِمَنْ قَلْبُهُ رَقِيقٌ ، أَنْ يَدْخُلَ
 سَوَاقُ الرَّقِيقِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ جُمِعَ بَيْنَ الْمَالِ وَالْجَمَالِ : يَتَنَافَسُ فِي الْعَالِي ،
 وَيَسْتَرْخِصُ بِالْثَمَنِ الْغَالِي ، وَلَا يُبَالِي بِمَا قَالَ الْأَيُّمَةُ ، إِذَا وَجَدَ مِنْ يَلَامِهِ ،
 كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا انْتِفَاعُ الْمُحِبِّ بِالْمَالِ إِذَا لَمْ يَتَوَصَّلْ بِهِ لَوْصَلِ الْحَبِيبُ
 إِنَّمَا يَنْبَغِي بِحَكْمِ الْهَوَى أَنْ يُنْفَقَ الْمَالُ فِي صَلَاحِ الْقُلُوبِ

وَالسَّلَامُ عَلَى سَيْدِي ، مَا كَانَتْ الْفُكَاهَةُ مِنْ شَأْنِ الْوَقْفِ ، وَالْمَدَاعِبَةُ مِنْ شَيْءِ
 الظُّرْفِ ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتِهِ .

مولده : ولد في محرم سنة إحدى وستماية .

وفاته : توفي في عام أربعة وثمانين وستماية

نقلت من خط صاحبنا الفقيه المؤرخ ، أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ . قَالَ :
 أَنَشَدَنِي الشَّيْخُ الرَّأْيِي الْأَدِيبُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ أَبُو الْحَجَّاجِ يَوْسُفُ بْنُ
 مُوسَى بْنِ سَلِيمَانَ الْمُتَشَافِرِي ، قَالَ أَنَشَدَنِي الْقَاضِي الْفَاضِلُ أَبُو الْقَاسِمِ
 ابْنُ الْوَزِيرِ أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنُ الْحُقَالَةِ . قَالَ أَنَشَدَنِي الْأَدِيبُ أَبُو الطَّيِّبِ
 صَالِحُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ يَزِيدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ شَرِيفِ الرُّنْدِيِّ لِنَفْسِهِ ، لِيَكْتُبَ
 عَلَى قَبْرِهِ :

خَلِيلِي بِالْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَجْمَلًا إِذَا مِتُّ قَبْرِي عُرْضَةٌ لِلتَّرْحُمِ

عنى مسلمٌ يدنو فيدعو برحمة فإني محتاج لدعوة مُسلم^(١)

حرف العين

من ترجمة الملوك والأمراء

عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي ، الرئيس
أبو محمد بن إشتيولة

أوليته

قد مرَّ شيءٌ من ذلك في اسم الرئيس أبي إسحق أبيه .

حاله

كان أميراً شهماً ، مضطّلاً بالقضية ، شهير المواقف : أبي النفس ،
على الهمة . انتزى على خاله أمير المسلمين الغالب بالله^(٢) ، وكان أمّلك

(١) من الذائع المعروف أن أبا الطيب الرندي (صالح بن شريف) هو ناظم قصيدة مرثية الأندلس الشهيرة التي مطلعها (لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يذير بطيب العيش انسان) ، والتي أوردتها لنا المقرئ في نفح الطيب ، ونقلها فيما يرجع عن كتاب (الخير السنية في تاريخ الدولة المربنية) والتي هنا زالت حتى يومنا تحتفظ برئيسها المحزن . وبالرغم من ابن الخطيب قد أورد لنا طائفة شتارة من شعر أبي الطيب ، وفيها ثلاث قصائد من مطولاته ، فإنه لم يشر بكلمة واحدة إلى مرثيته الأندلسية ، بالرغم من أنها من غرر قصائده . وهو أمر يدعو إلى الدهشة والتساؤل ، إما أن الناسخ لخطوط كتاب «الإحاطة» قد أغفل إيراد هذه القصيدة اختصاراً أو ظناً منه بأن شهرها نفى عن إيرادها . وإما أن ابن الخطيب قد أغفل إيرادها عمداً . ذلك أن هذه القصيدة قد نفلت تحت انهيار الأندلس وسقوط قواعدها الكبرى ، وفزول ابن الأحمر مؤسس ملكة غرناطة عن عدد كبير من البلاد والحصون للنصارى . وقد كان ابن الخطيب من أولياء نعمة بني نصر (بنى الأحمر) ملوك غرناطة وريب نعمتهم ، وربما رأى أن وجود هذه القصيدة في مؤلفه قد يسىء إلى ذكريات ابن الأحمر الكبير ، الذي وقعت في عهده محنة الأندلس ، ثم نفلت القصيدة في عصره أيضاً بقلم شاعره الأندلسي أبي الطيب فرأى إنفصالها .

(٢) أمير المسلمين المشار إليه هو حبيب بالله محمد بن يوسف بن الأحمر

مؤسس ملكة غرناطة (٦٣٥ - ٦٤٠ هـ)

لما بيده من مدينة وادي آش وما إليها ، مُعزّزا بأخيه الرئيس أبي الحسن
مُظَاهِرُهُ في الأمر ، ومُشاركه في السلطان ، واستمرت الحال مدة حياة خاله
السلطان . ولما صار الأمر إلى مُخيفه ولي العهد ^(١) . اسْتَشْرَى الداء ،
وأَغْضَلَ الأمر ، وعمّت الفتنة ، وزاحمه السلطان بالْمُنْكَب ، انفَجَم ،
واعْتَوْرَهُ بالحيلة ، حتى تحيّف أطرافه ، وكان ما هو معلوم ، من إجازة
أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ^(٢) البحر إلى الجهاد .
ومال الحال بينه وبين السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر إلى
التَّقَاطُع ، وتصيّر مالمقة إلى الإيالة المغربية ^(٣) ، ثم عادت إلى السلطان .
وفي أخريات هذه الأحوال ، أحكم السلطان مع طاغية الروم ، السّلم ،
وصَرَف وجهه إلى مطالبة الرئيس أبي محمد ، صاحب وادي آش ، فالبجاء
الحال إلى أن صَرَف الدعوة بوادي آش إلى السلطان بالمغرب ورفع شعاره ،
فأَقْعَد عنه . ووقعت مراسلات ، أَجَلَّتْ عن انتقال الرئيس أبي محمد إلى
المغرب ، معوضاً عن مدينة وادي آش بقصر كتامة ^(٤) . وذلك في عام تسعة
وثمانين وسبعمائة .

(١) ولي العهد المشار إليه هو ولده السلطان أبو عبد الله محمد (٦٧١ - ٧٠٢) الملقب
بالفقيه لعلمه وتقواه ، وهو ثاني ملوك غرناطة بعد أبيه .

(٢) هو أعظم سلاطين بني مرين ملوك المغرب ، وهو الذي قضى نهائياً على دولة الموحدين
(سنة ٦٦٨ هـ) . وعبر إلى الأندلس أربع مرات برسم الجهاد ، وأحرز عن النصارى عدة انتصارات
باهرة استحق من أجلها لقب المنصور . وتوفي سنة ٦٨٥ هـ ، وترك دولة بني مرين الفتية في أوج
قوتها ومجدها .

(٣) وردت في الإسكوريال والزيتونة (المغربية) وهو تحريف والمقصود (بالإيالة المغربية)
هنا المملكة المغربية أو مملكة بني مرين .

(٤) قصر كتامة أو القصر الصغير ، هو ميناء مغربي صغير يقع على مضيق جبل طارق في
منتصف المسافة بين سبتة وطنجة ، قبالة ثغر طريف الإسباني . وقد كان في منسبت عديدة ، منزل
الجيوش الفاهية إلى الأندلس والآتية منها .

وفاته

دخلتُ قصر كِتامة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذى قعدة عام خمسة وخمسين وسبعمائة فى غرض الرسالة ، وزُرْتُ مقبرة الرؤساء بنى إشقيلولة بظاهرها ، وفى قُبَّة ضخمة البناء رَحِيبَة الفناء ، نسيجة وجدها بذلك البلد ، بين منازل البلى ، ودينار الفناء ، وبها قبر الرئيس أبى محمد هذا ، عن يسار الداخل ، بينه وبين جدار القبلة قبر ، وسَنامه رخام مكتوب عليه :

قبر عزيز علينا لو أن من فيه يُفدا
أَسَكَنْتُ قَرَّةَ عَيْنِي وقطعة القلب لَحْدا
ما زال حُكْمًا عليه وما القضاء تَعْدًا
فللصبر أحسن ثوب به العزيزُ تَرَدًّا

وعند رأس السَّنام الرخامى ، مَهْدٌ مائلٌ من الرخام فيه :

« أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا . هذا قبرُ الرئيس الجليل ، الأَعْلَى الهمام ، الأَوَّحَد ، الأَسْعَد ، المَبَارَك ، الأَسْنَى ، الأَخْفَل ، الأَكْمَل ، المَجَاهِد ، المَقْدَس ، المَرْحُوم ، أبى محمد عبد الله ، ابن الرئيس الجليل ، الهمام ، الأَوَّحَد ، الأَسْعَد ، المَبَارَك ، الأَمْضَى ، الأَسْنَى ، الأَسْمَى ، المَعْظَم ، المَرْفُوع ، المَجَاهِد ، الأَرَضَى ، المَقْدَس ، المَرْحُوم أبى إِسْحَقَ إِبراهيم بن إشقيلولة ، رحمه الله وعفا عنه ، وأَسَكَنَهُ جَنَّتَهُ . ظهر عفا الله عنه ، بوادى آش . أَمْنَهَا اللَّهُ ، قاعدة من قواعد الأندلس ، وتَسَلَّطَن ، ونُشِرَتْ علامات سلطنته . وضربت الطبول . وجاهد منها العدو . قَصَمَهُ اللَّهُ ، وظهر على خاله سلطان الأندلس . وأقام فى سلطنته . نحواً من ثلاث

وعشرين سنة . ثم قام بدعوة الملك الأعلى ، السلطان المؤيد المنصور ، أمير المسلمين ، المؤيد بالله أبي يعقوب أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته ويُسره ، وأمره أيده الله ، أن يتخلى عن وادى آش المذكورة ، ويَصِل للمغرب ، فتنحى عن الأندلس للمغرب^(١) ، آنسَهُ الله ، فى جمادى الأولى من عام ستة وثمانين وستمائة ، فأعطاه أيده الله ، قصر عبد الكريم^(٢) آمنه الله ، وأنعم عليه ، فأقام به مدة من ثمانية أعوام ، وجاز منه إلى الأندلس ، أمنها الله ، وجاهد بها مرتين ، ثم رجع إلى قصر عبد الكريم المذكور ، وتوفى ، شرف الله روحه الطيبة المجاهدة ، عشيَّ يوم السبت العاشر من شهر محرم سنة خمس وتسعين وستمائة .

عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصنهاجى

أمير غرناطة .

أوليته : قد مرَّ من ذلك فى اسم جدّه ما فيه كفاية .

حاله

لقبه المُظفّر بالله ، الناصر لدين الله . ولى بعد جدّه باديس فى شوال سنة خمس وستين وأربعمائة ، وصحبّه سِماجه الصّنهاجى تسع سنين . قال الغافقى ، وكان قد حاز خطأ وافرا من البلاغة والمعرفة ، شاعرا ، جيّد

(١) وردت فى الإسكوريال (الغرب) فاقتضى التصويب .

(٢) ما جاء فى هذا النقش الذى على القبر ، يخالف ما تقدم من أن السلطان أيا يوسف بعث بإرئس عبد الله إلى قصر كتامة أو القصر الصغير ، موصيا إياه به عن وادى آش . أما قصر عبد الكريم أو القصر الكبير فهى بلدة تقع داخل المغرب على مقربة من ثغر العرايش .

الشعر ، مَطْبُوعَةٌ ، حسن الخط . كانت بغرناطة رُبْعَةٌ مُصَحَّفٌ بِخَطِّهِ فِي
نَهَايَةِ الصَّنْعَةِ وَالِاتِّقَانِ . ووصفه ابن الصِّيرَفِي فَقَالَ ، كَانَ جَبَانًا مُغَمَّدَ
السَّيْفِ ، قَلَقًا ، لَا يَثْبُتُ عَلَى الظَّهْرِ ، عَزَاهَا لَا أَرَبَ لَهُ فِي النِّسَاءِ ، هَيَّابَةٌ ،
مُفْرَطُ الْجَزَعِ ، يَخْلُدُ إِلَى الرَّاحَاتِ ، وَيَسْتَوِزِرُ الْأَغْمَارَ .

خلعه

قال ، وفي عام ثلاثة وعشرين وأربعمائة ، تحرَّك أمير المسلمين ، يوسف
ابن تاشفين ، لخلع رؤساء الأندلس ، فأجاز البحر ، ويمم قرطبة ،
وتواترت الأنباء عن حفيد باديس صا حب غرناطة ، بما يُغَيِّظُهُ وَيُحْقِدُهُ ،
حسبًا تقدم في اسم مؤمل ، مولى باديس . وقدم إلى غرناطة أربع محلات ،
فنزلت بمقربة منها ، ولم تمتدَّ يده إلى شيء يوجد ، فسُرَّ الناس واستبشروا ،
وأمنت البادية ، وتمايل أهل الحاضرة إلى القوي . وأسرع حفيد باديس
في المال ، وَأَلْحَقَ السُّوقَ وَالْحَاكِمَةَ ^(١) ، واستكثر من اللِّفِيفِ ، وَأَلَحَّ
بِالْكُتُبِ عَلَى أَذْفُونَشٍ بِمَا يُطْمِعُهُ . وتحقَّقَ يوسف بن تاشفين استِشْرَافَ
الحضرة إلى مَقْدَمِهِ ، فتحرك . وفي ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب .
اجتمع إلى حفيد باديس صنائعُه ، فخوفوه من عاقبة التريُّصِ ، وحملوه على
الخروج إليه ، فركب وركبت أمه وتركوا القصر على حاله ، ولقى أمير المسلمين
على فرسخين من المدينة ، فترجَّلَ ، وسأله العفو ، فعفا عنه ، ووقف عليه ،
وأمره بالركوب ، فركب ، وأقبل حتى نَزَلَ « بالمشايخ » ^(٢) من خارج
الحضرة . واضطربت المحلات ، وأمر مؤملاً بثقافه في القصر ، فتولَّى ذلك ،
وخرج الجُمُ من أهل المدينة ، فبايعوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .
فَلَقِيَهُمْ ، وَأَنَسَهُمْ ، وَسَكَنَ جَاشَهُمْ ، فاطمأنوا . وسهل مؤمل إليه دخول

(١) الحاكمة أعنى السفلة وأهل الشر ، ومفردها (الهاك) .

(٢) هو ، كما يبدو ، مكان من ضواحي غرناطة الإسلامية ، يصعب اليوم تحديد موقعه .

الأعيان ، فأمر بكتب الصكوك ، ورَفَعَ أنواع القَبالات والخراج ،
 إلّا زكاة العين ، وصَدَقَ الماشية ، وعُشْر الزَّرْع . واستَقْصَى ما كان بالقصر ،
 فظهر على ما يحول الناظر ، ويرُوع الخاطر ، من الأعلاق والذخيرة ،
 والحُلَى ، ونفيس الجَوْهر ، وأحجار الياقوت ، وقَصَب الزُّمرد ، وآنية
 الذهب والفضة ، وأطباق البلّور المُحكّم ، والجرذاذنات ^(١) ، والعراقيّات ،
 والثياب الرّفِيعَة ، والأنماط ، والكِلَل ، والسّتاير ، وأوطية الدّيباج ، مما
 كان في ادّخار باديس واكتسايه . وأقبلت دوابّ الظّهر من المُنكَب بأحمال
 السّبيك والمَسبُوك ، واختلّفت أم عبد الله لاستخراج ما أُودِع بطن
 الأرض ، حتّى لم يبق إلّا الخَرثي والثَّقْل والسَّقْط . وزَّع ذلك الأمير على
 قُواده ، ولم يَسْتَأْثِر منه بشيئ . قال ، ورَغِب إليه مؤمِّل في دخول القصر ،
 فَرَكَب إليه ، وكثّر استحسانه إياه ، وأمر بحِفْظِه . وتفَقَّد أوضاعه
 وأفنيته . ونُقِل عبد الله إلى مَرَاكش ، وسنّه يوم خُلع ، خمس وثلاثون
 سنة وسبعة أشهر ، فاستقرّ بها هو وأخوه تميم ، وحُلَّ اعتقالهما ، ورُفِّعَ عنهما ،
 وأُجْرى المرتب والمُساهمة عليهما . وأخسن عبد الله أداء الطاعة ، مع لين
 الكلمة ، فقُضِيَت مآربُه ، وأُسْعِفَت رَغَباته ، وخَفَّ على الدولة ، واستراح
 واستريح منه ، ورُزِق الولد في الخُمول ، فعاش له ابنان وبنت ، جَمَعَ لهم
 المال . فلما تُوُفِيَ ترك مالا جَمًّا ^(٢) .

(١) هكذا وردت في المخطوط . وربما كانت (الجرجانيات) .

(٢) كان الأمير عبد الله بن بلقين ، حسبنا وصفه لنا النافقي ، أدبياً شاعراً . وقد ترك
 لنا كتاباً عنوانه « التبيان » وهو عبارة عن مذكرات في ترجمة حياته وحوادث عصره ، وهو عصر
 ملوك الطوائف ، ويتناول فيها مقدم بن زيري إلى الأندلس ، وإمارة والد جده حبوس بن ماكسن ،
 ثم إمارة جده باديس بن حبوس ، وحوادث عصره ، وحروبه وسير ، ملوك الطوائف المعاصرين .
 ومقدم المرابطين ، وتدخّلهم في شئون الأندلس ، ثم يتناول حوادث حيات الشخصية ، حتّى انباء
 ملكه واستلامه للأمير الماسين يوسف بن تاشفين . وقد كتب هذا السفر عبد الله بن بلقين أثناء
 حياته في المنى ؛ وأخرجه لنا العلامة الأستاذ لين بروغنسال بعنوان « مذكرات الأمير عبد الله »
 (القاهرة - دار المعارف - ١٩٥٥) .

مولده

ولد عبد الله سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

عبد الله بن علي بن محمد التُّجيمِي ، الرئيس أبو محمد بن إश्قِيلولة^(١)

حاله

كان رئيساً شجاعاً ، بُهْمَةً ، حازماً ، أيِّداً ، جَلِداً . تولى مدينة مالقة ، عقب وفاة الرئيس واليها أبي الوليد بن أبي الحجاج بن نصر ، صِنْو أمير المسلمين ، الغالب بالله ، في أوائل عام خمسة وخمسين وستماية . وكان صهر السلطان على إحدى بناته ، وله منه محلٌ كبير ، ومكان قريب ، وله من مُلكه حظٌ رَغِيب . واستمرت حاله إلى عام أربعة وستين وستماية ، وفَسَد ما بينه وبين وليّ العهد ، الأمير أبي عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله ، إذ وَغَّر له صدره ، ولابنى أخيه الرئيسين أبي محمد وأبي الحسن ابني الرئيس أبي إسحق بن إश्قِيلولة المتأمرين بوادي آش ، فضايقهم وأخافهم ، بما أذاهم إلى الامتناع ، والدُّعاء لأنفسهم ، والاستئْمساك بما بأيديهم ، وعَمَّت المسلمين الفتنة المنسوبة إليهم . فانتزى هذا الرئيس بمدينة مالقة ، وكان أَمْلَكَ لما بيده ، واستعان بالنُّصرى ، وشَمَّر عن ساعد الجِدِّ ، فأباد الكثير من أعيان البلدة ، في باب تَوْسُم التَّهم ، وتَطَرَّق السعايات ، واستولى على أموالهم . واستمرت الحال بين حرب أَجَلت فيها غَلَبَةُ الأمير مخيفه ، ولي العهد ، بجيش النُّصرى ، ونازل مالقة أربعين يوماً ، وشَعَث الكثير بظاھرھا ، وتسمَّى بعَلَم الأمير عند أهل مالقة ،

(١) هذه الترجمة ساقطة في الزيتونة .

وما بين سَلَم ومُهادنة . وفي عام ستين وستاية ، نازله السلطان الغالب بالله صِهْرَه ، وأعيا عليه أمرُ مالقة ، لاَضْطلاع هذا الرئيس بأمره ، وضَبْط مَنْ لِنظره ، واستِمْساكه بعُرْوَة حَزْمه .

وفي بعض الأيام ، ركب السلطان في ثلاثة من مماليكه ، متخفياً^(١) ، كاتماً غرضه ، وقعد بباب المدينة . فلما بَصُر به الرجال القايون به ، هالهم الأمر ، وأذهشتهم الهيبة ، فأفرجوا له ، مُوقرين لجلاله ، آتسين لقلّة أتباعه ، فدخل ، وقصد القَصْبة ، وقد نُذِر به الرئيس أبو محمد ، فبادر إليه راجلاً ، مُتَبَدِّلاً ، مُهْرَولاً^(٢) ، حافياً . ولما دنا منه ، ترائى على رجليه يُقْبَلُهُما ، إظهاراً لحقِّ أُبُونِه ، وتعظيماً لقُدْرِه ، ودخل معه إلى بِنْتِه وحَفْدَتِه ، فترامى الجميع على أطرافه يَلْتِمِسونها ، ويتعلّقون بأذياله وأذرانه ، وهو يبكي إظهاراً للشفقة والمودة ، وتكلّم الجميل . وأقام معهم بياض يومه ، ثم انصرف إلى محلّته ، وأتبعه الرئيس ، فأمره بالاستمساك بقصْبته وملازمة محلِّ إِمْرَتِه ، وما لبث أن شرع في الارتحال عن ألطافٍ ومُهادات ، وتقدير جِرايات ، وإحكام هَدِيَّة ، وتقرير إمارة ، إلى أن توفى السلطان رحمه الله ، فعادت الفتنة جَزَعَةً ، ووالى ولده أمير المسلمين بعده ، الضرب على مالقة ، إلى أن هلك الرئيس أبو محمد ، واستقر بالأُمور ولده المذكور في المحمّدين ، وكان من الأمر ما يَنْظُرُه في مكانه من أراد استيفاءه بحول الله .

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي

يكنى أبا طالب ، الرئيس الفقيه ، الكبير الشهير ، صاحب الأمر

(١) وردت في الإسكوريال (خنفيا) والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (مهزولا) . والتصويب أنسب للسياق .

والرياسة والإمارة بسببته ، نيابة عن أخيه الرئيس الصالح أبي حاتم بحكم الاستقلال في ذلك ، والاستبداد التام ، من غير مطالعة لأخي ولا رجوع إليه في شيء من الأمور ، ولا تشوف من أخيه إلى ذلك ، لخروج البتة عنه ، وإيثاره العزلة . واشتغاله بنفسه .

حاله

قد تقدم من ذكر أوليته ما فيه كفاية . وكان من أهل الجلال والصيانة ، وطهارة النشأة ، حافظاً للحديث ، ملازماً لتلاوة كتاب الله عارفاً بالتاريخ ، عظيم الهبة ، كبير القدر والصيت ، على الهمة ، شديد البأس ، معظماً عند الملوك ، جميل الشارة ، مُمَثِّل الإشارة لديهم ، عجيب السكينة والوقار ، بعيد المرئى ، شديد الانقباض ، مُطاع السلطان بموضعه مَرهُوب الجانب ، من غير إيقاع بأحد ، ولا هتك حرمة ، محافظاً على إقامة الرسوم الحسبية والدينية .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع وغيره .

نكبته

تَغَلَّبَ على بلده أيام إمارته ، وثار أهله إليه في السلاح والمدة ليُحِيطُوا بِمَنْ فِي الْقَصَبَةِ . فخرج إليهم ، وشكر مساعيهم ، وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمُقْتُولَ ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَاتِلَ . فانصرفوا . ودخل منزله ، مُلقياً بيده ، ومُسَلِّماً لتضاء الله [سبحانه] (١) في كبره ، إلى أن قُبِضَ عليه ، وعلى ساير بنيهِ وقومه ، عند ارتفاع (٢) النيران

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) وردت في الإسكوريال (امتاع) والصويب من الزيتونة .

وانتشار المُتَغَلِّبِينَ عَلَى الْقُصْبَةِ ، فَنَقَفُوا مَتَحَرِّجِينَ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَصُفِرُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فِي ضُحَى يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ ذِي قَعْدَةِ عَامِ خَمْسَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ ، بَعْدَ انْقِضَاءِ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ تَمَلُّكِ بِلَدِهِمْ . فَاسْتَقَرَّ بِغَرْنَاطَةِ ، تَحْتَ سِتْرِ وَاحْتِرَامٍ ، وَجِرَايَةٍ فِيهَا كَفَافٌ . ثُمَّ لَمَّا خَرَجَتْ سَبْتَةُ عَنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، انْصَرَفَ الْقَوْمُ إِلَى فَاسٍ ، فَتُوفِيَ بِهَا .

وفاته : فِي شَعْبَانَ الْمَكْرَمِ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ عَشَرَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي

مِنْ أَهْلِ لَوْشَةٍ ، وَهُوَ مَخْسُوبٌ مِنَ الْغَرْنَاطِيِّينَ . قَالَ الْأُسْتَاذُ ، مِنْ أَعْيَانِهَا ذَوِي الشَّرَفِ وَالْجَلَالَةِ ، قُلْتُ يُنْسَبُ إِلَيْهِ بِهَا مَعَاهِدٌ تَدُلُّ عَلَى قِدَمِ وَأَصَالَةٍ .

حاله

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَلْأَحِيُّ ، كَانَ أَدِيبًا بَارِعَ الْأَدَبِ ، كَاتِبًا ، بَلِيغًا ، شَاعِرًا مَطْبُوعًا ، لَسِنًا مُفَوِّهًا ، عَارِفًا بِالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَاللُّغَاتِ . وَقَدْ مَالَ فِي عُنْفَوَانِ شَبِيبَتِهِ إِلَى الْجُنْدِيَّةِ لِشَهَامَتِهِ ، وَعِزَّةِ نَفْسِهِ ، فَكَانَ فِي عَسْكَرِ الْمَأْمُونِ ابْنِ عَبَّادٍ ، وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ ، وَكَانَ مِنْ أَظْرَفِ النَّاسِ ، وَأَمْلَحِهِمْ شِيبَةً ، وَأَحْسَنَهُمْ شَارَةً ، وَأَتَمَّهُمْ مَعْرِفَةً .

مشيخته

أَخَذَ عَنْ أَشْيَاحِ بِلَدِهِ غَرْنَاطَةِ ، وَأَخَذَ بِمَالِقَةٍ عَنْ غَانِمِ الْأَدِيبِ .

وبقرطبة عن ابن سراج

شعره

وله في إنشاده لدى المأمون مجال رَحْبٌ ، فمن ذلك قوله :

يا هاجرِين أَضِلَّ اللهُ سَمْعِيكُمْ كم تهجرون محبِّيكم بلا سبب
ويا مُسِيرِينَ لِلْإِخْصَانِ غَائِلَةً ومُظْهِرِينَ وَجْوهَ الْبَرِّ وَالرَّحْبِ
ما كان ضَرَّكُمْ الْإِخْلَاصَ لَوْ طَبِعَتْ تلك النفوس على عِلْيَاءِ أَوْ أَدَبِ
أَشْبَهُتُمُ الدَّهْرَ لَمَّا كَانَ وَالِدُكُمْ فَأَنْتُمْ شَرُّ أَبْنَاءَ لَشَرِّ آبِ

عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي الساماني

والد المؤلف ، رضى الله عنه ، يُكنى أبا محمد ، غرناطي الولادة
والاستيطان ، لَوْثَى الْأَصْل ، ثم طَلَيْطِلِيه ، ثم قُرْطَبِيه .

أوليته

كان سَلَفُهُ يعرفون بقرطبة ، ببنى وزير ، وهم بها أهلُ نباهة ، وبيتهم
بيت فقهٍ وخَيْرِيَّةٍ ومالِيَّةٍ ، ونِجارهم نِجارُ فرسان يَمَانِيَّةٍ . ولما حَدَّثَ على
الحَكَم بن هشام الوَقِيعَةَ الرَّبْضِيَّةَ ، وكان له الفَلَجُ ، وبأهل الرَّبْضِ الدَّبْرَةَ ،
كانَ أَعْلَامُ هذا البيت من العِجَالِيَّةِ أمامَ الحِكم ، حسبما امتُحِنَ به الكثير
من أَعْلَامِ المَشِيخَةِ بها ، كالفقيه طالوت ، ويحيى بن يحيى ، وغيرهم ،
ولِحِقُوا بِطَلَيْطُلَةَ ، فاستقرُّوا بها ، ونَبَا بهم وطنُهم ، ثم حَرَّمُوا على سُكْنَى
المَوْسُطَةِ ، وآبَ إلى قرطبة قَبْلَهُمْ بعدَ عَهْدٍ مُتَقَادِمٍ ، ومنهم خَلَفَ
وعبد الرحمن ، وقد مرَّ له ذِكْرٌ في هذا الكتاب . ووُلِّيَ القِضَاءَ بالكُورَةِ .
ومنهم قوم من قَرَابَتِهِمْ تَمَلَّكُوا مُنْتَفِرِدًا^(١) ، الحصن المعروف الآن بالمنعة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة .

والخضب ، وتمدّن فيهم ، وبُنيت به القلعة السّامية ، ونُسب إليه ذلك المجد ، فهم يُعرفون ببلدنا ببني المُنتفريدين . واستقرّ منهم جدُّنا الأعلى بلَوْشَة خطيباً وقاضياً بالصُّقع ومُشاوراً^(١) وهو المُضاف إلى اسمه التَّسويد بلَوْشَة عُرْفاً كأنه اسمٌ مُركَّب ، فلا يقول أحدٌ منهم في القديم إلا سيّد سعيّد . كذا تعرّفنا من المشيخة ، وإليه النّسبة اليوم ، وبه يُعرف خلفه ببني الخطيب ، وكان صالحاً فاضلاً ، من أهل العلم والعمل . حدثني الشيخ المُسنُّ أبو الحكم المنتفريدي ، وقد وقّفتُ على جدار بُرجٍ ببعض أُملاكنا بها ، على الطّريق الآتية من غرناطة إلى لَوْشَة ، ثم إلى غيرها ، كإشبيلية وسواها ، فقال كان جدُّك يسكن هذا البرج كذا من فصول العام ، ويتلو القرآن ليلاً ، فلا يمالك المارّون على الطّريق ، أن يقربوا إصغافاً لحُسن تلاوته وخُشوعاً . وكان ولده عبد الله بعده ، على وتيرة حسنة من الخير والنّباهة وطيب الطّعمة ، ثم جدّه الأقرب سعيّد على سُننه ، مُربٍّ عليه بمزيد المعرفة ، وحُسن الخطّ . ولما وقع بلَوْشَة ببلده ، ما هو معروف من ثورة أصهارهم من بني الطَّنْجالي ، وكان بينهم ما يكون بين الفحول في الهجَمات من التّشاجر ، فرّ عنهم خيفةً على نفسه ، وعلى ذلك فناله^(٢) اعتقال طويل ، عدا به عليه عن تلك الثورة . ثم بان عُذره ، وبُرت ساحتُه ، واستظّهر به السلطان ، وأقام بغرناطة ، مُكرّماً ، مُؤثراً ، مُؤتمناً ، وصاهر في أشرف بيوتاتها ، فكانت عنده بنتُ الوزير أبي العليّ أضحى بن أضحى الهمداني ، وتوفيت تحته ، فأنجز له بسببها الحظّ في الحَمّام الأعظم المنسوب إلى جدّها اليوم . ثم تزوج بنت القايّد أبي جعفر أحمد بن محمد الجعْدالة السّلمى ، أم

(١) كانت « الشورى » من الخطط الفرعية الملحقة بالقضاء في المصور الأخيرة بالأندلس ، ويطلق على من يتقلدها « المشاور » ، واختصاصها يدور حول الإفتاء وإبداء الرأى في المسائل الشرعية . (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ناله) .

الأب المترجم به ، ولما إلى السلطان ثانی ملوك بنی نصر وعظيمهم (١) ،
ماتت ببُنىوة الخُزولة من جهة القواد الأَصلاء القرطبيين بنی دحون ، فوَضَحَ
القصد ، وتأكدت الحُظوة . وقد وقَّعت الإشارة إلى ذلك كله في محلّه .
ثم رَسخت لولده أبي ، القِدَمُ في الخِدْمَة والعناية ، حسبما يتقرر في موضعه .

حاله

كان رحمه الله فذاً في حُسن الشكل والأُبْهة ، وطلاقة اللسان ، ونصاعة
الظرف ، وحضور الجواب ، وطيب المجالسة ، وثُقُوب الفهم ، مُشاراً إليه
في الحلاوة وعُدوية الفكاهة ، واسترسال الانبساط ، مُغنياً في ميدان الدعابة ،
جزلاً ، مهبياً ، صارماً ، مُتَجَنِّداً ، رايق الخُصْل رَكْضاً وثقافةً ، وعَدَواً
وسباحةً وشطرنجاً ، حافظاً للمثل واللغة ، إخبارياً ، مضطجعاً بالتاريخ ،
ناظماً ناثراً ، جميل البزّة ، فارهِ المركّب ، مليح الشّيبَة . نشأ بغرناطة
تحت تَرْفٍ وِنِعمَة ، من جهة أمّه وأبيه ، وقرأ على أبي إسحق بن زُرْقال ،
وأبي الحسن البُلْطُوى ، ثم على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزُّبَيْر ، ظاهرةً
عليه مُخيّلة النّجابه والإدراك . ثم أَقْصَرَ لعدم الحامل على الدُّوْب ،
وانتقل إلى بَلَد سَلَفِهِ ، متحيفاً الكثير من الأصول في باب البَذَل وقِرَى
الضُّيُوف ، ومُداومة الصّيد ، وإيثار الراحة ، مُعْتَمِداً بالتَّجِلَّة ، مَقْصُود
الحِلَّة ، مخطوب المُداخلة ، من أبناء أَشْراف الدولة ، مُنتَجِعاً لأولى الكُدِيَة .
ولما قام بالأمر السلطان ، أمير المسلمين أبو الوليد ، وأمّه بنت السلطان
ثاني الملوك من بنى نصر ، جَزَمَ ما تقدّم من المات والوسيلة ، اسْتَنْهَضَهُ

(١) ثاني ملوك بنى نصر ، هو السلطان محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالفقيه
للمه وتقواه . حكم مملكة غرناطة عقب وفاة أبيه في سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ م) حتى وفاته في سنة
٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) .

للإعانة على أمره ، وجعل طريقه على بلده ، فَحَطَبَ^(١) في حَبْلِهِ ، وتمسك بدعوته ، واعتمده بنزله وضيافته ، وكان أعظم الأسباب في حصول الأمر بيده ، ودخوله في حكمه ، وانتقل إلى حضرة الملك بانتقاله ، فنال ما شاء من اصطناعه ، وحظوته ، وجرى له هذا الرسم في أيام من خلفه من ولده إلى يوم الوقعة الكبرى بطريف تاريخ فقده .

وجرى ذكره في كتاب « الإكليل » بما نصه : إن طال الكلام ، وجمحت الأقلام ، كنت كما قيل ، مَادِحُ نفسه يُقَرُّك السلام ، وإن أَحْبَمْتُ ، فما أَسَدَيْتُ في الثناء ولا أَلَحَمْتُ ، وَأَضَعْتُ الحقوق ، وَخِفْتُ ومعاذ الله العُتُوق . هذا ، ولو أَنِّي زَجَرْتُ طَيْرَ الْبَيَانِ من أَوْكَارِهِ ، وَجِيتَهُ^(٢) بعيون^(٣) الإحسان وأبكاره ، لما قضيت حقه بعد ، ولا قلت إلا التي علمت سعد . فقد كان رحمه الله ذَمَرٌ عَزَمَ ، وَرَجُلٌ رَخَاءٌ وَأَزَمَ ، تَرُوقُ أنوار خِلَالِهِ الباهرة ، وَتُضِيءُ مجالس الملوك من صُورَتَيْهِ الباطنة والظاهرة ، ذكاء يتوقّد ، وَطَلَاقُهُ يحسد نورها الفرقد ، فَقَدَتْهُ بكائنة طريف^(٤) ، جَبَرَ الله عِثَارَهَا ، وَعَجَّلَ ثَارَهَا .

حدّث خطيب المسجد الأعظم ، وهو ما هو ، من وفور العقل ، وصحة النقل ، قال ، مرت بآبيك بعد ما تمت الكسرة ، وخُذلت تلك الأسرة ، وقد كبا بأخيك الطّرف ، وعُرض عليه الجِمام للصّرف ، والشيخ رحمه الله

(١) وردت في الإسكوريال والزيثونة (فخطب) والتعويب أنسب للشيء والسياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (وجهته) والتعويب من الرتبة .

(٣) وردت في الإسكوريال (بعون) ونعتقد أن التعويب أرجح .

(٤) هي المعركة التي نشبت في سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) بين القشاليين وجيش المسلمين المتحد من المغاربة والأندلسيين . على ضفاف نهر سالادو ، على مقربة من نهر طريف وهزم فيها المسلمون هزيمة فادحة . وقد سبق التعريف بها تفصيلا .

لم تَزِلْ قدمه ، ولا راعه الموقف وعِظْمُه . ولما آيس من الخلاص وطلَّبه ،
صَرَفْتِي وقال أنا أولى به ، فقضى سعيداً شهيداً ، لم يَسْتَنْفِرْهُ الهول ، ولم يُثْنِه
ولا رضى عار الفرار عن ابنه .

شعره

قال فى « الإكليل » ، وكان له فى الأدب فريضة ، وفى النادرة العذبة
منادح^(١) عريضة . تكلمت يوماً بين يديه ، فى مسائل من الطب ، وأنشدته
أبياتاً من شعرى ، وقرأتُ عليه رُقعاً من إنشائي ، فسرَّ وتهلَّل ، وعبرَ
عما أمل ، وما برح أن ارتجل قوله رحمة الله عليه :

الطبُّ والشعر والكتابة سِمَاتُنَا فى بنى النجابة
هَنَ ثلاثٌ مُبْلَغَاتٌ مراتباً بعضها الحجابة
ووقَّع لى يوماً بخطه على ظهر أبيات ، بعثتها إليه ، أعرض عليه نمطها :
ورَدَتْ كما وَرَدَ النسيم بسحره عن رَوْضَةِ جاد الغمام رُبَاهَا
فكأنما هاروت أودَّع سِحرَه فيها وآثرها به وحَبَاهَا
مصقولة الألفاظ يبهر حسنُها بمثلها افتخر البليغ وبَاهِي
فقررت عيناً عند رؤية حسنُها إلى أبوك وكنت أنت أبَاهَا
ومن شعره قوله :

وقالوا قد نأوا فاصبِرْ ستُشْفَى فترياق الهوى بُعد الدِّيار
فتملت هبوا بأنَّ الحق هذا فقلبي^(٢) يمدوا فيم اصْطَبَار
ومن قوله مما يعجى مجرى الحكم والأمثال :

عليك بالصمت فكم ناطق كلامُه أدَّى إلى كَلَمِه
إن لسان المرء أهملنى إلى غرَّتْهُ والله من خصمِه

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (منادج) . وفى النفع (منادم) .
والأولى أرجح . (٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة والنفع (بقلبي) .

يُرى صغير الجِرم مُستضعفاً وجُرمه أكبر من جِرمه
وقال وهو من المستحسن في التَّجنيس :
أنا بالدهر يا بنيَّ خبير فإذا شئت عِلْمه فتعالِ
كم مَلِكٍ قد ارتغى منه روضا لم يدافع عنه الرحمن ما ارتغى لا
كل شئٍ تراه يَفنى ويَبْقَى ربُّنا الله ذو الجلال تعالِ
أنشدني هاتين المقطوعتين .

مولده

ولد بحضرة غرناطة في جمادى الأولى من عام اثنين وسبعين وستاية .

وفاته

بعد يوم الواقعة الكبرى على المسلمين بظاهر طريف يوم الاثنين السابع
لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعماية .

من رثاه

قلت في رثايه من قصيدة أولها :
سهام المنايا لا تطيش ولا تُخطى وللدهر كف تستردُّ الذي تعطى (١)
وإنَّا وإن كنا على ثَبَجِ الدُّنْيا فلا بدَّ يوماً أن نحلَّ على الشَّطِّ
وسِيَّان ذلُّ الفقر أو عِزَّةُ الغنى ومن أسرع السَّير الحثيث ومن يُبْطِ
تساوى على ورْدِ الرَّدَى كلُّ وارد فلم يُغن ربُّ السَّيف عن ربَّة القِرط
وقال شيخنا أبو زكريا بن هُذيل من قصيدة يرثيه بها :
إذا أنا لم أرث الصديق فما عُذرى إذا قلتُ أبياتاً حساناً من الشعر

(١) هكذا وردت هذه الشطر في الإيسكوريال والنسخ . وفي التزيتونة كالأق (والدهر
كف يسترد الذي يعطى) .

ولو كان شعري لم يكن غير نذبة وأجريت دمي لليراع عن الجبر
لما كنت أقضي حقَّ صُحبته التي توخَّيْتُها عوناً على نوب الدهر
رمانى عبد الله يوم وداعه بداهية دَهْياء قاصِمة الظهر
قطعتُ رجائي حين صبح حديثه فإن لم يوفِ دمي فقد خانني صبري^(١)
وهل مؤنس كابن الخطيب لو حشني أبثُّ له همِّي وأودعُه سرِّي

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جُزى

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ، وقد مرَّ ذكر أبيه شيخنا وأخويه ،
وتقرَّرت نباهة بيتهم .

حاله

هذا الفاضل قريع بيت نبيه ، وسلفٍ شهير ، وأبوةٌ خيرة ، وأخوةٌ
بليغة ، وخزولة تميَّزت من السلطان بحُظوة . أديب حافظ ، قام على فنِّ
العربية ، مشارك في فنونٍ لِسَانِيَّةٍ سواه ، طِرفٌ في الإدراك ، جيد النظم ،
مِطْوَاع القريحة ، باطنه نُبل ، وظاهره غَفْلة . قعد للإقراء ببلده غرناطة ،
مُعِيداً ومُسْتَقِلاً ، ثم تقدَّم للقضاء بجهاتٍ نبهية ، على زمن الحداثة ، وهو
لهذا المهْد مَخْطُوب رُتْبة ، وجارٍ إلى غاية ، وعينٌ من أعيان البلدة .

مُشْيِخْتُهُ

أخذ عن والده الأستاذ الشهير أبي القاسم حديث الرِّحمة بشرطه .
وسمع عليه على صغر السن ، أبعاضاً من كتب عدة في فنون مختلفة .
كـبعض صحيح مسلم . وبعض صحيح البخارى . وبعض الجامع للترمذى .

(١) هكذا وردت في الزيتونة والنفع . وفي الإسكوريال (صبر) .

وبعض السنن للنسائي ، وبعض سنن أبي داود ، وبعض مؤطاً مالك بن أنس
وبعض الشفاء ليعياض ، وبعض الشمايل للترمذي . وبعض الأعلام للزميري ،
وبعض المشرع السلس في الحديث المسلسل لابن أبي الأخص ، وبعض
كتاب التيسير لأبي عمرو الداني ، وبعض كتاب التبصرة للمكي ، وبعض
الكافي لابن شريح ، وبعض الهداية للمهدي ، وبعض التلخيص للطبري ،
وبعض كتاب الدلالة في إثبات النبوة والرسالة لأبي عامر بن ربيع ، وبعض
كتاب حلبة الأسانيد وبغية التلاميذ لابن الكماد ، وبعض كتاب وسيلة
المسلم في تهذيب صحيح مسلم من تواليف والده ، وبعض القوانين
الفقهية ، وبعض كتاب الدعوات والأذكار . وبعض كتاب النور المبين
في قواعد عقائد الدين من تأليفه ، وبعض تقريب الوصول إلى علم
الأصول ، وبعض كتاب الصلاة ، وبعض كتاب الأنوار السنية في الكلمات
السنية ، وبعض كتاب برنامج . كل ذلك من تاليف والده ، رحمه الله .
وأجاز له رواية الكتب المذكورة عنه ، مع رواية جميع مروياته وتواليفه
وتقييداته ، إجازة عامة . ولقنه في صغره ، جملة من الأحاديث النبوية
والمسائل الفقهية ، والمقطوعات الشعرية .

ومنهم قاضي الجماعة أبو البركات بن الحاج ، حدثه بالمرية حديث
الرحمة بشرطه ، وسمع عليه بها وبغرناطة عدة من أبعاض كتب ، وأجازته
عامة ، وأنشده من شعره ، وشعر غيره . ومنهم قاضي الجماعة الشريف أبو القاسم
لازمه مدة القراءة عليه . واستفاد منه . وتفقه عليه بقراءة غيره في كثير
من النصف الثاني من كتاب سيبويه ، وفي كثير من النصف الثاني من
كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ، وفي كثير من كتاب التسهيل لابن مالك ،
وفي القصيدة الخزرجية في العروض ، وسمع من لفظه الربع الواحد أو

نحوه من تأليفه شرح مَقْصُورَة حازم ، وتفقه عليه فيه ، وأنشده كثيراً من شعره وشعر غيره . ومنهم الأستاذ أبو عبد الله البيّاني . لازمه مدة القراءة عليه ، وتفقه عليه بقراءته في كتاب التَّسْهِيل البديع في اختصار التَّفْرِيع إلّا يسيراً منه ، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب فقهية وغيرها ، ككتاب التهذيب ، وكتاب الجواهر الثمينة ، وكتاب التفریع ، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد ، وكتاب الأحكام لابن العربي ، وكتاب شرح العُمدَة لابن دَقِيق العيد ، وغير ذلك مما يطول ذكره . ومنهم الأستاذ الأعرف الشهير أبو سعيد بن لب ، تفقه عليه بقراءته في جميع النصف الثاني من كتاب الإيضاح للفارسي ، وفي كثير من النصف الأول من كتاب سيبويه ، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب عدة ، في فنون مختلفة ، كالمُدَوَّنَة والجواهر ، وكتاب ابن الحاجب ، وكتاب التَّلْقِين ، وكتاب الجُمْل ، وكتاب التَّسْهِيل والتنقيح ، والشَّاطِئِيَّة ، وكتاب العُمدَة في الحديث وغير ذلك . ومنهم الشيخ المقرئ المحدث أبو عبد الله محمد بن بيبش ، سمع عليه بقراءة أخيه الكاتب أبي عبد الله محمد ، جميع كتاب الموطأ ، وكتاب الشَّفا إلّا يسيراً منه ، وأجازه روايتهما عنه ، ورواية جميع مَرْوِيَّاتِه ، إجازة عامة ، وأنشده جملة من شعره وشعر غيره . ومن أجازه عامة ، رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيّاب ، وقاضى الجماعة أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري . والخطيب أبو علي القرشي ، والأستاذ أبو محمد بن سَلْمُون ، والحاج الراوية أبو جعفر ابن جابر ، والشيخ القاضى أبو جعفر أحمد بن عَتِيق الشَّاطِطِي الأزدى ، والقاضى الكاتب البارع أبو بكر بن شَبْرِين ، والقاضى الخطيب الأستاذ الراوية أبو بكر بن الشيخ الخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات ،

والقاضي الخطيب أبو محمد بن محمد بن الصّايغ . ومن كتب له بالإجازة من المشايخ ، شيخ المشايخ أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن حيّان ، وقاضي الجماعة بفاس محمد بن محمد بن أحمد المقرئ ، ورئيس الكتاب أبو محمد الحَضْرَمي ، وجماعة سوى من ذكر من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره نبيل الأغراض ، حسن المقاصد . فمن ذلك قوله :

سَنَى ^(١) اللَّيْلَةَ الْغَرَا وَأَفْتَكِ بِالْبُشْرَى	وَأَبْدَى مِنْهَا وَجْهَ الْقَبُولِ لَكَ الْبِشْرَا
تَهَلَّلْ وَجْهَ الْكَوْنِ مِنْ طَرْبِهَا	وَأَشْرَقْتَ لِلدُّنَا بِغُرَّتِهَا الْغَسْرَا
لَهَا الْمِنَّةُ الْعَظْمَى بِمِلَادِ أَحْمَدَ	لَهَا الرُّتْبَةُ الْعُلْيَا لَهَا الْعِزَّةُ الْكُبْرَا
طَوَى سِرَّهُ فِي صَدْرِهِ الدَّهْرَ مُدَّةً	فَوَافَى رَبِيعاً نَاشِراً ذَلِكَ السُّرْرَا
حَوَى شَهْرَةَ الْفَضْلِ الشَّهِيرِ وَفَضْلَهُ	فَأَحْسَنَ بِهِ فَضْلاً وَأَعْظَمَ بِهِ شَهْرَا
لَقَدْ كَانَ لَيْلُ الْكُفْرِ فِي اللَّيْلِ قَدْ جَفَا	فَاطْلَعَ مِنْهُ فِي سِمَةِ الْهَدَى فَجَسْرَا
وَفِي لَيْلَةِ الْمِلَادِ لَاحَتْ شَوَاهِدُ قَضَتْ	أَنَّ دِينَ الْكُفْرِ قَدْ أَبْطَلَ الْكُفْسْرَا
لَقَدْ أَخْمَدَتْ أَنْوَارُهَا نَارُ فَارَسَ	وَأَرْجَفَ كَمَا ارْتَجَّ إِيْوَانُهُ كِسْرَى
لَهُ مَعْجَزَاتٌ يُعْجِزُ الْقَلْبَ كُنْهَهَا	وَيُحْصِرُ إِنْ رَامَ اللِّسَانُ لَهَا حَصْرَا
مَعَالٍ يَكُلُّ الشَّعْرُ عَنْ نَيْلِ وَصْفِهَا	وَتَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِ مَصْعَدِهَا ^(٢) الشُّعْرَا
بِهِ بَشَّرَ الرُّسُلُ الْكِرَامَ وَلَمْ تَزَلْ	شَمَائِلُهُ تُتْلَى وَآيَاتُهُ تَتَسْرَا
فَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى مَنَاقِبُهُ الْعُلَى	وَفِي الذِّكْرِ آيَاتُ رَخْصٍ لَهُ قَدْرَا
لَقَدْ خَصَّهُ مَوْلَاهُ بِالْقُرْبِ وَالرَّضَى	وَحَسْبُكَ مَا قَدْ نَصَّ فِي النَّجْمِ وَالْإِسْرَا
وَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدَ غُرُوبِهَا	وَشَقَّ عَلَى رَغَمِ الْعُسْدَةِ لَهُ الْبَدْرَا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (هـ) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة .

وكان له في ما به وطعامه
 غدا الماء من بين الأصابع نابعا
 وكم نايل أولى وكم سائل حبا
 كفى شاهدا أن رد عين قتادة
 وحن إليه الجذع عند فراقه
 وحق له إذ بان عنه حبيبسه
 خليل الدنيا تجدد للفقر ضروبا
 بعيشكما هل لي إلى أرض طيبة
 منّا للنفس من تلك المعاهد زورة
 وتعفير خدي في عروق ثراها
 تعللني نفسي بإدراكها المنا
 ومن كانت الآمال أقصى اجتهاده
 وكم زجرتها واعظيات زمانها
 وكنت لها عصير الشبيبة عاذرا
 وأما وقد ولت ثلاثون حجة
 إذا أنت لم تترك سوى النفس طايعا
 ولم أدخر إلا شفاعة أحمد
 لقد عاقت كف الرجاء بحمله
 هو المرتضى الداعي إلى منهج الرضا
 هو الحاسر الماحي الضلالة بالهدى
 بأي كلام يبلغ المرء وصف من

لطايف ربانية تبهر الفكر
 وعاد قليل الزاد من يمينه كثيرا
 وكم مشتك أشفى وكم مذبذبا
 فكان لها الفضل المبين على الأخر
 ولا حنت الخنساء إذ فارقت صخرا
 ومن [ذاق طعم] ^(١) الوصل لم يحمل الهجرا
 من الأشواق لو تنفع الذكر
 سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا
 أثبت بها شكوى وأشكوها وزرا
 ليتمحو لي ذنبا ويثبت لي أجرا
 وما أجهدت عيشا ولا ملكت قفرا
 غدت كفه مما تأمله صنفرا
 فما سمعت وعظا ولا قبلت زجرا
 سقاه الحيا ما كان أقصره عصرا
 فلست أرى للنفس من بعدها عذرا
 فلا بد بعد الشيب من تركه قسرا
 لتخفيف وزر شد ما أوثق الظهر
 لعل كسير القلب يقليه بررا
 هو المصطفى الهادي الميسر لليسر
 هو الشافع الواق إذا شهر الحشر
 مكاره تستغرق النظم والنثر

(١) وردت في الإسكوريال (ذا - وبهذا يياض) . والتصويب من الزيتونة .

خِلَالُ إِذَا الْأَفْكَارُ جَاسَتْ خِلَالَهَا
لَقَدْ غَضَّ طَرْفَ النَّجْمِ بَاهِرُهَا سَنَى
سَقَى لَيْلَةَ حَيَّتْ بِهِ وَاكْفَ الْحَيَا
لَقَدْ خَصَّهَا سِنْدُ الْإِلَهِ بِرَحْمَةٍ
أَقَمْتَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ حَقُوقَهَا
لَقَدْ سِرَتْ فِيهَا إِذْ أَتَيْتُكَ بِسِرِّهِ
عَرَفْتَ بِهَا حَقَّ الَّذِي عَرَفْتَ بِهِ
وَأَصْحَبَتْهَا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ وَالتَّقَا
لَدَى مَصْنَعٍ مَلَأَ الْعَيُونَ مُحَاسِنًا

تَكَرَّرَ عَلَى الْأَعْقَابِ خَاسِئَةٌ خَسِرَا
وَأَرْغَمَ أَنْفَ الرُّوضِ عَاطِرُهَا نَشْرَا
فَنَعْمَاؤُهَا مَا إِنْ يَحِيطُ بِهَا شُكْرَا
فَعَمَّتْ بِهَا الدُّنْيَا وَسَكَانُهَا طُورَا
بِأَفْعَالٍ بَرٍّ أَصْحَكَتْ لِلْهُدَى ثَغْرَا
أَقَرَّتْ لَهَا عَيْنَا وَسُرَّتْ لَهَا صَدْرَا
فَأَحْسَنْتَهَا شُكْرَا وَأَوْلَيْتَهَا بَرًّا
وَأَعَقَبَهَا الْإِحْسَانَ وَالنَّائِلَ الْغَمْرَا
تَجَسَّمُ فِيهِ السُّحْرُ حَتَّى بَدَا قَصْرَا

منها بعد أبيات في المدح للسلطان :

رَوَى عَنْ أَبِي الْحَجَّاجِ غُرَّ شَمَائِلِ
وَمَنْ كَبَّنِي نَصَرَ جَلَالَةَ مَنْصَبِ
هَمْ مَا هَمْ إِنْ تَلَقَّاهُمْ فِي مَهْمَةٍ
سَلَالَةَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَسَلْ

أَعَادَ لَنَا دَهْمَ اللَّيَالِي بِهَا غُرًّا
بِهِمْ نَصَرَ الرَّحْمَنُ دِينَ الْهُدَى نَصْرَا
لَقِيتُ الْجَنَابَ السَّهْلَ وَالْمُعْقِلَ الْوَعْرَا
أَحَدًا يُنْشِيكَ عَنْهُمْ وَسَلًّا بَدْرَا

ومن شعره في المقطوعات . قال في التورية العروضية :

لَقَدْ قَطَعْتَ قَلْبِي يَا خَلِيلِي
وَلَكِنْ مَا عَجِيبٌ مِنْكَ هَذَا لِأَنَّهُ

بِهَجْرٍ طَالَ مِنْكَ عَلَى الْعَلِيلِ
التَّقْطِيعُ مِنْ شَأْنِ الْخَلِيلِ

وقال في التورية النحوية :

لَقَدْ كُنْتُ مُوصُولًا فَأُبْدِلُ وَضَلَكُمْ
فَمَا بِالْكُمْ غَيْرُتُمْ حَالَ عَبْدِكُمْ

بِهَجْرٍ وَمَا مِثْلِي عَلَى الْهَجْرِ يَحْصِرُ
وَعَهْدِي بِالْمَحْبُوبِ لَيْسَ يُغَيِّرُ

وقال في التورية مداعباً بعض المقرئين للعدد وهو بديع :

يَا نَاصِبًا عِلْمَ الْحِسَابِ جِيَالَهُ
إِنْ كُنْتَ تَرْجُو بِالْحِسَابِ وَصَالَهُ

لِقَنَاصِ ظَنِّي سَاحِرَ الْأَلْبَابِ
فَالْبَدْرِ يَرْزُقُنَا بِغَيْرِ حِسَابِ

وقال في التوراة العروضية :

لقد كُمل السُّودُ بيننا ودمنا على فَرَحٍ شامل
فإن دخل القَطْعُ في وَصلنا فقد يدخل القَطْعُ في الكامل
وقال في تضمين مَثَل :

ألا اكْتُمُ حَبٌّ من أَحَبِّتَ واصبر فإنَّ الهجر يُحدثه الكلام
وإنَّ أبداه دمعٌ أو نحولٌ فمن بَعْدَ اجتهداى لا تُلام
وقال :

وأشْنَبُ الثُّغْرُ له وَجَنَةٌ تعدَّت النُّحل على وَرْدِها
ما ذاك إِلَّا حَسْدٌ إذ رَأَتْ رُضابَه أَعْدَبَ من شَهِدِها
وقال في التوراة بأسماء كُتِبَ فقهية جوابا غير مُعَمَّى :

لك الله من خلٍّ حَبَانِي بِرُقْعَةٍ حبتنى من أبياتها بالنوادر
رسالة رُمز في الجمال نهاية وخيرة نظم أتحفت بالجواهر
وقال في التوراة أيضاً :

إلى الله أَشْكُو عُذْرًا تَرَدَّدَا إلى فلما لاح سِرِّي لهم حالوا^(١)
لقد خدعوني إذ أُرُونِي مَوَدَّةً ولكنه لا غَرُو أن يُخدع الآل
وقال يخاطب رجلا من أصحابه :

أيا حَسَنُ إن شئت الدهر شَمَلنا فليس لودُّ في الفؤاد شَتَات
وإن حُلَّتْ عن عهد الإخاء فلم يزل لِقَلْبِي على حفظ الشُّهُود ثَبَات
وهبني سَرَّتْ مني إِلَيْكَ إِسَاءَةٌ ألم تتقدَّم قبلها حَسَنَات
وقال في النسب :

إن كان باب القُرب قد سُدَّ بيننا ولم يبق لي في نَيْلِ وَصْلِكَ مطمع

(١) وردت هذه الشطرة في الإسكورييل؛ كالآد (والى فلما لاح سرى لهم حالوا) .
ووردت في الزيتونة كالآتي (الى فلما لاح سرام خال) .

وَأَخْفَرْتَ عَهْدِي دُونَ ذَنْبِ جَنَيْتُهُ وَأَصْبَحَ وَدِّي فِيكَ وَهوَ مُضَيِّعٌ
وَلَمْ تَرِثْ لِي عَمَّا أَلَاقَى مِنَ الْأَسَى وَصِرْتُ أَنَادِي مِنْكَ مَنْ لَيْسَ يَسْمَعُ
وَضَاقَتْ بِي الْأَحْوَالُ عَنْ كُلِّ وَجْهَةٍ فَمَا أَرْتَجِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَوْ سَعُ
وَمَا نَظَمَهُ فِي التَّضْمِينِ مَخَاطِبًا بَعْضَ الْمُنتَحِلِينَ لِلشَّعْرِ قَوْلُهُ :

لَقَدْ صِرْتُ فِي غَضَبِ الْقَصَايِدِ مَاهِرًا فَمَا اسْمُ جَمِيعِ [الشعر] ^(١) عِنْدَكَ غِزْلٍ
وَلَمْ تُبْقِ شَعْرًا لَامَرِيٍّ مُتَقَلِّدٍ وَلَمْ تَبْقِ شَعْرًا يَا بَنِ بَشْتٍ ^(٢) لِأَوَّلِ
فَشِعْرُ جَرِيرٍ قَدْ غَضِبْتَ وَرَوِيَّسَهُ وَشَعْرُ ابْنِ مَرْجٍ الْكُحْلِ وَابْنِ الْمَرْحَلِ
وَلِنْ دَامَ هَذَا الْأَمْرُ أَصْبَحْتَ تَدْعِي قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

ومن المقرئين والعلماء

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكوَّاب

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد الخطيب ، المقرئ

حاله

من « الصُّلَّة » : كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَتَقَنَّ أَهْلَ زَمَانِهِ فِي تَجْوِيدِ كِتَابِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ ، وَأَبْرَعَهُمْ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْفَعَهُمْ لِلْمَتَعَلِّمِ ، نَفَعَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ مَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ ،
وَتَرَكَ بَعْدَهُ جُمْلَةً يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ ، وَيُعْمَلُ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ . وَكَانَ مَعَ
ذَلِكَ نَبِيَهُ الْأَغْرَاضِ ، فِي جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي عِلْمِهِ [ذَاكِرًا لِلِاخْتِيَارَاتِ
الَّتِي تَنْسَبُ لِلْمَقْرئين] ^(٣) ، مِنْ يُرْجَّحُ وَيُعْلَلُ ، وَيَخْتَارُ وَيُرَدُّ ، مُوَفَّقًا فِي

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) كذا في الإسكوريال والزيتونة .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . ووردت بحرف في الإسكوريال كالألف .

(زَاكِرًا لِاخْتِيَاتِ الْمَقْرئين) .

ذلك ، صابرا على التعليم : دايماً عليه نهاره وليله ، ذاكرا لخلاف السبعة . رحل الناس إليه من كل مكان ، خاصتهم وعامهم ، وملاً ببلده تجويداً وإتقاناً ، وكان مع هذا فاضلاً ورعاً جليلاً . خطب بجامع غرناطة وأمّ به مدة طويلة ، إلى حين وفاته .

مشيخته

أخذ القراءات عن الحاج أبي الحسين بن كوثر ، وأبي خالد بن رفاعه ، وأبي عبد الله بن عروس . ورحل إلى بياسة ، فأخذ بها القراءات عن أبي بكر ابن حسون ، وأخذ مع هؤلاء عن جعفر بن حكّم ، وأبي جعفر بن عبد الرحيم ، وأبي الحسن الصدفي الفاسي ، وسمع عليه كثيراً من كتاب سيبويه تفقهاً ، وأجاز له كتابة القاضي أبو بكر بن أبي جَمرة مع آخرين ممن أخذوا عنه .

من أخذ عنه

روى عنه الناس أهل بلده وغيرهم : منهم ابن أبي الأُخوص ، وأبو عبد الله بن إبراهيم المقرئ .

وفاته

توفي في سنة ثلاث وثلاثين وستماية ، ودفن بمقبرة باب البيرة .

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكِناني

من أهل غرناطة . يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن سلمون

حاله

كان رحمه الله ، نسيجاً وحده ، ديناً وفضلاً ، وتخلقاً ودمائة ، ولين

جَانِب ، حَسَن اللِّقَاء . سَلِيم ^(١) الباطن ، مُغْرَقاً فِي الْخَيْر ، عَظِيمُ الْهَشَّة ^(٢) وَالْقَبُول ، كَرِيمُ الطَّوِيَّة ، عَظِيمُ الْإِنْقِيَاد ، [طَيِّبُ اللَّهْجَةِ] ^(٣) ، مُتَهَالِكاً فِي التِّمَاسِ الصَّالِحِينَ ، يَتَقَلَّبُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْخَطَا وَالْإِصَابَةِ ، صَدْرًا فِي أَهْلِ الشُّورَى . قَرَأَ بِلَدِّهِ وَسَمِعَ وَأَسْمَعَ وَأَقْرَأَ ، وَكُتِبَ الشُّرُوطُ مَدَّةً ، مَأْثُورُ الْعَدَالَةِ ، مَعْرُوفُ النَّزَاهَةِ ، مِثْلَافِي ذَلِكَ ، وَيَقُومُ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَقْهِ ، خُصُوصًا بَابُ الْبُيُوعِ ، وَيَتَقَدَّمُ السَّبَاقُ فِي مَعْرِفَةِ الْقَرَاءَاتِ ، مُتَقَطِّعُ الْقَرِينِ فِي ذَلِكَ ، أَشَدُّ النَّاسِ خُفُوفًا فِي الْحَوَاجِجِ ، وَأَسْرَعُهُمْ إِلَى الْمَشَارَكَةِ .

مَشِيخَتُهُ

قَرَأَ عَلَى الْأُسْتَاذِ الْكَبِيرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ بَغْرِنَاطَةَ ، وَلاَزَمَهُ ، فَانْتَفَعَ بِهِ ، دَرَايَةً وَرَوَايَةً . وَقَرَأَ عَلَى الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ فَضِيلَةَ ، وَالْمُكْتَبِّ أَبِي الْحَسَنِ الْبُلُوطِي ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ النَّفْزِي ، وَالْخَطِيبِ أَبِي جَعْفَرِ الْكُحَيْلِي . وَبِمَا لَقِيَ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِي . وَبَسَبَتَهُ عَلَى الْأُسْتَاذِ الْمُقْرَى رُحْلَةً وَقَتَهُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الطَّيِّبِ ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ . وَعَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدَّرَاجِ ، وَلاَزَمَ مَجْلِسَ إِقْرَائِهِ ، وَعَلَى الشَّيْخِ الْمَعْمَرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْخَطَّارِ الْكَامِي ، وَهُوَ أَعْلَى مِنْ لَقِيهِ مِنْ تِلْكَ الْحَلْبَةِ . وَأَخَذَ بِالْإِجَازَةِ عَنْ الْعَدْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّوْلِي ، وَرَوَايَتَهُ عَلَيْهِ . لَقِيَ أَبَا الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ ، وَلَقِيَ بِسَبْتَةِ الشَّرِيفِ الرَّأْوِيَةَ أَبَا عَلِيٍّ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الشَّرَفِ رَبِيعٍ ، وَالْأَدِيبَ الْكَاتِبَ أَبَا عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ عَتِيقِ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ رَشِيقٍ . وَبِفَاسِ الْفَقِيهِ أَبَا غَالِبٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (سَالِم) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (الْهَيْبَةُ) .

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَسَاقِطَةٌ فِي الزَّيْتُونَةِ .

المَغِيلِي . وقرأ على الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد . وسمع على ذى
الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم . ولقى الأديب المعمّر مالك بن المرحّل .
وأجازه أبو عمران موسى بن الخطيب أبي الحسن الدّارِي برُندة . وأجازه
من أهل المشرق كثير ، منهم عز الدين أحمد بن محمد الحسنِي بقيّة
الأشراف بالدّيار المصرية ، وجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله
الظاهري ، ونجم الدين أحمد بن حمدان الحرّاني ، وجمال الدين أحمد
ابن أبي الفتح الشّيباني ، وأحمد بن عبد المنعم الصّوفي ، ومولده عام
أحد وستماية ، وأحمد بن سلّمان بن أحمد المقدسي ، وأحمد بن عبد الحميد
ابن عبد الهادي ، وشمس الدين ابراهيم بن سرور المقدسي ، والخطيب
بالمسجد الأعظم ببجاية أبو عبد الله بن صالح الكِنّاني ، وأبو عبد الله محمد
أبي خمسة^(١) محمد بن البكري بن أبي بكر ، وأبو عبد الله محمد بن علي
ابن وهب بن مُطيع بن أبي الطاعة القُشَيْرِي ، وابن دقيق العيد تقى الدين ،
وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة ، والشيخة الصالحة
أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السُّكوني .
وأجازه نحو من المائتين من أهل المشرق والمغرب . ولقى بفاس الشيخة
الأديبة الطيبة الشاعرة ، سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبيّة
وأجازته ، وألبسته خرقة التصوف .

قال ، وأنشدتني قصيدة أجابت بها الخطيب المحدث ، أبا عبد الله
ابن رُشيد ، أولها يعنى قصيدة ابن رُشيد :

سرى نسيم من حمى سارة عاد به كل نسيم عاطرا
وجال أفكار الدنيا ذكرها فسار فيها مثلا سايرا

(١) هكذا وردت في المخطوطين .

دايرة والمجد قطب لها دارت عليه فلکاً دايرا
فقلت :

وافى قريض منكم مذ غدا لبعض أوصافكم ذاكرا
أطلع من أنفاسه الحجا ومن شذاه نفساً عاطرا
أعاد ميت الفكر من خاطري من بعد دفن في الثرى ناشرا
يُبهر طرفي حسن منظره أخيب به نظماً غدا باهرا
فقلت لها هالني حسنه أشاعراً أصبح أم ساحرا
أم روضة هذي التي قد نوى^(١) أم بدر تم قد بدا زاهرا
أم ضرب من فمه سايل أم جوهر أضحي لنا نائرا
لله ما أعذب ألفاظه وأنور الباطن والظاهر
يا ابن رشيد بل أبا الرشد يامن لم يزل لطي العلى ناشرا
خذ ما قدتلك النفس يا سيدي وكن لمن نظمها عاذرا
ما تصل الأنثى بتقصيرها لأن تباري ذكراً ماهرا
لازلت تحيي من رسوم العلا ما كان منها دارساً دائرا

تصانيفه

الكتاب المسمى « بالشافي في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير
والتبصرة والكافي » لا نظير له .

مولده

ولد بغرناطة بلده في الثاني والعشرين لذي قعدة من عام تسعة وستين
وست مائة .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قرا) .

وفاته

فُقِدَ في الواقعة العظمى بطريف يوم الإثنين السابع لجمادى الأولى من عام أحد وأربعين وسبعمائة . حدث بعض الجند أنه رآه يتحامل ، وجُرْحٌ بصدرة يَتَغَبَّ دماً ، وهو رابط الجأش ، فكان آخر العهد به .
تقبل الله شهادته .

عبد الله بن سهل الغرناطي

يكنى أبا محمد ، ويُنبز^(١) بالوجه نافخ^(٢)

حاله

من كتاب ابن حمادة ، قال عُنِيَ بعِلْم القرآن والنحو والحديث ، عناية تامة ، وبهذا كنت أسمع الثناء عليه من الأشياء ، في حال طفولتي^(٣) بغرناطة ، ثم شُهر بعد ذلك بعِلْم المَنطق ، والعلوم الرياضية ، وسائر العلوم القديمة ، وعَظُم بسببها ، وامتدَّ صيته من أجلها ، وأجمع المسلمون واليهود والنصارى ، أن ليس في زمانه مثله ، ولا في كثير من تقدّمه ، وبين هذه الليل الثلاثة من التّحاسد ما عُرِف . وكانت النصرارى تقصّده من طليطلة ، تتعلّم منه أيام كان ببياسة^(٤) ، وله مع قسّيسهم مجالس في التناظر ، حاز فيها قَصَب السّبق . قال ، ثم خرج عن بياسة ، وسار إلى نظر ابن هَمُشك^(٥) عند خروج النصرارى عن بياسة . وله تواليف . وهو الآن بحاله .

(١) ينبز منها بالقب .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (النافخ) .

(٣) وردت في الإسكوريال (قفولتي) والتصويب من الزيتونة .

(٤) بياسة ، وبالإسبانية Baeza ، بلدة أندلسية قديمة تقع شمال شرق جيان بينها وبين

أبدة ، وقد سبق التعريف بها .

(٥) ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة (ص ٢٩٦ - ٢٠٣) .

قلت ، تاريخ هذا القول ، عام ثلاثة وخمسين وخمسمائة .

عبد الله بن أيوب الأنصارى

يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن خروج ، من أهل قلعة أيوب^(١) .

حاله

' فقيه حافظٌ لمذهب مالك . استوطن غرناطة وسكنها .

توالمسفه

ألّف في الفقه كتابا مفيدا سماه « المنوطة » على مذهب مالك ، في ثمانية أسفار أتقن فيها كل الإتقان :

وفاته : توفى بها سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وقد قارب المائة .

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصارى

مالقى ، قرطبي الأصل ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بالقرطبي ، قرأ بقرناطة .

حاله

كان في وقته ببلده ، كامل المعارف ، صدرا في المقرئين والمجودين ، رئيس^(٢) المحدثين وإمامهم ، واسع المعرفة ، مكثرا ، ثقة ، عدلا ، آمينا ، مكيّن الرواية^(٣) ، رايق الخط ، نبيل التقييد والضبط ، ناقد ، ذا كرا

(١) قلعة أيوب ، وبالإسبانية Calatayud ، بلدة حصينة من أعمال النهر الأعلى تقع جنوب غربي سرقسطة على نهر خالون أحد أفرع نهر إيرو (إبرد) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (رأس) .

(٣) وردت في الإسكوريال (يكر الدراية) . والعصويب من الزيتونة .

أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم ، وما حُلوا به من جرحٍ وتعديل ، لا يدانيه أحد في ذلك : عزيز النظر ، متيقظاً ، متوقد الذهن ، كريم الخلال ، حميد العشرة ، دميئاً ، متواضعاً ، حسن الخلق ، مُحبباً إلى الناس ، نزيه النفس ، جميل الهيئة ، وقوراً ، مُعظماً عند الخاصة والعامة ، ديناً ، زاهداً ، ورعاً ، فاضلاً . نحويّاً ماهراً ، ريان من الأدب ، قائلاً الجيد من الشعر ، مقصّداً ومقطّعاً . وكان له بجامع مالقة الأعظم ، مجلس عام ، سوى مجلس تدريسه ، يتكلم [فيه]^(١) على الحديث ، إسناداً ومُتناً ، بطريقة عجز عنها الكثير من أكابر أهل زمانه . وتصدر للإقراء ابن عشرين سنة .

« من أخباره في العلم والذكاء » : قالوا قُرئ عليه يوماً باب الابتداء بالكلم التي يُلفظ بها في إيضاح الفارسي ، وكان أحسن الناس قياماً عليه فتكلم على المسألة الواقعة في ذلك الباب ، المتعلقة بعلم العروض ، وكان في الحاضرين من أحسن صناعته ، فجاذبه الكلام ، وضايقه المباحثه ، حتى أحسّ الأستاذ من نفسه التقصير ، إذ لم يكن له قبل كبيرُ نظرٍ في العروض ، فكفّ عن الخوض في المسألة ، وانصرف إلى منزله ، وعكف سائر اليوم على تصفُّحِ عِلْمِ العروض ، حتى فهم أغراضه ، وحصل تواليقه وصنّف^(٢) فيه مختصراً نبيلاً ، لخص في صدره ضروبه^(٣) ، وأبدع فيه بنظم مثله ، وجاء به من الغد ، مُعجزاً من رآه أو سمع به ، فبُهِت الحاضرون وقضوا العجب من اقتداره وذكائه ، ونفوذ فهمه ، وسهولة همته .

ومن أخباره في الدين : قال أبو أحمد جعفر بن زعرور العاملي المالقي تلميذه الأخصّ به ، بتُّ معه ليلة في دُويرته التي كانت له بجبل

(١) الزيادة من الذيل والتمكلة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة والذيل والتمكلة . وفي الإسكوريال (وضبط) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (فرشه) .

فَارَهُ^(١) للإقراء والمطالعة . فقام ساعة كنت فيها يقطّاناً ، وهو ضاحك مسرور ، يَشِدُّ يده كأنه ظفر بشيء نفيس ، فسألته فقال ، رأيت كأن الناس قد حُشروا في العَرَض على الله ، وأنى بالحدثين ، وكنت أرى أبا عبد الله النعميرى يؤتى به . فيوقف بين يدي الله تعالى . فيعطى براءته ، من النار ، ثم يُؤتى بي ، فأوقفت بين يدي ربّي ، فأعطاني براءتي من النار ، فاستيقظت ، وأنا أشدُّ عليها يدي اغتباطاً بها وفرحاً ، والحمد لله .

مشيخته

تلا بمالقة على أبيه ، وأبي زيد السهيلي ، والقاسم بن دحمان ، وروى عنهم ، وعن أبي اللخجّاج بن الشيخ ، وأبوى عبد الله بن الفخّار ، وابن نوح ، وابن اليتيم ، وابن كامل ، وابن جابر ، وابن بونة . وبالمُنكّب عن عبد الوهاب الصّادق . وحضر بمالقة مجلس أبي إسحق بن قرقول . وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجّد ، وابن صاف ، وأبي جعفر بن مضاء ، وأبوى الحسن عبد الرحمن بن مسلمة ، وأبي عبد الله بن زرقون ، وأبي القاسم بن عبدالرازق ، وأبي محمد بن جُمهور . وبغرناطة عن أبوى جعفر بن حَكَم الحصار ، وابن سُراحيل ، وأبي عبد الله بن عروس ، وأبوى محمد عبد الحق النّوالشي ، وعبد المنعم بن الفرس . وبمرسية عن أبي عبد الله بن حميد ، وأبي القاسم بن حُبَيْش ، وبسبّطة عن أبي محمد الحجري . وأجاز له من الأندلس ابن مُحرز وابن حُسُون وابن خيرة ، والأركشي ، وابن حنص وابن سعادة ، ويحيى المجريطي ، وابن بَشْكُوَال ، وابن قُزْدَان . ومن أهل المشرق جماعة كبيرة .

(١) جبل فاره وبالإسبانية Gibralfaro ، مكان مرتفع بشرق مالقة . وقد سبق التعرف .

به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٠٦ حاشية) .

شعره وتصانيفه

أَلَّفَ في العروض مجموعات نبيلة ، وفي قراءة نافع : ولخص أسانيد
الموطأ . وله المبدى لخط الرندي . ودخل يوما بمجلس ^(١) أقرأ به أبو
الفضل عياض ، وكان أفتى منه ، غير أن الشيب جار عليه ، وتأخر شيب
الأستاذ ، فقال يا أستاذ شيبنا وما شيبتم ، قال فأنشده ارتجالا :

وهل نافع أن أخطأ الشيب مفرق وقد شاب أترابي وشباب لِدَاقِ
لئن كان خطب الشيب يوجد حسه ^(٢) يترنن فمعناه يقوم بذاقِ

ومن شعره في التجنيس :

لعمرك ما الدنيا بسرعة سيرها بسكائها إلا طريق مجاز
حقيقتها أن المقام بغيرها ولكنهم قد أولعوا بمجاز
ومما يؤثر أيضا من شعره قوله :
سهرت أعين ونامت عيون لأُمور تكون أولا تكون
فاطردهم ما استطعت عن ^(٣) النفس فحملانك الهموم جنون
إن ربا كفاك بالأمس ما كان فسيفيك في غد ما يكون

مولده

ولد أبو محمد قريب ظهر يوم الإثنين لثمان بقين من ذى القعدة عام
مئة وخمسين وخمسمائة . «وفاته» سحر ليلة السبت أو سحر يومها ،
ودفن إثر صلاة العتمر من اليوم السابع لربيع الآخر سنة أحد عشر وستمائة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بمسجد) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي الدليل والتكلمة (عينه) .

(٣) وردت هذه الشطرة في الزيتونة كالاتي (فاطردهم عن النفس ما استطعت) .

من رثاه

رثاه الأديب أبو محمد عبد الله بن حسن البرجى من قصيدة حسنة
طويلة :

خليليُّ هُبَّا ساعداني بعبِرة	وقولا لمن بالرّى ويحكم هُبوا
نبكى العلى والمجد والعلم والتقى	فماتمُ أحزاني نوائحه ^(١) الصّحب
فقد سلب الدّين الحنّين رُوحه	ففى كل سرّيب من نباهته نهب
وقد طُمست أنوار سنّة أحمد	وقد خلّت الدنيا وقد ظنّ الرّكب
مضى الكوكب الوقاد والمرهف الذى	يُصحّح فى نصّ الحديث فما ينبُ
تمنى علاه النيران ونوره	وقالا بزعم أنّه لهما يررب
أأسلّو وبحر العلم غيَضت مياهُه	ومُحي رسوم العلم يحجّبه الثّرب
عزيزٌ على الإسلام أن يودّع الثرى	مُسَدّده الأسرى ^(٢) وعالمه النّذب
بكى العالم العلوى والسّبع حسرة	أولّكم حزّبُ الله ما فوقهم حزب
على القرطبيّ الحبرِ أستاذنا الذى	على أهل هذا العصر فضله الرّب
فقد كان فيما مضى من زمانه	به تحسّنُ الدنيا ويلتئم الشعب
ويجمع سرب الأنس روض حياته	فقد جفّ ذاك الروض وافترق السّرب
فسُحِقاً لدنيا خادعتنا بمكرها	إذا عاقبت سلما فتمصّدُها حربُ
ركبنا السّهل الذّلّول فقادنا	إلى كل ما فى طيّه مركبٌ صعب
ونغفل عنها والرّدى يَسْتَفِرّنا	كنسى واعظاً بالموت لِم كان لى لب

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (يواحه) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النّيل والتكلى (الأهدى) .

عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن
إسماعيل بن سِمَاك العاملي^(١)
يكنى أبا محمد ، مالتقى الأصل .

حاله

كان فقيهاً أديباً ، بارع الأدب ، شاعراً مطبوعاً ، كثير النادر ، حُلُو
الشمائل ، أدرك شيوخاً جلّة ، ووُلّي قضاء غرناطة مدّة .

مشيخته

روى عن جده لأمه وابن عم أبيه أبي عمر أحمد بن إسماعيل ، وأبي علي
[الغساني ، وأبي الحسن علي بن عبيد الرحمن بن سَمْحُون والمرسائي^(٢) الأديب ،

شعره

الروض مُخَضَّرُ الرُّبَى مُتَجَمِّلٌ	لِلنَّاطِرِينَ بِأَجْمَلِ الْأَلْوَانِ
وَكَاثِمًا بَسَطْتَ هُنَاكَ سِوَارَهَا	خُودٌ زَهَتْ بِقِلَائِدِ الْعِيقِيَانِ
وَكَاثِمًا فَتَقَّتْ هُنَاكَ نَوَافِحُ	مِنْ مِسْكَةٍ عُجِنَتْ بِعَرَفِ الْبَانِ
وَالطَّيْرُ يَسْجَعُ فِي الْغُصُونِ كَاثِمًا	تَقْرَأُ الْقِيَانُ فِيهِ عَلَى الْعِيدَانِ
وَالْمَاءُ مُطْرَدٌ يَسِيلُ عُبَابَهُ	كَسَلَسَلٍ مِنْ فِضَّةٍ وَجُمَانِ
بِهَجَاتٍ حُسْنُ أَكْمَلَتْ فَكَاثِمًا	حُسْنُ الْيَقِينِ وَبِهَجَةِ الْإِيمَانِ

وكتب إلى الكاتب أبي نصر الفتح بن عبيد الله^(٣) في أثناء رسالة :

تَفْتَحُ الْكِتَابَةَ عَنْ نَسِيمٍ	نَسِيمُ الْمِسْكِ فِي خُلُقِ الْكَرِيمِ
أَبَا نَصْرَ رَسَمْتَ لَهَا رَسُومًا	تَخَالُ رَسُومُهَا وَضَحَ النُّجُومِ

(١) وردت هذه الترجمة في هامش لوحة 223 من مخطوط الإسكوريال . ولم ترد في الزينونة

(٢) هكذا في الإسكوريال .

(٣) هو الفتح بن خاقان من أشهر كتاب عصر الطوائف ، ومؤلف كتاب « قلائد القيان » .

وقد كانت عَفَّتْ فَأَثَرَتْ مِنْهَا سراجاً لاح في الليل البهيم
فَتَحَّتْ مِنْ الصَّنَاعَةِ كُلِّ بَاب فسارة في طريق مستقيم
فَكُتِّبَ الزَّمان وَلَسْتَ مِنْهُمْ إذا راهوا مَرَامَكَ في هُموم
فَمَا نَقِصْ بِأَبْدَعِ مِنْكَ لَفْظاً ولا سَحْبَانِ مِثْلَكَ في العلوم
« وفاته » : في السابع والعشرين من رمضان المعظم سنة أربعين وخمسمائة
وهو ابن أربع وثمانين سنة .

ومن ترجمة القضاة

عبد الله بن أحمد^(١) بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن بن

مُنْخَل بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة وأعيانها ، يُكنى أباً محمد ، ويُنسب إلى غافق بن
الشَّاهد^(٢) بن عك بن عدنان ، لا إلى حِصْن غافق .

حاله

من « العايد » كان رجلاً صحيح المذهب ، سليم الصدر ، قليل
المصانعة ، كثير الحركة والهشّة ، والجدّة ، ملازم الاجتهاد والعُكوف ،
لا يفتر عن النسخ والتّقييد والمطالعة ، على حال الكِبَرَة ، قديم التّعين
والأصالة ، وُلّي القضاء عُمره بمواضع كثيرة ، منها بيرة ورُندة ثم مالقة .
مضافاً إلى الخطابة بها .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (أب أحمد) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الشاهد) . والتصويب من الزيتونة .

مشيخته

حجّ في حدود سبعة وثمانين وستمائة ، وروى عن جِلَّة من أهل المشرق ، كالإمام تقى الدين بن دقيق العيد ، والحافظ أبي محمد عبد المؤمن الدُّمياطى ، وشمس الدين المصنّف^(١) أبي عبد الله بن عبد السلام . وأجازه من أهل المغرب شيخ الجماعة بالأندلس أبو جعفر بن الزبير ، والقاضى ابن أبي الأحوص ، والخطيب أبو الحسن بن فضيلة ، والأستاذ أبو الحسن ابن الصّايغ الإشبيلي ، وأبو جعفر الطُّباع ، وغيرهم .

توابعه

ألّف كتابا سماه « بالمنهاج في ترتيب مسائل الفقيه المشاور أبي عبد الله ابن الحاج » .

مولده

ولد بغرناطة في حدود ستين وستمائة .
« وفاته » : توفى بغرناطة يوم عاشوراء من عام أحد وثلاثين وسبعماية .

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن

أبي زَمَنِين المرّى

يكفى أبا خالد .

حاله

كان فقيها جليلا ، ووُلّى القضاء ببعض جهات غرناطة .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المصنف) .

(٤) وردت هذه الترجمة في لوحة 224 من مخطوط الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

مشيخته

أخذ الفقه عن أبي جعفر بن هلال ، وأبي محمد بن سِماك القاضي .
والعربية عن الخضر بن رضوان العبدي . والحديث عن الحافظ أبي بكر
ابن غالب بن عبد الرحمن بن عطية ، والإمام أبي الحسن علي بن أحمد ،
والقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض أيام قضائه بقرنطة .

مولده

ولد سنة سبع وتسعين وأربعمائة .
« وفاته » : توفي في ذى قعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

عبد الله بن يحيى بن محمد^(١) بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن محمد بن
يحيى بن زكريا الأنصاري

يكنى أبا محمد ، من أهل قرنطة ، شرقي الأصل ، مُرسِيه ، من
بُيُوتاته النُبيهة ، وقد مرَّ ذكر أخيه .

حاله

كان على طريقة حسنة من دماء الأخلاق ، وسلامة السَّجِيَّة ، والتزام
الحِشْمَةِ ، والاشتغال بما يَعْنِي . وُلِّي القضاء دون العشرين سنة ، وتصرف
فيه عُمُرُهُ بالجهات الأندلسية ، فأظهر فيه عدلاً ونزاهة ، ولم يختلف
عليه اثنان مدة حياته ، من أهل المعرفة بالأحكام ، والتَّقدُّم في عَقْد الشُّروط ،
وصناعة الفَرائض ، عِلْماً وعملاً ، ثاقب الذهن ، نافذاً في صناعة العَدَد .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (عمر) .

مشيخته

قرأ على أبيه القاضى أبى بكر بن زكريا ، وله رواية عالية عن أعلام من أهل المشرق والمغرب . وقرأ على أبى الحسن بن فضيلة الولى الصالح ، والقاضى أبى عبد الله بن هشام الألبى ، والأستاذ أبى جعفر بن الزبير ، والحاج أبى محمد^(١) بن جابر ، وأبى بكر القللى . وقرأ العدد وما أشبهه على الأستاذ التعلیمی أبى عبد الله الرقام ، ولأزمه ، [وأجازه]^(٢) طائفة كبيرة . أخبرنى ولده الفاضل أبو بكر ، قال : ورد سؤال من تونس مع تاجر وصل فى مَرَكِب إلى مدينة المُنَكَب أيام قضاائه بها ، فى رَجُل فَرَط فى إخراج زكاة ماله سنين مُتَعَدَّة ، سُمِّيت فى السؤال مع نِسْبة قدر المال ، وطلب فى السؤال ، أن يكون عَمَلُهَا بالأربعة الأعداد المُتَنَاسِبة ، إذ عَمَلُهَا بذلك ، أصعبُ من عملها بالجبر والمُقَابِلَة ، فَعَمِلَهَا وأخرجها بِالْعَمَلَيْنِ ، وعَبَّرَ عنها بعبارة حسنة ، وكتبها فى بطاقة بخط جميل ، فذكر التاجر أنه لم يبق بتونس فقيه ، إلا ونسخ منها نُسخة ، واستحسنها .

مولده

ولد يوم الخميس السابع عشر لجمادى الآخرة عام خمسة وسبعين وستمائة .

« وفاته » : توفى قاضيا بِبَسْطَة فى التاسع عشر من رمضان عام خمسة وأربعين وسبعمائة .

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الطوى) .

(٢) هذه الكلمة واردة فى الزيتونة . وساقطة فى الإسكوريال .

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي جرة الأزدي

من أهل مُرسِيه ، نَزِيل غرناطة ، يُكْنَى أبا محمد ، وبَيْتُه بِمُرسِيه من
أعلام بيوتاتها ، شهير التَّعَيُّن والأَصَالَة ، يَنْكَحُ ^(١) فِيهِ الْأُمَرَاء .

حاله

كان من أعلام وقته فضلاً وعدالة وصلاحاً ووقاراً ، طاهر النشأة ،
عَفَّ الطُّعْمَة ، كثير الحياء ، مليح التَّخَلُّق . نشأ بِمُرسِيه ، ثم انتقل
إلى غرناطة فتولَّى القضاء ببيرة وجهاتها ، ثم جاز إلى سَبْتَة ، وانعقدت
بينه وبين رؤسائها المُصَاهِرَة في بعض بَناته . ثم آب إلى غرناطة عند
رجوع إِيالَة سَبْتَة إلى أميرها ، فتقدَّم خطيباً بها .

مشيخته

روى بالإجازة عن الخطيب الحافظ أبي الربيع بن سالم وأمثاله .

وفاته

الغريبة المُسْتَحْسَنَة . قال بعض شيوخوا ، كنت أَسْمَعُه عند سجوده ،
وَتَبَتَّلُه وضراعتَه إلى الله . يقول اللهم أَمِتْنِي مَيِّتَةً حَسَنَةً ، ويكرِّر ذلك .
فأجاب الله دعاءه ، وتوفاه على أتم وجوه التَّائِب طهارةً وخشوعاً وخضوعاً
وتأهباً ، وزماناً ومكاناً ، عندما صعد أول دَرَجٍ من أدراج المِنْبَر ، يوم
الجمعة الثالث والعشرين لشوال من عام أحد عشر وسبع مائة ، فكان يوماً
مشهوداً لا عهد بمثله ، مارَّئِي أَكْثَرُ بِأَكْبَرٍ مِنْهُ ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ مِنَ الشَّنَاءِ عَلَيْهِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة ، ومعناها هنا (يُنْزَوِج من بناته الأُمَرَاء) .

عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن
 حَوْط الله الأنصاري الحارثي الأزدي
 يكنى أبا محمد .

حاله

من « الصُّلَّة » : قال ، القاضي المحدث الجليل العالم ، كان فقيهاً
 جليلاً أصولياً ، نحويّاً ، كاتباً ، أديباً ، شاعراً ، مُتَفَنِّناً في العلوم ،
 ورعاً ، دينياً ، حافظاً ، ثبَتاً ، فاضلاً . وكان يُدرِّس كتاب سيبويه ،
 ومُسْتَصْنِى أَبِي حَامِد ، ويميل إلى الاجتهاد في نظره ، ويُغَلِّب طريقة الظَّاهِرِيَّة ^(١) ،
 مشهوراً بالعقل والفضل ، معظماً عند الملوك ، معلوم القدر لديهم ، يخطب
 في مجالس الأمراء والمحافل الجمهوريّة ، مُقَدِّماً في ذلك ، بلاغةً وفصاحةً
 إلى أبعد مضمار . والملوك الموحِّدين به اعتناء كبير . وهو كان أستاذ الناصر ^(٢)
 وإخوته ، وكان له عند المنصور والدهم ، بذلك أَكْرَم أَثَرَةٍ ، مع ما كان
 مشهوراً به من العلم والدين والفضل . وُلِّيَ القضاء بإشبيلية وقرطبة ومُرْسِيَّة
 وسَبْتَةَ وسَلَا ومَيُورَقَة ، فتظاهر بالعدل ، وعُرف بما أبطن من الدين والفضل ،
 وكان من العلماء العاملين ، سُنِّيّاً ، مُجَانِباً لِأَهْلِ الْبِدْعِ والأَهْوَاء ، بارِع
 الْخَطِّ ، حسن التَّقْيِيدِ .

مشيخته

تردّد في طلب العلم ، فسمع ببِلنسية وشاطِبة ومرسية وألمرية وقرطبة

(١) طريقة الظاهرية أي المذهب الظاهري ، وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من
 الإحاطة ص ٢٠٩ حاشية) .

(٢) الناصر هو الخليفة الموحدى محمد الناصر الدين الله ولد الخليفة يعقوب المنصور ،
 وقد حكم من سنة ٤٩٥ - ٥٦١ (١١٩٩ - ١٢١٣ م) ، وهو المهزوم في موقعة العقاب
 الشهيرة بالأندلس في سنة ٦٠٩ (١٢١٢ م) .

وإشبيلية ومالقة ، وغيرها من البلاد الأندلسية ، وتحصل له سماعٌ جمٌ لم يشاركه فيه أحد من أهل المغرب . قرأ القرآن على أبيه ، وعلى أبي محمد عبد الصمد الغسائي ، وأخذ عن ابن حميد كتاب سيبويه تفقهاً . وعن غيره ، وسمع عن ابن بشكوال ، وقرأ أكثر من ستين تأليفاً بين كبار وصغار ، وكمل له على أبي محمد بن عبد الله ، بين قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفاً ، منها الصحيحان . وأكثر عن ابن حبيش ، والسهيلي ، وابن الفخار وغيرهم . واستيفاءً مشيخته يشق .

شعره

قال الأستاذ ، أنشدني ابنه أبو القاسم ، ونقلت من خطه :
أتدري أنك الخطأ حقاً وأنك بالذي تدرى رهين
وتعتب^(١) الألى فعلوا وقالوا وذاك الظن والإفك المبين

مولده

في محرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .
« وفاته » : كان آخر عمره قد أعيد إلى مرسية ، قصدها من الحضرة ، فمات بغرناطة سحر يوم الخميس الثاني لربيع الأول اثنتي عشرة وستماية ، ونُقل منها في تابوته الذي أُحِد فيه ، يوم السبت التاسع عشر لشعبان من السنة إلى مالقة ، فدفن بها .

عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن

عبد الرحمن بن ربيع الأشعري

من أهل قرطبة . يكنى أبا القاسم ويعرف بابن ربيع .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (وتفتابوا) .

حاله

كان رحمه الله أديبا . كاتباً شاعراً ، نحويًا . فقيهاً أصولياً ، مشاركاً في علوم : مُحبّاً في القراءة ، وطياً^(١) عند المناظرة ، مُتَنَاصِفاً ، سنياً ، أشعري المذهب والنسب ، مُصَمِّماً على طريقة الأشعرية ، مُلتَزِماً للمذهب أهل السنة المالكي ، من بقايا الناس وعليتهم ، ومن آخر طلببة الأندلس المشاركين الجِلَّةِ ، المُصَمِّمين على مذهب أهل السنة . المُنافرين للمذاهب الفلسفية ، والمُبْتَدِعة ، والزَّيْغ . وُلِّيَ قضاءً مواضع من الأندلس . منها مدينة شَرِيش ورُنْدَة ومالقة ، وأمَّ وخطبَ بجامعها . ثم وُلِّيَ قضاء الجماعة^(٢) بحضرة غرناطة ، وعَقَدَ بها مجلساً للإقراء . فانتفع به طلبتها ، واستمر على ذلك ، وكانت ولايته غرناطة نحواً من سبعة أعوام .

مشيخته

أخذ عن أبيه أبي عامر وتفقه به ، وعن الخطيب أبي جعفر بن يحيى الجُمَيْرِي ، وتلا عليه ، وتآدب به . وعن الأستاذ أبي الحسن بن خروف ، وروى مع هؤلاء عن القاضي أبي القاسم بن بَقِيٍّ . وأبي محمد بن حَوْطِ اللَّهِ ، وأبي عبد الله بن أَصْبَغٍ وغيرهم ، وأجاز له الشيخ المُسَنِّ أَبُو الحسن على ابن أحمد بن علي الغافقي الشَّقُورِي ، وله به عُلُوٌّ . وبالأستاذ الخطيب المُسَنِّ أبي جعفر بن يحيى المتقدم .

وفاته

توفي في السابع عشر لشوال سنة ست وستين وستمائة . ولم يَخْلِفْ بعده مثله . ولا مَنْ يُنَازِرُه .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مرضياً) .

(٢) منصب قاضي الجماعة في النظام القضائي الأندلسي هو منصب قاضي القضاة ، أو رياسة

القضاء العليا .

عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي
من ولد عاصم بن مُسلم الداخل في طلعة بَلَج الملقَّب بالعريان ، أخو
الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، شقيقه ، يكنى أبا محمد .

حاله

كان طبيباً ماهراً ، كاتباً شاعراً ، ذا كراً للغة ، صَنِيع^(١) اليدين ،
متقدِّماً في أقرانه نباهة وفصاحة^(٢) ، معدوم النظر في الشجاعة والإقدام ،
يحضر الغزوات : فارساً وراجلاً ، ولقى بفَحْص غرناطة^(٣) ليلاً ، نصرانياً
يتجسس ، فأسره وجره ، وأدخله البلد ، ولم يلتفت إلى ثمنه ، استكتما
لتلك القيلة .

مشيخته

أخذ القرآن عن الأستاذ أبي عبد الله بن مَسْتَقُور^(٤) ، وروى عن أبي
يحيى بن عبد الرحيم ، وأبي الوليد العطار ، وأبي القاسم بن ربيع [وأبي
الخطار بن خليل ، وأخذ عن أبي عمر بن حَوْطِ الله بمالقة ، وابن أبي ريحانه .
وبسببته على أبي بكر بن]^(٥) مشليون . وأجاز له أبو بكر بن مُحَرِّز ، وأبو الحسن
الشاري . وأخذ عن الأستاذ الناقد أبي الحسن علي بن محمد الكِنَانِي .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (كاصابع) والأولى أرجح . وصنع
اليدين أي ماهر في الأعمال اليدوية .

(٢) وردت في الإسكوريال (فصا) فقط . وهي ساقطة في الزيتونة .

(٣) فحص غرناطة أو مرج غرناطة *La vega de Granada* ، هو البسيط الأخضر الذي
يقع جنوب شرق غرناطة . وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٩ حاشية) .

(٤) وردت في الإسكوريال (مسمفور) . وفي الزيتونة (مسمفور) وهو تحريف .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في الزيتونة ، وسقط في الإسكوريال .

مولده

وُلد بغرناطة لسبع عشرة ليلة خلت من ذى قعدة سنة ثلاث وأربعين وستاية .
وفاته : توفي بها سحر أول يوم من ذى قعدة سنة ثلاث وثمانين وستاية .

عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي
يكنى أبا يحيى .

حاله

طالب نبيل فاضل ، ورع زاهد ، مؤثر في الدنيا بما تملكه ، تال لكتاب
الله في جميع الأوقات .

أخباره [في الإيثارة]^(١)

وجه له السيد [أبو اسحاق]^(٢) ابن الخليفة ابن يعقوب خمسمائة
دُنيّر^(٣) ليُصلح بها من شأنه . فصرفت جميعها على أهل السُتر في أقل من
شهر . ومرّ بفتى في إشبيلية ، وأعوان القاضي يحملونه إلى السُجن ، وهو
يبكى فسأله ، فقال : أنا غريب ، وطولبت بخمسين دُنيّرًا . وببدي
عقود ، وطولبت بضامن فلم أجده ، فقال ، له الله ، قال نعم ، قال ،
فدفع له خمسين دُنيّرًا ، قال أشهد لك بها ، فضجر وقال إن الله إذا أعطى
عبده شيئًا لم يُشهد به عليه ، وتركه وانصرف لشأنه ، وكانت عنده
معرفة وأدب .

« مولده » بغرناطة في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة^(٤) .

(١) هذه المباداة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال . (٢) الزيادة من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (دينار) .

(٤) وردت هذه الترجمة في هامش لوحة 226 من مخطوط الإسكوريال . والظاهر

أن الناسخ كان قد نسبها فائيتها في هذا الموضع .

ومن ترجمة الكتاب والشعراء بين أصلي وطاريء

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي

من أهل بَلَشِيكْنِي أبا محمد . ويعرف بابن المُرابع^(١)

حاله

من نُبهاء أدباء البادية ، حَشِن الظاهر ، مُنْطَوٍ على لَوْدَعِيَّة ، مُتَوَارِيَةٍ في مظهر جَفْوَةٍ ، كثير الانطباع عند الخُبْرَةِ ، قادر على النظم والنثر ، متوسط الطَّبَقَةِ فيهما ، مُسْتَرْفِدٌ بالشعر ، سيَّال القريحة ، مَرْهُوبُ الهِجَاءِ ، مشهور المكان ببلده ، يعيش من الخِدم^(٢) المَخْزَنِيَّةِ ، بين خَارِصٍ^(٣) وشاهدٍ وجدَّ بذلك وقته ، يوسُطُ^(٤) رَقَاعَتَهُ ، فتنجح الوسيلة ، [ويتمشَّى له بين الرِّضَا والسُّخْطِ الغرض]^(٥) .

وجرى ذكره في « التاج » بما نصه : « طويل القَوَادِمِ والخَوَافِي ، كَلِيفٌ على كبر سنه بعقائيل القوافي ، شابٌ في الأدب وشبٌّ ، ونَشِيقُ ريح البيان لَمَّا هبَّ ، فحاول^(٦) رَفِيعَهُ ، وجَزَلَهُ . وأَجَادَ جَدَّهُ وأَحْكَمَ هَزْلَهُ . فَإِنْ مَدَحَ صَدَحَ ، وَإِنْ وَصَفَ أَنْصَفَ ، وَإِنْ عَصَفَ قَصَفَ . وَإِنْ أَنْشَأَ وَدَوَّنَ ، وَتَقَلَّبَ في أَفَانِينَ البلاغة وتلَوَّنَ ، أَفْسَدَ ما شاءَ الله وَكَوَّنَ : فهو شيخُ الطريقة الأدبية وفتاها ، وخطيب حَفْلِهَا^(٧) كلما أَتَاها . لا يتوقَّف عليه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (ابن الربيع) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الخسمة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (خارج) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (يوسع) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (وينزله بين السُّخْطِ والرِّضَا)

(٦) وردت في الإسكوريال (فحاور) . والتصويب من النسخ .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ ، وفي الزيتونة (حلقه) وهو تحريف

من أغراضها غرض ، ولا يَضِيع لديه منها مُفترض . ولم تزل برؤفه تتألق ،
ومعانيه بأذيال الإحسان تتعلّق . حتّى برَزَ في أبطل الكلام وفرسانه ،
وذعرت القلوب لسطوة لسانه ، وألقت إليه الصّناعة زمامها ، ووقفت
عليه أحكامها . وعبرَ البحر ، مُنتَجِعاً بسعره ، ومُنْفِقاً في سوق الكساد من
شعره ، فابترق وأرعد ، وحذر وتوعّد^(١) ، وبلغ جهْد إمكانه ، في التّعريف
بمكانه ، فما حرك ولا هزّ ، وذَلَّ في طلب الرّفد وقد عزّ ، وما برح أن رجع
إلى وطنه الذي اعتاده ، رجوع الحديث إلى قتاده .

شعره

قال في « التاج » ، وقد أثبت من نزعاته ، وبعض مُخترعاته ، ما يدل
على سِعة باعه ، ونهضة ذراعه . فمن النسيب قوله :

ما للمُحِبِّ دواء يُذهب الأَلما	عنه سوى لِمَم فيه ارتشاف لِما
ولا يَرُدُّ عليه نَومٌ مُقلته	إلّا الدُّنُو إلى من شفّه سَقَمّا
ياحاكماً والهوى فينا يُؤَيِّده	هواك فيّ بما ترّضاه قد حَكَمّا
أشغلتني بك شُغلاً شاغلا	فلما تناسى فديتك عني بعد ذاك لما
ملكْتَ رَوحى فأرْفِقْ قد علّمت بما	يلقى ولا حِجّة تبقى لمن عَلِمّا
ما غِبتَ عني إلا غاب عن بَصْرى	بدرأ إذا لاح يُجلى نورُه الظُّلما
ما لُحْتَ لى فدنا طَرْفى لغيرك يامولى	لحا فيه جَفْنى النوم قد حُرما
طَلوعاً لطيفك لا أعْصيك فافْضِ بما	ترضاه أَرْضى بما تَرْضى ولا جَرما
إنّ الهوى يمتنّضى ذلاً لغيرك لو	أفادنى فيك قريباً يُبرِّد الأَلما
سَلِمْتَ من كل عَيْب يا محمدا	كن قَلْب صَبِّك من عَيْنِكَ ما سَلما

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (وأوعد) .

ومن مخاطباته الأدبية . ما كتب له إلى شيخ الصوفية ببلده مع طالع
من ولده :

مُمَالِيكُمْ قَدْ زَادَ فِيكُمْ مُرَابِعٌ	مِنَ الْأَفْقِ الْكَوْنِي بِالْيَمَنِ طَالِعٌ
بِأَنْوَارِكُمْ يَهْدِي إِلَى سُبُلِ الْهَدَى	وَيَسْمُو لِمَا تَسْمُو إِلَيْهِ الْمَطَالِعُ
فَوَاسُوهُ مِنْكُمْ بِالْذُّعَاءِ فَإِنَّهُ	مُجَابٌ بِفَضْلِ اللَّهِ لِلْخَلْقِ نَافِعٌ
أَفَاضَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ بَرَكَاتِكُمْ	وَأَبْقَاكُمْ ذُو الْعَرْشِ مَاجِنٌ سَاجِعٌ ^(١)

فَوُقِعَ لَهُ الشَّيْخُ الْمُخَاطَبُ بِهَا : أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزِّيَّاتِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، بِمَا نَصَهُ :

عَسَى اللَّهُ يُوْتِيهِ مِنَ الْعِلْمِ حِصَّةٌ	تُصَوِّبُ عَلَى الْأَلْبَابِ مِنْهَا يَتَابِعُ
وَيَجْعَلُهُ طَرْفًا لِكُلِّ سَجِيَّةٍ	مُطَهَّرَةً لِلنَّاسِ فِيهَا مَنَافِعُ
وَيُلْحِقْهُ فِي الصَّالِحَاتِ بِجَدِّهِ	فِيثْنِي عَلَيْهِ الْكُلُّ دَانٍ وَشَاسِعُ
وَذُو الْعَرْشِ جَلَّ إِسْمُهُ عَمِيمٌ نَوَالُهُ	وَخَيْرُ الْوَرَى فِي نَصِّ مَا قَلَّتْ شَافِعُ
فَمَا أَنْتَ دُونِي يَا أَبَاهُ مُهْنًا بِهِ	فَالسَّرُورُ الْكُلُّ بِابْنِكَ جَامِعُ

وَلَهُ يَسْتَدْعِي إِلَى الْبَاكُورِ :

بَدَارٌ بَدَارٌ قَدْ آتَى الْبِيدَارُ	إِلَى أَكْوَاسٍ بَاكُورٍ تُدَارُ
تَبَدَّتْ رَافِلَاتٌ فِي مُسَوِّحٍ	لَهُ لَوْنُ الدِّيَاجِي مُسْتَعَارُ
وَقَدْ رَقَمْتَ بَيَاضًا فِي سَوَادِ	كَأَنَّ اللَّيْلَ خَالَطَهُ النَّهَارُ
وَقَدْ نَضِجْتَ وَمَا طَبَخْتَ بَنَارُ	وَهَلْ يُحْتَاجُ لِلْبَاكُورِ نَارُ
وَلَا تَحْتَاجُ مَضْمَنًا لَا وَلَيْسَ ^(٢)	عَجِيبٌ لَا يُشَقُّ لَهُ غُبَارُ
فَقُلْ لِلْخَلْقِ قُلْ لِلضَّرْسِ دَعْنِي	فَفِي الْبَلْعِ اكْتِفَاءٌ وَاقْتِنَارُ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (شَانِعٌ) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الزَّيْتُونَةِ وَفِي الْإِسْكُورِيَّالِ (لَا لِسَرِ) .

ومما وقع له أثناء مقامات تشهد باقتداره ، مقطوعة سهلة وهى :

رَعَى الله عهداً حوى ما حوى	لأهل الوداد وأهل الهوى
أراهم أموراً حلاً ورُدْهُم	وأعطاهم السؤل [كيف نوا] ^(١)
ولما حلاً الوصل صالوا له	ورأموه ملُوءاً وما رَوا
وأوردتهم سرّاً سِرارهم	ورُوداً إلى الكل ذا دوا
وما أَمَلُ طال إلا وهما	ولا أَمَلُ صال إلا هَوا

وقال يَرْتَى ديكاً فقدّه ، ويصف الوجد الذى وَجَدَه ، ويبكى من عدم أذانه ، إلى غير ذلك من مُسْتَطَرَف شأنه :

أوودى به الحُتْف لما جاءه الأجل	ديكاً فلا عِوض منه ولا بدل
قد كان لى أَمَلٌ فى أن يعيش فلم	يَثْبُت مع الحُتْف فى بُغْيالها أَمَل
فقدته فلَعَمْرَى إنها عِظْسة	وبالمواعظ تَذرى دمعها المُقل
كَانَ مِطْرَفَ وَثَى فوق ملبسه	عليه من كل حُسن باهر حُل
كَانَ إكليل كِسرى فوق مَفْرِقه	وتاجَه فهو على الشَّكل مُخْتَفِل
مُؤَقَّتٌ لم يكن بطريق له خطاً	فيما يُرْتَب من وِرد ولا خَطَل
كَانَ زَرْقِيل فيما مرَّ عِلْمه	عِلْم المواقيت فيما رَتَب الأول
يَرْحَل الليل يُحْيى بالصَّراخ فما	يصدُّه كَلَلٌ عنه ولا مَلَل
رَأَيْتَه قد وَهَنَت منه القُوى فهو لى للأرض فعلا يُريه الشَّارب الثَّمَل	
لو يُفْتدى بديوك الأرض قلَّ له	ذاك الفِدا ولكن فاجأ الأجل
قالوا الدَّواء فلم يُغْن الدَّوا ولم	ينفعه من ذاك ما قالوا وسافعلوا

(١) هكذا وردت فى الزيتونة ووردت بحرفه فى الإسكوريال (كلا بهوا) .

أَمَلْتُ فِيهِ ثَوَاباً أَجْرُ مُخْتَسِبٍ إِنْ قَلْتُ ذَلِكَ صَحَّ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ
 وَأَمْرُهُ السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَادِسُ الْمُلُوكِ النَّصْرِيِّينَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ،
 وَقَدْ نَظَرَ إِلَى شُلَيْبٍ^(١) . وَتَرَدَّى بِالثَّلْجِ وَتَعَمَّمَ . وَكَمَّلَ مَا أَرَادَ مِنْ بَزَّتِهِ^(٢)
 وَتَعَمَّمَ ، أَنْ يَنْظُمَ أَبْيَاتاً فِي وَصْفِهِ ، فَتَمَّالَ بِدِيَهَةِ :

وَمَا عِنْدَهُ عِلْمٌ بِطُولٍ وَلَا قِصَرٍ	وَشَيْخٌ جَلِيلٌ الْقَدْرُ قَدْ طَالَ عَمْرُهُ
وَلَيْسَ بِثَوْبٍ أَحْكَمْتَهُ يَدُ الْبَشَرِ	عَلَيْهِ لِبَاسٌ أَبْيَضٌ بَاهِرُ السَّنَا
وَكُسُوتُهُ فِيهَا لِأَهْلِ النَّهْيِ عِبرٌ	وَطَوْرًا تَرَاهُ كُلَّهُ كَاسِيًا بِهِ
لِحَرٍّ وَلَا بَرْدٍ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ	وَطَوْرًا تَرَاهُ عَارِيًا لَيْسَ يَشْتَكِي
عَلَى حَالِهِ لَمْ يَشْكُ ضَعْفًا وَلَا كِبَرَ	وَكَمْ مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَهُوَ كَمَا تَرَى
لِبَهْجَتِهَا فِي الْأَرْضِ ذِكْرٌ قَدْ انْتَشَرَ	فَذَلِكَ شُلَيْبٌ شَيْخٌ غَرْنَاطَةُ الَّتِي
كِبَارُ مَلُوكِ الْأَرْضِ فِي حَالَةِ الصَّغَرِ	بِهَا مَلِكٌ [سَامِي الْمَرَاقِ أَطَاعَهُ] ^(٣)
تَقْيِهِ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ مَا ضَرَرَ	تَوَلَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهُ بِعِصْمَةٍ

نثره

ونثره كثير ما بين مخاطبات وخُطَب [وَمُقَطَّعَات]^(٤) ولعب ، وزرديات
 شأها عجب . فمن ذلك ما مخاطب به الرئيس أبا سعيد بن نصر يستجدي
 أضعحية :

يقول شاكر الأيادي . وذاكر فخر كل نادى ، وناسر غرر العرر
 للعاكف والهادى ، والرايح والغادى . إسمعوا مني حديثاً تلذذ الأسماع ،

(١) شُلَيْبٌ هو الجبل الشهير المعروف على غرناطة ، ويسمى كذلك جبل البلج ، وبإسبانية Sierra Nevada . وقد سبق العلم به (أنبار الملوك الأول من الإحاطة ص ٩٦ حاشية)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريتونة (حرثه) ومنهاتها الاسم المذموم
 أو السحاب الماطر . والأول أرجح .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الرسوبه (ساس الراهر طاعة) .

(٤) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

وَيَسْتَطِرْفُهُ الْإِسْتِمَاعُ . وَيَشْهَدُ بِحُسْنِهِ الْإِجْمَاعُ . وَيَجِبُ عَلَيْهِ الْإِحْتِمَاعُ . وَهُوَ مِنْ
الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَمْ تَنْتَفِقْ إِلَّا لِمِثْلِي . وَلَا ذَكَرْتُ عَنْ أَحَدٍ قَبْلِي . وَدَلِكُ يَا مَعْشَرَ الْأَلْيَا ،
وَالْخُلَصَاءِ الْأَحْيَا . أَنِّي دَخَلْتُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ دَارِي . فِي بَعْضِ أَطْوَارِي ،
لَأَقْضِيَ مِنْ أَخَذِ الْغِذَاءِ أَوْطَارِي . عَلَى حَسَبِ أَطْوَارِي . فَقَالَتْ لِي رَبَّةُ
الْبَيْتِ ، لَمْ جِئْتُ . وَتَبَا أَتَيْتُ . قُلْتُ جِئْتُ لَكَذَا وَكَذَا فَهَاتِ الْغَدَا ،
فَقَالَتْ لَا غَدَا لَكَ عِنْدِي الْيَوْمَ . وَلَوْ أَوْدَى بِكَ الصَّوْمُ . حَتَّى تَسَلَّ
الِاسْتِخَارَةَ ، وَتَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ زَوْجُ الْجَارَةِ ، طَيِّبَ اللَّهُ نِجَارَهُ . وَمَلَأْ
بِالْأَرْزَاقِ وَجَارَهُ . قُلْتُ وَمَا فَعَلَ قَرِينِي . وَأَرْنِي مِنَ الْعَلَامَةِ مَا أَحْبَبْتَ [أَنْ]
تَرِينِي . قَالَتْ إِنَّهُ فَكَّرَ فِي الْعِيدِ . وَنَظَرَ فِي أَسْبَابِ التَّعْيِيدِ . وَفَعَلَ فِي ذَلِكَ
مَا يَسْتَحْسِنُهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ . وَأَنْتِ قَدْ نَسِيتَ ذِكْرَهُ ؛ وَمَحْوَتُهُ مِنْ بَالِكَ ،
وَلَمْ تَنْظُرِي إِلَيْهِ نَظْرَةً بَعِينٍ اهْتِبَالِكَ . وَعِيدِ الْأَضْحَى فِي الْيَدِ . وَالنَّظَرُ فِي
شِرَاءِ الْأَضْحَى الْيَوْمَ أَوْفَقُ مِنَ الْعَدِّ . قُلْتُ صَدَقْتَ ، وَبِالْحَقِّ نَطَقْتَ ،
بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، وَشَكَرَ جَمِيلَ تَحْفِيكَ . فَلَقَدْ نَبَّهْتَ بَعْلِكَ لِإِقَامَةِ السَّنَةِ ،
وَرَفَعْتَ عَنْهُ مِنَ الْغَفْلَةِ مَنَّةً . وَالْآنَ أَسِيرُ لِأَبْحَثَ عَمَّا ذَكَرْتَ . وَأَنْظُرُ فِي
إِحْضَارِ مَا إِلَيْهِ أَشْرْتُ . وَبِتَأَنِّي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِسَعْدِكَ . وَتَنَالِيْنِ فِيهِ مِنْ
بَلُوْغِ الْأَمْرِ غَايَةِ قَصْدِكَ . وَالْجَدُّ لَيْسَ مِنَ الْهَزْلِ ، وَالْأَضْحَى لِلْمَرْأَةِ وَلِلرَّجُلِ
الْغَزْلُ . قَالَتْ دَعْنِي مِنَ الْخَرَافَاتِ . وَأَخْبَارِ الزَّرَّافَاتِ . فَإِنَّكَ حَلَوُ اللِّسَانِ ،
قَلِيلُ الْإِحْسَانِ . تَخَذْتُ الْغُرْبَةَ صُحْبَتَكَ إِلَى سَاسَانِ . فَتَهَاوَنْتِ بِالنِّسَا ،
وَأَسَاتُ فِيمَنْ أَسَا . وَعُوْدْتُ أَكَلِ خُبْزِكَ فِي غَيْرِ مَنْدِيلِ . وَإِيقَادِ الْفَتِيلِ
دُونَ قَنْدِيلِ ، وَسُكْنَى الْخَانِ . وَعَدَمِ ارْتِفَاعِ الدُّخَانِ . فَمَا تَقِيْمِ مَوْسِمَا ،
وَلَا تَعْرِفِ لَهُ مَيْسِمَا . وَأَخَذْتُ مَعِيَ فِي ذَلِكَ بِطَوِيلٍ وَعَرِيضٍ . وَكَلَانَا فِي
طَرَفِي نَقِيضٍ . إِلَى أَنْ قُلْتُ هَا إِزَارُكَ وَرِدَائِي ، فَقَدْ تَفَاقَمَ بِكَ أَمْرُ دَائِي ،

وما أظنك إلا بَعْضُ^(١) أعدائي . قالت مالك والازار ، شطُّ بك المزار ،
 لعلك تريد إرمانه في الأضحية والأبزار ، أخرج عني يا مقيت ، لا عميرتُ
 معك ولا بقيت ، أو علمت الدين ، وأخذ الورق بالعين . يلزمني صوم
 سنة ، لا أغفيتُ معك سنة ، إلا إن رجعت بمثل ما رجعت به زوج جارتى ،
 وأرى لك الرِّيح في تجارتى . ففقت عنها وقد لَوَتْ رأسها وولولت^(٢) ،
 وابْتَدَرَتْ وهزلت ، وجالت في العتاب ووصلت ، وضمت بنتها وولدها ،
 وقامت باللَّجج ، والانتصار بالحُجج أوْدها ، فلم يسعني إلا أن عدوت
 أطوف السكك والشوارع ، وأبادر لما غدوت بسبيله وأسارع ، وأجوب
 الآفاق ، وأسبل الرفاق ، وأخترق الأسواق ، وأقتحم زريبة بعد زريبة ،
 وأختبر منها البعيدة والقريبة ، فما استرخضته استنقصته ، وما استغليته
 استعليته ، وما وافق غرضي ، اعترضني دونه عَدَمُ غرضي ، حتى انقضى
 ثلثا يومي ، وقد عيّيت بدوراني وهوى ، وأنا لم أتحصل من الابتياح على
 فائدة ، ولا عادت عليّ فيه من قضاء الأرب عائدة ، فأومأت الإياب ، وأنا
 أجد من خوفها ، ما يجد صغار الغنم من الدُّئاب ، إلى أن مررت بقصّاب
 [يقصب]^(٣) في مَجْزَرِه ، قد شدَّ في وسطه ميْزره ، وقصّر^(٤) أثوابه حتى
 كشف عن ساقيه ، وشمر عن ساعديه حتى أبدى مرفقيه ، وبين يديه عنز
 قد شدَّ يديه في رقبته^(٥) ، وهو يجذبه فيبْرُك ، ويجره فما يتحرك ، ويروم
 سيّره فيرجع القهقري ، ويعود إلى ورا ، والقصّاب يشدُّ على إزاره ، خيفة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (من جملة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (وولت) .

(٣) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (وربط) .

(٥) وردت في الإسكوريال (روقه) . والتصحيح من الزيتونة .

من فِراره ، وهو يقول : اقتله من جانِّ باغٍ ، وشيطان طاغٍ ، ما أشدّه
وما ألدّه ، وما أصدّه ، وما أجلّه ، وما أكثره بشخْم ، وما أطيبه بلحم ،
الطلاق يلزمه ، إن كان عاين تَيْساً مثله أو أَضْحِيَّة تشبهه قبله ،
أَضْحِيَّة حَفِيلَة ، ومنحة جليلة . هُنَّا اللهُ من رُزْقها ، وأخلف عليه رِزْقها .
فاقتحمت المَزْدَحَم ، أنظر مع من نظر ، وأختبر فيمن اختبر . وأنا والله
لا أعرف في التّقليب والتّخمين . ولا أفرّق بين العجف والسّمين ، غير أنّي
رأيت صورة دون البَغْل وفوق الحمار ، وهيكلا يُخبرك عن صورة العُمّار ،
فقلت للقصاب كم طَلَبك فيه ، على أن تُمهّل الثّمن حتّى أوفيه ، فقال
ابغني فيه أجيرا ، وكن له الآن من الذّبح مُجيرا ، وخُذْه بما يُرضى ، لأوّل
التّقضى . قلت استمع الصوت ، ولا تخفّ الفوت . قال ابتغّه مني نسيّة
وخُذْه هديّة ، قلت نعم ، فشقّ لي^(١) الضمير . وعاكسني فيه بالنّقيير
والقَطْمير . قال تضمن لي فيه عشرين دينارا^(٢) أقبضها منك لانقضاء
الحول دُنَيْراً دُنَيْراً^(٣) . قلت إنّ هذا لكثير ، فاسمح منه بإحاطة اليسير .
قال والذي فَلَقَ الحِجّة ، وبرأ النّسمة ، لا أنقصك من هذا ، وما قلت لك
سِمِسمَة ، اللهم إن شئت السّعة في الأجل . فأنقضى لك ذلك دون أجل ،
فجلبني للابتّيع منه ، الإنساء في الأمَد^(٤) . وغلبنى بذلك فلم أفقر منه
لرأى والد ولا وَلَد ، ولا أحوجت نفسي في ذلك لمشورة أحد ، وقلت قد
اشتريته منك ، فضّع البركة ، ليصحّ النّجح في الحركة . فقال فقيه ،
بارك الله فيه ، قد بعته لك . فاقبض متاعك . وثبّت ابتياعك . وها هو في

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فشقي) .

(٢) وردت في الإسكوريال (كبارا) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (دينار دينار)

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأجل) والمؤدى واحد

قَبْضِكَ ، فاشدُّذْ وثاقه ، وهلمَّ لنعتقد عليك الوثاقه . فأنحدرت معه لكان
التوثيق ، وابتدرت من السَّعة إلى الضيق ، وأوثقني بالشَّاة تحت عَمْدٍ وثيق ،
وحملني من ركوب الدين ولحاق الشين في أوعر طريق . ثم قال لي هذا
تَيْسُكَ فشأنك وإياه ، وما أظنك إلا تَعْصِياه ^(١) ، وأتِ بحمالين أربعة ،
فإنك لا تقدر أن ترفعه ، ولا يتأتى لك أن يتبعك ولا أن تتبَّعه ، ولم يبق
لك من الكُلْفَة إلا أن يَحْضُلَ في محلِّك ، فيكْمُلُ سرورُ أهلِكَ . وانطلقت
للحمَّال ، وقلت هلم إليَّ ، وقم الآن بين يديَّ ، حتى انتهينا إلى مَجْزرة
القصَّاب ، والعنزُ يُطلب فلا يُصاب ، فقلت أين التيس يا أبا أويس .
قال إنه قد فرَّ ، ولا أعلم حيث استقرَّ . قلت أتضيع عليَّ مالى ، لنخيب
أمالى ، والله لا يُحزنك بالعصا كمن عصا ، ولا رَفَعْتُكَ إلى الحُكَّام ، تُجرى
عليك منهم الأحكام . قال مالى علم به ، ولا بمنقَلِيه ، لعلَّ فرَّ لأُمَّه وأبيه ،
وصاحِبَتَه وبَنِيه ، فعليك بالبرِّيح . فاتجهت أنادى بالأسواق ، وجيران
الزُّفاق ، من تُتَمِّف لي تَيْساً فله البشارة ، بعد ما أتى بالأماره ، وإذا بِرَجُلٍ
قد خرج من دهليز ، وله هدير وهزيز ، وهو يقول من صاحبُ العنزِ
المشوم ، لا عَدِمَ به الشُّوم ، إن وَقَعْتُ عليه عيني ، يرتفع الكلام بينه
وبيني . قلت أنا صاحبه فما الذى دَهاك منى أو بلغك عنى . قال إن عَنَزَكَ
حين شَرَدَ ، خرج مثل الأسد ، وأوقع الرَّهَجَ ^(٢) في البلد ، وأضرَّ بكلِّ أحد ،
ودخل في دهليز الفخَّارة ، فقام فيه وقعد ، وكان العمل فيه مطبُوخاً ونياً ،
فلم يترك منه شياً ، ومنه كانت مَعِيشَتِي ، وبه استقامت عِيشَتِي ، وأنت
ضامن مالى ، فارتفع معى إلى الوالى ، والعنزُ مع هذا يَلُور وسط الجمهور ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (إلا أنك تنمأه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الرهجة) .

ويُكرِّ كَرَّةً العِفْرِيَتِ المزجور ، ويأتى بالكسر على ما بقى فى الدهليز من الطَّوَّاجِنِ والقُدُورِ ، والخَلْقُ قد انحسروا للضجيج ، وكثُر العِياط والعَجيج وأنت تعرف عَفْرطة الباعة ، وما يحوون من الوضاعة ، وأنا أحاول من أَخَذَهُ ما أستطيع ، وأروم الإطاعة من غير مُطيع ، والباعة قد أَكْسَبَتْهُ من الحمافة ، ما لم يَكُنْ لى به طاقة . ورجل يقول المُحتسب ، واعرف ما تَكْتَسِب ، وإلى من تَنْتَسِب ، فقد كثر عنده بك التشكى ، وصاحب الدهليز قُبَالَتِهِ يبكى ، وقد وَجَدَ [عنده] ^(١) عليك وَجَدَ الشكوى ، وأيقن أنك كَسَرْتَ الدَّعْوَى ، وأمر بإحضارك ، وهو فى انتظارك ، فشدَّ وَسْطَكَ ، واحفظ لِبَطَّكَ ، وإنك تقوم على من فتح باعه للحكم على الباعة ، ونُصِبَ لأرباب البراهين على أرباب الشواهيْن ، ورفع على طبقة ، ليملاً طبقة ، ثم أمسكنى باليمين ، حتى أَوْصَلْنِي لِلْأَمِينِ ، فقال لى أرسلت التيس للفساد كأنك فى نِعَمِ الله من الحُسَادِ . قلت إنه شَرَدَ ، ولم أدر حيث وَرَدَ ، قال ولم لا أخذت ميثاقه ، ولم تشدّد وِثاقه ، يا شرطى طَرَّدَهُ ، واطرح يدك فيه وجَرَّدَهُ . قلت أتجرّدنى الساعة ، ولست من الباعة ، قال لا بدّ من ذاك أو تضمن ما أفسده هناك . قلت الضّمان الضّمان ، الأمان الأمان . قال قد أُمِنْتُ لِنَضَمِنْتَ ، وعليك الثّقاف ، حتى يقع الإنصاف ، أو ضامنٌ كاف ، فابتدر أحد إخوانى ، وبعض جيرانى ، فأدّى عني ما ظهر بالتّقدير ، وآلت الحال للتكدير . ثم أردت الانصراف بالتّيس ، لا كان كيانه ، ولا كوّن مكانه ، وإذا بالشرطى قد دار حولى ، وقال لى كُلفَ فعلى باداء جَعَلِى ، فقد عطّلت من أجلك شُعْلَى ، فلم يك عندى بما تكسر سورته ، ولا بما تُطفئ جَمْرَتَهُ ، فاسترهن مِيزَرى فى بيته لياخذ مايته ^(٢) . وتوجّهت لدارى ، وقد

(١) زائدة فى الزيتونة . (٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (هافته) .

تَقَدَّمَتْ أَخْبَارِي . وَقَدَّمَتْ بُغْيَارِي . وَتَغَيَّرَ صِغَارِي وَكِبَارِي . وَالتَّيْسُ عَلَى
كَاهِلِ الْحِمَالِ ، يَرْغُو كَالْبَعِيرِ . وَيَزَارُ كَالْأَسَدِ إِذَا فُصِلَتْ الْعِيرُ . فَلَقْتُ
لِلْحِمَالِ إِنْزَلَهُ عَلَى مَهَلٍ . فَهَلَالٌ^(١) التَّعْيِيدُ قَدْ اسْتَهَلَّ ، فَحِينَ طَرَحَهُ فِي
الْأُسْطُوَانِ . كَرَّ إِلَى الْعُدُونِ ، وَصَرَخَ كَالشَّيْطَانِ . وَهَمَّ أَنْ يَقْفِيزَ الْحَيِطَانَ ،
وَعَلَا فَوْقَ الْجِدَارِ ، وَأَقَامَ الرَّهْجَةَ فِي الدَّارِ ، وَلَمْ تَبْقَ فِي الزَّرْقَاقِ عِجُوزٌ
إِلَّا وَصَلَتْ لَتْرَاهُ ، وَتَسَلَّ عَمَّا اعْتَرَاهُ ، وَتَقُولُ بِكُمِ اشْتَرَاهُ ، وَالْأَوْلَادُ قَدْ
[دَارَتْ بِهِ]^(٢) ، وَأَرْهَقَهُمْ لُفُّهُ ، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمْ خَوْفُهُ ، فَابْتَدَرَتْ رَبَّةُ
الْبَيْتِ . وَقَالَتْ كَيْتُ وَكَيْتُ ، لَا خَلٌّ وَلَا زَيْتُ ، وَلَا حَيٌّ وَلَا مَيْتُ ،
وَلَا مَوْسِمٌ وَلَا عَيْدُ ، وَلَا قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدُ . سُقَّتَ الْعِصْرِيَّتُ إِلَى الْمَنْزَلِ ،
وَرَجَعَتْ بِمَعْرُولٍ ، وَمَنْ قَالَ لَكَ اشْتَرِهِ ، مَا لَمْ تَرَهُ ، وَمَنْ قَالَ لَكَ سُقَّهُ
حَتَّى تَوَثَّقَهُ ، وَمَتَى تَفْرَحَ زَوْجَتُكَ ، وَالْعَنْزُ أَضْحَيْتِكَ ، وَمَتَى تُطْبِخَ الْقُدُورُ
وَوَلَدُكَ مِنْهُ مَعْذُورٌ . وَبَأَى قَلْبُ تَأْكُلَ الشَّوْيَةَ ، وَلَمْ تَخْلُصْ لَكَ فِيهِ النِّيَّةُ
وَاقِلَّةُ سَعْدِهَا ، وَأَخْلَفَ وَعْدِهَا . وَاللَّهُ لَوْ كَانَ الْعَنْزُ يُخْرِجُ الْكَنْزَ ، مَا عَمَرَ
لِي دَارًا . وَلَا قُرْبَ لِي جَوَارًا ، أَخْرُجْ عَنِّي يَا لَكَيْعٍ ، فَعَلَّ اللَّهُ بِكَ وَصَنَعَ ،
وَمَا حَبَسَكَ عَنِ الْكِبَاشِ السَّمَانِ . وَالضَّانُّ الرِّفِيعَةُ الْأَثْمَانُ ، يَا قَلِيلَ التَّحْصِيلِ ،
يَا مَنْ لَا يَعْرِفُ الْخِيَاطَةَ وَلَا التَّفْصِيلَ . أَذَلِكَ عَلَى كَبْشِ سَمِينٍ . وَاسِعِ
الصَّدْرِ وَالْعَجِينِ . أَكُنْخَلُ عَجِيبٍ . أَقْرَنَ مِثْلَ كَبْشِ الْخَطِيبِ . يَغْبَقُ مِنْ
أَوْدَاكِهِ كُلُّ طَيْبٍ . يَغْلِبُ شَحْمُهُ عَلَى لَحْمِهِ . وَيَسِيلُ الْوَدَكُ مِنْ عَظْمِهِ ،
قَدْ غُلِفَ بِالشَّعِيرِ ، وَدُبِّرَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ تَدْبِيرٍ . لَا بِالصَّغِيرِ وَلَا بِالْكَبِيرِ ،
تَصْلُحُ مِنْهُ الْأَلْوَانُ . وَيُسْتَطَرَفُ شِرَاهُ فِي كُلِّ أَوَانٍ . وَيُسْتَحْسَنُ ثَرِيادُهُ

(١) وَ دَت فِي الْإِسْكُورِيَالِ (٤٠ - ٤١) وَ تَصَوَّبَ مِنْ التَّرِيئَةِ .

(٢) تَزْيَادَةُ مِنَ التَّرِيئَةِ

وقلبه في سائر الأحيان . قلت بَيِّنْ لي قولك . لَأَتَعَرَّفَ فِعْلَكَ . وأين
تُوجد هذه الصِّفة . يا قليلة المَعْرِفة . قالت عند مولانا ، وَكَهْفُنَا وَمَاوَانَا
الرئيس الأعلى ، الشَّهاب الأَجَلَى ، القمر الزَّاهِر . الملك الظَّاهِر ، الذي
أعزَّ المسلمين بِنِعْمَتِهِ ، وأذلَّ المشركين بِنِقْمَتِهِ . واسترسل في المدح فأطال
وفيما ثَبَّتَ كِفَايَةَ .

وفاته

في كايئة الطاعون ببُلْدِهِ بَلَّش في أواخر عام خمسين وسبعماية ودفن بها .

عبد الله بن إبراهيم بن وَزْمَرِ الحِجَارَى ^(١) الصَّنْهَاجِي

الأديب المصنف ، يكنى أبا محمد .

حاله وأوليته

أبو أديب مدينة الفرج بوادي الحجارة ^(٢) ، المصنَّف للمأمون بن
ذِي النون ^(٣) كتاب « مغنيطاس الأفكار فيما تحتوى عليه مدينة الفرج
من النظم والنثر والأخبار » ، وكان أبو محمد هذا ما هراً ، كاتباً ، شاعراً ،
رحَّالاً . سكن مدينة شَلْب ^(٤) . بعد استيلاء العدو على بلاده « بالشَّغَر » .

(١) نسبة إلى مدينة « وادي الحجارة » .

(٢) مدينة الفرج هو اسم يطلق على مدينة وادي الحجارة وبالإسبانية Guadalajara وهي مدينة أندلسية حصينة ، تقع على أحد أفرع نهر التاجه على مقربة من منابعه جنوبي النهر الأعلى . وكانت أيام المسلمين من المواقع الأندلسية الأمامية ، ونشبت حولها خلال العصور المتوالية ، وقائع عديدة بين المسلمين والنصارى .

(٣) المأمون بن ذِي النون ، هو من ملوك الطوائف ، وقد حكم طليطاة من سنة ٤٣٥ إلى سنة ٤٦٧ هـ وكان من أعظم ملوك بني ذِي النون ، وأعظم ملوك الطوائف .

(٤) شَلْب Silves هي مدينة صغيرة . بولاية الغرب الأندلسي تقع جنوبي البرتغال ، وإليها ينتسب الشاعر الكبير ابن عمار ، وقد كانت أيام بني هبادة قاعدة منطقة الغرب القصوى ، وما زالت بها بعض أطلال قصر الشراييت الشهير .

وله في التَّحْوُلُ أشعار وأخبار . قَدَمَ غرناطة ، وقصد عبد الملك بن سعيد صاحب القلعة^(١) من بُنَيَّاتِهَا : واستأذن عليه في زىٌ موحِش ، واستخَفَّ به القاعدون ببابه ، إلى أن لطف بعضهم ، وسأله أن يُعرِّف به القايد ، فلما بُلِّغَ عنه ، أمر بإدخاله . فأنشده قصيدة مطلعها :

عليك أحوالي الذِّكر الجميل فجيتُ ومن ثنائِك لي دَلِيل
أتيتُ ولم أقدم من رسول لأنَّ القلب كان هو الرُّسُول
منها في وصف زِيَّة البدوي المُستقل وما في طيِّه :

ومثِّلني بَدَنٌ فيه خمر يخف بها ومنظَره ثَقِيل
فأكرم نَزْلَه ، وأحسَنَ إليه ، وأقام عنده سنة ، حتى أَلَّفَ بالقلعة كتاب « المُشهب في غرايب المَغْرِب » ، وفيه التَّنبيه على الحُلَى البِلادية والعبادية . وانصرف إلى قصد ابن هود برُوضة ، بعد أن عدَّله عن التَّحْوُل عنه ، فقال النَّفس تَوَاقَّة ، ومالي بالتَّغْرُب طاقة ، ثم أفكَّر وقال :

يقولون لي ماذا الملال تقيم في محلٍّ فعند الأُنس تذهب راحلا
فقلت لهم مثل الحمام إذا شدا على غُصْنٍ أَمْسَى بآخر نازلا

نكبتَه

قال علي بن موسى بن سعيد^(٢) : ولما قصد الحِجَارَى رُوضة . وحلَّ

(١) القلعة أو قلعة بني سعيد أو قلعة يحصب ، وهي الآن Alcalá la Real (القلعة الملكية) بلدة حصينة تقع شمالي غرناطة . وقد سبق التعريف بها (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١١١ حاشية) .

(٢) علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي من سادة قلعة بني سعيد التي سبقت الإشارة إليها . وهو أديب ورحالة . وسليل أسرة من الأدباء والمؤرخين ، وهو آخر من صنف من أسرته كتاب « المغرب في حلل المغرب » الشهير ، والذي توالى على تصنيفه عدة من أسرته أسرته . وقد توفي بدمشق سنة ٦٧٣ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد .

لدى أميرها المستنصر بن عماد الدولة بن هود^(١) . وتحرك لغزو من قصده من البشكنس^(٢) ، فهزم جيشه ، وكان الحِجاري أحد من أسر في تلك الواقعة ، فاستقر ببسقية^(٣) ، وبقي بها مدة ، يُحرِّك ابن هود بالأشعار ويحثه على خلاصه من الأسار ، فلم يجد عنده ذمامة ، ولا تحرك له اهتمامه ، فخطب عبد الملك بن سعيد بقوله :

أصبحت في بسقية مسلماً إلى الأعدى لا أرى مسلماً
مكلفاً ما ليس في طاقتي مُصفاً مُنتهراً مُرعماً
أطلب بالخدمة واحسرتي وحالتي تقضى بسان أخدما
[فهل كريم يرتجى للأسير يفكه أكرم به مُنتماً]^(٤)

وقوله :

أرئيس الزمان أغفلت أمرى وتلذذت تاركاً لي بأسر
ما كذا يعمل^(٥) الكرام ولكن قد جرى على المعود دهرى
فاجتهد في فدايه ، [ولم يمر شهر]^(٦) إلا وقد تخلص من أسره ،

(١) المستنصر بن هود ولد عماد الدولة عبد الملك بن المستنير بن هود ، وهو آخر بني هود ملوك سرفطة . وكان بعد سقوط سرفطة في أيدي المرابطين (سنة ٥٠٣ هـ) قد لجأ إلى بلدة روضة الحصينة الواقعة على نهر خالون جنوبي سرفطة واستقر بها . ولما توفي خلفه في الإمارة ولده أبو جعفر أحمد الملقب بسيف الدولة المستنصر بالله ، واستمر في حكم روضة وما حولها تحت حماية ملك أراجون حتى خلع عنها سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) .

(٢) البشكنس Vascones هم سكان مملكة ولاية نذار (نبوة) الواقعة شمال غرب الثغر الأعلى بين سفوح البرية وخليج غسقونية .

(٣) بسقية وبالإسبانية Vizcaya ، هي إحدى ولايات مملكة نافاراو نبرة ، السالفة الذكر .

(٤) هكذا ورد هذا البيت في الزيتونة . وفي الإسكوريال كالاتي (فهل كريم يرتجى له نكاح يا أكرمهم منّا) وهو نص محرف .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (ويفعل) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالاتي (ولم تمر به أشهر)

واستقرّ لديه . فكان طليق آل سعيد . وفيهم يقول

وجدت سعيداً مُنجباً خيراً عُصبة هم في نبي أعصارهم ^(١) كالمواسم
مُشَنَّفَةٌ أَسْمَاعُهُمْ بِمَدَائِحِ ^(٢) مُسَوَّرَةٌ أَيْمَانُهُمْ بِالصُّورَامِ
[فكم لهم في الحرب من فضل ناثِرٍ وكم لهم في السلم من فضل ناظِمٍ] ^(٣)

تواليفه

وتواليفه الججاري بديعة . منها « الحديقة » في السديع . وهو كتاب مشهور . ومنها « المسهب في غرائب ^(٤) المغرب » . وافتتح خطبته بقوله : « الحمد لله الذي جعل العباد من البلاد بمنزلة الأرواح من الأجساد ، والأسياف من الأغمداد » . وهو في ستة مجلدات ^(٥) .

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد
ابن الخطيب السلّماني

يكنى أبا محمد .

« أَوْلَيْتُهُ » ، تُنْظَرُ فِي اسْمِ جَدِّهِ .

حاله

حسن الشّكل . جيّد الفهم ، يُعْطَى مِنْهُ [رِمَاذُ] ^(٦) السُّكُونُ جُمُورُهُ حَرَكَةٌ ، مُنْقَبِضٌ عَنِ النَّاسِ . قَلِيلُ الْبَشَاشَةِ . حَسَنُ الْخَطِّ . وَسَطُ النَّظْمِ . كَتَبَ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي كتاب المغرب (أزماهم)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي كتاب المغرب (بفضاير)

(٣) هذا البيت وارد في كتاب المغرب ، وساقط في الإسكوريال والزيتونة

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي المغرب « فضاير » .

(٥) لم يذكر لك ابن الخطيب تاريخ وفاة الججاري وقد توفي في سنة ٥٢٠ هـ (١١٥٥ م)

(٦) الزيادة من نفع الطيب

عن الأمراء بالمغرب ، وأنشدتهم . واقتضى خلعهم وصكوكهم بالإنقطاع والإحسان . ثم لما كانت الفتنه ، كتب عن سلطان وطنه ، مُعزَّز الخُطَّة بالقيادة ، وأنشدتهم .

مشيخته

قرأ على قاضى الجماعة ، الشيخ الأستاذ الخطيب أبى القاسم الحسنى ، والأستاذ الخطيب أبى سعيد فرج بن لب التَّغْلِبي ، واستظهر بعض المبادئ فى العربية ، واستُجيز له من أدركه ميلادُه من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره مُترَفِّع عن الوَسَط إلى الإِجَادَة ، بما يكفله ^(١) عُنْرُ الحَدَاثَة ، وقد ثَبَت فى اسم السلطان لهذا العهد ، أبى عبد الله بن نصر ، أيدَه الله ، ما يدل على جودة قَرِيحَتِه ، وذِكاؤه طَبْعُه . ومما دَوَّن الذى ثَبَت له حيث ذكر قوله :

لِمَنْ طَلَّلَ بِالرَّقْمَتَيْنِ مُحِيلَ عَفَّتْ دِمْنَتَيْهِ شِمَالٌ وَقَبُولُ
يلوح كباقي الوَشْمِ غَيْرُهُ الْبَلَى وجادت عليه السُّحْبُ وَهِيَ هَمُولُ
فِيَا سَعْدُ مَهْلًا بِالرُّكَّابِ لَعَلَّنَا نُسَايِلُ رَبْعًا فَاَلْمَحِبُّ سَسْئُولُ
قِفِ الْعَيْسَ نَنْظُرُ نَظْرَةَ تُذْهِبُ الْأَسَى وَيُشْفَى بِهَا بَيْنُ الضُّلُوعِ غَلِيلُ
وَعَرَّجْ عَلَى الْوَادِي الْمَقْدِسِ بِالْحِمَى فطاب لديه مَرْبَعٌ وَمَقْيِيلُ
فِيَا حَبْدًا تَلِكُ الدِّيَارِ وَحَبْدًا حديثُهَا لِلْعَاشِقِينَ طَوِيلُ
دَعَوْتُ لَهَا سَتِيًّا الْحِمَى [عِنْدَمَا سَرَى] ^(٢) وَمِيْضٌ وَعَرْفٌ لِلنَّسِيمِ عَلِيلُ
وَأَرْسَلْتُ دَمْعِي لِلْغَمَامِ مُسَاجِلًا فَسَالِ عَلَى الْخَدَيْنِ مِنْهُ مَسِيلُ

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (يكلفه) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النسخ مكانها كلمة (وربوعه)

فأصبح ذاك الرُبْع من بعد مَحَله رياضاً لها الغُصن المُرُوح^(١) يميل
لَيْن حال رَسَم الدار عما عَهدته فعَهدُ الهوى في القلب ليس يَحُول
ومما شَجَانِي بعد ما سَكَن الهوى بكاء حَمَامات لَهَنَ هَدِيل
توسَّدن فَرع البان والنَّجم مايل وقد آن من جيش الظلام رَحِيل
فيا صاحبي دَعُ عَنْكَ لومى فَإِنَّه كلامٌ على سَمع المُحِبِّ ثَقِيل
تقول اصطباراً عن مَعَاهِدِكَ الأُلَى وهيهات صَبْرِي^(٢) ما إِلَيْهِ سَبِيل
فلله عِيناً من رَأَى وللأسَا غَدَاة اسْتَقَلَّتْ بِالْخَلِيطِ^(٣) حُمُول
يُطَاوِل ليل التَّم منى مُسْهَد^(٤) وقد بان عَنى مَنْزِلٌ وَخَلِيلٌ
فِياليت شعرى هل يَعودُنَّ ما مَضَى وهل يَسْمَحَنَّ الدهر وهو بِخِيلِ^(٥)

نشره

أجابني لما خاطبتُ الجُملة من الكُتَّاب ، والسلطان رضى الله عنه ،
بالمُنْكَب . فى رحلة أَعْمَلُهَا بما نصه :

« لله من فَدَّة المعانى ، حيث مَشُوق الفؤاد عانى . لما أَنارت بها المَعَانِي ،
غَنِين عن مُطَرَّب الأَغَانِي ، يا صاحِب^(٦) الإِدْعَانِي ، أَجِبْ بالله من دَعَانِي ،
إِذَا صِرت من كثرة الأَمَانِي . بالشوق والوجد مثل مَانِي . وَرَدَّتْ سَحَابَات
سِيدِي التى أَنشأتْ لَعَمَام الرحمة . عند اشتداد الأَزْمَةِ رِياحاً . ومَلَأَتْ

(١) هكذا فى الإسكوريال والنفع . وفى الزيتونة (الرطب) .

(٢) هكذا وردت فى الزيتونة والنفع . وفى الإسكوريال (يكي) . والأول أرجح .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى النفع ، ووردت فى الزيتونة (بنحيط) .

(٤) وردت فى الإسكوريال والزيتونة (سمدا) والنصح من النفع .

(٥) نشرت القصيدة بأكملها فى نفع الطيب (ج ٤ ص ٣٦٨-٣٦٩) وهى فى مسمى بيب .

(٦) هكذا وردت فى الزيتونة ، وفى الإسكوريال (يا صاحبي) .

العيون محاسناً ، والصُّدُور انشراحاً ، وأصبح رحيب قِرطاسها ، وعميم فضلها [ونوالها]^(١) ، وأيناسُها لفرسان البلاغة ، مَغْدَى ومَرَاخٍ . فلم أذُر أَصْحِيفَةً نُسِخت مسطورة ، أم رَوْضَةٌ نُفِحت مَمْطُورَةٌ ، أَطِيبُ من المِسْك مُنْتَشِقًا ، وَأَحْسَنُ من السِّلْك مُتَسَقًا ، فَمَلَكْتُهَا مَقَادَةَ خَاطِرِي ، وَأَوْدَعْتُهَا سَوَادَ قَلْبِي وَنَاظِرِي ، وَطَلَعْتُ عَلَى طُلُوع الصُّبْح ، عَلَى عَقَبِ السُّرَى ، وَخَلَصْتُ خُلُوصَ الْخِيَالِ مَعَ سِنَةِ الْكَرَى . فَلِلَّهِ مَا جَلَبَتْ مِنْ أَنْس ، وَأَذْهَبَتْ لِطَايِفَةِ الشَّيْطَانِ مِنْ مَسٍّ ، وَهَاجَتْ مِنَ الشُّوقِ ، الَّذِي شَبَّ عَمْرُهُ عَنِ الطُّوقِ ، وَالْوَجْدُ الَّذِي أَصْبَحَ وَارِي الزَّنْدِ . فَاقْسَمَ بِبَارِي النَّسَمِ ، وَوَاهِبِ الْحُظُوظِ وَالْقَسَمِ ، لَوْ أُعْطِيتُ لِلنَّفْسِ مَقَادَتَهَا ، وَسُوءُغْتُهَا إِرَادَتَهَا ، مَا قَنِعْتُ^(٢) بِنِيَابَةِ الْقِرْطَاسِ وَالْمِدَادِ ، عَنْ مُبَاشَرَةِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ ، وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَقَبَةَ لِلشُّعِيرِ ، وَرَأْسَ الْمَزَادِ [وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ وَزَادَ]^(٣) ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ بِأَذْخٍ ، وَطَوْدٍ شَامَخٍ ، قَدْ أَذْكَرْتَ الْعِقَابَ عُقَابَهُ ، وَصَافَحْتَ النُّجُومَ هَضَابَهُ ، قَدْ طَمَحَ بِطَرْفِهِ . وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ ، وَسَالَ الْوَقَارَ عَلَى عَظْفِهِ :

مَلَكْتُ عَيْنَانَ الرِّيحِ^(٤) رَاحَتَهُ فَجِيادُهَا مِنْ تَحْتِهِ تَجْرِي
وَأَمَّا الْحَمَلُ^(٥) الْهَاجِجُ ، وَالْبَحْرُ الْمُتَمَاجِجُ ، وَالطَّلُّ الْمَائِلُ ، وَالذَّنَبُ
الشَّائِلُ ، فَمُسَاجِلَةٌ مَوْلَايَ فِي ذَلِكَ الْمَجَالِ ، مِنَ الْمَحَالِ ، إِذِ الْعِدْدُ قُصَارَاهُ
الْفَافِظُ مَرْكَبَةٌ ، غَيْرُ مَرْتَبَةٍ :

هُوَ جَهْدُ الْمُقِيلِ وَافَاكَ مَنِيَّ إِنَّ جُهِدَ الْمُقِيلِ غَيْرُ قَلِيلِ

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (تمت) .

(٣) هذه العبارة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الرمح) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (الجمال) .

وأقرأ على مولاى ، أبقاءه الله . سلاما عميما ، تنسم روضه نسيما ،
ورفّ نظره ، وعبق شميما ، والأوفر الأذكى منه عليه مُعادا ، ما سَحَّ
السحاب إرعادا ، وأبرق الغمام رعدا والحُسام أبعادا ، ورحمة الله وبركاته .
من عبده الشّيق لوجهه . عبد الله بن الخطيب ، فى الخامس عشر لجمادى
الأولى عام تسعة وستين وسبعماية .

مولده : بحضرة غرناطة . يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة
وأربعين وسبعماية .

عبد الله بن محمد بن سارّه البكرى

شَنَتَرِينِي^(١) ، سكن ألمرية وغرناطة ، وتردّد مادحاً ومنتجماً [شرقاً
ومغرباً]^(٢) ويضرب فى كثير من البلاد .

حاله

كان ذا حظّ صالح من النحو واللغة ، وحفظ الأشعار ، أديباً ماهراً ،
شاعراً مُجيداً ، مطبوع الاختراع والتّوليد . تجوّل فى شرق الأندلس وغربها ،
مُعَلِّماً للنحو ، ومادحاً ولاتها ، وكتبَ عن بعضهم ، وتعيّش بالوراقة زماناً ،
وكان حسن الخطّ ، جيّد النقل والضّبط .

مشيخته

روى عن أبى الحسن بن الأخضر .

(١) نسبة إلى شنترين . وبالبرتغالية Santarem ، وهى بلدة أندلسية قديمة من بلاد
الغرب الأندلسى وتقع على نهر التاجه ، شمال شرق أشبونة .

(٢) الزيادة من الزيتونة .

من روى عنه : روى عنه أبو بكر بن مسعود ، وأبو جعفر بن
الباذش ، وأبو عثمان بن هرون ، وأبو الطاهر التميمي . وأبو العباس بن
علي اللص ، وأبو العلاء بن الجثنان . وأبو محمد بن يوسف القضاعي ،
وإبراهيم بن محمد السبتي .

شعره

وشعره كثير [جيد] ^(١) شهير . منه في جرقة الوراقه قوله :
أما الوراقه فهي أليكة جرقة أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بإبرة خايط يكسو العراة وظهوره عريان
وقال في نجم الرحيم ، وهو من التشبيه العقيم :
وكوكب أبصر العفريت مُسترقاً فانقضى يذكي سريما خلفه طيه
كفارس حل إخصاراً عمامته تجسرُها كلها من خلفه عذبه
وقال منه في المواعظ :
يا من يُصيحُ إلى داعي السُفاد وقد نادى به الناعيان الشيب والكبير
إن كنت لا تسمع الذكر فقيم تبرى في رأسك الواعيان السبع والبقر
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجلٍ لم يهده الخاديان العين والأنسر
لا الدهرُ يبتى على حال ولا الفلك الأعلى ولا النيران الشمس والقمر
لأرحلن عن الدنيا ولو كرهاً فراقها انشاويان البدء والحضر
وقال في موت ابنته له :

ألا ياموتُ كنتُ بنا رؤوفاً فجددت السُرور لنا بزورة
حَمِدنا سعيك المشكور لَمَّا كَفَيْتْ مؤنة وسُرتْ عورة
فأنكحنا الضريح بلا صداق وجهزنا العروس بغير شورة

وفاته

توفي عبد الله بن ساره سنة تسع عشرة وخمسمائة .

عبد الله بن محمد الشراط

يكنى أبا محمد ، من أهل مالقة .

حاله

طالبٌ جليل . ذكى ، مدرك ، ظريف . كثير الصِّلَف والخُتْرانة^(١) والإِزراء بمن دونه ، حادُّ النَّادرة ، مرسلٌ عِنان الدُّعابة . شاعرٌ مُكثّر ، يقوم على الأدب والعربية ، وله تقدُّمٌ في الحساب ، والبرهان على مسائله . استُدعى إلى الكتابة بالباب السلطاني . واخنص بولى العهد . ونيط به من العمل ، وظيفٌ نبيه^(٢) ، وكاد ينمو عُشبه ، ويتأشب^(٣) جاهه ، لو أن الليالي أمهَلته ، فاعتبط لأمد قريب من ظهوره ، وكانت بينه وبين الوزير أبي عبد الله بن الحكيم ، إحنةٌ . تخلَّصه الحمام لأجلها ، من كف انتقامه .

شعره

وشعره كثير ، لكنى لم أنظر منه إلا باليسير . نقلت من خطِّ صاحبنا القاضى المؤرخ أبي الحسن بن الحسن ، من نظم أبي محمد الشراط . فى معنى ، كان أدباء عصره ، قد كلَّسوا بالنظم فيه ، يظهر من هذه الأبيات فى شَمعة :

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزينة (الخدمونة) وآخر هو نث والإفساد ، والمدر أحيان .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، ود الزينة (بيل) .

(٣) من تأشب أى تجمع .

وكننت أَلِفْتُ قبل اليوم إلفاً أنسأدى مسرة فيجيب ألفاً
وكنناً مثل وصل العهد وضلاً وكنناً مثل وصف الشَّهْد وضفا
ففرَّق بيننا صرفُ اللِّيسالى وسوَّغنا كؤوس البَيْن صِرفا
فصِرت غداة يوم البَيْن شَسعا وسار فصار كالْعَسَل المُصَفَّا
فدمعى لا يتم أَسَى وجسمى يُغص^(١) بنار وَجْدَى ليس يُطفا
ثم فى المعنى أيضا :

حالى وحالك أضحى آية عجبا إن كنت مُغرباً أو كنت مُغتربا
إذا دنوتُ فإنى مُشعر طرباً وإن نأيتُ فإنى مُشعل لهباً
كذلك الشَّمع لا تنفكُ حالته إلا إلى الناس مهما فارق الضُّربا
ومن ذلك أيضا :

رحلتُم وخلفتم مَشُوفكم نِسباً رهينَ هيامٍ لا يموت ولا يَحيا
فضاقت على الأرض واعتاص مذهبي وما زلت فى قومي^(٢) ولاضاقت الدنيا
وما باختيارٍ شئت الدهر بيننا وهل يَحِلُّكَ الإنسان من أمره شيئاً
فذا أضلعي لم تَحْبُ من أجلكم جوى وذا أدمعى لم تَأَل من بعدكم جزياً
كأننى شَمْعٌ فى فسوَّادٍ وأدمع وقد فارقتُ من وصلكم رِيّاً
وذكر لى ، أن هذا صدر عنه فى مجلس أنس مع الوزير أبى عبد الله
ابن عيسى بمالقة ، بحضرة طائفة من ظرفاء الأدباء .

وفاته

كان حيا سنة سبعمائة ، وتوفى بغرناطة ، وهو على حاله من الكتابة ،
رحمه الله .

(١) هكذا وردت فى الزيتونة ، وفى الإسكوريال (ينط) والأول أرجح .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (نوى) .

عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان التجارى^(١)

يكنى أبا القاسم ، ويعرف باسم جدّه ، من أهل مالقة ، وصاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب .

حاله

هذا الفاضل نسيحٌ وحده : فهماً وانطباعاً ، ولو ذعيّةً ، مع الدين والصّون ، مُعِجٌ ، مخولٌ في الخير ، مُسْتَوِلٌ على خصال حميدة ، من خطٍّ وأدبٍ وحِفْظٍ ، مشاركٌ في معارف جملة . كتب ببليده عدلاً رضى ، وأنشد السلطان عند حلوله ببليده . ورحل عن بلده إلى المغرب ، فارتسم في كتابة الإنشاء بالباب السلطاني ، ثم بان فضله ، ونَبَّه قدره ، وَلَطَفَ محله ، وعاد إلى الأندلس ، لما جَرَتْ على سلطانه الهزيمة بالقيروان^(٢) ، ولم يَنْتَشِلْه الدهر بعدها مع جملة من خواصّه . فلما استأثر الله بالسلطان المذكور ، مؤسوم التّمحيص ، وصير أمره إلى ولده بعده ، جَنَحَ إليه ، ولحق ببابه ، مُقْتَرَنَ الوفاة ، بِمُنِ الطَّائِر : وسعادة النّصبية ، مظنة الاصطناع ، فَحَصَلَ على الحُطوة ، وأصبح في الأمد القريب ، محلاً للبتِّ وجليساً في الخلوة ، ومؤتمناً على خُطّة العلامة ، من رجل ناهض بالكلِّ ، جَلِدَ على العمل ، حذر من الذّكر ، متقلّص ذبل الجاه ، مُتَهَيِّبٌ^(٣) ، غزير المشاركة ،

(١) هكذا وردت واضحة في الإسكوريال والزيتونة وجذوة الاقتباس . ووردت في الكتيبة الكامنة (بيروت ص ٢٥٤) البخارى وهو تحريف .

(٢) من الواقع أن ابن الخطيب يشير هنا أولاً إلى السلطان أبي الحسن المريني ، ثم يشير ثانياً إلى ولده السلطان فارس أبي عنان ، وهو الذي خرج عليه عقب هزائمه في حملته إلى تونس ، وانزعج الملك نفسه (٧٥٢ هـ) واستمر في الحكم حتى وفاته في سنة ٧٥٩ هـ . وقد أشار ابن خلدون في التعريف إلى ذلك صراحة عنه ذكره لابن رضوان ، حيث قال إنه كان من ورد في جملة السلطان أبي الحسن . (راجع التعريف - القاهرة ١٩٥٢ - ص ٢٢ و ٢٣) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (متصيب) .

مطْفَفٍ فِي حَقِّ الدُّوَل ، عِنْد انْخِفَاضِ الْأَسْعَار ، جَالِبٍ لِسُوقِ الْمُلْكِ
مَا يُنْفَقُ فِيهَا . حَارُّ النَّادِرَةِ . مَلِيحُ التَّنْدِيرِ ، خُلُوُ الْفِكَاهَةِ . غَزَلٍ مَعَ
الْعَفَةِ . حَافِظٍ لِلْعِيُونِ . مُقَدِّمٌ فِي بَابِ التَّحْسِينِ وَالتَّنْقِيحِ . لَمْ يَنْشَبِ
الْمَلِكُ أَنْ أُنِسَ مِنْهُ بِهَذِهِ الْحَالِ : فَشَدَّ عَلَيْهِ يَدَ الْغَبِطَةِ . وَأَنْشَبَ فِيهِ
فِيهِ بَرَاثِنَ الْأَثَرَةِ : وَرَمَى إِلَيْهِ بِمَقَالِيدِ الْخِدْمَةِ . فَسَمَا مَكَانَهُ : وَعَلَا كَعْبُهُ .
وَنَمَا عُسَّهُ . وَهُوَ الْآنَ بِحَالِهِ الْمَوْصُوفَةِ : مِنْ مَفَاخِرِ قُطْرِهِ . وَمَنَاقِبِ وَطْنِهِ .
كَثُرَ اللَّهُ مِثْلَهُ .

مشيخته

قَرَأَ بِلَدِهِ عَلَى الْمُقْرَى أَبِي مُحَمَّدٍ بَنِ أَيُّوبَ ، وَالْمُقْرَى الصَّالِحِ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ الْمُهَنْدِسِ^(١) ، وَالْأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بَنِ أَبِي الْجَيْشِ وَالْقَاضِي
أَبِي جَعْفَرِ بَنِ عَبْدِ الْحَقِّ ، وَرَوَى عَنِ الْخَطِيبِ الْمَحْدُثِ أَبِي جَعْفَرِ النَّكَّالِي ،
وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بَنِ مَنْظُورٍ . وَبِغَرْنَاطَةِ عَنِ جِلَّةٍ ، مِنْهُمْ شَيْخُنَا رَئِيسُ
الْكِتَابِ أَبُو الْحَسَنِ بَنِ الْجِيَّابِ . وَقَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبُو الْفَاسِمِ بَنِ أَحْمَدَ
الْحَسَنِي ، وَلاَزَمَ بِالْمَغْرِبِ الرَّيِّيسَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ هَيْثَمَ بْنَ الْمُخَضَّمِ ،
وَالْقَاضِي أَبَا إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمَ بَنِ أَبِي يَحْيَى ، وَأَبَا الْعَاسِمِ بَنِ رَبِيعِ بْنِ السَّبْتِي .
وَبِتِلْمَسَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْآبِلِي . وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بَنِ الشَّجَا وَغَيْرَهُمَا .
وَبِتُونَسَ عَنْ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بَنِ عَبْدِ السَّلَامِ . وَغَيْرَ جَمَاعَةٍ غَيْرِهِمْ .

شعره

وَنَظَّمَهُ وَنَشَرَهُ مَتَجَارِيانَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي مِيزَانِ الْإِجَادَةِ . أَمَّا شِعْرُهُ فَمُتَنَاسِبُ
الْوَضْعِ . سَهْلُ الْمَأْخُذِ ، ظَاهِرُ الرُّوَاءِ . مُحْكَمُ الْإِمْرَةِ لِلتَّنْفِيحِ . وَأَمَّا نَشْرُهُ

(١) مَكْنَا فِي الْإِسْكُورِيَلِ . وَفِي التَّرْبُوتَةِ (الْعَدَسِي)

فطريف السجع ، كثير الدالة ، مُطيع للدعوة البدئية ، وربما استعمل الكلام المرسل ، فجرى يراعُه في ميدانه ملي عِنانه .

وجرى ذكره في « التاج » أيام لم يَفْهَق حوضُه ، ولا أزهَر روضُه ، ولا تبايَنَت سماؤه ولا أرضُه . بما نصه : أديب أحسن ماشا ، وفتح قُليبه^(١) فملاً الدلو وبلّ الرشا . وعانى على حدائته الشعر والإنشا ، وله ببلده بيتٌ معمور بفضل وأمانة ، ومَجْدٍ وديانة . ونشأ هذا الفاضل على أتم العفاف والصّون . فما مال إلى فسادٍ بعد الكون . وله خطٌ بارع . وفهم إلى الغوامض مُسارع . وقد أثبت من كلامه ، ونفّثات أقلامه ، كلُّ مُحكم العقود ، زارياً بنت العنقود . فمن ذلك قصيدة أنشدتها للسلطان أمير المسلمين^(٢) ، مهنياً بهلاك الأسطول الحربى بالزقاق الغربى^(٣) ، أجاد أغراضها وسبك المعانى وراضها ، وهى قوله :

لعلّكما أن ترعيا^(٤) لى وسايلا فبالله عوجا بالركاب وسايلا
بأوطانٍ أوطار قفا ومسارى^(٥) وبالحبّ خُصاً بالسّلام المنازلا
ألا فانشدا بين القيباب من الحما فواذ شج^(٦) أضحى عن الجسم راحلا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (قليله) .

(٢) أمير المسلمين المشار إليه هنا ، هو السلطان يوسف أبو الحجاج ملك الأندلس الذى حكم من سنة ٧٣٣ إلى سنة ٧٥٥ هـ (١٣٣٣ - ١٣٥٤ م) .

(٣) الزقاق الغربى يقصد بها هنا مضيّ جبل طارق أو جبل الفتح كما كان يسمى عندئذ ، وكان النصارى (القشتاليون) قد ضربوا حوله الحصار فى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) بقصد الإستيلاء عليه . ولكنهم منوا بالفشل ، ودب الوباء إلى قواتهم . وهلك فيه ملكهم ألفونسو الحادى عشر ، وهلكت معظم سفنهم المحاصرة ، وانسحبوا إلى ترك الحصار والانسحاب ، وذلك فى سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) .

(٤) هكذا ورد فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (تموجا) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ومأرب) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (شجى) .

وَبُنْتُ صَبَّأً بَاتَ هُنَالِكَ وَاشْرَحَا
 رَعَى اللَّهُ مَثْوَاكُمْ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
 وَهَلْ لَزِمَانٍ بِاللَّوَى سَقَى اللَّوَى
 فَجَطَّيْ بَعِيدُ الدَّارِ مِنْهُ بِقُرْبِهِ
 لَقَدْ جَارَ دَهْرِي أَنْ نَأَى بِمِطَالِي
 وَحَمَلَنِي مِنْ صَرْفِهِ مَا يُوْدِي^(١)
 عَتَبْتُ عَلَيْهِ فَاغْتَدَى لِي عَسَاتِبَا
 أَتَعْتَبْنِي إِذْ قَدْ أَفْذَنْتُكَ مَوْقِفَسَا
 مَلِيكَ حَبَاهُ اللَّهُ بِالْخُلُقِ الرُّضَا
 مَلِيكَ عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ فَطَرَفَهُ
 إِذَا مَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ فَيَشْرُهُ
 نَمَاهُ مِنَ الْأَنْصَارِ غَرَّ أَكَابِرُ
 تَلَوُا شُورَ النِّعْمَاءِ فِي حِزْبِهِمْ كَمَا
 تَسَاءَلَتْ لَهُمْ فِي الْمَعْلُوتِ مَرَاتِبُ
 عِصَابَةِ نَصْرِ اللَّهِ طَابَتْ أَوَاخِرُهَا
 لَقَدْ كَانَ رَبُّعُ الْمَجْدِ مِنْ قَبْلِ خَالِيَا
 إِذَا يُوسُفُ مِنْهُمْ تَلْسُوحُ يَمِينُهُ
 كِتَابِيهِ فِي الْفَتْحِ تَكْتَبُ أَسْطَرَا
 عَوَامِلُهُ بِالْحَذْفِ تَحْكُمُ فِي الْعِدِ
 يَبْدُدُ جَمْعَ الْكُفْرِ رُعْبَا وَهَيْبَةً

لَهُمْ مِنْ أَحَادِيثِي عَرِيضًا وَطَايِلَا
 وَلَا زَالَ هَامِي السُّحْبِ فِي الرَّبْعِ هَامِلَا
 مَا رَبَّ فَمَا أَلْقَى مَدَى الدَّهْرِ حَايِلَا
 وَيُورِدُ فِيهِ مِنْ مُنْهَاهُ مَنَاهِلَا
 وَظَلَّ بِمَا أَبْقَى مِنَ الْقُرْبِ مَا طَلَا
 وَمَكَّنَ مِنِّي الْخُطُوبَ شَوَاغِلَا
 وَقَالَ اصْخُ لِي لَا تَكُنْ لِي عَاذِلَا
 لَدَى أَعْظَمِ الْأَمْلَاقِ حِلْمًا وَنَايِلَا^(٢)
 وَأَعْلَى لَهُ فِي الْمَكْرَمَاتِ الْمَنَازِلَا
 غَدَا كِهْلَالُ^(٣) الْأُفُقِ يُبْصِرُنَا عَلَا
 صَبَاحُ وَبَدْرُ لَا يُرَى الدَّهْرُ آفِلَا
 لَهُمْ شِيمُ مَلَأَ الْفَضَاءَ فَضَايِلَا
 جَلُّوا صُورَ الْأَيَّامِ غُرًّا جَلَايِلَا
 يُرَى زُحْلٌ دُونَ الْمَرَاتِبِ زَاخِلَا
 كَمَا قَدْ زَكَّتْ أَصْلَا وَطَابَتْ أَوَايِلَا
 وَمِنْ آلِ نَصْرِ عَادٍ يُبْصِرُ آهْلَا
 تَقُولُ سَحَابُ الْعُجُودِ وَالْبِئْسَ هَاطِلَا
 تَسِينُ مِنَ الْأَنْفَسَالِ فِيهَا الْمَسَايِلَا
 كَمَا حَكَمُوا فِي حَذْفِ جَزْمٍ عَوَامِلَا
 كَمَا بَدَّدَتْ مِنْهُ الْيَمِينُ النَّوَافِلَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (يؤده) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (ودايلا) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بهلال) ، والأول أرجح .

ومنها في وصفه الأسطول واللقاء :

ولما استقامت بالزقاق أساطل
 رآها عدو الله فانفض جمعها
 ومن دهش ظن السواحل أبحرا
 ومن جندكم هبت عليه عواصف
 تفرقهم أيدي سببا وتبيدهم
 وعهدى بمر الریح للنار موقدا
 وكان لهم برد العذاب ولم يكن
 حذاهم هواهم للإسار وللفنا
 فهم بين عان في القيود مصفد
 ستهلك ما بالبر منهم جنودكم^(١)

واستقلت لدسعود محافلا
 وأبصر أمواج البحار أساطلا
 ومن رعب خال البحار سواحلا
 تدمر أدناها الصلاب الجنادلا
 فقد خلفت فيهم حساما وذابلا
 فقد أطفأت تلك الحروب المشاعلا
 سلاماً وما كادوه قد عاد باطلا
 فما أفلتوا من ذا وذاك حبسا
 وفان عليه السيف أصبح صايبلا
 كما أهلكك من كان بالبحر عاجلا

وقال أيضا يمدحه :

نشرت لواء النصر واليمن والسعد
 أعدت لنا الدنيا نعيماً ولذة
 بنوركم والله يكلأ نوركم
 تحلى لكم بالملك نحر ولبة
 مآثركم قد سطرته يد العلاء
 بمدحكم للقرآن أثنى منزلا
 كفاكم فخارا أنه لكم أب
 ثناؤكم هذا أم الوسك نافع

وأطلعت وجه البسر والأمن والرشد
 ألا للمعالى ما تعيد وما تبد
 تبدت لنا سبل السعادة والرشد
 فراق كذاك الجيد يزدان بالعقد
 على صفحات الفخر أو مفرق الحد
 وقد حزتم مجدا بجدكم سعد
 ومن فخره إن أنت تدعوه بالجد
 وذكركم أم عساظر العنبر الورد

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (جودم) والأول أنسب للمعنى

أَجَلْ ذَكَرْكُمْ أَزْكَى وَأَذْكَى لِنَاشِقٍ
 طَلَعَتْ عَلَى الْأَفَاقِ نَوْرًا وَبَهْجَةً
 وَفِي جَمَلَةِ الْأَمْلَاقِ عَزٌّ وَرَفْعَةٌ
 وَلَوْ أَنَّنِي قُفْتُ سَحَابَانِ وَأَيْسَلُ
 لَمَا قُمْتُ بِالْمِعْشَارِ مِنْ بَعْضِ مَا لَكُمْ
 كَمَا أَنْكُمْ أَجْلَى وَأَعْلَى لِمَشْهَدٍ
 فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ فِي طَالِعِ السَّعْدِ
 وَدُمُ فِي خُلُودِ الْمُلْكِ وَالنَّصْرِ وَالسَّعْدِ
 وَأَرْبَيْتُ فِي شَعْرَى عَلَى الشَّاعِرِ الْكِندِ
 مِنَ الْجُودِ وَالْأَفْضَالِ وَالْبَذْلِ وَالرَّفْدِ^(١)

وقال في شيخه أبي بكر بن منظور رحمه الله :

جَلَالُكَ أَوَّلَى بِالْعُلَا الْمُخْلَدِ
 لِمَجْدِكَ كَانَ الْعِزُّ يَذْخَرُ وَالْعُلَى
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُشْرِفًا
 فَهَنَيْتَ بِالْفَخْرِ السَّنَى مَحَلَّهُ
 شَهِدْتُ بِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ عَوَارِفِ
 وَمَا حُزْتُ مِنْ مَجْدِ كَرِيمِ نِجَارِهِ
 لَقَدْ نَبَّأْتَنِي بِالرَّوَّاحِ^(٢) لِعِزِّكُمْ
 تُحَدِّثُنِي نَفْسِي وَإِنِّي لَصَادِقُ
 دَلِيلِي بِهَذَا أَنَّكَ الْمَاجِدُ الَّذِي
 لِيَفْخَرُ أَوَّلُو الْفَخْرِ الْمَنِيْفِ بِأَنْتُمْ
 إِمَامُ عُلُومٍ مُتَعَلَّى الْقَدْرِ لَمْ يَزَلْ
 وَقَاضٍ إِذَا الْأَحْكَامُ أَشْكَلَ أَمْرُهَا
 إِذَا الْحَقُّ أَبْدَى نَوْرَهُ عِنْدَ حُكْمِهِ
 وَإِنْ جَمِيعُ الْخَلْقِ فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ
 وَذَكَرَكَ أَعْلَى الذِّكْرِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
 وَأَنَّكَ لِلأَوَّلَى بِأَرْفَعِ سُودِدِ
 بِمَقْعَدِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ
 وَهَنَيْتَ بِالْمَجْدِ الرَّفِيعِ الْمُجَدِّدِ
 وَخَوَّلْتَ مِنْ نِعْمِي وَأَسَدَيْتَ مِنْ يَدِ
 وَمَا لَكَ مِنْ مَجْدٍ وَرَفْعَةٍ مَخْتَدِ
 مَخَائِلِ إِسْعَادِ تَرْوُحٍ وَتَغْتَدِ
 بِأَنْ سَوْفَ تَلْقَى كَامِلًا كُلَّ مَقْصِدِ
 تَسَامَى عَلُوهَا فَوْقَ كُلِّ مَجْدِ
 لَهُمْ عِلْمٌ أَعْلَى بِهِ الْكُلُّ مُقْتَدِ
 رِءَاءِ الْمَعَالَى وَالْعَوَارِفِ يَرْتَدِ
 جَلَالُهَا بِرَأْيِ الْحَقِيقَةِ مُرْشَدِ
 رَأَيْتَ لَهُ حَدَّ الْحُسَامِ الْمَهْنَدِ
 سَوَاسِيَةً مَا بَيْنَ دَانٍ وَسَيِّدِ

(١) وردت هذه القصيدة في هامش اللوحة 234 من مخطوط الإسكوريال . وم ترد في

مخطوط الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بالعام) .

هنيئاً لنا بَلُّ للقضاء وفضله
 أمات به الرحمن كل ضلالة
 وكاين تراء لا يزال ملازماً
 وما زال قدماً للحقيقة حامياً
 ويمنح أفضالاً ويولي أيادياً
 يُقَيِّدُ أحراراً بمنطق جموده
 نعم إن يكن للفضل شخص فإنما
 أيا ناثراً أَسْنَى المعارف والغنا
 ألا القِ عصا التسيار واعش لناره
 ومن مقطوعاته قوله :

تبرأتُ لمن حولي إليك وأُثِقْتُ
 فلا أَرْهَبُ الأيام إذ كنت ملجأى
 برحماك آمالى فصَحَّ يقينى
 وحَسُنَّ يقينى باليقين بقينى
 ومن شعره لهذا العهد منقولاً من خطّه ، قال مما نظمهُ فلان ، يعنى نفسه
 فى كتاب الشُّفا ، نفع الله به :

سل بالعلی وسنّى المعارف يَبْهَرُ
 وهل للمفاخر غير ما شَهِدَتْ به
 هم ما هم شرفاً ونيل مزائب
 ورثوا الهدى عن خير مبعوث به
 وعياض^(٢) الأعلى قِداحاً فى العلى
 هل زانها إلا الأيِّمة مَعْشَرُ
 آئى الكتاب وخارَتْها الأعْصَرُ
 يوم القيام إذا يَهْوُلُ المَخْشَرُ
 فخراً هَدَيْتُهُم للنعيم الأكبر^(١)
 منهم وحوله الفَخار الأظْهَرُ

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى الزيتونة كالآتى : (ففخارهم حول العظيم الأكبر) .

(٢) هو الفقيه الحافظ عياض بن موسى اليحصبي السبتي (٤٧٦-٥٤٤هـ) . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد فى الإحاطة .

بشفايه^(١) تشفى الصدور وإنه
 هو للتوالف روح صورتها وقل
 أفنت محاسنه المدايح مثل ما
 وله اليد البيضاء في تأليفه
 هو مورد الهيم العطاش خفت
 فيه نزال من الرضى ما نبتغى
 أنظر إليه تميمة من كل ما
 لكأننى بك يا عياض مهناً
 لكأننى بك يا عياض منعماً
 لكأننى بك يا عياض متوجاً
 لكأننى بك راوياً من حوضه
 فعلى محبته طويت ضمائرا
 ها إنهن لشرعة الهادى الرضا
 فجزاك رب العالمين تحية
 وسقى هزيم الودق مضجعك الذى
 وقال فى محمل الكتب :

أنا الحبر فى حمل العلوم وإن تقل
 أقيد ضروب العلم ما دمت قائما
 خدمت بتقوى الله خير خليفه
 أبا سالم لا زال فى الدهر سالما
 بأنى حلى عن خلاهن تفسد
 وإن لم أقم فالعلم عنى بمغزل
 فبؤانى من قربه خير منزل
 يسوغ من شرب المنا^(٢) كل منهل

(١) الإشارة هنا إلى كتاب القاضى عياض « الشفا بتمريف حقوق المصطفى » وهو أشهر كتبه . وظاهر أن القصيدة كلها تقرىظ ومديح للقاضى عياض وكتابه المذكور .
 (٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الملا) .

وكان قد رأى ليلة الاثنين الثانية لجمادى الأولى عام ستين وسبعماية
 في النوم ، كأن الوزير أبا علي بن عمر بن يـخلف بن عمران القلـودي ، يأمـره
 أن يجيب عن كلام من كتـب إليه . فأجاب عنه بأبيات نظمها في النوم ،
 ولم يحفظ منها غير هذين البيتين :

وإني لأجزي^(١) بما قد آتاه صديق أحـمـلا لفعل الحرفاء
 بتمكين ودِّ وإثبات عهد وإجـزال حـمـد وبذل حياء
 ومن نظمـه في التورية :

وبخيلٌ لمـا دعوـه لسكنى منزل بالجنان ضنٌ بذاك
 قال لي مـخـزن بدارى فيه جلُّ ما لي فلست للدار شاك
 لا تعرّج على الجنان بسكنى ولتكن ساكناً بمخزن مالك
 ومن ذلك أيضا :

يا ربُّ منشأة عـجبت لـشأنها وقد احتوت في البحر أعجب شان
 سكنت بجـنـسها عـصابة شدة حلّت محلّ الروح في الجنان
 فتحرّكت بإرادة مع أنها في حُسنها ليست من الحيوان
 وجرت كما قد شاء سُكانها فعلمت أن السرّ في السُكان
 ومن ذلك أيضا قوله :

وذى خـدعٍ دعوـه لاشتغال وما عرفوه غثاً من سمين
 فأظهر زُهدـه وغنى بمـال وجيش الحرّص منه في كمين
 وأقسم لا فـعلتُ بمن خـبٌ فيسا عجباً لخلاف مُهين
 يقدُّ بسيره ويمين حلفٍ ليأكلَ باليسار وباليمين

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لانتجز) .

شئ من نشره

خاطبته من مدينة سلا بما نصه ، حسبما يظهر من غرضه :
 مرضتُ فأبأى لذاك مريضة وبرؤك مقرون ببرىء اعتلالها
 فما راع ذاك الذات للضر رائع ولا وُسِمت بالسقم^(١) غرُّ خلاها
 وينظر باقى الرسالة فى خبر التعريف بمؤلف الكتاب^(٢)
 فراجعنى عن ذلك بما نصه :

متى شئت ألقى من علايك كل ما يُنيل من الآمال خير مناسها
 كبر اعتلال من دعايك زارنى وعادات بر لم ترُم عن وصاها
 أبقي الله ذلك الجلال الأعلى متطوِّلاً بتأكيد البر ، متفضلاً بموجبات
 الحمد والشكر . وردتني سِمة سيدى المشتملة على معهود تشريفه ، وفضله
 الغنى عن تعريفه ، متحفياً فى السؤال عن شرح الحال ، ومُعلنأ ما تحلّى
 به من كرم الخلال ، والشرف العال ، والمعظم على ما يسرُّ ذلك الجلال ،
 الوزارى ، الرياسى ، أجراه الله على أفضل ما عودّه ، كما أعلى فى كل
 مكرمة يده ، ذلك ببركة دُعايه الصالح ، وحبّه المُخيم بين الجوانح .
 والله سبحانه المحمود على نعمه ، ومواهب لطفه وكرمه ، وهو سبحانه
 المسئول أن يسنى لسيدى قرارَ الخاطر ، على ما يسره فى الباطن والظاهر .
 بِمَن الله وفضله ، والسلام على جلاله الأعلى ورحمة الله وبركاته . كتبه
 المعظم الشاكر ، الداعى المحب . ابن رضوان وفقه الله .

وما خالـىـبني به ، وقد حَرَّرت بينى وبين المتغلب على دلبتهم ، رُقاغ ،
 فيها سَلَم وإيتماع ما نصه :

(١) مكتفا وردت فى الإسكوريال . وفى الزنتونة (بالنسر) .

(٢) تشغل ترجمة ابن الخليل لنفسه السفر الثانى عشر من كتاب « الإحاطة » الذى يبدأ
 ببلوحيه ٤٢٥ من مخطوط الإسكوريال (١٦٧٣ دبرنبور) ، وهو خاتمة أسفار الكتاب .

يا سيدي الذي علا مجده قَدْرًا وخطَرًا ، وسما ذكره في الأندية الحافلة
 ثناءً وشكراً ، وسما فخره في المراتب الدينية والدنيوية حمداً وأجراً ،
 أبقاك الله جميل السَّعى ، أصيل الرأى ، سديد الرى ، رشيد الأمر والنهى ،
 ممدوحاً من بُلغاء زمانك ، بما يقصر بالتَّوابع^(١) والعشى ، مفتوحاً لك
 باب القَبُول ، عند الواحد الحق . وصلنى كتابك الذى هو للإعجاز آية ،
 وللإحسان غاية ، ولشاهد الحسن تَبْرِيز ، ولثوب الأدب تَطْرِيز ، وفى النقد
 إبْرِيز ، وقفت منه على ما لا تفى العبارة بعجابه ، ولا يحيد الفضل كله
 عن مذهب ، من كل أسلوب طار فى الجو إغراباً وإغراباً ، ومَلَك من سحر
 البيان خطاباً ، وحَمِد ثناه مُطالاً وحديثاً مُطاباً ، شأن من قَصَر عن شأو
 البلغاء ، بعد الإغْياء ، ووقف دون سباق البديع بعد الإغْياء ، فلم يُشَقْ
 غُباره ، ولا اقتُفِيَتْ إلا بالوَهْم آثاره ، فله من سيدي إتخافُ سرَّ ما شاء ،
 وأَحْكَم الإنشاء ، وبرَّ الأكابر والأنشاء ، فما شئت من إفصاح وكتابة ،
 وبرَّ ورعاية ، وفهم وإفهام ، وتخصيص وإبهام ، وكبح لَطَرْف النفس وقمع ،
 وخَفْض فى الجواب ورفع ، وتحرُّج وتورُّع ، وترقُّص وتوسُّع ، وجَماع
 وأصحاب ، وعَتَب وإعتاب ، وإدلال على أَحْباب ، إلى غير ذلك من أنواع
 الأغراض ، والمقاصد السَّالمة جواهرها من الأعراض ، جملةً جمعت المحاسن ،
 وأمتعت السامع والمُعَيْن ، وحلَّت من امتِناعها مع السهولة الحَرَم ، إلا من
 زاد الله تلك المعارف ظهوراً ، وجعلها فى شرع المكارم دُلَى ونوراً . وأما
 شكر الجناب الوزارى ، أَسْمَاه الله ، بحكم النِّبَاة عن جلالكم . فقد
 أبلغت فيه حمدى ، وبذلت ما عندى ، ووُدِّى لكم وُدِّى ، ووَرِّدى لكم

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزينونة (بالنوابغ) .

من المُخالصة لكم وِرْدَى ، وكل حالات ذلك الكمال ، مُجْمَع على تفضيله ،
 مُعْتَمَد من الثناء العاطر بإجماله وتفصيله . وأما مُؤَدِّيهِ إِلَيْكُمْ أَخَى وَسِيدِي
 الْفَقِيه الْعَظَم ، قَاضِي الْحَضْرَة وَخَطِيبِهَا ، أَبُو الْحَسَنِ ، أَدَامَ اللَّهُ عَزَّتْهُ ،
 وَحَفِظَ أَخُوَّتَهُ ، فَقَدْ قَرَّرَ مِنْ أَوْصَافِ كِمَالَاتِكُمْ ، مَا لَا تَنَى بِتَقْرِيرِهِ
 الْأَمْثِلَةَ مِنْ أَوْلَى الْعِلْمِ بِتِلْكَ السَّجَايَا الْغُرِّ ، وَالشَّيْمِ الزُّهْرِ ، وَمَا تَحْلِيَّتُمْ بِهِ
 مِنَ التَّقْوَى وَالْبِرِّ ، وَالْعَدْلِ وَالْفَضْلِ ، وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ ، وَلِحَمْلِ الْمُتَاعِبِ
 فِي أُمُورِ الْجِهَادِ ، وَتَرْكِ الْمَلَاذِ وَالِدَّعَةِ فِي مَرْضَاةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ
 الْفَانِيَةِ ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْبَاقِيَةِ ، فَيَا هَذَا مِنْ صِفَاتِ خَلَعَتِ السَّعَادَةَ عَلَيْكُمْ
 مَطَارِفَهَا ، وَأَجَزَلَتْ عَوَارِفَهَا ، وَجَمَعَتْ لَكُمْ تَالِيدَهَا وَطَارِفَهَا ، زَكَّى اللَّهُ ثَوَابَهَا
 وَجَدَّدَ أَثْوَابَهَا ، وَوَصَلَ بِالْقَبُولِ أَسْبَابَهَا . وَذُكِرَ لِي أَيْضًا مِنْ حَسَنَاتِكُمْ ،
 الْمُنْقَبَةِ الْكَبِيرَةِ ، وَالْقُرْبَةِ الْأَثِيرَةِ ، فِي إِقَامَةِ الْمَارِسْتَانِ بِالْحَضْرَةِ ^(١) ،
 وَالتَّسْبِيبِ فِي إِنْشَاءِ تِلْكَ الْمَكْرَمَةِ الْمُبْتَكِرَةِ ، الَّتِي هِيَ مِنْ مُهِمَّاتِ الْمُسْلِمِينَ
 بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى ، وَمِنْ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ بِالْمَرْزِيَةِ الْفَضْلَى ، وَمَا ذَخَرَهُ الْقَدَرُ
 لَكُمْ مِنَ الْأَجْرِ ، فِي ذَلِكَ السَّعْيِ الْمَشْكُورِ ، وَالْعَمَلِ الْمَبْرُورِ ، فَسَرَّنِي لِتِلْكَ
 الْمَجَادَّةِ ، إِحْرَازَ ذَلِكَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، وَالْفَوْزِ بِثَوَابِهِ الْكَرِيمِ ، وَفَخَرِهِ
 الْعَمِيمِ . وَمَعْلُومٌ ، أَبْقَاكُمْ اللَّهُ ، مَا تَقَدَّمَ مِنْ ضِيَاعِ الْغُرْبَا وَالضَّعْفَا ، مِنْ
 الْمَضِيِّ فِيمَا سَلَفَ هُنَاكَ ، وَقَبْلَ مَا قُدِّرَ لَهُمْ مِنَ الْمُتَرَفِّقِ الْعَظِيمِ وَبِذَلِكَ ،
 حَتَّى أَنْ مِنْ حَفِظَ قَوْلَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَاللَّهُ لَوْ ضَاعَتْ نَخْلَةٌ بِشَاطِئِ
 الْفَرَاتِ . لَخِيفَتْ أَنْ يُبْمَالَ اللَّهُ عَنْهَا عَمْرٌ . لَا شَكَّ فِي أَنَّ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ

(١) يُشِيرُ الْكَاتِبُ هُنَا إِلَى الْمَارِسْتَانِ الْكَبِيرِ الَّذِي أَنْشَأَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ بِحَضْرَةِ غُرْنَاطَةِ أَيَّامِ
 وَزَارَتِهِ الثَّانِيَةِ . وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ يَفْرُقُ بَسْمَتَهُ وَرُوعَةَ تَنْظِيمِهِ . أَرِسْتَانِ الْقَاهِرَةِ الشَّهِيرِ (رَاجِعِ الْمَجْلَدِ
 الثَّانِي مِنَ الْإِحَاطَةِ ص ٥٠) .

الأمر هُنَالِكُمْ ، لا بُدَّ من سؤاله عَسَّ ضاع لعدم القيام بهذا الواجب المغفل .
والحمد لله على ما خصَّكم به من مزية قوله صلى الله عليه وسلم ، إذا
أَرَادَ اللهُ بَخْلِيْفَتِهِ خَيْرًا ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا ، إِنْ نَسَى ذِكْرَهُ ، وَإِنْ
ذَكَرَ أَعَانَهُ .

وأما « كتاب المحبة »^(١) فقد وقف المُعَظَّم على ما وجهتهم منه ،
وقوفاً ظهر بِمِزَّةِ الْعَامِل ، وَعَلِمَ منه ما تَرَكَ لِلْآخِرِ لِلأَوَّل ، ولم يشك في
أَنَّ الْفَضْلَ لِلْحَاكِي ، وَشَتَّانَ بَيْنَ الْبَاكِي وَالْمُتَبَاكِي . حقا لقد فاق التَّأْلِيفَ
جَمْعًا وَتَرْتِيبًا ، وَذَهَبَ فِي الطَّرْقِ الصُّوفِيَّةِ مَذْهَبًا عَجِيبًا . وَلَقَدْ بَهَرَتْ مَعَانِيهِ
كَالْعُرَائِسِ الْمَجْلُوءَةِ حَسَنًا وَنَضَارَةً ، وَبَرَعَتْ^(٢) بِدَايِعُهُ وَرَوَائِعُهُ سَنَى وَإِنَارَةً ،
وَأَلْفَاظًا مُخْتَارَةً ، وَكُوُوسًا مُدَارَةً ، وَغِيوِثًا مِنَ الْبَرَكَاتِ مُدَارَةً ، أَحْسَنَ
بِمَا أَدَتْهُ تِلْكَ الْغُرُرُ السَّافِرَةُ ، وَالْأَمْثَالُ السَّائِرَةُ ، وَالْخَمَائِلُ النَّظَارَةُ ، وَاللَّائِيءُ
الْمُفَاخِرَةُ ، وَالنَّجُومُ الزَّاهِرَةُ . أَمَا إِنَّهُ لِكِتَابٌ تَفْهَمُ زُبْدَةُ الْعُلُومِ ، وَثَمَرَةُ
الْفُهُومِ ، وَإِنْ مَوْضُوعُهُ لِلْبَابِ اللَّبَابِ ، وَخُلَاصَةُ الْأَلْبَابِ ، وَفَذَلِكَ الْحِسَابُ ،
وَفَتَحَ الْمَلِكُ الْوَهَّابُ ، سَنَى اللَّهِ لَكُمْ وَلَنَا كَمَالَهُ ، وَبَلَغَ الْجَمِيعُ مَنَا آمَالَهُ ،
وَجَعَلَ السَّعْيَ فِيهِ خَالِصًا لَوَجْهِهِ ، وَكَفِيلًا بِمَعْرِفَتِهِ بِمَنْهُ وَكِرَمِهِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ
يُبْقِي بِرِكَتِكُمْ ، وَيَكْأَلُ ذَاتَكُمْ الْكَرِيمَةَ وَحُوزَتَكُمْ ، بِفَضْلِهِ [وَطَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ]^(٣)
وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ^(٤) يَخْصِمُكُمْ بِهِ كَثِيرًا أَثِيرًا ، مُعَظَّمٌ مَقْدَارَكُمْ ، وَمُلْتَزِمٌ
إِجْلَالَكُمْ وَإِكْبَارَكُمْ ، ابْنُ رِضْوَانٍ ، وَفَقَّهُ اللَّهُ ، وَكُتِبَ فِي الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ
لِرَجَبٍ مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

(١) « كتاب المحبة » أو « روضة التعريف بالخب الشريف » هو من أهم كتب ابن حجر .
وبراجع في التعريف به وأسباب تأليفه ، انجبلد الأول من الإحاطة (ص ٦٢) .
(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بهرت) .
(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وقوته وحوله) .
(٤) وردت في الإسكوريال (الكثير) . والتصويب من الزيتونة .

وهو الآن بحاله الموصوفة : أعانه الله . وله ترددٌ إلى حضرة غرناطة ،
واجتياز وإلمام^(١) .

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن
محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن
عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر
غرناطى ، قلعى^(٢) الأصل ، سكن مالقة .

حاله

قال صاحب « الطالع »^(٣) هو المشهور باليربطول^(٤) . زاد على أخيه بخفة
الروح ، وطيب النوادر ، واختار سكنى مالقة ، فما زال بها ، يمشى على
كواهل ما تعاقب فيها من الدول ، ويقلب طرفه ، مما نال من ولاياتها^(٥) ،
بين الخيل والخول ، حتى أن ابن عسكر ، قاضى مالقة وعالمها ، كان من
جملة مَنْ مَدَحَهِ ، وتوسل به إلى بلوغ أغراضه عند القوم ، وصنّف له
شجرة الأنساب السعيدية . وكان قبيح المنظر ، مع كونه من رياحين الفضل
والأدب . فمن الحكايات المتعلقة بذلك ، أنه دخل يوما على الوالى
بغرناطة ، السيد أبى إبراهيم ، وجعل يساره ، وكان مُختصا به ، واقتضى

(١) توفى ابن رضوان التجارى بئف سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (جذوة الأقباس - القسم
الثانى - ص ٤٣٧) .

(٢) قلعى الأصل نسبة إلى قلعة بحصب أو قلعة بن سعيد . وقد سبق التعريف بها .

(٣) هو كتاب « الطالع السعيد فى تزيين بنى سعيد » لأبى الحسن عل بن موسى المعروف
بأبن سعيد الأندلسى وقد سبقت الإشارة إليه .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (اليرطول) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ولايتها) .

ذلك أن ردَّ ظهره للشيخ الفقيه الجليل ، عميد البلدة ، أبي الحسن سهل بن مالك ، ثم التفت فردَّ وجهه إليه ، وقال اعتذر لكم بأمر ضرورى فقال أبو الحسن ، إنما تعتذر لسيدنا ، فانقلب المجلس ضحكاً . ومنها أنه خرج إلى سوق الدواب مع ابن يحيى الحضرمى المشهور أيضا بخفة الروح ، وكان مسلطاً على بنى سعيد ، فبينما هو واقف ، إذ النخاس ينادى على فرس ، فم يشرب من القادوس ، وعين تحصد بالمنجل ، فقال له يا قائد أبا محمد ، سِرْ بنا من هنا لئلا تؤخذ من يدى ، ولا أقدر لك بحيلة ، فعلم مقصده ، ولم يخف عليه أن تلك صورته ، فقال سل جارتك عنها ، فمضى لأمه ، وأوقع بينها وبينه ، فحلف أن لا يدخل عليها الدار . قال أبو عمران بن سعيد ، واتفق أن جُزَّتْ بدار أم الحضرمى ، فرأيته إلى ناحية ، وهو كئيب منكسر ، فقلت له ما خبرك يا أبا يحيى ، فقال لى عن أمه وعن نفسه ، النساء يرمين أبناء الزنا صغاراً ، وهذه العجوز الفاعلة الصانعة ، ترمى ابن خمسين سنة ، فقلت له وما سبب ذلك ، فقال ابن عمك يوسف الجمال ، لا أخذ الله له بيد ، فمازلت حتى أضلحتُ بينها وبينه .

ومن نوادر أجوبته المُسَكَّة ، أنه كان كثير الخلطة بمراكش لأحد السادة ، لا يفارقه ، إلى أن ولى ذلك السيد . وتمول ، واشتغل بدُنياه عنه . فقيل له ، نرى السيد فلانا أضرب عن ضحبتك ومُنادمتك ، فقال . كان يحتاج إلى وقتاً كان يتبَخَّرُ بى ، وأما اليوم فإنه يتبَخَّرُ بالعود والسند والعنبر . وقال له شخص كان يلقَّب « بفُسيوات » فى مجلس خاص . أى فائدة فى « اليربطول » ، وفيَم ذا يُحتاج إليه ، فقال له لا تقل هذا ، فإنه يقطع رايحة الفسا . فودَّ أنه لم ينطق . وتكلم شخص من المُترفين

فقال ، أمس بعنا الباذنجان التي بدار خالتي ، بعشرين مثقالا ، فقال
لو بعتم الكريز التي فيها لساوي أكثر من مائة .

وأخباره شهيرة ، قال أبو الحسن علي بن موسى ، وقعت في رسائل
الكاتب الجليل ، شيخ الكتاب أبي زيد الفمازاي ، على رسائل في حق
أبي محمد اليربطول ، ومنه إليه ، فعنها في رسالة عن السيد أبي العلاء
صاحب قرطبة ، إلى أخيه أبي موسى صاحب مالقة ، ويصلكم به إن شاء الله ،
القايد الأجل الأكرم ، الحبيب الأجد الأنجد ، أبو محمد أدام الله
كرامته ، وكتب سلامته ، وهو الأكيد الحرمة ، القديم الخدمة ، المرعى
[المائة والذمة]^(١) المستحق البر في وجوه كثيرة ، ولِمعان أثيرة ، منها
أنه من عقب عمار بن ياسر رضوان الله عليه ، وحسبكم هذا مجدا مؤثلا ،
وشرفا موثلا ، ومنها تعيين بيته وسلفه ، واختصاصهم من النجاة
والظهور ، بأنوّه الاسم وأشرفه ، وكونهم بين معتكف على مضجعه ، أو
مجاهد بمرهقه ومثقه ، ومنها سبقهم إلى هذا الأمر العزيز ، وتميزهم
بأثرة الشفوف والتميز ، ومنها الانقطاع إلى أخيكم ، مُمدّ موره ومصدّره ،
وكرم مغيبه ومخضره ، وهذه وسایل شتى ، وأدّمة قل ما تتأتى لغيره .

وفاته

كانت وفاته بمالقة بعد عشرين وستماية ، قال الرئيس ، أبو عمر بن
حَكَم ، شاهده قد وصل إلى السيد أبي محمد البياسي أيام ثورته^(٢) ، وهو
بشنتلية^(٣) مع وفد مالقة بالبيعة سنة ثنتين وعشرين وستماية .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزبوتنة (الأمانة والحرمة) .
(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن ، وكان سينا اسطرب أمر
الخليفة الموحدية في أوائل القرن السابع الهجري وإياها على سينا ، لما تأس السيد عبد الله بن يعقوب
المنصور بالأندلس ، داعيا نفسه بالخلافة ، ونسبى ليعلى ، روح عليه ، وأنشأ بدوره يدعو
النفس بالخلافة في منطقة حيان ، واستولى إلى حيان على أباة وبباسة ثم مرطبة ، ونزف عدد
بالبباسة واستمرت ثورته زهاء ثمانية أعوام ، ثم أتت أهل قرطبة لإفرانله في محالفة الذم لارت . وقاناؤه
حتى قتل (٦٢١-٦٢٣ هـ)
(٣) شنتيلة أو شنتباله بلدة أندلسية تقع على مقربة من نهر شبل جنوب قرطبة وشرق إستجة .

ومن الصوفية والفقراء

عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعث الرعيثي
من أهل أرجدونه^(١) من كورة ريه ، يكنى أبا محمد ، ويعرف
بأبن أبي المجد .

حاله

كان من أعلام الكور سلفاً ، وترتّباً ، وصلاحاً ، وإنابةً ، ونيةً في
الصالحين ، متّسع الذرع للوارد ، كثير الإيثار بما تيسر ، مليح التخلّق ،
حسن السمّة ، طيب النفس ، حسن الظن ، له حظ من الطلب ، من
فقه وقراءات وفريضة ، وخوض في طريقة الصوفية ، وأدب لا بأس به ،
قطع عمره خطيباً وقاضياً ببلده ، ووزيراً ، وكتب بالدار السلطانية ، في
كل ذلك لم يفارق السداد .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الجليل أبي جعفر بن الزبير . رحّل إليه من وطنه عام
اثنين وتسعين وستائة ، ولازمه وانتفع به ، أخذ عنه الكتاب العزيز
والعربية ، وسمع عليه الكثير من الحديث ، وعلى الخطيب الصوفي
المحقق أبي الحسن فضل بن محمد بن فضيلة الماعفري ، وعلى الخطيب
المحدث ، أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيّد ، وسمع على الشيخ القاضي
الرائد أبي محمد التبعدي ، والوزير المعمر المحدث الحسيب أبي محمد
بن النعم بن سيماك العاملي ، والعدل الراوية أبي الحسن بن مستنور .
وإذا بما لقة على الأستاذ أبي بكر بن الفخّار ، وأجازه من أهل المشرق طائفة .

(١) أرجدونه أو أرشدونه وبالإسبانية Archidona هي بلدة أندلسية قديمة تقع شمال
مالقة في منطقة وعة تحيط بها الجبال .

شعره

مما حدثني ابن أخته صاحبنا أبو عثمان بن سعيد . قال نظم الفقيه
القاضي الكاتب أبو بكر بن شبرين بيت الكتاب مألّف الجملة ،
رحمهم الله ، هذين البيتين :

ألا يا مُجِيبَ المصطفى زِدْ صَبَابَةً وَضَمِّخْ لسانَ الذِّكْرِ مِنْهُ بِطِيبِهِ
وَلَا تَغْبِثَنَّ بِالْمُبْطِلِينَ فَإِنَّمَا عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ حَبِيبِهِ

فأخذ الأصحاب في تذييل ذلك . فقال الشيخ أبو الحسن بن العيّاب رحمه الله :

فَمَنْ يَغْمُرُ الْأَوْقَاتَ طُرّاً بِذِكْرِهِ فَلَيْسَ نَصِيبٌ فِي الْهَلْدَى كَنَصِيبِهِ
وَمَنْ كَانَ عَنْهُ مُعْرِضاً طَوَّلَ دَهْرِهِ فَكَيْفَ يَرْجِيهِ شَفِيعُ ذُنُوبِهِ

وقال أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية :

أَلَيْسَ الَّذِي جَلَى دُجَا الْجَهْلِ هَدْيُهُ بِمَوْرِ أَقْمَنَّا بَعْدَهُ نَهْدَى بِهِ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَا بَهْ شُكْرُ مُنْعَمٍ فَمَشْهُدُهُ فِي النَّاسِ مِثْلُ مَغِيبِهِ

وقال أبو بكر بن أرقم :

نَبِيٌّ هَدَانَا مِنْ ضَلَالٍ وَحَيْرَةٍ إِلَى مُرْتَقَى سَامِي الْمَحَلِّ خَصِيْبِهِ
فَهَلْ يَذْكُرُ الْمَلْهُوفُ فَضْلَ مُجِيرِهِ وَيَغْمُطُ شَاكِيَ الدَّاءِ شُكْرَ طَبِيبِهِ

وانتهى القول إلى الخطيب أبي محمد بن أبي المجد فقال رحمه الله ما يلا كذلك :

وَمَنْ قَالَ مَغْرُورًا حِجَابُكَ ذَكَرَهُ فَذَلِكَ مَغْمُورٌ طَرِيدٌ عِوَابَهُ
وَذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ فَرَضٌ مُؤَكَّدٌ وَكُلُّ مُعِيقٍ قَسَائِلُ بَوْجُوبِهِ

وقال يوما شيخنا أبو الحسن بن العيّاب هذين البيتين على عادة الأدباء في
اختيار الأذهان :

جَاهِدِ النَّفْسَ جَاهِدًا فَإِذَا مَسَا فَتَنَبَّتَ عَنْكَ فَهْيَ عَيْنُ الْوُجُودِ
وَلْيَكُنْ حِكْمُكَ الْمَسْدَدُ فِيهَا حَكْمُ سَعْدٍ نِيَّ قَنْطَلَسِهِ لِلْيَهُودِ

قال ، فأجابه أبو محمد بن أبي المجد :

أيها العارف المُعَبِّر ذوقنا عن معانٍ غزيرة في الوجود
 إن حال الفنا عن كل غير لمقام المُراد غير المُريد
 كيف لي بالجهاد^(١) غير معان وعدوه مُظاهرٌ بجنسود
 ولو أني حكمت فيمن ذكرتم حُكم سعد لكنت جد سعيد
 فأراها صِباة^(٢) بي فتونسا وأراني في حبها كيمزید
 سوف أسلوبكم عن سواها^(٣) ولو أبذت فعل المحب الودود
 ليس شيء سوى إلهك يبقی واعتبر صدق ذا بقول لبيد

وفاته

توفي رحمه الله، ليلة النصف من شعبان المكرم عام تسعة وثلاثين وسبعماية . وكان يجمع الفقراء ويحضر طائفتهم ، وتظهر عليه حال ، لا يتمالك معها ، وربما أوحشت من لا يعرفه بها .

عبد الله بن فارس بن زيان

من بني عبد الوادي ، تلمسائي يكنى أبا محمد ، وينتمي إلى بني زيان من بيت أمراءهم :

كذا نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الطاهر ... قاضي الجماعة أبي جعفر بن فركون ، وله بأحواله عناية ، وله إليه تردد كثير وزيارة . قال ، رد الأندلس مع أبيه . وهو طفل مهغير . واستقر بقرية

(١) هكذا وردت في الزبوتنة . وفي الإسكودن (بالجماد) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في الزبوتنة . وفي الإسكودريال (حباة) .

(٣) هكذا وردت في الزبوتنة . وفي الإسكودريال (هذاها) والأولى أرجح .

في ديوان غزائها . ولما توفي أبوه ، سلك مسلكه برهة ، ورفض ذلك ، وجعل يتردد بين الولد ، وانقطع لشأنه .

حاله

هذا الرجل غريب النزعة في الانقطاع عن الخلق ، ينقطع ببعض جبال بني مشرف ، واتخذ فيها كهوفاً وبيوتا من الشعر أزيد من أربعين عاما ، وهلم جراً ، منفردا ، لا يُدخل أحداً ، ولا يُلبسه من العرب ، ويجعل الحلفاء في عنقه^(١) اختلف فيه ، فمن ناسب ذلك إلى التلبيس وإلى لؤثة تأثيه ، وربما أثاب بشيء ، ويطلبون دُعاه ومُكالمته ، فربما أفهم ، وربما أبهم .

محنته

ذكروا أنه ورث عن أخ له ما لا غنياً ، وقدم مالقة ، وقد سرق تاجر بها ذهباً عينا ، فاتهم بها ، فجرت عليه محنة كبيرة من الضرب الوجيع ، ثم ظهرت براءته ، وطلب الحاكم الجابر منه العفو ، فعفا عنه ، وقال الله عندي حقوق وذنوب ، لعل بهذا أكفرها ، وصرف عليه المال فأباه ، وقال لا حاجة لي به فهو مال سوء ، وتركه وانصرف ، وكان من أمر انقطاعه ما ذكر .

شيء من أخباره : استفاض عنه بالجهة المذكورة شفاء المرضى ، وتفريج الكربات^(٢) إلى غير ذلك من أخبار لا تحصى كثيرة . وهو إلى هذا العهد بحاله الموصوفة ، وهو دام سبعين وسبعماية .

مولده : بتلمسان عام تسعين وستماية . ودخل غرناطة غير ما مرة .

(١) هنا كلمات محاة استحالت قراءتها .

(٢) هنا بقية قائمة يتخللها المحو ، فرأينا الإغضاد عنها .

قال الفقيه أبو الطاهر منها في عام عشرة وسبعماية ^(١) .

عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي

يعرف بابن العسال ، ويكنى أبا محمد ، طليطلى الأصل . سكن
غرناطة واستوطنها ، الصالح المقصود التربة ، المبرور البقعة ، المفزع
لأهل المدينة عند الشدة .

حاله

قال ابن الصيرفي ، كان رحمه الله ، فذاً في وقته ، غريب الجود ،
طرفاً في الخير والزهد والورع ، له في كل جو متنفّس ، يضرب في كل
علم بسهم ، وله في الوعظ توالييف كبيرة ، وأشعاره في الزهد مشهورة ،
جارية على ألسنة الناس ، أكثرها كالأمثال جيّدة الرّضعة ، صحيحة المباني
والمعاني . وكان يُحلّق في الفقه . ويجلس للوعظ . وقال الغافقي ، كان
فقيهاً جليلاً ، زاهداً ، متفناً ، فصيحاً لساناً ، الأغلب عليه حفظ الحديث
والآداب ، والنحو ، حافظاً ، عارفاً بالتفسير ، شاعراً مطبوعاً . كان له
مجلس ، يُقرأ عليه فيه الحفظ والتفسير ، ويتكلم عليه ، ويقص من
حفظه أحاديث . وألّف في أنواع من العلوم ، وكان يعظ الناس بجامع
غرناطة ، غريباً في وقته ، فذاً في دهره ، عزيز الوجود .

مشيخته

روى عن أبي محمد مكّي بن أبي طالب ، وأبي عمرو ، المقرئ الداني ،
وأبي عمر بن عبد البر ، وأبي إسحق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الزاهد ،

(١) وردت هذه الترجمة ، في بضعة أسطر قاتمة وممحاة في آخرها ، في هامش اللوحة 239
إسكوريال . ولم ترد في الزيتونة . وقد رأينا أن نثبتها هنا بالرغم مما تخلفها من الخو والسقط الكثير .

وعن أبيه فرَج ، وعن أبي زيد الحشا^(١) القاضي ، وعن القاضي أبي الوليد الباجي .

شعره

وشعره كثير ، ومن أمثل ما رُوى منه قوله :
لست وجيها [لدى إلهي]^(٢) في مبدل الأمر والمعاد
لو كنت وجيها لما برأني في عالم الكون والفساد

وفاته

توفي رحمه الله يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان عام سبعة وثمانين وأربعمائة [وألحد ضحى يوم الثلاثاء بعده بمقبرة باب البيرة بين الجبانتين . ويعرف المكان إلى الآن بمقبرة العسال . وكان له يوم مشهود ، وقد نيف على الثمانين رحمه الله ، ونفع به]^(٣) .

ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ، أمير المؤمنين الناصر لدين الله الخليفة الممتنع ، المجتود ، المظفر ، البعيد الذكر ، الشهير بالصيت .

حاله

كان أبيض ، أشهل ، حسن الوجه ، عظيم الجسم ، قصير الساقين .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (النشا) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة (هذا الأمر) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في هامش الإسكوريال ، استكمال واستدراك . ووارد في

مكانه بالزيتونة .

أول من تسمى أمير المؤمنين ، ولي الخلافة ، فعلاً جده ، وبعد صيته ،
وتوطأ ملكه ، وكان خلافته كانت شمساً نافية للظلمات ، فبايعه أجداده
وأعمامه وأهل بيته ، على حداثة السن ، وجدة العمر ، فجدد الخلافة ،
وأحيا الدعوة ، وزين الملك ، ووطد الدولة ، وأجرى الله له من السعد ،
ما يعظم عنه الوصف ، ويجل عن الذكر ، وهياً له استئزال الثوار
والمنافقين ، واجتثاث جرائيمهم .

بنوه : أحد عشر ، منهم الحكم الخليفة بعده ، والمنذر ، وعبد الله ،
وعبد الجبار .

حُجَّابُه : بدر مولاة ، وموسى بن حُدَيْر .

قضاة : جملة منهم أسلم بن عبد العزيز ، وأحمد بن بَقِيٍّ ، ومنذر
ابن سعيد البلوطي .

نقش خاتمه : عبد الرحمن بقضاء الله راض .

أُمُّه : أم ولد تسمى مُزْنَةَ . وبويع له في ربيع الأول من سنة تسع
وتسعين ومائتين ^(١) .

دخوله إلى البيرة

قال المؤرخ ، أول غزوة غزاها بعد أن استَحَجَبَ بدر مولاة ، وخرج
إليها يوم الخميس رابع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاثمائة
مُفَوَّضاً إليه ، ومُستدعياً نصره ، واستيلاف الشَّارِدِينَ ، وتأمين الخافقين .
إلى ناحية كُورَةِ جَبَّان ، وحصن المُسْتَلُون ، فاستنزل منه سعيد بن هذيل ،

(١) هكذا ورد هذا التاريخ في الزيتونة . وفي الإسكوريال (تسع وسعين ومائتين)
وكلاهما خطأ . والصواب أن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (الناصر) بويع له في سبيل ربيع
الأول سنة ٣٠٠ هـ .

وأَناب إليه من كان نافرأ عن الطاعة ، مثل ابن اللبانة وابن مَسْرَّة ودحون الأعمى^(١) ، وانصرف إلى قرطبة ، وقد تجول ، وأنزل كل من بحصن من حصون كورة جيان . وبَسَطَة وناجرة^(٢) وإلبيرة وبجَّانة والبُشْرَة وغيرها بعد أَن عرض نفسه عليها . وعلى عهده توفى ابن حَفْصُون . وجرت عليه هزيمة الخَنْدَق في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وطال عمره ، فملك نيفاً وخمسين سنة ، وُوجد بخطّه ، أيام السُّرور التي صَفَتْ لى دون كدر يوم كذا ويوم كذا ، فُعِدَّت ، فوجدت أربعة عشر يوماً .

وفاته

في أول رمضان من سنة خمسين وثلاثمائة^(٣) .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد
ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية

يكنى أبا المُطَرِّف ، ويلقب بالمرْتَضَى .

حاله وصفته

-
- (١) هكذا وردت هذه الأسماء في المخطوطين . وليس فيها ما يطابق الاسم الصحيح سوى ابن مسرة . وهو الفقيه الفيلسوف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلى (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) . وقد اتهم أيام الناصر بالكفر والزيغ ، وأصدر الناصر في حقه خطابه المشهور بدحض بعض آرائه وتكفيرها (راجع كتابي دولة الإسلام في الأندلس - الطبعة الرابعة - ص ٤٣٠ - ٤٣٤ وص ٦٩٨ - ٦٩٩) .
- (٢) وردت في المخطوطين (وتاجلة) . وهو تحريف ونعتقد أن الصواب ما أثبتناه .
- (٣) هذه الترجمة التي اختصرها الناسخ من الترجمة الأصلية لعبد الرحمن الناصر ، هي مع الأسف ترجمة ضئيلة مضطربة ، مليئة بالأخطاء التاريخية ، وهي بهذه الصورة لا يمكن نسبتها كما هي إلى ابن الخطيب ، وقد كتب ابن الخطيب عن عبد الرحمن الناصر فصلاً قوياً جزلاً قيماً في كتابه « إعمال الأعلام » (طبع بيروت) ص ٢٨ - ٤١ . وراجع ما ورد عن عبد الرحمن الناصر من فصول متعاقبة في كتابي دولة الاسلام في الأندلس (الطبعة الرابعة) ص ٣٧٢ - ٤٦٣ .

كان أبيض أشقر أقنى ، مخفف البدن ، مُدَوِّر اللحية ، خيراً ، فاضلاً . من أهل الصلاح والتقوى ، قام بدولته خيران العامرى ، بعد أن كثر السؤال عن بنى أمية ، فلم يجد فيهم أسداً للخلافة منه ، بورعه وعفاهه ، ووقاره ، وخاطب في شأنه ملوك الطوائف على عهده ، فاستجاب الكل إلى الطاعة ، بعد أن أجمع^(١) الفقهاء والشيوخ ، وجعلوها شورى ، وانصرفوا يريدون قرطبة ، وبدأوا^(٢) بصنّهاجة بالقتال ، فكان نزوله بجبل شقشتر على محجة واط .

وفاته

يوم لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع وأربعمئة . وكانت الهزيمة على عساكر المُرتضى ، فتركوا المحلات وهربوا ، وفشى^(٣) فيهم القتل ، وظفّرت صنّهاجة من المتاع والأموال ، بما يأخذه الوصف ، وقتل المُرتضى في تلك الهزيمة ، فلم يوقع له على أثر ، وقد بلغ سنه نحو أربعين^(٤) .

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن
أبي العاصى بن أمية بن عبد شمس

يكنى أبا المَطَرَف ، وقيل أبا زيد ، وقيل أبا سليمان ، وهو الداخل إلى الأندلس ، والمُجدّد الخلافة بها لذريته ، والملقّب بصقر بنى أمية^(٥) .

(١) وردت في الزيتونة (أجمعوا) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٢) وردت في الزيتونة (أبدوا) والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في الزيتونة (وفشوا) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) وردت هذه الترجمة في الزيتونة فقط . ولم ترد في الإسكوريال .

(٥) المعروف المتداول أن عبد الرحمن بن معاوية الداخل يلقب « بصقر قریش » وليس

« بصقر بنى أمية » .

حاله

قال ابن مفرّج ، كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، راجح العقل ، راسخ العلم ، ثابت الفهم ، كثير الحزم ، فذّ العزم ، بريثا من العجز ، مستخفا للثقل ، سريع النهضة ، متّصل الحركة ، لا يخلد إلى راحة ، ولا يسكن إلى دعة ، ولا يكلّ الأمور إلى غيره ، ثم لا ينفرد بإبرامها برأيه . وعلى ذلك فكان شجاعا ، مقداما ، بعيد الغور ، شديد الحذر ، قليل الطمأنينة ، بليغا ، مفوها ، شاعرا مُحسّنا ، سَمّحا ، سَخيا ، طَلِق^(١) اللسان ، فاضل البنان ، يلبس البياض ، ويعتَمُّ به ويؤثره . وكان أُعْطِيَ هَيْبَةً من وليّه وعدوّه لم يُعْطَها واحد من الملوك في زمانه . وقال غيره ، وألّفى الأمير عبد الرحمن الأندلس ثغرا من أنشأ الشغور القاصية ، غُفلا من سَمَةِ المُلْك ، عاطلا من حِلْيَةِ الإمامة ، فأزْهَبَ أهله بالطاعة السلطانية ، وحرَّكهم بالسيرة الملوكية ، ورفعهم بالآداب الوسطية^(٢) ، فألبسهم عما قريب المودة ، وأقامهم على الطريقة . وبدأ يدوّن الدواوين ، وأقام القوانين ، ورفع الأووين . وفَرَضَ الأعطية ، وأنفَذَ الأقضية ، وعقد الألوية ، وجنّد الأجناد ، ورفع العِماد ، وأوثق الأوتاد ، فأقام للمُلْك آلتَه ، وأخذ للسلطان عُدَّتَه .

نبذة من أوليته

لما ظهر بنو العباس بالمشرق ، ونجا فيمن نجا من بنى أمية ، معروفا بصفتَه عندهم ، وخرج يُؤمّ المغرب لأمرٍ كان في نفسه ، من مُلْك الأندلس ، اقتضاه حِذْثان . فسار حتى نزل القَيْرُوان ، ومعة بَدْرُ مولاه ، ثم سار حتى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حلو) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الواسطية) .

لحق بأخواله من نينزة : ثم سار بساحل العدو ، في كنف قوم من زفانة ، وبعث إلى الأندلس بداراً ، قد اخل له بها من يوثق به ، وأجاز البحر إلى المنكب ، وسأل عنها ، فقال نكبوا عنها ، ونزل بشاط من أحوازا ، وقدم إليه أولو دعوته ، وعقد اللوا ، وقصد قرطبة في خبر يطول ، وحروب مبيرة ، وهزم يوسف الفهري ، واستولى على قرطبة ، فبُيع له بها يوم عيد الأضحى من سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة .

دخوله إلى البيرة

قالوا ، ولما انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، لحق بالبيرة فامتنع بحصن غرناطة ، وحاصره الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وأحاط به ، فنزل على صلح ، وانعقد بينهما عقد ، ورهنه يوسف ابنه أبا زيد وأبا الأسود ، وشهد في الأمان وجوه العسكر ، منهم أمية بن حمزة الفهري ، وحبيب بن عبد الملك المرواني ، ومالك بن عبد الله القرشي ، ويحيى بن يحيى اليحصبي ، ورزق بن النعمان الغسالي ، وجدار بن سلامة المذحجي . وعمر بن عبد الحميد العبدري ، وثعلبة بن عبيد الجذامي ، والحريش ابن حوار السلمي ، وعتاب بن علقمة اللخمي ، وطالوت بن عمر اليحصبي ، والجراح بن حبيب الأسدي ، وموسى بن خالد ، والحُصين بن العقيلي ، وعبد الرحمن بن منعم الكلبي ، إلى آخرين سواهم ، بتاريخ يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائة . نقلت أسماء من شهد ، لكونهم ممن دخل البلدة ، ووجب ذكره ، فاجتزأت بذلك ، فرارا من الإطالة ، إذ هذا الأمر بعيد الأمد ، والإحاطة لله .

بلاغته ونثره وشعره

قال الرازي ، قام بين يديه رجل من جند قنسرين ، يستنجد به .
وقال له ، يا ابن الخلايف الراشدين والسادات الأكرمين ، إليك فررنا .
وبك عذت من زمن ظلوم ، ودهر غشوم ، قلل المال ، وذهب الحال .
وصير إلى بذاك المنال ، فأنت ولي الحمد ، ورؤى المجد ، والمرجو للرفد .
فقال له ابن معاوية مسرعا ، قد سمعنا مقالتك ، فلا تعودن ولا سواك لمثله ؛
من إراقة وجهك ، بتصريح المسئلة ، والإلحاف في الطلبة ، وإذا ألم بك
خطب [أو دهاك أمر ، أو أحرقتك حاجة]^(١) فارفعه إلينا في رُقعة
لا تعدو ذكيا ، تستر عليك خلتك ، وتكف شماتة العدو بك . بعد
رفعها إلى مالِكنا ومالِكها ، عن وجهه ، بإخلاص الدعاء ، وحسن النية
وأمر له بجائزة حسنة . وخرج الناس يعجبون من حسن منطقه ، وبراعة
أدبه .

ومن شعره قوله ، وقد نظر إلى نخلة بمُنية الرصافة ، مُفردة ، هاجت
شجنه إلى تذكر بلاد المشرق :

تبدأت لنا وسط الرصافة نخلة	تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى	وطول التناي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة	فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غواذي المزن من صوبها الذي	يسح ويستمرى السماكين بالوبل

وفاته

توفي بقرطبة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين لربيع الآخر سنة اثنيتين

(١) هكذا وردت هذه الجملة في الزيتونة . ووردت مكانها في الإسكوريال عبار
(واحرقك أمر) .

وسبعين ومائة ، وهو ابن تسعة وخمسين عاما ، وأربعة أشهر ، وكانت
مُدَّةُ مُلْكِهِ ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ، وأخباره شهيرة .

وجرى ذكره في الرَّجَزِ المسمى بقطع السلوك ، في ذكر هذين من
بنى أُمِيَّة ، قولى في ذكر الداخل :

وغمر الهول كَقَطْعِ الليل	بِفِتْنَةِ الفِهرى والصُّمَيْلِ
وجَلَّتْ الفِتْنَةُ فى أندلس	فأَصْبَحَتْ فَرِيْسَةُ الْمُفْتَرَسِ
فأسرع السَّيْرَ إليها وابْتَدَرَ	وكلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرِ
صَقَرُ قَرِيْشٍ عابِدِ الرحمن	بأنى المعالى لبنى مروان
جَدَّدَ عهد الخلفاء فيها	وَأَسَّسَ الملكَ لِمُتَرَفِيْهَا
ثم أجاب داعِىَ الحِمَامِ	وخَلَّفَ الأَمْرَ إلى هشام
وقام بالأمر الحفيد الناصر	والناسَ مَحْصُورِهَا وحاصر
فَأَقْبَلَ السَّعْدَ وجاءَ النَّصْرُ	وأَشْرَقَ الأَمْنُ وضاء القصر
وعادت الأيام فى شبابٍ	وأَصْبَحَ العَدُوُّ فى تِيَابِ
سطى وأعطى وتغاضى وَوَفَا	وكلما أَقْدَرَهُ اللهُ عَفْسا
فعاد من خالَفَ فيها وانتَزا	وحارب الكفار دأبا وغزا
وأوقع الرُّومَ به فى الخَنْدَقِ	فانقلب الملك بسَعَى مُخْفِقِ
وانصلت من بعد ذا فتوحُ	تَغْدُو على مَشْوَاهِ أو تَرُوحُ
فاغتنموا السَّلمَ لهذا الحين	ووصلت لإرسال قُسْطَنْطِينِ
وساعد السَّعدُ فنال واقتنما	ثم بنى الزَّهْرَ فيما قَدُّبُنَا
حتى اذا ما كَمَلْتَ أَيَّامُهُ	سبحان من لا يَنْقُضِي دَوامُهُ

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي

من أهل رُنْدَة وأعيانها ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن الحكيم ،
وجده يحيى ، هو المعروف بابن الحكيم ، وقد تقدم ذكر جُمْلَة من هذا
البيت .

حاله

كان رحمه الله عين بلده المشار إليه ، كثير الانقباض والعُزلة ،
مجانبا لأهل الدنيا ، نشأ على طهارة وعِفَّة ، مرَضَى الحال ، معدودا في
أهل النُزَاهَة والعدالة ، وأفرط في باب الصَّدقة ، بما انقطع عنه أهل الإثراء
من المُتَصَدِّقين ، ووقفوا دون شأوه . ومن شهير ما يُروى من مناقبه في
هذا الباب . أنه أعتق بكل عضو من أعضائه رَقَبَةً ، وفي ذلك يقول
بعض أدباء عصره :

أَعْتَقَ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ رَقَبَةً واعتدَّ ذلك ذخرًا ليوم العَقَبَة

لا أجدُ مَنْقَبَةً مثل هذه المنقَبَة

مشيخته

روى عن القاضي الجليل أبي الحسن بن قَطْرال ، وعن أبي محمد بن
ابن عبد الله بن عبد العظيم الزهرى ، وأبي البركات بن مَوْدود الفارسى .
وأبي الحسن الدَّبَّاج ، سمع من هؤلاء وأجازوا له . وأجاز له أبو أمية
ابن سعد السُّعُود بن عُفَيْر ، وأبو العباس بن مكنون الزاهد ، قال الأستاذ
أبو جعفر بن الزبير ، وكان شيخنا القاضي العالم الجليل أبو الخطَّاب
ابن خليل ، يَطْنِب في الثناء عليه . ووقفت على ما خاطبه به معربا عن ذلك .

شعره

منقولاً من « طرفة العصر » من قصيدة يرثيها المؤذنون منها :

كم ذا أعلل بالتسويف والأمل قلباً تغلب بين الوجد والوجل
وكم أجرد أذيال الصبا مرحاً في مسرح اللهو وفي ملعب الغزل
وكم أماطل [نفسى بالمتاب]^(١) ولاعزم فيوضح لي عن واضح السبل
ضللتُ والحق لا تخفى معالمة شتان بين طريق الجد والهزل

وفاته

يوم الاثنين التاسع والعشرين لجمادى الأولى عام ثلاثة وسبعين وستماية

عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن الفرس ، ويُلقَّب بالمُهر ، من أعيان

غرناطة .

(٢)

حاله

كان فقيهاً جليلاً القدر . رفيع الذكر ، عارفاً بالنحو واللغة والأدب ،
ماهر الكتابة ، رايق الشعر . بديع التوشيح ، سريع البديهة ، جارياً على
أخلاق الملوك في مركبه وملبسه وزيه . قال ابن مسعدة^(٣) : وطىء من
درجات [العز] ^(٤) والمجد أعلاها ، وفرع من الأصالة^(٥) منهاها . ثم علت

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (نفساً بالمتاب) .

(٢) أغفلت في المخطوطين . ورد رأينا إتيانها جرناء على أسوب ابن الخطيب في ترتيب مادة تراجمه .

(٣) هكذا في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (أبو مسعدة) .

(٤) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (البطنة) وهو تعريف .

هَمَّتْهُ إِلَى طَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَالْمُلْكِ : فَارْتَحَلَ إِلَى بِلَادِ الْعُدُوَّةِ ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ ، فَاجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ . وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ . وَدَعَا بِاسْمِ الْخَلِيفَةِ ، وَحَيُّوهُ بِتَحِيَّةِ الْمَلِكِ . ثُمَّ خَانَتْهُ الْأَقْدَارُ . وَالْدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ غَدَّارٌ ، فَأَحَاطَتْ بِهِ جِيُوشُ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ : وَهُوَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ مِنَ الْبَرْبَرِ ، فَقُطِعَ رَأْسُهُ ، وَهُزِمَ جَيْشُهُ ، وَسِيقَ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ ، فَعُلِقَ عَلَى بَابِ مَرَاكُشَ ، فِي شَبَكَةِ حَدِيدٍ ، وَبَقِيَ بِهِ مَدَّةٌ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً ^(١) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، كَانَ أَحَدُ نَبِهَاءِ وَقْتِهِ ، لَوْلَا حُدَّةٌ كَانَتْ فِيهِ ، أَدَّتْ بِهِ إِلَى مَا حَدَّثَنِي بِهِ بَعْضُ شَيْوُخِي مِنْ صَحْبِهِ . قَالَ ، خَرَجْنَا مَعَهُ يَوْمًا عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ مَرَاكُشَ بِرِسْمِ الْفُرْجَةِ ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الرَّجُوعِ نَظَرْنَا إِلَى رُؤُوسٍ مُعَلَّقَةٍ ، وَتَعَوَّذْنَا بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّ وَأَهْلِهِ ، وَسَأَلْنَاهُ سَبْحَانَهُ الْعَافِيَةَ . قَالَ ، فَأَخَذَ يَتَعَجَّبُ مِنَّا : وَقَالَ ، هَذَا خَوَرُ طَرِيقَةٍ وَخَسَاسَةٌ هُمُّهُ ، وَاللَّهُ مَا الشَّرَفُ وَالْهَمَّةُ إِلَّا فِي تِلْكَ " ، يَعْنِي فِي طَلَبِ الْمَلِكِ ، وَإِنْ أَدَّى الْاجْتِهَادُ فِيهِ إِلَى الْمَوْتِ دُونَهُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ . قَالَ ، فَمَا بَرَحْتَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ ، حَتَّى شَرَعَ فِي ذَلِكَ ، وَرَامَ الثُّورَةَ . وَسِيقَ رَأْسُهُ إِلَى مَرَاكُشَ ، فَعُلِقَ فِي جُمْلَةٍ تِلْكَ الرُّؤُوسِ ، وَكُتِبَ عَلَيْهِ ، أَوْقِيلَ فِيهِ :

(١) إِنْ عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَرَسِ الْمَذْكُورِ هُوَ فِي الْأَصْلِ أُنْدَلُسِيٌّ يَنْتَسِي إِلَى قَبِيلَةِ «جَزُولَةَ» الْبَرْبَرِيَّةِ . وَيَعْرِفُ بِالْمَهْرِ وَيَأْبَى قِصَّةَ . وَكَانَ عَلَى جَانِبِ كَبِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ . نَزَحَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَحَضَرَ ذَاتَ يَوْمٍ مَجْلِسَ الْخَلِيفَةِ الْمُوَحَّدِيِّ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ ، وَبَدَرَتْ مِنْهُ بَعْضُ آرَاءِ خَشْيَ عَاقِبَتَهَا فَانْتَفَى حِينًا ، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ وَفَاةِ الْمَنْصُورِيِّ السُّوسِ فِي مَنَازِلِ قَبِيلَتِهِ جَزُولَةَ ، وَانْتَعَلَ الْإِمَامَةَ ، وَادَّعَى أَنَّهُ «الْقَحْطَانِي» الَّذِي وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخْرِجَ رَجُلٌ مِنَ قَحْطَانَ ، يَقُودُ النَّاسَ ، وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَكْتَ جُورًا . وَذَاعَتْ دَعْوَتُهُ فِي بِلَادِ السُّوسِ وَانْتَفَتْ حَوْلَهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ ، وَجَرَدَتْ عَلَيْهِ حُكُومَةُ مَرَاكُشَ عِدَّةَ حَمَلَاتٍ صَغِيرَةٍ مُتَوَالِيَةٍ ، كَانَ يَهْزِمُهَا تَبَاعًا . ثُمَّ جَهَّزَ الْخَلِيفَةُ الْمُنَاصِرُ الْمُوَحَّدِيُّ حَمْلَةً كَبِيرَةً لِمُحَارَبَتِهِ وَسَحَقَهُ ، فَانْفَضَّ عَنْهُ مَعْظَمُ جُمُوعِهِ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ وَقَفَ إِلَى جَانِبِهِ ، وَقُبِضَ عَلَى الدَّعِيِّ . وَقُتِلَ وَاسْتَزَرَ رَأْسُهُ ، وَعُلِقَ عَلَى بَابِ مَرَاكُشَ ، وَكَانَ مَصْرُوعُ ابْنِ الْفَرَسِ وَانْهِيَارُ ثَوْرَتِهِ عَلَى هَذَا اسْتَحْوَى سَنَةَ ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ م) .

لقد طَمَحَ المُهرُ الجُمُوحَ لغاية ففَقَطَّ أعناقَ النِجَادِ السَّوَابِقِ
جَرَى وَجَرَتْ رِجَالُهُ لَكِنَّ رَأْسَهُ أَتَى سَابِقاً والجِسمَ ليسَ بِسَابِقِ
وكانت ثورته ببعض جهات دَرْعَةٍ من بلاد السُّوسِ .

مشيخته

أخذ عن صهره القاضي أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم . وعن غيره من أهل بلده ، وتفقه بهم ، وبهر في العَقَلِيَّاتِ والعلوم القديمة ، وقرأ على القاضي المحدث أبي بكر بن أبي زَمَنِينَ ، وتلا على الأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن عروس : والأدب والنحو على الأستاذ الوزير أبي يحيى بن مَسْعُودَةٍ . وأجازه الأستاذ الخطيب أبو جعفر العَطَّار . ومن شعره في الثورة :

قولوا لأولاد^(١) عبد المؤمن بن علي تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء فارس قحطان وسيدها^(٢) ووارث الملك والغلاب للدول^(٣)

ومن شعره القصيدة الشهيرة وهي :

الله حسبي لا أريد سواه هل في الوجود الحق إلا الله
ذات الإله بها تقوم دولتنا هل كان يوجد غيره لولاه
يا من يلوذ بذاته أنت الذي لا تطمع الأبصار في مرآه
لا غرو أنا قد رأيناه بها فالحق يظهر ذاته وتراه^(٤)
يا من له وجب الكمال بذاته فالكل غاية فوزهم^(٥) لقباه

-
- (١) هكذا في الإسكوريال ، وفي نص آخر (لا يناء) .
(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . وفي نص آخر (قد جاء سيد قحطان وعالمها) .
(٣) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . وفي نص آخر (ومنتهى القول والغلاب للدول)
(٤) هكذا ورد هذا البيت في الإسكوريال وفي الزيتونة كالأتي : (لأغروا أنا قد رأيناه :
خالق يظهر يظهر ذاته وتراه) .
(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قدرهم) .

أنت الذى لما تعالى جده قصرت خطا الألباب دون حماه^(١)
 أنت الذى امتلأ الوجود بحمده لما غدا ملآن من نعمه
 أنت الذى اخترع الوجود بأسره ما بين أعلاه إلى أدناه
 أنت الذى خصصتنا بوجودنا أنت الذى عرفتنا معناه^(١)
 أنت الذى لو لم تلج أنواره لم تُعرف الأضداد والأشياء
 لم أفش ما أودعته إله ما صان سر الحق من أفشاه
 عجز الأنام عن امتداحك إله تعجزاءل الأفكار دون مبداه
 من كان يعلم أنك الحق الذى بهر العقول فحسبه وكفله
 لم ينقطع أحد إليك محبة إلا وأصبح حامدا عُقباه
 وهى طويلة ..

من أهل غرناطة يكنى أبا ورد ويعرف بابن القصبة
 عديم رواء الحس ، قريب العهد بالنجعة ، فارق وطنه وعيصره ،
 واستقبل المغرب ... الوفادة ، وقدم على الأندلس فى أخريات دولة الثانى
 من الملوك النصريين ، فمهد جانب البر له ، وقرب مجلسه ، ورعى وسيلته ،
 وكان على عمل بر ، من صوم واعتكاف وجهاد .

نباهته

ووقف بن ولده الشريف أبو زيد عبد الرحيم ، على رسالة كتب بها أمير
 مكة على عهده إلى سلطان الأندلس ثانى الملوك النصريين رحمهم الله ، وعبر
 فيها عن نفسه ، من عبد الله المؤيد بالله محمد بن سعد الحرسنى ، فى غرض
 المواصلة والمودة والمراجعة عن بر صدر عن السلطان رحمه الله من فصولها :

(١) هذا البيت وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الزيتونة .

«ثم أنكم رضى الله عنكم، بالغنم في الإحسان للسيد الشريف أبي القاسم الذى انتسب إلينا ، وأويتموه من أجلنا ، وأكرمتموه ، ورفعتموه احتراماً لبيته الشريف، جعل الله عملكم معه وسيلة بين يدي جدنا عليه السلام » وهى طويلة وتحميدها ظريف ، من شنشنة أحوال تلك البال بمكة المباركة .
وفاته : توفى شهيدا فى الواقعة بين المسلمين والنصارى بظاهر ألمرية عندما وقع الصريخ لإنجاده ، ورفع العدو البرجلونى عنها فى السادس والعشرين من شهر ربيع الأول عام عشرة وسبعمائة^(١) .

ومن ترجمه المقرين والعلماء والطلبة النجباء من ترجمة الطارئين منهم

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن

حسن بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخشعمى

مالقى [يكنى] ^(٢)أبا زيد ، وأبا القاسم ، وأبا الحسين ، وهى قليلة ، شهر بالسهيلى .

حاله

كان مُقْرِياً مجوداً ، متحققاً بمعرفة التفسير ، غواصاً على المعانى البديعة ، ظريف التهذى إلى المقاصد الغريبة^(٣) ، محدثاً واسع الرواية ، ضابطاً لما يحدث به ، حافظاً متقدماً ، ذاكرة للأدب والتواريخ والأشعار والأنساب ، مبرزاً فى الفهم ، ذكياً ، أديباً كاتباً بليغاً ، شاعراً مجيداً ، نحويًا عارفاً

(١) وردت هذه الترجمة بهامش اللوحة 242 إسكوريال ، مطبوس أولها ، وغير واضح اسم صاحبها (الذى ذكر فيها بعد أنه الشريف أبو القاسم) ، فرأينا أن نقلها كما هى ، وأن نتخذ مكانها بعد ترجمة ابن الفرس .

(٢) ساقطة فى الإسكوريال وواردة فى الزيتونة .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (الطريفة) .

بارعا ، يَقْظًا ، يَغْلِبُ عَلَيْهِ عِلْمُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . اسْتَدْعَى آخِرًا إِلَى التَّدْرِيسِ بِمَرَاكَشَ ، فَانْتَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ مَالِقَةِ ، مَحَلِّ إِقْرَائِهِ ، وَمُتَّبِعِ إِفَادَتِهِ ، فَأَخَذَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ ، إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ .

مشيخته

تلا بِالْحَرَمَيْنِ عَلَى خَالِ أَبِيهِ الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَبِالسَّبْعِ عَلَى أَبِي دَاوُدَ بْنِ يَحْيَى ، وَعَلَى أَبِي عَلَى مَنْصُورِ بْنِ عَلَاءٍ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ خَلْفِ بْنِ رَضِيٍّ ، وَرَوَى عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَابْنِ الْعَرَبِيِّ ، وَابْنِ قُذْلَكَةَ ، وَأَبِي الْحَسَنِ شُرَيْحٍ ، وَابْنِ عَيْسَى ، وَيُونُسَ بْنِ مُغِيثٍ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ الطَّرَاوَةِ ، وَأَكْثَرَ عَنْهُ فِي عُلُومِ اللِّسَانِ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ حَفِيدًا ^(١) مَكِّيًّا ، وَابْنَ أَخْتِ غَانِمٍ ، وَابْنَ مُعَمَّرٍ ، وَابْنَ نَجَاحٍ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ يُونُسَ ابْنَ يُحْمَنَ اللَّهِ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ ابْنَ الْأَبْرَشِ ، وَابْنَ الرَّمَّاءِ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ ابْنَ رَشْدٍ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ دَحْمَانَ ، وَأَبُو مَرْوَانَ بْنِ بُوْنَةَ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَحْرٍ . وَنَظَرَ فِي « الْمَدُونَةِ » عَلَى ابْنِ هِشَامٍ . وَأَجَازَ لَهُ وَلَمْ يَلْقَهُ ، أَبُو الْعَبَّاسِ عَبَّادُ بْنُ سَرْحَانَ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ وَرْدٍ .

من روى عنه

روى عنه أَبُو إِسْحَاقَ الزَّوَالِي . وَأَبُو إِسْحَاقَ الْجَانِي ، وَأَبُو أُمِيَّةَ بْنُ عُفَيْرٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ دَحْمَانَ ، وَابْنُ قَنْتَوَالٍ . وَالْمَحْمُودُونَ ابْنُ طَلْحَةَ ، وَابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَابْنُ عَلِيٍّ جُوَيْحِمَاتٍ . وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ ، وَالْحَفَّارُ وَسَهْلُ بْنُ مَالِكٍ ، وَابْنُ الْعَفَّاصِ ، وَابْنُ أَبِي الْعَافِيَةِ . وَأَبُو الْحَسَنِ السَّرَّاجُ ، وَأَبُو سُلَيْمَانَ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ ، وَالسَّمَاقِيُّ . وَابْنُ عِيَّاشِ الْأَنْدَرُسِيِّ ، وَابْنُ عَطِيَّةٍ ،

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساطعة في الزيتونة .

وابن يربوع ، وابن رُشيد ، وابن ناجح ، وابن جَمْهُور ، وأبو عبد الله بن عيَّاش الكاتب ، وابن الجِذَع : وأبو علي الشُّلُوبين ، وسالم بن صالح ، وأبو القاسم بن بَقِي ، وأبو القاسم بن الطَّيْلَسَان ، وعبد الرحيم بن الفَرَس ، وابن المَلْجُوم ، وأبو الكرم جُودِي : وأبو محمد بن حَوْط الله ، إلى جملة لا يحصرها الحدُّ .

دخل غرناطة . وكان كثير التأميل والمدح لأبي الحسن بن أَضْحَى قاضيه ورئيسها^(١) . وله في مدحه أشعار كثيرة : وذكر لي من أَرَّخ في الغرناطيين ، وأخبرني بذلك صاحبنا القاضي أبو الحسن بن الحسن كتابة عمَّن يثق به .

تواليفه

منها كتاب « الشَّريف والإعلام بما أنبهم في القرآن من أسماء الأعلام » . ومنها شرح آية الوصية ، ومنها « الرُّوض الآئِنف والمُشرع الرُّوا فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واحتوى » . وابتدأ إملاءه في محرم سنة تسع وستين وخمسمائة ، وفرغ منه في جمادى منها . ومنها « حِلْيَةُ النَّبِيل في معارضة ما في السَّبِيل » . إلى غير ذلك .

شعره

قال أبو عبد الله بن عبد الملك : أنشدني أبو محمد القطَّان ، قال أنشدني أبو علي الرُّندِي ، قال أنشدني أبو القاسم السُّهيلي لنفسه :
أسايل عن جيرانه من لَقِيته وأعرض عن ذكراه وال حال تنطق

(١) هو من ثوار الأندلس في أواخر عهد المرابطين . وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ٥٠٤ حاشية) .

ومالى إلى جيرانه من صبابه ولكن قلبي عن صَبُوح^(١) يوفّق
ونقلت من خطّ الفقيه القاضى أبى الحسن بن الحسن ، من شعر أبى
القاسم السهيلي ، مذيلاً بيت أبى العافية فى قطعة لزُومِيَّة :

ولما رأيتُ الدهر تسطو خطوبه بكلّ جَلِيد فى الورى وُهدان
ولم أر من حِرْزِ أَلُوذٍ بظُلُسه ولا مَنْ له بالحادثات يُسدان
فَزَعْتُ إلى من تملّك الدهر كفه ومن ليس ذو مُلك له بمران
وأَعْرَضْتُ عن ذكر الورى متبرّماً إلى الرّب من قاص هناك ودان
وناديتُه سرا ليرحم عبّرتى وقلت رجائى قادى وهدان
ولم أدعه حتى تطاول مفضلاً على بالهام الدّعاء وعان^(٢)
وقلت أَرْجِ عطفه ممتثلاً ببیت لعبد صايل بَرْدان
تغطيت من دهرى بظلّ جناحه فعسى ترى دهرى وليس برانى
قلت ، وما ضرّه ، غفر الله له ، لو سلّمت أساته من بَرْدان ، ولكن
أَبَتْ صناعة الدحو إلا أن تخرج أعناقها .

ومن شعره قوله :

تواضع إذا كنتَ تبغى العلا وكنت راسيا عند صفو الغضب
فخفّضُ الفتى نفسه رِفْعَةً له واعتبر برُسوب الذهب
وشعره كثير ، وكتابته كذلك ، وكلاهما من نمط يقصر عن الإجادة .
وقال ملغزاً فى محمل الكُتُب ، وهو مما استُحسن من مقاصده :
حامل للعلوم غير فقيهه ليس يرجو أمراً ولا يتقيّه

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (هواه) .

(٢) هكذا وردت فى الزيتونة . ووردت فى الإسكوريال مرة أخرى (وهدان) .

يحمل العلم فاتحا قدميه
ومن ذلك قوله في المجنبات :

شَغَفَ الفؤاد نواعمُ أبكار
أَذْكَى من المسك العتيق لنا
وكانَّ من صافي اللجين بطونها
صَفَتْ البواطن والظواهر كلها
عجبا لها وهي النعيم يصبوغها
ومن شعره وثبت في الصلة :

إذا قلت يوما سلام عليك
شفاً إذ قلتها مُقبِلاً
ففيها شفاء وفيها سقام
وإن قلتها مُدبراً فالجِمام
وهذا سلامٌ وهذا سلامٌ
فأعجب لحال اختلافيهما

مولده : عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة .

وتوفي في مرآكش سحر ليلة الخامس والعشرين من شعبان أحد وثمانين
وخمسمائة ، ودفن لظُهره بجبانة الشيوخ خارج مراكش ، وكان قد عمى
سبعة [عشرة]^(٢) عاما من عمره

[عبد الرحمن بن هانيء اللخمي]

يكنى أبا المطرف ، من أهل فرقد من قرى إقليم غرناطة .

حاله

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (انضمتا) .

(٢) واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

كان فقيهاً فاضلاً ، وتجوّل في بلاد المشرق . قال أنشدني إمام الجامع^(١)
بالبصرة :

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ عداوةٌ غير ذى حَسَبٍ ودين
يُنْيَاكَ منه عِرْضاً لم يَصُنْهُ وَيَرْتَعُ منك في عِرْضٍ مَصُونٍ^(٢)

[عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي]

من أهل غرناطة ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن القصير .

حاله

كان فقيهاً^(٣) جليلاً ، بارع الأدب ، عارفاً بالوثيقة ، نقّاداً لها ، صاحب رواية ودراية ، تقلّب ببلاد الاندلس ، وأخذ الناس عنه بمروية وغيرها . ورّحل إلى مدينة فاس ، وإفريقية ، وأخذها ، ووُلّي القضاء بتقرش من بلاد الجريد .

مشيخته

روى عن أبيه القاضي أبي الحسن بن أحمد ، وعن عمه أبي مروان ، وعن أبوي الحسن ابن دُرّي ، وابن الباذهش ، وأبي الوليد بن رشد ، وأبي إسحق بن رشيق الطليطلي نزّيل وادي آش ، وأبي بكر بن العربي ، وأبي الحسن ابن وَكَب ، وأبي محمد عبد الحق بن عطية ، وأبي عبد الله بن أبي الخصال ،

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الصلاة) .

(٢) وردت هذه الترجمة الموجزة في موضعها المتأد بالزيتونة . وأشار إليها الناسخ بالإسكوريال في هامش اللوحة 244 بقوله (قلت سقط هنا في جملة من اختصرتهم عبد الرحمن بن ماني اللخمي) وأورد البيهقي .

(٣) مكانها كلمات غير مقروءة .

وأبي الحسن يونس بن مغيث - وأبي القاسم بن وَرْد ، وأبي بكر بن مسعود الخُشْنِي ، وأبي القاسم بن بَقِي ، وأبي الفضل عِيَاض بن موسى بن عِيَاض ، وغيرهم .

تواليافه

له توالياف وخطب ورسائل ومقامات ، وجمع مناقب مَنْ أدركه من أهل عصره ، واختصر كتاب الجُمْل لابن خاقان الإصبهاني ، وغير ذلك ، وألف برنامجاً يضم رواياته .

من روى عنه

روى عنه ابن الملقوم ، واستوفى خبره

وفاته

ركب البحر قاصدا الحج ، فتوفي شهيداً في البحر ، قتله الروم بمرسى تونس مع جماعة من المسلمين ، صبح يوم الأحد ، في العشر الوسط من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة^(١) .

عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري

يكنى أبا بكر ، ويعرف بابن الفصّال .

حاله

هذا الرجل فاضل عريق في العدالة - ذكي ، نبيل - مُختصر الجرم ، شعلة من شعل الإدراك ، مليح المحاوراة ، عظيم الكفاية - طالب مُتّين .
(١) وردت هذه الترجمة في هامش اللوحة 244 من مخطوط الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

قرأ على مشيخة بلده ، واختص منهم بمولى النعمة على أبناء جنسه ، أنى سعيد ابن لب ، واستظهر من حفظه كتباً كثيرة ، منها كتاب التفریع فی الفروع ، وارتسم فی العُدول ، وتعاطى لهذا العهد الأدب ، فبرز فی فنه .

أدبه

مما جمع فيه بين نظمه ونثره ، قوله يخاطب الكتاب ، ويُشعر ببراعته الألباب :

لعل نسيم الريح يسرى عليه فأهدى صحيح الود طي سقيم
لتحملها عنى وأزكى تحية لقيته كهف مانع ورقيم
ويذكر ما بين الجوانح من جوى وشوق إليهم مُقعد ومُقيم^(١)

يا كُتّاب المحلّ السامى ، والإمام المُتسامى ، وواكف الأدب البسامى ، أناشدكم بانتظامى فى محبتكم وارتسامى ، وأقسم بحقكم على وحبذا إقسامى ، ألا ما أمددتم بأذهانكم الشاقبة ، وأسعدتم بأفكاركم النيرة الواقعة ، على إخراج هذا المُستسى ، وشرح ما أبهمه المُعَمّى^(٢) ، فلعمرى لقد أحرق مزاجى ، وفرق امتزاجى ، وأظلم به وهاجى ، وغطى على مرآة ابتهاجى ، فأعينونى بقوة ما استطعتم ، وأقطعونى من مددكم ما قطعتم ، وآتونى بذلك كله إعانةً وسداً . وإلا فما هو بين يديكم ، ففكّوا غلقه ، واسرّدوا خلقه ، واجمعوا مُضغّه المتباينة وغلّقه ، حتى يستقيم جسداً قائماً بذاته ، متصفاً بصفاته المذكورة ولذاته ، قايلًا بتسلّيه أسلوباً مُصححاً كان أو مقلوباً . وإن تأبى عليكم وتمنع ، وأدركه الحياء [فتستّر]^(٢) وتقتنع ، وضرب على آذان

(١) هذا البيت وارد فى الإسكوريال وساقط فى الزيتونة .

(٢) زائدة فى الزيتونة .

الشُّهَداءُ ، وربط على قلوبهم من الإرشاد له والاهتداء : فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ إِلَى
المدينة لِيَسْأَلَ عَنْهُ خَدِينَهُ :

أَحَاجِي ذَوِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ مِنْ	تَرَى شُعْلَةَ الْفَهْمِ مِنْ زَنْدِهِ
عَنْ اسْمٍ هُوَ الْمَوْتُ مَهْمَا دَنَا	وَلِنْ بَات يُبَكِّي عَلَى فَقْدِهِ
لَذِيذٌ وَلَيْسَ بِذِي طَعْمٍ	وَيُؤَمِّرُ بِالْغُسْلِ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَطِيبٌ مَا يَجْتَنِيهِ الْفَتَى	لَدَى رَبِّهِ الْحَسَنُ أَوْ عَبْدِهِ
مَضْجَعُهُ عَشْرُ الثَّلَاثِ فِي حِسَابِ	الْمُصْحَفِ مِنْ خَسَدِهِ
وَلِنْ شَيْتَ قُلْ مَطْعَمٌ ذَمُّهُ	الرَّسُولُ وَحُضْرٌ عَلَى بُعْدِهِ
وَقَدْ جَاءَ فِي الذِّكْرِ إِخْرَاجُهُ	لِقَوْمِ نَبِيِّ عَلَى عَهْدِهِ
وَتَصْحِيفٌ ضِدُّ لَهُ آخِرُ	يُبَارِكُ لِلنَّحْلِ فِي شَهْدِهِ
وَتَصْحِيفٌ مَقْلُوبُهُ رَبِّهِ	تَرَدَّدَ مِنْ قَبْلِ فِي رَدِّهِ
فَهَاكُمْ مَعَانِيهِ قَدْ بَدَتْ	كَتَارُ الْكَرِيمِ عَلَى نَجْدِهِ

وَكُتِبَ لِلْوَلَدِ أَسْعَدُهُ اللَّهُ ، يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ ، وَيُرْوَمُ قَضَاءُ حَاجَتِهِ :

أَيُّهَا السَّيِّدُ الْعَزِيزُ تَصَدَّقْ	فِي الْمَقَامِ الْعَلِيِّ لِي بِالْوَسِيلَةِ
عِنْدَ رَبِّ الْوَزَارَتَيْنِ أَطَالَ اللَّهُ	أَيَّامَهُ حَسَنَانًا جَمِيلَةً
عَلَّهِ أَنْ يَجِيرَنِي مِنْ زَمَانٍ	مَسْنَى الضَّرِّ مِنْ خُطَاهِ الثَّقِيلَةِ
وَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ بِالنَّهْبِ جَوْرًا	مِنْ يَدَيْهِ الْخَفِيفَةِ الْمُسْتَطِيلَةِ
لَمْ تَدْعُ لِي بِضَاعَةَ غَيْرِ مُزْجَاةٍ	وَنَزَرِ أَهْمُونَ بِهِ مِنْ قَلِيلِهِ
وَإِذَا مَا وَفَى لِي الْكَئِيلُ يَوْمًا	حَشَفًا مَا يُكِيلُهُ سِوَى كَيْلِهِ
فَقُضِيَ بِي غَلِيلُهُ لَا شَفَى بِي	دُونَ ابْنَانِيهِ الْجَمِيعِ غَلِيلِهِ
مِنْ هَذَا الزَّمَانِ مُدُّ نَالٍ مِنْ	لَيْسَ لِي بِالزَّمَانِ وَاللَّهُ حِيلَهُ
غَيْرَ أَنْ يَشْفَعَ الْوَزِيرُ وَيَدْعَى	عَبْدَهُ أَوْ خَدِيْعَهُ أَوْ خَلِيلَهُ

دُمْتُ يَا بَنَ الْوَزِيرِ فِي عِرْكَ السَّامِي وَدَامَتْ بِهِ اللَّيَالِي^(١) كَفِيلَةَ

سَيِّدِي الَّذِي بِعِزَّةِ جَاهِهِ أَصُولُ^(٢) ، وَبِتَوْسُّلِي بِعِنَايَتِهِ أُبَلِّغُ الْمَأْمُولَ وَالسُّوْلَ ،
وَأُرُوْمَ لِمَا أَنَا أَحُوْمُ عَلَيْهِ الْوَصُوْلَ ، بِبِرْكَةِ الْمَشْفُوْعِ إِلَيْهِ وَالرَّسُوْلَ ،
الْمَرْغُوْبَ مِنْ مَجْدِكَ السَّامِي الصَّرِيْحَ ، وَالْمَوْمِلَ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ السَّنِّي
الصَّبِيْحَ ، أَنْ تَقُوْمَ بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَى الشَّفَاعَةِ ، هَذِهِ الرُّقَاعَةُ ، وَتُعَيِّنَ
بِذَاتِكَ الْفَاضِلَةَ النَّفَّاعَةَ ، مِنْ لِسَانِكَ مَضْمَنَةَ ، حَتَّى يَنْجَلِيَ حَالِي عَنْ بَلْجٍ ،
وَأَتَسَنَّمُ مِنْ مَهَبَّاتِ الْقَبُوْلِ طِيْبِ الْأَرْجِ ، وَتَسْتَطْلِعَ مُسْتَبْشِرَاتِ فَرْحَتِي مِنْ
تَنْيَّاتِ الْفَرَجِ ، فَإِنَّ سَيِّدَ الْجَمَاعَةِ الْأَعْلَى ، وَمَلَاذَ هَذِهِ الْبَسِيْطَةِ وَفَحْلَهَا
الْأَجْلَى ، فَسَّحَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مِيْدَانِ هَذَا الْوُجُوْدِ بِوُجُوْدِهِ ، وَأَضْفَى عَلَى هَذَا
الْقُطْرِ مَلَابِسَ السَّتْرِ بِرَأْيِهِ السَّلِيْدِ وَسُعُوْدِهِ ، وَبَلَّغَهُ فِي جَمِيْعِكُمْ غَايَةَ أَمَلِهِ
وَمَقْصُوْدِهِ ، قَلَمًا تَضْمِيْعُ عِنْدَهُ شَفَاعَةُ الْأَكْبَرِ مِنْ وَلَدِهِ ، أَوْ يَخِيْبُ لَدَيْهِ مِنْ
تَوْسُّلٍ إِلَيْهِ بِأَزْكَى قِطْعِ كَيْدِهِ ، وَبِحَقِّكَ أَلَا مَا أَمَرْتَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ بِالْمَثُوْلِ
بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ الزَّكِيِّ الذَّاتِ الطَّاهِرِ الْبُقْعَةِ ، وَقُلْ لَهَا قَبْلَ الْحُلُوْلِ بَيْنَ
يَدَيِ هَذَا الْمُوْلِ الْكَرِيْمِ ، وَالْمَوْئِلِ الرَّحِيْمِ ، بِعَظِيْمِ التَّوْقِيْرِ وَالتَّبَعِيْلِ ،
وَاعْلَمِي يَا أَيْتَهَا السَّائِلِ ، أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْمَوْمِلُ ، بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا
الْحِجْلِ ، وَالْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ فِي تَبْلِيْغِ رَاجِيِهِ أَقْصَى مَا يُؤْمَلُونَهُ بِالتَّعَجِيْلِ ،
وَحَاتِمَةُ كَلَامِ الْبِلَاغَةِ ، وَتَمَامُ الْفَصَاحَةِ ، الْمَوْقِفُ عَلَيْهِ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالتَّسْجِيْلِ ،
وَعُرَّةُ صَفْحِ دِيْنِ الْإِسْلَامِ الْمُؤَيَّدَةِ بِالتَّحْجِيْلِ . وَهَذَا هُوَ مَدْبُرُ فَلَكَ الْخَلَاْفَةُ
الْعَالِيَةِ بِإِيَالَتِهِ . وَحَافِظُ بَدْرِ سَمَايَاهَا السَّامِيَةِ بِهَالَتِهِ ، فَقِرِّي بِالْمَثُوْلِ بَيْنَ
يَدَيْهِ عَيْنًا . وَلَقَدْ قَضَيْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بِذَلِكَ دَيْنًا ، وَإِذَا قِيلَ مَا وَسِيْلَةُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأول) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أطول) .

مُؤَمَّلَك ، وحاجة مُتوسِّلَك ، فوسيلته تشيعه في أهل ذلك المعنى ، وحاجته يتكفَّل بها مجدكم الصميم ويُعنى ، وليست تكون بحرمة جاهكم من العرض الأدنى ، وتَمَنَّيَّ فَإِنَّ لِلْإِنْسَانِ هُنَالِكَ مَا تَمَنَّى ، وتوَلَّى تَكْلِيفَ مَرْسَلِي بِحَسَبِ مَا وَسَّعَكُمْ ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ . ثُمَّ أَثْنُ الْعِثَانِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ ، وَأَعِيدِي السَّلَامَ ، ثُمَّ عَوْدِي بِسَلَامٍ .

وخاطب قاضي الحضرة ، وقد أنكر عليه لباس ثوب أصفر :
 أبقى الله المثابة العلية ، ومثلها أعلى ، وقَدَحُهَا فِي الْمَعْلُوتَاتِ الْمُعْلَى ،
 ما لها أَمَرَتْ ، لا زالت بركاتها تنثال ، ولأمرٍ ما يجب الامتثال ، بتغيير
 ثوب الفاقع اللون ، وإحالاته عن معتاده في الكون ، وإلحاقه بالأسود الجون
 أَصْبَغُهُ حِدَاداً ، وأيام سيدي أيام سُرُور ، وبنو الزمان يعدله ضاحك
 وَمَسْرُور ، ما هكذا شيمَةُ الْبَرُّور ، بل لو استطعنا أَنْ نَزْهَوْهُ لَهُ كَالْمِيلَادِ ،
 وننزيا في أيامه بزى الأعياد ، ونرفل من المشروع في مُخْبِرٍ وَمَوْزُوسٍ ،
 ونتجلى في حُلُلِ الْعَرُوسِ ، حتى تَقَرَّ عَيْنُ سَيِّدِي بِكِتَابِيَةِ دِفَاعِهِ ، وَقِيَمَةِ^(١)
 نَوَافِلِهِ وَإِشْفَاعِهِ ، ففى عِلْمِ سَيِّدِي الَّذِي بِهِ الْإِهْتِدَاءُ ، وبِفَضْلِهِ^(٢) الْاِقْتِدَاءُ ،
 تَفْضِيلِ الْأَصْفَرِ الْفَاقِعِ ، حَيْثَا وَقَعَ مِنَ الْمَوَاقِعِ ، فهو مهما حَضَرَ نَزْهَةَ
 الْحَاضِرِينَ ، وكفاه فاقعٌ لونها تسر الناظرين . ولقد اغتمَّ جبريل عليه
 السَّلَامُ ، وبه تطرَّزَ الْمُخْبِرَاتُ وَالْأَعْلَامُ ، وإِنَّ لَزِيَّ الطُّرْفَاءِ ، وَشَارَةَ أَهْلِ
 الرَّفَاءِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ كَانَ سَيِّدِي ، دَامَ لَهُ^(٣) الْبَقَاءُ ، وساعده الارتقاء ،
 يُنْهَى أَهْلُ التَّبَرُّيزِ ، عَنْ مِقَابِرَةِ لَوْنِ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ ، خِيْفَةَ أَنْ تَمِيلَ
 لَهُ مِنْهُمْ ضَرِبِيَّةٌ . فَيَزْنُوا بِرَبِيَّةٍ ، فَتَنْعَمَ إِذَا وَنُعِمَى عَيْنٌ . وَسَمْعاً وَطَاعَةً
 لِهَذَا الْأَمْرِ الْهَيِّئِ اللَّيِّنِ ، أَتَبَعُكَ لَا زَيْدًا وَعَمْرًا . وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ، ثُمَّ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قيم) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بلمه) مرة أخرى والأول أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (آدام الله له) .

لا ألبس بعدها إلا طمراً ، وأتجرّد لطاعتك تجريداً ، وأسلك إليك فقيراً
ومزيداً ، ولا أتعرض للسخط بلبس شفيف ، استنشق هبّاه ، وألبس
عباه ، وأبرأ من لباس زى يُنشئ عتاباً ، يلقي على لسان مثل هذا كتاباً ،
وأثوب منه متاباً ، ولولا أني الليلة صفر اليدين ، ومُعْتَقِل الدّين ، لباكرت
به من حانوت صباغ رأس خابية ، وقاع مظلمة جابية ، فأصيرّه حالكاً ،
ولا ألبسه حتى استفتى فيه مالِكاً ، ولعلّي أجد فأرضى سيدي بالتزّي بشارته ،
والعمل بمقتضى إشارته ، والله تعالى يُبقيه للحسنات ، يُنبّه عليها ، ويؤمى
بعمله^(١) وحظه إليها ، والسلام .

وخاطبني وقد قديم في شهادة المواريث بحضرة غرناطة :

يا منتهى الغايات دامت لنا غايتك القُصوى بلا قوت
طلبتُ إحيائي بكم فانتهى من قبله حالي إلى الموت
وحقّ ذلك الجاهِ جاه العُلا لايتُ إلا أن أتى وقت

مولاي الذي أتأذّي^(٢) من جور الزمان بذيّام جلاله ، وأتعوذ من نقص
شهادة المواريث بتمام كماله ، شهادة يابأها المُعسر والحَيّ ، ويودّ أن لا يوافيه
أجله عليها الحَيّ ، مُناقضة لما العبدُ يسبيله ، غير مُربح قَطيرها من
قليله ، فإن ظهر لمولاي إعفاء عبّده ، فمن عنده . والله تعالى يُمتّع الجميع
بدوام سعّده ، والسلام الكريم ، يختص بالطاهر من ذاته ومجده ، ورحمة
الله وبركاته ، من عبد لإنعامكم ابن الفصّال لطف الله به :

قد كنت أسترزق الأحياء مارزقوا شيئا ولا وفوني بعض أفوات
فكيف حالي لما أن شكوتهم رجعت أطلب قوتي عند أموات
والسلام يعود على جناب مولاي ورحمة الله وبركاته :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يعله) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (اتلذذ) والاولى أرجح .

وخطب أحد أصحابه ، وقد استخفى لأمر قرف به ، برسالة افتتحها
بأبيات على حرف الصاد ، أجابه المذكور عن ذلك بما نصه ، وفيه إشارة
لغلط وقع في الإعراب :

يا شُعلةً من ذكاءٍ أرسلت شررا إلى قريبٍ من الأرجاء بعد قص
وشبهةً حملت دعوى السفاح على فحلٍ يليق به مضمونها وخص
رحمالك بي فلقد جرّعتني غصصا آثار تعريضها المكثوم من غص
بليتني بنكاة القرّح في كبدي كمثّل مرتجف المجذوم بالبرص

أيها الأَخ الذي رقي ومسح ، ثم فصّح ، وغشّ ونصح ، ومزّق ثم
نصح ، وتلاعب بأطراف الكلام المشقّق فما أفصح ، ما لسحاتك ذات
الجيد المنصوص ، توهم سِمة الودّ المرصوص ، ثم تعدل إلى التأويلات
عن النصّوص ، وتونس على العموم ، وتوحش على الخصوص ، لا درّ
دره من باب برّضاع مفتاحه ، وتأنيس حرّ سبق بالسجن استفتاحه ، ومن
الذي أنهى إلى أخى خبر ثِقافى ، ووثيقة تحببسى وإيقافى ، وقد أبى ذلك
سعدُ فرعه باسق ، وعزّ عقده متناسق . ويا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق
[بنبيأ] ^(١) ، بل المشوى والحمد لله جنّات وغرف ، والمتنهي مجد وشرف ،
فإن كان وليّ مكثراً فيحق له السرور ، أو شامتاً ، فلي الظل وله الحرور .
أنا لا أزن والحمد لله بها من هناء ، ولما أدين بها من عزى ومناه ، ولا تمرّ لي
ببال فلست بذى سيف . ولست بنكال نفسى أرقّ شيمة . وأكرم مشيمة .
وعينى أغرّز ديمة ، لو كان يُسئل لسان عن إنسان . أو مجارلته بملعبه
خيوان ، أو قفنى إخوان لا بمازق غدوان . لا رسمت منه بديوان . لا يُغنى

(١) هذه الكلمة الواردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريان .

في حربِ عَوَان . عين هذا انشاكل بالحمد لله فراره . وعنوان هذا الحدّ
 غراره . وأما كوفي من جسد الصنفرة . ومن أجهز سيدى الفقار على
 ذى الفقرة . فأقسم لو ضرب القنيل ببعض البقرة . لتعين مقدار تلك
 العفرة . اللهم لو كنتُ مثل سيدى من تضاعل النخلة السحوق لقامته ،
 ويعترف^(١) عوجٌ لديه بتماعته ودمايته . مُقبل الطعن كالبدور في سحاب
 الخُذور ، وخليفة السيد الذى بلغت سراويله تندوة العدو الأيد ، اطلت
 بباعٍ مديد ، وساعدنى الخلق بمساعد شديد . وأنا لى جسم شحت ، يحف
 به بخت ، وحسبُ مثلى أن يعلم فى ميدان هوى ، تُسلُ فيه سيوف اللّحاظ
 على ذوى الحِفاظ ، وتشرع سيوف القُدود . إلى شكاة الصُدود^(٢) ، وتسطو
 أولو الجُفون السُود بالأُسود ، فكيف أخشى تبعّة تزلُ عن صفائى ، وتنافى
 صغمائى ، ولا تطمع أسبابها فى التغمائى ، ولا تستعمل فى حربها قنا ألفتائى .
 والله يشكر سيدى على اهتباله . ويحلّ كريم سبّاله ، على ما ظهر لأجلى من
 شَغف باله ، إذ رَفَعَ ما يُنصب ، وغيرَ ما لو غيرَه الحجاج ، لكان مع
 الهيبة يُحصب^(٣) ، ونكّت بأن نفقت بالحظسوق . وظهر لأجله فُسوقى^(٤)
 ويا حبذا هو من شَفيع رَفيع ، ووسيلة لا يخالفها الرغى ، ولا يخيب لها
 السعى . والله دُرُّ القبايل .

لله بالإنسان فى تعليمه بوساطة القلم الكريم عناية

فالخطُ خطٌ والكتابة لم تزل فى الدهر عن معنى الكمال كناية

وما أقرب يا سيدى هذه الدعوى لشهامتك . وكبير هامتك :

(١) هكذا وردت فى الرتبة . وفى الإسكوريال (يذرف) والأول أرجح .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الصمود) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (يصب) وهو تعريب .

(٤) هكذا فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (يسوق) .

لو كنت حاضراً بهم بخندق بلج ولحمل ما قد أبرموه فصال
لخصصت بالدعوى التي عموها ولقيل^(١) فصل جلاه الفصل
وتركت فرعون بن موسى عبيراً تتقدمته بسيفه الأوصال

فاحمد الله الذي نجاك من حضور وليمتها ، ولم تشهد يوم حليمتها .
وأما اعتذارك عما يقل من تنقذ الكنز ، ومنتطح العنز ، فورع في سیدی
أتم من أن يتهم بغيبة ، ولسانه أعف من أن ينسب إلى ريبة ، لما اتصل به
من فضل ضريبة ، ومقاصد في الخير غريبة ، إنما يستخف سیدی أفرط
التهم ، رمى العوامل بالتهم ، فيجری أصح مجرى أختها ، ويلبسها ثياب
تختها ، بحيث لا إثم يترتب ، ولا هو ممن تعتبه ، وعلى الرجال فجنايته
عذبة الجناء ، ومقاصده مستطرفة^(٢) لفصح أو كنى . أبقاءه الله رب نفاضة
وجراة ، ولا أخلى مبرده القاطع من برادة ، وعوده الخير عادة ، ولا أعذمه
بركة وسعادة ، بفضل الله . والسلام عليه من وليه المستزيد من ورش^(٣)
وليه ، لا بل من قلايد حليه . محمد بن فركون القرشي . ورحمة الله وبركاته

فراجع المترجم بما نصه ، وقد أتهم أن ذلك من إملاي :

يا ملبس النصح ثوب الغش متهما يلوى النصيحة عنه غير منتكص
وجاهلاً باتخاذ الهزل مادبسة أشد ما يتوق محمل الرخص
نصحته فقمصاني فانقلبت إلى حال يغص بها من جملة الغصص
بالأمس أنكرت آيات القصاص له واليوم يسمع فيه سورة القصص
ممن استعرت يابابلي هذا السحر . ولم تسكن بناصية السحر . ولا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ولقت) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مستطرفة) .

(٣) وردت في الإسكوريال (ورش) . وفي الزيتونة (ورش) .

يحمل معنى مناسباً .

أعملت إلى بابل هاروت امتطاء ظهر ، ومن أين جيت بقلايد ذلك النحر ،
 أمِنَ البحر ، أو مما وراء النهر . ما لمثل هذه الأريجية الفاتقة ، استنشقنا
 مهيك ، ولا قبل هذه البارقة الفايقة ، استكشرنا غيك . يا أيها الساحر ادعُ
 لنا ربك . أأضغات أحلام ما تريه الأقلام ، أم في لحظة تلد الأيام ،
 فرايد الأعلام . لقد عهدت بربعك مُحسن دُعابة ، ما فرعت شعابه ، أو
 مُصيباً في صُبابه ، ما قرعتُ بابه ، ولا استرجعت قبل أن أعبرُ غُبابه .
 اللهم إلا أن تكون تلك الآيات البيّنات ، من بنات يراعتك ، لا براعتك
 ومُغتَرُسُ تلك الزُهر ، الطالعة كالكوكب الزُهر ، مختلُس يد استطاعتك ،
 لا زراعتك ، وإلا فنطرح مصايد التعليم والإنشاء ، وننتظر معنى قوله
 عز وجل ، يؤتى الحكمة من يشاء ، أو نتوسل في مقام الإلحاح والإلحاف .
 أن ننقل من غابلة الحسد إلى الإنصاف ، وحسبي أن أطلعك بالحديقة
 الأنيقة ، ووقفك من مثلي تلك الطريقة على حقيقة ، فألفيت بها بيانا
 قد وضح تبياناً أو أطلق عنانا ، ومحاسن وجدت إحسانا ، فتمثلت إنسانا ،
 سرح لسانا ، وأجهد بنانا ، إلا أن صادح أيكثها يتململ في قيظ ، ويكاد
 يتميز من الغيظ ، فيفيض ويغيض ، ويهيض وينهض ، ثم يهبط ، ويأخذ
 في طويل وعريض ، بتسبيب وتغريض ، ويتناهض في ذلك بغير مهبط ،
 وفاتن كمايمها^(١) تسل عن الصادح ، ويتلقف عصا استعجاله ما يُفكّه
 المادح ، ويحرق بناره زند القادح ، ويتعاطى من نفسه بالإعجاب ، ويكاد
 ينادى من وراء حجاب ، إن هذا لشيء عجاب . إيه بغير تمويه ، رجع
 الحديث الأول ، إلى [ما عليه الموعول]^(٢) ، لا در درها من نصيحة غير

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (كأينها) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (ما إليه أمل)

صحیحة ، ووصیة مودة صریحة ، تعلقت بغير ذی قریحة ، فهي استعجلتني
 بداهية كاتب ، واستطالة ظالم عاتب [قدسل مُرْهَنَه واستنجد مُتَرْفَه] ^(١) ،
 وجهها نحو كَتِيبَتِه تُسْفِر عن تَحْجِيل ، بغير تَبْجِيل [وسحابة سَجَل تَرْمِي
 بِسَجِيل] ^(٢) ما كان إِلَّا أَنْ اسْتَقَلَّتْ ، وَرَمَتْنِي بدائها وانسلت ، وألقت
 ما فيها وتخلت ، فحَسْبِي الله ، تُغَلِّب على فَهْمِي ، وَرُمِيت بِسَهْمِي ، وَقُتِلَتْ
 بِسِلَاحِي ، وَأُسْكِرْتَ بِرَاحِي ، بُرِيت بِرُيْت ، مِمَّا بِهِ دُهِيت ، أَنْتَ أَبْقَاكَ اللهُ
 لَمْ تَذَنْ ^(٣) بها منى منالاً وعزاً ، فكيف بها تنسب إلى بَعْدِكَ وتُعْزَا ، نفسى
 التى هِىَ أَرْقُ وَأَجَلُّ بِالْمَعَالِى وَأَحَقُّ ، وَشَكْلِي أَخْفُ عَلَى الْقُلُوبِ وَأَدْقُ ،
 وَشِمَائِلِي أَمَلِكُ فَلَا تُسْتَرْقُ ، وَلِسَانِي هُوَ الَّذِي يُسْتَلُّ فَلَا يُفَلُّ ، وَقَدْرِي
 يُعْزَهُ وَيُجَلُّ ، عَمَّا فَخَرْتَ أَنْتَ بِهِ مِنْ مَلْعَبٍ مَايِدَةٍ ، وَمَجَالِ رِقَابٍ مُتَمَايِدَةٍ ،
 فحاشى سِيدِي أَنْ يَقَعَ مِنْهُ بِذَلِكَ مَفْخَرٌ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَلْهُو وَيَسْخَرُ ، وَمَوْجُ بَحْرِهِ
 بِالطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ ^(٤) تَزْخَرُ ، وَعَيْنُ شَكْلِي هِىَ بِحَمْدِ اللهِ ، عَيْنُ الظَّرْفِ ^(٥)
 الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ وَالظَّرْفِ . وَأَمَّا تَعْرِيفُ سِيدِي بِصِغَرِ الْقَامَةِ ، وَتَكْبِيرِهِ
 لغير إِقَامَةِ ، فَمُطَرَّدٌ قَوْلٌ ، وَمُدَامَةٌ غَوْلٌ ، وَفَرِيضَةٌ ^(٦) نَشَأَ فِيهَا عَوْلٌ ،
 إِذْ لَا مِبَالَةَ تَجَسَّمُ كَايْنَا مَا كَانَ ، أَوْ مَا سَمِعْتَ أَنَّ السُّرْفِي السُّكَّانَ ، وَإِنَّمَا
 الْجَسَدُ لِلرُّوحِ مَكَانٌ [وَلَمْ يَبْقَ إِلَيْهِ فَقَدْ يَرُوحُ] ^(٧) ، وَقَدْ قَالَ ، وَيَسْثَلُونَكَ

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (قد لله
 مذهبه واستنجد مضربه) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (وسحابة
 بسجيل ترمي بتمجيل) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تدر) .

(٤) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الزيتونة .

(٥) واردة في الإسكوريال وساقطة في الزيتونة .

(٦) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (فراضة) .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (ولم ين اليه بعد مروح) .

عن الرُّوح ، والمرءُ بقلبه ولسانه ، لا بمُسْتَظْهَرِ عِيَانِهِ ، واللهُ دُرُّ الْقَابِيلِ :

لم يُرَضِّنِي أَنِّي بِجِسْمِ هَائِلٍ وَالرُّوحُ مَا وَفَّتْ لَهُ أَغْرَاضُهُ
وَلَقَدْ رَضِيتُ بآنَ جِسْمِي نَاحِلٍ وَالرُّوحُ سَابِغَةٌ بِهِ فِضْفَاضَةٌ

ولما وَقَعَ سَيْدِي بِمَكْتُوبِي عَلَى الْمَرْفُوعِ وَالْمَنْصُوبِ ، وَظَفِرَتْ يَدُهُ بِالْمَغْصُوبِ ،
وَالْبَاحِثِ الْمَغْصُوبِ ، لَمْ يُقْلِعْهَا ^(١) زَلَّةٌ عَالِمٍ . وَإِنِّي وَقَدْ وَجَدْتُهَا مُنِيَّةٌ حَالِمٍ ،
فَعَدَّدُ وَأَعَادُ ، وَشَدَّدُ وَأَشَادُ ، هَلَّا عَقِلَ مَا قَالَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمُتَقِيلَ سَيَكُونُ مَقَالُ ،
[وَزَلَّةُ الْعَالِمِ لَا تُقَالُ] ^(٢) وَأَنَّ الْحَرْبَ سَجَالُ . وَقَبْضَةُ غَيْرِهِ هُوَ الْمُتَلَاعِبُ
فِي الْحِجَالِ ^(٣) ، وَبِالْجُمْلَةِ فَلَكَ الْفَضْلُ يَا سَيْدِي ، مَا اعْتَنَى بِمَعْنَاكَ ، وَارْتَفَعَ بَيْنَ
مَغَانِي الْكَرَامِ مَعْنَاكَ ، فَمَدَّةُ رَكُوبِكَ الْحُمْرَانُ ^(٤) لَا تُجَارَى ، وَلَا يَشْقُ أَحَدُكَ
غُبَارًا . أَبْقَاكَ اللَّهُ تَحْفَظُ عُرَى هَذَا الْوِدَادِ ، وَيَشْمَلُ الْجَمِيعَ بَرَكَةُ ذَلِكَ
النَّادِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ ابْنِ الْفَضَّالِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَجَعَلَا إِلَى التَّحْكِيمِ ، وَفَوْضَا لِنَظَرِي التَّفْضِيلِ فَكَتَبْتُ :

بَارِكْ عَلَيْهَا بِذِكْرِ اللَّهِ مِنْ قَصَصِ	وَاذْكُرْ مَا أَتَى فِي سُورَةِ الْقَصَصِ
حَيْثُ اغْتَدَى السَّحَرُ يَلْهُو بِالْعُقُولِ	وَقَدْ أَحَالَ بَيْنَ حَالِ كَيْدِهِ وَعَيْصِ
عَقَائِلِ الْعَقْلِ وَالسَّحَرِ الْحَالِلِ قُوْتُ	مِنْ كَافِلِ الصُّونِ بَعْدَ الْكُونِ جَحْرُ وَصِ
وَأَقْبَلْتُ تَتَهَادَى كَالْبُدُورِ إِذَا	بَسِخَرٍ مِنْ فَلَكِ النُّدُورِ فِي حِصَصِ
مِنْ لِلْبُدُورِ وَرَبَّاتِ الْخُدُورِ بِهَا	الْمِثْلُ غَيْرِ مَطِيعِ وَالْمِثْلَانِ عَصِ
مَا قُرْصَةُ الْبَدْرِ وَالشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ أَنَّ	قِيَسَتْ بَيْنَ سَوَى مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْصِ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (يَنْقُهَا) .

(٢) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي الزَيْتُونَةِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (الْمَجَالِ) .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ .

تالله ما حُكِّمها يوماً بمُنْتَقَضٍ كلاً ولا بدرها يوماً بمُنْتَقَضٍ
 إن قال حُكِّمى فيها بالسَّواد فقد أُمِنْتُ ما يَحْذَرُ القاضى من الغُصَصِ
 أو كنت أَرَخَصْتُ فى التَّرجيحِ^(١) مجتهداً لم يقبل الورع الفُتيا مع الرِّخَصِ
 يا مُدْلج ليل التَّرجيحِ قِف ، فقد خَفِيت الكواكب ، ويا قاضى طَرْفِ
 التَّحْسِين والتَّقْبِيحِ : تَسَامَتْ والحمد لله المناكب ، ويا مُسْتَوَكِفَ خَيْرِ
 الوقِيعَةِ من وراء أَقْتامِ القِيعَةِ^(٢) ، تَصَالَحْتَ المواكب . خَصَّصَ الحقُّ
 فارتفع اللُّجَاج ، وتعارضت الأدلَّة فسقط الاحتِجَاج ، ووضعت الحرب
 أوزارها فسكن العِجَاج ، وطاب سَحْلُ الأَقلام بأزهار الأحلام ، فطاب
 المُجَاج ، وقلَّ لفرعون البيان وإن تَأَلَّه ، وبلَّد العقول وبلَّه ، ووَلَّى بالغرور
 ودلَّه . أوسع الكُنَّابِين^(٣) نَثْلاً ، ودونك أَيْداً شَثْلاً ، وشَخراً حَثْلاً ، لا خَطْماً
 ولا أَثْلاً . إن هذان لساحران إلى قوله ، ويذهبا بطريقتكُم المثلَى ، وإن
 أثرت أدب الحليم مع قصَّة الكَلِمِ^(٤) ، فقل لمُجِئِلِ جِيادِ التَّعَالِمِ ،
 وواضع جغرافيا الأقالِمِ ، أنْدَلَسْنا ما عَلِمْتَ بلد الأَجَمِ ، لا سُودَ العَجَمِ ،
 ومذاحض السَّقُوطِ ، على شوك قَتَادِ القُوطِ ، ولم يَنْدِرْ إن محل ذات العجايبِ
 والأسرار ، التى تُضرب إليها أباط النُّجَابِ فى غير الإقليم الأول . وهذا
 الوطن بشهادة القَلْبِ الحَوَّلِ . إنما هو رسمٌ دارس . ليس عليه من مُعَوَّلِ .
 فهنالكَ يتكلم الحق فيُفصِّح ويُعجم ، ويرد المذذ على النفوس الجريئة ،
 من مطالع الأَضواء^(٥) فيحدث ويلهم . ويجود خازن الأمداد ، على

(١) مكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (التحريج) .

(٢) مكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الوقِيعَة) مرة أخرى .

(٣) مكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الكنى) .

(٤) مكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الحكيم) .

(٥) كذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الأصول) .

المُتَوَسِّلُ بوسيلة الاستعداد، فيقطع ويُسهِم . وأما إقليدس الرابع والخامس ،
بعد أن تكافأت المناظر والملازم ، وتناصف الليل الدَّامِس واليوم الشَّامِس ،
باعتماد ربيعي ، ومجرى طبيعي . وذكى بليد ، ومعاش وتوليد ، وطريف
في البداوة وتليد ، ليس به برياه ولا هَرَم ، يخدم بها دربٌ مُحترَم ، ويشبُّ
لقرياته حُرَم ، فيفيد روحانياً يتصرف ، ورئيساً يتعرَّض ويتعرَّف ،
كلما استنزل صاب^(١) ، وأعمل الانتصاب ، وجلب المآرب ، وأذهب
الأوصاب ، وعلم الجواب ، وفهم الصواب . ولو فرضنا هذه المدارك ذوات
أمثال ، أو مَسْبُوقَة بمثال ، لتلقينا منشور القضاء بامثال ، لا كِنَّا نخاف
أن نَميل بعض الميل ، فنَجْني بذلك أبخس الجرى وإرضاء الذَّميل ، ونجرُّ
تنازُع الفهري مع الصُّمِيل . فمن خير مِيز ، ومن حَكَم أزرى به وتُهَكِّم ،
وما سلَّ سيوف الخوارج في الزمن الدَّارج ، إلا التَّحْكِيم ، حتى جَهِل^(٢)
الحكيم ، وخلع الخِطام^(٣) ، ونزع الشَّكِيم ، وأضرَّ بالخلق نافع ،
وذهب الطفل لجراه واليافع ، وذمَّ النُّعام ورُدَّ الشَّافع ، وقَطَر سيف
قَطْرِي بكل نجيع طرى ، وزار الشَّيب الأسد المصور ، وصلت الغزالة
بمسجد الثَّقفي وهو محصور ، وانتهيت المقاصير والفُصور ، إلا أن مُسْتَأْهِل
الوظيفة الشرعية ، عند الضرورة يُجبر ، والمُتَنَدِّب للبرِّ مُجبي عند الله
ويُجبر ، واجعلني^(٤) على خزائن الأرض ، وهو الأوضح والأشهر ، فيها به
يُسْتَظْهِر . وأنا فإن حكمتُ على التَّعْجِيل ، فغير مُشْهِد على نفسى بالتَّسْجِيل ،
إنما هو تَلْفِيْق يرْضى وتَطْفِيل ، يُعْتَب عليه من تصدع بالحق ويمضى إلا أن

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الصاب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سجل) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الخصام) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (وجعلني) .

يُغْضَى ، ورأى فيها المراضاة والاستصلاح ، وإلا فالسلاح والرَّكَّابُ الطَّلَّاحُ ،
والصلح خير ، وما استُدْفِعَ بمثل التسامح ضير . ومن وقف عليه ، واعتبر
مالديه ، فليعلم أَنَّى صَدَعَتْ وقطعتُ ، والحقُّ أَطَعْتُ ، وإن أُرِيدَ إِلَّا
الإصلاح ما استطعتُ ، والسلام .

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر
ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي

من ذرية عثمان أخي كُريِّب المذكور في نبهاء ، ثوار الأندلس . وينتسب
سلفهم إلى وائل بن حُجْر ، وحاله عند القُدُوم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم معروف .

أُولِيَّتُهُ

قد ذكر بعضُ منها . وانتقل سلفه من مدينة إشبيلية عن نباهة وتعين
وشهرة عند الحادثة بها ، أو قبل ذلك ، واستقرَّ بتونس منهم ثالث
المحمدين ، محمد بن الحسن ، وتناسلوا على سِراوة وحِشمة ورسوم حسنة ،
وتصرفَ جدُّ المترجم به للوكها في القيادة

حاله

هذا الرجل الفاضل حسن الخلق ، جم الفضائل ^(١) باهر الخُصل ،
رفيع القنَر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد . وقور المجلس ، خاصي الزُّرى ،
عالي الهمة ، عزُوف ^(٢) عن الضَّيِّم ، صعب المَقادة ، قوى الجأش ، طامحٌ

(١) وردت في الإسكوريال (الفضل) والتصويب من النفع .

(٢) وردت في الإسكوريال (عزوب) وهو تحريف .

لُقِّنَ الرياسة ، خاطبٌ للحظَّ : متقدم في فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ . صحيح التصوُّر ، بارع الخط ، مغرَى بالتجلَّة ، جواد الكفِّ ، حسن العشرة ، مبذول^(١) المشاركة ، مقيم لرسوم التَّعين ، عاكف على رَغَى خِلال^(٢) الأصالة ، مَفخرة من مفاخر النُجوم المغربية .

مشيخته

قرأ القرآن ببلده على المُكْتَب ابن برال . والعربية على المقرئ الزواوى وابن العربي ، وتآدب بأبيه ، وأخذ عن المحدث أبي عبد الله بن جابر الوادى آشى ، وحضر مجلس القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام ، وروى عن الحافظ عبد الله السُّطى . والرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمى ، ولأزم العالم الشهير أبا عبد الله الأبلَى ، وانتفع به .

توجهه إلى المغرب

انصرف عن إفريقية منشبه . بعد أن تعلَّق بالخدمة السلطانية على الحداثة وإقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبع مائة . وعُرف فضله ، وخطبه السلطان مُنفق سوق العلم والأدب أبو عِنان فارس بن على ابن عثمان ، واستقدمه . واستحضره بمجلس المذاكرة ، فعَرَف حقه ، وأوجب فضله ، واستعمله في الكتابة أوائل عام ستة وخمسين ، ثم عَظُم عليه حَمْلُ الخاصَّة من طَلبة الحفْرة لبعده عن حسن التَّائى ، وشَفُوفه بثُقوب الفهم ، وجودة الإدراك . فأغروا به السلطان إغراءً عنده ما جُبِل عليه عندئذ من إغفال التَّحَنُّظ ، مما يريب لديه . فأصابته شدة تَخَلُّجه

(١) وردت في الإسكوريال (بنول) . والتصويب من انفتح .

(٢) وردت في الإسكوريال (طلل) وهو تحريف .

منها أجله ؛ كانت مُغربة في جفاء ذلك الملك ، وهناة جواره ، وإحدى العواذل لأولى الهوى في القول بفضله ، [واستأثر به الاعتقال باقِ أيام دولته على سُنن الأشراف من الصَّبر]^(١) وعدم الخُشوع ، وإهمال التوسُّل ، وإبادة المكسُوب في سبيل النِّفقة ، والإرضاخ على زمن المحنة ، وجارِ المنزل الخشن ، إلى أن أفضى الأمر إلى السَّعيد ولده ، فأعْتَبَه قِيَمُ الملك لحينه ، وأعادَه إلى رسمه . ودالت الدولة إلى السلطان أبي سالم ، وكان له به الاتصال . قبل تسوُّغ المحنة^(٢) ، بما أكد حُطُوته ، فقلَّده ديوان الإنشاء مُطلق الجرايات ، محرِّر السَّهام ، نَبِيه الرُّتبة ، إلى آخر أيامه . ولما أَلَقَت الدولة مقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد الله ، مُدبِّر الأمر وله إليه [قَبْل ذلك]^(٣) وسيلة ، وفي حَلِيه^(٤) شركة ، وعندَه حق رابَه تقصيرُه ، عما ارتمى إليه أَمَلُه ، فساء ما بينهما إلى أن آل إلى انفصاله عن الباب المريني .

دخوله غرناطة

ورد على الأندلس في أوائل شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعماية ، واهتَزَّ له السلطان . وأَرْكَب خاصَّته لتلقَّيه ، وأَكْرَم وفادته ، وخلع عليه ، وأَجْلَسَه بمجلسه الخاص . ولم يدخِر عنه برا ومؤاكله ومُطايبة وفكاهة .

وخاطبني لما حل بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن
فأجبتُه عنها بقولي :

حَلَلْتُ حلول الغيث في البلاد المحلَّ على الطائر الميمون والرحب والسَّهل

(١) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في النسخ .

(٢) وردت في الإسكوريال (المتيحة) . والتصويب من النسخ .

(٣) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في النسخ .

(٤) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (جلّه) .

يَمِيناً بَمَنْ تَعْنُو الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ مِنْ الشَّيْخِ وَالطِّفْلِ الْمَهْدِ^(١) وَالْكَهْلِ
لَتَمَدَّ نَشْأَتُ عِنْدِي لِلْقِيَاكِ غَبِيْطَةً تُنْسِيْ اغْتِبَاطِيْ بِالشَّيْبَةِ وَالْأَهْلِ
أَقْسَمْتُ بِمَنْ حَجَّتْ قَرِيْشَ لَبِيْتِهِ ، وَقَبْرِ صَرَفَتْ أَزْمَةَ الْأَحْيَاءِ لَمِيْتِهِ ،
الَّذِي زِيَارَتُهُ الْأَمْنِيَّةُ السَّنِيَّةُ ، وَالْعَارِفَةُ الْوَارِفَةُ ، وَاللَّطِيْفَةُ الْمُطِيْفَةُ ، بَيْنَ
رَجْعِ الشَّبَابِ يَقْطُرُ مَاءً ، وَيَرِفُ نَمَاءً ، وَيُغَاذِلُ عُيُونَ الْكَوَاكِبِ ، فَضْلاً عَنْ
الْكَوَاعِبِ ، إِشَارَةً وَإِمَامَةً ، بَحِيْثٌ لَا الْوَحْطَ يَلْمُ بِسِيَّاحِ لِمَتِهِ ، أَوْ يَقْدَحُ
ذُبَالَةَ فِي ظُلْمَتِهِ ، أَوْ يَقُومُ حَوَارِيَهُ فِي مَلَّتِهِ ، مِنْ الْأَحَابِشِ وَأُمَمَتِهِ ، وَزَمَانِهِ
رُوحٌ وَرَاحٌ ، وَمَعْدَى فِي النَّعِيمِ وَمَرَاخٌ ، وَقَصْفٌ صَرَاحٌ ، وَرَقٌّ وَجَرَاحٌ ،
وَانْتِخَابٌ وَاقْتِرَاحٌ ، وَصُدُورٌ مَا بِهَا إِلَّا انْشِرَاحٌ ، وَمَسْرَّاتٌ تَرْدِفُهَا أَفْرَاحٌ .
وَبَيْنَ قُدُومِكَ خَلِيْعَ الرَّسَنِ ، مُمْتَعاً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، بِالْيَقِظَةِ وَالْوَسَنِ ، مُحْكَمًا
فِي نُسْكَ الْجَنِيْدِ ، أَوْ فَتَكَ الْحَسَنِ ، مُمْتَعًا بِظَرْفِ الْمَعَارِفِ ، مَالِئًا أَكْثَفَ
الصَّيَارِفِ ، مَا حَيًّا بِأَنْوَارِ الْبَرَاهِينِ شُبَّهِ الزُّخَارِفِ - لَمَّا اخْتَرْتَ الشَّبَابَ ،
وَإِنْ شَاقَنِي زَمْنُهُ ، وَأَعْيَانِي ثَمَنُهُ ، وَأَجَرَتْ سَحَابَ دَمْعِي دِمْنُهُ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي رَفَى جَنُونَ اغْتِرَابِيْ ، وَمَلَكَنِي أَزْمَةَ آرَابِيْ ، وَغَبَطَنِيْ بِمَائِيْ وَتَرَابِيْ ،
وَمَأْلَفَ أَتْرَابِيْ ، وَقَدْ أَغْضَنِيْ بِلَذِيْذِ شَرَابِيْ ، وَوَقَعَ عَلَى سَطُورِهِ الْعَتَبَةِ
إِضْرَابِيْ ، وَعَجَّلَتْ هَذِهِ مُغْبِطَةُ بِمَنَاحِ الْمُطِيَّةِ ، وَمُنْتَهَى الطَّيَّةِ ، وَمُلْتَقَى السَّعُودِ
غَيْرِ الْبَطِيَّةِ ، وَتَهْنِئِ الْآمَالِ الْوَثِيْرَةِ الْوُطِيَّةِ ، فَمَا شِثَّتْ مِنْ نَفُوسٍ عَاطِشَةٌ
إِلَى رَبِّكَ ، مَتَجَمِّلَةٌ بِزِيَّكَ ، عَاقِلَةٌ خَطِيْ مُهْرِيْكَ ، وَمَوْلَى مَكَارِمِهِ نَشِيْدَةٌ
أَمْثَالِكَ ، وَمِثَالُكَ مِثَالِكَ ، وَسَيَصْدُقُ الْخَبَرُ مَا هُنَاكَ ، وَيَسِعُ فَضْلُ مَجْدِكَ
فِي التَّخْلُفِ عَنِ الْأَصْحَارِ ، لَا بَلَّ الْلِقَاءِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ ، وَالسَّلَامُ .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْحَضْرَةِ ، جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَكَاتِبَاتٌ ، أَقْطَعُهَا الظَّرْفُ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي النَّفْحِ ، وَفِي التَّعْرِيفِ بِابْنِ خَلْدُونِ ، وَوَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ
(الْمَصْب) .

جانبه ، وأوضح الأدب فيها مذاهبه . فمن ذلك ما خاطبته به ، وقد تسرى
جارية رومية إسمها هند [صبيحة الابتناء بها]^(١)

أوصيك بالشيخ أبي بكره لا تأمنن في حالة مكره
واجتنب الشك إذا جئته جنبك الرحمن ما تكره

سیدی ، لازلت تتصف بالوالج ، بين الخلاخل والدماج ، وتركض
فوقها ركض الهمالج . اخبرني كيف كانت الحال ، وهل حطت بالقاع
من خير البقاع الرّحال ، وأحكم بمروءة المرأودة الانتحال ، وارتفع بالسّقيا
الإمحال ، وصحّ الانتحال ، وحصحص الحقّ وذهب المحال ، وقد
طولعت بكل بشري وبشر ، وزُقت هند منك إلى بشر ، فلله من عشيّة
تمتّت من الربيع بفرش موشية ، [وابتذلت منها أي وساد وحشية]^(٢)
وقد أقبل ظبي الكيناس من الدّيماس ، ومطوق الحمام من الحمام ، وقد
حسنّت الوجه الجميل النظرية ، وأزيلت عن الفرع الأثيث الأبرية ،
وصقلت الخدود فهي كأنها الأمرية ، وسلّط الدّلك على الجلود ، وأغرّيت
النّورة بالشّعور المولود ، وعادت الأعضاء يزلق^(٣) عنها اللّمس ، ولا تناظا
البّنان الخمس ، والسّحنة يجول في صفحتها الفضيّة ماء النّعيم ،
والمسواك يلبي من ثنية التّنعيم ، والقلب يرى من الكفّ الرّقيم بالمقعد
المقيم ، وينظر إلى نجوم الوشوم ، فيقول إني سقيم . وقد تفتّح ورد الخفر ،
وحكم لزنجي الظّفيرة بالظّفّر ، واتصف أمير الحُسن بالصدود المغتفر ،
ورُش بماء الطّيب ، ثم أغلقت بباله دُخان العود الرّطيب . وأقبلت الغادة

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والزيتونة . ووردت في النفع كالاتي

(وأبدلت منها أي آساد وحشيتها) .

(٣) هكذا وردت في النفع . وفي المخطوطين (يزل) والأول أرجح .

يهدىها اليمَن . وتزفُّها السعادة ، فهي تمشي على استحياء ، وقد ذاع طيب
الريّا ، وراق حُسن المُحيّا ، حتى إذا نُزِع الخُفُّ ، وقُبِلَت الأكُفُّ ،
[وصَحِب المزمَر] ^(١) وتجاوب الدَّف ، وذاع الأَرَج ، وارتفع الحَرَج ،
وتجوز اللّوا والمنعرج ، ونزل على بشر بزيارة هند الفَرَج ، اهتزّت الأرض
ورَبَّت ، وغوصيت الطُّباع البشرية فأبَّت . والله در القائل :

ومرت فقلت متى نلتقى فهشّ اشتياقاً إليها الخبيث
وكاد بمزق سريالسه فقلت إليك بُساق الحديث

فلما انسدل جَنح الظلام ، وانتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة
الإسلام ، وخاطت خيوط المنام ، عُيون الأنام ، تأنّى دُنُو الجلسة ، ومُسارقة
الجلسة ، ثم عَصَة ^(٢) النهْد ، وقبّله الفم والبُخْد ، وإرسال اليد من النُّجْد
إلى الوَهْد ، وكانت الإمالة القليلة قبل المد ، ثم الإفاضة فيما يُغبط
ويُرجب ، ثم الإماطة لما يُشوّش ويُشغب ، ثم إعمال المسير إلى السَّيرير .
وصيرنا إلى الحُسنى ورقّ كلامنا ورَضّت فذات صَعْبَة آى إِذلال

هذا بعد منازعة للأطواق يسيرة ، يراها الغيد من حسن السيرة ،
ثم شُرِع في حل التُّكّة ، ونزع الشكّة ، وتهينة الأرض الغرار ^(٣) عمل السُّكّة ،
ثم كان الوحى والاستعجال . وحَمَى الوطيس والمجال ، وعلا الجزء الخفيف ،
وتضافرت الخُصور الهيف ، وتشاطر الطُّبع العَفيف ، وتواتر التقبيل ،
وكان الأخذُ الوَبيل ، وامتاز الأَنوَك من النَّبيل ، ومنها جائر وعلى الله قَصْدُ
السَّبيل ، فيهاها من نِعَم مُتداركة ، ونفوس في سبيل الفِحة مُتهالكة ،

(١) وردت في الإسكوريال (وصحب المزمَر) وفي الزيتونة (وصحب المزمَر) .
والتصويب من النفع .

(٢) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال والزيتونة (عص) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العرار) . وفي النفع (الغراز) .

وَنَقَّسَ يَقْطَعُ حُرُوفَ الْحَقِّ . وَسَبَّحَانَ الَّذِي يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ . وَعَظَمْتَ
 الْمَاهِنَةَ ، وَكَثُرَتْ بِالْيَدِ الْمُصَانَعَةِ ، وَطَالَ التَّرَاوُغُ وَالتَّرَاوُرُ . وَشَكَى التَّجَاوُرَ ^(١)
 وَهَنَالِكَ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ . وَتَعْظُمُ الْأَهْوَالُ : وَتُخْسرُ أَوْ تُرْبِحُ الْأَمْوَالُ ،
 فَمَنْ عَصَا تَنْقَلِبُ ثَعْبَانَا مُبِينَا ، وَنُونُهُ تَصِيرُ تَنِينَا ، وَبَطْلُ لَمْ يَهْلُهُ
 الْمُعْتَرِكُ الْهَائِلُ ، وَالْوَهْمُ الزَّائِلُ ، وَلَا حَالُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ قُرْتِهِ الْحَائِلُ ، فَتَعْدَى
 فَتَكَةُ السُّلَيْكِ إِلَى فَتَكَةِ الْبِرَاضِ ، وَتَقْلَدُ مَذْهَبَ الْأَزَارِقَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي
 الْإِعْتِرَاضِ ، ثُمَّ شَقَّ الصِّفِّ ، وَقَدْ خَضَّبَ الْكُفَّ ، بَعْدَ أَنْ كَادَ يَصِيبُ
 الْبِرَى ^(٢) بِطَعْنِهِ ، وَيَبْهَوُ بِمَقْتِ اللَّهِ وَلَعْنَتِهِ :

طَعَنْتَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) طَعْنَةً ثَائِرَةً لَهَا نَفَقَةٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا
 وَهَنَاكَ هَدَأَ الْقِتَالُ ، وَسَكَنَ الْخَبَالُ ، وَوَقَعَ الْمَتَوَقَّعُ فَاسْتَرَا حَ الْبَالُ ،
 وَتَشَوَّفُ إِلَى مَذْهَبِ الشُّنُوءَةِ ، مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلتَّوْحِيدِ بِمُبَالٍ ، وَكَثُرَ السُّؤَالُ
 عَنِ الْبَالِ بِمَا بَالُ ، وَجَعَلَ الْجَرِيحُ يَقُولُ ، وَقَدْ نَظَرَ إِلَى دَمِهِ يَسِيلُ عَلَى
 قَدَمِهِ :

أَنْتَى لَهُ عَنِ دَمِي الْمَسْفُوكِ مُعْتَذِرٌ أَقُولُ حَمَلْتُهُ فِي سَفْكِهِ تَعَبًا
 وَمِنْ سِنَانِ عَادِ عِنَانَا ، وَشَجَاعِ صَارِ هِدَانَا ^(٤) جَبَانَا ، كُلَّمَا شَابَتْهُ
 شَائِبَةٌ رَيْبَةٍ ، أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، فَانْجَحَرَتِ الْحَيَّةُ ، وَمَاتَتِ الْغَرِيْزَةُ
 الْحَيَّةُ ، وَهَنَاكَ يَزِيغُ الْبَصَرُ ، وَيُخْذَلُ الْمُتَنَصِّرُ ، وَيَسْلُمُ الْأَسْرُ ، وَيَغْلُبُ
 الْحَصْرُ ، وَيَجِفُّ اللَّبَابُ ، وَيُظْهِرُ الْعَابُ ، وَيَخْفِقُ الْفَوَادُ ، وَيَكْبُو الْجَوَادُ ،
 وَيَسِيلُ الْعَرَقُ ، وَيَشْتَدُّ الْكَرْبُ وَالْأَرْقُ ، وَيَنْشَأُ فِي مَحَلِّ الْأَمْنِ الْفَرَقُ ،

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي النِّفْحِ (التَّحَاوُرِ) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي النِّفْحِ (الْبُؤْسِي) وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٣) هَكَذَا فِي الزَّيْتُونَةِ وَالنِّفْحِ . وَفِي الْإِسْكُونِيَّاتِ (ابْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ) .

(٤) وَارِدَةٌ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَسَاقِطَةٌ فِي النِّفْحِ .

ويُدرِك فرعونَ الغرق . وَيَقْوَى اللُّجَاجَ وَيَعْظُمُ الخَرْقَ . فلا تزيد الحال إلا شِدَّةً ، ولا تعرف تلك الجارحة^(١) المؤمنة إلا رَدَّةً :
 إذا لم يكن عَوْنٌ من الله للفتى فَأَكْثَرُ^(٢) مايجنى عليه اجتهاده
 فكم مُغَرَّى بطول اللَّبِثِ ، وهو من الخَبْثِ ، يؤمل الكَرَّةَ ، ليزيل
 المعرَّةَ ، وَيُسْتَنْصِرُ الخيال ، ويعمل باليد الاحتيال :

إنك لا تشكو إلى مُصْمِتٍ فاصبر على الحِملِ الثقيلِ أوُمِتْ
 ومُعْتَدِرٍ بمرضِ أصابه ، جَرَّعه أوْصابه . ووجعِ طَرَفه ، جَلَبَ أَرْقه ،
 وخطيبِ أُرْتِجَ عليه أحياناً ، فقال سيُحدث الله بعد عَشْرِ يُسْرَا ، وبعد عِيْ
 بياناً ، اللهم إِنَّا نعوذ بك من فضائحِ الفُرُوجِ إذا اسْتَغْلَقَتْ أَغْفالها ،
 ولم تُسَمَّ^(٣) بالنَّجِيعِ أَغْفالها^(٤) ، ومن مَعْرَاتِ الأقدارِ ، والنكولِ عن
 الأَبْكارِ ، ومن النُّزولِ عن البِطُونِ والسُّررِ ، والجوارحِ الحسنةِ الغُررِ ،
 قبل ثَقْبِ الدُّررِ ، ولا تجعلنا ممن يستحي من البُكَرِ بالغَدَاةِ ، وتُعلم منه
 كلالِ الأداةِ ، وهو مجال فُضِّحَتْ فيه رجال ، وفِرَاش شُكِيَتْ فيه أَوْجَال ،
 وأُغْمِلَتْ رُويَّةٌ وارْتِجَال . فمن قاتل :

أُرفعه طورا على إضْبَاسِعى ورأسه مضطربة^(٥) أَسْفَلَه
 كالحَنْشِ المقتولِ يُلقَى على عودٍ لكى يطرح في مَزْبَلَه
 أو قايِل :

عَلِمْتُ من أيرى قوَى حسَّ يا حَسْرَةَ المرءِ على نفسه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المجارحة) . وفي النفع (الجائحة) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (فأول) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (تتسم) .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال والنفع (أغفالها) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة والنفع (مضطرب) .

تراه قد مال على أضله
كحائط خرّ على أسه

وقايل :

أَيْخُسِلُنِي إبليس دَاعِينَ أَصْبَحَا
برجلى ورأسى دُمْلَا وَزُكَا مَا
فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدَهُ
رَخَاوَةَ أَيْر لَا يَرِيدُ قَيْسَامَا

وقائل :

أَقُولُ لِأَيْرِي وَهُوَ يَرْقُبُ فَتْكَةً
به خَبِثَتْ مِنْ أَيْرٍ وَغَالَتْكَ دَاهِيَةٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْأَيْرِ بَخْتُ تَعْدُرَتْ
عليه وجوه من كل ناحية

وقايل :

تَعَقَّفَ فَوْقَ الْخَصِيَّتَيْنِ كِدَانَهُ
رِشَاءً إِلَى جَنْبِ الرُّكْبَةِ مُلْتَفٍ
كَفَرَّخِ ابْنَ ذِي يَوْمَيْنِ بِرَفْعِ رَأْسِهِ
إِلَى أَبْوِيهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الضَّعْفُ

وقايل :

نَكَرَشَ أَيْرِي بَعْدَ مَا كَانَ أَمْلَسَا
وَكَانَ غَنِيًّا مِنْ قَوَاهِ فَأَفْلَسَا
وَصَارَ جَوَابِي لِلْمَهْمَا أَنْ مَرَزْنَ بِي
مَضَى الْوَصْلُ إِلَّا مُنِيَّةً تَبْعَثُ الْأُسَى

وقايل :

بِنَفْسِي مِنْ حَيِّثُهُ فَاسْتَخَفَّ بِي
وَلَمْ يَخْطُرِ الْمَجْرَانُ مِنْهُ ^(١) عَلَى بَالٍ
وَقَابِلُنِي [بِالْمَزْوِ وَالنَّجَةِ] ^(٢) بَعْدَ مَا
عَرَضْتُ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْحَشَفِ الْبَالِي
وَمَا ارْتَجَى مِنْ مُوسِرٍ فَوْقَ دَكَّةٍ ^(٣)
عَلَّلُ ^(٤) لَا تَزَالُ تُبْكِي ، وَعَلَّلَ عَلَى الدَّهْرِ تَشْكِي ، وَأَحَادِيثُ نَقْصُ
وَتَحْكِي . فَإِنْ كُنْتَ أَعَزَّكَ اللَّهُ مِنَ النَّمَطِ الْأَوَّلِ ، وَلَمْ تُقِلَّ . وَهَلْ عِنْدَ

(١) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي النِّفْحِ (يَوْمَا) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّانِ . وَفِي النِّفْحِ (بِالْفُورِ وَالنَّجْدِ) . وَالْبَيْتُ سَاقِطٌ فِي الزَّيْتُونَةِ .

(٣) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي النِّفْحِ (تَكَّة) .

(٤) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي النِّفْحِ (هُمُومٌ) .

رسم دارس من مَعُول ، فقد جَنَيْتَ الثَّمَرَ . واستَطَبَّتِ السَّمَر ، فاستدع
 الأبواق من أقصى المدينة ، واخرج على قومك في ثياب الزينة . واستبشّر
 بالوفود ، وعرف السمع عارفة الجود ، وتبجّع بصلافة العود ، وإنجاز
 الوعود ، واجن رمان النُّهود ، من أغصان القُدود ، واقطف ببستان^(١) اللثم
 أقاح الثُّغور وورد الخُدود . وإن كانت الأخرى ، فاخفِ الكمد ، وأرض
 الشمد ، وانتظر الأمد ، واكذب التوسّم ، واستعمل التَّبَسُّم ، واستكثِم
 النسوة ، وأفض فيهن الرُّشوة ، وتقلّد المغالطة وارتكب ، وجيء على
 قميصك^(٢) بدم كذب ، واستنجد الرحمن . واستعن على أمورك^(٣) بالكتمان

لا تظهرن لعاذلٍ أو عاذِرٍ حاليك في [السراء والضراء]^(٤)

فلرحمة المتفجّعين حرارة في القلب مثل شماتة الأعداء

وانتَشِيتِ الأَرَج ، وارتقب الفَرَج . فكم غمام [طبّق وما هَمَى]^(٥) ،
 ومارميت إذ رميت ، ولكن الله رمى ، وأملك بعدها عِنانَ نفسك ، حتى
 تُمَكِّنَكَ الفرصة ، وترفع اليك القبْضة ، ولا تشتره^(٦) إلى عمل لا تنجى
 منه بتمام ، وخذ عن إمام ، والله در [عروة بن حزام]^(٧) .

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مُهرى بأشقر مُزبد

وعلمتُ أنّي إن أقاتِلُ دونهم أقتل ولم يضرر عدوّي مشهدي

(١) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الزيتونة (بنار) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (قميصه) . والعبارة ساقطة في الزيتونة .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (أمرك) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . ووردت في النفع (السراء والضراء) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وورد مكانها في النفع (طما) .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (نسرع) .

(٧) هكذا ورد هذا الاسم في الإسكوريال . ولم يرد في الزيتونة سوى كلمة (عروة) .
 وورد في النفع (الحرث بن هشام) .

ففررت منهم والأحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مُفسد
واللبانات تلين وتجمع ، والمآرب تدنو وتنزح ، وتخرن ثم تسمع ،
وكم من شجاع خام . ويقتط نام ، ودليل أخطأ الطريق ، وأضل الفريق ،
والله عز وجل يجعلها حلّة موصولة ، وشملاً أكنافه بالخير مشمولة ، وبنيّة
أركانها لركاب^(١) اليمن مأمولة ، حتى يكثّر خدّم سيدى وجواريه ،
وأسرته وسراريه ، وتضئوا عليه نعمة^(٢) باريه ، ما طُورد قَيْنص ، واقتحم
عَيْص ، وأدرك مرام عويص ، وأعطى زاهد وحُرم حريص . والسلام .

تواليفه

شرح القصيدة المسماة بالبردة شرحاً بديعاً ، دلّ فيه على انفساح
ذُرعه ، وتفنّن إدراكه ، وغزارة حفظه . ولخص كثيراً من كُتب ابن رشد .
وعلق للسلطان أيام نظره في العلوم العقلية ، تقييداً مفيداً في المنطق ،
ولخص مُحصّل الإمام فخر الدين ابن الخطيب [الرازى]^(٣) . وبذلك
داعبته أول لُقية لقميته ببعض منازل الأشراف ، في سبيل المبرة بمدينة
فاس ، فقلت له لى عليك مُطالبة ، فإنك لخصت « مُحصلي » . وألف
كتاباً في الحساب . وشرع في هذه الأيام في شرح الرّجَز الصادر عنى في
أصول الفقه ، بشئ لا غاية وراءه في الكمال^(٤) . وأما نشره وسُلطانيّاته ،

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ (لركائب) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (نعم) .

(٣) يعرف الإمام فخر الدين الرازى (وهو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين المتوفى

سنة ٦٠٦ هـ) يعرف بابن الخطيب .

(٤) ورد في آخر اللوحة 252 إسكوريال ، بعد هذه الكلمة ، ما يأتى مدونا بقلم الناسخ :
« قلت هذا المقدار هو الذى ذكره الشيخ ابن الخطيب عن تواليف هذا الفاضل المترجم به لمكان وفاة
الشيخ قبل المترجم . ولو علم الشيخ رحمه الله بكتابه المشهور ، الذى سحر به الخاص والجمهور
المسمى « بكتاب العبر وديوان المتبدا والخبر » فى أيام العرب والعجم . والبربر ، ومن عاصرهم من
ذوى السلطان الأكبر » . لعله بما يجب فى حقه ، وإن انتهى إلى غاية فلا يتأدى فى صدقه . ولقد =

مُرْسَلُهَا وَمُسَجَّعُهَا ، فخلج بلاغة ، ورياض فنون ، ومعادن إبداع ، يفرغ
 عنها يراعه الجرىء ، شبيهة البداءات بالخواتم ، في نداوة الحروف ،
 وقرب العهد بجريّة المداد ، ونفوذ أمر القريحة ، واسترسال الطبع .
 وأما نظمه ^(١) ، فنهض لهذا العهد قُدماً في ميدان الشعر . وأغرى نقده
 باعتبار أساليبه ، فانشال عليه جوه ، وهان عليه صعبه ، فأنى منه بكل
 غريبة . من ذلك قوله يخاطب السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم
 عام اثنين وستين وسبعمائة بقصيدة طويلة :

وَأُطْلِنَ مَوْقِفَ عَبْرَتِي وَنَحْيِي	[أَسْرَفَنَ فِي دَجْرِي وَفِي تَعْذِي
لُودَاعِ مَشْغُوفِ الْفُؤَادِ كَثِيبِ	وَأَبَيَّنَ يَوْمَ الْبَيْنِ مَوْقِفَ سَاعَةِ
قَلْبِي رَهِينَ صَبْسَابَةٍ وَوَجِيبِ	لِلَّهِ عَهْدَ الظَّاعِنِينَ وَغَادِرُوا
فَشَرِقتْ بَعْدَهُمْ بِمَاءِ غُرُوبِي	غَرَبَتْ رِكَائِبُهُمْ وَدَمَعِي سَافِحِ
رَحْمَاكَ فِي عَذْلِي وَفِي تَأْنِيِي	يَا نَاقِعاً بِالْعَتَبِ غُلَّةَ شَوْقِهِمْ
مَاءِ الْمَلَامِ لَدَيَّ غَيْرُ شَرِيبِ	يَسْتَعْذِبُ الصَّبَّ الْمَلَامَ وَإِنِّي
لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنْزِلِ وَحْيِي	مَا هَاجَنِي طَرْبٌ وَلَا اعْتَادَ الْجَوَى
لِلْبَدْرِ مِنْهُمْ أَوْ كِنَاسِ رَبِيبِ	أَهْفُو إِلَى الْأَطْلَالِ كَانَتْ مَظْلَعاً
فِي عِظْفِهَا لِلدَّهْرِ آيَ خُطُوبِ	عَبَّثَتْ بِهَا أَيْدِي الْبَلَى وَتَرَدَّدَتْ
لِيَجِدَّهَا وَصْفِي وَحُسْنِ نَسِيْبِي	تَبْلَى مَعَاهِدَهَا وَإِنْ عَهْدُهَا
هَزَّتْهُ ذِكْرَاهَا إِلَى التَّشْيِيبِ	وَإِذَا الدِّيَارُ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيْمٍ
أَلْوَى بَدَيْنِ فُؤَادِي الْمَنْهُوبِ	إِلَيْهِ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ

= اخترع فيه ، من بين المناحي مذهبا عجيبا ، وطريقة مبتدعة وأسلوبا ، وسلك فيه من الحديث على
 العلوم ، وتنقيح الفهوم ، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من الأعراض الذاتية والخيالات والحلوم ،
 مسلكا غريبا . رحم الله مبدعه ، ومتع في أعلى عليين مخترعه .

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطين (شعره) . وقد أثرنا الأول تجنبنا للتكرار

لم أنسها والدهر يثني صَرفه
 والدار مُونقة محاسنها بما
 يا سائق الأظعان تغتسِف الفلا
 تُتهافتأ عن رَحْل كل مُدلل
 تتجاذب النّفحات فضل رداءه
 إن هام من ظلما الصّباية صحبه
 في كل شعب مُنية من دونها
 هلاً عطفّت صدورهنّ إلى التي
 فتبمّ من أكتاف يثرب مأمنا
 حيث النسوة أيها مجلوة
 سرّ غريب لم تحجبه الثرى
 باميد الرسل الكرام ضراعة
 عاقت ذنوبى عن جنابك والمنى
 لا كالآلىء صرّفوا العزائم للثقى
 لم يُخلصوا الله حى فرقوا
 حبّ لى شفاعتك التى أرجو بها
 إنّ النجاة وإن أتيت لا مرى
 إني دعوتك واثقاً بإجابتي
 قصّرت فى مدحى فإن بك طيباً
 ماداعسى يبغي المطيل وقد حوى
 يا هل تبليغنى الليالى زورة
 أمحو خطيئاني بإخلاصى بها

ويغض طرّفى حاسدٍ ورقيب
 ليست من الأيام كل قشيب
 وتواصل الآساد بالتأويب
 نشوان من أين ومسّ لغوب
 فى مُلتقاها من صباً وجنوب
 نهلوا بمورد دمه المسكوب
 هجر الأمانى أو لقاء شعوب
 فيها لبانة أعين وقلوب
 يكفيك ما تخشاه من تشرّب
 تتلو من الآثار كل غريب
 ما كان سرّ الله بالمحجوب
 تقضى من نفسى وتذهب حوبى
 فيها تعللنى بكل كسّوب
 فاستأثروا منها بخير نصيب
 فى الله بين مضاجع وجنوب
 صفحاً جميلاً عن قبيح ذنوبى
 فيفضل جاهك ليس بالتسبب
 يا خير مدعو وخير مُجيب
 فيها لذكرك من أريج الطيب
 فى مدحك القرآن كل مطيب
 تدنى إلى الفؤز بالمرغوب
 وأحط أوزارى وإصر ذنوبى

في فتية هجروا المنى وتعودوا
 يطوى صحائف ليّالهم فوق الفلا
 إن رثم الحادى بذكرك ردّدوا
 أو غرّد الركب الخلى بطيبة
 ورثوا اعتساف البید عن آبائهم
 الطاعنون الخيل وهى عوايس
 والواهبون المقرّبات هواتنا
 والمانعون الجار حتى عرضهم
 تُخشى بواذرهم ويترجى حلمهم
 ومنها بعد كثير :

سائل به طامى العباب وقدسرى
 تهديه شهب أسنة وعرائم
 حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه
 يا ابن الألى شادوا الخلافة بالتقى
 جمعوا بحفظ الدين آى مناقب
 لله مجدك طارفاً أو تالداً
 كم رهبة أو رغبة لك والعلا
 لا زلت مسرورا بأشرف دولة
 تحبى المعالى غادياً أو رائحاً
 وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول حديّة ملك السودان ، وفيها الحيوان

الغريب المسمى بالزرّافة :

(١) وردت هكذا فى الإسكوريال والنسخ . وفى التعريف (تزجيه ريج) .

قَدَحَتْ يَدَ الْأَشْوَاقِ مِنْ زَنْدِي وَكَفَّتْ بِقَلْبِي زَفْرَةَ الْوَجْدِ
 وَنَبَذَتْ سُلُوفَانِي عَلَى ثِقَةٍ بِالْقَرَبِ فَاسْتَبَدَلْتُ بِالْبُعْدِ
 وَلَرُبَّ وَصْلٍ كُنْتُ آملُهُ فَاعْتَصَمْتُ مِنْهُ مَوْلِمَ الصَّدِّ
 لَا عَهْدَ عِنْدَ الصَّبْرِ أَطْلِبُهُ إِنَّ الْغَرَامَ أَضَاعَ مِنْ عَهْدِي
 يَلْحَى الْعَذُولُ فَمَا أَعْتَفُهُ وَأَقُولُ ضَلَّ فَايَبَتْنِي رُشْدِي
 وَأُعَارِضُ النَّفْحَاتِ أَسَاطِمَا بَرْدَ الْجَوَى فَتَزِيدُنِي الْوَقْدِ
 يَهْدِي الْغَرَامَ إِلَى مَسَالِكِهَا لَتَعْلَى بِضَعِيفٍ مَا تُهْدِي
 يَا سَائِقَ الرَّجَاءِ^(١) مُعْتَسِفَا طَى الْفَلَاةَ لَطِيَّةَ الْوَجْدِ
 أَرِحِ الرُّكَّابَ فِي الصَّبَا نَبَاً يُغْنِي عَنِ الْمُسْتَنَةِ الْجُرْدِ
 وَسَلِ الرَّبُوعَ بِرَامَةٍ خَبِرَاً عَنْ سَاكِنِي نَجْدٍ وَعَنْ نَجْدِ
 مَا لِي تُلَامَ عَلَى الْهَوَى خُلُقِي وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي سَوَى الْحَمْدِ
 لَا بَيْتُ إِلَّا الرُّشْدُ مَذْهُبِي بِالْمُسْتَعِينِ مَعَالِمِ الرُّشْدِ
 نَعَمْ الْخَلِيقَةُ فِي هُدًى وَتَقَى وَبِنَاءٍ عَزَّ شَامِخِ الطُّودِ
 نَجَلُ السَّرَاةِ الْغُرَّ شَانُهُمْ كَسَبَ الْعُلَا بِمَوَاهِبِ الْوَجْدِ

ومنها في ذكر خلوصه إليه : وما ارتكبه فيه :

اللَّهُ مِنِّي إِذْ تَأَوَّبَ مِنِّي ذَكَرَاهُ وَهُوَ بِشَاهِقٍ فَرْدِ
 شَهْمٌ يَفْلُ بِوَاتِرٍ قُضْبَا وَجُمُوعِ أَقْيَالٍ أُولَى أَيْدِ
 أَوْرَيْتَ زَنْدَ الْعِزِّ فِي ظِلِّي وَقَضَيْتَ حَقَّ الْمَجْدِ مِنْ قَصْدِي
 وَوَرَدْتُ عَنْ ظَمَأٍ مَنَادِلِهِ فَرَوَيْتُ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ رِفْدِ
 هِيَ جَنَّةُ الْمَأْوَى لِمَنْ تَلَوَّنَتْ آمَالُهُ بِمِثَالِ الْمَجْدِ
 لَوْ لَمْ أَتَلَّ بِوَرْدٍ كَبَرْتُهَا مَا قَلَّتْ هُنْدَى جَنَّةِ الْخُلْدِ

(١) هكذا في الإسكوريال وفتح . وفي التعريف (الأطمان) .

من مُبْلَغٍ قَوِيٍّ ودونهم
إِنِّي أَنفَتُ عَلَى رَجَائِهِمْ
ومنها

ورقيمة الأعطاف حالية
وحشية الأنساب ما أَنِست
تسمو بجيد بالغ صَعْدًا
طالت رؤوس الشامخات به
قطعت إليك تنانفا وصلت
نَحْدَى عَلَى استصعابها ذُلًّا
بسعودك اللامى ضمن لنا
جاءتك فى وفد الأحابش لا
وأفوك أنضاء تُقَلِّبُهم
كالطيف يَسْتَقْرِى مضاجعه
يُثْنُونَ بِالْحُسْنَى التى سبقت
ويرون لَحْظَكَ من وفادتهم
يا مُسْتَعِينًا جَلًّا فى شَرَفٍ
جازاك ربُّكَ عن خَلِيقَتِهِ
وبقيت للدنيا وساكنها
وقال يخاطب صدر الدولة فيما يظهر من غرض المنظوم^(٣) :

(١) هكذا فى الإسكوريال والتعريف . وفى النسخ (بالقرد) وهو تحريف .
(٢) كل ما تقدم من شعر ابن خلدون المحصور بين الحاصرتين ، رارد فى الإسكوريال
وماقط فى الزيتونة .
(٣) المقصود بصدر الدولة هنا هو الوزير عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب يومئذ .

يا سيّد الفضلاء دعوة مُشفق
 مالى وللإقصاء بعد تعلّة
 وأرى الليالى رنقت لي صافيا
 ولقد خلصت إليك بالقرب التي
 ووثقت منك بآئ وعد صادق
 وسما بنفسى للخليفة طاعة
 حتى انتحاني الكاشحون بسعيهم
 رغمت نفوسهم^(١) بنجح وسائل
 وبغوا بما نقيموا على خلائقي
 لا تطمعنهم ببذل في السى
 أنى أضام وفي يدي القلم الذى
 ولي الخصائص ليس تأبى رتبة
 قسماً بمجدك وهو خير أليّة
 إلى لتضبطهم الموم بمضجى^(٢)
 عطفاً على بوحدتى عن معشر
 أغدو إذا باكرتهم متجلداً
 حيران أوجس عند نفسى خيفة
 أطوى على الزفّرات قلباً إده
 ولقد أقول لصرف دهر رابى

نادى لشكوى البتّ خير سميع
 بالقرب كنت لها أجل شفيح
 منها فأصبح في الأجاج شروعى
 ليس الزمان لشلها بصنوع
 إلى المصون وأنت غير مضيع
 دون الأنام هواك قبل نزوع
 فصلدتهم عنى وكنت منيعى
 وتقطعت أنفاسهم بصنيعى
 حسداً فرأوني بكلّ شنيع
 قد صنّتها عنهم بفضل قنوعى
 ما كان طبعه لهم بمطيسع
 حسبي بعلمك^(٣) ذاك من تفريعى
 اعتدّها لفؤادى المصدوع
 فتحول ما بينى وبين هجوعى
 نفث الإباء صلودهم في روعى
 وأروح أعثر في فضول دموعى
 فتسير في الأوهام كل مروع
 حمل الموم تجول بين ضلوعى
 بحوادث جاءت على تنويع

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي الاسكوريال والنفع (أنوفهم) .

(٢) هكذا وردت في الاسكوريال والزيتونة . وفي النفع (يعلى) .

(٣) هكذا وردت هذه الشطر في الاسكوريال والنفع . ووردت في الزيتونة كالآتي (انى ليضطجع

الوم بمضجى) .

مَهْلًا عَلَيْكَ فَلَيْسَ خَطْبُكَ ضَائِرِي فَلَقَدْ لَبِستَ لَهُ أَجْنٌ دروع
إِنِّي ظَفِيرْتُ بِعَصْمَةٍ مِنْ أَوْحَد بَدَأَ الْجَمِيعَ بِفَضْلِهِ الْمَجْمُوع
وَأَنْشَدَ السُّلْطَانُ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبَا الْحَجَّاجِ ،
لأَوَّلِ قُدُومِهِ لَيْلَةَ الْمِيلَادِ الْكَرِيمِ ، مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ :

[حَتَّى الْمَعَاهِدِ كَانَتْ قَبْلُ تُحْيِي بِوَائِفِ الدَّمْعِ يُرْوِيهَا وَيُظْمِي
إِنْ الْأَلَى نَزَحَتْ دَارِي وَدَارُهُمْ تَحْمَلُوا الْقَلْبَ فِي آثَارِهِمْ دُونِي
وَقَفْتُ أَنْشُدُ صَبْرًا ضَاعَ بَعْدَهُمْ فِيهِمْ وَأَسْأَلُ رَسْمًا لَا يُنَاجِيَنِي
أُمِّثْلُ الرَّبْعِ مِنْ شَوْقٍ وَالْثُمَّه وَكَيْفَ وَالْفِكْرُ يُدْنِيهِ وَيُقْصِيَنِي
وَيَنْهَبُ الْوَجْدُ مِنِّي كُلَّ لَوْلَاةٍ مَا زَالَ جَفَنِي ^(١) عَلَيْهَا غَيْرَ مَأْمُونٍ
سَقَتُ جَفُونِي مَغَانِي الرَّبْعِ بَعْدَهُمْ فَالِدَمْعِ وَقَفْتُ عَلَى أَطْلَالِهِ الْجُونِ
قَدْ كَانَ لِلْقَلْبِ عَنْ دَاعِي الْهَوَى شُغْلٌ لَوْ أَنَّ قَلْبِي إِلَى السُّلْوَانِ يَدْعُونِي
أَحْبَابُنَا هَلْ لِعَهْدِ الْوَصْلِ ^(٢) مَذْكَرُ مِنْكُمْ وَهَلْ نَسْمَةٌ مِنْكُمْ تُحْيِيَنِي
مَالِي وَلِلطَّيْفِ لَا يُعْتَادُ ^(٣) زَائِرُهُ وَلِلنَّسِيمِ عَلِيلًا ^(٤) لَا يُدَاوِينِي
يَا أَهْلَ نَجْدٍ وَمَا نَجْدٌ وَسَاكِنُهَا حُسْنًا سَوَى جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ وَالْعَيْنِ
أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِي مَا مَرَّ ذِكْرُكُمْ إِلَّا انْشَثَبْتُ كَأَنَّ الرِّيحَ تَنْثِينِي
أَصْبُوا إِلَى الْبَرِّقِ مِنْ أَنْحَاءِ أَرْضِكُمْ شَوْقًا وَلَوْلَاكُمْ مَا كَانَ يُضْهِبُنِي
يَا نَازِحًا وَالْمُنَى تُدْنِيهِ مِنْ خَلْدِي حَتَّى لِأَخْسِيهِ قُرْبًا يُنَاجِيَنِي
أَسْأَلِي هَوَاكَ فَوَادِي عَنْ سِوَاكَ وَمَا سِوَاكَ يَدْرِي مَا بِحَالِ عَنكَ يُسْلِينِي
تَرَى اللَّيَالِيَ أَنْسَتَكَ أَذْكَارِي يَسَا مِنْ لَمْ يَكُنْ ذِكْرُهُ الْأَيَّامَ تُنْسِينِي

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الزَيْتُونَةِ وَالنَّفْعِ . وَفِي التَّعْرِيفِ (قَلْبِي) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ وَالنَّفْعِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (الْوَدِ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ وَالنَّفْعِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (يَمُودِ) .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ وَالنَّفْعِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (عَلِيلِ) .

ومنها في ذكر التفريط :

أبعد مرّ الثلاثين التي ذهبت أولى الشباب بإحساني وتحسيني
أضعتُ فيها نفساً ما وردتُ به إلا سراب غرور ليس يزويني
واخسرتنا من أمانٍ كلُّها خدعُ تريش غيبي ومرّ الدهر يُبريني
ومنها في وصف المشور المبتنى لهذا العهد :

يامضناً شيدت منه السعود حمى لا يطرق الدهر مَبْنَاهُ بتوهين
صرحٌ يحار لديه الطرفُ مُفْتَنًا فما يروقك من شكل وتلوين
بُعْدًا لا يوان كسرى إنَّ مشورك السَّامى لأعظم من تلك الأواوين
ودع دمشق ومغناها فقصرك ذا أشهى إلى القلب من أبواب جِبرون^(١)

ومنها في التعريض بالوزير الذي كان انصرافه من المغرب لأجله :

من مُبْلَغٍ عَنِ الصَّحْبِ الْأَلَى جَهِلُوا وُدِّي وضاع حماهم إذ أضاعوني
إني أويت من العَلْيَا إلى حَرَمٍ كادت مَعَانِيهِ بالبُشْرَى تحييني
وإنني ظاعن لم أَلَقَ بعدهم دهرًا أشاكي ولا خصماً يُشاكِبُنِي
لا كالتى أَخْفَرَتْ عَهْدِي لِيَالِي إِذْ أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْهُونِ
سُقْيَا وَرَعْيًا لَأَيَّامِي ظَفِرَتْ يدَايٍ مِنْهَا بِحِظٍّ غَيْرِ مَغْبُونِ
ارتاد منها مَلِيًّا لا يَمَاطِلُنِي وعداً وأرجو كريماً لا يُعْنِينِي
وهاك منها قَوَافٍ طِيْهَا حِكْمٌ مثل الْأَزَاهِرِ فِي طَيِّ الرِّيحَيْنِ
تَلُوحُ إِنْ جُلِيَتْ دُرًّا وَإِنْ تُلِيَتْ تُشْنِي عَلَيْكَ بَأَنْفَاسِ الْبَسَاتِينِ
عَانِيَتْ مِنْهَا بِجَهْدِي كُلِّ شَارِدَةٍ لَوْلَا سُعُودُكَ مَا كَانَتْ تُوَاتِينِي
يَمَانَعُ الْفِكْرُ عَنْهَا مَا تَقَسَّمَهُ مِنْ حُزْنٍ بَطَلَى الصَّدْرَ مَكْنُونِ

(١) ما بين الخاصرتين من بداية هذه القصيدة ساقط في « الزيتونة » . ولم يرد منها فيه سوى قسمها الأخير في التعريض بالوزير عمر بن عبد الله .

لكن بسعدك ذلّت لي شوارِدُها فُرضتُ منها بتجبير وتزيين
 بقيت دهرك في أمني وفي دعة ودام مُلكك في نصري وتمكين
 وهو الآن قد بدا له في التحول ، طوع أمل ثابت له في الأمير أبي عبد الله
 ابن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص ، لما عاد إليه مُلك بجاية ، وطار إليه
 بجناح شراع ، تفيّاً ظله ، وصك من لدنه رآه مستقرا عنده ، يُدعم ذلك
 بدعوى تقصير خفي أحس به ، وجعله علة مُنقلبه ، وتجنّ سار منه في
 مذهبه وذلك في^(١) من عام ثمانية وستين وسبعمائة . ولما بلغ بجاية
 صدق رأيه ، ونجحت مُخيلته ، فاشتمل عليه أميرها ، وولاه الحجابة بها .
 ولم ينشب أن ظهر عليه ابن عمه الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة ،
 وبمُلك البلدة بسد مهلكه ، وأجرى المترجم به على رَسْمه بما طرق إليه الظنة
 بمدخلته في الواقع . ثم ساء ما بينه وبين الأمير أبي العباس ، وانصرف عنه ،
 واستوطن بِسُكُرة ، متحوّلاً إلى جوار ربيسها أبي العباس بن مَزْنِي ، متعلّلاً
 برفقه إلى هذا العهد .

وخطيبته برسالة في هذه الأيام ، تنظر في اسم المؤلف في آخر الديوان .

مولده

بمدينة تونس بلده ، حرسها الله ، في شهر رمضان من عام اثنين وثلاثين
 وسبعمائة^(٢) .

(١) هنا يباض في المخطوط . ونقول تكلّة السياق إن استيلاء الأمير أبي عبد الله محمد الحفص
 على بجاية كان في رمضان سنة ٧٦٥ هـ ، وأن ابن خلدون غادر الأندلس ، تلبية لدعوة الأمير ، حسبما
 يحدثنا في « التعريف » ، في منتصف عام ٧٦٦ هـ ، وأطلع من ثغر المرية ، فوصل إلى بجاية خمسة
 أيام من سفره (رجب سنة ٧٦٦ هـ) (راجع التعريف بابن خلدون ص ٩٧ و ٩٨ - وراجع كتابي
 « ابن خلدون » (الطبعة الثالثة - ص ٥٠ و ٥١) .

(٢) توفي ابن خلدون بمدينة القاهرة المعزية في السادس والعشرين من شهر رمضان سنة
 ٨٠٨ هـ الموافق ١٦ مارس سنة ١٤٠٦ م ، ودفن ، حسبما يذكر لنا السخاوي في ترجمته ، « بمقابر
 الصوفية » خارج باب النصر .

[عبد الرحمن بن الحاج بن القمى الإلبيرى]

حاله : كان شاعراً مجيداً ، هجا القاضى أبا الحسن بن توبة قاضى
غرناطة ، ومن نصره من الفقهاء ، فضربه القاضى ضرباً وجيعاً ، وطيف به
على الأسواق بغرناطة ، فقال فيه الكاتب أبو إسحاق الإلبيرى الزاهد ،
وكان يومئذ كاتباً للقاضى المذكور ، الأبيات الشهيرة :

السَّوْطُ أَبلغُ من قولٍ ومن قيل ومن نباحٍ سفیهٍ بالأباطيل
من الدَّارِ كحر النار أبراه يَعْقِلُ النِّقَاضِ أَى تَعْقِيلِ^(١)

عبد الرحمن بن يخلف بن أحمد بن تفلت الفازازى

يكنى أبا زيد .

حاله

كان حافظاً نظّاراً [ذكياً]^(١) ذا حظٍّ وافر من معرفة أصول الفقه
وعلم الكلام ، وعناية بشأن الرواية ، مُتَبَدِّلًا فى هيئته ولياسه ، قلماً يرى
راكباً فى حَضَرٍ إلا للضرورة ، فاضلاً ، سَنِيًّا ، شديد [الإنكار]^(٢) والإنحاء
على أهل البدع ، مُبالِغاً فى التحذير منهم ، عامر الإناء^(٣) ، يطلب العلم
شَغَفًا به ، وانطباعاً إليه ، وَحِبًّا فيه ، وحرصاً عليه ، آية من آيات الله فى
سرعة البديهة ، وارتجال النظم والنثر وفور مادّه ، وموالة استعمال ،
لا يكاد يُقَيِّدُ ، ولا يصرفه عنه ، إلّا نسخ أو مطالعة علم . أو مذاكرة
(١) وردت هذه الترجمة الموجزة فى مخطوط الزيتونة (لوحة ١٨١ من الجزء الثانى)
ولم ترد فى مخطوط الإسكوريال فرأينا إثباتها .

(٢) واردة فى الزيتونة . وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) وردت فى الإسكوريال (أناه) . وفى الزيتونة (لآناه) ، ونعتقد أن التصويب

أنسب للسياق .

فيه ، حتى صار له ملكة ، لا يتكلف معها الإنشاء ، مع الإجابة ، وتمكن
البراءة . وكان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء ، ملتزماً بذلك ، كارها
له ، حريصاً على الانتطاع عنه ، واختص بالسيّد أبي إسحق بن المنصور ،
وبأخيه أبي العلاء ، وبلازمتهم استحق الذكر فيمن دخل غرناطة ،
إذ عدّ ممن دخلها من الأمراء .

مشيخته

روى عن أبيه أبي سعيد ، وأبي الحسن جابر بن أحمد ، وابن عتيق بن
مون ، وأبي الحسن بن الصايغ ، وأبي زيد السهيلي ، وأبي عبد الله التّجيبى ،
وأبي عبد الله بن الفخّار ، وأبي محمد بن عبيد الله ، وأبي المعالي محمود
الخراساني ، وأبي الوليد بن يزيد بن بّقى وغيرهم . وروى عنه ابنه
أبو عبد الله ، وأبو بكر بن سيّد الناس ، وابن مهدي ، وأبو جعفر بن علي
ابن غالب ، وأبو العباس بن علي بن مروان ، وأبو عمرو بن سالم ،
وأبو القاسم عبد الرحيم بن سالم ، وابن عبد الوهاب بن عبد الرحمن
ابن سالم ، وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران ، وأبو يحيى بن سليمان
ابن حوط الله ، وأبو محمد بن قاسم الحرار ، وأبو الحسن الرّعيني ،
وأبو علي الماقري .

توابعه ومنظوماته

له المُمَشَّرات الزُّهْدِيَّة ، التي ترجعها بقوله : «المعشّرات الزُّهْدِيَّة ،
والمذكرات الحقيقيّة الجُدِّيَّة ، ناطقة بالسنة الرّجلين المُشْفِقِينَ ، شايقة
إلى مذهب السّالكيين المُشْتَبِقِينَ . نظمها متبرّكاً بعبادتهم^(١) متيناً بأغراضهم
ولإشاراتهم ، قابضاً عنان الدّعوى عن مُداناتهم ومُجاراتهم ، مهتدياً إهداء

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (بعديهم) .

السُّنن الخمس ، بالأشعة الواضحة من إشاراتهم ، مُخلِّداً دون أفقهم العالى ، إلى حضيرضه ، جامعاً لحسن أقواله . وقبح أفعاله ، بين الشئىء ونقيضه . عبد الرحمن » . وله « المعشَّرات الحبيبة » ، وترجمتها النِّفحات القلبية ، واللفحات الشوقية ، منظومة على ألسنة الزاهبين وجداً ، الدَّايبين كمدأ وجهداً ، الذين غرَبوا ، وبقيت أنوارهم ، واحتجبوا وظهرت آثارهم ، ونطقوا وصمَّت أخبارهم ، ووقوا العبودية حقها ، ومَحْضوا المحبة مُستحقَّها ، نَظْمٌ من نَسَج على منوالهم ، ولم يشاركهم إلا فى أقوالهم فلان . والقصايد ، فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، التى كل قصيدة منها عشرون بيتاً ، وترجمتها الوسائل المُتَقَبِّلَة ، والآثار المسلمة المُقْبِلَة ، مُودَعَة فى العشرين^(١) النبوية ، والحقايق اللفظية والمعنوية ، نَظْمٌ من اعتقدها من أَرْكَى الأعمال ، وأَعَدَّها لما يستقبله من مُذهِّش الأهوال ، وفَرَعَ خاطره لها ، على توالى القواطع ، وتَتَابُع الأشغال ، ورجا بَرَكَة خاتَم الرُّسالة ، وغاية السُّود والجلالة ، مَحْو ما لسلفه من خطيأ فى الفعل ، وزَلل فى المقال ، والله سبحانه ولَّى القبول للتوبة ، والمُتَّان بتسويغ هذه المِنَّة المطلوبة ، فذلك يسير فى جَنَب^(٢) قدرته ، ومَعْهُود رحمته الواسعة ومَغْفرتة .

شعره

وشعره كثير جداً ، ونشره مشهور وموجود . فمن شعره فى غرض الشكر لله

عز وجل ، على غَيْثِ جاء بعد قَحْط :

نعم الإله بشكره تتَمَيِّد فالله يُشكر فى النِّوال ويُحمد
مُدَّت إليه أَكْفُنَا محتاجة فأنا لها من جُوده ما نعهد

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الشعرية) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (جانب) .

وَأَغَاثِنَا بَغَمَايِمَ وَكَافِسَةٍ
 حَمَلْتِ إِلَى ظَمَأِ الْبَسِيطَةِ رِيَّةً
 فَالْجَوْ بَرَّاقٍ وَالشُّعَاعُ مُنْضَضٌ
 وَالْأَرْضُ فِي حُلَى الْأَنَى كَأَنَّمَا
 وَالرُّوضُ مَطْلُولُ الْخَمَائِلِ بِاسْمِ
 تَاهَتْ عَقُولُ النَّاسِ فِي حَرَكَاتِهَا
 فَيَقُولُ أَرْبَابُ الْبِطَالَةِ تَنْشَى
 وَإِذَا اهْتَدَيْتِ إِلَى الصَّوَابِ فَإِنَّهَا
 مَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَنْقُضِي
 إِحْضَرُ فَوَادِكَ لِلْقِيَامِ بِشُكْرِهِ
 وَانْقُضْ يَدِيكَ مِنَ الْعِبَادِ فَكُلُّهُمْ
 وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى سِوَاهِ فَإِنَّمَا
 نَعِمَ الْإِلَٰهَ كَمَا تَشَاهَدُ حُجَّةً
 فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِهِ الَّتِي
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالِدَلِيلِ مُبْلَغُ
 مَنْ ذَا الَّذِي يَرْتَابُ أَنَّ إِلَٰهَةً
 كُلُّ يَصْرِحُ حَالَهُ وَمَقَالَهُ
 وَمَنْ شَعَرَهُ أَيْضاً قَوْلُهُ :

عَجَباً لِمَنْ تَرَكَ الْحَقِيقَةَ جَانِباً
 وَابْتَنَعَ بِالْحَقِّ الْمُصَحَّحِ حَاضِراً
 وَغَدَا لِأَرْبَابِ الصَّوَابِ مُجَانِباً
 مَا شَاءَ لِلزُّورِ الْمُعَلَّلِ عَسَائِباً

من بعد ما قد صار أَنْفَذَ أَسْهَمَا .
 لَا تَخْذَعْنَكَ سَوَابِقُ مِنْ سَابِقِ
 فَلَرُبَّمَا اشْتَدَّ الْخَيْسَالُ وَعَاقَهُ
 وَلَكُمْ إِمَامٌ قَدْ أَضُرَّ بِفَهْمِهِ
 فَانْحَرْفْ بِأَفْلَاطُونٍ وَأَرْسَطَا
 وَدَعِ الْفَلَّاسِفَةَ الذَّمِيمَ جَمِيعُهُمْ
 يَاطَالِبُ الْبِرْهَانِ فِي أَوْضَاعِهِمْ
 أَعْرِضْتَ عَنْ شَطِّ النَّجَاهِ مُلْجِجًا
 وَصَفَا الدَّلِيلَ فَمَا نَفَعْتَ بِصَفْوِهِ
 فَانْظُرْ بِهِ ذَلِكَ هَلْ تَرَى مُتَفَلِّسِفَا
 أَعْيَتْهُ أَعْبَاءُ الشَّرِيعَةِ شِدَّةً
 وَاللَّهُ أَسْلَى عَصْمَةً وَكَفَايَةً

ومن شعره :

إِلَيْكَ مَدَدْتُ الْكَفَّ فِي كُلِّ شِدَّةٍ
 وَأَنْتَ مِلَادُ وَالْأَنْسَامِ بِمَغْزِلٍ (١)
 فَحَقَّقْ رَجَائِي فِيكَ يَا رَبِّ وَاكْفِنِي
 وَمَنْ أَيْنَ أَخْشَى مِنْ عَدُوِّ إِسَاءَةٍ
 وَكَمْ كُرْبَةٍ نَعَجَّيْتَنِي مِنْ غِمَارِهَا
 [فَلَاقُوهُ عِنْدِي وَلَا لِي حِيلَةٌ] (٢)

(١) وردت في الإسكوريال (عاليه) وفي الزيتون (عليه) . ونعتقد أن التصويب أنسب للسياق . (٢) الطريق اللاحق أي الطريق الواضح .

(٣) هكذا وردت في الزيتون . وفي الإسكوريال (الهجى) . والأول جمع .

(٤) هذه الكلمة واردة في الزيتون ، وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في الزيتون . وفي الإسكوريال (فلا قوة عندي إل حيلة) .

وأشدَّ عادية (١) وأمضى قاضبها
 حتى ترى الإحضار منه عواقبها
 دون الصُّواب هوى وأصبح غالبا
 كتبُ تعبٌ من الضلال كتابها
 طاليس ودونهما تسلك طريقاً لاجبا (٢)
 ومتمالم تأتى الأحق الواجبا
 أعزَّز على بأن تعمر جانبها
 في بحر هلك ليس يُنجى عاطبا
 حتى جعلت له الحبر (٣) شايبا
 فيمن تسرى إلا دعياً كاذبها
 فارتد مسلوباً ويُحسب سالبها
 من أن أكون عن المحجة ناكبا

فيا مُنجى المُضطرَّ عند ذُعَايِهِ
رجاؤك رأس المال عندى وربِّحتُه
إذا عجزوا عن نفعهم فى نفوسهم
فيا محسناً فيما مضى أنت قادرٌ
وإنى لأرجو منك ما أنت أهله
[فصلٌ على المختار من آل هاشم]
وقال فى مُدعى قراءة الخطِّ دون نظر :

[وأدور مِيَّاس العواطف أصبحت
يُدير على القرطاس أنمل كَفِّه
فقال فريقٌ سِخْرُ بابل عنده
فقلت لهم لم تفهموا ^(٤) سرِّ دركه
ستكفه ^(٥) حبُّ القلوب فأصبحت
وفاته : استَقْدَمه المأمون ^(٦) على حال وحشة ، كانت بينه وبينه ، فورد
ورود الرضا على مراكش فى شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة . وتوفى فى
ذى قعدة بعده ، ودفن بجبانة الشيوخ مع أخيه عبد الله وقرناهما ،
رحم الله جميعهم .

انتهى السفر التاسع بحمد الله

- (١) زائدة فى الزيتونة .
- (٢) هذا البيت وارد فى الزيتونة وساقط فى الإسكوريال .
- (٣) هذا البيت وارد فى الزيتونة وساقط فى الإسكوريال .
- (٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (تدركوا) .
- (٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (فتكفه) .
- (٦) هو الخليفة الموحدى أبو العلاء ولد الخليفة يعقوب المنصور ، وقد تولى الخلافة فى ربيع الأول سنة ٦٢٧ هـ ، وتوفى فى أواخر سنة ٦٢٩ هـ .

ومن السفر العاشر العمال الأتراك في هذا الحرف

عبد الرحمن بن أسباط

الكاتب المُنَجَّب ، كاتب أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين .

حاله

لحق به بالعدوة ، فاتَّصل بخدمته ، وأغراه بالأندلس ، إذ ألقى إليه أمورها على صورتها ، حتى كان ما فرغ الله عز وجل ، من استيلائه على ممالكها ، وخلَّعه لرؤسائها . وكان عبد الرحمن قبل اتصاله به ، مَقْدُوراً عليه في رزقه ، يتحرَّف بالنسخ ، ولم يكن حين الخط ، ولا مُعَرَّب اللفظ ، إلى أن تَسَيَّر للكتابة في باب الديوان بالمرية ، ورأى خلال ذلك ، في نومه ، شخصاً يوقظه ، ويقول له قم يا صاحب رُبْع الدنيا ، وقصَّ رؤياه على صاحبٍ له بمثواه ، فبَشَّرَه ، فطلب من ذلك الحين السُّمُوَّ بنفسه ، فأجاز البحر ، وتعلَّق بحاشية الحرَّة العليا زينب^(١) ، فاستكثبته . فلما توفيت الحرَّة . أقرَّه أمير المسلمين كاتباً ، فزال ماشاء ، مما ترتمى إليه الهمم . جاهاً ومالاً وشهرة . وكان رجلاً حصيفاً ، سَكُوناً ، عاقلاً ، مُجَادِي الجاه . حَسِين الوساطة ، شهير المكانة .

توفي فجأة بمدينة سبتة . في عام سبعة وثمانين وأربعمائة . ونقلد

(١) هي زينب بنت إسحاق الخرابية ، زوجة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين . وكانت من قبل زوجة لابن عم أبي بكر التميمي . ففلقها ونزل له عنها ، حيناً اعتزم السير إلى القزو في الصحراء ، حتى لا تشاطره حياة الفقر الخشن ، وكانت زينب من أجل وأذكى نساء عصرها .

الكتابة بعده ، أبو بكر بن القصيرة . ذكره ابن الصيرفي^(١) .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري

وتكرر مالك في نسبه

أوليته

قالوا من ولد عُقْبَة بن نعيم الداخل الى الأندلس ، من جند دمشق ،
نزىل قرية شكنب من إقليم تاجرة الجمل من عمل بلدنا لَوْشَة ، غرناطى
يكنى أبا محمد .

حاله

كان أبو محمد هذا أحد وزراء الأندلس ، كثير الصنایع ، جزل
المواهب ، عظیم المكارم ، على سُنن عظماء الملوك ، وأخلاق السادة الكرام .
لم يُر بعده مثله في حال الأندلس ، ذاكرا للفقهِ والحديث ، بارعا في
الأدب ، شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً ، حُلُو الكتابة والشعر ، هُشّا مع وقار ،
لِيناً على مَضَاء ، على الهمة . كثير الخادم والأمل .

من آثاره الماثلة إلى اليوم الحمام ، بجوفى الجامع الأعظم من غرناطة .
بدأ بنائه أول يوم من جمادى الأولى سنة تسع وخمسمائة . وشرع في الزيادة
في سَقَف الجامع من صَحْنه سنة ست عشرة ، وعوض أرجل قسيه ، أعمدة
الرخام ، وجلب الرؤس والموايد من قرطبة . وفرش صحنه بكُذّان الصُخيرة .
ومن مكارمه أنه لما وُلّي مُسْتَخْلَص غرناطة وإشبيلية ، وجّهه أميره على بن
يوسف بن تاشفين إلى طُرْطُوشة برسم بنائها ، وإصلاح خللها ، فلما استوفى

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الزيتونة .

الغاية فيها ، قلّده ، واستصحب جملة من ماله لمؤنته المختصة به ، فلما احتلّها سال قاضيها ، فكتب إليه جملة من أهلها ممن ضَعُف حاله وقلّ تصبرفه ، من ذوى البيوتات ، فاستعملهم أمانة في كل وجه جميل ، ووسّع أرزاقهم ، حتى كَمَل له ما أراد من عمله . ومن عَجَزَ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ ، وصَلّه من ماله ، وصَدَرَ عنها وقد أنْعَشَ خلقا كثيرا .

شعره

من قوله في مجلس أطربه سماعه ، وبَسَطَه احتشاد الأنس فيه واجتماعه :
 لا تَلْمَنِي إِذَا طَرِبْتُ لَشَجْوٍ يَبِيعُ الْآنَسُ فَالْكَرِيمُ طَرُوبُ
 لَيْسَ شَقُّ الْجُيُوبِ حَقًّا عَلَيْنَا إِنَّمَا الْحَقُّ أَنَّ تُشَقُّ الْقُلُوبُ
 وقال ، وقد قَطَفَ غلام من غلمانه نَوَّارَةً ، ومدّها بها يده إلى أبي نصر
 الفتح بن عبيد الله^(١) . فقال أبو نصر :

وَبَدْرٌ بَدَا وَالطَّرْفُ مَطْلَعُ حَسَنِهِ وَفِي كَفِّهِ مِنْ رَائِقِ النُّورِ كَوْكَبُ
 يَرُوحُ لِتَعْذِيبِ النُّفُوسِ وَيَغْتَدِي وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ الْجَمَالِ وَيَغْرُبُ
 فقال أبو محمد بن مالك :
 وَيَحْسِدُ مِنْهُ الْغُضُنُ أَيْ مُهْزَفُ يَجِيءُ عَلَى مِثْلِ الْكَتِيبِ وَيَذْهَبُ

نشره

قال أبو نصر ، كتبتُ إليه مودّعا ، فكتب إلي مُسْتَدْعِيا ، وأخبرني
 رسوله أنه لما قرأ الكتاب وضعه ، وما سَوَى وَلَا فَكَّرَ وَلَا رَوَى :

يَا سِيدِي ، جرت الأيام بجمع افتراقك ، وكان الله جارك في انْطِلَاقك ،
 فَغَيْرُكَ رُوعٌ بِالظُّعْنِ ، وَأَوْقَدَ لِلدَّوَاعِ جَامِحِ الشَّجَنِ ، فَأَنْتَ مِنْ أَبْنَاءِ هَذَا
 (١) هو أبو نصر الفتح بن خافان مؤلف « قلائد المقيان » ، المتوفى سنة ٥٢٥ هـ ، وقد
 سبقت الإشارة إليه غير مرة .

الزمن ، خليفة الخضر ، لا يستقرُّ على وطن ، كأنَّك والله يختار لك ما تأتيه وما تدعه ، مُوَكَّل بفضاء الأرض تذرعه ، فحسبُ من نوى يعشرتك الاستمتاع ، أن يعدَّك من العواري السريعة الارتجاع ، فلا يأسفُ على قِلَّة الثوى وينشد : وفارقتُ حتى ما أبالي من النوى .

وفاته

اعتلَّ بإشبيلية فانتقل إلى غرناطة ، فزادت علته بها ، وتوفى رحمه الله بها في غرة شعبان سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، ودفن إثر صلاة الظهر من يوم الجمعة المذكورة بمقبرة باب البيرة ، وحضر جنازته الخاصة والعامة .
« من رثاه » : رثاه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال رحمه الله ،
لقال :

إن كنت تشفق من نزوح نواه	فهنالك مقبرةٌ وذا منواه
قسم زمانك عبرةً أو عبرةً	وأجل تشوقه على ذكره
وأعده ما امتدت حياتك غايباً	أو عاتباً إن لم تزر زُرناه
أو نائماً غلبت عليه رقدةٌ	لمشهد لم تغتمض عيناه
أو كوكبا سرت الركاب بنوره	فمضى وبلغنا المحلَّ سنه
فمتى تبعد والنفوس تزوره	ومتى تغيب والقلوب تراه
يا واحداً عدل الجميع وأصلحت	دنيا الجميع ودينهم دُنيه
طالت أذاتك بالحياء كرامةً	والله يكرم عبده بأذاه
لشهادة التوحيد بين لسانه	وجنانه نور يرى مسراه
ويوجهه سيمى أغرَّ مُحجَّل	مهما بدا لم تلتبس سيماه
وكانما هو في الحياة سَكينة	لولا ادتِرازُ في الندى يغشاه
وكانه لحظَّ العفاة توجعاً	فتلازمت فوق الفؤاد يده

أَبْدَى رِضَى الرَّحْمَنِ عَنْكَ ثَنَاؤُهُمْ إِنْ الثَّنَاءُ عِلَامَةٌ لِرِضَاهُ
يَا ذَا الَّذِي شَغَفَ الْقُلُوبَ بِهِ وَذَا لَا تَرْتَجِيهِ وَذَاكَ لَا تَخْشَاهُ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ فَرَّغَ زَكَا وَسِعَ الْجَمِيعَ بِظِلِّهِ وَخَنَاهُ
فَالْيَوْمَ أَوْدَى كُلَّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ وَنَعَى إِلَى النَّفْسِ مَنْ يَنْعَاهُ
مَاذَا يُؤْمَلُ فِي دَمَشَقٍ مُسْنَدُ قَدْ كُنْتَ نَاطِرُهُ وَكُنْتَ تَرَاهُ
يَعْتَادُ قَبْرَكَ لِلْبَيْكَا أَسِفًا بِمَا قَدْ كَانَ أَضْحَكَهُ الَّذِي أَبْكَاهُ
يَا تُرْبَةُ حُلِّ الْوَزِيرِ ضَرِيحَهَا سَقَاكَ بَلْ صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ
وَسَرَى إِلَيْكَ وَمَنْكَ ذَكَرٌ سَاطِعُ كَالْمَسْكِ عَاطِرَةٌ بِهِ الْأَفْوَاهُ^(١)

عبد الرحمن بن عبد الملك اليشقي

بكنى أباً بكر ، أصله من مدينة باغة^(٢) ، ونشأ بلوشة ، وهو محسوب من الغرناطين .

حاله

كان شيخاً يبدو على مخيلته النبيل والدعاء ، مع قُصُور أدواته . ينتحل النظم والنثر ، في أراجيز يتوصل بها إلى غرضه ، من التصرف في العمل . وجرى ذكره « في التاج المجلد » وغيره بما نصه : قارض حاج ، مُدَاهِنُ مُدَاج ، أَخْبَثُ من نظر من طَرَفِ خَفْسِي ، وَأَغْدَرُ من تَلْبَسَ بِسَعَارِ وَفِي ، إلى مَكِيدَةِ مَبْثُوتَةِ الْحَبَايِل ، وإغراء يقطع بين الشعوب والقبائل ، من شيوخ طريقة العمل ، الْمُتَقَلِّبِينَ من أحوالها ، بين الصَّخْوِ وَالثُّبُلِ ، المتعللين برسومها ، حين اختلط المرعى والهمل . وهو ناظم أَرْجَاز ، ومستعمل

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

(٢) باغة وبالإسبانية Priego بلدة أندلسية من إقليم غرناطة تقع شمال لوشة ، وعلى مقربة

من قلعة يحصب .

حقيقة ومجاز . نظم مُختَصِر السَّيرة ، في الألفاظ اليسيرة ، ونظم رَجَزاً في الزَّجَر والفال ، نبّه به تلك الطريقة بعد الإغفال ، فمن نظمه ما خاطبني به مستدعياً إلى إعدار ولده :

أريد من سيدي الأعلى تكلفه
يزيدني شرفاً منه ويُبصر لي
فأجبتَه :

يا سيدي الأوحد الأسمى ومُعتمدي
دَعَوْتُ في يوم الاثنين الصُّحاب ضُحَى
يوم السَّلام على المَولى وخدمته
والعُذر أوضح من نَسارٍ على عَسَم
يَقِيت في ظل عيش لا نفاذ له
ومنه أيضاً :

قل لابن سيّد والديه لقد علّا
ما ساد والده فيُحمد أمرُه
وتجاوز المقدار فيما يَفْخَر
إلاّ صغير العَنز حتى يَكْبُر
وصدّرت عنه مقطوعات في غير هذا المعنى مما عَدَّب به المِجَنى ، منها قوله :

إنّ الولاية رفعةً لسكنها
فانظر فضائل من مضى من أهلها
وقال :

هنيأ أبا إسحق دُمت موفّقاً
فأنت كمثل البدر في الحسن والتي
وقالوا عجبٌ نور بَدْرَيْن ظاهر
وكتب إلى :

سعيداً قريّر العين بالعُرس والعِرس
تملكتها في الحسن أسنى من الشمس
فقلت نعم إنّ أَلِفَ الجِنس للجِنس
لمولاي من آل الخطيب فيَنفَرَج

هو العُدَّة العظمى هو السيد الذى بأوصافه الحُسنى المكارم تَبْتَهَج
 وزيرٌ علا ذاتاً وقدرًا ومُنْصِبها فمن دونه أَعْلَا الكواكب يَنْدَرَج
 وفى بابهِ نِلْتُ الأمانى وقادى دليلٌ رشادى حيث رافَقْنى القَرَج
 فلا زال فى سَعْدٍ وعزٍّ ونعمةٍ تُصان به الأموال والأهل والمُهَج
 توفى فى الطاعون عام خمسين وسبعمائة بغرناطة^(١)

وفى سائر الأسماء التى بمعنى عبد الله وعبد الرحمن ، وأولاد الأمراء
 عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم
 أوليته

أبوه المنسوب إليه فتح الأندلس ، ومحلّه من الدين والشهرة ،
 وعِظَم الصِّيت معروف .

حاله

كان عبد الأعلى أميراً على سُنن أبيه فى الفضل والدين ، وهو الذى
 باشر فتح غرناطة ومالقة ، واستحق الذكر لذلك . قال الرأزى ، وكان
 موسى بن نصير ، قد أخرج ابنه عبد الأعلى فيمن رتبّه من الرجال إلى
 البيرة وتدمير ، لفتحها ، ومضى إلى البيرة ففتحها ، وضَمَّ بها إلى غرناطة
 اليهود ، مستظهِراً بهم على النّصر ، ثم مضى إلى كورة رُبّه ، ففتحها^(٢)

عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن نَحْيُو
 يكنى أبا محمد ، أوليته معروفة .

(١) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال ، ولم ترد فى الزيتونة .

(٢) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال ولم ترد فى الزيتونة .

وفسَد ما بين أبيه وبين جدّه . أمير المسلمين ، بما أوجب انتيادَه إلى سكنى مدينة سِجِلْمَاسَة ، مُعَزَّزَةً له ألقابُ السلطان بها . مَدُونُخاً ما بأحوازها من أماكن الرياسة ، منسوبة إليه بها الآثار ، كالسُدِّ الكبير الشهير ، وقُصُور الملك . فلما نزل عنها على حكم أخيه أمير المسلمين أبي الحسن ، وأمضى قِتْلَتَه بالفِصاد ، نشأ ولده ، وهم عدّة بباب عمّهم ، يَسْعُهُمْ رِفْدُهُ ، ويقودهم ولده ، ثم جلاهم إلى الأندلس لبُنه السلطان أبو عِنان ، عندما تصيّر الأمر إليه ، فاستقروا بغرناطة . تحت برٍّ وجراية ، قَلِيقاً بمكانهم من جَلاهم ومن بعده ، لإشارة عيون الترشّيح إليهم ، مغازلة من كُتِبَ ، وقعودهم بحيث تَعُثُّرُ فيهم المظنّة . إلى أن كان من أمرهم ما هو معروف .

حاله

هذا الرجل من أهل الخير والعفاف والصّيانة ، ودَمَتِ الخُلُقُ ، وحسن المداراة ، يألّف أهل الفضل ، خاطبٌ للرُتبة بكل جهد وحيلة ، وسُدُّ عنه باب الأَطْمَاع . حُذِّرَ من كان له الأمر بالأندلس من لَدُن وصوله . كى لا تختلف أحوال هذا الوطن في صَرَف وجود أهله إلى غزو عدو البِلَّة ، ومُحوِل القِبيلة ، وإعراضهم عن الإغماض في الفِتنة المُسلمة ، وربما ميت عنهم الحركات والهموم . فَثَقَّفُوا من فيها عليهم . إلى أن تبرأ ساحتهم ويُظن به السكون . فلما دالت الدولة ، وكانت للأخابث الكُرّة ، واستقرّت بيد الرئيس الغادر الكُرّة ، وكان ما تقدّم الإلماح به من عمل السلطان أبي سالم ملك المغرب . على إجازة السلطان وليّ مُلك الأندلس ، المُزْعَج عنها بعلّة البَغْي . ذهب الدّائِل الأَخْرَق إلى المقارضة . فعندما استقرّ السلطان أبو عبد الله بجبل الفتح . حاول إجازة الأمير عبد الحلّيم إلى تِلْمَسَان بعد مفاوضة . فكان ذلك في أنحريات ذى قعدة ، وقد قضى الأمر

في السلطان أبي سالم . وانحلت العُدة ، وانتكثت المريرة ، ووئى الناس الرجل المعتود . وقد إلى تلمسان من لم يرض محله من الإدالة ، ولا قويت نفسه على العوض ، ولا صابرت غصّ المخافة ، وحرك ذلك من عزمه ، وقد أنجده السلطان مُستدعيه بما في طوفة . ولما اتصل خبره بالقيام بالأمر بفاس ، ومُعْمِل التدبير على سلطانه . أعمل النظر فيهم ، زعموا بتسليم الأمر ، ثم حذر من لحق به من أضداده ، فصمّ على الحصار ، واشتراب بالقبيل المريني ، وأكثف الحجاب دونهم بما يحرك أنفتهم ، فنفروا عنه بواحدة أول عام ثلاثة وستين وسبعماية ، واتفق رأيهم على الأمير عبد الحليم ، فتوجّهت إليه وجهوهم اتفاقا ، وانشالوا عليه اضطرابا ، ونازل البلد الجديد ، دار الملك من مدينة فاس ، يوم السبت السادس لشهر المحرم من العام . واضطربت المحلات بظاهرة ، وخرج إليه أهل المدينة القُدّى ، فأخذ بيعتهم ، وخاطب الجهات ، فألقت إليه قواعدها باليد ، ووصلت إليه مخاطباتها .

ومن ذلك ما خوطب به من مدينة سلا ، وأنا يومئذ بها :
يا إمام الهدى وأيّ إمام . أوضح الحق بعد إخفاء رسمه
أنت عبد الحليم حلمك نرّ . جو فالسمّى له نصيب من اسمه
وسلك مَسْلُكا حسنا في الناس ، وفَسَح الآمال ، وأَجْمَل اللقاء ، وتَحَمَّل الجفاء ، واستفزّ الخاصة بجميل التأتّي وأخذ العفو ، والتظاهر بإقامة رسوم الديانة ، وحارب البلد المحصور في يوم السبت الثالث عشر لشهر الله المحرم المذكور ، كانت الملاقاة التي برز فيها وزير الملك ومُدير رحاه بمن اشتملت عليه البلدة من الروم والجند الرُّحل ، واستكثّر من آلات الظهور وعُدّد التهويل ، فكانت بين الفريقين حربٌ مرّة تولى بكبرها الناشئة ،

فأرسلت على القوم حَواصب النُّبل ، غارت لها الخَيْلُ ، واقتشَرت الوجوه ،
وتقهقرت المواكب . وعندها بَرَزَ السلطان المَعْتُوهُ ، مصاحبةً له نَسَمَةُ
الإقدام ، وتَهَوَّرَ الشجاعة عند مفارقة الخلال الصَّحِيَّة ، وتوالت الشَّدات ،
وتكالبت الطَّائِفة المحصورة ، فتمرَّست بأختها . ووقعت الهزيمة ضَحْوَةً
اليوم المذكور على قَبِيلِ بنى مَرِين ومن لَفَّ لَفَّهُم ، فصَرَفوا الوجوه إلى
مدينة تَازِي ، واستقرَّ بها سلطانهم ، ودخلت مِكناسة في أمرهم ، وضاق
ذَرع فاس للمُلك بهم ، إلى أن وصل الأمير المُستَدْعَى ، طِيَّة الصبر ، وأجدى
دَفْع الدِّين ، ودخل البلد في يوم الاثنين الثاني والعشرين لصفر من العام .
وكان اللقاء بين جيش السلطان ، لنظر الوزير ، مُطْعَم الإمهال ومُعَوَّد
الصُّنْع . وبين جيش بنى مَرِين ، لنظر الأخ عبد المؤمن ابن السلطان
أبى على . فرحل القوم من مِكناسة ، وفرَّ عنهم الكثير من الأولياء ، وأخلَّوا
العُرْصَةَ ، واستقروا أخيراً ببلد أبيهم سِجْلَمَاسَة ، فكانت بين القوم
مُهادنة . وعلى أثرها تَعَصَّب للأخ عبد المؤمن معظم عرب الجهة ، وقد برز
إليهم في شأن استخلاص الجبابة ، فرجعوا به إلى سِجْلَمَاسَة . وخرج
لمدافعتهم الأمير عبد الحليم ، بمن معه من أشياخ قبيله والعرب أولى
مظاهر ، فكانت بينهم حرب أَجَلَّتْ عن هزيمة الأمير عبد الحليم ،
واستلَّحِمَ للسيف جملة من المشاهير . كالشيخ الخاطب في حَبْلِهِ ، نِجْدَن
النُّكْر وقادح زَنْد الفِتْنَة ، الدَّائِن بالحَمَل على الدول على التفصيل
والجُمْلَة . المُعْتَمِد بالمغرب بالرأى والمشورة ، يحيى بن رَحْو بن مَسْطَى
وغیره . وأذعن عبد الحليم بعدها للخَلْع ، وخرج عن الأمر لأخيه ، وأبقى
عليه ، وتحرَّج من قتله . وتُعَرَّف لهذا الوقت صَرَفُهُ عنه إلى الأرض
الحجازية على صحراء القِبيلة ، فانتهى أمره إلى هذه الغاية .

دخوله غرناطة

قدم على الحضرة مع الجملة من إخوته وبنى عمه في^(١)
جلاهم السلطان أبو عنان ، عندما تصير له الأمر ، فاستقرؤا بها ، يناهز
عبد الحليم منهم بلوغ أشده .
وتوفى^(١) وستين وسبعماية^(٢)

عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن تحيؤ

أخو الأمير عبد الحليم يكنى أبا محمد

حاله

كان رجلا وقورا ، سكونا ، نحيفا ، آية الله في جمود الكف ، وإشار
المسك ، قليل المداخلة للناس ، مشغلا بما يُغنيه من خويصة نفسه ،
موصوفاً ببسالة وإقدام ، حسن الهيئة . دخل الأندلس مع أخيه ، وعلى
رسمه ، وتحرك معه ، وابن أخ لهما ، فتولى كثيرا من أمره ، ولقى الهول
دونه . ولما استقرؤا بسجلماسة ، كان ما تقرر من توبته على أمره ، والعمل
على خلعه ، مُعتذرا زعموا إليه ، موفيا حقه ، موجبا تجلته إلى حين
انصرافه ، ووصل الأندلس خطابه ، يُعرف بذلك بما نصه في المدرجة .
ولم ينشب أن أحس بحركة جيش السلطان بفاس إليه . فخاطب عميد
المساكره^(٣) ، عامر بن محمد المينتاني ، وعرض نفسه عليه . فاستدعاه .

(١) بياض بالخطوط .

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٣) نسبة إلى هكورة وهي إحدى القبائل البربرية المغربية ، القنارية في بلاد اسوس

جنوب شرق مراكش ، وغرب سلجلماسة .

وبَدَل له أماناً . ولما تحَصَّل عنده ، قبض عليه . وثَقَّفه ، وشَدَّ عليه يده ،
وحَصَّل على طلبه دِهْيَّة ، من التَّوَعَّد بمكانه ، واتخاذ اليد عند السلطان
بكفٍّ عاديته إلى هذا التاريخ^(١)

ومن الأفراد أيضاً في هذا الحرف وهم طاروون

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق

الأمير المُخاف بعد أبيه أمير المسلمين أبي الحسن بمدينة الجزائر ، بعد
ما توجه إلى المغرب ، وجرت عليه الهزيمة من بني زيان .

حاله

كان صبياً ظاهر السكون والأدب ، في سِنِّ المراهقة ، لم يَنْشِب أن
نازله جيشُ علوه ، ومالاه أهل البلد ، وأخذ من معه لأنفسهم وله الأمان ،
فنزل عنها ولحق بالأندلس . قال في كتاب « طُرْفَة العصر » ، وفي ليلة
العاشر من شهر ربيع الأول اثنين وخمسين وسبعمائة ، اتَّصل الخبر من
جهة الساحل ، بنزول الأمير عبد الحق ابن أمير المسلمين أبي الحسن ومن
معه ، بساحل شُلوَبانية^(١) ، مُفْلِتَيْن من دَهَق الشُّدَّة ، بما كان من منازل
جيش بني زيان مدينة الجزائر ، وقيام أهلها بدعوتهم . لما سَيِّمَوْه من
المطاولَة ، ونَهَكهم من الفِتْنَة ، وامتنع الأمير ومن معه بِقَصَبَتِهَا ، وأخذوا
لأنفسهم عهداً ، فنزلوا وركبوا البحر ، فرافقتهم السَّلَامَة ، وشملهم سِتْر
العِصْمَة . ولحين اتصل بالسلطان خبره ، بادر إليه بمركبين ثَقِيلِي الحِلْيَة ،
وما يناسب ذلك من بَزَّة ، وعَجَّل من خدامه بمن يقوم ببرّه ، وأصحبه

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٢) شلوَبانية وبالإسبانية Salobrena ثغر أندلس صغير يقع على البحر المتوسط جنوبي غرناطة
وقد سبق التعريف بها (أنظر ص ١١٢ من المجلد الأول حاشية) .

إلى منزل كرامته ، ولرابع يوم من وصوله . كان قدومه ، وبرز له السلطان
 بروزاً فخماً ، ونزل له ، قارضاً إياه أحسن القرض ، بما أسلفه من يد ،
 وأسداه من طول . وأقام ضيفاً في جواره ، إلى أن استدعاه أخوه ملك
 المغرب ، فانصرف عن رضى منه ، ولم ينشب أن هلك مُغتالاً في جُملة
 أرذاهم الترشيح ^(١) .

عبدالواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني

يكنى أبا ملك . وبيته في الموحدين الملوك بتونس . وأبوه سلطان
 إفريقية المترقى إليها من رتبة الشياخة الموحدية .

حاله

كان رجلاً طوالاً نحيفاً ، فاضلاً حسيباً ، مقبلاً للرؤوم الحسبية ،
 حسن العشرة ، معتدلاً الطريقة . نشأ بالبلاد الشرقية ، ثم اتصل بوطنه
 إفريقية ، وتقلد الإمارة بها برهة يسيرة ، ثم فر عنها ولحق بالمغرب ،
 وجاز إلى الأندلس ، وقدم على سلطانها ، فرحب به ، وقابله بالبر ، ونوه
 محله ، وأطلق جرابته ، ثم ارتحل أدراجه إلى العُدوة ، ووقعت بينى وبينه
 صُحبة ، أنشدته عند وداعه :

أبا ملكٍ أنت نجلُ الملوك	غيوثُ الندى وليوثُ النزال
ومثلك يرتاح للمكرّمات	ومالك بين الورى من مثال
عزيزٌ بأنفسنا أن نرى	ركابك مؤذنة بارتحال
وقد خبرتُ منك خلقاً كريماً	أناف على درجات الكمال

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

وفازتْ لديكِ بساعات أنس كما زار في النّوم طيف الخيال
فلولا تعلّلنا أننا نَزُورك فوق بِساط الجلال
ونبلغ فيك الذي نَشْتَهِي وذلك على السَّهل المَنال
لما فَتَرْت أنفُس من أَسَى ولا بَرِحْتَ أَدْمَعُ في انْهَمال
تَلَقَّيْتْكِ حيثِ احْتَلَلْتِ السُّعُود وكان لك الله على كل حال^(١)

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأماثل والكبرا

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن يحيى

يكنى أبا إدريس ، شيخ الغزاة بالأندلس .

حاله

كان شجاعاً عفيفاً تقياً ، وقوراً جليداً ، معروف الحق ، بعيد الصيت .
نازع الأمر قومه بالمغرب ، وانتزى بمدينة تازى ، على السلطان أبي الربيع ،
وأخذ بها البيعة لنفسه . ثم ضاق ذُرْعُهُ ، فعبر فيمن معه إلى تلمسان .
ولما هلك أبو الربيع ، وولى السلطان أبو سعيد : قَدِمَ للكتّيب في شأنه إلى
سلطان الأندلس ، وقد تعرّف عزمه على اللحاق ، ولم ينشِب أن لحق
بالمريّة من تلمسان ، فثُقِفَ بها ، قَضَاءً لِحَقٍّ من خاطب في شأنه . ثم بدا
للسلطان في أمره ، فأَوْعَزَ لرُقبايه في الغفلة عنه . وفرّ فلحق ببلاد النصرى^(٢)
فأقام بها ، إلى أن كانت الواقعة بالسلطان بغرناطة ، بأحواز قرية العطشا
على يد طالب الملك أمير المسلمين أبي الوليد . وأسير يومئذ شيخ الغزاة
حمو بن عبد الحق ، وترجّع الرأى في إطلاقه وصرفه . إعلانا للتهديد .

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في التزيتونة .

(٢) ومعناها هنا النصرى أى بلاد ملك النصارى أو ملك قشتالة .

فنجحت الحيلة ، وعُزل عن الخُطة ، واستدعى عبد الحق هذا إليها ، فوصل غرناطة ، وقُدِّم شيخاً على الغزاة . ولما تغلب السلطان أبو الوليد على الأمر ، واستوسق له ، وكان ممن شمله أمانه ، فأقره مرووساً بالشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء برهة . ثم لحق بأمره المخلوع نصر ، المستقر مؤادعاً بوادي آش ، وأوقع بجيش المسلمين مظاهر الطاغية ، الوقيعة الشنيعة بقرمونة ، وأقام لدية مُدَّة . ثم لحق بأرض النُصرى ، وأجاز البحر إلى سبتة . مظاهراً لأمرها أبي عمرو يحيى بن أبي طالب العزقي ، وقد كشف القنّاع في مُنابرة طاعة السلطان ، ملك المغرب ، وكان أُمْلَك لما بيده . وأُتيح له ظفرٌ عظيم على الجيش المُضيق على سبتة ، فبيته وهزمه . وتخلّص له ولده ، الكاين بمضرب أمير الجيش في بيت من الخشب رهينةً ، فصُرف عليه ، فما شئت من ذِياع شهرة ، وبُعد صيت ، وكرّم أُخْدُوثة . ثم بدا له في التّحول إلى تلمسان ، فانتقل إليها ، وأقام في إيالة ملكها عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين إلى آخر عمره .

وفاته

توفي يوم دخول مدينة تلمسان عتوة . وهو يوم عبد الفطر من عام ثمانية وثلثين وسبعماية ، قُتل على باب منزله ، يُدافع عن نفسه ، وعلى ذلك فلم يُشهر عنه يومئذ كبير غناء ، وكُور واستلّحم ، وحُزَّ رأسه . وكان أسوة أميرها في المحيا والممات ، رحم الله جميعهم . فانتقل بانتقاله وقتل بمقتله . وكان أيضاً علماً من أعلام الحروب . ومثلاً في الأبطال . وليثاً من ليوث النزال^(١) .

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في الزبيدة .

عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبد الله أخوه

حالهما

قال ابن مسعدة ، أبو محمد وأبو مروان توليا خُطّة الوزارة في الدولة الحَبْشِيَّة^(١) ، ثم توليا القيادة بشغور الأندلس ، وقهرا ما جاورهما من العدو ، وغلباه . وسَقَّياه كأس المنايا ، وجرَّعاه . ولم يزالا قائمين على ذلك ، ظاهرين عَلمَين ، إلى أن استشهدا رحمهما الله^(٢) .

عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري

حاله

قال ابن مسعدة ، كان بارع الأدب ، شاعرا . نحويا ، لُغويا ، كاتباً متوقِّد الذهن ، عنده معرفة بالطب ، ثم اعتزل الناس ، وانقبَض ، وقصد سُكنى البِشَارَات^(٣) ، لينفرد بها ، ويُخفي نفسه ، فرارا من الخدمة ، فنهياً له المُراد .

شعره

وكان شاعرا جيّد القريحة سريع الخاطر ، ومن شعره :

يا صاح لا تعرض لزَوْجِيَّة كلُّ البَلا من أجلها يَغْتَرى
الفقر والذلُّ وطول الأسي لستُ بما أذكره مُفْتَرى

(١) نسبة إلى حبوس بن ماكسن ، أمير غرناطة ، وأول أمراءها من البربر أيام الطوائف وقد حكم من سنة ٤١١ إلى سنة ٤٢٨ هـ .

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٣) هي المنطقة الجبلية الواقعة بين جبال سيرا نفادا (جبل شلير) وبين البحر جنوب غرناطة ، وقد سبق التعريف بها . (أنظر ص ١٦٨ من هذا المجلد من الإحاطة) .

ما في فم المرأة شيء سوى اشترلي واشترلي واشتر^(١)

القضاة الفضلاء وأولا الأصليون

عبد الحق بن غالب [بن عطية]^(٢) بن عبد الرحمن بن غالب بن
عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن
عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي

أوليتته

من ولد زيد بن محارب بن عطية ، نزل جدّه عطية بن خفاف بقرية
قسلة من زاوية غرناطة ، فأنسل كثيراً ممن له خطر ، وفيه فضل .

حاله

كان عبد الحق فقيها ، عالما بالتفسير والأحكام والحديث والفقه ،
والنحو والأدب واللغة ، مُقَيِّداً حسن التقييد ، له نظم ونثر ، وُلِّي القضاء
بمدينة ألمرية في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكان غاية في الدّهاء
والذكاء ، والتّهمم بالعلم ، سرى الهمة في اقتناء الكتب . توخى الحق ،
وعَدَلَ في الحكم ، وأعزَّ الخطّة .

مشيخته

روى عن الحافظ أبيه ، وأبوى على الغسانی والصّدفي ، وأبي عبد الله
محمد بن فرج مولى الطلاع ، وأبي المطرّف الشعبي ، وأبي الحسين بن البيان ،
وأبي القاسم بن الحصار المقرئ ، وغيرهم .

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

(٢) الزيادة من الزيتونة .

تواليفه

ألف كتابه المسمى « بالوجيز في التفسير » فأحسن فيه وأبدع ، وطار
بحسن نيته كل مطار . وألف برنامجاً ضمنه مَروياتُه ، وأسماءُ شيوخه ،
وجرّز وأجاد .

شعره

قال الملاحى ، ما حدثنى به غير واحد من أشياخه عنه ، قوله :

وليلة جيت^(١) فيها الجذع مُرنديا بالسيف أسحب أذبالا من الظلم
والنجم حيران في بحر الدجا غرق والبدر في طيلسان الليل كالعلم
كأنما الليل زنجى بكاهله جرح فيثغب أحيانا له بدم

وقال يندب عهد شبابه :

سقياً لعهد شباب ظلت أمرح في ريعانه وليالى العيش أسحر
أيام روض الصبا لم تلو أغصنه ورؤنق العمر غص وهوى حمار
والنفس تركض في تضمين ثرتها طرفاً له في زمان اللهو إحضار
عهداً كريماً ليسنا منه أردية كانت عيوناً ومحييت فهمي آثار
مضى وأبقى بقلبي منه نار أسي كوني سلاماً أو برداً فيه يا نار
أبعد أن نعت نفسي وأصبح في ليل الشباب لصبح الشيب أسفار
ونازعتنى الليالى وانثنت كسراً عن ضيغم ماله ناب وأظفار
ألا سلاح خلال أخلصت فلها في منهل المجد إيراد وإصدار
أضبو إلى روض عيش روضه خضل أو ينثنى بي عن اللقبا إقصار
إذا تعطلت كفى من شبا قلم آثاره في رياض العلم أزهار

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بات) .

من روى عنه

روى عنه أبو بكر بن أبي جَمْرَةَ ، وأبو محمد بن عبد الله ، وأبو القاسم بن حُبَيْش ، وأبو جعفر بن مَضَاء ، وأبو محمد عبد المنعم ، وأبو جعفر ابن حَكَم ، وغيرهم .

مولده : ولد سنة إحدى وثمانين وأربع مائة .

وفاته : توفي في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمس مائة بمدينة لُورَقَة^(١) . قَصَدَ مرسية يتولى قضاءها ، فَصُدَّ عنها ، وَصُرِفَ منها إلى لُورَقَة ، اعتداءً عليه .

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن الفَرَس ، وقد تقدم ذكر طائفة من أهل بيته .

حاله

كان حافظاً جليلاً ، فقيهاً ، عارفاً بالنحو واللغة ، كاتباً بارعاً ، شاعراً مطبوعاً ، شهير الذكر ، عالى الصُيت . وُلِّيَ القضاء بمدينة شُقْر ، ثم بمدينة وادي آش ، ثم بجيَّان ، ثم بغرناطة ، ثم عُزِلَ عنها ، ثم وَلَّيَها الولاية التي كان من مُضْمَن ظَهِيرِهَا ، قول المنصور له ، أقول لك ما قاله موسى عليه السلام لأخيه هرون ، إخْلِفْنِي فِي قَوْمِي ، وَاصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ، وجعل إليه النظر في الحِسْبَةِ ، والشرطة ، وغير ذلك ،

(١) سبق التعريف بها (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٤١٢ حاشيته) .

فكان إليه النظر في الدماء فما دُونها ، ولم يكن يُقطع أمرٌ دُونه ببلده وما يرجع إليه .

وقال ابن عبد الملك ، كان من بيت علم وجلالة ، مُستبحراً في فنون المعارف ، على تفاريقها ، متحققاً بها ، نافذاً فيها ، ذكياً القلب - حافظاً للفقهِ . استظهر أوان طلبه للكتابيين ، المُنوَّنة ، وكتاب سيبويه وغيرهما ، وعُني به أبوه وجده عناية تامة . وقال أبو الربيع بن سالم ، سمعت أبا بكر ابن الجُدِّ ، وحسبك شاهداً ، يقول غير ما مرة ، ما أعلمُ بالأندلس ، أخفَظَ لمذهب مالك من عبد المنعم بن القَرس ، بعد أبي عبد الله بن زرقون .

مُشِيخته

روى عن أبيه الحافظ أبي عبد الله ، وعن جده أبي القاسم ، سمع عليهما وقرأ ، وعن أبي بكر بن النَّفَّيس ، وأبي الحسن بن هُدَيل ، وأبي عبد الله ابن سعادة ، وأبي محمد عبد الجبار بن موسى الجذامي ، وأبي عامر محمد ابن أحمد الشُّلبي ، وأبي العباس أحمد وأخيه أبي الحسن ابني زيادة الله . هذه جملة من لقي من الشيوخ وشافهه وسمع منه . وأجاز له من غير لقاء وبعضهم باللقاء من غير قراءة ، ابن ورد ، وابن بَقِي . وأبو عبد الله ابن سليمان التونسي ، وأبو جعفر بن قبال ، وأبو الحسن بن الباذش ، ويونس بن مغيث ، وابن مُعَمَّر ، وشُريح ، وابن الوحيدى ، وأبو عبد الله ابن صاف . والرُّشاطي ، والحَميري ، وابن وَضَّاح ، وابن موهب ، وأبو مروان الباجي ، وأبو العباس بن خلف بن عيشون ، وأبو بكر بن

طاهر ، وجعفر بن مكي ، وابن العربي ، ومساعد بن أحمد بن مساعد ،
وعبدالحق بن عطية ، وأبو مروان بن قزمان ، وابن أبي الخصال . وعياض
ابن موسى ، والمآزري ، وغيرهم .

تواليافه

ألف عدة توالياف ، منها كتاب الأحكام ، ألفه وهو ابن خمسة وعشرين
عاماً ، فاستوفى ووفى ، واختصر الأحكام السلطانية ، وكتاب النسب
لأبي عبيد بن سلام ، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن شاهين ، وكتاب
المختسب لابن جنى . وألف كتاباً في المسائل التي اختلف فيها النحويون
من أهل البصرة والكوفة ، وكتاباً في صناعة الجدل . ورد على ابن غزبية
في رسالته في تفضيل العجم على العرب . وكتب بخطه من كتب العربية
واللغة والأدب والطب وغير ذلك .

من روى عنه

حدث عنه الحافظ أبو محمد القرطبي ، وأبو علي الرندي ، وإبنا
حوط الله ، وأبو الربيع بن سالم ، والجم الغفير .

شعره

[أبى ما بقلبي اليوم أن يتكثما	وحسبك بالدمع السفوح مترجما
وأعجب به من أخرس بات مضمحا	يُبِينُ للواشين ما كان مُبهما
فكم عبرة في نهر شقير بعثتها	سباقا فأمسى النهر مُختضبا دما
يرجع ترجع الأنين اضطراره	كشكوى الجريح للجريح نالما
كَمَلْن بصحبي في قوفة الدمع نائر	شقايق نُعمان على متن أرقما
ولله ليلٌ قد لبست ظلامه	راداً بأتوار النجوم مُنمئما

أناوح فيه الورق فوق غصونها
ومالي إلا للفرقدين مُصاحب
أبيتُ شتيت الشمل والشمل فيهما
قباقصداً تُدِير عَرَج مُصافحا
وأعلمُ بآبواب السلام صبابتي
وإن طُنْتُ في تلك الأجارع لَأُنْضِع
وما ضرّها لو جاذبت ظبية النقا
فيُثْنِي قضيباً أثمر البدر مايساً
وما كنتَ إلا البدر وافي غمامة
وما ذاك من هجر ولكن لشقوة
فياليتني أصبحتُ في الشعر لَفْظَة
ولله ما أذكى نَسِيمك نَفْحَة
ولله ما أَشْفَى لِفَاكَ للجوى
وما الرّاح بالماء القسراح مشوبة
فمالي وللأيام قد كان شملنا
وما جَنَيْتُ الطّيب من شَهِد وَضَلّها
وقد ذُقت طعم البَيْن حتى كَأَنَّنِي
فمن لفؤاد شطره حازه الهوى
ويا ليت أن الدّار حان مزارها
ولو صح قرب الدار لي لجعلته إلى
فقد طال ما ناديت سِرّاً وجَهرة
ومن شعره :

فكم أوزقَ منهم قد بات مُعْجَما
ويا بُعْدَ حالي في الصّباية منهما
جَمِيعٌ كما أبصرتُ عِقْدا مُنْظَما
نسألك رَسْمًا بالعَقِيق ومَعْلَما
كما كان عَرَفَ المِسْكِ بالمِسْكِ عَلَما
بحقِّ هواها إن لم تُلِمَّ مُسْلَما
فضول رداء قد تَغَشَّته مُعلَما
بحَقِّف مَسِيل لَفِّ السَّيْلِ مُظْلَما
فملاح حتى غاب فيها مُغَيِّما
أَبَتْ أن يكون الوصل منها مُتَمِّما
تردّدني مهمما أردت تَفْهَما
أأنتِ أَعَرْتَ للرّوضِ طيباً تَنسِما
كأنّك قد أصبحت عيسى بن مَرْيَمَ
بأَطْيَبَ من ذِكراك إن خَامَرَتْ فَمَا
جَمِيعاً فَأَضْحَى في يَدَيْهَا مُقَسِّما
جَنَيْتُ من التّبديد للوصل عُلُقَما
لأُلْفَة من أهواء ما ذُقت مَطْعَما
وشَطْرٌ لإِحراز الثّواب مُسْلَما
فلو صحَّ قُربُ الدّار أدركت مَغْنَمَما
مُرْتَقى السُّلوان والصبر سُلَما
عسى وطن يَدُنو بهم ولَعَلَّما ؟

سلامٌ على من شَفَّنِي بعدُدُ داره
ومن هو في عَيْنِي أَلَدُّ من الكَرَى
سلام عليه كلما ذرَّ شارق
لَعَمْرُكَ ما أَخْشَى غداةً وداعنا
وسال على الخَدَّينِ دمعٌ كأنه
وعانقتُ منه غُضْنَ بَانٍ منَعَمًا
وأصبحتُ في أرضٍ وقلبي بغيرها
نأى وجهٌ من أهوى فأظلم أفقه
سَلِ البرق عن شَوْقِي يُخْبِرُكَ بالذى
وهل هو إلا نارٌ وَجَدَى وكلما
ومن شعره أيضا رحمة الله عليه :

أَقْرَأُ على شِنْجِلٍ^(٢) سلاما
من مُغْرَم القلب ليس ينسى
إذا رأى مَنْظَرًا سواه
وإن أتى مَشْرِبًا حميدا
وقَفَ بِنَجْدٍ وقوف صَبٍّ
وأندب أراكا بشُعب رَضْوَى
وأذكر شبابًا مضى سريعا

أَطِيبٌ من عَرَفَه نَسِما
مَنْظَرُه الرايق الوَسِما
عاف الجَنَنِ منه والشِّمِما
كان وإن راقه ذَمِما
يستذكر الخِـمْدَنَ والحَمِما
قد رَجَعْتَ بعدنا مَشِـمِما
أصبحتُ من بعده سقيما

(١) هذا الشعر المحصور بين الحاصرتين وارد في الاسكوريال وسائط في الرهـوفة .
(٢) شنجل يقصد بها هنا نهر شنيل ، وهو فرع الوادى الكبير الذى تقع عليه غرناطة ،
ويعرف عند الأندلسيين أيضا بنهر سنجيل أو شنجيل محرفا عن اسمه اللاتينى Singilis . وقد سبق
التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ١٦٨)

هيهات وَلَّى وجاء شَيْبٌ وكيف للقلب أن يَهِيما
 ما يُصلح الشَّيب غير تقوى تَحْجُبُ عن وجهه الجَمِيما
 في كل يوم له ارتِحال أعْجِبْ به ظاعناً مقيما
 ما العُمُر إلَّا لَدَيْهِ دَيْنٌ قد آن أن يقضى الغريما
 فعُدْ إلى تسوية نَصوح وارج إلهاً بنا رَحِيما
 قد سبق الوعد منه حتى أطمعَ ذا الشَّقْوة النُّعيما

مولده في سنة أربع وعشرين وخمسمائة

« وفاته » : عصر يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة . وشهد دفنه بباب البيرة الجم الغفير ، وازدحم الناس على نعشه حتى حملوه على أكفِّهم ومزَّقوه . وأمر أن يَكُتَبَ على قبره :
 عليك سلام الله يا من يُسَلِّم ورحمته ما زُرْتَنِي تترحَّم
 أتَحَسَّبُنِي وحدى نُقِلْتُ إلى هنا سَتَلْحَقْ بِي عما قريب فتَعْلَم
 فيا لمن يُمَسِّي لدنياه مؤثرا ويُهْمِلُ أخراه سَتَشْقَى وتَنْدَم
 فلا تَفْرَحَنَّ إلَّا بتقديم طاعة فذاك الذى يُنْجى غدا ويُسَلِّم

ومن غير الأصليين

عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى بن باسيو بن تاذررت

الثمالي اليدرازي بنى ثم الواغديني

أصله من تينملل^(١) من نظر مراكش ، وانتقل جدُّه عبد الملك مع

(١) تينملل بلدة من بلاد السوس بالمغرب الأقصى ، تقع فوق سفح جبال الأطلس جنوب غربي مراكش . وقد اتخذها المهدي ابن تومرت في أواخر حياته مركزا لدعوته ورياسته ، وأقام بها مسجده الذى ما زال باقيا إلى اليوم ، ثم دفن فيه عقب وفاته .

الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى إقليم بجاية . ونشأ عبد الملك ببجاية ، وانتقل إلى تونس في حدود خمسة وثمانين . وورد أبو محمد الأندلس في حدود سبعمئة .

حاله

من تعريف شيخنا أبي البركات : كان من أهل المعرفة ، بالفقه وأصوله ، على طريقة المتأخرين . وكان مع ذلك رجلاً كريم النفس . صادق اللهجة ، سليم الصدر ، مُنصفاً في المذاكرة . قلتُ يجمع هذا الرجل إلى ما وصفه به ، الأصالة ببلده إفريقية . وثبت اسمه في « عايد الصلة » بما نصه : الشيخ الأستاذ القاضي ، يكنى أبا محمد . كان رحمه الله من أهل العلم بالفقه ، والقيام على الأصولين ، صحيح الباطن ، سليم الصدر ، من أهل الدين والعدالة والأصالة . بثَّ في الأندلس علم أصول الفقه ، وانتفع [به] ^(١) . وتصرف في القضاء في جهات .

مشيخته

منقولاً من خطِّ ولده الفقيه أبي عبد الله صاحبنا ، الكاتب بالدار السلطانية . قرأ ببلده على الفقيه الصدر أبي علي بن عنوان ، والشيخ أبي الطاهر بن سرور . والإمام أبي علي ناصر الدين المِشدالي ، والشيخ أبي الشَّمل جماعة الحلبي ، والشيخ أبي الحجاج بن قسوم وغيرهم . [ومن خط المحدث أبي بكر بن الزيات ، يحمل عن أبي الطاهر بن سرور ، وعن أبي إسحق بن عبد الرقيق] ^(٢) .

(١) أضفنا . الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في نهاية الفقرة الخاصة « بتوايفه » ولكننا رأينا أنها أولى

بأن توضع مع « المشيخة » .

تواليافه

من تواليافه : « المعاني المُبتكرة الفكرية في ترتيب المعالم الفقهية » ،
« والإيجاز في دلالة المجاز » ، ونُصرة الحق ، وردّ الباغي في مسألة الصدقة
ببعض الأضحية ، والكُرّاس المرسوم « بالمباحث البدعية في مقتضى الامر
من الشريعة » .

مولده

ببجاية في أحد لجمادى الأولى من عام ثلاثة وستين وسمائة .
وتوفى قاضيا بشالش^(١) يوم الجمعة ، و الرابع عشر لجمادى
الأولى من عام ثلاثة وعشرين وسبعماية . ودفن ببجاية باب البيرة
بمقربة من قبر ولي الله أبي عبد الله التونسي . وكانت جنازته مشهورة^(٢) .

ومن المقررين والعلماء

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هرون بن جلهمة^(٣) بن

العباس بن مرداس السلمي

أصله من قرية قورت ، وقيل حصن واط من خارج غرناطة ، وبها
نشأ وقرأ .

حاله

قال ابن عبد البر . كان جماعا للعلم ، كثير الكتب ، طويل اللسان ،

(١) لم نجد في القرى الغرناطية الماصرة ، أية بلدة يتفق إسمها أو يقترب من اسم هذه البلدة
والظاهر أنها من الأماكن التي دثرت .

(٢) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في الزيتونة .

(٣) كذا في الإسكوريال والزيتونة ، وفي ترتيب المدارك (الرباط ج ٤ ص ١٢٢) .

فقيها ، نحويا ، عَرُوضيا ، شاعرا . نَسابة ، إخبارياً . وكان أكثر من
يختلف إليه ، الملوك وأبناؤهم . قال ابن مخلوف ، كان يأتى إلى معالى
الأُمور . وقال غيره ، رأيته يخرج من الجامع ، وخلفه نحو من ثلاثمائة ،
بين طالب حديث ، وفرايض ، وفقه ، وإعراب ، وقد رتَّب الدُّول
عليه : كل يوم ثلاثين دولة ، لا يُقرأ عليه فيها شيء الا تواليفه ،
وموطَّأ مالك . وكان يلبس الخَزَّ والسَّعيد^(١) . قال ابن نمير ، وإعما كان
يفعله إجلالا للعلم ، وتوقيرا له . وكان يلبس إلى جسمه ثوب
شعر ، وكان صَوَّاما قَوَّاما . وقال المغاسى . لو رأيته ما كان على
باب ابن حبيب ، لازدريتَ غيره . وزعم الزبيدي ، أنه نعى إلى سُحنون^(٢)
فاسترجع ، وقال مات عالم الأندلس . قال ابن الفَرَضى ، جمع إلى إمامته
فى الفقه ، التبجُّح فى الأدب ، والتفنُّن فى ضروب العلوم ، وكان فقيها
مُفتيا . قال ابن خَلَف أبو القاسم الغافقى ، كان له أرضٌ وزبتون بقرية
بيرة من طوق غرناطة ، حبَّس جميع ذلك على مسجد قرطبة . وله ببيرة
مسجد ينسب إليه . وكان يهبط من قرية قورت يوم الإثنين والخميس
إلى مسجده ببيرة ، فيُقرأ عليه ، وينصرف إلى قريته .

مشيخته

روى عن صَعَصعة بن سلام ، والغازى بن قيس ، وزباد بن عبد
الرحمن . ورحل إلى المشرق سنة ثمان ومائتين . وهو ابن ثلاث وثلاثين

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (المعبرى) .

(٢) سحنون بن سعيد من أعظم أقطاب الفقه المالكى ، وازدهرت مدرسته لفقهه بالقبر واند

فى أوائل القرن الثالث ، وتوفى بهامنة ٢٤٠ هـ .

سنة ، وكانت رحلته من قريته بنحوص غرناطة^(١) . وسمع فيها من عبد الملك بن الماجشون ، ومطرف بن عبد الله ، وأصبغ بن الفرج ، وابنه موسى ، وجماعة سواهم ، وأقام في رحلته ثلاثة أعوام وشهورا . وعاد إلى البيرة ، إلى أن رحله عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة ، في رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين .

« من روى عنه » : سمع منه إبنه محمد وعبد الله ، وسعيد بن نمر ، وأحمد بن راشد ، وإبراهيم بن خالد ، وإبراهيم بن شعيب ، ومحمد بن قُطيس . وروى عنه من عظماء القرطبيين ، مطرف بن عيسى ، وبقي بن مخلد ، ومحمد بن وضاح ، والمقامي في جماعة .

تواليافه

قال أبو الفضل عياض بن موسى ، في كتابه في أصحاب مالك^(٢) قال بعضهم ، قلت لعبد الملك بن حبيب . كم كُتِبَ التي ألفت ، قال أَلَفْتُ كتاب وخمسون كتابا . قال عبد الأعلى ، منها كتب المواعظ سبعة ، وكتب الفضائل سبعة ، وكتب أجواد قريش وأخبارها وأنسابها خمسة عشر كتابا ، وكتب السلطان وسيرة الإمام ثمانية كتب ، وكتب الباه والنساء ثمانية ، وغير ذلك . ومن كتب سمعته في الحديث والفقه ، وتواليافه في الطب ، وتفسير القرآن . ستون كتابا . وكتاب المغازي ، والناسخ والمنسوخ ، ورغائب القرآن ، وكتاب الرهون والحديثان^(٣) . خمسة وتسعون كتابا . وكتاب مقام رسول الله صلى عليه وسلم ، اثنان وعشرون

(١) فحس غرناطة La Vega de Granada ، هو البسيط الأخضر الواقع جنوب

شرق غرناطة . وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٩) .

(٢) هو كتاب « ترتيب المدارك » وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك .

(٣) وردت في الإسكوريال (المغازي) مرة أخرى ، والتصويب من الزيتونة .

كتابا ، وكتاب فى النسب ، وفى النجوم ، وكتاب الجامع ، وهى كتب فيها مناسك النبى ، وكتاب الرغائب ، وكتاب الورع فى المال ، وكتاب الربا . وكتاب الحُكم والعُدل بالجوارح . ومن المشهورات الكتاب المسمى بالواضحة . ومن تواليفه كتاب إعراب القرآن ، وكتاب الحسبة فى الأمراض ، وكتاب الفرائض ، وكتاب السخاء واضطناع المعروف ، وكتاب كراهية الغناء .

شعره

أنشد ابن الفرضى مما كتب بها إلى أهله من المشرق سنة عشر ومايتين :
أحبُّ بلاد الغرب والغرب موطنى ألا كلُّ غربى إلى حبيب
فبا جَسَدًا أضناه شوقُ كائنَه إذا انتُفِيت عنه الثياب قَضِيب
ويا كبدًا عادت زمانا^(١) كأنما يلدغُها بالكاويات طبيب
بليت وأبلانى اغترابى ونأيسه وطولُ مُقامى بالحجـمـاز أجوب
وأهلى بأقصى مغرب الشمس دارهم ومن دونهم بحرٌ أجشُّ مهيب
وهــول كـريه ليلـه كنهـاره وسيرٌ حثيث للركاب دؤوب
فما الداء إلا أن تكون بمُسرِّبةٍ وحسبك داءٌ أن يُقـمـال غريب
فيا ليت شعرى هل أبـيتنَّ ليلـةً بأكناف نهر الثلج حين يصوب
وحولى أصحابي^(٢) وبنـتى وأمها ومـعشرُ أهلى والرؤوف مُجيب
وكتب إلى الأمير عبد الرحمن فى ليلة عاشوراء :

(١) وردت فى الإسكوريال (أزمانا) والتصويب من المدارك (ج ٤ ص ١٣٩) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (وأصحابي) ، والتصويب من المدارك .

لا تَنَسِ لا يُنْسِكِ الرحمن عاشوراء واذكره لازلت في الأحياء مذكورا
قال الرسول صلاة الله تَشْمَلُهُ قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليل عاشوراء ذا سَعَةِ يَكُنْ بِعَيْشِهِ فِي الْحَوْلِ محبورا
فارغب فِدَيْتُكَ فيما فيه رَغَبْتَنَا خير الورى كُلُّهُمْ حَيًّا ومقبورا

وفاته

توفي في ذى الحجة سنة ثمانى وثلاثين . وقيل تسع وثلاثين ومايتين .
قال ابن خَلَف ، كان يقول في دعائه ، إن كنت يارب راضيا عني ،
فاقبضني إليك قبل انقضاء سنة ثمان وثلاثين ، فقبضه الله في أحب
الشهور إليه ، رمضان من عام ثمانية وثلاثين ، وهو ابن أربع وستين
سنة ، وصلى عليه ولده محمد ، ودفن بمقبرة أم سلمة بقبلى محراب
مسجد الضيافة من قرطبة . قالوا ، والخبر متصل ، إنه وُجِدَ جسده
وكفنه وافرین لم يتغيرا بعد وفاته ، بتسع وأربعين سنة ، وقُطِعَتْ من
كفنه قطعة ، رُفِعَتْ إلى الأمير عبد الله ، وذلك عندما دُفِنَ محمد بن
وضّاح إلى جنبه ، رحمهم الله . ورثاه أبو عبد الله الرشاش وغيره ، فقال :

لَشَنْ أَخَذَتْ مِنَّا الْمَنَايَا مُهَذَّبًا وقد قل^(١) فيها من يُقال المهذّب
لقد طاب فيه الموت والموت غِبْطَةً لمن هو مغموم الفؤاد مُعَذَّب

ولأحمد بن ساهى فيه :

ماذا تَضَمَّنَ قَبْرُ أَنْتَ ساكنه من التُّقَى والنَّدَى ياخير مفقود
عجبتُ للأرض في أن غَيَّبَتْكَ وقد ملأتها جُحَمًا في البيض والسود

(١) هكذا في الإسكوريال . وى الزيتونة (قين)

قلت^(١) . فلو لم يكن من المفاخر العرناطية إلا هـد الحنر نكني

ومن الطارئين عليها

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي الماتقي ، الشهير بالباهلي

حاله

كان رحمه الله بعيد المدى ، منقطع القرين في الدين المتين والصلاح . وسكون النفس ، ولين الجانب . والتواضع . وحسن الخلق . إلى وسامة الصورة . وملاحة الشئبة ، وطيب القراءة . مولى النعمة على الطلبة من أهل بلده . أستاذا حافلا ، متفنانا ، مضطلعا ، إماما في القراءات . حائزا خصل السباق إتقاناً ، وأداءً . ومعرفة ، ورواية ، وتحقيقاً . ماهرا في صناعة النحو ، فقيها ، أصولياً ، حسن التعليم ، مستمر القراءة ، فسيح التخليق ، نافعا . متحجبا ، مقسوم الأزمنة على العلم وأهله ، كثير الخشوع والخشوع ، قريب الدمعة . أقرأ عمره . وخطب بالمسجد الأعظم من مالقة وأخذ عنه الكثير من أهل الأندلس

مشيخته

قرأ على الأستاذ الإمام أبي جعفر بن الزبير . وكان من مفاخره . وعلى القاضي أبي علي بن أبي الأحوص . وعلى المقرئ الفريير أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن سالم بن خلف السهيلي . والراوية أبي الحاج ابن أبي ربحانة المربلي . وكتب له بالإجازة العامة . الراوية أبو الوليد العطار . والإمام أبو عبد الله بن سميون الطنسي . وسع على الراوية أبي عمر عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري . وقرأ على القاضي أبي القاسم . قاسم

(١) مكذا و أبركورد مال و الزيتونة (قال ابن الخطيب)

ابن أحمد بن حسن الجبجري الشهير بالسُّكُوت الملقب . وأخذ عن الشيخ الصالح أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم . ويحمل عن خاله ولي الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ رحمه الله .

«تأليفه» : شرح التيسير في القراءات . وله تأليف غيره في القرآن والفقه .

شعره

حدث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المنتشافري . قال ، رأيت في النوم أبا محمد الباقر أيام قراءتي عليه بمالقة في المسجد الجامع بها ، وهو قائم يذكر الناس ويعظمهم . فعلمت من قوله ، أنحسبونني غنياً فقيراً ، أنا فقير ، أنا . فاستيقظت وقصصتها عليه ، فاستغفر الله ، وقال ، يا بني حقاً ما رأيت . ثم رفع إلى ثاني يوم تعريفه ، رُقعة فيها مكتوب :
لئن ظن قوم من أهل الدنيا بأن لهم قسوة أو غنسا
لقد غلطوا وبُحُّهم بجمع ما لهم فتاهوا عقولا وعموا أعيننا
فلا تحسبوني أرى رأيهم . فإني ضعيف فقير أنا
وليس افتقاري وفقرى معاً إلى الخالق^(١) فما عند خلقي غنيا
ولكن إلى خالبي وحده وفي ذلك عزٌ ونيل الغنا
فمن ذلَّ للحق يرق العُلا ومن ذلَّ للخلق يذل الغنا

وفاته

ببلاده مالقة رضي الله عنه . ونفَع به . في خامس دي القعدة من عام خمسة وسبعماية . وكان الحفل في جنازته عظيماً . وحف الناس ريعشه ، وحمله الطلبة وأهل العلم على رؤوسهم . سكن غرناطة وأقرأ بها .

(١) مكته وردت في أريونه . يري بضم ياء (خلق) .

ومن الكتاب والشعراء في هذا الحرف
عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن
أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى

صاحبنا الكاتب للدولة الغادرة .

حاله

كان هذا الرجل في حال اللدعة التي استصحبها ، وقبل أن تبعته
أبدى الفضول ، بعفاف وطهارة ، إلى خصل خط ، نشط البنان ، جلد
على العمل . ونظمه وسط ، ونشره جمهورى^(١) عاى ، مبين عن
الأغراض . وولى ببلده الخطابة والقضاء . . .^(٢) في الحداثة . ثم
انتقل إلى غرناطة ، فجاءت به الكتابة السلطانية باختيارى ، مستظهرة
منه ببطل كفاية ، وبازل جمل كلفة ، فانتقل رئيسا في غرض إعانتى ،
وانتشالى من الكلفة ، على الضعف وإلمام المرض ، والترفع عن الابتدال ،
والأنفة من الاستخدام ، فرفع الكلل ، ولطف من الدولة محلله . ثم لما
حال الأمر ، وحتم التميميص ، وتُسورت القلعة ، وانتشر التظم ، واستأثر
به الاضطناع ، كشفت الخبرة منه عن سوعة لا تُوارى ، وعورة لا يُرتاب
في أشنوعتها ولا يُتمارى ، فسبحان من علّم النفس فجورها وتقواها ،
إذ لصق بالذليل الفاسق . فكان آلة انتقامه ، وجارحة صيده ، وأحبولة

(١) وردت في الإسكوريال (جهوزى) ، والتصويب أرجح

(٢) بياض بالإسكوريال .

كَيْدِهِ ، فَسَقَكَ الدِّمَا ، وَهَتَكَ الْأَسْتَار ، وَمَزَّقَ الْأَسْبَاب ، وَبَدَّلَ الْأَرْض
غَيْرَ الْأَرْض ، وَهُوَ يَزُقُّهُ فِي أُذُنِهِ ، فَيُؤْمِ النَّصِيحَةَ ، وَيَنْحُلُهُ لِقَبِ الْهَدَايَةِ ،
وَيَبْلُغُ فِي شِدِّ أَرْزِهِ إِلَى الْغَايَةِ : « عُنْوَانُ عَقْلِ الْفَتَى اخْتِيَارُهُ . يَجْرَى فِي
جَمِيلِ دَعْوَتِهِ » . طَوَالاً ، أُخْرِقَ ، بُسِيءُ السَّمْعِ ، وَيَنْسَى الْإِجَابَةَ ،
بِدَوِيّاً ، قُحّاً ، جَهَوَرِيّاً ، ذَاهِلاً عَنْ عَوَاقِبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : طِرْفُفٌ فِي سُوءِ
الْعَهْدِ ، وَقَلَّةُ الْوَفَا ، مَرْدُودٌ فِي الْحَافِزَةِ . مُنْسَلَخٌ مِنْ آيَةِ السَّعَادَةِ ، تَشْهَدُ
عَلَيْهِ بِالْحَمْلِ يَدُهُ . وَيَقِيمُ عَلَيْهِ الْحُجُجَ شَرُّهُ ، وَتَبُوهُ هَفَوَاتِ النَّدَمِ
جَهَالَتِهِ . ثُمَّ أَسْلَمَ الْمَحْرُومَ مُضْطَّنَّعَهُ ، أَحْوَجُ مَا كَانَ إِلَيْهِ ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ ،
وَلَحِقَتْهُ بَعْدَهُ مُطَالِبَةٌ مَالِيَّةٌ . لَقِيَ لِأَجْلِهَا ضَغْطاً . وَهُوَ الْآنَ بِحَالِ خِزْيٍ ،
وَاجْتِقَابِ تَبِعَاتٍ ، خَلَصْنَا اللَّهَ مِنْ وَرَطَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

أُولَيْتُهُ وَشِيُوخُهُ

وَبَسْطُ كَثِيرٍ مِنْ مُجْمَلِ حَالِهِ حَسْبَمَا نَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ .

قَالَ يَخَاطِبُنِي بِمَا نَصَحَ :

يَا سَيِّدًا فَاقَ فِي مَجْدٍ وَفِي شَرَفٍ	وَفَاتِ سَبَقًا بِفَضْلِ الذَّاتِ وَالسَّلَفِ
وَفَاضِلًا عَنْ سَبِيلِ النَّدَمِ مُنْحَرَفًا	وَعَنْ سَبِيلِ الْمَعَالَى غَيْرَ مُنْحَرَفٍ
وَتَحْفَظَةَ الزَّمَنِ الْآتِي . فَلَقَدْ	أَرَبَيْتَ بِمَا حَازَهُ مِنْهَا عَلَى التُّحْفِ
وَمَعْدَنًا لِنَفِيسِ الثَّرِّ فَهُوَ لِمَا	حَوَاهُ مِنْهُ لَدَى التَّشْبِيهِ كَالصِّدْفِ
وَبَحْرٍ بَعْلَمَ جَمِيعِ النَّاسِ مُغْتَرَفٌ	مِنْهُ وَنَيْلَ الْمَعَالَى حِظٌّ مُغْتَرَفٍ
وَسَابِقًا بَدَأَ أَهْلَ الْعَصْرِ قَاطِبَةً	فَالْكُلُّ فِي ذَاكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُخْتَلَفِ
مَنْ ذَا يُخَالِفُ فِي نَارٍ عَلَى عِلْمِ	أَوْ يَجْهَدُ الشَّمْسَ نُورًا وَهُوَ غَيْرُ خَفِ
مَا أَنْتَ إِلَّا وَحِيدُ الْعَصْرِ فِي شَرِيمِ	وَفِي ذِكَاؤِهِ وَفِي عِلْمِ وَفِي ظَرْفِ
لِلَّهِ مِنْ مُنْتَمٍ لِلْمَجْدِ مُنْتَسِبِ	بِالْفَضْلِ مُتَمِّمٍ بِالْعِلْمِ مُتَّصِفِ

لله من حَسَبِ غَدٍّ ومن كسرم
 أيهِ أيا من به تَبَيَّنَ الوزارة إذ
 يا صاحب القلم الأعلى الذي جُمعت
 يا من يَقْصُرُ وَخَفَى في عَلاه ولو
 شَرَفْتَنِي عندما اسْتَدْعَيْتَ من قِبَلِي
 وربنا راقِ ثَغْرَ في مَباسمه حتى
 أَجَلٌ قَدْرَكَ أن تَرْضَى لِمُنْتَجِع
 هذا ولو أَنَّى فيمَا أَتَيْتُ به
 لكنني أَفْضَى إلى التَّقْصِيرِ من خجل
 فَحَسْبِيَ العَجْزُ عما قد أَشَرْتُ به
 لكن أَجَبْتُ إلى المطلوب مُمْتَثِلًا
 فانظر إليها بعين الصَّفْحِ عن زَالٍ
 بَقِيَتْ لِلدَّهْرِ تَطْوِيهِ وَتَنْشُرِهِ

جيتك ، أعزك الله ، ببضاعة مُرْجَاة ، وأَعْلَقْتُ رَجَايَ من قبولك
 بِأُمْنِيَّةٍ مُرْتَجَاةٍ ، وما مثلك يُعَامَلُ بِسَقْطِ المتاع ، ولا يُرْضَى له بالحَشَفِ
 مع بَخْسِ المدِّ والصَّاع . لكن فضلك يُغْضَى عن التَّقْصِيرِ ويسمح ، وَيَتَجَاوَزُ
 عن الخطأ وَيُصْفَحُ ، وَأَنْتَ في كل حال إلى الأَدْنَى من الله أَجْنَحُ . ولولا
 أَنَّ إشارَتَكَ واجبة الامتثال ، والمُسَارعة إليها مُقَدِّمة على سائر الأعمال ،
 لما أَتَيْتُ بها تَعَمُّشِي على اسْتِحْيَاءٍ . ولا عَرَّضْتُ نَفْسِي أَنْ أَقِفَ مَوْقِفَ
 حِشْمَةٍ وحياءٍ . فما مَثَلِي فيمَا أَغْرَضَهُ عَلَيْكَ ، أو أَقَدَّمَهُ من هذا الْهَذَرِ بين
 يديك ، إلا مَثَلُ من أَهْدَى الْخَرَزَ لِحَالِبِ الدُّرِّ ، أو عَارِضَ اللَّوْشَلِ موج
 البحر ، أو كَاثَرَ بِالْحَصَى عَدَدَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ . على أَنِّي لو نَظَّمْتُ الشُّعْرَى

شِعْراً ، وَجِيتُكَ بِالسَّحَرِ الْحَلَالِ نِظْماً وَنَشْراً ، وَنَافَحْتُكَ بِمِثْلِ تِلْكَ الرُّوضَةِ
الْأَدَبِيَّةِ ، الَّتِي تَعْبَقُ أَزَاهِرُهَا نَشْراً . لَمَّا وَصَفْتُكَ بِبَعْضِ الْبَعْضِ مِنْ نَفَائِسِ
خُلَاكَ ، وَلَا وَفَّيْتُ مَا يَجِبُ مِنْ نَشْرِ مَآثِرِ عُلَاكَ . فَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي تِلْكَ
الْمَآثِرِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَالذَّاتِ الْمَوْسُومَةِ بِاسْمِ التَّعْرِيفِ وَالْعِلْمِيَّةِ ، أَوْ أَعْبُرَ عَنْهُ
فِي وَصْفِ تِلْكَ الْمَحَاسِنِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَالْمَفَاخِرِ الْحَسَبِيَّةِ . إِنْ وَصَفْتُ مَالِكَ مِنْ
شَرَفِ الذَّاتِ ، مِلْتُ إِلَى الْإِخْتِصَارِ ، وَقَلْتُ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ . وَإِنْ ذَهَبْتُ
إِلَى ذِكْرِ مَفَاخِرِكَ الْبَاهِرَةِ الْآيَاتِ ، بَلَغْتُ فِي مَدَى الْفَخْرِ وَالْحَسَبِ إِلَى أَبْعَدِ
الْغَايَاتِ ، وَإِنْ حَلَّيْتُكَ بِبَعْضِ الْخُلَا وَالصِّفَاتِ ، سَلَبْتُ مَحَاسِنَ الرُّوضِ
الْأَرِيحِ النَّفَّاحَاتِ . فَكَمْ لَكَ مِنَ التَّصَانِيفِ الرَّايِقَةِ ، وَالبِدَائِعِ الْفَائِقَةِ ،
وَالْآدَابِ الْبَارِعَةِ ، وَالْمَحَاسِنِ الْجَامِعَةِ . فَمَا شِيتَ مِنْ حُدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ ،
كَأَنَّمَا جَادَتْهَا سُحُبُ نَيْسَانَ ، وَجَنَّاتُ ثَمَرَاتِهَا صِنُونُ وَغَيْرُ صِنُونِ ،
تُزْرَى بِبِدَايِعِ بَدِيعِ الزَّمَانِ ، وَتُخْجَلُ الرُّوضُ كَمَا يُخْجَلُ الْوَرْدُ ابْتِسَامِ
الْأُقْحَوَانِ . نَظَّمُ كَمَا انْتَشَرَ الدُّرُ ، وَنَشْرُ تَتَمَنَّى الْجُوزَاءِ ، أَنْ تَتَقَلَّدَهُ
وَالْأُنْجَمُ الزُّهْرُ ، وَمَعَانٍ أَرْقُ مِنْ نَسِيمِ الْأَسْحَارِ ، نَهَبُ عَلَى صَفْحَاتِ الْأَزْهَارِ .
فَاهْلاً بِكَ يَا رَوْضَةَ الْآدَابِ ، وَرَبَّ الْبَلَاغَةِ ، الَّتِي شَمْسُ آيَاتِهَا لَا تَتَوَارَى
بِالْحِجَابِ ، فَمَا أَنْتَ إِلَّا حَسَنَةُ الزَّمَانِ ، وَمَالِكُ أَرِمَّةِ الْبَيَانِ ، وَسَبَّاقُ
غَايَاتِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ . وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فِي إِوْصَافِكَ ،
وَمَا فِي تَحْلِيلِكَ بِالْفَضَائِلِ وَاتِّصَافِكَ . لَكُنِّي رَأَيْتُ أُنَى لَوْ مَدَدْتُ فِي ذَلِكَ
بَاعَ الْإِطْنَابِ ، وَأَتَيْتُ فِيهِ بِالْعَجَبِ الْعَجَابِ ، فَلَيْسَ لِي إِلَّا تَقْصِيرٌ عَنِ الْمُطَاوَلَةِ
وَالْمَسَاكِ ، وَالْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكِ . إِلَيْهِ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَعْلَى ، وَالْفَاضِلُ
الَّذِي لَهُ فِي قِدَاحِ الْفَخْرِ ، الْقِدْحُ الْمُعْلَى ، فَإِنَّكَ أَمَرْتُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ
لَتَعْرِيفِ بِنَفْسِي وَمَوْلَدِي ، وَذَكَرِ أَشْيَاخِي الَّذِينَ بِأَنْوَارِهِمْ أَقْتَدَى ،

فعلمتُ أن هذا إنما هو تهمُّ منك بشأني ، وجَرَّيْ على مُعتاد الفضل الذي يَقْصُرُ عنه لساني . وفضل جميل لا أزال أَجْرِي في الثناء عليه مِلَّ عِنَانِي . وإلاَّ فمن أنا في الناس حتى أُنسَبَ . أو من يذهب إلاَّ أنت هذا المذهب .

اما التعريف بنفسى ، فأبدأ فيه باسم أبى . هو أبو القاسم محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب ابن عطية المحاربى . وجدى عطية هو الدّاخل إلى الأندلس عام الفتح ، نزل باللبيرة ، وبها تفرَّع من تفرَّع من عَقِبِهِ . إلى أن انتقلوا إلى غرناطة ، فتأثَّل بها حالهم . واستمر بها استيطانهم ، إلى حدود المائة السابعة ، فتسبَّب في الانتقال من بقى منهم : وهو جدِّى الأقرب الأنساب ، وقضى ارتحاله إلى مدينة وادى آش ، ولكل أجل كتاب . وذلك أنه استقضى بنظر ما في دولة أمير المسلمين الغالب بالله ، أول ملوك هذه الدولة النصرية ، نصر الله خلفها ، ورحم سلفها . فاتخذ فيها صِهراً ونسباً ، وكان ذلك لاستيطانه بها سبباً ، واستمر مُقامه بها إلى أن ارتحل إلى المشرق لأداء الفريضة ، فكان إلى أشرف الحالات مُرتَحله ، وقضى في إيباه من الحج أمله . واستمرت به الاستيطان . وتعدَّرت بعوده إلى غرناطة بعدما نَبَتْ فيها الأوطان . على أنه لم يَعْدَم من الله السَّتر الجميل . ولاحظُ من عنايته بإيصال النِّعمة كَفِيل . فإنه سبحانه حَفِظَ مَنْ سَلَفَ فيمن خَلَفَ ، وجعلهم في حال الاغتراب . فيمن اشتهر بنباهة الحال واتَّصف ، وقَبِضَ لمصاهرتهم من خيار المجد والشرف . وبذلك حَفِظَ الله بيتهم ، وشكَّل باتصال النِّعمة حِيَّهم ومَيَّتَهم . فالحمد لله ، بجميع محاميده . على جميل عوايده . وتخلَّف بوادى آش أبى وأعمامى . تغمدهم الله وإيائى برحمته ، وجمع شملنا في جَنَّتِهِ .

وأما التعريف بهم ، فأنذت أبقاك الله ، بمن سَدَف قديما منهم أعلم ،
وسبيلك في معرفتهم أجدى وأقوم . بما وهبكم الله من عوارف المعارف ،
وجعل لكم من الإحاطة بالتالد منها والطَّارف . وأما مَنْ لم يقع به تعريف ،
ممن بَعْدَهُمْ . فمن اقتنى رَسْمَهُمْ في الطريقة العلمية ، ولم يتجاوز جدهم
وهو جدِّي أبو بكر عبد الله بن طلحة ورابع أجدادی . كان رحمه الله
من جرى على سُنَنِ آبائه ، وقام بالعلم أحسن قيام ، ونهض بأعْيابه .
ألَّف كتابا في « الرقاق » ، ففات في شأنه سَبَقُ السابق ، وتصدَّر ببلده
للفُتْيَا ، وانتفع به الناس ، وكان شيخهم المُقَدِّم . ولم أَقِف على تاريخ
مولده ولا وفاته ، غير أنه توفي في حدود المائة الخامسة رحمه الله ،
وأما مَنْ بيني وبينه من الآباء ، كجدِّي الأقرب وأبيه ومن خلفه من بنيه .
فما منهم من بلغ رُتْبَةَ السَّابِق ، ولا قَصُر أيضا عن درجة اللاحق ، وإنما
أخذ في الطلب بنَصِيب ، ورمى فيه بَسْمَهُمْ مُصِيب .

وأما مولدى فبوادى آتش في أواخر عام تسعة وسبع مائة . وفي عام
ثلاثة وعشرين ، ابتدأت القراءة على الأستاذ أبي عبد الله الطُّرْسُوني وغيره
ممن يأتى ذكره . ثم كتبت بعد ستة أعوام على من وليها من القضاة أولى
العدالة والسَّير المرتضاة ، ولم يطل العهد حتى تقدَّمت في جامعها الأعظم
خطيبا وإماما ، وارتسمت في هذه الخُطَّة التي مازالت على من أحسن
تماما ، وذلك في أواخر عام ثمانية وثلاثين . ثم وُلِّيت القضاء بها ،
وبما يرجع إليها من النَّظر ، في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وأربعين ،
واستمرَّت الولاية إلى حين انتقالى للحضرة ، آخر رجب من عام ستة
وخمسين ، أسأل الله الإقالة والصَّفح عما اقترفت من خطأ أو زَلَل ،
أو ارتكبته من عَمْد وسَهْو ، في قول أو عمل بمنَّه .

وأما أشياخي ، فإني قرأت بالحضرة على الأستاذ الخطيب أبي الحسن
القيجاطي ، والأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزى . وبالملة على الأستاذ
القاضي أبي عمرو بن منظور . وبالمريّة على الأستاذ القاضي أبي الحسن بن
أبي العيش ، وسيدى القاضي أبي البركات بن الحاج ، والأستاذ أبي
عثمن بن ليون ، وبوادي آش على الأستاذ القاضي أبي عبد الله بن غالب ،
والأستاذ أبي عامر بن عبد العظيم . كل هؤلاء قرأت قراءة تفقه ، وعَرَضْتُ
على أكثرهم جملة كتب في النحو والفقه والأدب ، أكبرها كتاب المقامات
للحريري . وأما من لقيته من المشايخ واستفدت ، منهم أبو الحسن بن
الجيّاب بالحضرة ، وبالملة القاضي أبو عبد الله بن بكر ، والقاضي أبو
عبد الله بن عيَّاش ، والأستاذ أبو عبد الله بن حفيد الأمين . ومن لقيته
لقاء بترك ، سيدى أبو جعفر بن الزيات بهلّش ، وبالملة الخطيب أبو عبد الله
الساحلي ، والصوفي أبو الطاهر بن صفوان ، والمُقري أبو القاسم بن
درهم . وبالمريّة الخطيب أبو القاسم بن شُعب ، والخطيب ابن فرخون .
ولقيت أيضا القاضي أبا جعفر بن فرعون القرشي ، والقاضي الخطيب أبا
محمد بن الصايغ . ومن رأيته بوادي آش ، وأنا إذ ذاك في المكتب ،
وأخذت بحظّ من التبرك به ، سيدى أبو عبد الله الطنجالي نفع الله به .
والحمد لله رب العالمين .

شعره

من مطولاته قوله . ومن خطّه نقلت :

ألا أيها الليل البطيُّ الكواكب متى يَنجلى صبحُ بنيلِ المسارب
وحقّ متى أَرعى النجم - يوم مُراقبا فمن طالع منها على إثر غارب
أحدتُ نفسي أن أرى الركب سايرا وذنبى يُقَصِّيني بأَقصىِ المسارب

فلا فزتُ من نَيْلِ الأمانِ بطايلِ ولا قُمتُ من حقِ الحبيبِ بواجبِ
وكم حَدَّثَنِي النفسُ أَنْ أَبْلَغَ المُنَا وكم عَلَّلَتْنِي بِالْأَمَانِ الكَوَازِبِ
وما قَصُرَتْ بِي عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ معاهدِ أنسٍ من وِصالِ الكَوَاعِبِ
ولاحِبُ أوطانِ نَبَتْ بِي رُبُوعُهَا ولا ذِكْرُ خِلٍّ فِيهَا وصاحبِ
ولكن ذنوبُ أَثْقَلَتْنِي فِهَانَا مِنْ السَّوْجَدِ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِ
إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ شَوْقُ مُجَدِّدٍ فَيَا لَيْتَنِي يَمُتَ صَدْرُ الرِّكَايِبِ
وَأَعْمَلْتُ فِي تِلْكَ الْأَبَاطِحِ والرُّبَى سُرَاى مُجَدِّدًا بَيْنَ تِلْكَ السَّبَاسِبِ
وَقَضَيْتُ مِنْ لُثْمِ الْبَقِيعِ لُبَانَتِي وَجُبْتُ الْفَلَى مَا بَيْنَ مَاشٍ وَرَاكِبِ
وَرَوَيْتُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمٍ غُلَّتِي فَلِلَّهِ مَا أَشْهَاءُ يَوْمَئِذٍ لَشَارِبِ
حَبِيبِي شَفِيعِي مُنْتَهَى غَايَتِي الَّتِي أَرْجَى وَمَنْ يَرْجُوهُ لَيْسَ بِخَايِبِ
مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ وَالْحَاشِرُ الَّذِي بِأَحْمَدٍ حَازَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
رُؤُوفٌ رَحِيمٌ خَصَّهُ اللَّهُ بِاسْمِهِ وَأَعْظَمَ لَاحِجٍ فِي الثَّنَاءِ وَعَاقِبِ
رَسُولٌ كَرِيمٌ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ وَأَعْلَى لَهُ قَدْرًا رَفِيعَ الْجَوَانِبِ
وَشَرَفَهُ أَصْلًا وَفِرْعَاءً وَمَخْتِدًا يَزَاحِمُ آفَاقَ السُّهَى بِالْمَنَاسِكِ
سَرَاجُ الْهُدَى ذُو الْجَاهِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَا وَخَيْرُ الْوَرَى الْهَادِي الْكَرِيمِ الْمُنَاسِبِ
هُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَذُو الْحَسَبِ الْعَدْلُ الرَّفِيعِ الْمُنَاصِبِ
هُوَ الْأَمْدُ الْأَقْصَى هُوَ الْمُلْجَأُ الَّذِي يَنْسَالُ بِهِ مَرْغُوبُهُ كُلُّ رَاغِبِ
إِمَامُ النَّبِيِّينَ الْكَرَامِ وَإِنَّهُ لَكَا لُبْدُرٌ فِيهِمْ بَيْنَ تِلْكَ الْمَوَاقِبِ
بَشِيرٌ ^(١) نَذِيرٌ مَفْضُلٌ مَتَطَوَّلٌ سَرَاجٌ مَنِيرٌ بَدُّ نَوْرِ الْكَوَاكِبِ
شَرِيفٌ مُنِيفٌ بَاهِرُ الْفَضْلِ كَامِلٌ نَفِيسٌ الْمَعَالَى وَالْحُلَا وَالْمُنَاقِبِ
عَظِيمُ الْمَزَايَا مَالِهِ مِنْ تَمَائُلٍ كَرِيمُ السَّجَايَا مَالِهِ مِنْ مُنَاسِبِ

يلوذ به من بيسن آتٍ وذاهب
 نظيرٌ ووصف الله حجةً غالب
 إلى خير مجد من لؤى بن غالب
 بدور الدياجى أو بدور الركائب
 وآيات صدقٍ مالها من مُغالِب
 وماذاك عمّن حاد عنها بعابٍ
 ونور سنى لا تختفى للمُراقب
 وهل بعد نور الشمس نورٌ لِطالب
 له في مقام الرُّسل أعلى المراتب
 جلا نوره الأسنى دياجى الغياهب
 فلا غرو أن للفخر ضربةٌ لازب
 بنور شهابٍ نير الأفق ثاقب
 وإن نال من مولاه أسنى الرغائب
 وذكر الكرام الطاهرين الأطايب
 فسار على نهجٍ من الرشد لاجب
 بتخليد سلطان وحسن عواقب
 غرايب صُنع فوق كلِّ الغرايب
 بسُمر العوالى أو ببيض القواضب
 بما سوف يبقى ذكره في العجايب
 أراه بعين الرُّشد أسنى المطالب
 لموهبةً فانت جميعع المواهب

ملاذ منيع ملجأ عاصم لمن
 حلیم^(١) جميل الخلق والخلق ماله
 وناهيك من فرع نمته أصوله
 أولى الحسب العدّ الرفيع جنبه
 له معجزات مالها من مُعارض
 تهدى بهنّ الخلق شرقاً ومغرباً
 فدونهاها كالأنجم الزهر عدة
 فأحصاؤها مهما تُتبعَت مُعوز
 لقد شرف الله الوجود بمُرسل
 وشرف شهراً فيه مولده الذى
 فشهد ربيع في الشهور مقدّم
 فله منه ليلسةٌ قد تلالأت
 ليهنّ أمير المسلمين بها المنا
 على حين أحياها بذكر حبيبه
 وألف شملًا للمحبسين فيهم
 فسوف يُجازى عن كريم صنيعة
 وسوف يُريه الله في لهم دينه
 فيحمى حمى الإسلام عن يرومه
 ويعتز دين الله شرقاً ومغرباً
 إلآهى مالى بعد رحماك مطلب
 سوى زورة القبر الشريف وإنها

عليه سلام الله ملاح كوكب وما فارق الإطعمان حادى الركائب
وقال فى غرض المدح والتهنئة بعرض الجيش ، وتضمن ذلك وصف
حاله فى انتقاله إلى الحضرة :

يا قاطع البید يطوى السهل والجبالا
ينكى فى آفاق أرض لا يؤنسه
أوطبئة أذكرت عهد التواصل تحكى
أستغفر الله فى تلك اللحاظ فقد
أو هادل فوق غصن البان تحسبه
أو لامع البرق إذ تحكى إنارته
ماذا عسى أن تقضى من زمانك فى
وكم معالم أرض أو مجاهلها
إن كنت تأمل عزاً لا نظير له
فالعز مرسى بعيد لا ينال سوى
والدر فى صدف قلت نفاسته
فاربأ بنفسك عن أهل وعن وطن
وانس الديار التى منها نأى وطنى
وعد عن ذكر محبوب شغفت به
واقصد إلى الحضرة العليا وخطها
غرناطة لا عفا رسم بها أبداً
أفهى التى شرف الله الأنام بمسن
خليفة الله مولانسا وموئلنسا

ومُنْضِيا فى الفيا فى الخيل والإيلا
إلا تذكر عهد للحبيب خلا
اللحاظ التى عاهدت والمُقلا
أربى بها الحُسن عن ضرب المَها مثلا
صباً لفقد حبيب بان قد ثكلا
كفا خضيباً مشيراً بالسدى عدلا
قطع المَهامه ترَجو أن تنال علا
قطعتها لا تمل السرىث والعجلا
وتبتغى السؤل فيها شيت والأَملا
بعزم من شدَّ عزم البين وارتحلا
ولم بين فخره إلا إذا انتقلا
..... (١)

وعهد أنس به قلبُ المحب سلا
ولا تلم به مدحا ولا غزلا
رخلاً ولا تبغ عن أرجائها حولا
ولا سلا قلب من يبتغى بها بدلا
فى مقعد الملك من حمرائها نزلا
وخيسر من أمن الأرجاء والسبلا

قَدْ قَامَ فِينَا بِحَقِّ اللَّهِ إِذْ عَدَلَا
 بَهَرَتْ عَلَيْهِ كَالشَّمْسِ مَا حَلَّتِ الْحَمَلَا
 فِيهَا بَدَوْلَتِهِ إِذْ فَاقَتْ الدُّوَلَا
 وَكَانَ أَرْحَمَ مِنْ آوَى وَمِنْ كَفَلَا
 لَمْ يَخْشَ إِحْنَ اللَّيَالِي فَادْحَا جَلَلَا
 مَا قَدْ تَحَلَّلَا مِنْ نَفْيِيسٍ عَسَلَا
 وَالْجُودُ مِمَّا عَلَى أَوْصَافِهِ اشْتَمَلَا
 وَالْفَعْلُ أَجْمَلُ مِنْهُ كَلِمَا فَعَلَا
 مِنْ قَدْ رَجَاهُ وَلَا اسْتَجْدَى وَلَا سَأَلَا
 مِنْهُمْ بِأَبْلَغٍ مِنْهُمْ كَلِمَا سَأَلَا
 أَسْنَى الْعَطَا وَأَبْدُوا بَعْدَهُ الْخَجَلَا
 إِذْ حَكَّمُوا فِي الْأَعَادَى الْبَيْضِ وَالْأَمَلَا
 يَعْدِلُ بِأَحْسَنِهِمْ فِي سَنَةِ بَطَلَا
 أَيُّشِيهِ الْبَحْرُ فِي تَمْثِيلِهِ الْوَشَلَا
 رِيَائَتِهِ وَلِسَوَاءٍ الْفَخْرُ قَدْ حَمَلَا
 بَسِينِ يَدَيْكَ الْخَيْسِلَ وَالْخَوَلَا
 أَقَامَ مَبْنًى دَامَرَ الدَّيْسِنَ فَاغْتَدَلَا
 لِمَا اكْتَسَى مِنْكَ نَوْرَ الْحَقِّ مَكْتَسَلَا
 أَضْحَى عَلَيْهِ إِذَا مَا لَاحَ مُنْسَدَلَا
 قَدْ أَسْبَلَ اللَّهُ مِنْهَا النُّعْرَ فَاغْتَدَلَا
 فَمَنْ بَرَّاقِعَهَا قَدْ أُلْبِسَتْ حُسْنَلَا
 يَمْشُونَ مِنْ فَرْطِ زَهْوِ مِشْيَةِ الْخَيْلَا

محمد بن أبي الحجاج أفضل من
 من آل نصر أولى المسلك الذي
 هو الذي شرف الله البلاد ومن
 أقام عدلا ورفقا في رعيته
 فهو المجار به من لا مجير له
 إن المدائح طرا لا تنى أبدا ببعض
 بالحزم والفهم والإقدام شيمته
 إن قال أجمل في قول وأبدعه
 يؤلى الجميل ويعطى عز نائيه
 من سألني عن بني نصر فما أحد
 هم الذين إذا ما استمنحوا منحوا
 هم الألى مهدوا أرجاء أنسدلس
 فإن تسأل عنهم يوم الرهان فلم
 من ذا يجاريهم في كل مكرمة
 مولاي يا خير من للنصر قد رفعت
 لله عيني لما أبصرتك وقد أعددت
 وأنت في قبة يسمو بها عمدة
 والجيش يعشى عيون الخلق منظره
 لا غرو أن شعاع الشمس يشمل ما
 وراية النصر والتأييد خافضة
 والخيل قد كسيبت أثواب زينتها
 ترى الحماة عليها يوم عرضهم

فمن رُماةِ قِسيِّ العُربِ عُدَّتْهُنَّ
ومن كُماةِ شِدادِ البأسِ شَأْنُهُنَّ
بسعدك انتظمت تلك الجيوش لأن
وخلَّد الله مُلكاً أنت ناصبُ سره
لازلت تزداد بها نِعْمى مضاعفة
ومن ذلك قوله :

يا عاذلى فى الهوى أقصر عن العَدَلِ
فكيف أضغى إلى عَدَلِ العُدولِ وقد
تملكتك كما شئت بنظرتها
مُعبرة عن نفيس اللُرِّ فاضحة
من نور غُرَّتْها شمسُ تسروقِ سَيِّ
يا حبيداً عهدُنَا والشمْلُ مُنتظَم
أيامٍ أَعْيُنُ هذا الدهرِ نائمة
وخبيداً أَرْبُعُ قد ظالم ما نَظَّمْت
قضيتُ منها - أمانى النفسِ فى دَعَة
سَطى الغمامِ رُباهَا كُلُّ مُنْهَمِرٍ
وجادها من سماءِ الجُودِ صوبُ حياً
خليفة الله والمساخى بسيرته
محمد بن أبى الحجاج أفضل من
والباعثِ الجيشِ فى سَهْلٍ وفى جَبَلٍ
من آلِ نصرِ أُولى الفخرِ الذين لهم
•هما أَرَدتْ غَناءَ فى الأُمُورِ به

وعن حديثي مع المحبوب لا تسَلِ
تقلِّصِ القلبِ منى صايدِ المُقلِ
فتانة الطَّـسْرِفِ والألحاظِ تنهدلِ
بقدِّها الغضُّ الميَّـسِ اس فى الميَّـسِ
تحتلُّ منها محلُّ الشمسِ فى الحَمَلِ
بجانبِ الغُورِ فى آيَمانِنا الأولِ
عنا وأحداثُه منا على وجَّـسِ
عقدِ التَّواصلِ فى عيشِ بها خَصِلِ
من الزمانِ مُوفَى الأُنسِ والجَدَنِ
وكم سَطَّطَها دموعى كُلُّ مُنْهَمِلٍ
بالعارضِ الحَظِلِ ابنِ العارضِ الحَظِلِ
رَسَمِ الضُّلالِ ومُحيى واضحِ السُّبُلِ
سارت أحاديثُ عَليَّاه سُرَى المَثَلِ
حتى تُغصُّ نِواحي السَّهْلِ والجَبَلِ
مِزِيَّةُ أورثت من خاتَمِ الرِّسَلِ
شاهدت منه جميعَ الخَلْقِ فى رَجُلِ

لن يستظل بعليساه أخو أمل
ولا استجار به من لا مجير له
ينمي إلى معشر شاد الآله لهم
بملكهم قد تحلى الدهر فهو به
هم الألى نصروا أرجاء أندلس
هم الألى مهّدوا دين الهدى فسّت
من أمهم صايدى الآمال نال بهم
أو أمهم ضاحياً أضحى يُجرر من
إن الفضائل أضحت لاسمه تبعاً
مولاي خذها تروق السامعين لها
لكننى باعتبار عظم ملكك لم أجد
فإن خبرت كذاك الخلق أجمعهم
لازلت فخر ملوك الأرض كلهم
ودمت للدهر تطويسه وتنشره
ومن ذلك ما نظمه ليُنقش في بعض المباني التي أنشأها :

أنا مَصْنَعٌ قد فاق كل المصانع
فرسمى إذا حَقَّقْتَهُ واغترته
فقد جمع الله المحاسن كلها
ظلّ كما جُمِعَت كل الفضائل في الذي
وزير أمير المسلمين وحسبته
وذو القلم الأعلى الذى فِعلُهُ
ومُطالع آيات البيان لمُبصر
فما منزل زهى بمثل بسدائع
لكل المعاني جامع أى جامع
لدى فيا لله إبسداع صانع
بسكنائى قد وافاه أيمن طالع
مزيّة فخير ما لها من مدافع
لمس يؤمله مثل السيوف القواطع
كشمس الضحى حلّت بأسنى المطالع

وإنسان عَيْن الدهر قَرَّتْ لِنَابِهِ
هو ابن الخطيب السيد المُنْتَمِي
لقد كنت لولا عَطْفَة من خَنَانِهِ
فصيرتني مَغْسِنِي كَرِيمَا وَمَرْبَعَا
فها أنا روضُ يروق نَسِيمُهُ
وقد جَمَعْتُنَا نَسْبَة الطَّبِيعِ عِنْدَمَا
فَأَشْبَه إِزْهَارِي بِطِيب ثَنَائِهِ
فَلَا زِلْتُ مَعْمُوراً بِهِ فِي مَسْرَةِ
وَلَا زَالَ مِنْ قَدْ حَلَسْنِي أَوْ يَحُلُّنِي
وَدَامَ لِمَوْلَانَا الْمُؤَيَّدِ سَعْدُهُ

وفي التهنئة يا بلال من مرض :

الآن قد قامت الدنيا على قدم
والآن قد عادت الدنيا لبهجتها
والآن قد عمت البُشْرَى بِرَاحَتِهِ
لَا سِيْمَا عِنْدَ مِثْلِي مِمَّنْ اتَّضَحَتْ
فَكَيْفَ لِي وَأَيَادِي فَضْلِهِ مَلَكَتْ
وَصِيرَتْنِي فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي
وَأَحْسَبْتُ أَمَلِي الْأَقْصَى لَغَايَتِهِ
وَمَاذَا عَسَى أَنْ أَوْفَى مِنْ ثَنَائِي أَوْ
وَلَوْ مَلَكَتْ زِمَامَ الْفَضْلِ طَوَّعَ يَدِي
يُهْنِكُ بَشْرِي قَدْ اسْتَبَشَرْتُ مَذْ وَرَدْتُ بِهَا لِعَمْرِكَ وَهُوَ الْبَرْ فِي الضَّمِيمِ
وَمَذْ دَعَتْ هَذِهِ الْبَشْرَى بِتَهْنِيَةٍ فَنَحْنُ أَوْلَى وَمَحْضُ الْعَهْدِ وَالْكَرَمِ

لما استقلَّ رَئِيسُ السِّيفِ وَالْقَلَمِ
مَذْ أُنْسَتْ بُرْءُهُ مِنْ طَارِقِ الْأَلَمِ
فَلَمْ تَزَلْ لِلْوَرَى مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ
مِنْهُ دَلَايِلُ صَدَقَ غَيْرَ مَتَّعِ
رَقِّي بِمَا أَجْزَلْتُ مِنْ وَافِرِ الْقِسَمِ
وَبَيْنَ أَهْلِ النَّهْيِ نَذَاراً عَلَى عِلْمِ
إِذْ صَرْتُ مِنْ جَاهِهِ الْمَسْأُومِ فِي حَرَمِ
أُنْهِى إِلَى مَجْدِهِ مِنْ فَاضِلِ الشُّيَمِ
قَصَّرْتُ فِي ضَمْنِ مَنْشُورٍ وَمَنْتَظَمِ
يُهْنِكُ بَشْرِي قَدْ اسْتَبَشَرْتُ مَذْ وَرَدْتُ بِهَا لِعَمْرِكَ وَهُوَ الْبَرْ فِي الضَّمِيمِ
وَمَذْ دَعَتْ هَذِهِ الْبَشْرَى بِتَهْنِيَةٍ فَنَحْنُ أَوْلَى وَمَحْضُ الْعَهْدِ وَالْكَرَمِ

لازلت للعزة القعساء مُمتطيا مُستصحبا لعلاء غير مُصمره
ودمتَ بذر سَنَى تَهْدِي إنارته في حيث يَغْضُلُ خَطْبُ أَوْ يحار عَمِ
ولا عُدت بفضل الله عافيةً تستصحب النعم المنهلة الديم
وليس لهذا العهد للرجل انتحالٌ لغير الشعر والكتابة . وغير هذا
للشعر فِراره . فقلَّ أن ينتهي الشعر في الصُّعَة والاستِزْدال إل ما دون هذا
النَّمط . فهو بعير^(١) ثان : شعراً وشكلاً وبلداً ، لَطَفَ الله به . وهو لهذا
العهد . على ما تقدم من النكبة ، واتصال السُّخْط من الدولة . تَغْمَدُنا الله
وإياه بلطفه . ولا نَكْصُ عنا ظِلَّ عنايته وسَوره .
« مولده » : حسباً تقدم من بَسْط حاله بما قَيَّده بخطه في عام تسعة وسبعماية .

عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري

من أهل قرية الأنجرون من إقليم غرناطة ، أبو محمد .

حاله

فقيه أديب كاتب سَرى . موصوف بكرم نفس . وحُسن خُلُق .
لقى أشياخا وأخذ عنهم

شعره

يا مُنْعَما مازال من أمِّه يَسْرِفل في السَّابغ من أمِّيَّته
ويا حُساماً جَرَّدَتْهُ العُلا فَرِيع صرفُ الدهر من سَكوتِه
عَبْدُكَ قد ساءت هنا حاله شَوْقاً لمن خَلَفَ من إخوتِه

(١) ورد في هامش المخطوط تعليقاً على هذه الكلمة ما يقتضي . . . والله أعلم أنه كدر

يشبه للشيخ عبد العظيم الوادى آتى المنقب بالبعير .

شوقها يَبْثُ الجَمْرُ في قلبه ويخْلُصُ للسَّهْدِ على مُقَاتِهِ
 فَسَكَّنَ المَوْلِمَ من شَوْقِهِ وانْسَ المَقْلُوقَ من وَحْشَتِهِ
 وَاثْمَنَ عَلَيْهِ بِبِلَاسِغِ النِّسَا في عِلْمِكُمْ من مُقْتَضَى بُغْيَتِهِ
 وَهَآكِهَ نَفْثَةِ ذِي خَجَلَةٍ تَفْهَمَ مَا يَلْقِيهِ من نَفْثَتِهِ
 إِذَا شَدَا مَذَاحِكُمْ سَاجِعاً يحْسِدُهُ الطِّيَّاسُ في نَعَمَتِهِ
 « وفاته » : سنة إحدى وسبعين وخمسمائة عن سن عالية ^(١) .

عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي

من أهل قلعة يحصب ^(٢) من عمل البيرة .

حاله ونسبه

هو عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد
 ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعد بن عمَّار بن ياسر ،
 صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عينا من أعيان الأندلس ،
 مُشاراً إليه في البيت والرأى . والجَزَالَةُ والفضل . عُلِقَتْ به الآمال ،
 وَرُفِعَتْ إليه الممادح ، وَحُطِّتْ لديه الرُّحَال . وكان من أولى الجلالة
 والنِّبَاهَةِ . وَالطَّلَبُ والكِتَابَةُ الحسنة . والخَطُّ البارع . واشتمل على
 حُظْرَةِ الأمير يحيى بن غانية اللُّمْتَوَى . وكتب عنه . بلده قلعة بني
 سعيد ، فثَقَفَهَا ، وجعل بها أكبر بنيهِ عبد الرحمن ضابطاً لها
 وحارساً . فحَصَّنَهَا أَبُو مروان ومهداها بالعمارة . فكانت في الفتنة مَثَابَةً
 (١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم نرد في الرتبة .

(٢) قلعة يحصب أو قلعة بني سعيد سابق التمرس هـ . (راجع المجلد الأول من الإحاطة
 ص ١١١ حاشية) .

وأمننا . وحِرْزًا له ولبنيه . فانجَلَّتْ الناس إليها من كل مكان . ولما قَبِضَ ابن غانية ^(١) على القُمط مَرِين وأصحابه النصارى عندما وصلوا لاستنجاز الوعد فى الخروج عن جِيَّان . وتحصلوا بيده بإشارة عبد الملك ابن سعيد ، حسبما ثبت فى اسم الأمير يحيى . ثَقَّفَهم بالقلعة بيد ثِقَّتِه المذكور وأمينه أبى مروان ، فتحصلوا فى مَعْقِل حَرِيز ، عند أمير وافر العقل ، سديد الرأى . ومات ابن غانية بغرناطة لأيام قلائل ، واختلف قومه ، فنظر أبو مروان لنفسه ، وعاهد القُمط مَرِين ومن معه من الزعماء على عهود . أخذها عليهم وعلى سلطانهم . أن يكون تحت أَمْنٍ وحفظ طول مدَّتِه ، فأجريت القلعة فى الأَمْن والحماية ، وكفَّ أَيْدَى التَّعْدَى مجرى ما لملك النَّصْرِ ^(٢) من البلاد ، فشَمِلَ أهلها الأَمْن ، واتسعت فيها العمازة ، وتنكبَّتْها التَّكْبَات ، وتحاشَّتْها الغارات . ولم يزل أبو مروان بها إلى أن دخل فى أمر الموحدين . ووصل هو وابنه إلى السيد أبى سعيد بغرناطة ، وحضر معه غَزْوَةُ الْمَرْيَّة . ثم دخل بجملته ، فكمل له الأَمْن ، وأقر على القلعة ، وأمر بسُكْنَى غرناطة بولده . ثم وصل ثانية إلى مراکش صحبة السيد أبى سعيد . ولقى من البرِّ ولُطْفِ المَكَانَةِ عادته . واستكْتَبَ ابنه أحمد بن أبى مروان الخليفة فى هذه الوجهة . وانتظم فى جملة الكُتَّاب والأصحاب .

مَحْشَتُهُ

وعاد أبو مروان وبَنُوهُ إلى غرناطة صُحْبَةَ واليها السَّيِّد أبى سعيد ،

(١) هو يحيى بن غانية كبير فواد المرابطين فى الأندلس وقد سبق التعريف به (راجع

المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٧ حاشية) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . ومنه هنا النصراى وأب تعصم القلعة بالسلام

أسوة بأماذك ملك النصارى

فبقى في جملة العسكر عند دخول ابن مَرْدَنِيْش وصهره غرناطة . وقد اضطربت الفتنة . وفَسَدَ ما بين السيد وبين أُنَى جعفر بن أبي مروان منهم ، بما تقدَّم في اسمه من حديث حفصة^(١) . ولما ظهرت دلائل التغير ، وخافوا على أنفسهم ، أداروا الرأى في الانحياز إلى خدمة ابن مردنيش ، ونهاهم والدهم أبو مروان . وأشار عليهم بمصاهرة الأمر ، فلحق عبد الرحمن بالقلعة . وفرَّ أحمد لما انكشف الأمر ، وعُثِرَ عليه بجهة مالقة ، فقتل . وانجرت بسبب ذلك النكبة على عبد الملك وابنه محمد ، فبقيا بغرناطة . ومن يُشار إليه من أهل بيتهما ، واستُصِفِيَتْ أموالهما ، واستخلصت^(٢) ضياعهما ، إلى أن ورد كتاب الخليفة أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي بإطلاقهم ورد أموالهم، بما اقتضته السياسة من استمالة من نزع منهم عن الطاعة ، وأمر عبد الملك باستيلاف نافرهم . ولما هلك ابن مردنيش ، ورُدَّ من اتصل به صحبة المُستأمنين من أولاد الأمير الهالك ، فقدموا على رجب وسعة . وثاب جاه أبي مروان . واتصل عزُّه ، واتسعت حُظوته ، إلى أن هلك بعد أن وُلِيَ بمراكش النَّظر في العُدَّة والأسلحة ، والقيام على دار الصَّنعة .

« وفاته » : بغرناطة سنة ستين وخمسمائة^(٣) .

عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن

محمد بن عبد العزيز بن يست^(٤)

من أهل غرناطة ، يكنى أبا سلطان .

(١) راجع المجلد الأول من الإحاطة (ص ٢١٧ - ٢١٩) .

(٢) استخلصت ضياعهما ، أى وضعت في المستخلص أو الأملاك السلطانية .

(٣) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ويؤنسونة (كتب)

حاله

فاضل . حَبِيٍّ ، حسن الصورة ، بادی الحشمة ، فاضل البيت ، سريه . كتب في ديوان الأعمال ، وترقى إلى الكتب مع الجملة بالدار السلطانية ، وسفر في بعض الأغراض الغربية ، ولازم الشيخ أبا بكر بن عتيق بن مُقَدِّم ، من شيوخ الصوفية بالحضرة ، فظهرت عليه آثار ذلك في نظمه ومقاصده الأدبية .

شعره

وشعره لا بأس به ، ومن أمثله قوله ما أنشد له في ليلة الميلاد الأعظم :
القلب يعشق والمدامع تنطق بـرح الخفاء فكل عضو منطق
[قلت ، قد ذكرها ابن الخطيب في جملة ما أنشد في الميلاد الأعظم
في السفر الخامس ، فلا فائدة في تكرارها هنا]^(١) .
ومما خاطبني به :

أطلتُ عَتَبَ زَمانٍ فلَّ من أَمَلٍ	وسَمِته السَّدَمُ في حِلٍّ ومُزَنَحِل
عَاتِبته ليلَين للعتَبِ جانِبهِ	فما تراجَعَ عن مَطَلٍ ولا بُخَلٍ
فعدتُ أَمَنحه العُتْبى ليشفق بى	إِذْ قال لى إنَّ سَمعىً عنكَ في شَغَلٍ
فالْعَتَبِ عندى والعُتْبى فلست أرى	أُضغى لمدحِكَ إذ لم أُضغِ للعدَلِ
فقلتُ للنَّفْسِ كُفِّ عن مُعَاتِبَةٍ لا	تنقضى وجواب صِبغٍ من وَجَلٍ
من يَعتَلِق بالدُّنْيا بابن الخطيب فقد	سَما عن الدُّلِّ واستوى على الجَدَلِ
فقلتُ من لى بتَقَرُّبى لخدمته	فقد أَجاب قَريباً من جوابكِ لـ
قد اشتغلتُ عن الدُّنْيا بآخرى	وكان ما كان فى أَيَّامى الأولِ

(١) واضح أن ما بين الخاصرتين ، هو من إنشاء ناسخ المخطوط ، وقد وردت هذه

وقد رَعَيْتُ وما أَهْمَلْتُ من مَنَحٍ
ولست أَرْجِعُ لِلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
أَلَسْتُ تَبْصُرُ أَطْمَارِي وَبُعْدِي عَنْ
فَقْدَالِ ذَلِكَ قَوْلُ صَاحِّ مُجْمَلِهِ
ما أَنْتَ طَالِبُ أَمْرٍ تَسْتَعِينُ بِهِ
ولا تُجِلُّ حَسْرَاماً أَوْ تُحَرِّمَ ما
ولا تَبْغِ أَجَلَ الدُّنْيَا بِعَاجِلِهَا
وَأَبْنِ عَنْكَ الرِّشَاءَ إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُهَا
هل أَنْتَ تَطْلُبُ إِلَّا أَنْ تَعُودَ إِلَى
فَمَا لَا وَحْدَ أَهْلِ الْكَوْنِ قَاطِبَةً
لَمْ يَلْتَفِتْ نَحْوَ ما تَبْغِيهِ مِنْ وَطَرٍ
إِنْ لَمْ تَقَعْ نَظْرَةً مِنْهُ عَلَيْكَ فَمَا
فَدُونُكَ السَّيِّدُ الْأَعْلَى فَمَطْلِبُكُمْ
فَقَدْ خَبِرْتُ بَنِي الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهِمْ
فَمَا رَأَيْتُ لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ شَبِيهِ
قَصْدَتِكَ يَا أَسْمَى الْوَرَى نَسَباً
هَوَاكِ لِمَا أَمَلْتُ مِنْ أَمَلٍ
لِحَالِي فَقَدْ رَقَّ الْحَسُودُ لَهَا
لَنَا وَلِلَّذِينَ اللَّهُ تَرَفَّعَهُ
نَا مُعْتَلِيَا عَنْ كُلِّ حَادِثَةٍ

فَكَيْفَ يَخْتَلِطُ الْمَرْعَى بِالْهَمَلِ
بَعْدَ شَيْبِ غَدَا فِي الرَّأْسِ مُشْتَعِلِ
نَيْلِ الْحِظْوَظِ وَإِعْدَادٍ إِلَى أَجَلِ
لَكِنَّ مِنْ شَأْنِهِ التَّفْصِيلُ لِلْجُمْلِ
عَلَى الْمَظَالِمِ فِي حَالٍ وَمُقْتَبِلِ
أَحِلُّ رَبُّكَ فِي قَوْلٍ وَلَا عَمَلِ
كَمَا الْوَلَاةُ تَبِيعُ السَّيِّمَ بِالْوَشَلِ
هَذَا لِعَمْرَى أَمْرٌ غَيْرُ مُنْفَعِلِ
كَتَبَ الْمَقَامَ الرَّفِيعَ الْقَدْرَ فِي الدُّوَلِ
وَأَسْمَحَ الْخَلْقَ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ
وَلَمْ يَشِدَّ الَّذِي قَدْ بَانَ مِنْ خَلَلِ
يَضْبُو لَدَيْكَ لِلَّذِي أَمَلْتُ مِنْ أَمَلِ
قَدْ نَيْطَ مِنْهُ بِفَضْلٍ غَيْرِ مُنْفَضِلِ
مِنْ عَالَمٍ وَحَكِيمٍ عَسَارِفِ دُولِ
قَلَّ النَّظِيرُ لَهُ عِنْدِي فَلَا تَسْلِ
وَلَيْسَ لِي عَنْ عَلِيَّكَ مِنْ حِسُولِ
وَلَيْسَ لِي عَنْكَ مِنْ زَيْغٍ وَلَا مَيْلِ
وَاحْسِمِ زَمَانَةً مَا قَدْ سَاءَ مِنْ عِلَلِ
مَا أَغْقَبَتْ بُكْرَ الْإِصْبَاحِ بِالْأُصْلِ
كَمَا عَلَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن النعماني
وادي آثي الأصل . يكنى أبا محمد .

حاله

كان من جلة الأدباء . وفحول الشعراء . وبرعة الكتاب . كتب
عن الأمير أبي زكريا يحيى بن إسحق بن محمد بن علي الميوقى^(١) .
الثائر على منصور بن عبد المؤمن^(٢) ، ثم على من بعده من ذريته إلى
أيام الرشيد منهم ، وانقطع إليه وصحبه في حركاته . وكان آية في بُعد
الهمة ، والذهاب بنفسه ، والعناء ، ومواقف الحرب . فإنه دهم في المثل .
أشبهه امرأاً يعرض بزّه ، فقد كان أليق الناس بصحبة الميوقى ، وأنسبهم
إلى خدمته .

« مشيخته » : روى عن أبي زيد بن السهيلي .

بعض أخباره

في البأ والصرامة . حدثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيآب عن حدثه
من أشياخه ، قال ، وجهه الميوقى في عشية يوم من أيام حروبه إلى المأزق .
وقد طال العراق ، وكاد يكل الناس عن الحرب . إلى أن يباكروها من
الغد ، فنفذ لما أمر به . ولما بلغ الصدر . اشتد على الناس . وذعر أرباب
الحفيظة . وأنهى إليهم العزم من أميرهم في الحملة . فانهزم عدوهم
شر هزيمة . ولم يعد أبو محمد إلا في آخر الليل بالأسلاب والغنيمة .

(١) سبق التعريف بأبي زكريا يحيى بن إسحق الميوقى في المعروف بدين .

(راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٣١١ - حاشية) .

(٢) الإشارة هنا إلى الخليفة الموحدى أبي يوسف بن عبد المؤمن المنفد

بمعقوب المنصور الذي حكم من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ (١١٨٤ - ١١٩٩ م) .

وقال له ما حملك على ما صنعت ، فقال له . الذى عَمِلْتُ هو شَأْنِي ، وإذا أردتَ من يَصْرِف الناس عن الحرب ويُنْذِب رِيحَهُمْ ، فانظر غيرى .

وحدثني كذلك أَنَّ وَلَدًا له صغيرًا ، تشاجر مع تَرْب له من أولاد أميره أبي زكريا ، فنال منه ولد الأمير ، وقال وما قَدَرُ أبيك . ولما بلغ ذلك أباه ، خرج مُغَضَّبًا لحينه ، ولقي ولد الأمير المخاطب لولده ، فقال حَفِظْكَ الله ، لست أشك في أنى خديم أبيك . ولكنى أحبُّ أن أعرفك بمقدارى ومقداره ، إعلم أن أباك وجَّهَنى رسولاً إلى الخليفة ببغداد بكتاب عن نفسه ، فلما بَلَغْتُ بغداد نَزَلْتُ في دار اكْتُرِيت لى بسبعة دراهم في الشهر ، وأُجْرِي لى سبعة دراهم في اليوم ، وطُوع بكتابى ، وقيل مَنْ الميورق الذى وجَّهه ، فقال بعض الحاضرين ، هو رجل مَغْرِبى ثائر على أستاذه . وأقمت شهراً ، ثم استدعيت إلى الانصراف ، ولما دخلت دار الخلافة ، وتكلمت مع من بها من الفضلاء ، أرباب المعارف والآداب ، اعتذروا لى ، وقالوا للخليفة ، هذا رجلٌ جَهِلٌ مَقْدَارُهُ ، فَأَعِدْتُ لى محل ، اكْتُرِيت بـسبعين درهماً ، وأُجْرِي على مثلها في اليوم ، ثم استدعيت ، فودعت الخليفة^(١) ، واقتضيت ما تيسر من جوابه ، وصدر لى شيء له خَطَرٌ من صِلته . وانصرفيت إلى أبيك . والمعاملة الأولى كانت على قدر أبيك عند مَنْ يعرف الأقدار ، والثانية كانت على قدرى والمنَّة لله . وأخبار ابن قُرسان كثيرة .

شعره

وقد تععم الأمير بعمامة بيضاء ، ولبس غِفارة حمراء على جبة خضراء ،

فقال :

(١) وردت في الإسكوريالك (الخلافة) . والتصويب أنسب للسياق .

فديتك بالنفس التي قد ملكتها
تسوددت للحسن الحقيسي بهجة
ولما تلاً نور غرّسك السقي
تلقفتها خضراء أحسن ناظر
وأسدلت حُمر الملابس فوقها
وأصبحت بدرا طالعا في غمامة
ومن شعره ، ولا خفاء ببراعته :

ندى مُخضلا ذاك الجناح المُنمّا
أعذهنُّ أَلحانا على سَمْع مُعرب
وطِر غير مقصوص الجناح مرفّها
وقال أيضا رحمه الله :

كني حَزنا أن الرماح صقيلة
وأن بياديق الجوانب قرزنت
وأن الشبا رهنُّ الصدا بدمايه
ولم يَعِد رُخ الدّست بيت بنيائه^(١)

عبد العظيم بن عمر بن عبد الله بن حستان الغساني

جلياني^(٢) من أهل وادي آش . وتردد إلى غرناطة ، يكنى أبا
محمد ، وأبا الفضل .

حاله

(١) وردت هذه الترجمة في الإنسكو بال ولم ترد في الزيتونة .

(٢) نسبة إلى جليانة وهي محلة قديمة من أعمال وادي آش كانت تسمى جليانة نفاج لانتشار
هذه المنطقة بإنتاج النفاج الجيد الفخر (ياموت) . ولسكنها كثرت اليوم ، ولا حد لها أثر ، في
خرائب أسوار غرناطة أو وادي آش الحديثة .

تجول ببلاد المشرق سائحا . وجعّ ونزل القاهرة . وكان أديبا ،
بارعا حكما . ناظما ناثرا .

تواليافه

وله مصنفات منها « جامع أنماط السائل في العروض والخطب
والرسائل » ، أكثر كلامه فيه نظما ونثرا .
« مشيخته ومن روى عنه » . روى عنه أبو الحسن على بن عبد الله
ابن عبد الرحيم الخطيب بضريح الخليل ، وأبو عبد الله بن يحيى المُرسي .

شعره

قال من شعره :

ألا إنما الدنيا بحارٌ تسلّطت فما أكثر الغرقى على الجنّات
وأكثر من لاقيت يُغرق إلفه وقلّ فتى ينجو من الغمرات
« وفاته » : سنة ثلاث وستماية^(١) .

تم المجلد الثالث
من كتاب الإحاطة

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

فهارس المجلد الثالث

من كتاب « الإحاطة »

صفحة

- ١ - فهرست التراجم ٥٨٠
- ٢ - فهرست الرسائل والقطع النثرية ٥٨٩
- ٣ - فهرست الشعر والشعراء ٥٩١
- ٤ - فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب ... ٥٩٧
- ٥ - فهرست القبائل والطوائف والدول ٦٠١
- ٦ - فهرست البلدان والأماكن ٦٠٢
- ٧ - فهرست الأعلام ٦٠٧

استدراك

ذكرنا في مقدمة هذا المجلد من « الإحاطة » أننا سوف نمضي في تراجمه حتى ترجمة عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين العكبي ، وأنه سوف يشمل من مخطوط الإسكوريال مائة وثمان وتسعين لوحة ، من اللوحة ٨٥ إلى اللوحة ٢٨٣ . بيد أننا رأينا بعد ذلك ، لأسباب فنية^١ ، أن ينتهي هذا المجلد بترجمة عبد العظيم بن عمر^٢ بن عبد الله بن حسان الغساني ، مشتملا على مائة واحد وتسعين لوحة ، من اللوحة ٨٥ إلى اللوحة ٢٧٦ إسكوريال .

فهرست التراجيم

صفحة	مقدمة
٣	
١١	محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفى .
١٧	محمد المسكودى .
٢٣	محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمى ..
٢٧	محمد بن محمد بن محمد بن بيشش العبدري
٣١	محمد بن محمد النمرى الضرير ..
٣٣	محمد بن عبد الولي الرعيني ..
٣٥	محمد بن علي بن أحمد الخولاني
٣٨	محمد بن علي بن محمد البلنسى .
٣٩	محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن بن عبد الرحمن بن بقى
٤١	محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصارى
٤٣	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزى
٦٠	محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمى اليكى
٦٤	محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغسانى
٦٥	محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجى ..
٦٦	محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغسانى
٦٧	محمد بن أحمد الرقوطى المرسى
٦٨	محمد بن إبراهيم بن المقرج الأوسى ..
٦٩	محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسى ..
٧٠	محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد بن مأمون الأنصارى
٧٢	محمد بن حكيم بن محمد بن أحمد بن باقى الخذامى
٧٤	محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف بن خلف الأنصارى

- ٧٥ محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري
- محمد بن محمد بن إدريس بن مالك ... بن عبد الواحد بن أحمد
- ٧٥ ابن عبد الله القضاعي
- ٧٨ محمد بن محمد بن محارب الصريحي
- ٧٩ محمد بن محمد بن لب الكتاني
- ٨١ محمد بن محمد البدوي
- ٨٥ محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري
- ٨٨ محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم الفيرى
- ٨٩ محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن الجند الفهري
- ٩١ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن القحار الجذامي
- ٩٦ محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغساني
- ٩٧ محمد بن علي بن محمد العبدري
- ١٠٣ محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي
- ١٣٠ محمد بن عبد الرحمن بن سعد التيمي التلسي الكرسوطي
- ١٣٤ محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري
- محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد ... بن عمر
- ١٣٥ ابن رشيد الفهري
- ١٤٣ محمد بن علي بن هاني اللخمي السبتي
- ١٥٤ محمد بن يحيى العبدري
- ١٥٦ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير
- ١٥٨ محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني
- ١٥٩ محمد بن أحمد بن محمد الدوسي
- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روبيل
- ١٦٠ الأنصاري
- ١٦٢ محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زمنين المري

صفحة

- ١٦٣ محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي .
- ١٦٥ محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي
- ١٦٧ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني
- ١٦٨ محمد بن محمد بن علي بن سودة المري
- ١٧١ محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي
- ١٧٢ محمد بن عبد الله بن أبي زمنين
- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد . . . بن أبي زمنين
- ١٧٢ عدنان بن بشير بن كثير المري
- ١٧٤ محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم . . . بن هاني اللخمي القايسى ...
- ١٧٥ محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد الغساني .
- محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج . . . بن سعيد بن محمد بن
- ١٧٦ حقل الغافقي
- ١٧٧ محمد بن علي بن عبد الله اللخمي
- ١٧٩ محمد بن علي بن فرج القربلياني
- ١٨٠ محمد بن علي بن يوسف بن محمد السكوني
- ١٨٢ محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المري
- ١٨٣ محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي البيري
- ١٨٤ محمد بن أحمد بن محمد . . . بن أبي بكر بن خميس الأنصاري ...
- ١٨٦ محمد بن أحمد بن عبد الله العطار
- ١٨٧ محمد بن أحمد بن المراكشي
- ١٨٩ محمد بن بكرون بن حزب الله
- ١٩٠ محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي
- ١٩١ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي
- ١٩٣ محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي
- ١٩٤ محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي

صفحة

١٩٦	محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري
٢٠٠	محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري
٢٠٢	محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطرال الأنصاري
٢٠٤	محمد بن أحمد بن محمد بن الأكلحل
٢٠٧	محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي
٢٠٧	محمد بن محمد بن حسان الغافقي
	محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم . . . بن قاسم الحميري
٢٠٩	المدعو بابن الحاج . . .
٢١١	محمد بن عبد الرحمن الكاتب . . .
	محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد . . . بن عبد الله بن
٢١٣	سعيد بن عمار بن ياسر . . .
	محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد . . . بن محمد بن عبد الله بن عمار بن
٢١٥	ياسر العنسي
٢١٧	محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري
٢١٨	محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي
٢٢٣	محمد بن محمد بن شعبة الغساني . . .
٢٢٥	محمد بن محمد بن العراقي
٢٢٦	محمد بن عبد الله بن محمد بن علي . . . بن عبد الله بن فرتون الأنصاري
٢٢٧	محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل . . .
٢٢٨	محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي
٢٢٩	محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري
٢٣٠	محمد بن أحمد الأنصاري
٢٣١	محمد بن حسن بن الحميري
٢٣٢	محمد بن محمد البكري . . .
٢٣٣	محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

صفحة

- محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد . . . بن ريد بن عامر بن
 ٢٣٤ نصر بن حفاف السلمى
 محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن
 ٢٣٦ صفوان القيسى
 محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى
 ٢٣٩ محمد بن أحمد بن قاسم الأعمى
 ٢٤١ محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر . . . بن عبد الرحمن بن حميد
 الهاشمى الطنجالى
 ٢٤٥ محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي ، ابن الحاج
 ٢٤٨ محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد . . . بن يحيى بن عباد النفرى
 ٢٥٢ محمد بن يوسف بن خلعون
 ٢٥٦ محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ . . . بن يوسف العراقى
 ٢٦٨ محمد بن أحمد بن شاطر الحمحى المراكشى
 ٢٦٩ محمد بن محمد بن عبد الرحمن التيمى ، ابن الخلفاوى
 ٢٧١ محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتى
 (ابن بطوطة)
 ٢٧٣ مزدلى بن تيولتكان بن حمى بن محمد بن ترقوت . . . بن واباتن
 الصنهاجى الامتوفى
 ٢٧٤ موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الهنتاتى
 ٢٧٥ منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو . الأمير أبو زيان
 ٢٧٦ المطرف بن عبد الله بن محمد . . . بن عبد الرحمن بن معاوية
 ٢٧٨ منذر بن يحيى التجيبى
 ٢٨١ موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يعمراسن بن ريان ، أبو حو
 ٢٨٦ مبارك ومظفر الأميران موليا المنصور بن أئى عامر
 ٢٩٢ منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو
 ٢٩٨

- مقاتل بن عطية البرزالي ٣٠٠
- مؤمل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلي ٣٠٢
- المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي ٣٠٣
- مالك بن عبد الرحمن بن علي ٣٠٣
- ابن المرحل ٣٠٣
- منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ٣٢٤
- مسلم بن سعيد التتملي ٣٣٠
- مؤمل ، مولى باديس بن حبوس ٣٣١
- نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ٣٣٤
- الأنصاري ، السلطان ٣٣٤
- نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري ٣٤٢
- نزهون بنت القليعي ٣٤٤
- الصميل بن حاتم بن عمر بن جلدع بن شمر بن ذى الجوشن الكلبي ٣٤٥
- صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عيسى بن إدريس التجيبي ٣٤٩
- صالح بن يزيد بن صالح بن موسى ٣٤٩
- الرندى (. ٣٦٠
- عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي (الرئيس أبو محمد بن ٣٧٦
- إشقيولة (. ٣٧٦
- عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد ٣٧٩
- الصنهاجي ٣٧٩
- عبد الله بن علي بن محمد التجيبي ، الرئيس أبو محمد بن إشقيولة ٣٨٢
- عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي ٣٨٤
- عبد الله بن الحبير بن عثمان بن عيسى بن الحبير اليحصبي ٣٨٥
- عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني ٣٨٦
- عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي ٣٩٢

صفحة

٣٩٩	عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكواب .
٤٠٠	عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكنانى
٤٠٤	عبد الله بن سهل الغرناطى
٤٠٥	عبد الله بن أيوب الأنصارى...
٤٠٥	عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصارى
٤١٠	عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى . . . بن سمالك العاملى
٤١١	عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد . . . بن منخل بن زيد الغافقى
٤١٢	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن . . . بن أبي زمنين المرى
٤١٣	عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد . . . بن يحيى بن زكريا الأنصارى
٤١٥	عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد . . . بن أبي حمزة الأزدي
٤١٦	عبد الله بن سليمان بن داود . . . بن حوط الله الأنصارى
٤١٧	عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن . . . بن ربيع الأشعرى..
٤١٩	عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفى العاصمى
٤٢٠	عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجى
٤٢١	عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي (ابن المربع)
٤٣٢	عبد الله إبراهيم بن وزمر الحجارى الصنهاجى
٤٣٦	عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد . . . بن الخطيب السلماني
٤٣٩	عبد الله بن محمد بن ساره البكرى
٤٤١	عبد الله بن محمد الشراط
٤٤٣	عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجارى
	عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد . . . بن عبد الله بن
٤٥٦	سعيد بن عمار بن ياسر .
٤٥٩	عبد الله بن عبد البر بن سليمان . . . بن أشعث الرعينى
٤٦١	عبد الله بن فارس بن زيان
٤٦٣	عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن معاوية ، الناصر لدين الله ٤٦٤
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، المرتضى ٤٦٦
- عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ٤٦٧
- عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي ٤٧٢
- عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي (ابن الفرس) ٤٧٣
- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن . . . بن فتوح الخثعمي . ٤٧٧
- عبد الرحمن بن هاني اللخمي ٤٨١
- عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي ٤٨٢
- عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري ٤٨٣
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر . . . بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ٤٩٧
- عبد الرحمن بن الحاج بن القمبي الإلبيري... .. ٥١٧
- عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تغليت الفازازي ٥١٧
- عبد الرحمن بن أسباط ٥٢٣
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري ٥٢٤
- عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي ٥٢٧
- عبد الأعلى بن موسى بن نصير ٥٢٩
- عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو... .. ٥٢٩
- عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ٥٣٣
- عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ٥٣٤
- عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني ٥٣٥
- عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محيو ٥٣٦
- عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبد الله أخوه ٥٣٨
- عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري ٥٣٨

صفحة

- عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن . . . بن أسلم بن مكتوم
 ٥٣٩ المحاربي
- عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي (ابن القرس) ... ٥٤١
- عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الله . . . التتالي اليدرازي تي الواغديني ... ٥٤٦
- عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هرون . . . بن مرداس السلمي ... ٥٤٨
- عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد ، الشهير بالباهلي ... ٥٥٣
- عبد الحق بن محمد بن عطية . . . بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية
 ٥٥٥ المحاربي
- عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري ٥٦٩
- عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي ٥٧٠
- عبد العزيز بن علي بن أحمد . . . بن عبد العزيز بن يست ... ٥٧٢
- عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الرحمن الغساني . . . ٥٧٥
- عبد العظيم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني ٥٧٧

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- رسالة مخاطب بها محمد بن محمد البدوي ابن الخطيب ٨٣
رسالة كتب بها محمد بن علي بن محمد العبدري إلى ابن الخطيب ردا على
ما طلبه منه أن يثبت له شيئا من شعره ٩٩
رسالة يرحب فيها ابن مرزوق العجيسى بمقدم ابن الخطيب إلى فاس .. ١٠٩
رسالة كتب بها ابن الخطيب إلى ابن مرزوق يرسم فيها دستور الخدمة
الملوك ١١٨
رسالة كتب بها محمد بن هاني السبتي إلى القاضي الشريف أبي القاسم
الحسنى ١٤٧
رسالة يخاطب بها ابن الخطيب محمد بن القاسم الأنصاري على أثر توليه
منصب الحسبة ١٩٧
رسالة لأبي القاسم بن خلصون يستعرض فيها نظريات الغزالي ، ثم
نظريات ابن رشد ٢٦٤
رسالة كتب بها مالك بن المرحل إلى أبي بكر بن يوسف الفخار وأبي
القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري ٣٢٠
ما كتبه منصور بن علي الزواوي إلى ابن الخطيب عن مشيخته .. ٣٢٦
ما كتب نثرا على قبر السلطان نصر بن محمد بن محمد بن يوسف ... ٣٤١
ما كتبه صفوان بن إدريس التجيبي في تهنئة القاضي أبي القاسم بن بقر . ٣٥٨
نبذة مما كتبه أبو الطيب الرندى (صالح بن يزيد بن شريف النفزى)
في كتابه « روضة الأنس » ٣٧٣
ما كتب نثرا على قبر الرئيس أبي محمد بن إشقياولة ٣٧٨
ما كتبه عبد الله بن إبراهيم الأزدي (ابن المربع) في وصف جولته
للبحث عن أضحية لعبد الأضحى ٤٢٥
رسالة بعث بها عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الخطيب إلى والده لسان الدين
بالمناكب ٤٣٧

صفحة

- رسالة ابن رضوان النجارى إلى ابن الخطيب ردا على رسالته التى بعث بها إليه من 'سلا' ٤٥٢
- رسالة أخرى من ابن رضوان النجارى إلى ابن الخطيب ينوه فيها بمناقبه ومؤلفه « كتاب المحبة » ٤٥٣
- رسالة لعبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى (ابن الفصال) يخاطب بها الكتاب رسالة إلى أحد أصحابه ، وقد استخفى لتهمة نسبت إليه ٤٨٩
- رسالة رد بها المترجم ، وقد اتهم بأن ذلك من إملاء ابن الخطيب ... ٤٩١
- رسالة ابن الخطيب فى التحكيم بين الرسلتين ٤٩٤
- رسالة ابن الخطيب فى الترحيب بابن خلدون حينما وصل إلى حضرة غرناطة ٤٩٩
- رسالة منه إليه يخاطبه فى شأن جاريته هند صبيحة الابتناء بها... .. ٥٠١
- رسالة يخاطب بها عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربى ، ابن الخطيب... ٥٥٦

فهرست الشعر والشعراء^(١)

صفحة	صفحة
٤٦ ... بدا كهلال العيد وقت طوبه	ابن بقی ، محمد بن سعد بن محمد بن لب
٤٧ ... لا تمزلاه فما ذر الحب معقول	كم اری مدمن هو ودعة ... ٤١
٥٠ ... هو العلم لا كالعلم شيء تراوده	ابن بيش المبردی ، محمد بن محمد
٥٦ ... تفردت لما أن جمعت بذات	یا ساكننا قلبی المني ... ٢٨
٥٧ ... كتم اللسان ولمدعي قد باحا	أنا ملك الفر التي سيب جودها ... ٢٩
٥٧ ... نور نجدك أم توقد نار ...	أساجمة بالوادين تبوئ ... ٢٩
٥٩ و ٥٨ ... مقطوعاته المختلفة	ديار خطها نجد قديم ... ٢٩
ابن الخطيب السلمي ، لسان الدين	ابن جزى الكلبي ، محمد بن أحمد بن محمد
راحت تذكرني كؤوس الراح . ١٠٨	لكل بني الدنيا مراد ومقصد ... ٢٢
شفاء عياض للصدور شفاء ... ١٢٧	أروم امتداح المصطفى ويردني ... ٢٢
أزاهير رياض ١٢٧	يارب إن ذنوبي اليوم قد كثرت ... ٢٣
حييت يا مختط سبت بن نوح ... ١٢٨	وكم من صفحة كالشمس تبدو . ٢٣
بادرها المغنى الهمام موسى ... ٢٩٢	ابن جزى الكلبي عبد الله بن محمد
ثم تقضى معظم الزمان ... ٣٢٨	سنى الليلة الفراء وافتك بالبشرى . ٣٩٥
حتى إذا استوفى زمان سده . ٣٨	لقد قطعت قلبى يا خليلي ٣٩٧
ابن خلدون الحضرمي ، عبد الرحمن بن محمد	لقد كنت موصولا فأبدل وصلكم ... ٣٩٧
أسرفني في هجرى وفي تمذيبي . ٥٠٨	يا ناصبا علم الحساب حباله ... ٣٩٧
قدحت يد الأشواق من زندي . ٥١١	لقد كل الود بيننا ... ٣٩٨
يا سيد الفضلاء دعوة مشفق ... ٥١٣	ألا اكتم حب من أحببت ... ٣٩٨
حتى المعاهد كانت قبل تحيى ... ٥١٤	وأشرب الشفر له وجنة ... ٣٩٨
ابن خلدون ، محمد بن يوسف	إلى الله من شغل حباتي برقة ... ٣٩٨
هل تعلمون مصارع العشاق ... ٢٥٨	إلى الله أشكو عذرا ترددا ... ٣٩٨
أعد الحديث إذا وصفت جماله .. ٢٥٨	أيا حسن إن شئت الدهر شملنا ... ٣٩٨
إن كنت تزعم حبا وهوانا .. ٢٥٩	إن كان باب القرب قد سد بيننا ... ٣٩٨
لو خيال من حبيبي طرقا ٢٦٠	لقد صرت في غضب القصايد
دعوت من شقني رفقا على كبدي ... ٢٦٠	ماهرأ ٣٩٩
ركبنا مطايا شوقنا نبتني السرى ... ٢٦٠	ابن الحاج النمري ، محمد بن عبد الله بن ابراهيم
يا نايمًا يطلب الاسرار اسراراً ... ٢٦١	مولاي يا خير أعلام السلاطين . ٢١٠
أطالب ما في الروح من غامض السر . ٢٦٢	ابن حوط الله الانصاري ، عبد الله بن سليمان
مشاهدق مغناك يا غايبي وقت ... ٢٦٢	أندري أنك الخطاء حقا ... ٤١٧
	ابن حيان النفري ، محمد بن يوسف

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المجمع ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة

ابن دراج القسطل ، ابو عمر

- بشراك من طول الترحل والسرى . ٢٨١
 أنورك أم أوقدت بالليل نارك .. ٢٩٣
 ابن رشيد الفهري ، محمد بن عمر بن محمد
 حينئذ لمي أن رأت نمل أحد ... ١٣٨
 أقول إذا هب النسيم المعطر ... ١٣٨
 شباب ثوى شابت عليه المفارق . ١٤١
 سرى نسيم من حنى سارة ... ٤٠٢
 ابن رضوان النجاري ، عبد الله بن يوسف
 لملكنا ترعيا لى وسايلا ... ٤٤٥
 نشرت لواء النصر واليمن والسعد ٤٤٧
 جلالك أولى بالملأ المخلد . ٤٤٨
 تبرأت من حولي إليك وأيقنت .. ٤٤٩
 سل بالمل وسنى المعارف يهر .. ٤٤٩
 أنا الحبر فى حل العلوم وإن تقل . ٤٥٠
 وبخيل لما دعوه لسكنى ... ٤٥١
 يارب منشاء عجبت لشأنها ... ٤٥١
 وذى خمد دعوه لاشتغال ... ٤٥١

ابن دويل الانصارى . محمد بن ابراهيم

- وما زيارهما أقى ابتهجت به .. ١٦١
 ابن الزبير ، محمد بن احمد بن ابراهيم
 نوالى الشكر للرحمن فرضا ... ١٥٧
 ابن سمالك العامل ، عبدالله بن احمد
 الروض محضر الربى متحلل ... ٤١٥
 تفتحت الكتابة عن نسيم . ٤١٥
 ابن سودة الحمرى ، محمد بن محمد

جاد الحمى صوب الغمام هتونه . ١٦٩
 ابن شبرين ، ابو بكر

- قد كان ما قال الزيد ١٥٢
 ناعين سحى بدمع واكف سرب .. ٢٢٠
 ابن شعبة الفساني ، محمد بن محمد
 وانى البشير فوانى الأمن والجذل ٢٢٤
 ابن صلوان القيسى ، محمد بن احمد
 هونت بدنى إله فلم يكن فى ٢٣٨
 ابن عباد النفري ، محمد بن يحيى
 سرى يسر إن أنك تار لى .. ٢٥٣
 هذا المقيق نسل معانف دانه ٢٥٣

صفحة

يا للرجال ألا حب يساعذنى ... ٢٥٥
 ابن الفخار المالقي ، محمد بن عبد الرحمن
 أنظر إلى ورد الرياض كأنه ... ٩٥

ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد الخزرجي
 أبى ما بقلبي اليوم أن يتكلم . ٥٤٣
 سلام على من شفى بمد داره .. ٥٤٥
 أقرأ على شنجل سلاما ... ٥٤٥
 عليك سلام الله يا بن مسلم ... ٥٤٦
 ابن المربع ، عبد الله بن ابراهيم الأزدى
 ما للحب دواء يذهب الألم ... ٤٢٢
 بدار بدار قد آن البدار ٤٢٣
 رعى الله عهدا حوى ما حوى .. ٤٢٤
 أودى به الخنف لما جاءه الأجل . ٤٢٤

ابن مرزوق العجيسى ، محمد بن احمد

أنظر إل النوار فى أغصانه ١٠٧
 يا قادما وانى بكل نجاح ١٠٧
 ايا نسيم السحر ... ١١١

ابن ميمون العيلوى

لا تكثر بفراق أوطان الصبا ٨٧
 توسلت ياربنى بانى مؤمن ... ٨٨
 ابن وذر الحجارى ، عبد الله بن ابراهيم
 عليك أحنالى الذكر الجميل ... ٤٣٣
 يقولون ماذا اللال تقيم فى ... ٤٣٣
 أصبحت فى سقاية مسلما ... ٤٣٤
 أرييس الزمان أغفلت أمرى .. ٤٣٤
 وجدنا سيدا منجبا خير عصبة . ٤٣٥
 ابن يسيث ، عبد العزيز بن على بن احمد
 أطلت عتب زمان قل من أمل ... ٥٧٣

ابو الأجرب ، شاعر الصميل

بني لك حاتم بيت رفيعا .. ٣٤٧
 دون الصميل شريعة مورودة .. ٣٤٧
 ابو الحسن الكرمانى
 أكرم دأركش دارا .. ٩١

ابو اسحق بن قسوم الزاهد

يروقك يوم العيد حسن ... ٥
 أبو بكر بن سعيد
 من له ألف خير ٣٤٥

صفحة

- إن كنت تشفق من نزوح نواهم .. ٤٢٦
ابو عبد الله القرى
 لما رأيتك بعد الشيب يا رجل .. ٣٢٩
ابو عبد الله بن شرف
 يا رحمة الله للراجل وثقتته .. ٢١٤
ابو عمرو الزاهد
 تختبر الدينير في ميلق ... ٦٥
ابو محمد بن ابي الجعد
 أيها العارف المبر ذرقاً .. ٤٦١
ابو الطرف بن عمره
 خذ في الأشمار على الخيب ... ٢٧٦
سارة بنت احمد بن عثمان الحلبي
 وافي قريش منكم مذ غداً ... ٤٠٣
صفوان بن ادريس بن ابراهيم التميمي
 جاد الزمان بأفة الجرعاء ... ٣٥٠
 ألا سمح الزمان به كتاباً ... ٣٥٢
 هل رسول البرق يفتن الأجرا .. ٣٥٤
 يا قمرًا مطلعاً أضلحى ... ٣٥٧
عبد البر بن فرسان الفسائي
 فديتك بالنفس التي قد ملكتها .. ٥٧٧
عبد الحق بن غالب بن عطية الحاربي
 سقيا لهد شباب ظلت أمزح ... ٥٩٠
عبد الحق بن محمد عطية الحاربي
 يا سيداً قد فاق في مجد وفي شرف ٥٥٦
 ألا أيها الليل البطي الكواكب ٤٦١
 يا قاطع اليد يطوى السهل والجبل ٥٦٤
 يا عاذل في الهوى أقصر من العذل ٥٦٦
 أنا مصنع قد فاق كل المصانع ... ٥٦٧
 الآن قد قامت الدنيا على قدم .. ٥٦٨
عبد الرزاق بن يوسف الأشعري
 يا منما مازال من أمه .. ٥٦٩
عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي
 قل لابن سيد والديه لقد علا .. ٥٢٨
 إن الولاية رفعة لكها .. ٥٢٨
عبد الرحمن بن محمد بن مالك المعافري

صفحة

- ابو الحسن بن حريق**
 أبعد الشيب هوى وصداً .. ٢٧٦
ابو الحسن الورداد
 أبعد ولي الله دمي يسج ... ٢٤٣
ابو الطيب الرندي ، صالح بن يزيد النفزي
 سرى والحب أمر لا يرام ... ٣٦١
 أوصلتي يوما وهاجرتي ألفا .. ٣٦٤
 يا طلعة الشمس إلا أنه قمر ... ٣٦٤
 أطال ليل الكد ... ٣٦٥
 وليلة نهت أجفانها ... ٣٦٦
 البحر أعظم مما أنت تحسبه ... ٣٦٧
 وأزرق محفوف بزهر كأنه .. ٣٦٧
 ما أحسن العقل وآثاره .. ٣٦٧
 وكتيبة بالدارعين كثيفة .. ٣٦٧
 وأبيض صيغ من ماء ومن لب .. ٣٦٨
 وأصفر كالصب في رونق ... ٣٦٨
 تفاخر السيف فيما قبل والقلم .. ٣٦٩
 أنا صمصامة الكتابة مالى .. ٣٦٩
 ومعتنقين ما أشتهرا بعشق ... ٣٦٩
 الورد سلطان كل زهر .. ٣٦٩
 وأزرق كمثل السماء ... ٣٦٩
 وأخضر فستق اللون غض ... ٣٦٩
 وغانية يغنى عن العود صوتها ... ٣٧٠
 لله رمانة قد رائق منظرها ... ٣٧٠
 غريب كلما يلق غريب .. ٣٧٠
 يرزت من الحمام تمسح وجهها ٣٧١
 ومتيم لو كان صور نفسه ... ٣٧٢
 وافي وقد زانه جمال .. ٣٧٢
 الدهر لا يبق على حالة .. ٣٧٢
 الموت سر الله وخلقته ... ٣٧٣
 خليل بالود الذي بيننا اجعلا .. ٣٧٥
ابو عبد الله بن ابي الخصال

صفحة

لا تلمني إذا طربت لشجوا... ٥٢٣

عبد الرحمن بن يخلفتن اللازاري

نعم الإله بشكره نثقيد .. ٥١٩

عجبا لمن ترك الحقيقة جانبا ... ٥٢٠

إليك مددت الكف في كل شدة ٥٢١

وأدور مياس العواطف أصبحت . ٥٢٢

عبد العظيم بن عمر بن عبد الله الفسائي

إلا إنما الدنيا بخار تلاطمت ... ٥٧٨

عبد القهار بن مفرج الفزاري

يا صاح لا تعرض لزوجة ... ٥٣٨

عبد الله بن الجبير اليحصبي

يا هاجر بن أضل الله سعيكم ... ٣٨٦

عبد الله بن الحسن الانصاري

وهل نافع أن أخطأ الشيب مفرق ٤١٨

لمعرك ما الدنيا بسرعة سيرها .. ٤٠٨

سهرت أعين ونامت عيون ... ٤٠٨

عبد الله بن حسون البرجي

خليل هيا ساعداني بعبرة ... ٤٠٩

عبد الله بن سعيد بن علي السلماني

الطب والشعر والكتابة .. ٣٩٠

وقالوا قد نأوا فاصبر ستشقى .. ٣٩٠

عليك بالصبر فكم ناطق .. ٣٩٠

أنا بالدهر يا بني خبير .. ٣٩١

عبد الله بن محمد بن الخطيب السلمي

من طلل بالرقمتين محيل ... ٤٣٦

عبد الله بن محمد بن سادة البكري

أما الوراقة فهي أيككة حرفة ... ٤٤٠

وكوكب أنصرفت مسرقا ... ٤٤٠

يا من نصيخ إلى داعي اسماء وقد ... ٤٤٠

ألا يا موت كن يا رؤوف ... ٤٤٠

عبد الله بن محمد الشراط

وكنتم ألفت قبل النوم إلغا .. ٤٤٢

صفحة

حالي وحالك أضحت آية عجبا ٤٤٢

رحلتم وخلفتم مشوقكم نسيا .. ٤٤٢

عبد الملك بن حبيب بن سليمان

أحب بلاد الغرب والغرب موطنى ٥٥١

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا .. ٥٥٢

الفتح بن خاقان

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه ... ٥٢٥

مالك بن المرحل ، مالك بن عبد الرحمن بن الفرج

دنت تستر بالفرام طويلا ... ٣٠٧

أعدى على هواه خصم جفونه ... ٣٠٨

هو الحبيب قضى بالبحر أم عدلا .. ٣٠٩

انصب إلى الجمال مايل ... ٣١٠

يا راحلين وفي من قرهم أمل ... ٣١١

عبرت ربع الهوى بقلب .. ٣١٢

يا خاطب الدنيا طلبت غرورا .. ٣١٣

أشف الوجع ما أبكى العيون ... ٣١٣

شوق كما رفعت نار على علم ... ٣١٤

جماله كرياض جاورت نهرا .. ٣١٦

عداوة لا لكفك من قدّم ... ٣١٦

سترت مشيبي بالخضاب تعللا ... ٣١٦

لا بد من ميل إلى جهة فلا ... ٣١٦

لا تمجروا للمرئ يجهل قدره .. ٣١٦

أرى المتعلمين عليك أعداء ... ٣١٦

يصنع الناس صاحب الجاه فيهم .. ٣١٦

يا من اشبع قد أسن وقد عفا .. ٣١٧

الله أكبر في منار الجامع ... ٣١٧

زر غريبا بمقره ... ٣٢٤

محمد بن أحمد بن داود اليكبي

لقد حاز أصاب الحديث وأهله .. ٦٢

عليك بالصبر وكن راضيا ... ٦٢

محمد بن أحمد بن عبد الله الططار

دعاني على طول البعاد هواها .. ١٨٦

صفحة

- محمد بن أحمد بن محمد بن الأكلحل
راجوتك بعد الله يا خير منجد... ٢٠٥
- محمد بن أحمد بن المناهل المبدى
عمادى ملاذى مويل وموئل... ٢١٨
- محمد بن أحمد بن يوسف العراقي
عبيد بباب العلا واقف... ٢٦٩
- محمد بن سعيد بن خلف بن عماد بن ياسر
العنسى
- ما بين زينب عمرى... ٢١٦
- يا هذه لا تروى... ٢١٦
- فخرنا بالحديث بعد القديم... ٢١٧
- محمد عبد الرحمن بن عبد السلام الغساني
الشعب م قبيلة وعامرة... ١٧٥
- محمد بن عبد الرحمن الكاتب
شكوت فاضى المجد برج شكاته... ٢١٢
- محمد بن عبد الله اللوشى
ويوم نعى الناس شهاب المحامد... ٠٣٧
- محمد بن عبد الملك بن سعيد بن عماد بن ياسر
فلا تظهرن ما كان فى الصدر كامنا... ٢١٤
- محمد بن على بن محمد المبدى
أما القرام فلم أخلل بمذهبه... ٩٩
- آيات حسنك حجة للقال... ١٠١
- فديتك صاحب السمة المليحة... ١٠٢
- محمد بن على بن هانيء السبتي
لولا مشيب بقودى للفؤاد عصا... ١٤٥
- غنيت في دون غيرى الدهر عن مثل... ١٤٦
- يا أوحده الأدبا يا أوحده الفضلا... ١٤٧
- محمد بن على بن يوسف السكونى
يا من عليه اعتادى... ١٨١
- أمن بعد ما لاح الشيب بمفرق... ١٨١
- محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري
ي من به أبدا عرفت ومن أنا... ١٩٩
- محمد بن محمد بن إبراهيم الشربشى
في شادن أميت مهمى اتنى... ١٦٧
- يا أجل الناس ومن غدت... ١٦٨...
- محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري
أوى الكلاب بستم الناس قد ظلمت... ٢٧٤
- محمد بن محمد بن إدريس... القصصى
علاه رياض أورت مجاهد... ٧٧٠...
- أطلع بأفق الراح كأس الراح... ٧٧٠...
- محمد بن محمد البدوى
خال على خدك أم عنبر... ٨٢٠...
- عيناي تفهم من عينيك أسرار... ٨٢
- أيها الظي ترفق... ٨٣
- أمولاي بالباب ذو فقة... ٨٣
- المجد تخبر عن صدق مآثره... ٨٤
- محمد بن محمد البركى
يا غاديا في غفلة ورايح... ٢٣٢
- محمد بن محمد بن حسان النافقى
لكم أياذ لكم أياذ... ٢٠٨
- أضحي الزمان بأضحى وهو مبتم... ٢٠٨
- محمد بن محمد بن عبد الواحد البلى
إلى أجرنى إنى لك تايب... ٢٢٠
- جنى الخلافة فتحت لك بابها... ٢٢١
- محمد بن محمد العراقي
أصمت ألفا ثم أنطق بالخلف... ٢٢٥
- محمد بن محمد التنهرى الضمير
سلام كرشح الطل في مبهم الورد... ٣٢
- محمد المكوذى
غرامى فيك جل عن قتياس... ١٨
- بعثت بخر فيه ماء وإنما... ١٨
- رحاك في فلقد خلدت في حلدى... ١٩
- محمد بن يحيى بن عبد الله المزلى
أفديك يا ديج الصبا... ١٢

صفحة

صفحة

- موسى بن يوسف .. بن يعمراس بن ذيلان
تذكرت أطلال الربوع الطواسم . ٢٨٨
نزهون بنت القليم،
حللت أبا بكر محلا منته ... ٣٤٥
ما كتب نظما على قبر السلطان نصر
يا قبر جاد ثراك صوب غمام . ٣٤٢
ما كتب نظما على قبر الرئيس ابي محمد بن
شقيقة
قبر عزيز علينا ٣٧٨

صفحة

- وليت يقياس أمور القضا ... ١٢
دع عنك قول عواذل زوشاة .. ١٣
إذا لم ألق نحر نجد وصولا ... ١٤
منصور بن علي بن عبد الله الزواوي
يحبيك عن بعض المنازل صاحب ٣٢٩
يا من وجدناه لفظا ... ٣٢٩
منصور بن عمر .. بن عبد الحق بن معيو
سوف نثال المني ونرقى ٢٩٩

فهرست الكتب والرسائل

التي ورد ذكرها خلال الكتاب

إملاء نوايد الدول في ابتداء مقاصد الجبل ٩٤

أنس الفريد ١٧٣

إنشاد الضوال وإرشاد السوال في لحن العامة ؛

١٤٥

أنماط السابل في العروض ، ٥٨٧

ب - ث

البحر المحيط ؛ ٤٥

البردة ؛ ٥٠٧

بغية السالك في أشرف المسالك ؛ ١٩٣

بهجة الأنفس ودروسة الأنس ؛ ٣٤٦

بهجة الأنوار ؛ ١٣٣

البيان في حقيقة الإيمان ؛ ٢٦٦

التاج المحل ؛ ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ٤٤٢١

٤٤٥ ، ٥٢٧ .

تاريخ علماء البصرة ، ١٧٧ .

تاريخ مائة ، لابن عسكر ؛ ٦٤

تاريخ مائة ، لإبي الحسن بن الحسن ؛ ١٩٣

التجر الربيع في شرح الجامع الصحيح ؛ ١٩٣

تجوير نظم الجنان في تفسير أم القرآن ؛ ٩٣

تحفة المتوسل في صنعة الطب ؛ ١٧٩

تمهيد الفوائد ؛ ٤٥ - ٧٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤

تصنيف في الفرائض ؛ ٣٦٠

تفسير القرآن ؛ ١٧٣

تقريب الوصول إلى علم الأصول ؛ ٢١ ، ٣٩٣

تقييد في المنطق لابن خلدون ؛ ٥٠٧

التكلم والتبوية ، في إعراب البسملة والتعليلية ؛

٩٤

التنبيه على مذهب الشافعية والخفية والتحليلية ؛

٢١

التهذيب لابن بشر ؛ ٣١ ، ١٣٢

الإحاديث الأريعون بما يتتبع به القارئون

والسامعون ٩٤ ؛

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٣ - ٦

الأحكام السلطانية ؛ ٥٤٣

الإختيار على مذاهب الأئمة الأخيار ؛ ١٦٦

الأريعون حديثاً ، ١٦٥ ، ١٧٧

الأصول إلى معرفة الله وبنوة الرسول ؛ ١٦٦

الإكامل الزاهر فيمن فصل عنه نظم الجواهر ؛

١١ ، ١٤٣ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ٣٨٨

الأنوار السنية في الكلمات السنية ؛ ٢١ ، ٣٩٣

الإيضاح والبيان في الكلام على القرآن ؛ ١٦٦

أجوبة الإقتناع والإحساب في مشكلات الكتاب ؛

٩٤

أرجوزة في العروض ، ٣٠٧

أرجوزة في شرح كتاب الفصيح ؛ ٧٦

إرشاد السالك في بيان إسناد زياد عن

مالك ؛ ٩٤

إرشاد المسائل لمنهج الوسائل ؛ ١٩٣

أزهار الرياض في أخبار عياض ؛ ٢٣

استهواء النج في تحريم اللعب بالشطرنج ؛ ٩٤

أشعة الأنوار في الكشف عن ثمرات الأفكار ؛

١٩٣

أصول القراءة الستة غير نافع ؛ ٢٢

إعلان المحبة في بيان رسوم المحبة ؛ ٢٤١

أعمال الأعلام ؛ ؛

اقتباس الأنوار ، للرشاطي ؛ ١٧٥

إنقاذ الطلبة النبهة في اجتماع البسملة القراء ؛

٩٤

ثورة المرطين ٦٠٠

ج - ز

الجامع للترمذي ٣٩٢

جلوة الاقتباس ٣

جزء على حديث جبريل ٣٦٠

الجهاد الأكبر ١٧٩

جواب البيان على مصارعة أهل الزمان ٩٤

الجوابات المجتمعة عن السؤالات الممنوعة ٩٤

الجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين

بلاد الروم ٩٤

حلبة الأسانيد وبغية التلاميذ ٣٩٣

حلية النبيل في معارضة ما في السبيل ٤٧٩

حياة القلوب ١٧٣

الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار ٤

٢١

الدرر في اختصار الطرر ١٣٢

الدرة المكنونة في محاسن إسطنبول ٧٦

ذيل تاريخ مالقة ١٩٣

الذيل والتكلة لكتابي الموصول والصلة ٤

١٧٦ ، ٣

رجز في أصول الفقه ٥٠٧

رجز الدول ٢٩٢

رجز في الزجر والقال ٥٢٨

رسالة ابن أبي زيد القيرواني ١٣٢ ،

١٣٣ ، ١٩٨ ، ٣٩٤

رسالة الشعوبية لابن غرسية ٢٢٩

رسالة طراد الجهاد في الميدان ، في تفضيل

مرسية على غيرها من البلدان ٣٥٤

الرمي بالخصا ٣٠٧

الروض الآنف والمشرع الروا ، فيما اشتمل

عليه كتاب السيرة واحتوى ٤٧٩

روضة الأنس ونزهة النفس ٣٦١ ، ٣٧٣

زاد المسافر ٣٥٠

الزيج القويم ٧٠

س - ط

سح مزنة الانتخاب في شرح خطبة الكتاب ٩٤٤

السر المذاع في تفضيل غرناطة على كثير من

البقاع ١٦١

سلك المنخل لمالك بن المرحل ٣٠٧

سنن أبي داود ٣٩٣

الشافى في تجربة ما وقع من الخلاف بين

التيسير والتبصرة والكافي ٤٠٣

الشجرة في الأنساب ١٧٧

شرح البخارى ٣٠٣

شرح التيسير لابن مالك ١٤٤

شرح العمدة ، لابن دقيق العيد ٣٩٤

شرح مشكل ما وقع في الموطأ وصحيح

البخارى ١٦٦

التعريف والإعلام بما أهم في القرآن من أسماء

الأعلام ، ٤٧٩

شعر من لا شعر له ٦٢ ، ٨٩

الشهاب للقضاى ١٧٥ ، ١٩٨

صحيح البخارى ، ٩٠ ، ٣٩٢

صحيح مسلم ٣٩٢

الصدور والمطالع ٣٠٦

صلاة الصلة ٣ ، ٤٢ ، ١٥٥ ، ١٧٦

صنعة الشعر : ٣٦٠

الطالع السعيد في تاريخ بنى سديد ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٤٥٦

طرفة العصر في تاريخ دولة بنى نصر ، ٣٣٤ ،

٣٣٨ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣ ، ٤٧٣

ع - ك

عايد الصلة ٣٣ ، ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٦ ،

٦٨ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١٣٥ ،

كتاب التفريع والقروع ٤٨٤ ؛
 كتاب التلقين ٣٩٤ ؛
 كتاب التيسير لأبي عمرو اندلسي ٣٩٣ ؛
 كتاب الجامع ٥٥١ ؛
 كتاب الجمل ٣٦ ؛ ٧٢ ، ٨٦ ، ٣٩٤ ؛
 ٤٨٣
 كتاب الجواهر والأربعين ٢٦٥ ؛
 كتاب الجواهر الثمينة ٢٩٤ ، ٦٤ ؛
 كتاب الحكم والعدل بالحوارج ٥٥١ ؛
 كتاب الحيوان والخواص ٧٠ ؛
 الكتاب الخزائني ٢٤٦ ؛
 كتاب الدلالة في إثبات النبوة والرسالة ٣٩٣ ؛
 كتاب الرحلة لصفوان ٣٥٠ ؛
 كتاب الرهون والحدثان ٥٥٠ ؛
 كتاب السنن للنسائي ٢٩٣ ؛
 كتاب سيبويه ٧٦ ؛ ٩٠ ، ١٣٣ ، ٣٩٣ ؛
 ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٤٢ ؛
 كتاب الشفالعياض ١٢٦ ؛ ١٢٧ ، ٣٩٣ ؛
 ٣٩٤
 كتاب الشايل للترمذي ٣٩٣ ؛
 كتاب الصلة ٢٩٩ ، ٤١٦ ؛
 كتاب الفرائض ٥٥١ ؛
 كتاب الكافي لابن شريح ٣٩٣ ؛
 كتاب الحجة ٢٥٨ ، ٤٥٥ ؛
 كتاب الممرج للحاتمي ٢٥٨ ؛
 كتاب المقدمات ٩٠ ؛
 كتاب ميزان العمل ٢٦٥ ؛
 الكتاب المزمع على أدباء أبناء زمن ١٩٥ ؛
 كتاب الذهب ٤٤٣ ، ٥٥١ ؛
 الكراس المرسوم بالمباحث البدئية في مقتضى
 الأمر من الشريعة ٤٤٨ ؛
 ل — ي
 المراتب والرجاء ١ ؛ ٣٠

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧١ ؛
 ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ؛
 ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧١ ، ٢٨١ ؛
 ٥٤٧
 عجلة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من
 المشايخ دون من أجاز ١٥٥ ؛
 العدة في الحديث ٣٩٤ ؛
 غرائب النجب في رغبات الشعب ١٩٣ ؛
 الغرر في تكيل الطرر ١٣٢ ؛
 النرة الطالعة في شعراء المائة السابعة ١٤٥ ؛
 غنية الخطيب بالاختصار والتقريب ١٩٣ ؛
 الفتق والرتق في أسرار حكمة الشرق ٢٥٨ ؛
 فصيح ثعلب ١٩٨ ؛
 فضائل القرآن ١٧٧ ؛
 الفوائد العامة في لحن العامة ٢٢ ؛
 الفیصل المتقضى المهزوز في الرد على من أنكر
 صيام النوروز ٩٤ ؛
 القصيدة الخزرجية ٣٩٣ ؛
 قطع السلوك ٣٣٧ ، ٤٧١ ؛
 قمع اليهودي عن تعدى الخبوء ١٧٩ ؛
 القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ؛
 ٢١
 قوت المقيم ١٤٥ ؛
 كتاب ابن الحاجب ٣٢٧ ، ٣٩٤ ؛
 كتاب الأحكام لابن العربي ٣٩٤ ، ٥٤٣ ؛
 كتاب الأعرار ١٩٣ ؛
 كتاب إعراب القرآن ٥٥١ ؛
 كتاب الإيضاح ٣٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٦ ؛
 ٣٩٤ ، ٣٩٣
 كتاب البيان والتحصيل ٩٠ ؛
 كتاب التاج للجوهري ١٣٣ ؛
 كتاب التحرير في أسماء الله الحسنى ٢٣١ ؛
 كتاب التحصيل والتفقيح ٣٩٤ ؛

- المبدى لخطام الرندى ٤٠٨ ٤
 المختص لابن جنى ٥٤٣ ٥
 محصل الإمام فخر الدين الرازى ٥٠٧ ٤
 المختصر البارع فى قراءة نافع ٢٢ ٤
 مختصر الفيلسوف ١٣٢ ٤
 المدونة للإمام مالك ٣٩٤ ، ٤٣٨ ٤
 مستصن أبى حامد ٤١٦ ٤
 المسبب فى غرائب المغرب ٢١٤ ، ٤٣٣ ٤
 مشارق الأنوار ٤٢ ٤
 مشاهد الأفكار فى مآخذ النظر ٨٦ ٤
 المشتغل فى أسول الوثائق ١٧٣ ٤
 المشرع السلس فى الحديث الملسل ٣٩٣ ٤
 المعانى المبتكرة الفكرية فى ترتيب المعالم
 الفقهية ٥٤٨ ٤
 المعشرات الحبية للفازازى ٥١٩ ٤
 المعشرات الزهدية للفازازى ٥١٨ ٤
 المغرب فى اختصار المدونة ١٧٣ ٤
 مفيضان الأفكار فيما تحوى عليه مدينة الفرج
 من النظم والنثر والاختبار ٤٣٢ ٤
 المقتبس لابن حيان ٣٤٨ ٤
 المقصورة لحازم ٣٩٤ ٤
 مقامات الحريرى ٨٦ ، ٥٦١ ٤
 ملاحن ابن دريد ٧٦ ٤
 ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين
 الكريمتين إلى مكة وطيبة ١٣٧ ٤
 المجتمع فى تهذيب المقنع ٦١ ٤
 منازل السارى إلى الله ٢٣٧ ٤
- مناسك الحج ١٩٣ ٤
 منتخب الأحكام ١٧٣ ٤
 منظوم الدرر فى شرح كتاب المختصر ٩٤ ٥
 المهذب فى تفسير الموطأ ١٧٣ ٤
 منهج الضوابط المقسمة فى شرح توافير
 المقدمة ٩٤ ٤
 المنوطة فى الفقه ٤٠٥ ٤
 الموطأ لمالك ٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ٤
 الموطأ ٣٠٧ ٤
 ناسخ القرآن ومنسوخه ٥٤٣ ٤
 نحو اللغة الفارسية ٢٦٨ ٤
 النصائح المنظومة ١٧٣ ٤
 نصيح المقالة فى شرح الرسالة ٩٤ ٤
 نظم سلك الجواهر فى جيد معارف الصدور
 والأكابر ١٩٣ ٤
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٣ ٤
 النسخة القدسية ١٩٣ ٤
 النسخة الأرجية فى الغزوة المرضية ١٨٥ ٤
 التكت والامال فى الرد على الغزالي ١٦٦ ٤
 النور المبين فى قواعد عقايد الدين ٢٢ ٤
 واسعة السالك فى سياسة الملوك ٢٨٧ ٤
 الواضحة ٣٢٧ ٤
 الوافى فى علم القوافى ٣٦٠ ٤
 الوجيز فى التفسير ٥٤٠ ٤
 وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم ٢١ ٤
 ٣٩٣
 وصف السلوك إلى ملك الملوك ٢٥٨ ٤

فهرست القبائل والطوائف والدول

صنهاجة ، الصنهاجية ٢٩٧ ، ٤٦٧	الأشعرية ٨٠ ، ١٦٥ ، ٢٦٦
الصفوية ١٧٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧	آل البيت ٣٥٩
الظاهرية ٤١٦	البربر ٤٧٤
عرب النقبلة ٢٨٧	البشكنس ٤٣٤
الفرنجية ٢٨٥ ، ٢٨٦	بنو إشقيلولة ٣٥٩
قريش ٢٨٠	بنو أمية ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧١
قنسين ٤٧٠	بنو برزال ٢٩٩
المترونيون ٣٠٠	بنو الخطيب ٣٨٧
المكلمون ٢٦٦	بنو زيان ٣٣٨ ، ٤٦١ ، ٥٣٤
المسلمون ٦٨ ، ٤٠٤	بنو العباس ٤٦٨
مضر ٢٢٩	بنو عبد الواد ٣٣٦ ، ٤٦١
المتزلة ٢٦٦	بنو مرين ٥٣٤
مارك الطوائف ٤٦٧	بنو نصر ٤٧٦
النصارى ٦٨ ، ٢٨٥ ، ٤٠٤	بنو بوزير ٣٨٦
نفزة ، قبيلة ٤٦٩	الحشوية ٢٦٦
المهاجرة - مسكرة ٤٣٣	ربيعة ٢٢٩
الموحدين ٥٣٥ ، ٥٧١	الدولة النصرية ٣٤٣
اليهود ٦٨ ، ٤٠٢ ، ٥٢٩	الروم ٣٠٠ ، ٣٣٥ ، ٤٨٣ ، ٥٣١
	زناتة ٤٦٩

مهرست البلدان والأماكن

٤٨٢ ، ٤٩٩ ، ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ،
٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٤٧ ،
أليسانة ؛ ٢٩٩

ب - ث

باب البيرة ؛ ٣١ ، ٢٧٣
باب الشريعة ؛ ١٣
باب الصفا ؛ ١٣٦
باب الفتوح ؛ ١٣ ، ١٤٣
باب قشتالة ؛ ٢٤٢
باديس ؛ ١٣٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
باغة ؛ ٥٢٧
بيشتر ؛ ٢٧٩
بحانة ؛ ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٩
بحاية ؛ ٧٠ ، ١٠٦ ، ١٥٧ ، ٢٤٠ ،
٢٧٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧ ، ٤٦٦ ،
٥١٦ ، ٥٤٨
بحر الزقاق ؛ ١٣٣
بسطة ؛ ٦١ ، ٢١٩ ، ٤١٤ ، ٤٦٦
بسقاية ؛ ٤٣٤
بسكرة ؛ ٥١٦
البشارة ، البشرات ؛ ١٦٨ ، ٣٠٦ ،
٤٦٦ ، ٥٣٨
بغليوس ؛ ٢٢٦
بلاد الجربد ؛ ٤٨٤
بلاد السودان ؛ ٢٧٤
بلد الدجن ؛ ١٨
بلنج ؛ ٤١٩
البلد الحديد ؛ ٥٣١
بلش معلقة ؛ ٦١ ، ٦٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ،
٩٧ ، ١٣٢ ، ١٦٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ،
٤٢١

آخشارش ؛ ٤٠٤
أرشدونة ؛ ٤٥٩
أركش ؛ ٩١
إسطبونة ؛ ٧٥
الإسكندرية ؛ ٢٢٨
إشبيلية ؛ ٤٣ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٥٦ ،
١٨٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٧٥ ، ٣٨٧ ،
٤٠٧ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٣٠ ، ٤٩٧ ،
٥٢٤ ، ٥٢٥
إطرابلس ؛ ٣٣٧
إفريقية ؛ ٢٥ ، ١٣٦ ، ٤٨٢ ، ٤٩١ ،
٥٤٧ ، ٥٣٥
إلبيرة ؛ ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ٢٧٩ ،
٣٠٢ ، ٣٤٩ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ،
٥٥٠ ، ٥٢٩
ألمرية ؛ ٢٤ ، ٦١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٨٦ ،
١٨٧ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٣٣٩ ،
٣٩٣ ، ٤١٦ ، ٤٢٩ ، ٤٧٧ ، ٥٧٣ ،
٥٣٦ ، ٥٧١
أندرش ؛ ٢٠٩
الأندلس ؛ ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٠ ، ١٤٤ ،
٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١١ ،
١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ،
١٥٥ - ١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ١٩٠ ،
١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢٢٧ ، ٢٤٦ ،
٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ،
٢٧٣ ، ٢٩٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ،
٣٣٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٦ - ٣٤٨ ، ٣٦٠ ،
٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٤٣ ،
٤٦١ ، ٤٦٦ - ٤٧٥ ، ٤٧٦ ،

جبل فاره ؟ ٢٤٢
 الجزائر ؟ ١٠٦ ، ١٩١ ، ٥٣٤
 الجزيرة الخضراء ؟ ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ،
 ١٣١ ، ١٨٤ ، ٢٧٧ ، ٣٣٩
 جيان ؟ ٢٠٤ ، ٣٣٩ ، ٣٥٩ ، ٥٤١ ، ٥٧٠
 الحجاز ؟ ١٠٠ ، ٥٢٦
 الحرم ؟ ١٠٦
 حصن أركش ؟ ٩٥
 حصن أريول ؟ ٣٤٢
 حصن أشكر ؟ ٢٠٦
 حصن رومة ؟ ٢٥٧ ، ٤٣٣
 حصن شقشقر ؟ ٤٦٧
 حصن القبيذاق ؟ ٣٣٩
 حصن قسطنطين ؟ ٢٧٥
 حصن المتلون ؟ ٤٦٥
 حصن يبر ؟ ٧٨
 حصون البراجلة ؟ ٢٠
 الحمراء ؟ ٣٥ ، ١٠٧ ، ٢١٨ ، ٣٠٦ ،
 ٣٤٠
 الحمة ؟ ٩٦ ، ٩٧
 حوز مؤمل ؟ ٣٣٣
 د - ز
 دار الحديث الأشرقية ؟ ١٣٨
 دار الرخام ؟ ٢١٥
 دار الصناعة السلطانية ؟ ٢٨
 دار الكتب التونسية ؟ ٣
 دمشق ؟ ١٣٨ ، ٥٢٤
 رباط العقاب ؟ ٣٢٩
 الربض ؟ ٣٨٦
 ربض البيازين ؟ ٣٤٠
 ربض الفخارين ؟ ٢٣١
 رندة ؟ ٥٩ ، ٢٥٢ ، ٣٦٥ ، ٤٠٢ ،
 ٤١٨ ، ٤١١

بلنسية ؟ ٧٢ ، ٢٩٢ ، ٤١٦
 بونة ؟ ٢٥٤
 بياسة ؟ ٢٣١ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤
 بين القصرين ؟ ٤٥٤
 بيرة ؟ ٢١٨ ، ٤١١ ، ٥٤٩
 قاجرة-الجلل ؟ ٥٢٤
 قديمير ؟ ٥٢٩
 قلسمان : ١٨ ، ٧٣ ، ١٠٦ ، ١٣٠ ،
 ١٩٨ ، ٢٦٩ ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ ،
 ٣٣٨ ، ٤٤٤ ، ٤٦٣ ، ٥٣٠ ،
 ٥٣١ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧
 تونس ؟ ٤٤ ، ٨٢ ، ١٠٦ ، ١٦٣ ،
 ٢٠٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٢٦ ،
 ٣٣٧ ، ٤١٤ ، ٤٤٤ ، ٥١٦ ، ٥٣٥
 تيزي - قازي ؟ ١٣٥ ، ٣٣٦ ، ٥٣٢ ،
 ٥٣٦
 الثغر ؟ ٢٨١ ، ٤٣٢

ج - ح

جامع بجاية ؟ ٤٠٢
 جامع البصرة ؟ ٢٨٢
 جامع الجزيرة ؟ ٢٧٠
 جامع الربض ؟ ٧٨ ، ٤٠٠
 جامع الزيتونة ؟ ٣
 جامع غرناطة : ١٣١ ، ١٣٧ ، ٢٠٠ ،
 ٢١٥ ، ٤٦٣ ، ٥٢٤
 جامع قصبة وادي آش ؟ ٣٤١ ، ٥٦٠
 جامع مالقة ؟ ٦٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٨ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٥٢
 جبانة جبل فاره ، ٢٤٢
 جبانة الشيوخ ؟ ٤٨١ ، ٥٢٢
 جبل شلير ؟ ٤٢٥
 جبل طارق-جبل الفتح ؟ ١٤٤ ، ١٥٢ ،
 ١٥٦ ، ٣٣٩

الزواب ١٠٦

الزقاق الغربي ٤٤٥

س-غ

سبتة ٢٧-٢٩-٤٣ ٨٩ ٧٩ ٤٣

٩٢ ٩٣ ٩٦ ٩٧ ١٣٢-١٣٧

١٤٣ ١٥٧ ١٨٥ ١٩٩

٢٥٠ ٢٥١ ٢٧٧ ٣٠٤

٣١٥ ٣٣٦ ٣٨٤-٤٠١

٤١٥ ٤١٦ ٤١٩ ٥٢٣

٥٣٧

سجلماسة ٥٣٠ ٥٣٢ ٥٣٣

سرقسطة ٧٢ ٢٨١ ٢٨٦

سلا ١٢٧ ٢١٤ ٤١٦ ٤٥٢

٥٣١

السند ٢٧٣

سبيل ٢٧٦

شاطبة ٤١٦

شالشي ٥٤٨

الشام ٢٣٥ ٢٧٣ ٣٤٦

شنونة ٢٧٩

شرق الأندلس ٢١٢ ٤٣٩

شريس ٩٢ ٩٥ ٤١٨

شقورة ١٧٧

شكيب (غرناطة) ٥٢٤

شلب ٤٣٢

شلوبانية ٥٣٤

شنطية ٤٥٨

صحراء القبلة ٥٣٢

الصين ٢٧٣

طخشارش ١٦٢

طرش ١٨٣

طرطوشة ٥٢٤

مردوف ١٣٣

طريف - كايبة ٢٣ ٦٥ ٣٨٩

٢٩١ ٤٤٠

طليطلة ٢٠٧ ٣٨٦ ٤٠٤

طنجة ٢٧٣ ٣٣٦

العدوة ١١ ٣٦ ٦٠ ٨٩ ١٣٦

١٥٦ ١٥٧ ١٦٢ ١٦٩

١٨٠ ١٨٨ ١٩٦ ٢٢٥

٢٢٧ ٢٢٩ ٢٤٦ ٢٥٦

٢٧٣ ٢٦٩ ٤٧٤ ٥٢٣

٥٣٥

المراق ١٨٤ ٢٧٣

المعشاة قرية ٥٣٦

غرب الأندلس ٤٢٧ ٤٣٩ ٤٤٢

غرناطة ٢٣ ٢٧ ٢٨ ٣١ ٣٣

٣٧ ٣٨ ٤١ ٤٣ ٤٥ ٥٩

٦١ ٦٦ ٦٧ ٦٩ ٧٠

٧٢ ٧٤ ٧٥ ٧٧ ٨١ ٨٥

٨٦ ٨٩ ٩٢ ٩٣ ٩٧ ١٠٣

١٠٤ ١٠٦ ١٣١ ١٣٢ ١٣٢

١٣٥ ١٣٧ ١٥٢ ١٥٦ ١٦٠

١٦٣ ١٦٤ ١٦٨ ١٧٢ ١٧٥

١٨٠ ١٨٢ ١٨٥ ١٨٦ ١٩٠ ١٩٣

٢٠٠ ٢٠٤ ٢٠٧ ٢١٥ ٢٢٨

٢٣٥ ٢٤٩ ٢٥٧ ٢٦٨ ٢٧٧

٢٧٩ ٢٨٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٣٠٤ ٣٣٣

٣٠٦ ٣٢٩ ٣٣٣ ٣٤٠ ٣٤٤ ٣٤٤

٣٤٨ ٣٥٩ ٣٦١ ٣٧٩ ٣٨٠

٣٨٥ ٣٨٧ ٣٩١ ٣٩٣ ٣٩٩

٤٠١ ٤٠٥ ٤٠٧ ٤١١ ٤١٥

٤١٧ ٤١٨ ٤٢٠ ٤٣٣ ٤٣٩

٤٤٤ ٤٥٦ ٤٧٩ ٤٨١ ٤٨٢

٤٩٩ ٥١٧ ٥١٨ ٥٢٤ ٥٢٥

٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣٣ ٥٣٦ ٥٤١

٥٤٨

قمارش ؟ ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٥٧

قورت ؟ ٥٤٨

القيروان ؟ ٤٤٣ ، ٤٦٨

الكبة ؟ ١٣٦٤

كنيسة قسطنطينية المنطى ؟ ٢٧٣

كورة جيان ؟ ٤٦٥ ، ٤٦٦

كورة ويه ؟ ٤٥٩ ، ٥٢٩

الكوفة ؟ ٣٤٥ ، ٣٤٦

ل - م

ليلة ؟ ٩١

لورقة ؟ ٥٤١

لوشة ؟ ٢٠١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٧٧ ،

٢٧٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٥٢٤ ، ٥٢٧

القريات ؟ ٢٧٩

مالقة ؟ ٤٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٤

٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥

٩٧ ، ١٣٠ - ١٣٢ ، ١٥٦ ، ١٨٢

١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢

٢٢٦ - ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩

٢٤٥ - ٢٤٧ ، ٢٧٦ ، ٣٠٤

٣٥٥ ، ٣٤٥ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢

٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ، ٤١١

٤١٦ - ٤١٩ ، ٤٤١ - ٤٤٣ ، ٤٥٦

٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٧٨ ، ٥٢٩

٥٥٤ ، ٥٦١

المدرسة الصالحية ؟ ٤٥

المدرسة النصرية ؟ ٣٦ ، ٧٩ ، ٣٢٥

المدينة ؟ ١٠٥

مدينة شقر ؟ ٥٤١

مدينة الفرج ؟ أنظر وادى الحجاره .

مراكش ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٨٠ ، ٢٠٢ ،

٢١١ ، ٢١٤ ، ٣٥٩ ، ٣٨١ ، ٤٥٧

ف - ك

فاس ، ١٧ ، ٤٣ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ١٠٧ ،

١١١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ،

١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٩٩ ،

٢١٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٥ ،

٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٨٢ ، ٥٠٧ ، ٥٣١ ،

٥٣٣

فحص غرناطة ؟ ٤١٩

فرقد ؟ ٤٨١

القاهرة ؟ ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٧٨

قربليان ؟ ١٨٠

قرطبة ؟ ٤٣ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ٢٧٥ ،

٣٣٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ،

٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٦ - ٤٧٠ ،

٥٢٤ ، ٥٥٠

قرمونة ؟ ٥٣٧

قرية الحيط ؟ ٢٣٦

قرية قنب قيس ؟ ١٧٦

قرية قنبجة ؟ ٢٣٦

قرية نبله ؟ ٢٧٣

القسطنطينية ؟ ٢٧٣

قسطنطينة الهواء ؟ ٢٢٥ ، ٥٢٦

قشالة ؟ ٣٣٨

قصبه أركش ؟ ٩٥

قصبه سبتة ؟ ٣٨٤

القصبه القديمه ؟ ٢٣١

قصر إلسية ؟ ٢٩٣

قصر عبد الكريم ؟ ٣٧٩

قصر كتامة ؟ ٣٧٧ ، ٣٧٨

قلعة أيوب ؟ ٤٥٥

قلعة غرناطة ؟ ٣٤٠

قلعة يحصب ؟ ٢١٥ ، ٤٣٣ ، ٥٧٠

مقبرة باب الحيرة : ٤٦٤ ، ٥٢٥ ، ٥٤٨ ،
 مقبرة تاغزوت : ٨٨
 مقبرة السبيكة : ٣٤١
 مقبرة فاس : ٣٢٤
 مكتبة الإسكوريال : ٣ ، ٥
 المكتبة الزيدانية : ٣ ، ٥
 مكتبة : ٩٧ ، ٥٣٢
 مكة : ١٠٥ ، ١٩٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦
 الملاحة : ١٧٦
 ملتماس : ٦٥
 المنكب : ٣٧٧ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ ، ٤٣٧ ،
 ٤٦٩
 موقعة ثقفنة : ٣٤٨
 ميورقة : ٤١٦
 قاجرة : ٤٦٦

أ - ح

الهند : ٢٧٣
 وادي آس : ١٨٠ ، ١٩٤ ، ٢١١ ، ٢١٦ ،
 ٢١٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،
 ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٤٨٢ ، ٥٤١ ،
 ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٧
 وادي الحجارة : ٣٠٤ ، ٤٣٢
 وادي شنجيل : ٢١١
 واقعة الخندق : ٤٦٦
 وقيعة الربض : ٣٨٦
 وقيعة العناون : ٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ ،
 ١٨٧ ، ٢٤٢
 وقيعة العقاب : ٧٤
 العين : ٢٧٣

٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٥٢٢
 مربلة : ٢٧٧
 مرسية : ٦١ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ١٧٥ ، ٧٨ ،
 ٢٣١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٤٠٠ ،
 ٤١٥ - ٤١٧ ، ٤٨٢ ، ٥٧١
 المستخلص : ٢١١ ، ٢٣٣
 مسجد البيازين : ٢٥
 مسجد الجزيرة الخضراء : ١٨٤ ، ٢٧٠
 المسجد الحرام : ١٥٧
 مسجد الرايات : ١٣١
 مسجد الصواع : ١٩١
 مسجد قرطبة : ٥٤٩
 مسجد قصبة الحمراء : ١٦٨
 المسجد النبوي : ١٠٥
 المشايخ : ٣٨٥
 المشرق : ٤٧ ، ٦١ ، ٧٥ ، ١٣٦ ،
 ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٤ ،
 ٢٠٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ،
 ٢٧٣ ، ٣٣٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ،
 ٤١٤ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٥٤٩
 مصر : ٤٣ ، ١٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٩ ،
 ٢٧٣ ، ٤٠٢
 المغرب : ٣٦ ، ٤٢ ، ٦١ ، ٧٨ ، ١١٨ ،
 ١٣١ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ،
 ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٧٧ ،
 ٣٧٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٤٣ ،
 ٤٩٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣٥
 مقبرة أم سامة : ٥٥٢

فهرست الأعلام

٥٤٢ - ٤٨٢
 ابن بران : ٤٩٨
 ابن يشكوال : أبو القاسم : ١٧٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٦
 ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد الراقي :
 ٢٧٣
 ابن بَر : محمد بن سعد بن عبد الرحمن : ٣٩٩
 ١٣٦ - ٣٠٦ ، ٣٥٨ ، ٤١٨ ، ٤٧٩
 ٥٤٢ - ٥٨٣
 ابن بيتس العبدري : محمد بن محمد : ٢٧٩
 ابن جابر النوادي آشي : ٤٩٨
 ابن أحمد القهري : محمد بن عبد الله بن يحيى :
 ٨٩ ، ٣٦٠ ، ٤٠٧ ، ٥٤٢
 ابن حزي الكلبي : محمد بن أحمد بن محمد :
 ٢٠ ، ٦١ ، ١٩٨ ، ٥٦١
 ابن جزى الكلبي : عبد الله بن محمد بن أحمد :
 ٣٩٢
 ابن جرة الكنانى : محمد بن إبراهيم بن سعد :
 ١٠٦ ، ٤٠٢
 ابن جهور : ٤٧٩
 ابن أخاخ البلفيقي : أبو البركات : ٢٣٤ ، ٦٢ ،
 ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٧٣
 ٣٣٨ ، ٣٩٣ ، ٥٤٧ ، ٥٦١
 ابن الحنيفة : محمد بن عبد الله بن إبراهيم النيرى :
 ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٤٨
 ابن حرب : أبو عبد الله : ٣٦ ، ٨٩
 ٩٠ ، ١٤٤ ، ١٨٥ ، ٢٠١ ، ٢٥١
 ابن الحسين بن مجير : ٧٢
 ابن حسون : ٢٠٧
 ابن الحضر سبن : ٧٧
 ابن حفصون : ٤٦٦
 ابن حنبل : سبي قورنيجي : ٢٣٤
 ابن الحكيم : أبو عبد الله : ٧٦ ، ٧٧
 ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ٢٠٨ ، ٢٢٨

أ
 أبان بن عيسى بن دنير : ١٧٣
 إبراهيم بن أبي يحيى : ٤٤٤
 إبراهيم بن خالد : ٥٥٠
 إبراهيم بن زرزار اليهودي : ١٦٩
 إبراهيم بن شعيب : ٥٥٠
 إبراهيم بن محمد السبي : ٤٤٠
 إبراهيم بن محمد الطبري : ٢٤٧
 إبراهيم بن مسعود الآبلي المصري : ١٠٦
 إبراهيم بن مسعود أنلييري : ١٧٣ ، ٤٦٣
 ابن أبي السداد الباهلي : أبو محمد عبد الواحد :
 ٦٤ ، ٦٧ ، ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٨٩
 ١٩٤ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ ، ٤٤١ ، ٥٥٣
 ابن أبي الأحوص : أبو الخلد على : ٢١٩
 ١٨٥ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤١٢
 ابن أبي الأحوص : أبو علي : ٤٤٤ ، ٦١
 ٦٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٩ ، ٢٤٧ ، ٥٥٣
 ابن أبي جرة الأزدي : عبد الله بن محمد :
 ٤١٥
 ابن أبي خيشمة : ٣٣٢
 ابن أبي ريمانة المربلي : أبو الحجاج : ٢٤٥
 ٤١٩ ، ٥٥٣
 ابن أبي زمنين المري : عبد الله بن محمد بن
 عبد الرحمن : ١٧٢ ، ٤١٢
 ابن أبي زمنين المري : محمد بن إبراهيم بن
 عبد الله : ١٦٢ ، ١٧٧
 ابن أبي العافية : ٤٧٨
 ابن أبي العيش : أبو الحسن : ٢٤ ، ٩٧
 ابن أخت غانم : ٨٦ ، ٤٧٨
 ابن أرقم النيرى : ٨٩
 ابن أزرقي : ٢٨٦
 ابن الباذش : أبو جعفر : ٨٥ ، ٤٤٠

٤٠٢ ، ٤٤١

ابن الخلفاوى ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن ؛
٢٧١

ابن حمامة ، محمد بن أيوب ؛ ٤٠٤

ابن حيان ، أبو مروان ؛ ٢٧٩ ، ٢٨١ ،

٢٩٢ ، ٣٤٦

ابن الخطيب السلماني ، لسان الدين ؛ ٤

٥ ، ١١٠ ، ٢٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٨٠ ،

٥٧٧

ابن خلاد ؛ ٣٠٤

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن

الحسن بن جابر ؛ ٥٤ ، ٤٩٧

ابن خلصون ، محمد بن يوسف ؛ ٤٤ ، ٦٨ ،

٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤

ابن خيرة ؛ ٤٠٧

ابن الدباغ الإشبيلي ؛ ٦٨ ، ٣٠٥

ابن دراج القسطل ؛ ٢٨١ ، ٢٩٣

ابن دقيق العيد ، قتي الدين ؛ ١٥٦ ، ٢٠٢ ،

٤٠٢ ، ٤١٢

ابن ربيع الأشعري ؛ ٩٧

ابن رشد الحفيد ، أبو الوليد ، ٨٥ ، ٩٠ ،

١٧٤ ، ٢٦٦ ، ٣٤٩ ، ٤٨٢ ، ٥٠٧

ابن رشيد الفهرى ، محمد بن عمر ؛ ٢٤ ،

٢٨ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٩٠ ، ١١٢ ،

١٣٥ ، ١٦٠ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ،

٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٩ ، ٤٧٩ ،

ابن رضوان التجارى ؛ ٥٤ ، ٤٤٣ ، ٤٥٢ ،

٤٥٦

ابن الرقام ؛ ٦٩ ، ٣٣٤

ابن الرماحس ؛ ١٨٣ ، ١٨٤

ابن الرماك ، أبو العباس يوسف ؛ ٤٧٨

ابن الرمالية ، محمد بن جابر ؛ ٢٦٤

ابن روييل الأنصارى ؛ ١٦٠

ابن سابق ؛ ٧٣

ابن سارة البكرى ، عبد الله بن محمد ؛ ٤٣٩

٤٤١

ابن سبعين المكي ؛ ٣ ، ٥

ابن سيدبونة ، غالب بن حسين ؛ ٢٤

ابن شامس ، جلال الدين السعدى المصرى ؛ ٤

ابن الشاط ، قاسم بن عبد الله ؛ ٢١ ، ٣٦ ،

٨٩ ، ١٣٥ ، ١٥٧

ابن شاطر الجمحي ، أبو عبد الله ؛ ٢٦٩

ابن شعبة ، محمد بن محمد ؛ ٢١٩ ، ٢٢٣

ابن شقرال اللخمي ؛ ٢٣

ابن صاحب الصلاة ؛ ٢١٣

ابن صاف ؛ ٤٠٧

ابن صفوان القيسى ، محمد بن أحمد ؛ ٣٦

ابن صلتان ؛ ٧٢

ابن صناديد ، أبو عبد الله ؛ ٣٥٩

ابن الصيرفى ؛ ١٥٩ ، ٢٧٥ ، ٣٣١

٣٣٣ ، ٣٨٠ ، ٤٦٣ ، ٥٢٤

ابن عباد النفزى ، محمد بن يحيى بن إبراهيم

٤ ، ٢٥٢

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف ؛ ٤٦٣

ابن عبد الحق التلمسانى ؛ ٧٢

ابن عبد الملك المراكشى ؛ ٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٤

ابن عبد النور ، أبو جعفر أحمد ؛ ٤٣ ، ٨٩ ،

٢٢٤ ، ٢١٩

ابن عروس ، أبو عبد الله ؛ ٧٤ ، ١٧٧

٤٥٠ ، ٤٧٥

ابن عساكر جاد الله أبو اليمن ؛ ١٣٦

ابن عساكر ، أبو محمد بن هبة الله ؛ ١٦٤

٢٤٧

ابن عسكر المالح ، أبو عبد الله . ٣٠٥ و
 ٤٥٦
 ابن عطاء الله السكندري ، تاج الدين ؛ ٢٣٤ ،
 ٢٣٥
 ابن عمران الأنصاري ؛ ٤٤
 ابن عمرييل ؛ ١٨٣
 ابن عميرة الشهيد ؛ ٧١
 ابن عياش الأندلسي ؛ ٤٧٨
 ابن عيشون اللخمي ؛ ٦١ ، ٥٤٣
 ابن غرسية ، أبو عامر ؛ ٢٢٩
 ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ؛ ٣٢٤ ،
 ١٩٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ ، ٥١٨
 ابن الفخار ، محمد بن علي الحلواني ؛ ٣٥ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ٣٢٨
 ابن الفخار الجداي الشريشي ؛ ٩١ ، ٩٧ ،
 ٣٦٠
 ابن الفرات الحسني ؛ ٤٤
 ابن فرتون ، أبو القاسم خلف ؛ ٧١ ،
 ٩١ ، ١٦٥ ، ٢٥١
 ابن فرتون الأنصاري ، محمد بن عبد الله ؛
 ٢٢٦
 ابن فرح القيسي ؛ ٧١
 ابن الفرس ، عبد الرحيم ؛ ٤٣٣ ، ٤٧٩
 ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد بن عبد
 الرحيم الخزرجي ؛ ٧٤ ، ١٨٢ ، ٤٠٧ ،
 ٥٤٢
 ابن فرحون ؛ ٥٦١
 ابن الفرضي ؛ ٥٥٠
 ابن فركون القرشي ، أبو جعفر ؛ ٣٣٥ ،
 ٥٦١
 ابن الفصال ، عبد الرحمن بن إبراهيم ؛
 ٤٨٣ ، ٤٨٨
 ابن فطيس ، محمد ؛ ١٨٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،
 ٥٥٠
 ابن الفياض ؛ ٢٨٠
 ابن القاضي ؛ ٣
 ابن قترال ؛ ٧١
 ابن قطرال ، أبو الحسن ؛ ٤٧٢
 ابن قتيلة ؛ ٧١ ، ٤٧٨
 ابن القوطية ؛ ٣٤٦
 ابن الكناد ، أبو عبد الله ؛ ٢١٤ ، ٢٨ ، ٦٦ ،
 ٨٢ ، ٩٧ ، ١٥٧ ، ٣٩٣
 ابن مأمون الأنصاري ؛ ٧٠
 ابن المحروق محمد بن أحمد ؛ ٢٥
 ابن مدور ؛ ٢٨٦
 ابن المربع ، عبد الله إبراهيم الأزدي ؛ ٤٢١
 ابن مردنيش ، محمد بن سعد ؛ ٥٧٢
 ابن مرزوق المجيب ، محمد بن أحمد ؛ ٤ ،
 ٤٥ ، ١٠٣ ، ١٢٥
 ابن مسرة الجلي ؛ ٤٦٦
 ابن مسعدة ، أبو جعفر ؛ ٨٩ ، ١٩٢ ،
 ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٥٣٨
 ابن مفرج ؛ ٤٦٨
 ابن الملجوم ؛ ٩١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣
 ابن المؤبد الهنداني ؛ ٤٤
 ابن المناصف ؛ ٨٦
 ابن منخل بن زيد الفالقي ؛ ٤١١
 ابن موهب ؛ ٧١
 ابن هاشك ، إبراهيم ؛ ٤٠٤
 ابن هود ، المستنصر ؛ ٢٣٥ ، ٢٣٣
 ابن واجب ؛ ٢٨٦
 ابن ورد ؛ ٥٤٢
 ابن وزمر النجاري ، عبد الله بن إبراهيم ؛
 ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥
 ابن حي بن شامة ؛ ٧٣

ابن عسكر المالح ، أبو عبد الله . ٣٠٥ و
 ٤٥٦
 ابن عطاء الله السكندري ، تاج الدين ؛ ٢٣٤ ،
 ٢٣٥
 ابن عمران الأنصاري ؛ ٤٤
 ابن عمرييل ؛ ١٨٣
 ابن عميرة الشهيد ؛ ٧١
 ابن عياش الأندلسي ؛ ٤٧٨
 ابن عيشون اللخمي ؛ ٦١ ، ٥٤٣
 ابن غرسية ، أبو عامر ؛ ٢٢٩
 ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ؛ ٣٢٤ ،
 ١٩٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ ، ٥١٨
 ابن الفخار ، محمد بن علي الحلواني ؛ ٣٥ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ٣٢٨
 ابن الفخار الجداي الشريشي ؛ ٩١ ، ٩٧ ،
 ٣٦٠
 ابن الفرات الحسني ؛ ٤٤
 ابن فرتون ، أبو القاسم خلف ؛ ٧١ ،
 ٩١ ، ١٦٥ ، ٢٥١
 ابن فرتون الأنصاري ، محمد بن عبد الله ؛
 ٢٢٦
 ابن فرح القيسي ؛ ٧١
 ابن الفرس ، عبد الرحيم ؛ ٤٣٣ ، ٤٧٩
 ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد بن عبد
 الرحيم الخزرجي ؛ ٧٤ ، ١٨٢ ، ٤٠٧ ،
 ٥٤٢
 ابن فرحون ؛ ٥٦١
 ابن الفرضي ؛ ٥٥٠
 ابن فركون القرشي ، أبو جعفر ؛ ٣٣٥ ،
 ٥٦١
 ابن الفصال ، عبد الرحمن بن إبراهيم ؛
 ٤٨٣ ، ٤٨٨
 ابن فطيس ، محمد ؛ ١٨٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،
 ٥٥٠

أبو إمامة نياهي : ٤٥
 أبو أمية بن سعد السعدي بن عفير : ٤٧٢
 أبو بجر الأسدي : ٨٦ ، ٩٠
 أبو البركات بن داود الفارسي : ٤٧٢
 أبو بكر بن أبي جعفر الزيات : ٢٤٤ ، ٢٦٦
 ٩٧ ، ١٣٢ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٧٨ ، ١٩٢
 ٢٠١ ، ٢٤٦ ، ٣٩٤ ، ٥٤٧ ، ١
 أبو بكر بن أبي جرة : ٤٠٠ ، ٤٤١
 أبو بكر بن أبي ركب : ٧١٤ ، ٨٦
 أبو بكر البرذعي : ٣٧٣
 أبو بكر بن حبش : ٢٠٣
 أبو بكر بن حسون : ٤٠٠
 أبو بكر بن الحسن المرادي : ١٦٥ ، ١٠٣
 أبو بكر بن الحكيم : ٢٦٨
 أبو بكر بن دحمان ، عبد الرحمن بن هـ
 ٣٠٥ ، ٤٧٨
 أبو بكر بن رزق : ١٩١
 أبو بكر بن زكريا : ٤١٤
 أبو بكر بن سيدة : ٣٤٤ ، ٣٤٥
 أبو بكر بن سيد الناس : ٥١٨
 أبو بكر بن شبرين : ١٣٧ ، ٢٠٤ ، ٢
 ٢٥١ ، ٣٤٣ ، ٣٩٤ ، ٤٦٠
 أبو بكر الضرير ، أبو يحيى : ٨٦
 أبو بكر بن طاهر : ٤٧٨ ، ٥٤٣
 أبو بكر الطرطوشي : ٢٦٧
 أبو بكر بن الطفيل : ١٦٥
 أبو بكر بن عبد الباقي الحجاري :
 أبو بكر بن عبد الرحمن : ٣٣٧
 أبو بكر بن عتبة : ٨٩ ، ١٤٤
 أبو بكر بن عتيق الأزدي : ٧١ ، ٢٣١
 أبو بكر بن العربي : ٢٦ ، ٨٥ ، ٧٨
 ٤٨٥ ، ٤٩٨ ، ٥٤٣
 أبو بكر بن عطية : ١٧٤

ابن يست ، عبد العزيز بن علي : ٥٧٢
 أبو إبراهيم الطوسي : ٢٥١
 أبو إبراهيم الماجري : ٢٦٨
 أبو إبراهيم بن يربوع : ١٨٥
 أبو الأجرى الشاعر : ٣٤٧
 أبو أحمد بن جعفر بن زعرور العامل : ٤٠٦
 أبو إسحق بن أبي يحيى : ٣٢٨
 أبو إسحق بن أبي العاصي : ٦٦ ، ١٢٢
 أبو إسحق بن يعقوب ، السيد : ٤٢٠
 أبو إسحق بن إشتيولة : ٣٧٦ ، ٣٨٢
 أبو إسحق الإلبيري الزاهد : ٥١٧
 أبو إسحق البرغواطى : ٢٠١
 أبو إسحق التلمساني : ٢٠٣
 أبو إسحق الخاني : ٤٧٨
 أبو إسحق الجزيري : ١٢١
 أبو إسحق بن الجلاء : ١٧٧
 أبو إسحق بن رشيح الطليطل : ٤٨٢
 أبو إسحق بن زرقال : ٣٨٨
 أبو إسحق الزقاق : ١٣٢
 أبو إسحق الزوالى : ٤٧٨
 أبو إسحق بن صالح : ٧١
 أبو إسحق بن عامر الحمداني الطوسي : ٤٥٤
 أبو إسحق بن عبد الرقيق : ١٦٣ ، ٥٤٧
 أبو إسحق بن عياش : ٢٥١
 أبو إسحق الفافى : ٢٨ ، ٣٦ ، ٧٩ ، ٩٧
 ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٥٧ ، ٢٠١
 أبو إسحق بن قرقول : ٧٣ ، ١٦٥ ، ٤٠٧
 أبو إسحق بن قسوم : ٦٤
 أبو إسحق اليابري : ٣٤٩
 أبو إسحق بن المنصور ، السيد : ٤٢٠ ، ٥١٨
 أبو الأسود بن يوسف الفهري : ٤٦٩
 أبو الأصمغ بن سمادة : ١٧٢
 أبو الأصمغ بن سهل : ٧٣

٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٥٩ ، ٤٧٢ ،

٤٧٤ ، ٥٥٣

أبو جعفر بن شاذله ؛ ٨٦

أبو جعفر بن شراحيل ؛ ٤٣

أبو جعفر الشقوري ؛ ٤٥ ، ٦٠

أبو جعفر بن صابر ؛ ٣٩٤

أبو جعفر الطباع ، علي بن محمد الرعيي ؛ ٤٢ ،

٤٤ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٩٣ ، ١٦١ ، ٢٤٧ ،

٤١٢

أبو جعفر الطنجالي ؛ ٤٤٤ ، ٥٥٤

أبو جعفر بن عبد الرحيم ؛ ٤٠٠

أبو جعفر بن عبد الحق ؛ ٤٤٤

أبو جعفر بن عبد الحميد ؛ ٤٧٨

أبو جعفر العطار ؛ ٤٧٥

أبو جعفر بن علي بن غالب ؛ ٥١٨

أبو جعفر بن الغاسل ؛ ١٩١

أبو جعفر بن قبال ؛ ٥٤٢

أبو جعفر الكحيل ؛ ٤٠١

أبو جعفر الكزني ؛ ١٦١ ، ١٧١

أبو جعفر بن مضاء ؛ ٤٠٧ ، ٥٤١

أبو جعفر بن هلال ؛ ٤١٣

أبو جعفر بن يحيى الحميري ؛ ٤١٨

أبو حاتم بن أبي القاسم العزفي ؛ ٢٠١ ،

٣٠٢ ، ٣٦٠ ، ٣٨٤

أبو حامد الغزالي ؛ ٢٦٥ ، ٢٦٦

أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٢١ ، ٧٤ ، ٤٠٧

أبو الحجاج الطرسوفي ؛ ٣١٧

أبو الحجاج بن قسوم ؛ ٥٤٧

أبو الحجاج القنالي ؛ ٧١

أبو الحجاج المستشاري ؛ ٥٥٤

أبو الحجاج بن موسى النكالي ؛ ١٦٥

أبو الحسن بن أبي الحسن ؛ ٣٨٥ ، ٤٤١ ،

٤٧٩ ، ٤٨٠

أبو بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية ؛

٤١٣

أبو بكر القرطبي ، حميد ؛ ٢٥١

أبو بكر بن قزمان ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤ ، ٤٠٧

أبو بكر بن القصيرة ؛ ٥٢٤

أبو بكر الكندي ؛ ١٧٧ ، ٣٤٤

أبو بكر بن محمد الرندي ؛ ٢٣٥

أبو بكر بن مسعود الخشي ؛ ٤٤٠ ، ٤٨٣

أبو بكر بن مشليون ؛ ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٤١٩

أبو بكر بن مناور ؛ ٣٤٩

أبو بكر بن منظور ؛ ٤٤٤

أبو بكر المهندس ؛ ٤٥

أبو بكر بن النفيس ؛ ٦٢ ، ٥٤٢

أبو بكر بن ميمون ؛ ٨٧

أبو بكر بن يوسف الفخار ، ٤٦٩ ، ٣٢٠ ، ٩٥

أبو تاشفين ، عبد الرحمن بن موسى ؛ ٣٣٦

أبو ثابت ، عامر ؛ ٣٣٦

أبو جعفر بن أيوب ؛ ٧١

أبو جعفر بن ثبائن ؛ ٧١

أبو جعفر بن جراح ؛ ٧٣

أبو جعفر الجزيري ؛ ٣٤

أبو جعفر الجليار ؛ ٧١

أبو جعفر الحرار ؛ ٢٤٠

أبو جعفر بن حكيم الحصار ؛ ٧٤ ، ١٧٧ ،

٥٤١ ، ٤٠٧

أبو جعفر بن خلف بن الهيثم ؛ ١٦٥

أبو جعفر الدراج ؛ ١٩٨

أبو جعفر بن الزبير ؛ ٤ ، ٣ ، ٢١ ، ٢٣ ،

٢٨ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٠ ،

٧٧ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٥٩ ،

١٦١ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ،

٢٠٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٣٠٤ ،

٣٠٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٤٠١ ، ٤١٢ ،

أبو الحسن بن أبي ربيع ؛ ٧٧ ، ٨١ ، ٩٣ ،
 ١٣٦ ، ٣٤٧ ، ٢٥٠
 أبو الحسن بن أبي العيش ؛ ٩٧ ، ٥٦١
 أبو الحسن بن أحمد ؛ ٤٨٢
 أبو الحسن بن الأختصر ؛ ٩٠ ، ٤٣٩
 أبو الحسن بن إسحاق يولة ؛ ٣٧٧
 أبو الحسن بن أصحى ؛ ١٦٢ ، ٤٧٩
 أبو الحسن البصري ؛ ٩٣
 أبو الحسن البلوطي ؛ ٣٨٨ ، ٤٠١ ،
 أبو الحسن بن البيان ؛ ٥٣٩
 أبو الحسن بن ثابت ؛ ٧١
 أبو الحسن بن الجياب ؛ ١٨٨ ، ٢٣٢ ،
 ٢٤٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ، ٤٤٢ ،
 ٤٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٥
 أبو الحسن بن حريق ؛ ٢٧٦
 أبو الحسن بن الحصار التلمساني ؛ ٩٣
 أبو الحسن بن خرووف ؛ ١٥٥ ، ٤١٨
 أبو الحسن بن خلف الرشاطي ؛ ٥٤٣
 أبو الحسن بن الخطار ؛ ١٣٦
 أبو الحسن بن خلف العنسي ؛ ١٦٥
 أبو الحسن بن الدياج ؛ ٦٩ ، ٣٦٠ ، ٤٧٢
 أبو الحسن بن دري ؛ ٤٨٢
 أبو الحسن الرعيبي ؛ ٥١٨
 أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٣ ، ٩٠ ، ١٨٢ ،
 ٣٦٠
 أبو الحسن بن السراج ؛ ٩١ ، ٢٥٠ ، ٤٧٨
 أبو الحسن السفاح الرندي ؛ ٢٤٧
 أبو الحسن بن سليمان ؛ ٩٧ ، ١٣١
 أبو الحسن الشاذلي ؛ ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٤١٩
 أبو الحسن بن شريح ؛ ٧ ، ٨٥ ، ٩٠ ،
 ٤٧٨ ، ٥٤٢
 أبو الحسن الشقروني ؛ علي بن أحمد ، ٤١

أبو الحسن الصدقي الفاسي ؛ ٤٠٠
 أبو الحسن الصايغ الإشبيلي ؛ ٤٤ ، ٩٣ ،
 ١٦١ ، ٤١٢ ، ٥١٨
 أبو الحسن بن الطراوة ؛ ٤٧٨
 أبو الحسن بن عباس ؛ ٤٧٨
 أبو الحسن عبد الجليل ؛ ٨٦
 أبو الحسن بن عزمون ؛ ٧٢ ، ١٨٥
 أبو الحسن الغزال ؛ ٢٤٧ ، ٢٥١
 أبو الحسن بن فضيلة المعافري ؛ ٤٤ ، ٨٩ ،
 ١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٤٠١ ،
 ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٥٩
 أبو الحسن بن القاسم ؛ ٣٤٩
 أبو الحسن القرافي ؛ ٢٠٢
 أبو الحسن القرطاجي ، حازم بن محمد ؛ ١٣٦
 أبو الحسن القيجاطي ؛ ١٣١ ، ١٣٢ ، ٥٦١
 أبو الحسن الكرمانى ؛ ٩١
 أبو الحسن بن كاشة ؛ ٢٢٤
 أبو الحسن الكرواب ؛ ٢٣٨ ، ٣٩٩
 أبو الحسن بن كوثر ؛ ١٧٧ ، ٤٠٠
 أبو الحسن بن لب ؛ ٦١
 أبو الحسن المريئي ، السلطان ؛ ١٠٤ ، ١٠٦ ،
 ٥٣٠
 أبو الحسن المزدغي ؛ ١٣٢
 أبو الحسن المتيوي ؛ ٩٣
 أبو الحسن بن مؤمن ؛ ٨٦
 أبو الحسن النباهي ؛ ٦٤ ، ٧٧
 أبو الحسن بن هذيل ؛ ٧١ ، ٥٤٢
 أبو الحسن الوراد ؛ ٢٤٢
 أبو الحسن بن وهيب ؛ ٤٨٢
 أبو الحسن بن وشاش ؛ ١٣٢
 أبو الحسين بن أبي الربيع ؛ ٢٠٣ ، ٣٨٤
 أبو الحسين التلمساني ؛ ٣٠٦
 أبو الحسين المتفريدي ؛ ٣٨٧

٥٣٦ ، ٤٢٥

أبو سعيد الموحدي ، السيد ؛ ٨٩
 أبو سعيد الميمون بن بدر المتوفى ؛ ٢١٥
 أبو سليمان بن حوط الله ؛ ٧٢ ، ٤٧٨
 أبو الشمل جماعة الحلبي ؛ ٥٤٧
 أبو طالب المرتضى ؛ ٧٣
 أبو الطاهر التميمي ؛ ٤٤٠
 أبو الطاهر الخشوعي ؛ ٧٥
 أبو الطاهر بن سرور ؛ ٥٤٧
 أبو الطاهر السلفي ؛ ٢١
 أبو الطاهر بن صفوان ؛ ٥٦١
 أبو الطيب الرندي ، صالح بن يزيد بن شريف
 النفري ؛ ٣٦٠ ، ٣٧٥

أبو عامر بن ربيع ؛ ٣٩٣

أبو عامر بن عبد العظيم ؛ ٥٦١

أبو العباس أحمد الحنفي ، ٣٦ ، ١٥٧ ،

١٩٩

أبو العباس أمير قسنطينة ؛ ٥١٦

أبو العباس بن الينا ؛ ٢٧٠

أبو العباس بن خيس ؛ ٩٧

أبو العباس بن خلف بن عيشون ؛

أبو العباس بن خليل ؛ ٩١

أبو العباس بن راشد العمراني ؛ ١٣٢

أبو العباس الزواوي ؛ ١٩٩

أبو العباس بن عبد الملك ؛ ٢٥٠

أبو العباس بن المريف ؛ ١٩١

أبو العباس العزقي ؛ ٢٩ ، ٧٢

أبو العباس بن علي بن مروان ، ٥١٨

أبو العباس بن علي اللص ؛ ٤٤٠

أبو العباس الغبريني ؛ ١٦٣

أبو العباس بن الغماز الخزرجي ؛ ١٦٣ ،

٢٠٢

أبو الحكم بن يوجان ، ١٩١

أبو حيان النحوي ، محمد بن يوسف ؛ ١٦٤ ؛

٣٩٥

أبو خالد بن رفاعة ؛ ٤٠٠

أبو خالد المرواني ؛ ١٦٥

أبو الخطار بن خليل ؛ ٤١٩ ، ٤٧٢

أبو داود بن يحيى ؛ ٤٧٨

أبو رجال بن غلبون ؛ ٣٤٩

أبو ذر الحشني ؛ ١٥٥

أبو ذر الهروي ؛ ٣٠٣

أبو الربيع بن سالم ؛ ٣٤٩ ، ٤٠١ ، ٤١٥ ،

٥٣٣ ، ٥٤٢

أبو الربيع سليمان ؛ السلطان ؛ ٥٣٦ ، ٥٣٤

أبو زكريا البرشاني ؛ ٢١

أبو زكريا الجعفري ؛ ٧٢

أبو زكريا المرجعي ؛ ٨٦

أبو زكريا بن هذيل ؛ ١٧٨ ، ٢٧٧ ، ٣٩١

أبو زيد البرناسي ؛ ٣٠٥

أبو زيد الجزولي ؛ ١٣١ ، ١٩٩

أبو زيد الحشا ؛ ٤٦٤

أبو زيد السهيلي ؛ ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٤٠٧ ،

٤١٧ ، ٥١٨ ، ٥٧٥

أبو زيد بن عبد الرحيم الشريف ؛ ٤٧٦

أبو زيد الغازي ؛ ٤٥٨

أبو زيد بن زرار ؛ ١٦٦

أبو زيد الموحدي ، السيد ؛ ٢١١

أبو زيد الهزيمري ؛ ٣٦٩ ، ٢٧٠

أبو زيان ، الأمير ؛ ٢٧٨

أبو سالم ، السلطان ؛ ١١٧ ، ٤٩٩ ،

٥٣١ ، ٥٣٠

أبو سعيد بن لب ؛ ٤٠ ، ٣٩٤ ، ٤٣٦ ،

٤٨٤

أبو سعيد بن نصر ، الرئيس ؛ ٣٣٥ ، ٣٤٠ ،

أبو عبد الله الجندى ٧١٥
 أبو عبد الله البخيدى (الفراق) ٩٣
 أبو عبد الله بن الحسن ٢٠٩
 أبو عبد الله بن حسن البجلي ١٦٠ ، ٣٢٨
 أبو عبد الله بن حسن السبكي ٧٣
 أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الغنى المقدسى ١٦٣
 أبو عبد الله بن الخطار الكامى ٤٠١
 أبو عبد الله الحضرمى ١٨٥
 أبو عبد الله بن الحلو ٢٤٠
 أبو عبد الله بن حميد ٤٠٧ ، ٤٦٦
 أبو عبد الله بن الخضار ٢٠١
 أبو عبد الله بن خلف الأيسرى ٨٦
 أبو عبد الله بن نخيس ٩٣ ، ١٩٢ ، ٢٠٣
 ٢٦٨
 أبو عبد الله الدراج ٤٠١
 أبو عبد الله بن راجع ٤٥٤
 أبو عبد الله بن ربيع الأشعرى ٦٦ ، ٨٩
 ١٥٧
 أبو عبد الله الرصافى ، محمد بن غالب ٢١٤ ،
 ٢٧٣ ، ٣٥٤
 أبو عبد الله بن رزيق الشافعى ٢٤٧
 أبو عبد الله الرلدى ٣٢٨
 أبو عبد الله الرشاش ٥٥٢
 أبو عبد الله الرقام ٤١٤
 أبو عبد الله بن زرقون ٤٠٧ ، ٥٤٢
 أبو عبد الله بن سعادة ٥٤٢
 أبو عبد الله بن سليمان التونسى ٥٤٢
 أبو عبد الله بن سمون الطائى ٥٥٣
 أبو عبد الله الشاطبى ٨٧
 أبو عبد الله بن شهيد المرى ١٦٢
 أبو عبد الله بن صاف ٥٤٢
 أبو عبد الله بن صالح الكنانى ٤٠٢
 أبو عبد الله بن الصقيل المرسى ١٦٦

أبو العباس بن محمد الجندى ١٦٥
 أبو العباس المرسى ٢٣٤ ، ٢٧٥
 أبو العباس بن مزنى ٥١٦
 أبو العباس المكناسى ١٩٩
 أبو العباس بن مكنون ٢٣٢ ، ٤٧٢
 أبو العباس بن اليتيم ١٧٦ ، ٤٠٧
 أبو العباس بن يربوع السبكي ٣٢٨ ، ٤٤٤
 أبو عبد الله بن الأبار ٢٥٠ ، ٣٤٤
 أبو عبد الله بن إبراهيم المقرئ ٤٠٠
 أبو عبد الله بن أبى البقاء ٣٤٩
 أبو عبد الله بن أبى الخيش ٤٤٤
 أبو عبد الله بن أبى انفصال ٤٨٢ ، ٥٢٦ ،
 ٥٤٣
 أبو عبد الله بن أبى زكريا بن أبى حفص
 ٥١٦
 أبو عبد الله بن أبى عامر بن ربيع ٢١ ،
 ١٨٥
 أبو عبد الله الأبل ٤٩٨
 أبو عبد الله بن أجروم الصهاجى ٩٧ ،
 ١٣١
 أبو عبد الله الأزدي ٢٥٠
 أبو عبد الله الإستجى ٧٤ ، ٣٠٥
 أبو عبد الله بن أصبغ ٤١٨
 أبو عبد الله بن الأعور ٢٤٠
 أبو عبد الله الأندلسى ٧٢
 أبو عبد الله بن بكر ٦٦ ، ٧٨ ، ٥٦١
 أبو عبد الله البكرى ٧٣
 أبو عبد الله الببائى ٣٩٤
 أبو عبد الله بن تجلات ٢٧٠
 أبو عبد الله التجيبى ٥١٨
 أبو عبد الله التونسى ١٦٠

أبو عبد الله الطر-وفى ٥٦٠ ؛
 أبو عبد الله بن طرنه ٤٠ ؛
 أبو عبد الله الطنجالي ٢١ ، ٢٣ ، ٦٦ ،
 ٦٧ ، ١٣٢ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ،
 ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ،
 ٥٦١
 أبو عبد الله بن عامر بن ربيع ٨٩
 أبو عبد الله بن عامور ٤٠ ؛
 أبو عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي ١٣٢
 أبو عبد الله بن عبد السلام ٨٢ ، ٤١٢ ،
 ٤٤٤ ، ٤٩٨
 أبو عبد الله بن عبد الملك ٩٥ ، ٣٠٦ ،
 ٣٠٧ ، ٤٧٩
 أبو عبد الله بن عبد المنعم ١٨٥ ، ١٩٩
 أبو عبد الله بن عبد الولي ٢٣٠ ؛
 أبو عبد الله العلوي ١٦٩
 أبو عبد الله بن العنسي ٤٥ ؛
 أبو عبد الله بن عياش ١٩٢ ، ١٩٤ ،
 ٢٠٣ ، ٢٤٧ ، ٤٧٩ ، ٥٦١
 أبو عبد الله بن عياض ٦٩ ، ٢٥١
 أبو عبد الله بن عيسى ٤٤٢
 أبو عبد الله بن غالب ٥٦١
 أبو عبد الله بن غريون ١٥٧
 أبو عبد الله الفماری ٩٧ ، ١٣٢ ، ٢٠١
 أبو عبد الله القرطبي ٩٧ ، ٣٦
 أبو عبد الله القطان ٧٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
 ٤٧٩
 أبو عبد الله بن لب ٢٤٠
 أبو عبد الله المردودي ٣٣٧
 أبو عبد الله بن مستنور ٢٤٧ ، ٤١٩
 أبو عبد الله بن المقرئ ٢٦٩ ، ٢٧٠
 أبو عبد الله بن مكى ٨٦

أبو عبد الله بن ملك المقرئ ١٦٢ ، ٣٢٩
 أبو عبد الله المهندس ٤٤٤
 أبو عبد الله بن التجار ٤٤٤
 أبو عبد الله بن نصر ، السلطان ٤٢٥ ،
 ٤٣٦ ، ٤٣٧
 أبو عبد الله التولي ، محمد بن عبد الرحمن ٤٠١
 أبو عبد الله بن هرون ٢٠٢
 أبو عبد الله بن هشام الألكشي ٣٩ ، ٤٠ ،
 ٤١٤
 أبو عبد الله بن هاني ١٣٢
 أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري ٣٩٤
 أبو عبد الله بن يحيى المرسى ٥٧٨
 أبو عبد الله بن يربوع ٧١ ، ٧٢ ، ١٨٥ ،
 ٤٧٩
 أبو عبد الله بن يعلى ٩٧
 أبو عثمان بن سعيد ١٨٥ ، ٤٦٠
 أبو عثمان بن ليون ٥٦١
 أبو عثمان بن هرون ٤٤٠
 أبو العلاء بن الجنان ٤٤٠
 أبو العلاء الممرى ٢١ ، ١٠٠ ، ٢٠٦
 أبو علي البندادي ١٨٣ ، ١٨٤
 أبو علي بن حسن البجلي ١٦٠ ، ٣٢٨
 أبو علي الرندي ٤٧٩ ، ٥٤٣
 أبو علي الشلوبين ٣٠٥ ، ٤٧٩
 أبو علي الصدقي النساني ١٩٠
 أبو علي القرشي ٣٩٤
 أبو عمرو بن حكيم ٤٥٨
 أبو عمران بن إسحق ٧٢
 أبو عمرو بن حوط الله ٩٣ ، ٢٤٧ ،
 ٣٤٩ ، ٤١٩ ، ٥٥٣
 أبو عمرو الداري ٢٠٣
 أبو عمرو الداني ٤٦٣
 أبو عمرو بن الرندون ٧٦
 أبو عمرو الزاهد ٦٥

أبو القاسم السبيل ، عبد الرحمن بن عبد الله ؛

١٨٢ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ؛

أبو القاسم الصقر ؛ ٦١

أبو القاسم بن الطيب ؛ ٢٠١ ، ٤٠١ ؛

أبو القاسم بن الطيلسان ؛ ٤٧٩

أبو القاسم بن عبد الرازق ؛ ٤٠٧

أبو القاسم الغافق ؛ ٥٤٩

أبو القاسم القشيري ؛ ٢٣١

أبو القاسم بن قطبة ؛ ٢٩٩

أبو القاسم اللاسكلان ؛ ٢٣٨

أبو القاسم بن محمد بن الخطيب ؛ ١٦٤

أبو القاسم المريد ؛ ٢٣٩

أبو القاسم بن المغرب ؛ ٣٠٧

أبو القاسم الملاحي ، محمد بن عبد الواحد . بن

حقل الغافق ؛ ٢٦ ، ٤٢ ، ١٨٢ ، ١٧٦

٢١٥ ، ٢٩٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ ، ٤٦٣

٥٤٠

أبو القاسم بن منظور ؛ ٩٠

أبو القاسم بن ورد ؛ ٤٨٣

أبو محمد بن أبي الهجد ؛ ٤٦٠

أبو محمد الأصفهاني ؛ ٣٠٣

أبو محمد بن إشتيولة ، عبد الله بن إبراهيم

٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣

أبو محمد بن أيوب ؛ ٤٤٤

أبو محمد البياسي ؛ ٢٧٥ ، ٤٥٨

أبو محمد بن جابر ؛ ٤١٤

أبو محمد بن جمهور ؛ ٩٠ ، ٤٠٧

أبو محمد الحجري الأندلسي ؛ ٣٤٩ ، ٠٧

أبو محمد الحضرمي ؛ ٣٩٥

أبو محمد بن حمد الله ؛ ٧٤٠ ، ٤١٦ ، ١٨

٤٧٩

أبو عمرو بن سالم ؛ ٣٠٥ ، ٢٤٩ ، ٥١٨

أبو عمرو بن منظور ؛ ٨٢ ، ١٣٢ ،

١٩٢ ، ٥٦١

أبو عثمان فارس ، السلطان ؛ ١٣ ، ١٠٥ ،

١١٧ ، ٤٩٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣

أبو فارس الجروي ؛ ٢٠٣

أبو الفضل بن هرون الأزدي ؛ ٧٣

أبو القاسم بن أبي الحجاج بن أبي الحقالة ؛

٣٧٥

أبو القاسم بن أبي عامر بن أبي ربيع ؛ ٩٣

أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية ؛ ٤٦٠

أبو القاسم بن إدريس ؛ ٣٤٩

أبو القاسم بن الأصهر الحارثي ؛ ٦١

أبو القاسم التجيبي ؛ ١٨٥ ، ١٩٩

أبو القاسم بن جزى ؛ ٣٩٢

أبو القاسم الجياني ؛ ٩١

أبو القاسم بن حبيش ؛ ٣٤٩ ، ٤٠٧ ،

٤١٧ ، ٥٤١

أبو القاسم بن أحمد الحسني ؛ ١٤٥ ، ١٤٧ ،

١٥٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤

أبو القاسم الحصار ؛ ٥٣٩

أبو القاسم بن حماد الحضرمي الليدي ؛ ١٦٤ ،

٢٠٢

أبو القاسم بن حدين ؛ ٢٧٥

أبو القاسم بن خير ؛ ٢٠٣

أبو القاسم بن داود ؛ ٤٧٨

أبو القاسم بن درهم ؛ ٥٦١

أبو القاسم بن رجا الحضرمي ؛ ٩٧

أبو القاسم بن ربيع ؛ ٨١ ، ١٩٢ ، ٤١٩

أبو القاسم بن السكوت ؛ ٦٤ ، ١٥٩ ،

١٩٤ ، ٢٠٣

أبو القاسم بن سمحون ؛ ٤٢ ، ١٧٧

أبو الوليد بن يزيد بن بقر ٥١٨
 أبو مهذب عيسى الزيات ١٧٨
 أبو يحيى أبو بكر الضرير ٨٦
 أبو يحيى بن أبي عمران ٢١٢
 أبو يحيى بن عبد الرحيم ٤١٩ ، ٥٥٧
 أبو يحيى بن القوس ٢٥١
 أبو يحيى بن مسعدة ١٥٩
 أبو يعقوب المحاسبي ٢٥١
 أبو يعقوب بن عقاب ٢٠٣
 أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن ٥٧٤
 أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، الخليفة
 ٢١١
 أبو يوسف بن عبد الحق ، السلطان ٢٤٩ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧
 أحمد بن حمدان الحراني ، نجم الدين ٤٠٢
 أحمد الرازي ٤٧ ، ٥٢٩
 أحمد بن سليمان بن أحمد المقدسي ٤٠٢
 أحمد بن عبد المنعم الصوفي ٤٠٢
 أحمد بن عتيق الشاطبي ٣٩٤
 أحمد بن عمر ، أبو القاسم ١٦٥
 أحمد بن عمران السايي البانيوي ٣٢٨
 أحمد بن محمد الحمدالة السلمي ٣٨٧
 أحمد بن محمد الحسي ، عز الدين ٤٠٣
 أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري ٤٠٢
 أحمد بن مروان القيرواني ٧٣
 أحمد بن مفضل المالح ٩٥
 أحمد بن موسى بن عيسى البطرفي ١٦٤
 أحمد بن يوسف بن يعقوب اللبي ١٦٤
 أدفونش (ألفونسو السادس) ٢١٣ ، ٣٨٠
 أسلم بن عبد العزيز ٤٦٥
 إسماعيل الروبي ٢٣٧ ، ٢٣٨

أبو محمد بن دلف بن اليسر ٧٢
 أبو محمد بن رشد ٤٧٨
 أبو محمد بن زيدان ١٥٥
 أبو محمد بن سلمون الكتاني ٣٩٤ ، ٤٠٠
 أبو محمد بن سمحون ١٥٨ ، ١٧٤
 أبو محمد بن الصايغ ٣٩٥ ، ٥٦١
 أبو الملا بن المنصور ، السيد ٥١٨
 أبو محمد بن عبد الحق ٩١
 أبو محمد بن عبد الصمد النسائي ٤٢ ، ٤٥٧
 أبو محمد بن عبد العزيز بن حدين ١٦٥
 أبو محمد عبد المنعم ٥٤١
 أبو محمد بن عتاب ٨٥ ، ٩٠ ، ١٧٤
 أبو محمد بن قاسم الحرار ٥١٨
 أبو محمد القرطبي الحافظ ٧٠ ، ٩٠ ، ٥٤٣
 أبو محمد بن قورش ٧٣
 أبو محمد النفزي ٤٠١
 أبو محمد بن يوسف القضاي ٤٤٠
 أبو مروان الباجي ٥٤٣
 أبو مروان بن بونه ٤٧٨
 أبو مروان بن سراح ٧٣
 أبو مروان بن الصقيل الوثقي ٧٣
 أبو المطرف بن عميرة ١٤٥ ، ٢٧٦
 أبو المعالي الجويني ١٦٦
 أبو الوليد بن أبي الحجاج بن نصر ، السلطان
 ٣٥٣ ، ٣٤٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٥٣٦
 أبو الوليد الباجي ٧٣
 أبو الوليد بن الحجاج ٧٢
 أبو الوليد الحصري ٢١
 أبو الوليد بن خيرة ١٦٦
 أبو الوليد بن طريف ٨٦ ، ٩٠
 أبو الوابد الطار ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٤١٩ ،
 ٥٥٣

الحكم المستنصر بالله؛ الخليفة؛ ١٨٣ ، ١٨٤ ،

٤٦٥

حكيم بن محمد؛ ٤٥

الحكم بن هشام ، الأمير؛ ٣٨٦

حمدة بنت زياد المكتب؛ ٢١٦

حمو بن عبد الحق؛ ٥٣٦

حيان بن أبي يربوع؛ ١٨٢

خالد بن أبي زكريا ، السلطان؛ ٣٣٧

خالد بن خالد؛ ١٧٨

خالد بن عيسى؛ ٤٥

الخضر بن رضوان الميذرى؛ ٤١٣

خضر بن عبد الرحمن المجسى؛ ١٠٥

خلف بن عبد العزيز القتيورى؛ ١٦٤ ، ٢٠١

خلف الله المجاصى؛ ١٣٢ ، ١٩٩

خيران العامرى؛ ٤٦٧

داود بن يزيد السعدى؛ ١٧٦

رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ٢١٣ ،

٢٤١ ، ٣٥٩ ، ٤٩٧ ، ٥١٩

رضوان بن خالد ، أبو النعم ؛ ٣٠٥

رعى الدين بن إبراهيم الطبرى؛ ١٦٤

زياد بن الصفار؛ ١٦٥

زياد بن عبد الرحمن؛ ٥٤٩

زيد بن محارب بن عطية؛ ٥٣٩

زيدان الحسى ، السلطان؛ ٥

زيق بن اسحق النفزاوية؛ ٥٢٣

زيق بن زياد؛ ٢١٦

س — ط

سارة بنت أحمد بن عثمان الحلبي؛ ٤٠٢

سالم بن صالح بن سالم؛ ٢٢٨

سحتون بن سعيد؛ ٥٤٩

سمد الحفار ، أبو عثمان؛ ٧٢

السميد ، السلطان؛ ١١٧ ، ٤٩٩

سعيد بن عمر البطرفى؛ ٦١

أضحى الحمدانى ، أبو المعالى؛ ٣٨٧

أمين الدين بن عساكر؛ ٢٠٣

أمية بن حمزة الفهرى؛ ٤٦٩

ب — ث

باديس بن حبوس؛ ٣٣٢

البخارى ، الإمام؛ ١٣٢

بدر (بن أحمد) حاجب الناصر لدين الله؛

٤٦٥

بدر مولى عبد الرحمن الداخل؛ ٤٦٨ ، ٤٦٩

بدر الدين بن جماعة؛ ١٦٣

بقي بن مخلد؛ ٤٠٠ ، ٥٥٠

بلج بن بشر القشبرى؛ ٣٤٦

بلقين بن باديس بن حبوس؛ ٣٠٠

تقى الدين بن أبي الحسن؛ ٢٤٧

تقى الدين بن عبد الخالق المصرى؛ ١٦٤

تميم بن بلقين؛ ٣٨١

ثعلبة بن عبيد الجذامى؛ ٤٦٩

ج — ز

جابر بن أحمد ، أبو الحسن؛ ٥١٨

جعفر بن حكم؛ ٤٠٠

جعفر بن مكى؛ ٥٤٣

حبيب بن عبد الملك المروافى؛ ٤٦٩

حسام بن ضرار الكلبى ، أبو الخطار؛ ٢٠

الحسن بن أبي الشرف ربيع؛ ٤٠١

حسن بن الجزار؛ ٧٣

الحسن بن محمد الجيافى؛ ٤٥

الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق؛ ٤٠١

الحسين بن العقيل؛ ٤٦٩

الحسين بن عل؛ ٣٤٦ ، ٣٥٠

حفص بن المرة؛ ٢٧٩

حفص بن نجيج؛ ١٨٣

حفصة بنت الحاج؛ ٥٧١

عائشة بنت محمد بن أحمد السكوكي ، أم المجد ؛

٤٠٢

العباس أحمد بن عبد الله الطبري ؛ ٢٤٧

عباس بن الطفيل ؛ ١٨٥

عباس بن مرداس ؛ ٢٤٨

عبد الأعلى بن موسى بن نصير ؛ ٥٢٩

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم التستاق ؛ ٥٧٥

عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٥

عبد الجبار بن موسى الجذامي ؛

عبد الحق بن يونه ؛ ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٤٠٧

عبد الحق بن عثمان بن محمد ... بن يحيى ؛ ٥٣٦

عبد الحق بن عطية ؛ ٧١ ، ٥٤٣

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يعقوب ؛

٥٣٤

عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي ؛ ٥٣٩

عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي ؛ ٥٥٥ ، ٥٥٠

عبد الحق بن يزيد البغدادي ؛ ١٧٦

عبد الحكيم بن الحسين ؛ ٥٤٧

عبد الحكيم ... بن يعقوب بن عبد الحق ؛

٢٩٨

عبد الحليم بن عمر بن عبد الحق بن يحيى ؛

٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢

عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري ؛

٥٦٩

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي ؛ ٤٧٢

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأزدي ؛ ٤٨٢

عبد الرحمن بن أسباط ؛ ٥٢٣

عبد الرحمن بن يونس ؛ ٨٥

عبد الرحمن بن الحاح بن القمي الإلبيري ؛ ٥١٧

عبد الرحمن بن الحسن بن القصير ؛ ١٧٧

عبد الرحمن بن الحكم ؛ ٥٥٠ ، ٥٥١

عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري ؛ ٥٥٣

عبد الرحمن بن عبد الملك البينشي ؛ ٥٢٧

سعيد بن قوسرة ؛ ٨٧

سليمان بن حوط الله ؛ ٥١٨

سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب بن عبد الحق ؛

٥٣٣٦

سليمان بن مفتاح اللجاني ؛ ٩٧

سليمان بن هود ؛ ٢٨٦

سليمان الصنهاجي ؛ ٣٧٩

سهل بن مالك ، أبو الحسن ؛ ١٨٢ ، ٥٥٧

سيبويه ؛ ٧٦

الشافعي ، الإمام ؛ ٣٦٧

الشريف أبو القاسم ؛ ٣٩٣ ، ٤٧٧

شمر بن ذي الجوشن ؛ ٣٤٦

شمس الدين بن المناصف ؛ ٤١٢

صالح بن خلف ؛ ٧٣

صمصمة بن سلام ؛ ٥٤٩

صفوان بن إدريس بن إبراهيم التجيبي ؛

٣٤٩ ، ١٨١

الصميل بن حاتم ؛ ٣٤٥ ، ٣٤٨

ضياء الدين بن عيسى بن أحمد ؛ ٢٠٢

طارق بن موسى ؛ ٧١

طالوت الفقيه ؛ ٣٨٦

طالوت بن عياد بن نصال ؛ ٤٥

طاهر بن أبي الشرف ؛ ٢٠١

الطيب بن هرقال ، أبو القاسم ؛ ٧٢

ظهير الدين بن عبد الخالق الدلاصي ؛ ١٦٤

ع - غ

العادل ، الخليفة الموحد ؛ ٢٧٥

عاصم بن مسلم ؛ ٤١٩

عاصر بن محمد المعتاق ؛ ٥٣٣

عبد الرحمن بن عبد الله بن سيمان ؛ ١٦٦
 عبد الرحمن بن عفان ؛ ١٣١
 عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ؛ ٤ ، ٥ ،
 ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٤٦٧
 عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، الخليفة
 الناصر لدين الله ؛ ٤ ، ٥ ، ٤٦٤
 عبد الرحمن بن محمد بن مالك المعافى ؛ ٥٢٤
 عبد الرحمن بن مسلمة ، أبوى الحسن ؛ ٤٠٧
 عبد الرحمن بن منعم الكلبي ؛ ٤٦٩
 عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين ؛ ٥٣٧
 عبد الرحمن بن هاني اللخمي ؛ ٤٨٠
 عبد الرحمن بن مخلف بن الفزازي ؛ ٥ ، ٥١٧
 عبد الرحيم بن إبراهيم بن قریش ؛ ٧٢
 عبد الصمد بن عبد الوهاب ؛ ٢٤٧
 عبد الصمد بن محمد بن يعيش النساني ؛ ٧٤ ،
 ١٧٧
 عبد العزيز بن سدير ؛ ٧١
 عبد العظيم بن الشيخ ؛ ٩٣ ، ٢٤٠
 عبد العظيم بن عمر بن حسان النساني ؛ ٥٧٧
 عبد العظيم بن محمد بن الحاج ؛ ٥٥٤
 عبد الغفار بن محمد السعدي المصري ؛ ١٦٣
 عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار الفزازي ؛ ٥٣٨
 عبد الكريم بن صدقة المزني ؛ ١٦٤
 عبد الكريم بن عمران ؛ ٥١٨
 عبد الله بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الماصمي ؛ ٤١٩
 عبد الله الأبلي ؛ ٤٤٤
 عبد الله بن أبي بكر بن داود النقيسي ؛ ٩٢
 عبد الله بن أبي ربيع القرشي ؛ ١٥٧
 عبد الله بن أحمد بن اسميل بن سبائك الناملي ؛
 ٤١٠ ، ٤١٣
 عبد الله بن أسعد الشافعي ؛ ١٠٦
 عبد الله بن أيوب الأنصاري ؛ ٤٠٥
 عبد الله بن بلقين بن باديس ؛ ٥ ، ٢٩٩ ،

٣٠٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
 عبد الله بن الجبير اليحصبي ؛ ٣٨٥
 عبد الله بن الحسن بن يحيى الأنصاري ؛
 ٤٠٥ ، ٤١٣
 عبد الله بن حسون البرجي ؛ ٤٠٩
 عبد الله بن حكيم ؛ ٢٨٦
 عبد الله بن الخطيب السلفاني ؛ ٣٢٩ ، ٤٣٥
 عبد الله بن سراج ؛ ١٨٠ ، ٣٨٥
 عبد الله السطلي ؛ ٤٩٨
 عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلفاني ؛ ٣٨٦
 عبد الله بن سهل القرناطي ؛ ٤٠٤
 عبد الله بن الصايغ ؛ ٢١٩
 عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٥
 عبد الله بن فرج اليحصبي (ابن السال) ؛ ٤٦٢
 عبد الله بن فارس بن زيان ؛ ٤٦١
 عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد
 (اليربوعلي) ؛ ٤٥٦
 عبد الله بن محمد ، أمير الأندلس ؛ ٢٧٩ ،
 ٢٨٠
 عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبدري ؛ ٣٩٩
 عبد الله بن محمد بن أبي بكر المكي ؛ ٢٤٧
 عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي ؛ ٣٨٣
 عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي جرة الأزدي ؛
 ٤١٥
 عبد الله بن محمد البيضاوي ؛ ١٩٠
 عبد الله بن محمد الشراط ؛ ٤٤١
 عبد الله بن موسى ... بن حماد الصنهاجي ؛ ٤٢٠
 عبد الله بن هرون الطائي ؛ ٤٤ ، ١٣٦
 عبد الله بن يحيى ... بن ربيع الأشعري ؛ ٤١٧
 عبد الله بن يحيى ... بن زكريا الأنصاري ؛ ٤١٣
 عبد الله بن يوسف الخلاسي ؛ ١٦٤

عبد الرحمن بن عبد الله بن سيمان ؛ ١٦٦
 عبد الرحمن بن عفان ؛ ١٣١
 عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ؛ ٤ ، ٥ ،
 ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٤٦٧
 عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، الخليفة
 الناصر لدين الله ؛ ٤ ، ٥ ، ٤٦٤
 عبد الرحمن بن محمد بن مالك المعافى ؛ ٥٢٤
 عبد الرحمن بن مسلمة ، أبوى الحسن ؛ ٤٠٧
 عبد الرحمن بن منعم الكلبي ؛ ٤٦٩
 عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين ؛ ٥٣٧
 عبد الرحمن بن هاني اللخمي ؛ ٤٨٠
 عبد الرحمن بن مخلف بن الفزازي ؛ ٥ ، ٥١٧
 عبد الرحيم بن إبراهيم بن قریش ؛ ٧٢
 عبد الصمد بن عبد الوهاب ؛ ٢٤٧
 عبد الصمد بن محمد بن يعيش النساني ؛ ٧٤ ،
 ١٧٧
 عبد العزيز بن سدير ؛ ٧١
 عبد العظيم بن الشيخ ؛ ٩٣ ، ٢٤٠
 عبد العظيم بن عمر بن حسان النساني ؛ ٥٧٧
 عبد العظيم بن محمد بن الحاج ؛ ٥٥٤
 عبد الغفار بن محمد السعدي المصري ؛ ١٦٣
 عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار الفزازي ؛ ٥٣٨
 عبد الكريم بن صدقة المزني ؛ ١٦٤
 عبد الكريم بن عمران ؛ ٥١٨
 عبد الله بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الماصمي ؛ ٤١٩
 عبد الله الأبلي ؛ ٤٤٤
 عبد الله بن أبي بكر بن داود النقيسي ؛ ٩٢
 عبد الله بن أبي ربيع القرشي ؛ ١٥٧
 عبد الله بن أحمد بن اسميل بن سبائك الناملي ؛
 ٤١٠ ، ٤١٣
 عبد الله بن أسعد الشافعي ؛ ١٠٦
 عبد الله بن أيوب الأنصاري ؛ ٤٠٥
 عبد الله بن بلقين بن باديس ؛ ٥ ، ٢٩٩ ،

عبد الملك بن أبي مسلم العمراق ١٩٠٠
عبد الملك بن أمية ٢٧٩
عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هرون
٥٥٠ ، ٥٤٨ ، ٥
عبد الملك بن سعيد ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ -
عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري ٥٣٨
عبد الملك بن الماجشون ٥٥٠
عبد الملك بن مروان ١٨٣
عبد المنعم بن ممالك العامل ٢٨ ، ١٥٧ ،
١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٤٥٩
عبد المنعم بن عبد الرحيم ٤٧٥
عبد المهيمن الحضرمي ، أبو محمد ٣٢٨ ، ٤٤٤ ،
٤٩٨
عبد المؤمن الخولاني ، أبو محمد ١٥٩
عبد المؤمن الدسوقي ، أبو محمد شرف الدين
١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٤١٢
عبد المؤمن بن علي ، الخليفة الموحد ٨٧ ،
٤٧٥ ، ٥٤٧
عبد الواحد بن زكريا الحيافي ٣٣٧ ، ٥٣٥
عبد الواحد بن منصور بن المنير ١٦٤ ،
عبد الوهاب الصدقي ٤٠٧
عبدة بن الطيب ١٨٣
عبدة بن يحيى بن يحيى ١٨٣
عتاب بن علقمة اللخمي ٤٦٩
عتيق بن محمد بن المول ٣٣٥
عثمن بن أبي العلاء ٥٣٧
عثمن بن أبي يوسف بن يعقوب بن عبد الحق
٣٣٦

عثمان بن جهمر ١٨٣
عثمان بن عبد الله البدرى ٩٣
عثمان بن عيسى ٢٢٧
عثمن بن يحيى بن يعمراسن ١٠٦
عقبة بن نعيم ٥٥٤

علاء الدين القونوي ١٠٦٠
علي بن إبراهيم الكوكبي ٩٣
علي بن عبد الرحمن بن سمحون ١٠٠
علي بن عبد الله بن عبد الرحيم ٥٧٥
علي بن محمد التجيبي
علي بن محمد الخطيب ٣٢٩
علي بن محمد الكناني ٤١٩
علي بن موسى بن سعيد ٤٣٣ ، ٤٥٨
علي بن يوسف بن قاشقين ١٩١ ، ٢١٦
عمر بن جميع ٧٢
عمر بن الخطاب ٤٥٤
عمر بن عبد الله ٤٩٩
عياض بن موسى السبي ، أبو الفضل ٤٢ ،
١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ ،
٤٤٩ ، ٤٨٣ ، ٥٤٣ ، ٥٥٠
الغازي بن قيس ٥٤٩
غالب الشقوري ، أبو تمام ١٧٢

ف - ك

الفتح بن خافان ، أبو نصر ٥٢٥
فخر الدين بن البخاري ٢٠٣
فرح بن غزلون اليحصبي ٤٦٤
قاسم بن أحمد بن حسن الحجري ٥٥٤
قاسم بن دحان ٧٣ ، ٤٠٧ ، ٤٧٨
قاسم الحصار ، أبو محمد ٢٥٠
قطب الدين بن التستري ٢٠٣
كريب بن خلدون ٤٩٧
كلثوم بن عياض القشيري ٢٤٦

م - ن

مالك ، الإمام ٦٩ ، ٥٥٠
مالك بن عبد الرحمن بن علي بن 'امرئ (اس
المرحل) ٢٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
٤٠٢
مالك بن وهب ٩٠

المأمون ، الخليفة الموحدي ؛ ٣٨٥ ، ٥٢٢
 مبارك العامري ؛ الأمير ؛ ٢٩٢ ، ٢٩٣
 محمد بن إبراهيم العبدري الآبلي ؛ ٢٦٩
 محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري ؛ ٢٢٩
 محمد بن أبي اسحق السلمي البافقي ؛ ٢٥١
 محمد بن أبي بكر البخاري القرظي ؛ ٤٦
 محمد بن أبي يوسف ؛ ٣٢٨
 محمد بن أحمد الأنصاري (المواق) ؛ ٢٣٠
 محمد بن أحمد بن إبراهيم النلساني الأنصاري ؛
 ٢٠٠
 محمد بن أحمد بن إبراهيم الزبير ؛ ١٥٦
 محمد بن أحمد ... بن يوسف المراق ؛ ٢٦٨
 محمد بن أحمد الحسني ؛ ٣٢٨
 محمد بن أحمد بن خلف النلساني (القلبي) ؛
 ١٥٨ ، ٣٤٤
 محمد بن أحمد الدوسي ؛ ١٥٩
 محمد بن أحمد الرتوطي المرسى ؛ ٦٧ ، ١٦١
 ٢٥٧
 محمد بن أحمد الشامي ؛ ٥٤٢
 محمد بن أحمد بن عبد الله بن خنيس الأنصاري ؛
 ١٨٤
 محمد بن أحمد بن عبد الله الدلار ؛ ١٨٦
 محمد بن أحمد بن محمد النلساني ؛ ٦٤ ، ٦٥
 محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري ؛ ٢١٧
 محمد بن أحمد المراكشي ؛ ١٨٧
 محمد بن أحمد بن يوسف بن حميد الماشي ؛
 ٢٤٥
 محمد بن بكرون بن حزب الله ؛ ١٨٩
 محمد بن جابر بن حسان أنة سي ؛ ١٦٣
 محمد بن الحاج التجيبي ؛ ٦٩
 محمد بن الحسن بن أحمد الأنصاري ؛ ١٩٠
 محمد بن الحسن بن زيد الفائق ؛ ٢٠٧
 محمد بن حسن بن محمد بن خلف الأنصاري ؛
 ٧٤

محمد بن حسن بن الحميري ؛ ٢٣١
 محمد بن حكيم بن باق الجذامي ؛ ٧٢ ، ١٦٥
 محمد بن الخطيب السلماني ؛ ٣٢٩
 محمد بن خلف بن موسى الأنصاري ؛ ١٦٥
 محمد بن سعد الحرسني ؛ ٤٧٦
 محمد بن سعيد بن خلف ... بن عمار بن ياسر
 الندي ؛ ٢١٥
 محمد بن سودة المري ؛ ١٦٨ ، ١٨٢
 محمد بن صابر بن حسان النسي ؛
 محمد بن الصفار جمال الدين أبو عبد الله ؛ ١٦٤
 محمد بن عبد الرحمن الكاتب ؛ ٢١١
 محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي ؛ ١٣٠
 محمد بن عبد الرحمن بن هاني النقايسي ؛ ١٧٤
 محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف العباسي ؛ ١٧١
 محمد بن عبد الله بن داود الفائق ؛ ٦١
 محمد بن عبد الله اللوشي ؛ ٣٧ ، ٣٦١
 محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل ؛ ٢٢٧
 محمد بن عبد الملك بن حبيب ؛ ٥٥٠ ، ٥٥٢
 محمد بن عبد الملك السبي ؛ ٢٦
 محمد بن عبد الملك بن سعيد ... بن عمار
 ابن ياسر ؛ ٢١٣ ، ٢١٥
 محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحسيري ؛ ؛
 ١٣٤
 محمد بن عبد الولي الرعيني ؛ ٣٣
 محمد بن علي بن أبي الطامنة القشيري ؛ ٤٠٢
 محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي ؛ ٢٢٨
 محمد بن علي بن فرح القربلياني ؛ ١٧٩
 محمد بن علي الكاجي (وارياش) ؛ ٩٧
 محمد بن علي بن محمد البازسي ؛ ٣٨
 محمد بن علي بن هاني النسي ؛ ١٤٣ ، ١٤٥ ،
 ١٥٢ ، ١٩٩
 محمد بن علي بن وهب القشيري ؛ ٢٤٧
 محمد بن علي بن يوسف السكوكي ؛ ١٨٢

محمد بن قاسم بن أحد الأنصارى (الشديد)
١٩٦
محمد المكودي ؛ ١٧
محمد بن محمد بن إبراهيم الخولاني الشريشي ؛
١٦٧
محمد بن محمد بن أحد الأنصارى (السواس) ؛ ٢٣٣
محمد بن محمد بن أحد الطبري ؛ ٢٤٧
محمد بن محمد بن أحد المقرئ ؛ ٣٩٥
محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القضاى ؛
٤١٥ ، ٧٦ ، ٧٥
محمد بن محمد بن الأكحل ؛ ٢٠٤
محمد بن محمد البلوى ؛ ٨١
محمد بن محمد البكرى ؛ ٢٣٢
محمد بن محمد بن جسان الفائق ؛ ٢٠٨ ، ٢٠٧
محمد بن محمد الرياح ؛ ٩٢
محمد بن محمد بن سهل بن مالك ؛ ٢٠١
محمد بن محمد بن سوذة البرى ؛ ١٦٨
محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى الساحل ؛
١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩
محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي ؛ ٤٠١
محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى ؛ ٢٠١٨
محمد بن محمد عيشون ؛ ٣٤٩
محمد بن محمد بن قسى المومياى ؛ ٢٦٨
محمد بن محمد بن محارب الصريحي ؛ ٧٨
محمد بن محمد بن لب الكنانى ؛ ٧٩
محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي ؛ ١٩٤
محمد بن محمد بن نصر ؛ ٣٨٢ ، ٣٨٣
محمد بن محمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ؛
١٩١
محمد الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٤١٦ ،
٤٧٤
محمد بن هاني ؛ الإليبري ٣٦١

؛ بن الوائق ؛ ٣٣٦
محمد بن وضاح ؛ ٥٤٣ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢
محمد بن يحيى الباهلي ؛ ٢٢٧ ، ٢٢٨
محمد بن يحيى العبدري ؛ ١٥٤
محمد بن يحيى بن عبد الله العزقي ؛ ٤ ، ٣ ، ٤
١١
محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي الإليبري ؛
١٨٤ ، ١٨٣
محمد بن يوسف ... بن حيان النفزي ؛ ٤٣
محمد بن يوسف بن الأحمر (الغنى بالله) ؛
٣٧٦ ، ٥٣٠
محمود الخراساني ، أبو المال ؛ ٥١٨
المختار بن أبي عبيد الثقفي ؛ ٣٤٦
المخزومي الأعمى الشاعر ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤
المرتضى بالله ، الخليفة الأموي ؛ ٢٨٦ ،
٢٩٧ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧
مزدل بن تيولتكان الصنهاجي ؛ ٢٧٤
مزقة أم عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٥
مسعود بن أحمد بن مسعود ؛ ٥٤٣
مسلم ، الإمام ؛ ١٣٢
مسلم بن سعيد التتملي ؛ ٣٣٠
المطرف بن عبد الله بن محمد ؛ ٤ ، ٢٧٨ ،
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٥٥٠
مطرف بن عيسى ؛ ٥٥٠
مظفر العاصري ، الأمير ؛ ٢٩٢ ، ٢٩٣
معاوية بن هشام ؛ ٢٨٠
المعتمد بن عباد ؛ ٢٩٩
مقاتل بن عطية البرزال ؛ ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣٠١
المقرئ ، شهاب الدين أبو العباس ؛ ٣
مكي بن أبي طالب ؛ ٤٦٣
متنديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محبو ؛ ٢٧٦
منذر بن سعيد البلوطي ؛ ٤٦٥
المنذر بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٥

محمد بن قاسم بن أحد الأنصارى (الشديد)
١٩٦
محمد المكودي ؛ ١٧
محمد بن محمد بن إبراهيم الخولاني الشريشي ؛
١٦٧
محمد بن محمد بن أحد الأنصارى (السواس) ؛ ٢٣٣
محمد بن محمد بن أحد الطبري ؛ ٢٤٧
محمد بن محمد بن أحد المقرئ ؛ ٣٩٥
محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القضاى ؛
٤١٥ ، ٧٦ ، ٧٥
محمد بن محمد بن الأكحل ؛ ٢٠٤
محمد بن محمد البلوى ؛ ٨١
محمد بن محمد البكرى ؛ ٢٣٢
محمد بن محمد بن جسان الفائق ؛ ٢٠٨ ، ٢٠٧
محمد بن محمد الرياح ؛ ٩٢
محمد بن محمد بن سهل بن مالك ؛ ٢٠١
محمد بن محمد بن سوذة البرى ؛ ١٦٨
محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى الساحل ؛
١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩
محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي ؛ ٤٠١
محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى ؛ ٢٠١٨
محمد بن محمد عيشون ؛ ٣٤٩
محمد بن محمد بن قسى المومياى ؛ ٢٦٨
محمد بن محمد بن محارب الصريحي ؛ ٧٨
محمد بن محمد بن لب الكنانى ؛ ٧٩
محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي ؛ ١٩٤
محمد بن محمد بن نصر ؛ ٣٨٢ ، ٣٨٣
محمد بن محمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ؛
١٩١
محمد الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٤١٦ ،
٤٧٤
محمد بن هاني ؛ الإليبري ٣٦١

منذر بن يحيى التجيبي ؛ ٢٨١
 المنصور بن أبي عامر ؛ ٢٨١ ، ٢٩٢
 منصور بن أحمد المشدالي ؛ ١٥٧ ، ٣٢٧
 منصور بن دلاء ؛ ٤٧٨
 منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ؛ ٣٢٤
 ٣٢٧ ، ٣٢٩
 منصور بن عمر ... بن يعقوب بن عبد الحق ؛
 ٢٩٨
 موسى بن أبي تليد ؛ ٤٦٤
 موسى بن أبي الحسن الأزدي ؛ ٤٠٢
 موسى بن حدير ؛ ٤٦٥
 موسى بن رحو ؛ ٢٧٦
 موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن ؛
 ٢٧٥
 موسى بن نصير ؛ ٥٢٥
 موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يفراسن
 (أبو حو) ؛ ٢٨١ ، ٣٣٦
 المهلب بن أحمد بن أبي صفرة ؛ ٣٠٣
 مؤمل مول باديس ؛ ٣٣١ - ٣٣٣
 مؤمل بن رجا بن عكرمة العقيل ؛ ٣٠٢
 ناصر الدين المشدالي ؛ ١٧٥ ، ٢٤٠ ، ٥٤٧
 نزهون بنت القليبي ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤
 نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٣
 نصر بن محمد بن محمد الخزرجي الأنصاري ؛

السلطان ؛ ١٨٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧
 ٣٤٧ ، ٣٣٧
 هاشم بن خالد ؛ ١٨٣
 هرانده بن شانجه بن ألنش ؛ ٣٣٨
 هلال بن سنان الأزدي ؛ ٩٣
 وهب بن مسرة الحجارى ؛ ١٧٣
 يحيى بن أبي طالب المزني ؛ ٨٩ ، ٥٣٧
 يحيى بن رحو بن مسطى ؛ ٥٣٢
 يحيى بن غايبة اللبتوف ؛ ٥٧ ، ٥٧١ ،
 ٥٧٩
 يحيى المجريطي ؛ ٤٠٧
 يحيى بن يحيى ؛ ٣٨٦
 يزيد بن معاوية ؛ ٣٤٦
 اليسر بن عبد الله القشيري ؛ ٤٤
 يعقوب المنصور ، الخليفة الموحدي ؛ ٢١٥ ،
 ٤١٦ ، ٥٤١
 يعيش بن القديم ، أبو البقاء ؛ ٨٦
 يوسف بن إبراهيم الجذامي الشاطبي ؛ ١٦٤
 يوسف أبو الحجاج ، السلطان ؛ ٢٢١
 يوسف بن تاشفين ؛ ٢٧٥ ، ٣٣١ - ٣٣٣ ،
 ٣٨٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤
 يوسف بن عبد الرحمن الفهري ؛ ٤٦٩
 يوسف بن موسى المتشافري ؛ ٣٧٥
 يونس بن مغيث ؛ ٧١ ، ٨٥ ، ٤٧٨ ، ٤٨٣

منذر بن يحيى التجيبي ؛ ٢٨١
 المنصور بن أبي عامر ؛ ٢٨١ ، ٢٩٢
 منصور بن أحمد المشدالي ؛ ١٥٧ ، ٣٢٧
 منصور بن دلاء ؛ ٤٧٨
 منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ؛ ٣٢٤
 ٣٢٧ ، ٣٢٩
 منصور بن عمر ... بن يعقوب بن عبد الحق ؛
 ٢٩٨
 موسى بن أبي تليد ؛ ٤٦٤
 موسى بن أبي الحسن الأزدي ؛ ٤٠٢
 موسى بن حدير ؛ ٤٦٥
 موسى بن رحو ؛ ٢٧٦
 موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن ؛
 ٢٧٥
 موسى بن نصير ؛ ٥٢٥
 موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يفراسن
 (أبو حو) ؛ ٢٨١ ، ٣٣٦
 المهلب بن أحمد بن أبي صفرة ؛ ٣٠٣
 مؤمل مول باديس ؛ ٣٣١ - ٣٣٣
 مؤمل بن رجا بن عكرمة العقيل ؛ ٣٠٢
 ناصر الدين المشدالي ؛ ١٧٥ ، ٢٤٠ ، ٥٤٧
 نزهون بنت القليبي ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤
 نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٣
 نصر بن محمد بن محمد الخزرجي الأنصاري ؛

كامل طبع المجلد الثالث من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة »
بمطابع « الشركة المصرية للطباعة والنشر » بمدينة القاهرة المعزية
في اليوم الخامس عشر من رمضان المعظم سنة ١٣٩٦ هـ الموافق
لليوم التاسع من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٦ م

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRNDADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

**Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y PortugaI
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib etc**

Vol. III

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

**Al-Tibaa Almisriyah Co. Press
Cairo -/1976**